

UNIVERSAL
LIBRARY

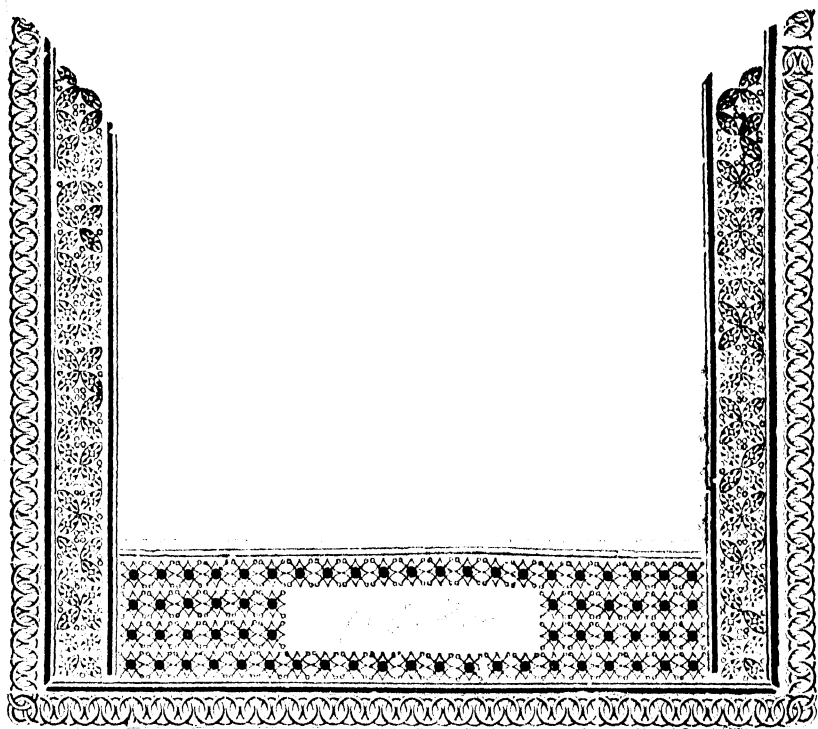
OU_232537

UNIVERSAL
LIBRARY

فهرسة الجزء الثالث من تفسير الخطيب الشربيني

سورة الشعراء ٠٠٢	سورة النمل ٠٤١	سورة القصص ٧٩	سورة العنكبوت ١٢٣
سورة الروم ١٥٥	سورة لقمان ١٧٩	سورة السجدة ٢٠١	سورة الاحزاب ٢١٦
سورة سبأ ٢٧٧	سورة فاطر ٣١٠	سورة يس ٣٣٥	سورة الصافات ٣١٨
سورة ص ٣٩٨	سورة الزمر ٤٣٠	سورة المؤمن ٤٦٥	سورة -م السجدة ٥٠١
سورة شورى ٥٢٦	سورة الزخرف ٥٥٢	سورة الدخان ٥٧٨	سورة الجاثية ٥٩٢

(تمت)



وهي مائتان وست وعشرون آية وألف ومائتان وسبع وتسعون كلمة وخمسة آلاف وخمسمائة
واثنان وأربعون حرفاً روى البغوي عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت
طه والطواسين من ألواح موسى عليه السلام (بسم الله) الذي دلّ علوّ كلامه على عظمة
شأنه وعزّ مرامه (الرحمن) الذي لا يعجل على من عصاه (الرحيم) الذي يحيي قلوب أهل ودّه
بالتوفيق لما يرضاه (طسم) قال ابن عباس عجزت العلماء عن علم تفسيرها وفي رواية عنه
أنه قسم وهو من أسماء الله تعالى وقال قتادة اسم من أسماء القرآن وقال مجاهد اسم السورة
وقال محمد بن كعب القرظي أقسم بطوله وسنّاه وملّكه ولهذا الاختلاف قال الجلال
المحلي الله أعلم بمراده بذلك وقد قدمنا الكلام على أوائل السور في أول سورة البقرة وقرأ جزء
والكسائي وشعبة بأمانة الطاء والباقون بالفتح وأظهر جزء النون من سين عن الميم وأدغمها
الباقون وهي في مصحف عبد الله بن مسعود ط س م منطوعة من بعضها (تلك) أي هذه
الآيات العالمة المرام الحائرة أعلى مراتب التمام المؤنّسة من هذه الحروف التي تتناطقون بها
ولمّا أت السنتكم (آيات الكتاب) أي القرآن الجامع لكل فرقان (المبين) أي الظاهر
بعجازه المظهر الحق من الباطل * ولما كان عنده صلى الله عليه وسلم من مزيد الشفقة وعظيم
الرحمة على قومه قال تعالى تسليّة له (لعلك باخع) أي هالك (نفسك) غما وأسفاً من أجل

(الأيكونوا) أي قومك (مؤمنين) أي راغبين في الإيمان أي لا بالغ في الحزن والاسف
 فان هذا الكتاب في غاية البيان في نفسه والابانة للغير وقد تقدم في غير موضع انه ليس عليك
 البلاغ ولوشنا الهدى بهم طوعا أو كرها والنجع أن يبلغ بالذبح الجائع الجاه وبالباهو
 عرق مستبطن القفار وذلك أقصى حد الذابح ولعل للاشفاق أي الشفق على نفسك أن تقتلها
 حسرة على ما فاتك من إيمان قومك فصبره وعزاه وعرفه أن حزنه ونغمه لا ينفع كما أن وجود
 الكتاب ووضوحه لا ينفع ثم انه تعالى أعلمه بأن كل ما هم فيه انما هو بإرادته بقوله تعالى (إن
 نشأ نزل عليهم) وعبر بالمضارع فيهما علما بدوام القدرة وقرا ابن كثير وأبو عمر وبسكون
 النون الثانية واختمها عند الزاي وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي ثم قال
 تعالى محققا للمراد (من السماء) أي التي جعلنا فيها بروجاً للمنافع وأشار إلى تمام القدرة
 بتوحيد ما بقوله تعالى (آية) أي فآخرة كما فعلنا ببعض من قبلهم بتق الجبل ونحوه * (تنبيه) *
 هنا همزتان مختلفتان أبدل نافع وابن كثير وأبو عمر والهمزة الثانية المفتوحة بعد المكسورة ياء
 خالصة وحتقها الباقيون ثم أشار تعالى إلى تحقق هذه الآية بالتعبير بالماضي في قوله تعالى عطفها
 على نزل لأنه في معنى أنزلنا (فظلت) أي عقب الانزال من غير مهلة (أعناقهم) أي التي هي
 موضع الصلابة ونحوها تنشأ حركات الكبر والاعراض (لها خاضعين) أي متقادين * (تنبيه) *
 خاضعين خبر عن أعناقهم واستشكل جمعه جمع سلامة لأنه مختص بالعقلاء وأوجب عنه بأوجه
 أحدها أن المراد بالاعناق رؤسنا وهم مشبهوا بالاعناق كما يقال لهم الرؤس والنواصي
 والصدور قال القائل * في محفل من رؤس الناس مشهود * ثانياً انه على حذف مضاف أي قتل
 أصحاب الاعناق ثم حذف وبقى الخبر على ما كان عليه قبل حذف الخبر عنه مراعاة للمعذوف
 ثالثاً أنه لما أضيف إلى العقلاء اكتسب منهم غذا الحكم كما يكتب التأنيث بالاضافة وثبت
 في قوله * كما شرفت صدر الفتاة من الدم * رابعها قال الرخشمري أصل الكلام فظواهرها
 خاضعين فاختم الاعناق لبيان موضع الخضوع وترك الكلام على أصله كقولهم ذهب أهل
 اليمامة كان الأهل غير مذكور ونوزع في التنظير لأن أهل ليس مقعماً للامة لأنه المقصود
 بالحكم خامسها أنها عولت معاملة العقلاء كقول تعالى ساجدين وطائعين في يوسف
 والسجدة وقبل انما قال تعالى خاضعين لموافقة رؤس الآي لتكون على نسق واحد
 (وما بأنهم) أي الكفار (من ذكر) أي موعظة وطائفة من القرآن يذكر وتسا به فيكون
 سبب ذكرهم وشرفهم (من الرحمن) أي الذي أنكره مع احاطة نعمهم به (محدث) أي
 بالنسبة إلى تزيده وعلمهم به وأشار تعالى إلى دوام كبرهم بقوله تعالى (الأيكونوا عنه معرضين)
 أن اعراضا هو صفة لهم لازمة ولما كان حال المعرض عن الشيء حال المكذب قال تعالى
 (فقد) أي فسبب عن هذا الفعل منهم أنه قد (كذبوا) أي بالكذب بعد اعراضهم
 وأمعنوا في تكذيبه بحيث أذى بهم إلى الاستهزاء به الخسبره عنهم ضمناً في قوله تعالى
 (فسبأنيهم) أي إذا مسهم عذاب الله تعالى يوم يدر يوم القيامة (أنباء) أي عظيم أخبار

قوله من رؤس الناس
 في الكشف من
 نواصي الناس اهـ

وعواقب (ما) أى العذاب الذى (كانوا يستهزئون) أى همزون من أنه كان حقاً وباطلاً
وكان حقيقاً بأن يصدق ويعظم أمره أو يكذب فيستخف أمره ثم قال تعالى محبوباً منهم
(أولم يروا إلى الأرض) أى على سعتها واختلاف نواحيها ونبه على كثرة ما صنع من جميع
الاصناف بقوله تعالى (كم أنبتنا) أى بالنامن العظيمة (فيها) بعد أن كانت يابسة ميتة
لأنبت فيها (من كل زوج) أى صنف متشاكل بعضها لبعض فلم يبق صنف يليق بهم
في العاجلة إلا أكثرنا من الانبات منه (كریم) أى كثير المنافع محمود العواقب وهو صفة
لكل ما محمود وبرى وهرضه اللثيم وههنا يحتمل معنيين أحدهما النبات على نوعين نافع وضار
فذكر كثرة ما أنبت في الأرض من جميع أصناف النبات النافع وخلى ذكر الضار والثاني أن
يعم جميع النبات نافعه وضاره ويصفهما جميعاً بالكرم ونبه على أنه تعالى ما أنبت شيئاً إلا فيه
فائدة لأن الحكيم لا يفعل فعلاً إلا لحكمة بالغية وان غفل عنها الغافلون ولم يصل إلى معرفتها
العاقلون ولما كان ذلك باهر العقل منبهاً له في كل حال على عظيم اقتدار صناعته وبديع اختياره
وصل به قوله تعالى (أن في ذلك) أى الأمر العظيم (آية) أى دلالة على كمال قدرته تعالى
(فان قيل) حين ذكر الأزواج دل عليها بكلمتي الكثرة والاحاطة وكان لا يحصيها إلا عالم الغيب
فكيف قال أن في ذلك لآية وهلا قال لايات (أجيب) بوجهين أحدهما أن يكون ذلك
مشاربه إلى مصدر أنبتنا فكانه قال أن في ذلك الانبات لآية ثانيهما أن يراد أن في كل واحد
من تلك الأزواج لآية (و) الحال انه (ما كان أكرمهم) أى البشر (مؤمنين) في علم الله
تعالى وقضائه فلذلك لا يتعهم مثل هذه الآيات العظام وقال سيويه كان زائدة (وأن)
أى والحال أن (ربك) أى الذى أحسن اليك بالارسل وتخزل قلوب الاصفياء وزوى
عنك المد والاشقياء (لهو العزيز) أى ذو العزة يتقدم من الكافرين (الرحيم) يرحم
المؤمنين ولما كان مع ما ذكر في ذكر القصص تسلية لنبينا صلى الله عليه وسلم فيما يقاسيه
من الأذى والتكذيب وكان موسى عليه السلام قد اختص بالكتاب الذى ما بعد القرآن مثله
والآيات التى ما أنبت بها أحد قبله بدأ ذكره فقال تعالى (واذ) أى واذا كراذ (نادى ربك)
أى المحسن اليك بكل ما يمكن الاحسان به في هذه الدار ثم ذكر المنادى بقوله تعالى (موسى)
أى حين رأى الشجرة والنار واختلف أهل السنة في النداء الذى سمعه موسى عليه السلام
أهل الكلام القديم أو صوت من الاصوات قال أبو الحسن الأشعري رضى الله تعالى عنه
هو الكلام القديم فكأن ذاه تعالى لا تشبه سائر الذات مع أن الدليل دال على انها معلومة
ومرتبة في الآخرة من غير كيف ولا جهة فكذلك كلامه منزلة عن مشابهة الحرف والصوت
مع أنه سموع وقال المعتزلة لا بد من جنس الحروف والاصوات وأما المعتزلة فقد اتفقوا على
أن ذلك النداء كان بحروف وأصوات علم به موسى من قبل الله تعالى فصار معجزاً علم به موسى
أن الله تعالى مخاطباً له فلم يحتج مع ذلك لواسطة ثم ذكر تعالى ماله النداء بقوله تعالى (ان) أى
بأن (انت القوم) أى الذين فيهم قوة وأى قوة (الظالمين) رسولاً ووصفهم بالظلم لكفرهم

واستعبادهم في اسرائيل وذبح أولادهم وقوله تعالى (قوم فرعون) أي معه بدل أو عطف
 بيان للقوم الظالمين وقوله تعالى (الآبِقُونَ) استئناف أسعاه ارساله اليهم للانذار بحجبانهم
 أفرطهم في الظلم واجترأهم عليه ولما كان من المعلوم أن أتى الناس بما يخالف أهواءهم
 لم يقبل (قال رب) أي أيها الرفيق بي (التي أخاف أن يكذبون) أي فلا ترتب على اتبائي اليهم
 أثر فاجعل لي قبولا ومهابة تحرسني بها من يريدني بسوء وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح
 الباء والباءون بالسكون (ويضيئ صدرى) من تكذيبهم لي (ولا ينطق لسانى) بأداء الرسالة
 للعقدة التي فيه بواسطة تلك الجرعة التي لذعته في الطفولية (فأرسل) أي فتسبب عن ذلك الذي
 اعتذرت به عن المبادرة الى الذهاب عند الامر طلب الارسال (الى هرون) أخى ليكون لي
 عضدا على ما مضى له من الرسالة فيحتمل أن تكون تلك العقدة باقية عند الرسالة وأن تكون
 قد زالت عند الدعوة ولكن لا يكون مع حل العقدة من لسانه من القصاص المصاقع الذين أولوا
 سلطة الاسنة وبسطة المقال وهرون كان تلك الصفة فاراد أن يقرن به ويدل عليه قوله
 تعالى وأخى هرون هو أفصح من لسانا ومعنى فأرسل الى هرون أرسل اليه جبريل واجعله نبيا
 وأزرنى به واشد به عضدى وهذا الكلام مختصر وقد بسطناه في غير هذا الموضع وقد أحسن
 في الاختصار حيث قال فأرسل الى هرون لجاء بما يتضمن معنى الاستنباء ومثله في تقصير
 الطويلة والحسن قوله تعالى فقلنا اذهبا الى القوم الذين كذبوا بآياتنا فدمرناهم تدميرا حيث
 اقتصر على ذكر طرفي القصة أراها وآخرها وهما الانذار والتدمير ودل بذكرهما على ما هو
 الغرض من القصة الطويلة كلها وهو أنهم قوم كذبوا بآيات الله فأراد الله الزام الحجج عليهم
 فبعث اليهم رسولين فكذبوهما فأهلكهم (فان قيل) كيف ساغ لموسى عليه السلام أن
 يأمره ربه بأمر فلا يقبله بسبع وطاعة من غير توقف وتثبت بعالم وقد علم أن الله تعالى عليم
 بجهاله (أجيب) بأنه قد امتثل وتقبل ولكنه التمس من ربه أن يعضده بأخيه حتى يتعاضدا على
 تنفيذ أمره وتبليغ رسالته فهد قبل التماسه عذرا ففهم التماسه ثم التمس بعد ذلك وتغيب العذر
 في التماس المعين على تنفيذ الامر ليس يتوقف في امتثال الامر ولا بتعلل فيه وكفى بطلب العون
 دليلا على التقبل لعل التعلل ثم زاد في الاعتذار رضى طلب العون خوفا من أن يقتل قبل تبليغ
 الرسالة بقوله (ولهم على ذنب) أي تبعة ذنب فحذف المضاف وأسمى باسمه كما يسمى جزاء
 السبئية سبئية وهو قتله القبطى ومما ذنبنا على زعمهم وهذا اختصار قصته المبسوط في
 مواضع (فأخاف) بسبب ذلك (أن يقتلون) أي يقتلوني به (قال) الله تعالى (كلا) أي
 ارتدع عن هذا الكلام فإنه لا يكون شيء مما خفت لا قتل ولا غيره وكأنه لما كان التكذيب
 مع ما قام عليه من الصدق من البراهين المقوية لصاحبها الشارحة لصدوره العلية لامره عدعدهما
 وقد أجبناله الى الاعانة بأخيك (فأذهبا) أي أنت وأخوك متعاضدين الى ما أمرتك به
 مؤيدين (بآياتنا) الدالة على صدقكم* (تنبيه) فاذهب عطف على ما دل عليه حرف الردع من
 الفعل كأنه قيل ارتدع عما تظن فاذهب أنت وأخوك بآياتنا (آيا) أي بما لنا من العظمة

(معكم مستمعون) أى سامعون لانه تعالى لا يوصف بالمستمع على الحقيقة لان الاستماع جار مجرى الاصغاء والاستماع من السمع منزلة النظر من الرؤية ومنه قوله تعالى قل أوحى الى أنه استمع نذر من الجن فقالوا اناسهمنا قرأنا نجيبا ويقال استمع الى حديثه وسمع حديثه أصغى اليه وأدركه بحاسة السمع ومنه قوله عليه الصلاة والسلام من استمع الى حديث قوم وهم له كارهون صب في أذنيه البرم وهو الكحل المذاب وروى البيهقي وهو بريادة الياء (فان قيل) لم قال معكم بلفظ الجمع وهما اثنان (أجيب) بأنه تعالى أجراه ما مجرى الجمع تعظيما لهما أو معكما ومعنى اسرائيل يسمع ما يحكيكم فرعون (فأثبات) أى فسبب عن ذهاب ما ذكرت بالحراسة والحفظ الى اقول لك اثباتا (فرعون) نفسه وان عظمت ملكته وجلت جنوده (فقولاً) أى ساعة وصولكم اليه ولما عنده (انارسل رب العالمين) أى المحسن الى جميع الخلق المدير لهم مصالحهم (فان قيل) هلاثنى الرسول كماثنى في قوله تعالى انارسلوا ربك (أجيب) بأن الرسول يكون بمعنى المرسل فلم يكن بدمن تثنيتة وأما ههنا فهو اما لانه مصدر بمعنى الرسل والمرسل هو المصدر يوحى ومن مجيى رسول بمعنى الرسالة قوله

لقد كذب الواشون ما فهمت عندهم * بسر ولا أرسلتهم رسول

أى رسالة والواشون الساعون بالكذب عند ظالم وما فهمت بمعنى ما تكلمت واما لانهما ذوا شريفة واحدة فنزلا منزلة رسول واما لانه من وضع الواحد موضع التثنية لتلازمهما فصارا كالشئين المتلازمين كالعينين واليدين وقال أبو عبيدة يجوز أن يكون الرسول بمعنى الاثنين والجمع تقول العرب هذا رسولى ووكيلى وهذا رسولى ووكيلى وهو لا رسولى ووكيلى كما قال تعالى وهم اليكم عدو ثم ذكر له ما قصد من الرسالة اليه قتال معبرا باداة التفسير لان الرسول فيه بمعنى الرسالة التى تتضمن القول (أن) أى بأن (أرسل) أى خل وأطلق وأعاد الضمير على معنى رسول فقال (معنا بنى اسرائيل) أى قومنا الذين استعبدتهم ظلما ولا سبيل لك عليهم نذهب بهم الى الارض المقدسة التى وعدنا الله تعالى بها على السنة الاثني عشر من آبائنا عليهم الصلاة والسلام وكان فرعون استعبدهم أربع مائة سنة وكانوا في ذلك الوقت ستمائة وثلاثين ألفا وروى أن موسى رجع مصر وعليه جبة صوف وفي يده عصاه ومكتل معلق في رأس العصا وفيه زاده فدخل داره نفسه وأخبرهرون بأن الله تعالى أرسلنى الى فرعون وأرسل اليك حتى ندعوفرعون الى الله تعالى فخرجت أمهم ما وصاحت وقالت ان فرعون يطلبك ليقتلك فلو ذهبتما اليه قتلكما فلم يسمع بقولها وذهب الى باب فرعون ليلا ودقا الباب ففرغ البوابون وقالوا من الباب وروى أن البواب اطاع عليهم ما وقال من الباب ومن أتى فقال موسى انارسل رب العالمين فذهب البواب الى فرعون وقال ان تجنونا بالباب يزعم أنه رسول رب العالمين فقال فرعون اذن له لعلنا نضعك منه وقيل لم يؤذن لهما الى سنة فدخل عليه وأذيارسالة الله عز وجل فعرف فرعون موسى لانه نشأ في بيته فلما عرفه (قال) له منكرا عايه (ألم تربك) حذف فاتى فرعون فقال له ذلك لانه معلوم لا يشتبه وهذا النوع من الاختصار كثير في القرآن

(فينا) أى فى منازلنا (وليدا) أى صغيرا قريبا من الولادة بعد فطامه (ولبت فينا) أى فى عزنا باعتبار انقطاعك لنا وتعزلك بنا (من عمرك سنين) ثلاثين سنة فالتنا عليك من الحق بقضى أن نعهلك من مواجعتنا بعل هذا أو كانه عبر بما ينهم النكد كناية عن مدة مقامه عنده بأنها كانت نكدة لانه وقع فيما كان يخافه وفاته ما كان محتاط به من ذبح الاطنان وكان موسى يلبس من ملابس فرعون ويركب من مراكبه وكان يسمى ابنه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الناء المثلثة عند التاء والباقون بالادغام ولما ذكره ما يحمله على الحياة منه ذكره ذنبا يخاف من عاقبته فقال مهولا له بالكآبة (وفعلت فعلتك) أى من قتل القبطى ثم أكد نسبه الى ذلك مشيرا الى أنه عامل بالحلم تحجيلا له فقال (التي فعلت وأنت) أى والحال أنك (من الكافرين) قال الحسن والسدى من الكافرين بالهك ومعناه على دين هذا الذى تعييه وقال أكثر المفسرين أى الجاحدين لنعمتى عليك بالترية وعدم الاستعباد يقول رينالك فكافأنا ان قتلت منا نفسك وكفرت بنعمتنا وهذا رواية العوفى عن ابن عباس وقال ابن فرعون لم يكن يعلم ما الكفر بالرؤية (قال) له موسى مجيبا على طريقة النشر المشوش واثقا بعد الله تعالى بالسلامة (فعلما اذا) أى اذ قتله (وأنا من الضالين) أى من الجاهلين بأن ذلك يؤدى الى قتله والمخطئين كن يقتل خطأ من غير قصد لاقتل قال ابن جرير والعرب تضع الضلال موضع الجهل والجهل موضع الضلال وقيل لأعرف ذنبا فانا واثق من كل جهة حتى يوجهنى ربى الى ما شاء (ففررت) أى فتسبب عن فعلها انى فررت (منكم) أى منك لسطونك ومن قومك لا غرائهم الي على (لما خفتكم) على نفسه أن تقتلوا بذلك القتل الذى قتلتهم خطأ وأنا ابن اثنتى عشرة سنة مع كونه كافرا مهذرا لدم (فوهب لربى) الذى أحسن الى يتريقى عندكم تحت كنف أى أمانة على مما أحدثتم من الظلم (حكما) أى علما وفهما وقيل نبوة (وجعلنى من المرسلين) أى فاجهد الان جهدا فانى لأخافك لقتل ولا غيره ولما اجتمع فى كلام فرعون من توبيخه بآء بجوابه عن التعمير ولانه الاخير فكان أقرب ولانه أهم وهو معنى ما تقدم من أنه على طريقة النشر المشوش بأن يدأ بالاخير قبل الاول ولهذا كثر على امتنانه عليه بالترية فأبطله من أصله موبخا له بمكره عليه غيرانه حذف حرف الانكار اجالا فى القول واحسانا فى الخطاب وأبى أن تسمى نعمته بالانعمة بقوله (وتلك) أى الترية الشنيعة العظيمة فى الشناعة التى ذكرتها (نعمه عنى على أن عبت) أى تعبدك وتذليلك قومى (بنى اسرائيل) أى جعلتهم عبيدا ظالما وعدوا واهم أبناء الانبياء ولسلفهم بسف عليه السلام عليكم من المنة باحياء نفوسكم أولا وعق رقابكم نائيا ما لا تقدرون له على جزاء أصلا ثم ما كفاك ذلك حتى فعلت ما لم يفعله مسرة بعد فامرت بقتل آبائهم فكان ذلك سبب وقومى اليك لاسلم من ظلمك ولولم تفعل ذلك لكفناى أهلى ولم يلقونى فى اليوم فكيف تن على بذلك وقيل معناه أنك تدعى أن بنى اسرائيل عبيدك ولأمانة للمولى على العبد فى تربته وقال الحسن أنك استعبدت بنى اسرائيل فأخذت أموالهم وأنفقت منها على فلا نفعة لك بالترية وقيل ان الذى

تولى تربيته هم الذين استعبدتهم فلامنة لك على لان التربة كانت من قبل اى ومن قومي ليس لك
 الامجد الاسم وهذا ما بعد انعاما (فان قيل) لم جمع الضمير في منكم وخففكم مع افراده في نعمها
 وعبدت (أجيب) بأن الخوف والقرار لم يكونا منه وحده ولكن منه ومن ملئه المؤمنون بقوله
 كما مرّت الاشارة اليه بدليل قوله تعالى ان الملا ياقرّون بك لبقولك وأما الانسان فنه وحده
 وكذلك العبيد. ولما قال له بوابه ان ههنا من يزعم انه رسول رب العالمين وأدّخله عليه (قال له)
 (فرعون) عند دخوله حائدا عن جوابه منكر الخالق على سبيل التجاهل كما أنكر هؤلاء الرجن
 متجاهلين وهم أعرف الناس بفعال أفعاله كما كان فرعون يعرف لقول موسى عليه الصلاة
 والسلام لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارب السموات والارض بصائر (ومابر العالمين) أى الذى
 زعمتم أنكم رسوله وانما أتى بحدادون من لانهم يستملهم عن طلب الماهية كقولك ما العنقه
 ولما كان جواب هذا السؤال لا يمكن تعريفه الا بالوازمه الخارجية لامتناع التعريف بنفسه
 وبما هو داخل فيه لاستحالة التركيب في ذاته عدل موسى عليه السلام الى جواب ممكن
 فأجاب بصفاته تعالى كما قال تعالى اخبارا عنه (قال رب) أى خالق ومبدع ومدبر (السموات)
 كلها (والارض) وان ساعدت أجرامها بعضها من بعض (وما بينهما) أى بين السموات
 والارض فأعاد ضمير التنبيه على جمعين باعتبار الجسدين وخصه بهذه الصفات لانها أظهر
 خواصه وأثارة وفيه ابطال لدعواه انه اله ومعنى قوله (ان كنتم موقنين) أى ان كان يرجى
 منكم الايقان الذى يؤدّى اليه النظر الصحيح فتعكم هذا الجواب والالتماع أو ان كنتم موقنين
 بشئ عطف هذا الأولى ما توقعون به اظهاره وأثارة دليله ولما ذكر موسى عليه السلام هذا الجواب
 الحق (قال) فرعون (لمن حوله) من أشرف قومه قال ابن عباس وكافوا جسمائة رجل
 عليهم الاسورة وكانت للملوك خاصة (الاستمعون) جوابه الذى لم يطابق السؤال سألته عن
 حقيقة. وهو يحمي بالقاعلية ولما كان يمكن أن يعتقد أن السموات والارض واجبة لذاتهما
 فهى غنية عن الخالق (قال) لهم موسى زيادة في البيان (ربكم ورب آبائكم الاولين)
 فعدل عن التعريف بجنازية السموات والارض الى التعريف بكونه تعالى خالقاهم ولا تأتهم
 اذ لا يمكن أن يعتقد في نفسه وفى آياته وأجداده كونهم واجبين لذواتهم لان المشاهدة دلت على
 أنهم وجدوا بعد العدم وعدموا بعد الوجود وما كان كذلك استحالة أن يكون واجبا لذاته
 واستحالة وجوده الا بالموثر فكان التعريف بهذا الاثر أظهر ولكن فرعون لم يكف بذلك
 ولهذا (قال ان سواكم) على طريق التكميم اشارة الى أن الرسول ينبغي أن يكون أعقل
 الناس ثم زاد الامر بقوله (الذى أرسل اليكم) أى وأنتم أعقل الناس (لمخزون) لايقيم
 السؤال فضلا عن أن يجيب عنه فكيف يصلح الرسالة من الملوك فلما قال ذلك عدل موسى عليه
 السلام الى طريق ثالث أرضع من الشاى بأن (قال رب المشرق والمغرب) أى الشرورق
 والغروب ووقتهما موضعهما (وما بينهما) من المخلفات لان التدبير المستقر على هذا الوجه
 العجيب لا يتم الا بتدبير مدبر قادر وهذا بعينه طريقة ابراهيم عليه الصلاة والسلام مع غرذفاته

قوله على جمعين
 لا يخفى ان الارض
 مفرد لا جمع وفي
 الكشف فان قلت
 كيف قيل وما بينهما
 على التنبيه والمرجوع
 اليه مجموع قلت
 اريد وما بين الجسدين
 فعل بالضم وما فعل
 بالظاهر من قال في
 الهيجاجالين اه
 فتأمل اه متعجبه

استدل أولاً بالاحياء والامانة وهو الذي ذكره موسى عليه الصلاة والسلام بقوله ربكم ورب
آبائكم الأولين فأجابه نمروداً ناخبي وأميت فقال إن الله يأتي بالشه من المشرق فأت بهم من
المغرب فهت الذي كفر وهو الذي ذكره موسى عليه السلام بقوله رب المشرق والمغرب وأما
قوله (أن كنتم تعقلون) فكانه عليه السلام قال إن كنت من العقلاء عرفت أنه لا جواب عن
سؤالك إلا ما ذكرت لك لأنك طلبت مني تعريف حقيقته ولا يمكن تعريف حقيقته بنفس حقيقته
ولا بإجزاء حقيقته فلم يبق إلا أن أعرف حقيقته بآثار حقيقته وقد عرفت حقيقته بآثار
حقيقته فمن كان عاقلاً يقطع بأنه لا جواب عن سؤالك إلا ما ذكرت لك فلما انقطع فرعون عن
الجواب ولزمته الحجة تكبر عن الحق وعدل إلى التخويف بأن (قال لئن اتخذت الهاء
غيري لأجعلنك من المسجونين) أي واحداً من هم في سجن على ما تعلم من حاله في اقتداري
ومن سجونى فقطاعتموا من حال من فيها من شدة الحصر والغلق في الحجر قال الكلبي كان سجنه
أشد من القتل لأنه كان يأخذ الرجل فيطرحه في هوة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق وحده
لا يسمع ولا يضر فيها شيئاً وقرأ ابن كثير وحفص وعاصم باظهار الذا ل عند التاء والباء قون
بالادغام ثم ذكر موسى عليه السلام كلاماً مجمل يعلق فرعون قلبه به فيعدل عن وعيده بأن
(قال) مدافعا بالتي هي أحسن أرخاء لعنان لأزادة البيان معنى لا يبي معه عذر ولا نسيان لأن
من العادة الجارية السكون إلى الانصاف والرجوع إلى الحق والاعتراف (أولوا) أي
أنتسبني ولو (جئت بك بشئ مبين) أي هل يحسن أن يذكر هذا مع اقتداري على أن آتيك بشئ
بدليلين يدلان على وجود الله تعالى وعلى أني رسوله فعند ذلك (قال) طمعاني أن يجد موضعا
للكذب والتليس (فأت به) أي تسبب عن قولك هذا أني أقول أنت بذلك الشيء
(إن كنت من الصادقين) أي فيما ادعيت من الرسالة * (تنبيه) * الواو في أول وجئت واو
الحال وليتها الهمزة بعد حذف الفعل كما علم من التقرير (فان قيل) كيف قطع الكلام
بما لا تعلق له بالاول وهو قوله أول وجئت بشئ مبين أي بآية بيّنة والمجيز لا يدل على ذلك كدلالة
سائر ما تقدم (أجيب) بأنه يدل بما أراد أن يظهره من انقلاب العصاحية على الله تعالى
وعلى توحيده وعلى أنه صادق في ادعاء الرسالة فالذي ختم به كلامه ما تقدم (فألقى) أي
فتسبب عن ذلك وتعبه أن ألقى موسى (عصاه) التي تقدم في غير سورة أن الله تعال أراه
أياه ولم يصريح باسمه اكتفاء بضميره لأنه غير ملتبس (فأذا هي ثعبان) أي حية في غاية الكبر
(مبين) أي ظاهر ثعبانيته روى أنهم لما انقلب حية ارتفعت إلى السماء قدر ميل ثم انحطت
مقبلة إلى فرعون تقول يا موسى مرني بعاشق ويقول فرعون أسألك بالذي أرسلك إلا
ما أخذتها فأخذها فعدت عصا (فان قيل) كيف قال هنا ثعبان مبين وفي آية أخرى فإذا هي
حية تسعى وفي آية ثالثة كأنها جان والجان ما نزل إلى الصغر والثعبان إلى الكبر (أجيب) بأن
الحية اسم الجنس ثم لكبرها صارت ثعبانا وشبهها بالجان لخفتها وسرعتها ويحتمل أنه شبهها
بالشيطان لقوله تعالى والجان خلقناه من قبل من نار السموم ويحتمل أنها كانت صغيرة

كالبحان ثم عظمت فصارت ثعبانا ثم ان موسى عليه السلام لما اراه آية العصا قال فرعون هل
 غيرها قال نعم (وزعم يده) أى التى كانت احترقت لما أخذ الجرة وهو فى حجر فرعون
 وبذل فرعون جهده فى علاجها بجميع من قدر عليه من الاطباء فمجزوا عن ابراهيم نزعها من
 جيبه بعد ان اراه اياها على ما يعهده منها ثم أدخلها فى جيبه (فأذاهى) بعد النزع (يضاهى
 للناظرين) يعنى الوادى من شدة بيانها من غير برص لها شعاع كشعاع الشمس يعنى البصر
 ويسد الاقنى فعنده هذا أراد فرعون نعمة هذه الحجة على قومه فذكر أمورا أولها ان (قال
 للملاحولة) لما رضع له الامر بموته على عقولهم خوفا من ايمانهم (ان هذا الساحر عليم) أى
 شديد المعرفة بالسحر حوله حال من الملا ومفعول القول قوله ان هذا الساحر عليم ولما أوقعهم
 بما جعلهم به أحياهم لانفسهم فقال ملقيا للجلياب الالهية لما قهرهم من سلطان المعجزة (يريد
 أن يخرجكم من أرضكم) أى هذه التى هى قوامكم (يسهر) أى بسبب ما أتى به فإنه يوجب
 استتباع الناس فيتمكن مما يريد ثم قال لقومه الذين كان يزعم أنهم عبيده وأنه الههم ما دل
 على أنه حارت قواه فخط عن منكبيه كبرياء الربوبية وارتعدت فرائضه لما استولى عليه من
 الدهش والحيرة حتى جعل نفسه مأمورا بعد أن كان يدعى كونه أمر ابل الهيا قادرا (فأذا
 تأمرن) أى فى مدافعتهم عما يريد بنا (قالوا) أى الملا الذين كانوا حوله (أرجسته وأخاه)
 أى آخر أمرهما ومناظرتهما الى اجتماع السحرة ولم يأمره بقتلهم ولا بما يقارب فسخان من
 يلقى الروح من أمره على من يشاء من عباده فيها به كل شئ ولا يهاب هو غير خالقه وقرأ قالون
 بغيرهم مزوا واخللاس كسرة الهاء وورش والكسائي بغيرهمز واشباع حركة كسرة
 الهاء وابن كثير وهشام بالهمزة الساكنة وصلة الهاء مضهومة وأبو عمرو وبالههمزة وضم الهاء
 مقصورة وابن ذكوان بالهمزة وكسر الهاء مقصورة وعاصم وحزة بغيرهمز واسكان الهاء
 (وابعث فى المدن حائرين) أى رجالا لا يحشرون السحرة وأصل الحشر الجمع بكرة وقيل ان
 فرعون أراد قتل موسى فقالوا له لا تفعل فانك ان تقتله دخلت الناس شبهة فى أمره ولكن
 أخره واجعله سحرة ليقاموه ولا يثبت له علي حجة وعارضوا قوله ان هذا الساحر عليم بقولهم
 (يا نول بكل سحر) أى بليغ فى السحر فخا وبكامة الاحاطة وصيغة المبالغة ليطامنوا من نفسه
 ويسكنوا من بعض قلته (عليه) أى متناه فى العلم به بعد ما تنهاه فى السحرية وعبر بالبناء
 للمفعول فى قوله (لجمع السحرة) اشارة الى عظمة ملكه أى بأيسر أمر ماله عندهم من
 العظمة (لبيقات يوم معلوم) أى فى زمانه ومكانه وهو ضحى يوم الزينة كما مر فى طه وعن ابن
 عباس وافق يوم السبت من أول يوم من سنتهم وهو يوم النبروز (وقيل) أى يقول من قبل
 لكونه عن فرعون (لناس) أى عامة وقوله (هل أنتم مجتمعون) فيه استبطاء لهم فى الاجتماع
 والمراد منه استعجالهم واستعجالهم كما يقول الرجل لغلامه هل أنت منطلق اذا أراد أن يخرجك
 منه ويحثه على الانطلاق كأنما يخجل له ان الناس قد انطلقوا وهو واقف ومنه قول تأبطشرا
 اسم شعاع

هل أنت باعث دينار لحاجتنا • أوعبد رب أخاعون بن مخراق

أى هل أنت حث على إرسال دينار أوعبد رب اسمى رجلين والثاني منصوب على محل الأول
وأخاعون منادى أعطف يان له وعليه اقتصر الكشاف (اعلمنا تتبع السحرة) أى
في دينهم (ان كانوا هم الغالبين) أى لموسى في دينه ولا تتبع موسى في دينه وليس غرضهم
اتباع السحرة وإنما الغرض الكلى أن لا يتبعوا موسى فساووا الكلام مساق الكناية لانهم
إذا اتبعوهم لم يكونوا متبعين لموسى وقيل أرادوا بالسحرة موسى وهرون وقالوا ذلك على
طريق الاستهزاء وعبر بالناء في قوله (فلما جاء السحرة) أى الذين كانوا في جميع بلاد مصر
أيذا بأسرعة حشرهم لخدمة ملكه ووفور عظمتهم (قالوا الفرعون) مستطعين الاجرفي
حال الحاجة الى الفعل ليكون ذلك أجدر بحسن الوعد ومجاز التسديد (أئن لنا لاجر ان كنا
نحن الغالبين) موسى وأتوا بأداة الشك مع جزمهم بالغلبة تخويفه بأنه ان لم يحسن في وعدهم
لم ينهضوا له (قال) مجيبا الى ما سألوا (نعم) لكم ذلك وقرأ الكسائي بكسر العين والياقون
بالفتح وزادهم عمالا أحسن منه عند أهل الدنيا مؤكدا بقوله (وأنكم اذا) أى اذا غلبتم
(لن المقربين) أى عندى وزاد اذاه زيادة في التأكيد ولما قال لهم فرعون ذلك قالوا لموسى
امّا ان تلقى واما ان نكون نحن الملقين (قال لهم موسى) أى مريدا لابطال سحرهم لانه لا يتمكن
منه الا بالقائم (ألقوا ما أنتم ملقون) فان قيل كيف أمرهم بفعل السحر أوجب بأنه لم يرد
بذلك أمرهم بالسحر والتقوية بل الاذن بتقديم ما هم فاعلوه لا محالة توسلا به الى اظهار الحق
(فألقوا) أى فتسبب عن قول موسى عليه السلام وتعبه أن ألقوا (حبالهم وعصيم) أى
التي اعتدوها للسحر (وقالوا) مقسمين (بعزة فرعون) وهى من أيمان الجاهلية وهكذا كل
حلف بغير الله ولا يصح في الاسلام الا الحلف بالله تعالى أو باسم من أسمائه أو صفته من صفاته
كقولك والله والرحمن ورب العرش وعزة الله وقدرة الله وجلال الله وعظمة الله قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم لا تحلفوا بآبائكم ولا بأمهاتكم ولا بالطوائف ولا تحلفوا الا بالله ولا تحلفوا
بالله الا وأنتم صادقون ولقد استحدث الناس في هذا الباب في اسلامهم جاهلية نسبت لها
الجاهلية الاولى وذلك أن الواحد منهم لو أقسم بأسماء الله كلها وصفاته على شئ لم يقبل منه ولم
يعتبه ما حتى يقسم برأس سلطانه فاذا أقسم به فقلل عندهم جهد المين التي ليس وراءها حلف
لخالف ثم انهم أكدوا بيمينهم بأنواع من التوكيد بقولهم (انا نحن) أى خاصة لاستثنى
(الغالبون) وذلك لفرط اعتقادهم في أنفسهم أو لاتباعهم بأقصى ما يمكن أن يؤتى به من السحر
(قالتى) أى فتسبب عن صنع السحرة وتعبه أن ألقى (موسى عصاه) التي جعلت يده وتسبب
عن القائه قوله تعالى (فاذا هي تلقف) أى تبتلع في الحال بسرعة وهمة (ما يافكون) أى
ما يقبلونه عن وجهه وحقيقته بسحرهم وكيدهم ويرزونه فيقبلون في جبالهم وعصيم انما
حدثت نسيب التقوية على الناظرين أو افكهم معنى تلك الاشياء افكها بالغة وقرأ حفص يسكون
اللام وتخفيف القاف وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد القاف وشدة البرز التام في الوصل

قوله اى هل أنت
عبارة الكشاف
يريد بعنه الينا
مر بها ولا تطي به
هـ

وخففها الباقون (فالتى السحرة) أى عقب فعلها من غير ثلث (ساجدين) أى فسجدوا
 بسرعة عظيمة حتى كان لمقيا لقاهم من قوة اسراعهم علمانهم بأن هذا من عند الله فأمسوا
 أقيام بررة بعدما جازوا في صبح ذلك اليوم سحرة كفررة روى أنهم قالوا ان يك ما جاء به موسى
 سحرا فلن يغلب وان يك من عند الله فلن يخفى علينا فلما قذف عصاه فتلقت ما أتوا به علوا
 أنه من عند الله فآمنوا وعن عكرمة أصبحوا سحرة وأمسوا شهداء وانما عبر عن الخور
 بالالقاء لانه ذكر مع الالتفات فسلط به طريقة المشاكلة وفيه أيضا مع مراعاة المشاكلة انهم
 حين رأوا ما رأوا لم يتمالكوا أن رموا بأنفسهم الى الارض ساجدين **ك**أنهم أخذوا
 فطرحوا طرحا (فان قسلا) فاعل الالتقاء ما هو لو صرح به (أجيب) بأنه الله تعالى بما خولهم
 من التوفيق أو إيمانهم أو ما عاينوا من المعجزة الباهرة قال الزمخشري **و**لك أن لا تقدر فاعلا
 لأن القوا بمعنى خروا وسقطوا * ولما كان كأنه قيل هذا فعلهم فما كان قولهم قيل (قالوا آمنا
 رب العالمين) أى الذى دعا اليه موسى عليه السلام أول ما تكلم وقولهم (رب موسى
 وهرون) عطف بيان لرب العالمين لأن فرعون كان يدعى الربوبية وأرادوا أن يعذلوه ومعنى
 اضافته اليها في ذلك المقام انه الذى دعا اليه موسى وهرون عليه ما السلام * ولما آمن السحرة
 بأجدهم لم يأمن فرعون أن يقول قومه ان هؤلاء السحرة على كثرتهم وبصيرتهم لم يؤمنوا الا عن
 معرفة بسخة أمره موسى عليه السلام فبسلكون طريقهم فلبس على القوم وبالع في التنفير
 عن موسى من وجوه أحدها أن (قال آمنتم له) أى لموسى (قبل أن آذن) أى أنا (لكم)
 فصار عتكم الى الايمان به دالة على مبلكم اليه * (تنبيه) * ههنا هم زتان مفتوحان قرا للجمع
 بابدال النانية الفاعل حق الثانية حزة والكسائي وشعبة وسهلها الباقون غير حفص فانه استقط
 الاولى والثانية عنده هي المبدوء بها ثانياها قوله (انه لكبيركم الذى علمكم السحر) وهذا تصريح
 بما رمزه أولا وتعرض منه بأنهم فعلوا ذلك عن مواطاة عينهم وبين موسى وقصر وافي السحر
 ليظهروا أمر موسى والافنى قوة السحر أن تفعلوا مثل ما يفعل ثانياها قوله (فلسوف تعلمون)
 وهو وعيد وتهديد شديد رابعها قوله (لا قطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى يد كل
 واحد اليمنى ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجعين) وهذا الوعيد من أعظم الاهلاكات ثم انهم
 أجابوا عن هذه الكلمات من وجهين الاول قولهم (قالوا الاضرب) أى لا ضرر علينا وخبر
 لا محذوف تقديره في ذلك (انا) أى بقل ذلك فينا ان قدرك الله تعالى عليه (الى وبنا)
 الذى أحسن النيات الهداية بعد موتنا بأى وجه كان (منقلبون) أى راجعون فى الآخرة
 الثاني قولهم (انا نطعم) أى نرجو (أن يفر) أى يستتر بملغنا (لنا ربنا خطايانا)
 أى التى قدمنها على كثرتنا مغللو اطعمهم مع كثرة الخطايا بقولهم (ان كنا) أى كونا هو لنا
 كالجلبة (أول المؤمنين) أى من أهل هذا المشهد ومن رعية فرعون ومن أهل زمانهم
 ولما ظهر من أمر فرعون ما شاهده وخيف أن يقع منه بئى اسرابيل وهم الذين آمنوا وكانوا
 في قوم موسى عليه السلام ما يؤدى الى الاستئصال أمره الله تعالى أن يسرى بهم كما قال

تعالى (وأوحينا) أي بما لنا من العظمة حين أردنا فعل الأمر وانجاز الموعود (إلى موسى
أن أمر) ليلا (بعبادي) وذلك بعد سنين أقام بين أظهرهم يدعوهم إلى الحق ويظهر لهم الآيات
فلم يزيدوا الاعتق أو فسادا وقرأ نافع وابن كثير بكسر النون ووصل الهمزة بعد هاء من سرى
وقرأ الباقون بسكون النون وقطع الهمزة بعدها ثم عمل أمره له بالسيرة في الدليل بقوله تعالى
(أنكم متبعون) أي لا تظن أنهم لكثرة ما رأوا من الآيات يكفون عن اتباعكم فأسرع
بالخروج لتبعوا عنهم إلى الموضع الذي قدرت في الأزل أن يظهر بحجركم والمراد بواقفهم عند
البحر ولم يكن اتباعهم عن موسى لعدم تأثره والمعنى أني بنيت تدبيراً أمركم وأمرهم على أن
تتقدموا ويتبعوكم حتى يدخلوا مدخلكم ويسلكوا مسلككم من طريق البحر فأطبقه عليهم
روى أنه مات في تلك الليلة في كل بيت من بيوتهم ولد فاشتعلوا بؤنهم حتى خرج موسى بقومه
وروى أن الله تعالى أوحى إلى موسى أن اجمع بني إسرائيل كل أربعة آيات في بيت ثم اذبحوا
الجداء واضربوا بدمائها أبوابكم فأنى ساء الملائكة أن لا يدخلوا بيتاً على بابهم دم وأمرهم
بقتل أبكار القبط واختيروا خبزاً فطيراً فأنه أسرع إليكم ثم أسر بعباد حتى انتهى إلى البحر
فيأتيكم أمرى وروى أن قوم موسى قالوا القوم فرعون أن لنا في هذه الدليلة عمداً ثم استعاروا
منهم حللهم بهذا السبب ثم خرجوا بآيات الأموال في الدليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك
جمع قومه وتبعهم كما قال تعالى (فأرسل فرعون) أي لما أصبح وعلم بهم (في المداين حاشرين)
أي رجالاً يجمعون الجنود بقوة وسطوة وإن كرهوا ويقولون تقوية لقلوبهم وتحريك الهممهم
(إن هؤلاء) إشارة بأداة القرب تحقير الهمم إلى أنهم في القبضة وإن بعدوا والمأههم من العجز
وبالفرعون من القوة فليسوا بحيث يخاف قوتهم (الشزيمة) أي طائفة وقطعة من الناس
(قليلون) أي بالنسبة إلى ما لنا من الجنود التي لا تحصى فذكرهم أولاً بالاسم الدال على القلة
بالشزيمة وهي الطائفة القليلة ومنها قولهم نوب شرذمة للذي يلي وقطع قطعاً ثم جعلهم قليلاً
بالوصف ثم جمع القليل فجعل كل حزب منهم قليلاً واختار جمع السلامة الذي هو القلة مع أنهم
كانوا ستائة ألف وسبعين ألفاً وسبعمائة ألف ملك مسور ومع كل ملك ألف. وخرج فرعون
في جمع عظيم وكان مقدمته سبع مائة ألف كل رجل على حصان وعلى رأسه بيضة وعن ابن عباس
خرج فرعون في ألف ألف حصان سوى الإناث فلذلك استقل قوم موسى قال الزمخشري
ويجوز أن يريد بالقلة الذلة والقماء ولا يريد قلة العدد والمعنى أنهم لقلتهم لا يلبى بهم ولا يتوقع
عليهم غلبتهم وعلوهم وليكنهم ينعلون أفعالا تغية فاما وتضيق صدورنا كما قال تعالى عنهم
(وأنهم لنا لغانظون) أي بما فجعونا به من أنفسهم وبما استعاروهم من الزينة من الأواني
الذهب والفضة وما خال الكسوة فلا رجعة في قلوبهم يجمعهم (وإن الجميع حذرون) أي
من عادتنا الحذر واليقظ واستعمال الحزم في الأمور فإذا خرج علينا خارج سارعنا إلى
حسم فسادهم وهذه معاذير اعتذر بها إلى أهل المداين ثلاثاً بظن به ما يكسر من قهره وسلطانه

وقرأ ابن ذكوان والكوفيون بألف بعد الحاء والباءون بغير ألف قال أبو عبيدة والزجاج هما
 بمعنى واحد يقال رجل حذر وحذور وحاذر بمعنى وقيل بل بينهما فرق فالحذر المتيقظ والحاذر
 الخائف وقيل الأول للتجدد لانه اسم فاعل والثاني للثبات لانه صفة مشبهة وقيل الحاذر
 المتبج الذي له شوكة السلاح وهو أيضا من الحذر لأن ذلك انما يفعل حذرا يحكي انه كان
 يتصرف في خراج مصر وأنه يجزئه أربعة أجزاء أحدها لوزرانه وكتابه وجنده والثاني لحفر
 الانهار وعمل الجسور والثالث له ولولده والرابع يفرق في المدين فان لحقه هم ظلم او ظمأ
 أو استخبار أو فساد غلته أو موت عوامل قواهم به ويرى انه قصده قوم فقالوا لنحتاج الى أن نخفر
 خليجنا لعمريضا عنا فاذن في ذلك واستعمل عليهم عاملا فاستكثر ما جمل من خراج تلك الناحية
 الى بيت المال فسأل عن مبلغ ما أتته قوه في خليجهم فاذا هو مائة ألف دينار فأمر بحملها اليهم
 فاستهوا من قبولها فقال اطرحوها عليهم فان الملك اذا استغنى بال الرعية يعني رعيته افتقر
 وان الرعية اذا استغنت بمال ملكهم استغنى واستغنوا ولما كان التقدير فأطاعوا
 أمره ونفروا على كل صعب وذلول اعطاف عليه قوله تعالى بمال اليه أمرهم (فأخرجناهم)
 أي فرعون وجنوده بمال الناصر من مصر ليخفوا بموسى وقومه اخر اجاحنيثنا مما لا يسمع
 أحد بالخروج منه (من جنات) أي بساتين كانت على جانب النيل يحق لها أن تذكّر
 (وعيون) أي أنهم ارجارية في الدور من النيل وقيل عيون تخرج من الارض لا يحتاج معها
 الى نيل ولا مطر (وكنوز) أي أموال ظاهرة من الذهب والفضة وسميت كنوزا لانهم لم يعط
 حق الله منها ومالم يعط حق الله تعالى منه فهو كنز وان كان ظاهرا قيل كان لفرعون ثمانية
 ألف غلام كل غلام على فرس عتيق في عنق كل فرس طوق من ذهب (ومقام) من المنازل
 (كريم) أي مجلس حسن للامراء والوزراء يخفون اتباعهم وعن الضحالك المنابر وقيل
 السر في الحال وذكر بعضهم انه كان اذا قعد على سريره وضع بين يديه ثمانية كرسى من
 ذهب يجلس عليها الاشراف عليهم الاقبية من الديباج مخوصة بالذهب (كذلك) أي
 اخر اجنا كما وصفنا (وأورشها) أي تلك النعم السنية بمجرّد خ وجهم بالقوة وبعد اغراق
 فرعون وجنوده بالفعل (بنى اسرائيل) أي جعلناهم بحيث يرثونها لانهم بنى لهم ما نعتهم
 منها بعد ان كانوا مستعبدين بين أيدي اربابها واستشكل اربابهم لها بالفعل لقوله تعالى
 في الدخان قوما آخرين وسيأتى الكلام على ذلك ان شاء الله تعالى في ذلك المحل بل قيل ان بنى
 اسرائيل لم يرجعوا الى مصر بعد ذلك ولما وصف تعالى الاخراج وصف أثره بقوله تعالى مر بنا
 عليه بالفعل وعلى الارباب بالقوة (فأبعوهم) أي جعلوا أنفسهم تابعة لهم (مشرقين) أي
 داخلين في وقت شروق الشمس بطلوعها صبيحة الليلة التي سار فيها بنو اسرائيل ولولا تقدير
 العزيز العلم بخرق ذلك للعادة لم يكن ذلك على حكم العادة في أقل من عشرة أيام فانه نجر الملوذ
 عن مثله واستتر والى ان لحقوهم عند بحر القلزم (فلما تراءى الجمعان) أي رأى كل منهما
 الآخر (قال أصحاب موسى) ضغفا وبغزا استعجابا لما كانوا فيه عندهم من المذل ولأنهم

أقل منهم بكثير بحيث يقال ان طليعة آل فرعون كانت على عدد بنى اسرائيل وذلك محقق لتقليل
فرعون لهم وكانه عبر عنهم بأصحاب دون بنى اسرائيل لانه كان قد آمن كثير من غيرهم
(اما لادركون) أى يدر كافر فرعون وقومه وقد صرنا بين سدين العدو ووراءنا والبحر أمامنا
ولا طاقة لنا بذلك (قال) أى موسى عليه السلام وثوقا بوعد الله تعالى (كلا) أى لا يدر كونكم
أصلا ثم علل ذلك تسكيناهم بقوله (ان معي ربي) أى بنصره فكانهم قالوا وما عساه يفعل وقد
وصلونا قال (سبهدين) أى يدلنى على طريق النجاة روى ان مؤمن آل فرعون كان بين يدى موسى
عليه السلام فقال أين تذهب فهذا البحر أمامك وقد غشيتك آل فرعون قال أمرت بالبحر وعلى
أوامر بما أصنع (فأوحينا) أى فنسبب عن كلامه الدال على المراقبة أننا أوحينا ونؤوبهم
الكليم جزاء له على ثقته به سبحانه وتعالى فقال تعالى (الى موسى) وفسر الوحي الذى فيه
معنى القول بقوله تعالى (أن اضرب بعصاك البحر) أى الذى أمامكم وهو بحر القلزم الذى
يتوصل أهل مصر منه الى الطور والى مكة المشرفة وما والاها وقيل النيل فضربه (فانفلق)
بسبب ضربه لما ضربه امتثالاً لأمر ربه وصار اثني عشر فرقا على عدد أسباطهم (فكان كل
فرق) أى جزء وقسم عظيم منه (كالطود) أى الجبل فى اشرافه وطوله وصلابته بعدم
السيلان (العظيم) المتناول فى السماء الثابت فى قعره لا يترزل لأن الماء كان منبسطا
فى أرض البحر فلما انفلق وانكشفت فيه الطريق انضم بعضه الى بعض فاستطال وارتفع
فى السماء بين تلك الاجزاء مسالك سلكوها لم يتل منها سرج الراكب قال الزجاج لما انتهى
موسى الى البحر هاجت الريح والبحر رعى بوج كالجلجل فتال يوشع يا كليم الله يا ابن امرأة عمران
قد غشينا فرعون والبحر أمامنا فقال موسى ههنا تخاض يوشع الماء وجاز البحر ما يوارى حافر
دابة الماء وقال الذى يكتم ايمانه يا كليم الله أين أمرت قال ههنا فكبح فرسه بلجائه حتى طار
الزبد من شذقيه ثم أقحمه البحر فارتسب فى الماء وضيع القوم مثل ذلك فلم يقدر وا جعل موسى
لا يدرى كيف يصنع فأوحى الله اليه أن اضرب بعصاك البحر فضربه فانفلق فصار فيه اثنا عشر
طريقا لكل سبط طريق فان الرجل على فرسه لم يبتل سرجه ولا لبدته روى ان موسى قال
عند ذلك يا من كان قبل كل شئ والمكون لكل شئ والكائن بعد كل شئ وهذا معجز عظيم من
وجوه أحدها أن تفرق ذلك الماء معجز وثانيها أن اجتماع ذلك الماء فوق كل فرق منه حتى
صار كالجلجل معجز أيضا وثالثها أنه ثبت فى الخبر أنه تعالى أرسل على فرعون وقومه من الرياح
والظلمة ما حيرهم فاحتبسوا القدر الذى تكامل معه عدد بنى اسرائيل وهذا معجز ثالث
ورابعها أن جعل الله فى تلك الجدران المائية كوى ينظر بعضهم الى بعض وهذا معجز رابع
وخامسها أن أبى الله تعالى تلك المسالك حتى قرب آل فرعون فطمعوا أن يتخلصوا من البحر كما
تخلص موسى عليه السلام وهذا معجز خامس * (فائدة) * لكل من جميع القراء فى الراى من
فرق التريق والتفخيم ولما كان التقدير وأدخلنا كل شعب منهم فى طريق من تلك الطرق
عطف عليه (وأزلفنا) أى قربنا به ظمنا (ثم) أى هنالك (الآخرين) أى فرعون

وقومه حتى سلکوا مساکنهم وقال أبو عبيدة وأزلقنا وأخلفنا ومنه ليلة المزدلفة أى ليلة
الجمع عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وقوم فرعون وكان
يسوق بني إسرائيل ويقول ليخلق آخركم بأولكم ويستقبل القبط ويقول ويديكم ليخلق
آخركم أولكم (وأنجينا موسى ومن معه) وهم من تبعوه من قومه وغيرهم (أجمعين) أى
لم نقدر على أحد منهم الهلاك بل أخرجنهم من البحر على هيئته المذكورة (ثم أغرقنا
الآخرين) أى فرعون وقومه أجمعين بانطباع البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخرج بني
إسرائيل منه ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من ورام مصر يقال له اساف (أن في
ذلك) أى الامر العظيم العظمى العالى الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيه من العظمت (لآية)
أى علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لأن أحد من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون
وقوعه مصلحة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التحذير عن مخالفة أمر
الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي ذلك نسلية للنبي صلى الله عليه وسلم لأنه قد بعثتم بشكذيب
قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر على أنه لا سوء بموسى وغيره (وما
كان أكثرهم) أى أهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا بسماعها (مؤمنين) أى
متصفين بالايان الشابت اما القبط فآمن منهم الا السحرة ومؤمن آل فرعون وامرأ فرعون
والمرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام وأتابنو إسرائيل فكان كثير منهم متزلا
يتعنت كل قليل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى تداركهم الله تعالى على يدى موسى عليه
السلام ومن بعده وأول ما كان من ذلك سؤالهم أن يجعل لهم الها كالاصنام
التي مزوا عليها وأما غيرهم ممن تأخر عنهم فخالهم معروف وأمرهم مشاهد مكشوف فقد سألوهم
بقرة يعبدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهرة (وان ربك) أى المحسن اليك بالاعلاء
أمرك واستنقاذ الناس من ظلام الجهل على يدك (لهو العزيز) أى القادر على الانتقام
من كل فاجر (الرحيم) بعباده لأنه تعالى أفاض عليهم نعمه وكان قادرا على أن يهلكهم فدل
ذلك على كمال رحته وسعة جوده وفضله ولما تم سبحانه وتعالى ما أراد من قصة موسى عليه
السلام يعرف محمد صلى الله عليه وسلم أن تلك المحن التي أصابته كانت حاصلة لموسى أتبعه
دلالة على رحته وزيادة في نسلية نبيه قصة ابراهيم عليه السلام وهي القصة الثانية بقوله تعالى
(وانل) أى اقرأ قرآنة متتابعة يا أشرف المخلوق (عليهم) أى كفار مكة وقوله تعالى (نبأ)
أى خبر (ابراهيم) قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحققتها
الباقون وفي الابداء بالثانية الجميع بحققون ويبدل منه (اذ) أى حين (قال لايه وقومه)
منها لهم على ضلالهم لاستعلايانه كان عالما بحقيقة حالهم ولكنه سألهم بقوله (ما) أى
أى شئ (تعبدون) أى توطئون على عبادته ليرى بهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة
في شئ كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جال وليس عبال (قالوا)
في جوابه (نعبد اصناما) فان قيل قوله عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب

وقومه حتى سلكوا مسالكهم وقال أبو عبيدة وأزلفنا أخلقنا ومنه لبلة المزدلفة أى لسلة
 الجمع عن عطاء بن السائب أن جبريل عليه السلام كان بين بني إسرائيل وقوم فرعون وكان
 يسوق بني إسرائيل ويقول ليخلق آخركم بأولكم ويستقبل القبط ويقول رويدكم ليخلق
 آخركم أولكم (وأنجينا موسى ومن معه) وهم من تبعوه من قومه وغيرهم (أجعين) أى
 لم تقدر على أحد منهم الهلاك بل أخرجناهم من البحر على هيئة المذكورة (ثم أغرقنا
 الآخرين) أى فرعون وقومه أجعين بانطباع البحر عليهم لما تم دخولهم البحر وخرج بني
 إسرائيل منه ويقال هذا البحر بحر القلزم وقيل هو بحر من ورام مصر يقال له اساف (أن في
 ذلك) أى الامر العظيم العالى الرتبة من قصة موسى وفرعون وما فيها من العظائم (لاية)
 أى علامة عظيمة دالة على قدرة الله تعالى لأن أحد من البشر لا يقدر عليه وعلى حكمته وكون
 وقوعه معجزة في الدين والدنيا وعلى صدق موسى لكونه معجزة له وعلى التعذيب عن مخالفة أمر
 الله تعالى ورسوله عليه السلام وفي ذلك نسبية للنبي صلى الله عليه وسلم لانه قد بعثت بتكذيب
 قومه مع ظهور المعجزات عليه فنبه الله تعالى بهذا الذكر على أن له اسوة بموسى وغيره (وما
 كان أكثرهم) أى أهل مصر الذين شاهدوها والذين وعظوا باسماعيل (مؤمنين) أى
 متصفين بالايان الثابت اما القبط فآمن منهم الا السحرة ومؤمن آل فرعون وامرأة فرعون
 والمرأة التي دلتهم على عظام يوسف عليه السلام وأما بنو إسرائيل فكان كثير منهم متزلزلا
 تبعنت كل قبيل ويقول ويفعل ما هو كفر حتى نذاركهم الله تعالى على يدى موسى عليه
 السلام ومن بعده وأول ما كان من ذلك سؤالهم ان تجاوزوا البحر أن يجعل لهم الها كالاصنام
 التي مروا عليها وأما غيرهم ممن تأخر عنهم فالهم معروف وأمرهم مشاهد مكشوف فقد سألوه
 بقرعة بعدونها واتخذوا العجل وطلبوا رؤية الله جهوة (وان ربك) أى المحسن اليك باعلاء
 أمرك واستغناء الناس من ظلام الجهل على يدك (لهو العزيز) أى القادر على الانتقام
 من كل فاجر (الرحيم) بعباده لانه تعالى أفاض عليهم نعمه وكان قادرا على أن يهلكهم فدل
 ذلك على كمال رحمته وسعة جوده وفضله ولما تم سبحانه وتعالى ما أراد من قصة موسى عليه
 السلام يعرف محمد صلى الله عليه وسلم ان تلك الحق التي أصابته كانت حاصلة لموسى أتبعه
 دلالة على رحمته وزيادة في نسبية نبيه قصة ابراهيم عليه السلام وهي القصة الثانية بقوله تعالى
 (واتل) أى اقرأ آية متتابعة بأشرف الخلق (عليهم) أى كذا رمكة وقوله تعالى (تبا)
 أى خبر (ابراهيم) قراءة نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بتسهيل الهمزة الثانية وحققها
 الباقر وفي الابداء الثانية الجميع بحقة قون ويبدل منه (اذ) أى حين (قال لايه وقومه)
 منها لهم على ضلالهم لاستعجالهم لانه كان عالما بحقيقة حالهم ولكنه سألهم بقوله (ما) أى
 أى شئ (تعبدون) أى تواطئون على عبادته ليربهم ان ما يعبدونه ليس من استحقاق العبادة
 فى شئ كما تقول للتاجر ما مالك وانت تعلم ان ماله الرقيق ثم تقول الرقيق جال وليس بما (قالوا)
 فى جوابه (نعبد اصناما) فان قيل قوله عليه السلام ما تعبدون سؤال عن المعبود فحسب

نفسه فإذا تنكروا قالوا ما نصنأ إبراهيم إلا ما نصبح به تنسه فيكون ذلك ادعى إلى القبول وأبعث إلى الاستماع منه ولوقال فانهم عدوا لكم لم يكن تلك المثابة ولأنه دخل في باب من التعريض وقد يبلغ التعريض للنصوص ما لا يبلغه التصريح لأنه تأمل فيه فربما قاده التأمل إلى التقبل ومنه ما يحكي عن الشافعي رضي الله عنه أن رجلا واجهه بشي فقتال لو كنت بحيث أنت لاحتجت إلى أدب وسمع رجل ناسيا يتحدثون في الحجر فقال ما هو بيني ولا بينكم وقوله (الارب العالمين) أي مدبر هذه الاكوان كلها يصح أن يكون استثناء منقطع بمعنى أنهم عدوا لي لأعبدتهم لكن رب العالمين فإني أعبدته وأن يكون متصلا على أن الضمير لكل معبود عبوده وكان من آبائهم من عبده الله تعالى فكأنه قال الارب العالمين فانه ليس بعدوى بل هو ولي ومعبودي * ثم شرع يصفه بما هم به عالمون من انه على الضد الأقصى من كل ما عليه أصنامهم بقوله (الذي خلقني) أي أوجدني على هيئة التقدير والتصوير (فهو) أي فتسبب عن تنفره بخلقني انه هو لا غيره (يم-دين) أي إلى الرشد ولا يعلم باطن الخلق ويقدر على التصرف فيه غير خالقه ولا يكون خالقه إلا مبعبا بصيراضا نافع له الكمال كله وذكر الخلق بالماضي لأنه لا يتجدد في الدنيا والهداية بالمضارة لتجدها وتكررها لانا قدسنا لما أتم خلقه ونفع فيه الروح عقب ذلك هدايته المتصلة التي لا تنقطع إلى كل ما يصلحه ويعينه والافن هدايه إلى أن يقتدى بالدم في البطن امتصاصا ومن هدايه إلى معرفة الشدي عند الولادة وإلى معرفة مكانه ومن هدايه إلى الارتضاع إلى غير ذلك دينا ودينا (والذي) أي (هو) لا غيره (يطعمني ويسقين) أي يرزقني ويغذيني بالطعام والشراب ولو أراد عدم ما أكل وما أشرب أو أصابني بآفة لا أستطيع معها أكل ولا شربا ونسبه بذكر الطعام والشراب على ما عادهما * (تنبيه) * يجوز في والذي يطعمني ويسقين أن يكون مبيد أو خبر محذوف لدلالة ما قبله عليه وكذا الذي بعده ويجوز أن تكون أوصاف للذي خلقني ودخول الواو جائز كقوله

إلى الملك القرم وابن الهمام * وليث الكتيبة في المزدحم

وتكرير الموصول على الوجهين للدلالة على أن كل واحدة من الصلوات مستقلة باقتضاء الحكم (وإذا مرضت) أي باستيلاء بعض الاخلاط على بعض الماينهم ما من التنافر الطبيعي (فهو) أي وحده (يشفين) أي بسبب تعديل المزاج بتعديل الاخلاط وقصرها عن الاجتماع لا بطبيب ولا غيره (فان قيل) لم أضاف المرض إلى نفسه مع أن المرض والشفاء من الله تعالى (أجبت) بأنه قال ذلك استعমা الحسن الادب كما قال الخضر عليه السلام فأردت أن أعيها وقال فأرد ربك أن يلغا شديهما وأجاب الرازي بأن أكثر أسباب المرض محدث بتعريض الانسان في مطاعمه ومشاربه وغير ذلك ومن ثم قال الحكماء لو قيل لا أكثر الموتى ما ديب أجالكم لقولوا التحم وبأن الشفاء محبوب وهو من أصول النعم والمرض مكروه وليس من النعم وكان مقصود إبراهيم عليه السلام تعديد النعم ولما لم يكن المرض من النعم لا جرم لم يصفه إلى الله تعالى

ولا يفتقض ذلك باسناد الامانة اليه كما سيأتي فان الموت ليس بضرب لان شرط كونه ضرباً وقوع
الاحساس به وحال الموت لا يحصل الاحساس به انما الضرر في مقدّماته وذلك هو عين المرض
ولان الارواح اذا كملت في العلوم والاخلاق سكان بقاؤها في هذه الاجساد عين الضرر
وخلاصها عنها عين السعادة بخلاف المرض (والذي يمتني) يقبض روي في الدنيا الغلظة من
آفاتهما (ثم يحيين) للمجازاة في الآخرة كما شئنا في المرض ولهذا التراخي بين الموت
والاحياء أتى بتم هنالان الامانة في الدنيا والاحياء في الآخرة ولما ذكر البعث ذكر ما يترتب عليه
بقوله (والذي أطمع) هضم النفس واطراح اعماله (أن يغفر) أي يحو أو يستر (لي خطيئتي)
أي تقصيري عن أن أقدره حق قدره (يوم الدين) أي الجزاء روى ان عائشة قالت قلت
يا رسول الله ان ابن جدعان كان في الجاهلية يصل الرجم ويطعم المسكين فهل ذلك نافعه قال لا
ينفعه انه لم يقل بومارب اغفر لي خطيئتي يوم الدين وهذا كله احتياج من ابراهيم على قومه انه
لا يصلح للالهية الا من يفعل هذه الافعال (فان قيل) لم قال والذي أطمع والطمع عبارة عن الظن
والرجاء وهو عليه السلام كان قاطعاً بذلك (أجيب) بأن في ذلك اشارة الى أن الله تعالى لا يجب عليه
لاحدثي فانه يحسن منه تعالى كل شيء ولا اعتراض لاحد عليه في فعله (فان قيل) لم أسند لنفسه
الخطيئة مع أن الانبياء معصومون (أجيب) بأن مجاهد قال هي قوله في سقيم وقوله بل فعله
كبيرهم هذا وقوله لسارة هي أختي ورد بأن هذه معاريض كلام وتخييلات للكفرة وليست
بخطايا يطلب لها الاستغفار والاولى في الجواب أن استغفار الانبياء تواضع منهم لربهم وهضم
لانفسهم ويدل عليه قوله أطمع ولم يحزم القول بالغفرة وفيه تعليم لآلهم وليكون لظننا لهم
باجتنابهم المعاصي والحذر منها وطلب المغفرة مما يضرط منهم (فان قيل) لم علق مغفرة الخطيئة
بيوم الدين وانما المغفرة في الدنيا (أجيب) بأن أثرها يتبين يومئذ وهو الآن خفي لا يعلم ولما
حكى الله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ثناءه عليه ذكر بعد ذلك دعاء ومسألته بقوله (رب)
أي أيها المحسن الى (هب لي حكماً) أي علامته قناب العلم وقال ابن عباس معرفة حدود الله
وأحكامه وقال الكلبي النبوة لان النبي ذو حكمته وذو حكمكم بين عباد الله ثم بين أن
الاعتماد انما هو على محض الكرم فان من نوقش الحساب عذب بقوله (وألحقني بالصالحين)
أي الذين جعلتهم أمّة للمتقين في الدنيا والآخرة وهم الانبياء والمرسلون وقد أجابه الله تعالى
حيث قال وانه في الآخرة لمن الصالحين وفي ذلك تنبيه على أن تقدير الثناء على الدعاء من
المهمات (فان قيل) لم يقتصر ابراهيم عليه السلام على الثناء ولا سيما روى عنه انه قال حسبي
من سؤالي علمه بحالي (أجيب) بأنه عليه السلام انما ذكر ذلك حين اشتغاله بدعوة الخلق الى
الحق لانه قال فانهم عدو لي الارب العالمين ثم ذكر الثناء ثم ذكر الدعاء لما أن الشارع لا بد له من تعليم
الشرع فاما حين خلا بنفسه ولم يكن غرضه تعليم الشرع اقتصر على قوله حسبي من سؤالي علمه
بحالي * (تنبيه) * الالحاق بالصالحين أن يوفقه لعمل ينظم به في جملتهم أو يجمع بينهم وبينهم
في المنزلة والدرجة في الجنة ثم انه عليه السلام طلب زيادة في الآخرة بقوله (واجعل لي لسان

(صدق) أى ذكر أجيال وقبولا عامًا وثنا حسنًا بما أظهرت من خصال الخير (في الآخرين)
 أى من الناس الذين يوجدون بعدى إلى يوم الدين لأصكون للمتقين إمامًا فيكون له مثل
 أجورهم فإن من سن سنة حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة قال ابن عباس
 أعطاه الله تعالى بقوله وتر كما عليه في الآخرين أن أهل الإيمان يتولونه ويتنون عليه وقد
 جعله الله شجرة مباركة فرع منها الأنبياء الذين أحيا الله تعالى بهم ذكركه الذى من
 أعظمه ما كان على لسان أعظمهم النبي الأمي صلى الله عليه وسلم من قوله اللهم صل على محمد
 وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم إلى آخره ولما طلب عليه السلام سعادة الدنيا وكان
 لا تنفع لها إلا باتصالها بسعادة الآخرة التى هى الجنة طلبها بقوله (واجعلنى) أى مع
 ذلك كله بفضلك ورحمتك (من ورثة جنة النعيم) لأن فيها النظر إلى وجه الله الكريم
 وهو السعادة الكبرى وشبهها بالآثار الذى يحصل بغيرها كساب إشارة إلى أنها لا تنال إلا بجه
 وكرمه لا ينشئ من ذلك ولمداع نفسه ثنى بأحق الخلق ببره بقوله (واغفر لى) بالهداية
 والتوفيق إلى الإيمان لأن المغفرة مشروطة بالإيمان وطلب المشروط متضمن لطلب الشرط
 فقوله واغفر لى كأنه دعا له بالإيمان وقيل إن أباه وعده بالسلام لقوله تعالى وما كان
 استغفار إبراهيم لآبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فدعا له قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما سبق في
 سورة التوبة وقيل إن أباه قال له انه على دينه باطنًا وعلى دين نروذ ظاهراً وتقية وخوفاً
 فدعا له لاعتقاده أن الأمر كذلك فلما تبين له خلاف ذلك تبرأ منه ولذلك قال في دعائه
 (أنه كان من الضالين) فلو لا اعتقاده فيه أنه في الحال ليس بضال لما قال ذلك وقيل إن
 الاستغفار لئلا يكتفوا به بكن ممنوعاً اذ ذلك (ولا تحزنى) أى تفضعنى (يوم يعمثون) أى
 العباد (فان قيل) كان قوله واجعلنى من ورثة جنة النعيم كافياً عن هذا وأيضاً
 قال تعالى إن الحزى اليوم والسوء على الكافرين فما كان نسيب الكفار فقط كيف يخافه
 المعصوم (أجيب) بأن حسنات الأبرار سيئات المقربين فكذلك درجات الأبرار خزي
 المقربين وخزي كل واحد بما يليق به ولما نبه عليه السلام على أن المقصود هو الآخرة صرح
 بالتزيم في الدنيا بقوله (يوم لا ينفع) أى أحداً (مال) أى يفندى به أو يذله لشافع
 أو ناصر وقاهر (ولا ينون) يتصبرهم أو يعتضد فكيف بغيرهم وفي استثناء قوله (الامن)
 أوجه أحدها انه منقطع وجرى عليه الجلال الهلى أى لكن من (أنى الله بقلب سليم) فانه
 ينفعه ذلك الشئى انه مفعول به لقوله تعالى لا ينفع اى لا ينفع المال والبون الا هذا الشخص
 فانه ينفعه ماله المصروف في وجوه البر وبه الصلحاء لانه علمهم وأحسن اليهم الثالث
 انه بدل من المفعول المذوف ومستثنى منه اذا التقدير لا ينفع مال ولا ينون أحد من
 الناس الامن كانت هذه صفة واختلف في القلب السليم على أوجه قال الرازى أصحها
 أن المراد منه سلامة النفس عن الجهل والاختلاق الرذيلة الشئى انه الخالص من الشرك
 والنفاق وهو قلب المؤمن وجرى على هذا الجلال الهلى وأكثر المفسرين فان الذنوب قل أن يسلم

منها أحد وهذا معنى قول سعيد بن المسيب السليم هو الصحيح وهو قلب المؤمن فإن قلب الكافر
 والمنافق مريض قال تعالى في قلوبهم مرض الثالث انه الذي سلم وسلم وأسلم وسلم واستسلم
 الرابع انه هو اللديغ أى القلق المتزعج من خشية الله لكن قال الزمخشري ان القولين
 الاخيرين من بدع النساير وقوله تعالى (وأزلت الجنة) حال من وايعثون ومعنى أزلت
 قربت أى قربت الجنة (للمتقين) فتكون قرية من موقف السعداء ينظرون اليها ويشرحون
 بأنهم المحشورون اليها زيادة الى شرفهم (وبرزت الجحيم) أى كشفت وظهرت النار الشديدة
 (للالغاوين) أى الكافرين فيرونها مكشوفة ويحشرون على انهم المسوقون اليها زيادة في
 هوانهم * (تنبيه) * في اختلاف الفعلين ترجيح الجانب الوعد على الوعيد حيث قال في حق
 المتقين وأزلت أى قربت وفي حق الغاوين وبرزت أى أظهرت ولا يلزم من الظهور القرب
 (وقيل لهم) تبكيئا وتندبوا وتوبوا بأفهم القائل لمصلحة لكل أحد تحقير الهم ولأن المراد تنبيه
 القول لا كونه من معين (أيما) أى أين الذى (كنتم تعبدون) فى الدنيا ثم حقر
 معبوداتهم بقوله تعالى (من دون) أى من أدنى رتبة من رتب (الله) أى الملك الذى
 لا كف له وكنتم تزعمون انهم يشفعون لكم ويقولونكم بشر هذا اليوم (هل ينصرونكم) بدفع
 العذاب عنكم (أو ينصرون) بدفعه عن أنفسهم (فكذبوا) أى فتسبب عن عجزهم
 أن القوا (فيها) أى فى مهواة الجحيم (هم) أى الاصنام وما شابهها من الشياطين ونحوهم
 (والغاوين) أى الذين ضلوا بهم والكعبة تكرار الكعب ليعبر عنه كأن من ألقى فى النار
 ينكب مرة بعد أخرى حتى يستقر فى قعرها وقال الزجاج طرح بعضهم فوق بعض وقال
 القتيبي ألقوا على رؤسهم (وجنود ابليس) وهم اتباعه ومن أطاعه من الانس والجن وقيل
 ذرية (أجعون) ولما لم يتمكنوا من قول فى جواب استنهامهم قبل القائه (قالوا) أى
 العبد (وهم فيها) أى الجحيم (يختصمون) أى مع المعبودات وقولهم (تالله) أى
 الذى له جميع الكمال (أن كالأى ضلال مبين) أى ظاهر حجة المن كان له قلب سليم معمول
 القول وما بينهما وهو وهم فيها يختصمون بجلالة حاله معترضة بين القول ومعمله وقيل ان
 الاصنام تنطق وتخاصم العبد ويؤيده الخطاب فى قولهم (آذ) أى حين (نسويكم رب رب
 العالمين) فى استحواق العبادة * (تنبيه) * اذ منصوب لما مبين أو بمعدوف أى ضلنا فى وقت
 تسويتنا لكم بالله فى العبادة (وما أضلنا) أى ذلك الضلال المبين عن الطريق البين (الآ
 المجرمون) أى الأولون الذين اقتدينا بهم من رؤسائنا وكبرائنا كما فى آية أخرى ربنا انما أطعنا
 ساداتنا وكبرانا فاضلوا السبيل و عن ابن جريج ابليس وابن آدم الأول وهو قاييل وهو أول
 من سن القتل وأنواع المعاصي (ما) أى فتسبب عن ذلك أنه ما (لنا) اليوم وزادوا
 فى نعمهم النى بزيادة الجافر قالوا (من شافعين) يكونون سبب الادخالنا الجنة كل مؤمنين
 تشفع لهم الملائكة والنبيون (ولاصديقهم) أى قريب يشفع لنا يقول ذلك
 الكفار حين تشفع الملائكة والنبيون والمؤمنون والصديق هو الهادى ودادك الذى يهيم

ما أهملكم مع موافقة الدين وعن جابر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الرجل
 يقول في الجنة ما فعل صديقي فلان وصديقه في الجحيم فيقول الله تعالى اخرجوا الصديقين الى
 الجنة فيقول من بقي في النار فانا من شافعين ولا صديق جيم قال الحسن استكثر وامن
 الاصدقاء المؤمنين فان لهم شفاعة يوم القيامة (فان قيل) لم جمع الشافع ووجد الصديق
 (أجيب) بأن الشفعاء كثيرون في العادة رحمة له وحسبة وان لم يسبق له بأكثرهم معرفة وأما
 الصديق وهو الصادق في ودادك الذي يهيمه ما أهملك قال لزمخشرى فاعز من يرض الانوق انتهى
 قال الجوهرى الانوق على فعول طير وهو الرخسة وفي المثل أعز من يرض الانوق لانهم المحرزة
 فلا يكاد يظفر بها الا أن وكارها في رؤس الجبال والاما كن الصعبة البعيدة وعن بعض الحكماء
 انه سئل عن الصديق فقال اسم لا معنى له أى لا يوجد ولما وقعوا في هذا الهلاك واتقى عنهم
 الخلاس تسبب عنه تخييرهم المحال فقالوا (فلو أن لنا كرامة) أى رجعة الى الدنيا (فكنون من
 المؤمنين) أى الذين صاروا لايمان لهم وصفنا لازما فأزلت لهم الجنة * (تنبه) * انظر ما أحسن
 ما رتب ابراهيم عليه السلام كلامه مع المشركين حين سألهم أولا عابعدون سؤال مقتر
 لامستفهمهم ثم أتى على آلهتهم فأبطل أمرها بأنها لا تنفع ولا تضر ولا تنصر ولا تسمع وعلى
 تقليدهم آباءهم الاقدمين فكسره وأخرجه من أن يكون شبهة فضلا عن أن يكون حجة ثم صور
 المسئلة في نفسه دونهم حتى تخلف منها الى ذكر الله عز وجل فغضب شأنه وعدد نعمته من لدن
 خلقه وانثائه الى حين وفاته مع ما يرجي في الآخرة من رحمته ثم أتبع ذلك ان دعاه بدعوات
 الخالصين وابتهل اليه بالهال الاوابين ثم وصدهم كرم يوم القيامة وثواب الله تعالى وعقابه وما
 يدفع اليه المشركون يومئذ من الندم والحسرة على ما كانوا فيه من الضلال وتمنى الكرامة الى
 الدنيا ليؤمنوا ويطيعوا (ان فى ذلك) أى المذكور من قصة ابراهيم وقومه (آية) أى
 عظة على بطلان الباطل وحقوق الحق (وما) أى والحال انه ما (كان أكثرهم) أى الذين
 شهدوا منهم هذا الامر العظيم الذى سمعوه عنه (مؤمنين) أى بحيث صاروا لايمان صفة لهم ثابتة
 وفى ذلك أعظم تسلية لتسليمهم الى الله عليه وسلم (وان ربك) أى المحسن اليك بارسالك
 وهداية الاتية بك (العزيز) أى القادر على ايقاع النعمة بكل من خالفه حين يخالفه
 (الرحيم) أى الناعل فعل الراحم فى امهاله العصاة مع ادراار النعم ودفع النقم وارسال الرسل
 ونصب الشرائع لكي يؤمنوا وأحد من ذريتهم * ولما أتم سبحانه وتعالى قصة الاب الاعظم
 الاقرب ابراهيم عليه السلام أتمها بقصة الاب الثانى وهو نوح عليه السلام وهى القصة
 الثالثة مقدما لها على غيرها لما له من التقدم فى الزمان اعلاما بأن البلاء قديم ولانها أدل على
 صفى الرحمة والنعمة اللتين هما أثر الغرة بطول الاملاء لهم على طول مدتهم ثم تعميم النعمة
 مع كونهم جميع أهل الارض فقال (كذبت قوم نوح) وهم أهل الارض كلها من
 الاكسين قبل اختلاف الامم بفتق اللغات (المرسلين) أى بكذبيهم نوحا عليه السلام
 لانه أقام الدليل على نبوته بالمعجزة فمن كذب بالمعجزة فقد كذب بجميع المعجزات لتساوى

اقامها في الدلائل على صدق الرسول وقد مثل الحسن البصري عن ذلك فقال من كذب
 واحدا من الرسل فقد كذب الكل لان الاخير جاء بما جاء به الاول * (تنبية) * القوم يؤث
 باعتبار معناه ولذا يصغر على قومية وبذكر باعتبار اللفظ وتذكره أشهر واختير التأنيث ههنا
 للتنبية على أن فعلهم أخس الأفعال والى أنهم مع عتوهم وكثرتهم كانوا عليه سبحانه وتعالى
 أهون شيء وأضعفه بحيث جعلهم هباء منثورا وكذا من بعدهم ولاجل التسلية عبر بالتكذيب
 في كل قصة (اذ) أى حين (قال لهم أخوهم) أى في النسب لافي الدين (نوح) وذكر
 الاخوة زيادة في تسلية النبي صلى الله عليه وسلم وأشار تعالى الى حسن أدب نوح عليه السلام
 مع قومه واستجلاهم برفته ولينه بقوله لهم (الأتقون) الله بأن تجعلوا بينكم وبينه وبين
 الحفظة وقاية بطاعته بالترجيد وترك الالتفات الى غيره ثم على أهليته للامر عليهم بقوله
 (انى لكم) أى مع كوني أخواكم لم يسرني ما يسركم ويسوءني ما يسوؤكم (رسول) أى من عند
 خالقكم فلا مندوحة لى عما أمرت به (أمين) أى مشهور بالامانة بينكم لا غش عندي كما
 تعلمون ذلك منى على طول خبرتكم لى ثم تسبب عن ذلك الرفق الجزم بالامر فقال (فاتقوا الله)
 أى أوجدوا الخوف والحذر والى الجزم بالاختصاص بالجلال والجلال تهووا أصل السعادة
 فتكونوا من أهل الجنة (وأطيعون) فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته ثم نفي عن نفسه
 التهمة بعد أن أثبت أمانيته بقوله (وما أسألكم عليه) أى على هذا الحال الذى
 أنتم فيه وأشار الى الاغراق فى النفي بقوله (من أجر) لتظنوا أنى جعلت الدعاء سببا لذلك
 ثم أكد النفي بقوله (ان) أى ما (أجرى) أى ثوابى فى دعائى لكم (الاعلى رب العالمين)
 أى الذى يبرئ جميع الخلائق ورباهم وقرأ نافع وابوعمر وابن عامر وحفص بفتح الياء
 فى أجرى فى المواضع الخمسة فى هذه السورة والباقيون بالسكون ولما ثبتت التهمة تسبب
 عن اتقائهم إعادة مقدمه اعلاما بالاهتمام به زيادة فى الشفقة عليهم فقال (فاتقوا الله)
 أى الذى حاز جميع صفات العظمة (وأطيعون) ولما أقام الدليل على نفعه وأمانيته
 (قالوا) أى قومه منكربين عليه ومنه كربين لاتباعه استنادا الى الكبير الذى يشأ عنه
 بطر الحق ونمض الناس أى اختارهم (أتؤمن لك) أى لاجل قولك هذا وما أوتيته من
 أوصافك (و) الحال انه قد (اتبعك الارذلون) أى فيكون إيمانك سببا لاستوائهم
 والردالة الخسة والذلة وانما استردلوهم لاتضاع نسبهم وقلة نصيبهم من الدنيا وقيل كانوا من أهل
 الصناعات الخسيسة كالحمياكة والحمامة والصناعة لاتزرى بالديانة وهكذا كانت قريش تقول
 فى أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وما زالت اتباع الانبياء كذلك حتى كادت من يماهم
 واما رآتهم ألا ترى الى هرقل حين سأل أباسنيان عن أتباع رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما
 قال ضعفاء الناس وأراذلهم قال ما زالت اتباع الانبياء كذلك وعن ابن عباس هم انما غاة وعن
 عكرمة الخاكة والاسا كفة وعن مقاتل السفلة * ولما كانت هذه الشبهة فى غاية الزكة كذا لان نوحا
 بعث الى جميع قومه فلا يختلف الحال بسبب الفقر والغنى وشرف المكاسب وخسستها أجابهم

بقوله (قال وما) أى أى شئ (على بما كانوا يعملون) قبل أن ~~يكون~~ وفى أى مالى وللبحث عن
 سر أمرهم وانما قال هذا لانهم قد طعنوا مع استعدا الهمة فى ايمانهم وأنهم لم يؤمنوا عن نظر وبصرة
 وانما آذوا هو وبديهة كما حكى الله عنهم فى قوله الذين هم أراذلنا بآدى الراى ثم أكد كذاته
 لا يثبت عن بواطنهم بقوله (ان) أى ما (حسابهم) أى فى الماضى والآتى (الاعلى ربى) أى
 المحسن الى فهو محاسبهم ومحازيهم وأما أنا فقلت بحاسب ولا يحجاز (لوتشعرون) أى لو كان
 لكم نوع شعور العلم ذلك فلم تقولوا ما قلتم مما هو دأر على أمور الدنيا فقط ولا نظره الى يوم
 الحساب فان الغنى غنى الدين والنسب نسب التقوى * ولما أروهم قولهم هذا استدعاء طرد
 هؤلاء الذين آمنوا معه وتوقيف ايمانهم عليه حيث جعلوا اتباعهم المانع عنه اجابهم بقوله
 عليه السلام (وما) أى ولست (أنا بطارد المؤمنين) أى الذين صاروا لايمانهم وصفار اسخا
 فلم يردوا عنه للطمع فى ايمانكم ولا لغيره من اتباع شيوخكم ثم علل ذلك بقوله (ان أنا الانذير)
 أى بمحذرا لا وكيل فأنش على البواطن ولا متعنت على الاتباع (مبين) أوضح ما أرسلت به فلا
 أدع فيه لبسا وقرأ هانوف بعد أن فى الوصل بخلاف عنه والباقيون بالقصر ولما أجابهم به هذا
 الجواب وقد أسوا مما رآوه لم يكن منهم الا التهديد بأن (قالوا ان لم تنته) ثم سمعه باسمه جفاه
 وقلة أدب بقولهم (يا نوح) عما تقول (لتكونن من المرجومين) قال مقاتل والكلبي من
 المقتولين بالحجارة وقال الفضالك من المستومين فعند ذلك حصل اليأس لنوح عليه السلام من
 فلاحهم فذلك (قال) شا كيا الى الله ما هو أعلم به منه فوطئة للدعاء عليهم معرضا عن تهديدهم
 له صبرا واحتسابا لانه من لازم الامر بالمعروف والنهى عن المنكر (رب) أى أيها المحسن
 الى (ان قومى كذبون) أى فيما جئت به فليس الغرض من هذا الخبر ان الله بالكذب لعله
 بأنه عالم النيب والشهادة ولكنه أراد لا أدعوك عليهم لما اذونى وانما أدعوك لاجلك ولاجل
 دينك ولانهم كذبوك فى وحيك ورسالتك (فافتح) أى احكمم (بينى وبينهم قضا) أى حكما
 يكون لى فيه فريج وبه من المضيق مخرج فاهلك المبطلين (وتجننى ومن معى) أى فى الدين
 (من المؤمنين) مما تعذب به الكافرين ثم لما كان فى اهلاكهم وانجائهم من يدب الصنع ما يجمل
 عن الرضا أظهره فى مظهر العظمة بقوله تعالى (فأتجيناه ومن معه) أى الذين اتبعوه فى الدين
 على ضعتهم وقلتهم (فى النلك) أى السفينة وجمعه فلك قال الله تعالى وترى الفلك فيه مواخر
 فالواحد بوزن قفل والجمع بوزن أسد وقال تعالى (المشحون) أى الموقور المملوء من الناس
 والطير والحيوان لان سلامة المملوء جدا أغرب ولما كان اغراقهم كلهم من الغرائب عظيمة
 باداة البعد فقال تعالى (ثم أعرفنا بعد) أى بعد انجاء نوح ومن معه (الباقين) أى من بقى
 على الارض ولم يركب معه فى السفينة على قوتهم وكثرتهم (ان فى ذلك) أى الامر العظيم
 من الدعاء والامهال ثم الانجاء والاهلاك (لاية) أى عظة لمن شاهد ذلك أو سمع به (وما) أى
 والحال انه ما (كان أسكترهم) أى العالمين بذلك (مؤمنين) وقد كان ينبغي لهم اذفاتهم
 الايمان بعض الدليل أن يبادروا بالايمان حين رأوا أوائل العذاب (وان ربك) المحسن

اليك يا ربك وتكثر أتباعك وتكبر أشباعك (لهو العزيز) أي القادر بعزته على كل من
 قسره على الطاعة وأهلا كههم في أول أوقات المعصية (الرحيم) أي الذي يخص من شاء من
 عباد به بخاصة وداده * ولم يفرغ من ذكر قصة نوح عليه السلام شرع في قصة هود عليه السلام
 وهي القصة الرابعة فقال تعالى (كذبت عاد) أي تلك القبيلة التي مكن الله تعالى لها
 في الأرض بعد قوم نوح (المرسلين) بالأعراض عن معجزة هود عليه السلام ثم سلى محمدا
 صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (إذ) أي حين (قال لهم أخوهم) أي في النسب لافي الدين
 (هود) بصيغة العريض تأذبا معهم وتلطفا بهم (الأتقون) أي يكون منكم تقوى لربكم الذي
 خلقكم فتهجدونه ولا تشركون به ما لا يضركم ولا ينفعكم ثم علل ذلك بقوله (إني لكم رسول)
 أي فهو الذي جئني على أن أقول لكم ذلك (أمين) أي لا أكنم عنكم شيئا مما أمرت به ولا
 أخالف شيئا منه (فاتقوا) أي فتسبب عن ذلك أن أقول لكم اتقوا (الله) أي الذي هو
 أعظم من كل شيء (وأطيعون) أي في كل ما أمركم به من طاعة الله وترك معاصيه ومخالفته
 ثم نفى عن نفسه التهمة في دعائه لهم بقوله (وما) أي والحال اني ما (أسألكم عليه) أي دعائي
 لكم (من أجرة) فتمت موافقته وانما أنا رسول داع (إن) أي ما (أجرى) أي وابي
 (الاعلى رب العالمين) فهو الذي يثيب العبد على عمله ولم يفرغ من دعائهم الى الايمان أتبعه
 انكار بعض ما هم عليه لان حالهم حال الناسي لذلك الطوفان الذي أهلك الحيوان وأهدم
 البنيان بقوله لهم (أتبنون بكل ريع) جمع ربيعة وهو في اللغة المكان المرتفع ومنه قولهم
 كم ربيع ارضك وهو ارتفاعها وقال ابن عباس الريع كل شرف وقال مجاهد هو الفج بين
 الجبلين وقال النخعاك هو كل طريق (آية) أي علامة على شدة تكلم لانه لو كان لهداية
 أو فحواها لكتفى بعض ذلك ولكنكم (تعبثون) بمن يترقى الطريق الى هود عليه السلام
 وتضخرون منه والجملة حال من ضمير تبثون وقيل كانوا يبنون الاماكن المرتفعة ليعرف بذلك
 غناهم فنهوا عن ذلك ونسبوا الى العبث وقال سعيد بن جبير هي بروج الحمام لانهم كانوا
 يلعبون بالحمام ثم ذكرهم بزوال الدنيا بقوله (وتخذون مصانع) قال مجاهد صورامشيدة
 وقال السكبي هي الحصون وقال قتادة هي مأخذ الماء يعني الحمام واحداه مصنعة ولما كان
 هذا الفعل حال الرأى للخلود قال لهم (لعلكم) أي كأنكم (تخذون) فيها فلا تموتون ثم
 بين لهم أفعالهم الخبيثة بقوله (واذا بطشتم) أي أردتم البطش بأحد بضرب أو قتل (بطشتم
 جبارين) أي من غير رافة قال البغوي والجبار الذي يضرب ويقتل على الغضب * (نبهه) *
 انما قدرنا الارادة اثلاثا بحد الشرط والجزاء وجبارين حال ولما خوفهم هود عليه السلام بهذا
 الانكار وهو أن اتخاذ الابنية العالسة يدل على حب الدنيا واتخاذ المصانع يدل على حب البقاء
 والجبارية تدل على حب التشرذم بالعلو وهي بمنعة الحصول للعبد وخوفهم بهذا الانكار عقاب
 الجبارين بسبب عن ذلك قوله (فاتقوا الله) أي الذي له صفات الجلال والاكرام (وأطيعون)
 زيادة في دعائهم الى الآخرة وزجر لهم عن حب الدنيا والاشتغال بالشرف والتخبر ثم وصل هذا

الوعظ بما يؤكده القبول بأن نهمهم على نعم الله تعالى عليهم بقوله (وانفقوا الذي أمركم) أي
 جعل لكم مددا وهو اتباع الشيء ما يتقوله على الانتظام (عالمون) أي ليس فيه نوع خفاء
 حتى تغفلوا عن تسيدهم بالشكر ثم فصل ذلك المجمل بقوله (أمركم بالانعام) تعينكم على الاعمال
 وتأكلون منها وتسبعون (وبسبب) يعينونكم على ما تريدون عند العجز (وجنات) أي
 بساتين ملتفة الأشجار بحيث تستردا خلها (وعيون) أي أنهار تنسبون منها وتسقون
 أنعامكم وبساتينكم ثم خوفهم بقوله (إني أخاف عليكم) قال ابن عباس إن عصية ونى أي
 فأنكم قومي يسوءني ما يسوءكم (عذاب يوم عظيم) في الدنيا والآخرة فإنه كما قدر على الانعام
 فهو قادر على الانتقام وتعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب * ولما بالغ عليه السلام في وعظهم
 وتنبههم على نعم الله تعالى حيث أجملها ثم فصلها مستشهدا بعلمهم وذلك أنه أيقظهم عن سنة
 غفلتهم عنها حين قال أمركم بما تعملون ثم عددها عليهم وعزفهم المنعم بتعديدها يعلمون من نعمته
 وأنه كما قدر أن يتفضل عليكم بهذه النعمة قادر على الانتقام منكم ولم يترك الله تعالى هدايتهم
 (قالوا) له راضين بما هم عليه (سواء علينا أوعظت) أي خوفاً وحذرت (أم لم تكن من
 الواعظين) فأنالزعوى عما نحن فيه (فان قيل) لو قيل أوعظت أم لم تعظ كان أخصر والمعنى
 واحد (أجيب) بأن ذلك لتواخي القوا في أولان المعنى ليس واحد بل بينهما ما فرق لأن
 المراد سواء علينا أفعلت هذا الفعل الذي هو الوعظ أم لم تكن أصلاً من أهل ومباشرة فهو
 أبلغ في قوله اعتدادهم بوعظه من قولك أم لم تعظ وقرأ قوله تعالى (إن) أي ما (هذا) أي
 الذي جئنا به (الأخلاق الأولين) نافع وابن عامر وعاصم وحزرة بضم الحاء واللام أي ما هذا
 الذي نحن فيه الإعادة الأولى في حياة ناس وموت آخرين وعاقبة قوم وبلاء آخرين وقرأ
 الباقون بضم الحاء وسكون اللام أي ما هذا الكذب الأولين (وما نحن بمعذبين) أي على
 ما نحن عليه لأننا أهل قوة وشجاعة ونجدة وبلاغة وبراعة * وما نحن بهذا الكذب بسبب
 عنه قوله تعالى (فكذبوه) ثم تسبب عن تكذيبهم قوله تعالى (فأهلكناهم) في الدنيا بريح
 صرصر وسيأتي بيانه إن شاء الله تعالى في سورة الحاقة (إن في ذلك) أي الإهلاك في كل قرن
 للمكذبين والانباء للمصدقين (آية) أي عظيمة لمن بعدهم على أنه تعالى فاعل ذلك وحده
 وأنه مع أوليائه ومن كان معه لا يذل وأنه على أعدائه ومن كان عليه لا يعز (وما كان أكثرهم)
 أي أكثر من كان بعدهم (مؤمنين) أي فلا تحزن أنت يا أشرف الرسل على من أعرض عن
 الإيمان (وان ربك) أي المحسن البار بالكل وغيره من النعم (لهو العزيز) في انتقامه
 ممن عصاه (الرحيم) في انعامه وإكرامه وإحسانه مع عصيانه وكفرانه وإرسال المرسلين
 وتأيدهم بالآيات المعجزة ثم اتبع قصة هود عليه السلام قصة صالح عليه السلام وهي
 القصة الخامسة بقوله تعالى (كذبت عود) وهم أهل الحجر (المرسلين) وقرأ نافع وابن
 كثير وعاصم بإظهار المنة عند الملائكة والباقيون بالادغام وأشار تعالى إلى زيادة التسليّة
 بمفاجأتهم بالكذب من غير تأمل ولا توقف بقوله تعالى (إذ) أي حين (قال لهم أخوهم)

أى فى النسب لافى الدين (صالح) بصيغة العرض تأذيبهم وتلطيفهم كقول من تقدم
قبله (الأتقون) الله ثم علل ذلك بقوله (انزل لكم رسول) من رب العالمين فلذلك عرضت
عليكم هذا لاني ما أور بذلك (أمين) فى جميع ما أرسلت به اليكم من خالقكم الذى لأحد
أرحم منه بكم ثم نسب عن قوله لاني لكم رسول قوله (فاتقوا الله) أى الذى له الغنى المطلق
(وأطيعون) فيما أتيت به من عند الله ثم نفى عنه ما قد ينوهم من لا عقل له بقوله (وما أسألكم
عليه) أى ما جئكم به واغرق فى النفي بقوله (من أجر) ثم زاد فى تأكيد هذا النفي بقوله
(ان) أى ما (أجرى) على أحد (الاعلى رب العالمين) فهو المتفضل المنعم على خلقه ثم شرع
يشكر عليهم ثم أكل خبره وعبادة غيره بقوله (أنتزكون) أى من ايدى النوائب التى لا يقدر
عليها الا الله تعالى (فى ما ههنا) أى فى بلادكم هذه من النعم حالة كونكم (أمينين) لا تخافون
وأنتم تبارزون الملك القهار بالعظام * (فائدة) * تكتب فى ما ههنا فى مقطوعة عن ما تفسر
ما أجله بقوله (فى جنات) أى بساكنين تسترا داخل فيها وتحضيه لكثرة أشجارها (وعيون)
تسقيهم ما لها من البهجة وغير ذلك من المنافع (وزروع) أى من سائر الانواع (وتخل طلعها)
أى ما يطلع منها من الثمر (هضم) قال ابن عباس هو اللطيف ومنه قولهم كشع هضم وقيل هو
الجود الكرم من قولهم يدهضوم اذا كانت تجود بما لديها وقال أهل المعانى هو المنضم بعضه
الى بعض فى وعائه قبل أن يظهر والطلع عنقود الثمر قبل خروجه من الكتم وقال الزمخشري
الطلع هو الذى يطلع من النخلة كمنصل السيف فى جوفه شماريخ القنو والقنو هو اس
للخارج من الجذع كما هو بعرجونه (فان قيل) لم قال وتخل بعد قوله فى جنات والجنة تتناول
النخل أول شئ كما يتناول النعم الا بال كذلك من بين الازواج حتى انهم ليدكرون الجنة
ولا يقصدون الا التخل كما يدكرون النعم ولا يريدون الا الابل قال زهير * تسقى جنة صحقا *
وصحقا جمع حقوق ولا يوصف به الا النخل (أجيب) بوجهين أحدهما أنه خص النخل بأفراده
به مدخوله فى جله سائر الشجر تنبها على انفراده عنها بفضله عليها الثانى أن يريد بالجنات غيرها
من الشجر لان اللفظ يصلح لذلك ثم يعطف عليها النخل * ولما ذكر ما أنعم الله تعالى به عليهم أتبعه
أفعالهم الخبيثة بقوله (وتنحنون) أى والحال انكم تنحنون اظهارا للقدره (من الجبال)
وقرأ (يونا) ورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بكسرها وقرأ (فرهين) ابن
عاصم والكوفيون بأف بعد الفاء أى حاذقين وقرأ الباقون بغير ألف أى بطرين لا الحاجة إليهم
شئ من ذلك (فاتقوا) أى فتسبب عن ذلك أى أقول لكم اتقوا (الله) الذى له جميع
العظمة بأن تجهلوا بينكم وبين عذابه وقاية باتباع أو امره واجتناب زواجه (وأطيعون)
أى فى كل ما أمرتكم به عنه فانى لا آمركم الا بما يصلحكم (ولا تطيعوا أمر المسرفين) أى
المجاوزين للحدود وقال ابن عباس المشركين وقال مقاتل هم التسعة الذين عقروا الناقة
* (تنبيه) * استعير الطاعة التى هى انقياد للامر لا امتثال الامر أو جعل الامر مطاعا على
المجاز الحكيم والمراد الأمر ومنه قولهم لك على امره مطاعة وقوله تعالى وأطيعوا أمرى

ثم وصف المسرفين عابدين سرفهم بقوله (الذين يفسدون في الارض) بالمعاصي (ولا يصلحون)
 أى ولا يطيعون الله في أمرهم به (فان قيل) فنافذة ولا يصلحون بعد قوله يفسدون
 (أجيب) بأن في ذلك دلالة على خلوص فسادهم فليس فيه شيء من الإصلاح كما يكون حال
 بعض المفسدين لمخلوطين ببعض الإصلاح * ولما عجزوا عن الطعن في شيء مما دعاهم اليه عدلوا الى
 التخييل على عقول الضعفاء بأن (قالوا انما أنت من المسحورين) قال مجاهد وقتادة من
 المسحورين المخدوعين أى ممن سحر مرة بعد مرة أى حتى غلب على عقله وقال الكلبي عن أبي
 صالح عن ابن عباس أى من المخلوقين المعلنين بالطعام والشراب ولست بملك وعلى هذا يكون
 قولهم (ما أنت الا بشر مثلتنا) تأكيده قبل المسحور هو المخلوق بلغة مجيئة أى فواجه
 خصوصية عناب الرسالة (فأت بآية) أى علامة تدل على صدقك (ان كنت من الصادقين)
 أى الراغبين في الصدق فقال لهم صالح ما تريدون قالوا نريد ناقة عشر أمهات من هذه النخزة
 فتلدسنا فآخذ صالح تذكر فقال له جبريل صل ركعتين وسل ربك الناقة ففعل فخرجت
 الناقة وبركت بين أيديهم وتحت سقبا مثلها في العظم وعن أبي موسى رأيت مصدرها فاذا هو
 ستون ذراعاً فلما راها (قال) لهم صالح (هذه ناقة) أخرجهاربي من النخزة كما اقترحت
 (لها شرب) أى نصيب من الماء في يوم معلوم (ولكم شرب يوم) أى نصيب من الماء في يوم
 (معلوم) لازمام بينكم وبينها وعن قتادة اذا كان يوم شربها شرب ماءهم ولا تشرب في يومهم
 ماء (ولا تشربوا بسوء) كضرب وعقر ثم خوفهم بما تسبب عن عصيانهم بقوله (فياخذكم)
 أى يهلككم (عذاب يوم عظيم) بسبب ما حل فيه من العذاب فهو أبلغ من وصف العذاب
 بالعظيم وأشار الى سرعة عصيانهم ببناء التعقيب في قوله (فعقروها) أى فقتلوا بضرب ساقها
 بالسيف وأسند العقار الى كاهم لأن عاقرها انما عقر برضاهم فكأنهم فعلوا ذلك (فأصبحوا)
 أى فتسبب عن عقربهم لها أنهم أصبحوا حين رأوا مخايل العذاب (فادمين) على عقربها من
 حيث انه يقضى الى العقاب والهلاك لا من حيث انه معصية الله ورسوله وليس على وجه
 التوبة أو كان ذلك عند رؤية لباس فلم ينفعهم (فأخذهم العذاب) أى العذاب الموعود
 على عقربها (ان في ذلك) أى ما تقدم في هذه النص من الغرائب (لاية) أى دلالة عظيمة
 على صحة ما أمروا به عن الله (وما) أى والحال انه مع ذلك ما (كان أكثرهم مؤمنين) بل
 استمروا على ما هم عليه (وان ربك) أى المحسن اليك بأحسن الاخلاق (لهو العزيز) أى
 فلا يخرج شيء عن قبضته وارادته (الرحيم) أى في كونه لم يهلك أحدا حتى يرسل اليهم رسولا
 بين لهم ما ينصحه الله تعالى وما يخطئه * ثم اتبع قصة صالح عليه السلام قصة لوط عليه السلام
 وهى القصة السادسة فقال (كذبت) أى تكذب من تقدم كأنهم تواصوا به (قوم لوط
 المرسلين) لأن من كذب رسولا كما مضى فقد كذب الكل ثم بين امراءهم في الضلال بقوله
 تعالى (اذ) أى حين (قال لهم أخوهم) أى في البلد في الدين ولا في النسب لانه ابن أخى
 ابراهيم عليه السلام وهما من بلاد الشرق من أرض بابل وكانه عبر بالاخوة لاختياره

لجوارهم ومناسبتهم بمصاهرهم واقامته بينهم في مدية منهم مدية مدية وسنين عديدة واثباته
بالاولاد من نسائهم مع موافقتهم لهم في انه قروي ثم يثبته بقوله تعالى (لوط) بصيغة العريض
كغيره من تقدم (الانتدون) الله فتجعلون بينكم وبين سخطه وقاية ثم قال ذلك بقوله (اني
ايكم) أي خاصة (رسول) فلا تسعني المخالفة (امين) لا غش عندي ولا خيانة ثم نسب
عن ذلك قوله (فاتقوا الله) أي الملك العظيم فانه قادر على ما يريد فلا تعصوه (وأطيعون)
أي لان طاعتي سبب نجاتكم لاني لا امركم الا بما يرضيه ولا انهاكم الا بما يرضيه ثم نفي عن
نفسه ما يوهم كما تقدمت بغيره بقوله (وما أسألكم عليه) أي الدعاء الى الله تعالى (من أجر)
أي فتمموني بسببه (ان أجزى الاعلى رب العالمين) أي المحسن الى ما يجادكم ثم يثبته بينكم ثم
ويجهم وروعه بغيره بقوله (أتأتون الذكران) وقوله (من العالمين) يحتمل عوده الى الا تي أي
أنتم من جملة العالمين مخصوصون بهذه الصفة وهي اتيان الذكور لم يفعل هذا الفعل غيركم
من الناحية من الخلق ويحتمل عوده الى المأني أي أنتم اخترتم الذكران من العالمين
كالاناث منهم وعلى هذا يحتمل أن يراد الذكران من الآدميين ومن غيرهم توغلا في الشر
وتجأها بالتمك قال البقاعي وان يراد الآدميون وجرى عليه البغوي وأكثرا المفسرين
أي تريدون الذكران من اولاد آدم مع كثرة الاناث وغلبة ن (وتدرون) أي تتركون لهذا
الغرض (ما خلق اليكم) أي للشكاح (ربكم) أي المحسن اليكم وقوله (من أرواحكم)
يصلح أن يكون تبيناً أي وهن الاناث وأن يكون للتعويض ويكون الخلق لذلك هو القابل
وكانوا يفعلون مثل ذلك بنسائهم ثم كانوا نحن لم نترك نسائنا أصلاً ورأساً وان كانوا
قد فهموا ان مراده ترصهن حال الفعل في الذكور فقال مضر باعن مقالهم لما أرادوا به
حميدة عن الحق وتعاديا في التجور (بل أنتم قوم عادون) أي متجاوزون عن حد الشهوة حيث
زادوا على سائر الناس بل والحيوانات أي مفرطون في المعاصي وهذا من جملة ذلك أو أحق
بأن توصفوا بالعدوان بارتكابكم هذه الجريمة ولما انضج الحق عندهم وعرفوا ان لا وجه لهم
في ذلك وانقطعت حجتهم (قالوا) مقسمين (لئن لم تنه) وسوءه باسمه جناء وغلبة بنوا لهم
(بالوط) أي عن مثل انكارك هذا علينا (لتكونن من الخرجين) أي من أخرجناء من بلدنا
على وجه فظيع من تعنيف واحد باس املاك كما هو حال الظلمة اذا أجلبوا بعض من يغضبون
عليه وكما كان يفعل بعض أهل مكة بمن يريد المهاجرة وفي هذا الإشارة الى أنه غريب عندهم
وان عادتهم المستقرة نفي من استرض عليهم (قال) مجيباً لهم (اني) مؤكداً المفضون ما يأتي به
(لعملكم من القالين) أي المبغضين غاية البغض لا أقف عن الانكار عليه بالابعاد * (تنبيه) *
قوله من القالين ابلغ من أن يقول اني اعلمكم قال كما تقول فلان من العلماء فيكون أبلغ من
قولك فلان عالم لانك تشهد له بكونه معدوداً في زميرهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم والقلبي
البغض الشديد كان البغض يقلل النواذ والكبد والقالى المبغض كما قال القائل
ووالله ما فارقتكم قالبا لكم * ولكن ما يقضى على يكون

ثم انه عليه السلام دعا الى الله تعالى بقوله (رب نجني وأهلي) وقوله (عما يعملون) يحتمل أن يريد من عقوبة عملهم قال الزحشرى وهو الظاهر ويحتمل أن يريد بالتجعة العصة ثم أن الله تعالى قيل دعاه كما قال تعالى (فحييها وأهلها) مما عذبناهم به بأخر اجناهم من بلدهم حين استخفناهم له ولم نؤخره عنهم الى حين خروجهم الا لاجله أو كدبقوله تعالى (أجعين) إشارة الى أنه نجى أهل بيته ومن تبعه على دينه ثم استثنى تعالى من أهل بيته قوله تعالى (الاجموزا) وهى امرأته كائنة (فى) حكم (الغابرين) أى المالكين الذين تلحقهم الغيرة بما يكون من الداهية فانما نتجها لقضاء ما بذلك فى الازل لكونها لم تتابعه فى الدين ولم تخرج معه وكانت مائلة الى القوم راضية بفعلهم وقيل انها خرجت فأصابها حجر فى الطريق فأهلكها (فان قيل) كان أهل مؤمنين ولولا ذلك لما طلب لهم النجاة فكيف استثنيت الكافرة منهم (أجيب) بأن الاستثناء انما وقع من أهل بيته كما مرّت الإشارة اليه وفى هذا الاسم لها معهم مشركة بحق الزواج وان لم تشاركهم فى الايمان (فان قيل) فى الغابرين صفة لها كائنة قبل الاجموزا فى الغابرين غابرة ولم يكن الغبور صفتها وقت نجاتهم (أجيب) بأن معناه الاجموزا مقدرا غبورها وفى حكمهم كما مرّت الإشارة اليه (ثم دمرنا) أى أهلها (الآخرين) أى المؤخرين عن اتباع لوط وفى التعبير بلفظ الآخرين إشارة الى تأخرهم من كل وجه ثم لما كان المراد بقوله تعالى دمرنا حكمنا بتدميرهم عطف عليه قوله (وأمرنا عليهم مطرا) قال وهب ابن منبه الكبيرت والنار وقال قتادة أمطر الله تعالى على شذاذ القوم ججارة من السماء فأهلكتهم (فساء مطر المندرين) اللام فيه للجنس حتى يصح وقوع المضاف الى المندرين فاعل ساء وذلك لأن فاعل فعل الذم أو المدح يجب ان يكون معرّفا بلام الجنس أو مضافا الى المعرف بلام الجنس ليحصل الابهام المقصود ثم التفصيل ولا يأتى ذلك فى لام العهد والمخصوص بالذم محذوف وهو مطرهم (ان فى ذلك) أى انجاء لوط ومن معه وأهل لاهل هؤلاء الكفار الفجار (لاية) أى دلالة عظيمة على ما يصدق الرسل فى جميع ترغيبهم وترهيبهم ولما كان من أتى بعد هذه الامم كقرئش ومن بعدهم قد علموا أخبارهم وضخوا الى تلك الاخبار نظر الديار والتوسم فى الآثان قال تعالى من حالهم فى ضلالهم (وما) أى والحال انه ما (كان أكثرهم مؤمنين) بما وقع لهؤلاء (وان ربك) وحده (لهو العزيز) أى فى بطنه لاعدائه (الرحيم) فى لطفه بأوليائه ثم اتبع قصة لوط عليه السلام بقصة شعيب عليه السلام وهى القصة السابعة قال تعالى (كذب أصحاب الابهكة) أى الغمضة ذات الارض الجيدة التى تنبع المياء فنبت الشجر الكثير الملتف (المرسلين) لتكذيبهم شعيبا عليه السلام فيما أتى به من الهجرة المساوية فى خرق العادة وعجز المتعدين بها عن مقاومتها بقية المعجزات التى بها الانبياء عليهم الصلاة والسلام وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر ابكة بلام مفتوحة من غير ألف وصل وباء ساكنة ولا همزة قبلها وفتح تاء التانيث والباءون ساكن اللام وقبلها وصل وبعد اللام همزة مفتوحة بعد هايا ساكنة وخفض تاء التانيث قال أبو عبيدة وجدنا فى بعض التفاسير الفرق

بين لكة والايكة فقبل ايكة هو اسم للقرية التي كانوا فيها والايكة البلاد كلها فصارا الفرق بينهما
شبه المابين مكة وبكة ثم بين تعالى وقت تكذيبهم بقوله تعالى (اذ) أي حين (قال لهم شعيب)
برفق ولطف (الأتئون) الله الذي تفضل عليكم بنعمه ولم يقل أخوهم شعيب لانه لم يكن
من أهل الايكة في النسب لانهم كانوا أهل بدو وكان عليه السلام قرويا لان الله تعالى لم يرسل
نبيا الا من أهل القرى تشرى بهم لان البركة والحكمة في الاجتماع ولذلك نهى النبي صلى الله
عليه وسلم عن التعرب بعد الهجرة وقال من يراد الله به خيرا يتقبله من البادية الى الحاضرة ولما
ذكر مدين قال أخاهم شعيبا لانه كان منهم وكان الله تعالى بعثه الى قومه أهل مدين وأصحاب
الايكة ثم أكد ما قاله بقوله (اني) وأشار الى تبشيرهم ان أطاعوه بقوله (لكم رسول) أي من
عند الله فهو أمرني أن أقول لكم ذلك (أمين) أي لاختيانه عندي ولا غش فلذلك أبلغ جميع
ما أرسلت به ولذلك تسبب عنه قوله (فاتقوا الله) أي المحسن اليكم بهذه الغيضة وغيرها
(وأطيعون) لما ثبت من نصحي لكم فكذا كرم من تقدمه من الانبياء من نفي ما يترهون ان لهم
رغبة في أجره على دعائهم فقال (وما سألكم عليه) أي دعائي لكم الى الايمان بالله تعالى (من
أجر) ثم زاد في البراءة من الطمع في أحد من الخلق بقوله (ان) أي ما (أجرى الاعلى رب العالمين)
أي المحسن الى الخلائق كلها فأنا لأرجو أحد اسواهم ثم نصيحتهم بقوله (أوقوا الكيل) أي أعوه
انما الاشبه فيه اذا كنتم كما توفونه اذا اكلتم ولا تكونوا من المخسرين) أي الناقصين لحقوق
الناس في الكيل والوزن كما قال تعالى ويل للمطففين الذين اذا اكلوا على الناس يستوفون
أي الكيل واذا أكلوهم أي أكلوا لهم او وزفهم أي وزفوا لهم يخسرون ينتصون الكيل أو الوزن
(وزنوا) أي لانفسكم ولغيركم (بالتسطاس) أي الميزان الاقوم وأكدمعاه بقوله (المستقيم)
وقيل هو بالرومية العدل وقرأ حزة والكسائي وحفص بكسر القاف والباقون بالضم
* (تنبيه) * الكيل على ثلاثة أضرب واف وطيف وزائد فأمر بالواجب الذي هو الايفاء بقوله
تعالى أو فوا الكيل ونهى عن المحرم الذي هو الطفيف بقوله تعالى ولا تكونوا من المخسرين
ولم يذكر الزائد لانه ان فعله فقد أحسن وان لم يفعله فلا انعم عليه والوزن في ذلك كالكيل ولهذا اعم
في النهي عن النقص بقوله (ولا تخسوا) أي تقصوا (الناس أشياءهم) أي في كيل أو وزن
أ وغير ذلك ثم اتسع ذلك بما هو أعم بقوله (ولا تعثوا) أي لا تنصرفوا (في الارض) من غير
تأمل حال كونكم (مفسدين) أي في المال أو غير ذلك كقطع الطريق والقتل ثم خوفهم بعد
ان وعظهم ونهاهم عن الفساد من سطوة الجبار ما حل بين هو أعظم منهم بقوله (واتقوا الذي
خلقكم) أي من نطفة فاعداكم أهون شئ عليه وأشار الى ضعفهم وقوته من كان قبلهم بقوله
(والجبل) أي الجماعة والامم (الاولين) الذين كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة كأنهم الجبال
قوة وصلابة لا سيما قوم هود الذين بلغت بهم الشدة حتى قالوا من أشد منا قوة وقد أخذهم الله
تعالى أخذ عزيز مبغض ثم انهم أجابوه بالقدح في الرسالة أولا وباستغفار الوعيد ثانيا بان

(قالوا انما انت من المعصين) أى الذين كثر سحرهم مرة بعد أخرى حتى اختلفوا فصار
كلهم على غير نظام أو من المعلنين بالطعام والشراب كما مضى في صالح عليه السلام أى فانت
بعيد عن الصلاحية للرسالة ثم أشاروا الى عدم صلاحية البشر لها مطلقا ولو كانوا أعقل الناس
بقولهم (وما انت الا بشر مثلنا) أى فلا وجه لتخصيصك عنا بذلك وأتوا بالاول والدلالة على أنه
جامع بين وصفين مناقضين للرسالة مبالغه في تكذيبه ولهذا قالوا (وان نظنك لمن
الكاذبين) أى في دعواك * (تنبيه) * مذهب البصريين ان ان هذه هي المخففة من الثقله أى
وانا نظنك والذي يقتضيه السياق ترجيح مذهب الكوفيين هنا في أن ان ناقبه فانهم أرادوا
بإثبات الواو في وما انت المبالغه في نفي ارساله تعدا ما ينافيه فيكون مرادهم أنه ليس لناظرا
يتوجه الى غير الكذب وهو أبلغ من إثبات الظن به ثم ان شعيبا عليه السلام كان توعدهم
بالعذاب ان لم يؤمنوا فقلوا (فأسقط علينا كسنا) أى قطعاً (من السماء) أى السحاب
أو الحقيقة (ان كنت من الصادقين) أى العريقين في الصدق المشهورين فيما بين أهله لنصدقك
فما لزم من أمرنا لنا بتخاذ الوفاية من العذاب * (تنبيه) * انظر الى حسن نظر شعيب عليه
السلام كيف هددهم بحاله عليهم من القدرة في خلقهم وخلق من كانوا أشد منهم قوة
وأهلا كههم بأنواع العذاب لما عصوه بتكذيب رسلهم وقرأ اخص بفتح السين والباء قون
بالسكون وهنا هم زمان مكسور تان فقالون والبرى يسهل الهزيمة الاولى مع المد والقصر
وأستقطها أبو عمرو مع المذو السابق بتحقيق الاولى (قال) لهم شعيب في جوابهم (ربى أعلم
بما تعملون) فيجازيكم به فان شاء عمل لكم العذاب وان شاء أخره الى أجل معلوم وأما نافليس
على الا البلاغ وأما أمور به فلم أخوف فيكم من نفسي ولا ادعيت قدرة على عذابكم فطلبكم
ذلك منى مضموم الى ظلمكم بالكذب (فكذبوه) أى استهزأوا على تكذيبه (فأخذهم) أى
فتسبب عن تكذيبهم ان أخذهم (عذاب يوم الظلة) وهي صحابة على نحو ما طلبوا من قطع
السماء روى ان الله تعالى حبس عنهم الريح سبعا وتسلاط عليهم الرض وهو شدة الحر مع سكون
الريح فأخذ بانفسهم لا يستعففهم ظل ولا ماء ولا شراب فاضطروا الى أن يخرجوا الى البرية فأظلمت
صحابة وجدوا الهاردا ونسيما فاجتهدوا فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا وروى أن شعيبا
بعث الى أمتين أصحاب مدين وأصحاب الايكة فأهلك مدين بصيحة جبريل وأصحاب الايكة
بعذاب يوم الظلة (انه كان عذاب يوم عظيم) وقد منا أن تعظيم اليوم أبلغ من تعظيم العذاب
(آن في ذلك) أى الامر العظيم من الانجاء المطرد لكل رسول ومن أطاعه والاخذ المطرد لادن
عصاه في كل عصر بكل قطر بحيث لا يشذ من الفريقين انسان فاص ولادان (لاية) أى دلالة
واضحة عظيمة على صدق الرسل وأن يكفونوا جديرين بتصديق العباد لهم في جميع ما قالوه من
البشائر والنذائر بأن الله تعالى يهلك من عصاه وينجي من والاه لانه الفاعل المختار لما يريد
(وما كان أكثرهم) أى أكثر قومك كما كان من قبلهم (مؤمنين) مع أنك قد أنت قومك
بما لا يكون معه شك ولم يكن لهم بك معرفة قبل ذلك فكيف وهم عارفون بأنك كنت قبل الرسالة

أصدقهم لهجة وأعظمهم أمانة وأعزهم عقلا وأعلامهم همة وأبعدهم عن كل ذي دنس (وأن ربك) أي المحسن اليك بكل ما يعلى شأنك ويذبح برهانك (لهو العزيز) فلا يجزأ أحد (الرقيم) بالامهال لكي يؤمنوا أو أحد من ذريتهم وهذا آخر القصص السبع المذكورة على سبيل الاختصار لتسليح رسول الله صلى الله عليه وسلم وتهديدا للمكذبين له (فان قيل) كيف كثر في هذه السورة في أول كل قصة وآخرها ما كثر (أجيب) بأن كل قصة منها كتبت برأسه وفيها من الاعتبار مثل ما في غيرها فكانت كل واحدة منها تدل على أن تفتح بما افتتحت به صاحبها وأن تحتم بما ختمت به ولأن في التكرار تقرير للمعاني في النفس وتثبيتها في الصدور ألا ترى أنه لا طريق إلى تحفظ العلوم إلا بتريدي ما يراد حفظه منها وكلما زاد تريده كان أمكن في القلب وأرسخ في الفهم وأثبت للذكر وأبعد من النسيان ولأن هذا القصص طرقت بها آذان وقرع عن الانصات للعق وقلوب غلف عن تدبر دفيكو ثرت بالوعظ والتذكير ووجهت بالتريدي والتكرار لعل ذلك يفتح أذنا أو يشرق ذهنًا أو يصقل عقلا طال عهد البصقل أو يحلو فهم ما قد غطي عليه تراكم الصدور في ذلك دلالة على أن البعثة مقصورة على الدعاء إلى معرفة الحق والطاعة فيما يقرب المدعى إلى ثوابه ويبعده عن عقابه وأن الانبياء متفقون على ذلك وإن اختلفوا في بعض التفاصيل مبرؤن عن المطامع الدنيوية والاغراض الدنيوية ولما ذكر الله تعالى قصص الانبياء عليهم السلام أتبعه بما يدل على نبوته صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وأنه) أي الذكر الذي أتاهم بهذه الاخبار وهم عنه معرضون وله تاركون (لتزيل رب العالمين) أي الذي رباهم بشمول علمه وعظيم قدرته بما يعجز عن أقل شيء منه غيره (نزل به) أي نخب وما على سبيل التدرج من الأقل إلى الأعلى الذي هو محل البركات وعبر عن جبريل عليه السلام بقوله (الروح) دلالة على أنه مادة خير وأن الارواح تحيا بما ينزلها من الهدى وقال تعالى (الامين) إشارة إلى كونه عليه السلام معصوما من كل دنس فلا يمكن منه خيانة (على قلبك) يا أشرف الرسل ففي هذا تقرير لحقيقة تلك القصص وتبيينه على الجواز القرآن ونسوة محمد صلى الله عليه وسلم وأن الاخبار عنها ممن لم يعلمها لا يكون الاوحيا من الله تعالى وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وحفص بضم السين والراء والروح الامين برفعهما والباقيون بتشديد الزاي والروح الامين بضمهما (فان قيل) لم قال على قلبك وهو انما نزل عليه (أجيب) بأنه ذكر ليؤكد أن ذلك المنزل محفوظ والمرسل ممتكّن من قلبه لا يجوز عليه التغير ولأن القلب هو المخاطب في الحقيقة لانه موضع التمييز والاختيار وأما سائر الاعضاء فمخففة ويدل على ذلك الكتاب والسنة والمعقول فن الكتاب قوله تعالى نزل به الروح الامين على قلبك واستحقاق الجزاء ليس الأعلى ما في القلب قال الله تعالى لا يؤخذكم الله باللغو في أيمانكم ولكن يؤخذكم بما كسبت قلوبكم ومن السنة قوله صلى الله عليه وسلم ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله ألا وهي القلب ومن المعقول أن القلب إذا غشي عليه وقطع سائر الاعضاء لم يحصل به الشعور وإذا أفاق القلب شعر بجميع ما ينزل بالاعضاء من الآفات والأفراح

القلب أو حزن تغيير حال الاعضاء عند ذلك ولأن المعاني الروحية إنما تنزل أو لا على الروح ثم
تنتقل منه إلى القلب لما بينهما من التعلق ثم تصعد منه إلى الدماغ فينتقش منه لوح الخيلة ولما
كان السياق في هذه السورة التحذير قال تعالى معللاً للجملة التي قبله (أنت تكون من المذنبين) أي
المخوفين المذنبين لمن أعرض عن الإيمان وفعل ما نهى عنه من المعاصي وقوله تعالى (بلسان
عربي) يجوز أن يهمل بالمتذنبين فيكون المعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان وهم خمسة
هود وصالح وشعيب وإسماعيل ومحمد صلى الله عليه وسلم ويجوز أن يتعلق بنزل فيكون المعنى
نزل به باللسان العربي لينذر به لأنه لو نزل باللسان الأعجمي لتجافوا عنه أصلاً ولقالوا ما نضع عملاً
فقهه فيستعذرا لاندازه قال ابن عباس بلسان قرشي ليفهموا ما فيه ولما كان في العربي ما قد
يشكل على بعض العرب قال تعالى (سبين) أي بين في نفسه كشف لما أراد منه غير تارك
للسان عند من نذره على ما يعرفه العرب في مخاطباتهم من سائر لغاتهم بحقائقها ومجازاتها على
اتساع إرادتها وتباعد مرادها في محاوراتها وحسن مقاصدها في كتاباتها واستعاراتها ومن
يحيط بذلك حتى الأحاطة غير العليم الحكيم الخبير البصير ولما كان الاستكثار من الأدلة مما
يسكن النفوس وتطمئن به القلوب قال تعالى (وانه) أي هذا القرآن أصوله وكثير من قصصه
وأقاصيه فروعه (لنبي زبر) أي كتب (الأولين) كالتوراة والإنجيل وقيل والله أي محمد وبعثته
لنبي ككتب الأولين (أولم يكن لهم) أي لكندار مكة ذلك (آية) أي على صحة القرآن وأنبؤ
محمد صلى الله عليه وسلم وقرأ ابن عامر بالنساء الفوقية ورفع آية على أنها الاسم والخبر لهم
والباقون بالياء التحكية ونصب آية على أنها خبر وقوله تعالى (أن يعلم) أي هذا الذي يأتي به
نبينا من عندنا هو اسمها (هلوا بنى إسرائيل) أي يعرفونه ببعثته المذكور في كتبهم والمعنى أولم
يسكن لهؤلاء المنكرين علم بنى إسرائيل علامة ودلالة على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم لأن
العلماء الذين كانوا من بنى إسرائيل كانوا يخبرون بوجود ذكر في كتبهم كعبد الله بن سلام وابن
يامين ونعلبة وأسد وأسيد قال الله تعالى وإذا تبلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا أنا كنا
من قبله مسلمين قال ابن عباس بعث أهل مكة إلى اليهود بالمدينة ففسألوهم عن محمد صلى الله عليه
وسلم فقالوا إن هذا الزمانه وإننا لنجد في التوراة نعمته وصفته فكان ذلك آية على صدقه * (قائدة) *
خط في المعصيف علماء يوا قبل الألف على لغة من عيل الألف إلى الواو وعلى هذه اللغة كتبت
الصلوة والزكوة والبراقال الله تعالى (ولو نزلناه) أي القرآن على ما عو عليه من الحكمة
والإعجاز (على بعض الأعجمين) أي على رجل ليس بعربي اللسان أو بلغة العجم (فقرأهم عليهم)
أي كندار مكة (ما كانوا به مؤمنين) لفرط عنادهم واستكبارهم وألعدم فهمهم واستكفاهم من
اتباع العجم وقالوا ما نفقه قولك وجعلوه عذرا لجحودهم ونظيره ولو جعلناه قرآنا أعجميا لقالوا
لولا فصلت آياته * (تنبيه) * الأعجمين جمع أعجمي ياء النسب على التخفيف بجذوها من الجمع
ولكونه جمع أعجمي جمع سلامة لأنه حينئذ ليس من باب أفعل فعلا بخلاف ما لو كان جمع
أعجم فأن مؤنثه عجماء بوزن أفعل فعلا وهو عند البصريين لا يجمع هذا الجمع إلا لفردة كقوله

* حلائل أسودين واجرين * وقال ابن عطية جمع أعجم يقال الأعجمون جمع أعجم وهو الذي لا يفصح وان كان عربي النسب يقال له أعجم وذلك يقال للحيوانات ومنه قوله صلى الله عليه وسلم جرح العجماء جبار وأسند الطبري عن عبد الله بن مطيع أنه كان واقفا بعرفة وتحتة جل فقال بجلى هذا أعجم ولو أنه أنزل عليهم ما كانوا يؤمنون ولما كان ذلك محل تعجب وكأنه ربما عاين له أن الامر على خلاف حقيقته فترسمونه وحققه بقوله تعالى (كذلك) أى مثل ادخالنا التكذيب به بقراءة الأعجم (سلكناه) قال ابن عباس والحسن ومجاهد أدخلنا الشرك والتكذيب (في قلوب الجرمين) أى كنار مكة بقراءة النبي صلى الله عليه وسلم وهذا يدل على أن الكل بقضاء الله تعالى وقدره وقيل الضمير في سلكناه عائذ الى القرآن قال ابن عادل وهو الظاهر أى سلكناه في قلوب الجرمين كالسلكناه في قلوب المؤمنين ومع ذلك لم ينفع فيهم وفي جملة (لا يؤمنون به) وجهان أحدهما الاستئناف على جهة البيان والايضاح لما قبله والثاني أنه حال من الضمير في سلكناه أى سلكناه غير مؤمن به أى من أجل ما جبلوا عليه من الاجرام وجعل على قلوبهم من الطبع والختام (حتى يروا العذاب الاليم) أى المهلي لا ايمان فحينئذ يؤمنون حيث لا ينفعهم الايمان وبطلون الايمان حيث لا أمان ولما كان اتيان الشر نجاة أشد قال تعالى (فبأيتهم بعتة وهم لا يشعرون) بآياتنا (فيقولوا) أى تأسفوا واستسلا ما وتلفوا في تلك الحالة للعالم بأنه لا طاعة به بوجه (هل نحن منظرون) أى منسوح لنا في آجالنا فنسمع ونطيع (فان قيل) ما معنى التعقيب في فبأيتهم بعتة فيقولوا (أجيب) بأنه ليس المعنى ترادف رؤية العذاب ومفاجأته وسؤال النظر في الوجود وانما المعنى ترتبها في الشدة كأنه قيل لا يؤمنون بالقرآن حتى يكون رؤيتهم للعذاب عما هو أشد منها وهو لحوقه بهم مناجاة عما هو أشد منه وهو سؤالهم النظره مثال ذلك أن تقول لمن تعظه ان أسأت ممتك الصالحون فتنتك الله فانه لا يقصد به هذا الترتيب ان مقت الله يوجد عقب مقت الصالحين وانما قصدك الى ترتيب شدة الامر على المسيء فانه يحصل له بسبب الاساءة مقت الصالحين عما هو أشد من مقتهم وهو مقت الله ونرى ثم تقع في هذا الاسلوب فيجعل موقعها * ولما وعدهم النبي صلى الله عليه وسلم بالعذاب قالوا الى متى نعدنا بالعذاب ومتى هذا العذاب قال الله تعالى (أقبعذابنا) أى وقد تبين لهم كيف أخذهم للام الماضية والقرون الخالية والاقوام العاتية (يستعجلون) أى يقول لهم أمطر علينا حجارة أسقط علينا كسفا من السماء ونحو ذلك (أقرأيت) أى هب أن الامر كما يعتقدون من طول عيشهم في النعيم فأخبرني (ان متعناهم) أى في الدنيا برغد العيش وصافي الحياة (سنتين ثم جاءهم) أى بعد تلك السنتين المتطاولة والدهور المتواصلة (ما كانوا يعدون) من العذاب (ما) أى أى شئ (أغنى عنهم) أى فيما أخذهم من العذاب (ما كانوا يمتعون) برفع العذاب أو تخفيفه أى لم يكن عنهم طول التمتع شيئا ويكون كأنهم لم يكونوا في نعيم قط وعن ميمون بن مهران انه أتى الحسن في الطواف وكان يتمي لقائه فقال له عظمي فلم يزد على تلاوة هذه الآية فقال له ميمون لقد وعظمت فأبلغت (وما أهلك من قرية) أى من القرى الالهة بعباد الاستئصال (الالهة منذورون) أى رسولهم

ومن تبعه من أمته ومن سمعوا من الرسل بأخبارهم مع أمهم من قبلهم ثم علل الانذار بقوله تعالى (ذكرى) أى تنبيه اعظيما على ما فيه النجاة وأجعل المذنبين نفس الذكري كما قال تعالى قد أنزلنا إليكم ذكر كراسولا وذلك إشارة إلى امعانهم في التذكير حتى صاروا أباه (وما كنا ظالمين) أى فى اهلال شئ منها لانهم كسروا نعمتنا وعبدوا غيرنا بعد الاعذار اليهم وبتابعة الطبع ومواصلة الوعيد (تنبيه) * الواو فى قوله وما كنا والخال من نون أهلكنا (فان قيل) كيف عزات الواو عن الجملة بعد الاول لم تعزل عنها فى قوله تعالى وما أهلكنا من قربة الاولها كآب معلوم (أجيب) بأن الاصل عزل الواو لان الجملة صفة اقربة واذا زيدت قلنا كيد وصل الصفة بالموصوف كما فى قوله تعالى سبعة وثلاثون منهم كلهم ولما كان الكثرة يقولون ان محمدا كاهن وما يتنزل عليه من جنس ما تنزل به الشياطين أكلهم سم الله سبحانه وتعالى بقوله (وما تنزل به الشياطين) أى يكون هجرا أو كهانة أو شعرا أو أضغاث أحلام كما يقولون (وما ينبغى) أى وما يصح (لهم) أن يتنزلوا به (وما يستطعون) أى التنزل به وان استعدت معاجلتهم على تقدير أن يكون لهم قابلية لذلك ثم علل هذا بقوله تعالى (انهم عن السمع) أى الكلام الملائكة (المعزولون) أى محجوبون بالشهب ولما كان القرآن داعيا الى الله تعالى ناهيا عن عبادة غيره تسبب عن ذلك قوله تعالى (فلا تدع مع الله) أى الحماز لئلا يكمل الصفات (الها آخر فتسكون) أى في تسبب عن ذلك أن تكون (من المعذبين) من القادر على ما يريد بأيسر أمر وأسهل وهذا خطاب لنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره لانه معصوم من ذلك قال ابن عباس يحذر به غيره يقول أنت أكرم الخلق لدى وأعزهم على ولئن اتخذت الها غيرى لعذبك فيكون الوعيد أجز له ويكون هو أقبيل وروى محمد بن اسحق بسنده عن علي رضي الله عنه أنه قال لما نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم (وانذر عشيرتك الاقربين) دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان الله أمرني أن أنذر عشيرتي الاقربين وضقت بذلك ذراعا وعرفت أى متى أناديهم بهذا الامر أرى منهم ما أكره فصمت عليهم حتى جاءني جبريل فقال يا محمد لا تتعل ما تؤمر به عذبك ربك فاصنع على صاع من طعام واجعل عليه رجل شاة واملا لنا ساعسان لبن ثم اجمع بين عبد المطلب حتى أبلغهم ما أمرت به ففعلت ما أمرني به ثم دعوتهم اليه وهم يومئذ أربعون رجلا يزيدون رجلا أو ينقصون رجلا فيهم أعمامه أبو طالب وحزرة والعباس وأبو لهب فلما اجتمعوا دعاني بالطعام الذى صنعت فخبث به فلما وضعته تناول صلى الله عليه وسلم جذبة من اللحم فشقها بأسنانه ثم ألقاها فى نواحى الصحفة ثم قال كلوا باسم الله فأكل القوم حتى ما لهم شئ من حاجة وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليا كل شئ ما قدمت لجمعهم ثم قال اسق القوم فحشهم بذلك العس فشرىوا حتى رويوا جميعا وايم الله ان كان الرجل الواحد منهم ليشرب مثله فلما أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكلمهم بادره أبو لهب فقال سحر كم محمد صاحبكم فتنفر القوم ولم يكلمهم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا علي ان هذا الرجل قد سبقنى الى ما سمعت من القول فتنفر القوم قبل أن أكلمهم فأعد لنا الطعام مثل ما صنعت ثم اجمعهم ففعلت ثم جمعهم

ثم دعاني بالطعام فقدّمته ففعل كما فعل بالأمس فاكوا وشربوا ثم تكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا بني عبد المطلب اني قد جئتكم بخير الدنيا والآخرة وقد أمرني الله ان أدعوكم اليه فأبيكم بوازي على أمرى ويكون أخى ووصي وخليفتي فيكم فأججم القوم عنها جميعا فقلت وأنا أحدثهم سنا أنا يا رسول الله أكون وزيرك عليه قال فأخذ برقبتي ثم قال ان هذا أخى ووصي وخليفتي فيكم فامعوا وأطيعوا فقام القوم بضحكهم ويقولون لابي طالب قد أمرنا أن نسمع لعلي ونطيع وعن ابن عباس لما نزل وأندرعشيرتك الاقربين خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فجعل ينادى يا بني فهير يا بني عدى لم يطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل اذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظروا ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن خيلاً بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدق قالوا نعم ما جرت بنا عليك الا الصدق قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد قال أبو لهب تبالك ما جمعنا الا لهدائم قام فنبذت أي خسرت يدا أبي لهب وتب ما أغنى عنه ماله وما كسب وفي رواية تخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى صعد الصفا فهتف يا صباحاه فقالوا من هذا فاجتمعوا اليه فقال أرايتم ان أخبرتكم أن خيلاً تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدق الى آخر ما روي عن أبي هريرة قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم حين أنزل الله هذه الآية فقال يا معشر قريش أوكلمة نخوضها اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا بني عبد مناف لا أغنى عنكم من الله شيئاً يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئاً يا صفيّة عمة رسول الله لا أغنى عنك من الله شيئاً يا فاطمة بنت محمد سلى ما شئت من مالي لا أغنى عنك من الله شيئاً وروى أبو يعلى عن الزبير بن العوام أن قريشاً جاءته فخذروهم وأندروهم فسالوه آيات سليمان في الريح وداد في الجبال وعيسى في احياء الموتى ونحو ذلك وأن يسير الجبال ويفجر الانهار ويجعل الخضر ذهباً فأوحى الله تعالى اليه وهم عنده فلما سرى عنه أخبرهم أن أعطى ما سالوه ولكنه ان أراهم فكفروا وعوجلوا فاختار صلى الله عليه وسلم الصبر عليهم ليدخلهم الله باب الرحمة فلما كانت النذارة انما هي للمشركين أمر بضدها لاضدادهم بقوله تعالى (واخفض جناحك) أي لن غاية اللين وذلك لان الظائر اذا أراد أن يرتفع رفع جناحيه واذا أراد أن ينحط كسرهما وخفضهما فجعل ذلك مثلاً في التواضع ومنه قول بعضهم

وأنت الشهر ينخفض الجناح * فلاتك في رفعه أجدا

ينهاه عن التكبر بعد التواضع (لمن اتبعك من المؤمنين) أي سواء كانوا من الاقربين أم من الابعدين (فان قيل) المتبعون للرسول هم المؤمنون والمؤمنون هم المتبعون للرسول فسماعني قوله تعالى لمن اتبعك من المؤمنين (أجيب) بوجهين أحدهما أن اسميتهم قبل الدخول في الايمان مؤمنين لما رقتهم ذلك الثاني ان يريد بالمؤمنين المصدقين بالسننهم وهم صنفان صنف صدق وتابع رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما جاء به وصنف ما وجد منه الا التصديق فقط اما أن يكونوا منافقين أو فاسقين والفاسق والمنافق لا ينخفض لهما الجناح فن على هذا للتبعيض وان أريد عموم الاتباع فهي للتبيين واختلف في الواو في قوله تعالى (فان عصولاً)

على أوجه أخذها أنها ضمير الكفار أي فان عصاة الكفار في أمر الله لهم بالتوحيد الثاني أنها
 ضمير العشرة وهذا أقرب كما جرى عليه الساف والجلال المحلى الثالث أنها ضمير المؤمنين أي فان
 عصاة المؤمنين في فروع الاسلام وبعض الاحكام بعد تصديقك والايان رسالتك وهذا
 كما قال ابن عادل في غاية البعد (فقل) أي تاركاً لما كنت تعاملهم من الذين (أي يرى) أي
 منفصل غاية الانفصال (عما تعاملون) أي من العصبيات الذي أئذرنه القرآن (وكل)
 أي فوض في عصمتك ونجاتك وجميع أمورك (على العزيز) أي القادر على الدفع عنك والانتقام
 منهم (الرحيم) أي الذي نصر لك عليهم برحمته وقرأ نافع وابن عامر فتوكل بالفاء على الابدال من
 جواب الشرط والباقون بالواو ثم أتبع الامر بالتوكل الوصف المنتضى لجميع أوصاف السكك
 بقوله تعالى (الذي رآك) أي بصرا وعلما (حين تقوم) من نومك الى التجدد وقال مجاهد أي
 رآك أيما كنت وقال أكثر المفسرين كما قاله البغوي حين تقوم الى الصلاة أي من نوم أو
 غيره (و يرى) (تقلبك) في الصلاة قائماً وراكها وساجداً (في الساجدين) قال عكرمة عن ابن
 عباس أي في المصلين وقال مقاتل مع المصلين في الجماعة يقول رآك حين تقوم وحده للصلاة
 ويرآك اذا صليت مع المصلين جماعة وقال مجاهد يرى تقلب بصرك في المصلين فانه كان
 يصبر من خلفه كما يصبر أمامه وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال هل تدرون
 قبلي ههنا فوالله ما يحكي على خشوعكم ولا ركوعكم اني لأراكم من وراء ظهري وقال عطاء
 عن ابن عباس أراد وتقلبك في أصلاب الانبياء من نبي الى نبي حتى أخرجك في هذه الامة وقيل
 ترددك في تصفيع الاحوال المتجددين من أصحابك لتطلع عليهم من حيث لا يشعرون وتستبطن
 سرايرهم وكيف يعبدون الله وكيف يعملون لا خرتهم كما يحكى أنه حين نسخ فرض قيام
 الليل طاف تلك الليلة ببيوت أصحابك لينظر ما يصنعون لحرصه عليهم وعلى ما يوجد منهم من
 فعل الطاعات وتكثير الحسنات فوجدها كبسوت الزنا بئر (انه هو) أي وحده (السميع) أي
 بجميع أقوالكم (العليم) أي بجميع ما تنصرونه وتعلنونه من أعمالكم وشمول العلم يستلزم
 تمام القدرة فصار كأنه قال انه السميع البصير العليم القدير تبييناً للتوكل عليه * ولما بين سبحانه
 وتعالى أن القرآن لا يصح أن يكون مما تنزلات به الشياطين أكد ذلك بأن أن محمد صلى الله
 عليه وسلم لا يصح أن ينزلوا عليه من وجهين ذكرهما بقوله تعالى (هل أنبئكم) أي أخبركم خبراً
 جليلاً نافعاً في الدين عظيم الجدوى في الفرقان بين أولياء الرحمن وأخوان الشيطان (على من
 تنزل) وتتردد (الشياطين) حين تسترق السمع * ولما كان كأنه قيل نعم أشار الى أحد الوجهين
 بقوله تعالى (تنزل) على سبيل التدرج والتردد (على كل أفك) أي كذاب (أنبي) أي فاجر مثل
 مسيلة الكذاب وغيره من الكهنة وأشار الى ثاني الوجهين بقوله تعالى (يلقون السمع) أي
 لا يفتكون بل يلقون السمع الى الشياطين فيلقون وحدهم اليهم أو يلقون السمع من الشياطين
 الى الناس فيضمون اليها على حسب تخيلاتهم أشياء لا يطاق أن كثرتها كما جاء في الحديث
 الكلمة يخطفها الجن فيقرها في أذن وليه فيزيد فيها أكثر من مائة كذبة ولا كذلك محمد صلى

الله عليه وسلم فانه أخبر عن مغيبات كثيرة لا تحصى وقد طابق كلها وبجوز أن يعود الضمير على
 الشياطين ومعنى القائلهم السمع انصاتهم الى الملا الاعلى قبل أن يرجوا فيخطفون منهم بعض
 المغيبات ويوحونه الى أوليائهم أو يلقون الشيء المسموع الى الكهنة (وأكثرهم) أي الفريقين
 (كاذبون) أما الشياطين فانهم يسمعونهم ما لم يسمعوا وأما الآفكون فانهم يفترون على
 الشياطين ما لم يوحوا اليهم (فان قيل) كيف قال وأكثرهم كاذبون بعد ما حكم عليهم أن كل
 واحد منهم أقال (أجيب) بأن الآفكين هم الذين يكفرون بالكذب لانهم الذين لا ينطقون
 الا بالكذب فأراد أن هؤلاء الآفكين قل من يصدق منهم فيما يحكى عن الجنى وأكثرهم مفترون عليه
 * ولما قال الكفار لم لا يجوز أن يقال الشياطين تنزل بالقرآن على محمد كما أنهم ينزلون بالكهانة على
 الكهنة وبالشعر على الشعراء ثم انه تعالى فرق بين محمد وعليه الصلاة والسلام وبين الكهنة
 ذكر ما يدل على الفرق بينه وبين الشعراء بقوله تعالى (والشعراء يتبعهم الغاؤون) أي
 الضالون المائلون عن السنن الاقوم الى كل فساد يجزى الى الهلاك وأتباع محمد صلى الله عليه
 وسلم ليسوا كذلك بل هم الساجدون الباسكون الزاهدون رضى الله تعالى عنهم وقرأناهم
 بسكون التاء الفوقية وفتح الباء الموحدة والباقون بتشديد القوقية وكسر الموحدة * ولما قرر
 حال اتباعهم علم منه أنهم هم أعوى منهم لتسكهم في شهوة الملققة باللسان حتى حسن لهم الزور
 والبهتان دل على ذلك بقوله تعالى (ألَمْ تَرَ) أي تعلم (أنهم) أي الشعراء ومثل حالهم بقوله تعالى
 (في كل واد) من أودية القول من المدح والهجو والتشبيب والزنا والجون وغير ذلك
 (يهمون) أي يسرون سيراهاهم حائرين وعن طريق الحق حائدين كيفما جرتهم القول انجروا
 من القدر في الانساب والتشبيب بالحرم والهجو ومدح من لا يستحق المدح ونحو ذلك ولذلك قال
 تعالى (وانهم يقولون ما لا يفعلون) أي لانهم لا يقصدونه وانما ألبأهم اليه الفنى الذى سلكوه
 فأكثر أقوالهم لاحقائق لها وقيل انهم يدحون الجود والكرم ويحشون عليه ولا يفعلونه
 ويذمون البخل ويصرون عليه ويهمجون الناس بأذى شئ صدروا منهم * (تنبية) قال
 المفسرون أراد شعراء الكفار كانوا يهمجون رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر مقاتل أسماءهم
 فقال منهم عبد الله بن الزبعرى السهمى وهبيرة بن أبى وهب المخزومى وشافع بن عبد مناف وأبو
 عزة عمرو بن عبد الله الجهمى وأمية بن أبى الصلت الثقفى تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن
 نقول كما قال محمد وقالوا الشعراء جتمع اليهم غواة قومهم يسمعون أشعارهم حين هجوا النبي صلى
 الله عليه وسلم وأصحابه يروون عنهم قولهم فذلك قوله تعالى يتبعهم الغاؤون وهم الرواة الذين
 يروون هجاء المسلمين وقال قتادة هم الشياطين ثم انه تعالى لما وصف شعراء الكفار بهذه
 الاوصاف استثنى شعراء المسلمين الذين كانوا يجتنبون شعر الجاهلية ويهمجون الكفار وينافخون
 عن النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه منهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن
 مالك فقال تعالى (الا الذين آمنوا) أي بالله ورسوله (وعملوا) أي تصديقا لايمانهم (الصالحات)
 أي التي شرعها الله تعالى ورسوله (وذكروا الله) مستحضرين ماله من الكمال (كثيرا) أي

لم يشغلهم الشعر عن الذكر وروى أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله قد أنزل في الشعر ما أنزل فقال النبي صلى الله عليه وسلم إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه والذي نفسي بيده لكما تمارونهم به نضع النبل وعن أنس رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل مكة في عمرة القضاء وابن رواحة عشي بين يديه وهو يقول

خلوا باني الكفار عن سيده * اليوم نصر بكم على تنزله
ضربا يزيل الهمام عن مقيله * ويذهب الخليل عن خليله

فقال له عمر بن الخطاب ورواحه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وفي حرم الله تقول شعر ا فقال النبي صلى الله عليه وسلم خل عنه يا عمر فهي أسرع فيهم من نضع النبل وعن البراء أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يوم قريظة لحسان اهج المشركين فإن جبريل معك وعن عائشة رضي الله عنها قالت إن النبي صلى الله عليه وسلم قال اهجو اقربشا فإنه أشد عليهم من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجهم فلم يرض فأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فقال حسان قد أن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسد ثم أدلع لسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك بالحق لا قرئهم بلساني فرى الأديم فقال النبي صلى الله عليه وسلم لا تعجل فإن أبابكر أعلم قرئش بالنساء وإن أتى فيهم نسب ما حتى يخلص لك نسبي فأناه حسان ثم رجع فقال يا رسول الله لقد اخلص لي نسبك والذي بعثك بالحق لا سلكت منهم كما يسلك الشعر من العجيين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن روح القدس لا يزال يؤذيك ما ناخفت عن الله ورسوله قالت وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول هجا هم حسان فشنقني وأشقي قال حسان

هجوتم محمدا فأجبت عنه * وعند الله في ذاك الجزاء
هجوتم محمدا بترأخيفا * رسول الله شيبته الوفاء
فإن أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وفاء
فإن يهجو رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء
وجبريل رسول الله فينا * وروح القدس ليس له كفاء

وورد في مدح الشعر عن أبي بن كعب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن من الشعر حكمة وعن ابن عباس قال جاء أعرابي إلى النبي صلى الله عليه وسلم يوم ما فقال هل معك من شعر أمية ابن أبي الصلت شيء قال نعم قال هيه فأنشده يتناقل هيه حتى أنشده مائة بيت وعن جابر بن سمرة قال جالست رسول الله صلى الله عليه وسلم أكثر من مائة مرة فكان أصحابه يتناشدون الشعر ويتذاكرون شيئا من أمر الجاهلية فرموا تبسم معهم وعن عائشة الشعر كلام فنه حسن ومنه قبيح فخذ الحسن ودع القبيح وعن الشعبي كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة وعن ابن عباس أنه كان ينشد الشعر في المسجد ويستغشده فرؤى أنه دعا عمر بن أبي ربيعة الخزومي واستغشده القصيدة التي أولها

أمن ال نعي أنت غامبكر * غداة غدام رايح فهجرج
فأشدا بن ربيعة القصيدة الى آخرها وهي قرية من سبعين بيتا ثم ان ابن عباس أعاد القصيدة
جميعا وكان حفظها بجزء واحدة ثم بين سبحانه وتعالى ما حل المؤمنين على الشعر وهو ان تصارهم
من المشركين بقوله تعالى (واتصروا) أي يهجموهم الكفار (من بعد ما ظلموا) يهجمو الكفار
لهم لانهم بدؤوا بالهجوم ثم أوعدهم المشركين وغيرهم من الكفار بقوله تعالى (وسيعلم الذين
ظلموا) بالشرك وهجوم رسول الله صلى الله عليه وسلم (أي منقلب) أي مرجع (بنتقربون) أي
يرجعون بعد الموت قال ابن عباس الى جهنم والسعير وفي هذا تهديد شديد لما في سعيهم من
الوعيد البالغ وفي الذين ظلموا من الاطلاق والتعميم وفي أي منقلب ينقلبون من الانهزام
والتهويل وقد تلا أبو بكر لعمر رضى الله عنهما حين عهد اليه هذه الآية اللهم اجعلنا ممن جعل
هذه الآية بين عينيه فلم يغفل عنها وروى الثعلبي في تفسيره عن ابن عباس أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال أعطيت السورة التي تذكر فيها البقرة من الذكر الاول وأعطيت طه
والطواسين من ألواح موسى وأعطيت فواتح القرآن وخواتيم السورة التي تذكر فيها البقرة
من تحت العرش وأعطيت المفصل نافله وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الله
أعطاني السبع مكان التوراة وأعطاني الطواسين مكان الزبور وفضلني بالحواميم والمفصل
ما قرأته في قبلي وما رآه البضاوي تبعا للزخشرى من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من
قرأ سورة الشعراء كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق بنوح وكذب به وهود وشعيب
وصالح وابراهيم وبعد من كذب بعيسى وصدق بمحمد صلى الله عليه وسلم حديث موضوع

﴿سورة النمل مكية﴾

وهي ثلاث وأربع وأخمس وتسعون آية وألف ومائة وتسع وأربعون
كلمة وأربعة آلاف وسبعمائة وتسعة وتسعون حرفا

(بسم الله) أي الذي كل علمه فبهرت حكمته (الرحمن) الذي عظم الهداية بأوضح البيان
(الرحيم) أي الذي من بركات النعيم على من اتبع الصراط المستقيم (طس) قال ابن عباس
هو اسم من أسماء الله عز وجل وقد سبق الكلام في حروف الهجاء عليه وقرأ جزء والكسائي
وشعبة بأمانة الطاء والباقون بالفتح (تلك) أي هذه الآيات العلية المقام البعيدة المرام
البديعة النظام (آيات القرآن) أي الكلام في قرآنيته الجامع للأصول النام للذرع الذي
لا خلل فيه ولا فقه ولا صدع ولا وهم (وكأبمين) أي مظهر الحق من الباطل (فان قيل)
كيف صح أن يشا لاثنيين أحدهما مؤنث والآخر مذكر باسم الإشارة المؤنث ولو قلت
تلك هندد وزيد لم يحجز (أجيب) من ثلاثة أوجه أحدها أن المراد بالكاتب هو الآيات لان
الكاتب عبارة عن الآيات المجموعة فلما كان شيئا واحدا أصبحت الإشارة اليهما بإشارة الواحد
المؤنث الثاني أنه على حذف مضاف أي وآيات كاتب مبين الثالث أنه لما ولى المؤنث ما تنص

قوله فان قيل كيف
صح الخ ظاهر ان
الإشارة الى الآيات
المؤنث المضاف
للقرآن المعطوف
عليه وكاتب فلا يرد
ما قاله اه مصححه

الإشارة به إليه اكتفى به وحسن قولولي المذكور لم يحسن ألا ترى أنك تقول جاتني هند
 وزيد ولو أخرت هند لم يجز تأنيث الفعل وقرأ ابن كثير بالنقل وصلا وابتداء وحزرة في الوقف
 لا غير والباقيون بغير نقل وقوله تعالى (هدي وبشري) يجوز أن يكونا منصوبين على المصدر بفعل
 مقدر من لفظهما أي هدى وبشر بشرى وأن يكونا في موضع الحال من آيات والعامل
 فيهما ما في تلك من معنى الإشارة وأن يكونا خبرا بعد خبر وأن يكونا خبري مبتدأ مفعول
 هو هدى من الضلالة وبشري (للمؤمنين) أي المصدقين به بالجنة كقوله تعالى يبشرهم ربهم
 برحمة منه وفضل ويهديهم إليه صراطا مستقيما ولهذا خص به المؤمنين وقيل المراد بالهدى
 الدلالة وإنما خصه بالمؤمنين لأنه ذكر مع الهدى البشرى والبشرى إنما تكون للمؤمنين أولانهم
 تمسكوا به كقوله تعالى إنما أنت منسدر من يخشاها وألانه يزيد في هداهم كقوله تعالى ويزيد
 الله الذين اهتدوا هدى * ولما كان وصف الايمان خفيا وصفهم بما يصدقهم من الامور الظاهرة
 بقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة) أي بجميع حدودها الظاهرة والباطنة من المواقيت
 والطهارات والشروط والاركان والخشوع والمراقبة والاحسان اصلا لما بينهم وبين الخالق
 (ويؤتون الزكاة) أي احسانا فيما بينهم وبين الخلائق (وهم بالاخرة هم يوقنون) أي يوجدون
 الايقان حق الايجاد بالاستدلال ويجددونه في كل حين بما يوجد منهم من الاقدام على الطاعة
 والابتناء عن المعصية وأعيدهم لمفضل بينه وبين الخير * ولما أفهم التخصيص ان ثم من يكذب
 بها ذكره بقوله تعالى (ان الذين لا يؤمنون) أي لا يوجدون الايمان ولا يجدونه (بالاخرة زيننا)
 أي بعظمتنا التي لا يمكن دفاعها (لهم أعمالهم) أي القبيحة بتركيب الشهوة حتى أعرضوا عن
 الخوف من عاقبتها مع ظهور قباحتها والاسناد اليه حقيقة في عند أهل السنة لأنه الموجد
 الحقيقي وإلى الشيطان مجاز سببي وعند المعتزلة بالعكس قال الزنجشيري في تفسيره ان اسناده
 إلى الشيطان حقيقة واسناده إلى الله عز وجل مجاز (فهم) أي فتسبب عن ذلك أنهم (يعمهمون)
 أي يتحيزون ويترددون في أودية الضلال ويتجادون في ذلك فهم كل لحظة في خطب جديد بعمل
 غير سديد (أو لئن) أي البعداء البغضاء (الذين لهم) أي خاصة (سوء العذاب) أي أشده في الدنيا
 بالخوف والقتل (وهم في الآخرة هم الاخسرون) أي أشد الناس خسارة لانهم خسروا
 ما لا يخسر مثله لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم * ولما وصف تعالى القرآن بما اقتضى بيان
 أهل القور والחסران ذكر حال المنزل عليه وهو النبي صلى الله عليه وسلم مخاطبا به بقوله تعالى
 (وانك) أي وأنت يا أشرف الخلق وأعلمهم وأعظمهم وأحكمهم (لتلقى القرآن) أي لتؤتاه
 وتلقه أي يلقي عليك بشدة (من لدن) أي من عند (حكيم) أي بالغ الحكمة فلا شيء من أفعاله
 الا وهو في غاية الاتقان (عليم) أي عظيم العلم واسعه تامة شاملة والجمع بينهما ما مع أن العلم
 داخل في الحكمة لعموم العلم ودلالة الحكمة على اتقان الفعل والاشعار بأن علوم القرآن
 منها ما هو كالعقائد والشرائع ومنها ما ليس كذلك كالقصص والاخبار عن الغيبات ثم شرع
 في بيان تلك العلوم بقوله تعالى (اذ قال موسى) أي اذ ركضته حين قال (لا اله الا الله) أي زوجته

فتشيع عليه السلام عنده مسيره من مدين الى مصر وهي القصة الاولى من قصص هذه
السورة قال الزمخشري روي أنه لم يكن مع موسى عليه السلام غيرهما أنه وقد كفى الله تعالى
عنها بالاهل فتبع ذلك ورود الخطاب على لفظ الجمع وهو قوله امكنوا وكانا يسيران ليلا وقد اشبه
الطريق عليهما والوقت وقت برد وفي مثل هذا الحال يقوى الناس بمشاهدة نار من بعد لما يرجى
فيها من زوال الحيرة وأمن الطريق ومن الانتفاع بالنار للاصطلاح فلذلك بشرهما فقال (أتى
انست) أى أبصرت ابصارا حصل لى به الانس وأزال عني الوحشة (ناراسا تيكمن منها خبر)
أى عن حال الطريق وكان قد أضلها وعبر بلفظ الجمع كما في قوله امكنوا (فان قيل) كيف جاء
بسين التسويف (أجيب) بأن ذلك عدة لاهله انه يأتيهم به وان أبطأ الايمان أو كانت المسافة
بعيدة (فان قيل) قال هنا سأتيكمن منها خبر وفي السورة الآية لعلى آتاكم منها خبر وهما
كلمتا دفعتين لأن أحدهما ترجح والاخر يتيقن (أجيب) بأن الراجح قد يقول اذا قوى رجاؤه
سأفعل كذا أو سيكون كذا مع تجوز الحقيقة (أو آتاكم يشهاب قبس) أى شعله نار في رأس
قتيله أو عود قال البغوي وليس في الطرف الآخر نار وقال بعضهم الشهاب شئ ذو نور مثل
العمود والعرب تسمى كل شئ أبيض ذى نور شهابا والقبس القطعة من النار وقرأ الكوفيون
بشهاب بالتسوين على أن القبس بدل منه أو وصف له لانه بمعنى المتبوس والباقون باضافة
الشهاب اليه لانه يهككون قبسا وغير قبس فهو من اضافة النوع الى جنسه نحو ثوب خز
اذا الشهاب شعله من النار والقبس قطعة منها يكون في عود أو غيره كما مر (فان قيل) لم جاء بأو
دون الواو (أجيب) بأنه بنى الرجاء على أنه ان لم يظفر بجاحتيه جميعا لم يعدم واحدة منهما اما
هداية الطريق وأما اقتباس النار فبعبادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده وما أدراه
حين قال ذلك انه ظافر على النار بجاحتيه الكليتين جميعا وهما العزان عز الدنيا وعز الآخرة
ثم انه عليه السلام علل آتيانه بذلك افهاما لانها ليله باردة بقوله (علكم تصطلون) أى لتسكنوا
في حال من يرجى أن يستمد في ذلك من البرد والطاء بدل من تاء الافتعال من صلي بالنار بكسر
اللام وفصحها (فلما جاءها) أى تلك التي ظن انها نار (نودي) من قبل الله تعالى (أن بورك) أن
هى المقصرة لأن النداء فيه معنى القول والمعنى قيل له بورك أو المصدرية أى بان بورك وقوله
تعالى (من في النار) أى موسى (ومن حولها) أى الملائكة هونائب الفاعل لبورك والاصل
بارك الله من في النار ومن حولها وهذا التحية من الله عز وجل لموسى بالبركة ومذهب أكثر
المفسرين أن المراد بالنار النور ذكر بلفظ النار لأن موسى حسبه نارا وأمن في النار هم الملائكة
وذلك أن النور الذى رآه موسى عليه السلام كان فيه الملائكة لهم زجل بالتسبيح والتحميد
ومن حولها هو موسى لانه كان بالقرب منها ولم يكن فيها وقال سعيد بن جبير كانت النار بعينها
والنار احدى حجب الله تعالى كما جاء في الحديث يحجاب النار لو كشفها لاحرقت سموات وجهه
الحديث (تنبيه) * بارك يعطى بنفسه وبحرف الجر يقل بارك الله وبارك عليك وبارك عليك
وبارك لك وقال الشاعر

فبوركت مولودا و بوركت ناشتا * و بوركت عند الشيب اذ أنت أشيب
 قال الزمخشري والظاهر أنه عام في كل من في تلك الارض وفي ذلك الراوى وحواليها من أرض
 الشام ولقد جعل الله تعالى أرض الشام الموسومة بالبركات لكثرة ما بهت الانبياء وكفاتهم
 أحياء وأمواتا ودهبط الوحى عليهم وخصوصا تلك البقعة التي كلم الله فيها موسى عليه السلام
 وقوله تعالى (وسبحان الله رب العالمين) من تمام ما نودى به لئلا يتوههم من سماع كلامه تنبيها
 وللعجب من عظمة الله في ذلك الامر فإنه أتانا النداء كما ورد من جميع الجهات فسمعه بجميع
 الحواس أو تعجب من موسى لما دعاه من عظمته ولما تشوقت النفس الى تحقق الامر تصريرا
 قال تعالى تهديا لما أراد سبحانه اظهاره على يد موسى عليه السلام من المعجزات الباهرات
 (يا موسى انه) أى الشأن العظيم الجليل الذى لا يبلغ وصفه وجملة (أنا الله) أى البالغ فى
 العظمة ما تنصرونه الاوهام منسرفة أو المتكلم وأنا خبر والله بيان له ثم وصف تعالى نفسه
 بوصفين يدلان على ما يفعله مع موسى عليه السلام أحدهما (العزيز) أى الذى يصل الى
 سائر ما يريد ولا يردعه عن مراده راد والثانى (الحي) أى الذى يفعل كل ما يفعله بحكمة
 وتدبير (فان قيل) هذا النداء يجوز أن يكون من عند غير الله تعالى فكيف علم موسى أنه من
 الله تعالى (أجيب) بأنه سمع الكلام المترد عن شائبة كلام المخلوقين لأن النداء أنما من جميع
 الجهات وسمعه بجميع الحواس كما ترفع بالضرورة أنه صفة الله سبحانه وتعالى ثم أرى
 الله سبحانه وتعالى موسى عليه السلام آية تدل على قدرته ليعلم علم شهود وهى قوله تعالى
 (وألق عصاك) فألقاها كما تر فصار فى الحال كما أذنت به الفاعلية عظيمة جدا ومع كونها فى
 غاية العظم فى نهاية الخفة والسرعة فى اضطرابها عند محاولتها ما تريد (فلما رآها تهتز) أى
 تضطرب فى تحركها مع كونها فى غاية الكبر (كأنها جان) أى حية صغيرة فى خفتها وصرعتها
 فلا ينافى ذلك كبر جشمتها (ولى) أى موسى عليه السلام ثم ان التولية مشتركة بين معان فلذا
 بين المراد منها بقوله تعالى (مدبرا) أى التفت هاربا منها مسرعا جذا القول تعالى (ولم يعقب) أى
 لم يرجع على عقبه ولم يلتفت الى ما وراءه بعد قوله * (تنبيه) * قال الزمخشري وألقى عصاك
 معطوف على بورك لأن المعنى نودى أن بورك من فى النار وأن ألقى عصاك كلاهما تفسير
 لنودى والمعنى قبل لبورك من فى النار وقيل له ألقى عصاك انتهى وانما احتاج الى تقدير وقيل
 له ألقى لتكون جملة خبرية مناسبة للجملة الخبرية التى عطف عليها لانه يرى فى العطف تناسب
 الجمل المتعاطفة والصحيح كما قاله أبو حيان انه لا يشترط ذلك * ولما تشوقت النفس الى ما قيل له عند
 هذه الحالة أجيب بأنه قيل له (يا موسى) لا تخف أى منها ولا من غيرها ثقة بى ثم علل هذا النهى
 بقوله تعالى مبشرا بالامن والرسالة (انى لا يخاف لى) أى عندى (المرسلون) أى من حمة
 وغيرها لانهم معصومون من الظلم ولا يخاف من الملك العدل الا ظلم وقوله تعالى (الامن ظلم)
 فيه وجهان أحدهما أنه استثناء منقطع لأن المرسلين معصومون من المعاصى وهذا هو الصحيح
 والمعنى لكن من ظلم من سائر الناس فإنه يخاف الامن تاب كما قال تعالى (ثم بدل) أى بنوبته

(حسنا بعدسوه) وهو الظلم الذي كان عمله أي جعل الحسن بدل السوء كالصخرة الذين آمنوا بعد ذلك بموسى عليه السلام (فأني) أرحمه بسبب اني (غفور) أي من شأني أن أمحو الذنوب محو ايزيل جميع آثارها (رحيم) أي أعامله معاملة الراحم البليغ الرحمة والثاني أنه استثناء متصل والمفسرين فيه عبارات قال الحسن أن موسى ظلم بقتل القبطي ثم تاب فقال رب اني ظلمت نفسي فاغفر لي وقال غيره أن ذلك محمول على ما يصدر من الانبياء من ترك الافضل وقال بعض النحويين الالهة تاجع ولا أي لا يخاف لدى المرسلون ولا المذنبون التائبون كقوله تعالى لتلا يكون للناس عليكم حجة الا الذين ظلموا أي ولا الذين ظلموا ثم أراه الله تعالى بعده هذه الآية آية أخرى ذكرها بقوله تعالى (وأدخل يدك في جيبك) أي فتحة ثوبك وهو ما قطع منه لحيطة بعنقك وكان عليه مدرعة صوف لا كملها وقيل الجيب القميص لانه يجاب أي ينقطع (تخرج يضاء) أي يضاء عظيما نيرا جذله شعاع كشعاع الشمس وكانت الآية الاولى مما في يده بقلب جوهرها الى جوهر شيء آخر حيواني وهذه في يده نفسها بقلب عرضها التي كانت عليه الى عرض آخر نوراني ثم نفى عنها أن يكون ذلك بسبب آفة بقوله تعالى (من غرسوه) أي برص ولا غيره من الآفات وقوله تعالى (في تسع آيات) كلام مستأنف وحرف الجزية متعلق بمحذوف والمعنى اذهب في تسع آيات (الى فرعون وقومه) كقول القائل

فقلت الى الطعام فقال منهم * فريق يحسد الانس الطعاما

ويجوز أن يكون بمعنى وألق عصاك وأدخل يدك في تسع آيات وعدا دهن ولقائل أن يقول كانت الآيات احدى عشرة آية ثنتان منها العصا واليد والتسع النلق والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم والطمس والجذب في بواديهم والنقصان في مزارعهم وقيل في معنى من أي من تسع آيات فتكون العصا واليد من التسع ثم هلل ارساله اليهم بالخوارق بقوله تعالى (انهم كانوا قوما فاسقين) أي خارجين عن طاعتنا (فلما جاءتهم آياتنا) أي على يد موسى عليه السلام (مبصرة) أي بيضاء واضحة هادية الى الطريق اذ قوم (قالوا هذا سحر) أي خيال لا حقيقة له (مبين) أي واضح في أنه خيال (وبجدوا بها) أي أنكروا كونها آيات موجبات لصدقه مع علمهم باطلها لهم لأن الجحود الانكار مع العلم واستيقنتها أنفسهم أي علموا أنهم من عند الله تعالى وتحلل علمها صميم قلوبهم فكانت أسنتهم محالفة لما في قلوبهم ولذلك أسند الاستدلال الى النفس ثم علل جحدهم ووصفهم لها بخلاف وصفها بقوله تعالى (ظلموا علوا) أي شركا وتكبرا عن أن يؤمنوا بما جاء به موسى (فانظروا) يا أشرف الخلق (كيف كان عاقبة المنسدين) وهو الاغراق في الدنيا بأيسر سعي وأيسر أمر فلم يبق منهم عين تطرف ولم يرجع منهم من يخبر على كثرتهم وعظمتهم وقوتهم والاحراق في الآخرة بالنار الموقدة * القصص الثانية قصة داود وسليمان عليهم السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد آتينا) أي بعالمنا من العظمة (داود وسليمان) ابنه وهما من أتباع موسى عليهم السلام وبعده بآزمان متطاولة (علما) أي جزأ من العلم عظيم من منطق الطير والدواب وتسيج الجبال وغبر ذلك لم نؤنه لا حدم من قبلها * ولما كان التقدير

فعملاً بمقتضاه عطف عليه قوله (وقال) ~~شكراً~~ عليه ودلالة على شرف العلم وتبنيها لاهله على
التواضع (الحمد) أى الاحاطة بجميع أوصاف الكمال (لله) أى الذى لا كف له (الذى فضلنا)
أى بما آتانا من النبوة والكتاب وتسخير الشياطين والجن والانس وغير ذلك (على كثير من
عباده المؤمنين) أى عن لم يوث علماً ومثل علمهما وفى ذلك تحريض للعالم أن يحمد الله تعالى
على ما آتاه من فضله ويعتقد أنه وان فضل على كثير فقد فضل عليه كثير فلا يتكبر ولا يتفخر
ويشكر الله تعالى وينفع به المسلمين كما نفعه الله تعالى به ثم انه تعالى أشار الى فضل سليمان بأنه
جمع الى ما آتاه ما كان منحه به أباه بقوله تعالى (وورث سليمان داود) أباه عليهم ما السلام دون سائر
أولاده وكان لداود تسعة عشر ابناً فأعطى سليمان ما أعطى داود من الملك وزيدته تسخيراً راجح
وتسخيراً للشياطين قال مقاتل كان سليمان أعظم ملكاً من داود وأقضى منه وكان داود أشد
تعباً من سليمان وكان سليمان شاكر النعم الله تعالى عليه (وقال) بحمد ثابته ربه ومنه على
ما شرّقه الله تعالى به ليكون أجدر في قبول الناس ما يدعوهم اليه من الخير (يا أيها الناس
علمنا) أى أنا وأبى بأيسر أمر وأسهل (منطق الطير) أى فهم ما يريد كل طائر اذا صوت فسمى
صوت الطير منطقاً الحصول الفهم منه كما يفهم من كلام الناس روى عن كعب الاحبار أنه قال
صاح ورشان عند سليمان عليه السلام فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال انه يقول لداود الموت
وابنوا الخراب وصاحت فاخته فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال فانها تقول لبت ذا الخلق
لم يخلقوا وصاح طاوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كما تدب نذان وصاح
هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول من لا يرحم لا يرحم وصاح صرد فقال
أتدرون ما يقول قالوا لا قال فانه يقول استغفروا الله يا مذنبين وصاح طيطوى فقال أتدرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول كل حى ميت وكل جديد بال وصاح خفاف فقال أتدرون
ما يقول قالوا لا قال فانه يقول قدموا خيراً تجدوه وهدرت حمامة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا
قال فانها تقول سبحان ربي الاعلى مله سمائه وأرضه وصاح قرى فقال أتدرون ما تقول قالوا
لا قال فانه يقول سبحان ربي الاعلى قال والغراب يدعو على العشار والحدأة تقول كل شئ
هالك الا الله والقطاة تقول من سكت سلم والبغاة تقول ويل لمن الدنيا همه والصفدع يقول
سبحان ربي القدوس ويقول أيضاً سبحان ربي المذكور بكل لسان والبازي يقول سبحان ربي
وبجمده وعن مكحول قال صاح دواج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول هذا قالوا لا قال
فانه يقول الرحمن على العرش استوى وروى عن فرقد السنجي قال مر سليمان على بلبل فوق
شجرة يجتر لأرأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا الله ونبه أعلم
قال يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا العفاء وهو بالغنخ والمذ التراب وقال أبو عبيدة هو
الدروس وفى حديث صفوان اذا دخلت بيتي فأكلت رغيفاً وشربت عليه فعلى الدنيا العفاء
وروى أن جماعة من اليهود قالوا لابن عباس اناسا ثلوع عن سبعة أشياء فلن أخبرتنا أمنا وصدقنا
قال أسألوها فتبها ولا تسألوا تعنيا قالوا أخبرنا ما يقول القنبر فى صفيوه والديك فى صعيقه

والضفدع في نعيته والجمار في نهيته والفرس في صهيله وما يقول الزرور والدراج قال نعم أما
القنبر فيقول اللهم العن مبعضي محمد وآل محمد وأما الديك فيقول اذكر والله يا غافلين وأما
الضفدع فيقول سبحان المعبود فيلج البحار وأما الجمار فيقول اللهم العن العنار وأما الفرس
فيقول إذا التقى الصفان سبوح قدوس رب الملائكة والروح وأما الزرور فيقول اللهم اني
أسألك قوت يرم يوم يارزاق وأما الدراج فيقول الرحمن على العرش استوى قال فأسلم اليهود
وحسن اسلامهم وروى عن جعفر بن محمد الصادق عن أبيه عن جده عن الحسين بن علي
قال اذا صاح النسر قال ابن آدم عشم ما شئت آخره الموت واذا صاح العقاب قال في البعد من
الناس انس واذا صاح القنبر قال الهي العن مبعضي آل محمد واذا صاح الخطاف قرأ الحمد لله
رب العالمين ويمد ولا الضالين كما يمد القارئ وقول سليمان عليه السلام (وأوتينا من كل شيء)
أي قوتناه الانبياء والملوك قال ابن عباس من أمر الدنيا والآخرة وقال مقاتل يعني النبوة
والملك وتسخير الجن والانس والرياح (ان هذا) أي الذي أوتينا (لهو الفضل المبين) أي
البين في نفسه لكل من ينظره الموضع لعل قد رصاحبه روى أن سليمان أعطى ملك مشارق
الأرض ومغاربها فلما أربعين سنة وستة أشهر جميع أهل الدنيا من الجن والانس
والدواب والطيور والسباع وأعطى مع ذلك منطق الطير وفي زمانه صنعت الصنائع العجيبة
فقوله ان هذا هو الفضل المبين تقرير لقوله الحمد لله الذي فضلنا والمقصود منه الشكر
والحمد كما قال صلى الله عليه وسلم أناس سيد ولد آدم ولا فخر (فان قيل) كيف قال علمنا وأوتينا
وهو كلام المتكبر (أجيب) بوجهين الأول أنه يريد نفسه وأباه كما مر الثاني أن هذه النون
يقال لها نون الواحد المطاع وكان ملكا مطاعا ولما كان هذا مجزأ خبر أتبعه ما يصدق به قوله
تعالى (وحشر) أي جمع جمعا حقا بهر وسطوة وكرامه بأيسر أمر (سليمان جنوده) ثم بين
ذلك بقوله تعالى (من الجن) وبدأ بهم لعسر جمعهم ثم ثنى بقوله تعالى (والانس) لشرفهم ثم
اتبع من يعقل بما لا يعقل بقوله (والطير) فقدم القسم الأول لشرفه وذلك كان في مسير له
في بعض الغزوات (فهم) أي فتسبب عن مسيره بذلك انهم (يوزعون) أي ينفون بحبس
أقلامهم على آخرهم بأدنى أمر وأسألهم ليتلاحقوا فيكون ذلك أجدر بالهبة وأعون على النصرة
وأقرب الى السلامة قال قتادة كان على كل صنف من جنوده وزعة ترد أقلامها على آخرها ثلاثا
يتقدموا في المسير قال والوازع الحابس وهو النقيب وقال مقاتل يوزعون أي يساقون وقال
السدي يوقفون وقيل يجمعون وأصل الوزع الكف والمنع قال محمد بن كعب القرظي كان
معسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ خمسة وعشرون للانس وخمسة وعشرون للجن وخمسة
وعشرون للوحش وخمسة وعشرون للطير وقيل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسها
في فرسخ وكان يوضع كرسيه وسطه فيقعد وحوله سمانه ألف كرسى من ذهب وفضة فتقعد الانبياء
على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة والناس حولهم والجن والشياطين حول الناس
والوحش حولهم وتظلمهم الطير بأجنحتها حتى لا تقع عليه الشمس وكان له ألف بيت من قوارير

على الخشب فيها الثمناة منكوحة يعني حرّة وسبعمائنة سريّة فأمر الريح العاصف فترفعه ثم
يامر الرخاء فتسير به مسيرة شهر وأوحى اليه وهو يسير بين السماء والارض اني قد زدت في
في ملكك أن لا يتكلم أحد من الخلائق بشئ الا جاء به الريح فأخبرتك به فيحكى أنه مر بجراث
فقال لقد أوتى آل داود ملكا عظيما فألقته الريح في أذنه فنزل ومشى الى الحرث وقال اني
مشيت اليك ثلاثا تخفى ما لا تشدر عليه ثم قال لتسيحة واحدة يقبلها الله تعالى خير مما أوتى آل
داود واستقر سائرهم معه (حتى اذا أنوا) أي أشرفوا (على وادي النمل) روى عن كعب
الاحبار انه قال كان سليمان اذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه وقد اتخذ مطابخ ومخارز فيها
تناثر الحديد وقدور عظام تسع كل قدر عشرة من الايل يطبخ الطباخون ويخبز الخبازون
واتخذ ميادين للدواب فجري بين يديه وهو بين السماء والارض والريح تهوى بهم فصار
من اصطخريه الذين قرع مدينة النبي صلى الله عليه وسلم فقال سليمان هذه دار هجرة تبي
يخرج في آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ولما وصل الى مكة رأى حول البيت
أصناما تعبد من دون الله فلما جاوز سليمان البيت بكى البيت فأوحى الله تعالى الى البيت ما ييكلك
فقال يا رب أبكاني ان هذا نبي من أنبيائك وقوم من أوليائك مر وأعلى فلم يهبطوا ولم يصلوا
عندي والاصنام تعبد حولي من دونك فأوحى الله تعالى اليه لا تسك فاني سوف أملؤك وجوها
سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبعث منك نبي آخر الزمان أحب أنبيائي الى واجعل فيك
عمارا من خلقي يعبدونني وأقرض علي عبادي فريضة يرفعون اليك زقيف النسور الى وكرها
ويحنون اليك حنين الناقة الى ولدها وحنين الحمامة الى بيضها وأطهر لك من الاوثان وعبدة
الشياطين ثم مر سليمان حتى مر وادي السدير من الطائف فأتى على وادي النمل هكذا قال كعب
انه واد بالطائف قال الباقي وهو الذي قيل اليه الذئب فانه معروف عندهم الى الآن بهذا
الاسم وقال قتادة ومقاتل هو واد بالشأم وجرى عليه البيضاء وقيل واد كانت تسكنه الجن
وأولئك النمل مرأبهم وقال نوف الحميري كان نمل ذلك الوادي مثل الذباب وقيل كان
كالضفادى وقال البغوي والمشهور أنه النمل الصغير (فائدة) وقف الكسافي على وادي بالياء
والباقون بغير ياء (فان قيل) لم عدى أتوا بعلي (أجيب) بأنه يتوجه على معنيين أحدهما
ان اتيانهم كان من فوق فأتى بحرف الاستعلاء والثاني أن يراقطع الوادي وبلغ آخره
من قولهم أتى على الشئ اذا أنهده وبلغ آخره كأنهم أرادوا أن ينزلوا عند مقطع الوادي
لانهم ما دامت الريح تحملهم في الهوى لا يخاف حطهم بهم ولما كانوا في أمر مهول منظره
وقربوا من ذلك الوادي (فالت غلة) قال الشعبي كانت تلك النملة ذات جناحين وقيل
كانت غلة عرجاء فنادت (يا أيها النمل ادخلوا) أي قبل وصول ما أرى من الجيوش
(مساكنكم) ثم عالت أمرها فقالت (لا يحط منكم) أي يكسر نكم ويهشمكم أي لا تبرزوا
فيحطمكم فهو نهى لهم عن البروز في صورة نهيه وهو أبلغ من التصريح بنهيهم لأن من نهى
أميرا عن شئ كان لغیره أشد تنهيا (سليمان وجنوده) أي لانهم لكثرتهم اذا صاروا في هذا

الوادي استعلوا عليه فضيقوه فلم يدعوا فيه موضع شبر خاليا (وهـم) أي سليمان وجنود
 (لا يشعرون) أي يحيطهم لكم لاشتغالهم عما هم فيه من أحوال السير وقولها هذا
 يدل على علمها بأنهم لو شعروا بهم ما ذوههم لأنهم أتباعي قوم رجاء وانما خاطبتهم خطاب
 من يعقل لأنهم لما جعلت قائله والنمل مقولا له كما يكون في أولى العقل أجرت خطابهم والنمل اسم
 جنس معروف واحده غلـة ويقال غلـة وغل بضم النون وسكون الميم وغلـة وغلـل بضمهما وعن
 قتادة انه دخل الكوفة فالتف عليه الناس فقال سلوني عما شئتم وكان أبو حنيفة رحمه الله
 تعالى حاضرا وهو غلام حديث فقال سلوه عن غلـة سليمان أكانت ذكرا أم أنثى فسالوه فأخـم
 فقال أبو حنيفة كانت أنثى فقيل له من أين عرفت فقال من كتاب الله وهو قوله قالت غلـة ولو
 كانت ذكر القـال قال غلـة قال الزحـمري وذلك أن الغلـة مثل الحـامة والشاة في وقوعها على
 الذكر والأنثى فيميز بينهما بالعلامة نحو قولهم حمامة ذكر وحمامة أنثى وهو وهى انتهى ورد
 هذا أبو حيان فقال ولحاق التاء في قالت لا يدل على أن الغلـة مؤنثة بل يصح أن يقال في الذكر
 قالت غلـة لأن النمل وإن كان بالتاء هو مما لا يتميز فيه المذكر من المؤنث وما كان كذلك كالجمامة
 والقملة مما يسهل في الجمع وبين واحده تاء التأنيث من الحيوان فإنا نخبر عنه اخبار المؤنث ولا
 يدل كونه يخبر عنه اخبار المؤنث على كونه ذكرا وأنثى لأن التاء دخلت فيه للفرق لا للدلالة
 على التأنيث له الحقيقي بل الدالة على الواحد من هذا الجنس قال وكان قتادة نصيرا بالعربية وكونه
 أخـم يدل على معرفته باللسان اذا علم أن الغلـة يخبر عنها اخبار المؤنث وإن كانت تطلق على الانثى
 والمذكر لا يتميز فيه أحدهما ولحاق العلامة لا يدل فلا يعلم التأنيث والذكور الا بوسم من
 الله اه وقال الطيبي العجب من أبي حنيفة ان ثبت ذلك عنه لأن الغلـة كالجمامة والشاة تقع
 على الذكر والأنثى وأطال الكلام في ذلك (فان قيل) كيف يصور الحطيم من سليمان وجنوده
 وكانت الريح تحمل سليمان وجنوده على بساط بين السماء والارض (أجيب) بأن من
 جنوده ركبانا ومنهم مشاة على الارض تطوى لهم أو أن ذلك كان قبل تسخير الريح لسليمان
 ويروى أن سليمان لما بلغ وادى النمل حبس جنده حتى دخل النمل بيوتهم فقد روى انه سمع
 كلامهم من ثلاثة أميال وقيل كان اسمها طاخية (فائدة) قال أهل المعاني في كلام هذه الغلـة
 أنواع من البلاغة نادت ونهبت وسمت وأمرت ونصت وحذرت وخصت وسمت وأشارت
 وأعذرت ووجهه نادت بانهت هامت النمل أمرت ادخلوا نصت مساكنكم حذرت لا يحطمنكم
 خصت سليمان عمت وجنوده أشارت وهم أعذرت لا يشعرون * ولما كان هذا أمر امهمما
 لمافيه من جزالة الالفاظ وجمالة المعاني تسبب عنه قوله (فتبسم ضاحكا من قولها) أي
 لما أوتيته من الفصاحة والبيان وسرورا بما وصفته به من العدل في أنه وجنوده لا يؤذى أحدا
 وهم يعلمون وبما تاه الله من جمعه كلام الغلـة واحاطته بعنايه * (تنبيه) * ضاحكا حال مؤكدة
 لأنهم مضمومة من تبسم وقيل هي حال مقدرة فإن التبسم ابتداء الضحك وقيل التبسم قد يكون
 للغضب ومنه تبسم تبسم الغضب ان ضاحكا ميمناه قال غنـرة

لما رأني قد قصدت أريدته * أبدي نواجذه لغير تبسم

وقال الزجاج أكثر ضحك الانبياء التبسم وقوله ضاحكاً أي متبسماً وعن عائشة رضي الله عنها قالت ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم مستجباً عاقط ضاحكاً حتى أرى منه لهواته انما كان يتبسم وعن عبد الله بن الحرث بن جبير قال ما رأيت أحداً أكثر تبساً من رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل كان أوله التبسم وآخره الضحك ثم حمد الله تعالى على هذه النعمة وسأل ربه توفيق شكره لما تذكر ماؤلاًه ربه سبحانه وتعالى بحسن تربيته من فهم كلامها الى ما أنعم عليه من غير ذلك (وقال رب) أي أيها المحسن الى (أورعني) أي ألهمني (أن أشكر نعمتك) وقيل معناه لغة اجعلني أزعم شكر نعمتك أي أكفه وأمنه حتى لا يفلت مني فلا زال شاكرًا وأزعم بفتح الزاي أصله أزعم فحذفت واوه كافي أدع * ولما أفهم ذلك تعلق النعمة به حقيقة بقوله (التي أنعمت عليّ) وأفهم قوله (وعلى والدي) أن أمه كانت أيضاً تعرف منطق الطير وانما أدرج ذكر والديه لأن النعمة على الوالدين خصوصاً النعمة الراجعة الى الدين فانه اذا كان تقياً نفعهما بدعائه وشفاعته ودعاء المؤمنين لهما كلما دعوا له وقالوا رضي الله عنك وعن والديك * (تنبه) * الشكر لغة فعل نبي عن تعظيم المنعم من حيث انه منعم على الشاكر وغيره سواء كان ذكراً باللسان أم اعتقاداً أو محبة بالحنان أم عملاً وخدمة بالاركان كما قال القائل

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

وعرفا صرف العبد جميع ما أنعم الله تعالى به عليه من السمع وغيره الى ما خلق لاجله وهذا المن حقيقته العناية الربانية نسأل الله الكريم الفتح أن يحفظنا ومن يلوذ بنا بعنايته روى عن داود عليه السلام أنه قال يارب كيف أشكرك والشكر نعمة أخرى منك أحتاج عليها الى شكر آخر فأوحى الله تعالى اليه يا داود اذا علمت أن ما بك من نعمة فني فقد شكرتني والشكر ثلاثة أشياء الاول معرفة النعمة بمعنى احضارها في الخاطر بحيث يتميز عندك أنها نعمة فرب جاهل بحسن اليه وتنعم عليه وهو لا يدري فلا جرم أنه لا يصح منه الشكر الثاني قبول النعمة بقلبيها من المنعم باظهار القبول والفاقة فان ذلك شاهد بقبولها حقيقة الثالث الثناء بها بأن نصف المنعم بالجوهر والكرم ونحوه بما يدل على حسن تلقيك لها واعترافك بنزول مقامك في الرتبة عن مقامه فان البعد العليا خير من البعد السفلى * ولما علم من كلامه أن الشاكر هو المستغرق في الثناء على المنعم بما يجب عليه من العمل بحسب ما يقدر عليه وكان ذلك العمل مما يجوز أن يكون زين لذلك العبد كونه حسناً وهو ليس كذلك قال عليه السلام مشير الى هذا المعنى (وإن أعمل صالحاً) أي في نفس الامر وقبده بقوله (ترضاه) لأن العمل الصالح قد لا يرضاه المنعم لنقص في العامل كما قيل

اذا كان الهب قليل خط * فاحسناته الاذنوب

وقوله (وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين) يدل على أن دخول الجنة برحمته وفضله

لا باسحقاق العبد والمعنى أدخلني في جملتهم وأثبت اسمي في أسمائهم واحشرنى في زميرهم قال
 ابن عباس يريد مع ابراهيم واسحق ويعقوب ومن بعدهم من النبيين (فان قيل) درجات
 الانبياء أفضل من درجات الصالحين والاولياء فما السبب في أن الانبياء يطلبون جعلهم من
 الصالحين وقد تبنى يوسف عليه السلام بقوله فاطر السموات والارض أنت ولي في الدنيا
 والآخرة توفني مسلماً وألحقني بالصالحين وقال ابراهيم هب لي حكماً وألحقني بالصالحين
 (أجيب) بأن الصالح الكامل هو الذي لا يعصى الله تعالى ولا يفعل معصية ولا يهمل بمعصية
 وهذه درجة عالية ثم ان سليمان عليه السلام لما وصل الى المنزل الذي قصده تفقد أحوال
 جنوده كما تنقصه العناية بأمور الملك (وتفقد الطير) أي طلبها وبحث عنها والتفقد طلب
 ما فقد ومعنى الآية طلب ما فقد من الطير (فقال مالى لأرى الهدد) أي أهو حاضر
 (أم كان من الغائبين) أم منقطعة كأنه لم يره ظناً أنه حاضر ولم يره لساتر أو غيره فقال مالى
 لا أراه ثم احتاط فلاح له أنه غائب فأضرب عن ذلك وأخذ يقول أهو غائب كأنه يسأل عن
 صحة ما لاح له وهو دليل على أنه تفقد جماعة من الجنود وتحقق غيبتهم وشك في غيبتهم وكان سبب
 غيبة الهدد على ما ذكره العلماء أن سليمان لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج
 الى أرض الحرم فجهز للمسير واستعجب من الجن والانس والشياطين والطيور والوحوش
 ما بلغ عسكره مائة فرسخ فحملتهم الريح فلما وافي الحرم أقام به ما شاء الله أن يقيم وكان يخبر في كل
 يوم مدة مقامه بمكة خمسة آلاف مائة وخمسة آلاف بقرة وعشرين ألف شاة وقال لمن حضر من
 أشرف قومه ان هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا يعطى النصر على جميع
 ما أبواه وتبلغ هيئته مسيرة شهر القريب والبعيد عنده في الحق سواء لا تأخذه في الله لومة لائم
 قالوا فبأي دين يدين يا نبي الله قال يدين الحنيفية فطوبى لمن أدركه وآمن به قالوا اكفينا وبين
 خروجنا يا نبي الله قال مقدراً أنك عام فليبلغ الشاهد منكم الغائب فانه سيد الانبياء وخاتم الرسل
 فأقام بمكة حتى قضى نسكه ثم خرج منها صابحاً وساوخو الذين فوافي صنعاء وقت الزوال وذلك
 مسيرة شهر فرأى أرضاً حسنة تزهر وخضراء فأحب النزول ليصلى ويتعدى فلما نزل قال الهدد
 ان سليمان قد اشتغل بالنزول فأرتفع نحو السماء فأنظر الى طول الدنيا وعرضها فنظر عينا وشمالاً
 فرأى بسمتاً بالبتيس فقال الى الخضره فوقع فيه فاذا هو بهدده فهدب عليه وكان امه هدهد
 سليمان يعنفور واسم هدهد الين عنقرى فقال عنقرى هدهد الين ليعنفور سليمان من أين أقبلت
 والى أين تريد قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود فقال ومن سليمان قال ملك
 الانس والجن والشياطين والطيور والوحوش والرياح فن أين أنت قال أنا من هذه البلاد قال
 ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وان لصاحبكم ملكاً عظيماً ولكن ليس ملك بلقيس دونه
 فانها ملكت الين كله وتحت يدها اثنا عشر ألف قائد تحت يد كل قائد مائة ألف مقاتل فهل
 أنت منطلق معي حتى تنظر الى ملكها قال أخاف أن يفقدني سليمان في وقت الصلاة اذا احتاج
 الى الماء قال الهدد اليماني ان صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر الى

بليقيس وملجها وغاب الى وقت العصر وكان نزول سليمان على غير ما قال ابن عباس وكان
 الهدد دليل سليمان على الماء وكان يعرف الماء ويرى الماء تحت الارض كما يرى في الزجاجة
 ويعرف بعده وقر به فينظر الارض ثم تجي الشياطين فيسلخونها كما يسلخ الاهداب ويستخرجون
 الماء قال سعيد بن جبير لما ذكر ابن عباس هذا قال له نافع بن الازرق انظر ما نقول ان العصى
 منابض الفخ ويختص عليه التراب فيجبي الهدد ولا يصير الفخ حتى يشع في عنقه فقال له
 ابن عباس ويحك ان القدر اذا جاء حال بين البصر وفي رواية اذا نزل انتضاء والقدر ذهب
 اللب وعي البصر قال القائل

هي المقادير فدعني والقدر * ان كنت أخطأت فإخطأ القدر
 اذا أراد الله أمرا بامرئ * وكان ذا عقل وسمع وبصر
 يعبر الجاهل فيعمى قلبه * وسمعته وعقله ثم البصر
 حتى اذا أنشد نفسه حكمه * رذ عليه عقله ليعتبر
 لا تقل لما جرى كيف جرى * صكل شيء بقضاء وقدر

فلما دخل على سليمان وقت الصلاة سأل الانس والجن والشياطين عن الماء فلم يعلوه فتفتقد
 الهدد فلم يجد فدعا عريف الطير وهو النسر فسأله عنه فقال اصلح الله الملك ما أدري أين
 هو وما أرسلته مكانا فغضب سليمان عند ذلك وقال (لأعذبه) أي بسبب غيبته فيما لم آذن
 فيه (عذابا شديدا) أي مع بقاء وجهه ردعا لامثاله (أو لأذبحه) أي بقطع حلقومه أي
 تأديب الغيرة (أو ليأتيني بسلطان مبین) أي بحجة واضحة واختلاف في تعذيبه الذي أوعد به
 على أقوال قال البغوي أظهرها ان عذابه أن يتفريشه وذنبه وبليقيته في الشمس معطلا
 لا يتنعم من النمل والذباب ولا من هوام الارض انتهى وقيل تعذيبه أن يؤذيه بما لا يحتمله
 ليعتبر به أبناء جنسه وقيل كان عذاب سليمان للطير أن يتفريشه ويشمسه وقيل أن يطلى
 بالقطران ويشمس وقيل أن يلقى للئيل تأكله وقيل ابداعه القفص وقيل التقرب بيمينه وبين الله
 وقيل لالزمه صحبة الاضداد قال الزنجشيري وعن بعضهم أضيق السجون معاشرة الاضداد
 وقيل لالزمه خدمة أفرانه ثم دعا العقاب سيد الطير فقال له على بالهدد الساعة فرفع
 العقاب نفسه دون السماء حتى الترقى بالهواء فنظر الدنيا كالقصة بين يدي أحدكم فالتفت يمينا
 وشمالا فاذا بالهدد مشلما من نحو اليمن فانتفض العقاب فحوى برده فلما رأى الهدد ذلك
 علم أن العقاب يقصده بسوء فناشده فقال بحق الله الذي قوالك وأقدرك على الامار حتى
 ولم تتعرض لي بسوء فولى عنه العقاب وقال له ويلك شككتك أمك انني الله قد حلف أن بعذك
 أو ليدججحك قال فاستأني قال بلي قال أو ليأتيني بسلطان مبین ثم طار متوجهاً نحو سليمان فلما
 انتهى الى العسكر تلقاه النسر والطير فقالوا له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد تدوعدتني الله
 وأخبروه بما قال فقال الهدد وما استغنى بي الله عليه السلام قالوا بلي قال أو ليأتيني بسلطان
 مبین قال فنجون اذا ثم طار العقاب والهدد حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال

العقاب قد أتيتك به يا بني الله (فكث) أي الهدهد وقوله تعالى (غير بعيد) صفة
للمصدر أي مكثا غير بعيد فلما قرب الهدد منه رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه بجرحهما على
الأرض فوضع سليمان فلما دنا منه أخذ برأسه فذمه إليه وقال له أن كنت لأعذبك عذابا
شديدا فقال له الهدد يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله تعالى فلما سمع سليمان ذلك ارتعد
وعفاه عنه ثم ساله فقال ما الذي أبطأك عني (فقال أحط) أي علما (بما لم يحط به) أي
أنت مع اتساع علمك وامتداد ملكك ألهم الله الهدد فكافع سليمان به هذا الكلام على
ما أوتي من فضل النبوة والحكمة والعلوم الجملة والاحاطة بالمعلومات الكثيرة ابتلاء له في علمه
وتنبها له على أن في أدنى خلقه وأضعفه من أحاط علما بما لم يحط به لتحقاقر إليه نفسه ويتصاغر
إليه علمه ويكون لطفا في ترك الاعتباب الذي هو قنسة العلماء والاحاطة بالشئ علما أن يعلم
من جميع جهاته لا يخفى منه معلوم قالوا وفيه دليل على بطلان قول الرافضة أن الامام
لا يخفى عليه شئ ولا يكون في زمانه أحد أعلم منه وقيل الضمير في مكث لسليمان وقيل غير بعيد
صفة للزمان أي زمانا غير بعيد وقرأ عاصم بفتح الكاف والباقون بضمها وهم الغنغان إلا
أن الفتح أشهر (وجئت) أي الآن (من سبانيا) أي خب عظيم (يقين) أي محقق وقرأ
أبو عمرو واليزي سبأ بفتح الهمزة من غير تنوين جعلوا اسم القبيلة أو البقعة فنعاهم من الصرف
للعلية والتأنيث والباقون بالجر والتنوين جعلوه اسم للحي أو المكان قال البغوي وجاء في
الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل عن سما فقال رجلا كان له عشرة من البنين ينام
منهم ستة وتشاءم أربعة فقال سليمان وما ذلك قال (اني وجدت امرأة تملككم) وهي
بلقيس بنت شراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيما الشأن قد وُلد له أربعة
ملكاه وآخرهم وكان يملك أرض اليمن كلها وكان يقول للملوك اطراف ايس أحد منكم
كفو إلى وأني أن بتزوج منهم فزوجوه بأمرأة من الجن يقال لها ربحانة بنت السكن فولدت
بلقيس ولم يكن له ولد غيرها قال البغوي وجاء في الحديث أن أحد أبوي بلقيس كان جنيا فلما
مات أبو بلقيس طمعت في الملك فطلبت من قومها أن يبايعوها فأطاعها قوم وعصاها آخرون
وملكوا عليهم رجلا وافتروا فرقتين كل فرقة استولت على طرف من أرض اليمن ثم إن الرجل
الذي ملكوه أساء السرف في أهل مملكته حتى كان يمتد يده إلى حرم رعيته ويفجر بهن فأراد قومه
خلعه فلم يقدر وأعلمه فلما رأت بلقيس ذلك أدركتها الغيرة فأرسلت إليه تعرض نفسها عليه
فأجابها وقال ما منعتي إن أبدتك بالخطبة إلا أياي منك فقالت لا أرفع عنك أنت كنو كريم
فاجع ورجل قومي وخطبني منهم فجمعهم وخطبهم إليهم فقالوا لا نراها نفعل ذلك فقال لهم
انهم أقدم دأني وأنا أحب أن تسمعوا قولها فخاؤها فذكر والها قالت نعم أحببت الولد
فزوجوها منه فلما زفت إليه خرجت في ناس كثير من حشمها فلما جاءته أسقته النحر حتى سكر
ثم جرت رأسه وانصرفت من الليل إلى منزلها فلما أصبح الناس رأوا الملك قتيلا ورأسه منصوب
على باب دارها فعلموا أن تلك المناكحة كانت حيلة مكر وخديعة منها فاجتمعوا إليهم وقالوا أنت

بهذا الملك أحق من غيرك فلا تكروها وعن الحسن عن أبي بكره قال لما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم أن أهل فارس قد ملكوا عليهم - م امرأة قال إن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة وقوله (وأوتيت) يجوز أن يكون معطوفاً على تملكهم وجاز عطف الماشئ على المضارع لأن المضارع بمعنى أي ملكتهم ويجوز أن يكون في محل نصب على الحال من مرفوع تملكهم وقدمها مضمرة عند من يرى ذلك وقوله (من كل شيء) عام مخصوص بالعقل لأنهم لم تؤت مأونة سليمان فالمراد من كل شيء يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (ولها عرش) أي سرير (عظيم) أي ضخم لم أجد لاحد مثله طوله ثمانون ذراعاً وعرضه أربعون ذراعاً وارتفاعه ثلاثون ذراعاً مضروب من الذهب والفضة مكل بالدر والياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرّد وقوائمه من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر والزمرّد عليه سبعة أبواب على كل باب بيت مغلق (فان قيل) كيف استعظم الهدى عرشها مع ما كان يرى من ملك سليمان وأيضاً كيف سوى بين عرش بلقيس وعرش الرحمن في الوصف بالعظم (أجيب) عن الأول بأنه يجوز أن يستصغر حالها إلى حال سليمان واستعظم لها ذلك العرش ويجوز أن لا يكون لسليمان مثله وإن عظمت ملكته في كل شيء كما يكون لبعض أمراء الأطراف شيء يكون في العظم يبلغ مما لغيره من أبناء جنسه من الملوك ووصف عرش الرحمن بالعظم تعظيم له بالنسبة إلى سائر ما خلق من السموات والأرض (فان قيل) كيف خفي على سليمان تلك المملكة العظيمة مع أن الأنس والجن كانوا في طاعته فإنه عليه السلام كان ملك الدنيا كلها مع أنه لم يكن بين سليمان وبين بلدة بلقيس حال طيران الهدى الأميرة ثلاثة أيام (أجيب) بأن الله تعالى أخفى عنه ذلك لمصلحة رآها كما أخفى مكان يوسف على يعقوب ولما كان الهدى في خدمة أقرب أهل ذلك الزمان إلى الله تعالى فحصل له من النورانية ما هاله قال مستأنفا (وجدتها وقومها) أي كلهم على ضلال كبير وذلك أنهم (يسجدون للشمس) مبتدئين ذلك (من دون الله) أي من أدنى رتبة للملك الأعظم الذي لا مثله (وزين لهم الشيطان أعمالهم) أي هذه القبيحة حتى صاروا يظنونها حسنة ثم تسبب عن ذلك أنه أعماهم عن طريق الحق فلماذا قال (فصدتهم عن السبيل) أي الذي لا سبيل إلى الله غيره وهو الذي بعث به أنبياء ورسله عليهم الصلاة والسلام ثم تسبب عن ذلك ضلالهم فلماذا قال (فهم) أي بحيث (لا يهتدون) أي لا يوجد لهم هدى بل هم في ضلال صرف وعى محض (ألا يسجدوا لله) أي أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نوناً كما في قوله تعالى لا تعلم أهل الكتاب والحجّة في موضع مفعول يهتدون باسقاط الهمزة إذا قرئ بالتشديد وهي قراءة غير الكسائي وأما الكسائي فقرأ بتخفيف الالف لا فيها تنبيه واستفتاح وما بعدها حرف نداء ومناداه محذوف كما حذفه من قال

الاياسلى ياد ارمى على البلا * ولا زال منها ليجر عائل القطر

ويقف الكسائي على ألا وعلى يا وعلى اسجدوا وإذا ابتداء اسجدوا ابتداء بالضم ثم وصف الله تعالى بما يوجب اختصاصه باستحقاق السجود من الاتصاف بكمال القدرة والعلم حنا على

السجود له ورداً على من يسجد لغيره سبحانه وتعالى بقوله (الَّذِي يُخْرِجُ الْحَبَّ) وهو مصدر
 بمعنى الخبز من المطر والنبات وغيرهما وخصه بقوله (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) لأن ذلك
 منتهى مشاهدتنا فنستظر ما يكون فيه ما بعد أن لم يكن من حصاد ومطر ونبات وتوابع ذلك
 من الرعد والبرق وما يشره من الكواكب ويعرب إلى غير ذلك من الرياح والحز والبرد
 وما لا يحصىه إلا الله تعالى (وَيَعْلَمُ مَا يُخْفُونَ) في قلوبهم (وَمَا يَعْلَنُونَ) بالسنة
 وقرأ الكسائي وحفص بالتاء الفوقية فيهما والباقون بالنحية فالخطاب ظاهر على قراءة
 الكسائي لأن ما قبله أمرهم بالسجود وخطبهم به والغيبة على قراءة الباقيين غير ظاهرة
 لتقدم الضمائر الغائبة في قوله أفعالهم وصدهم وفهم وأما قراءة حفص فتأويلها أنه
 خرج الخطاب الحاضرين بعد أن أتم قصة أهل سبأ ويجوز أن تكون التفاتاً على أنه نزل
 الغائب منزلة الحاضر في خطبه ملتفتاً إليه وقوله (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَرْشُ الْعَظِيمُ) أي
 الذي هو أول الأجرام وأعظمها والمحيط بجملتها يحتمل أن يكون من كلام الهدد استدراكاً
 لما وصفه عرش بلقيس بالعظم وأن يكون من كلام الله تعالى رداعليه في وصفه عرشه بالعظم
 فبين العظمة بينون عظيم (فان قيل) من أين للهدد التهدي إلى معرفة الله ووجوب السجود له
 وإنكار سجودهم للشمس وإضافته إلى الشيطان وتزيينه (أجيب) بأنه لا يعدن إليهم الله
 تعالى ذلك كما ألهمه وغيره من الطيور وسائر الحيوان المعارف اللطيفة التي لا تكاد العقلاء
 الرجاح العتول يمدون لها خصوصاً في زمن نبي سخرت له الطيور وعلم منطقها وجعل ذلك
 معجزة له وهذه آية سجدته واختاف في محلها هل هو هذه الآية أو عند قوله قبلها وما يعلنون
 الجهور وعلى الأقول ولما فرغ الهدد من كلامه (قَالَ) له سليمان (سَنَنْظُرُ) أي نخبر بما قلته
 (أُصَدِّقُ) فيه فنعذر لك (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أي معروفاً بالانحراف في سلوكهم فانه
 لا يجترئ على الكذب عندى الأمن كان غريقاً في الكذب فهو أبلى من أم كذبت وأيضاً
 لمحافظة الفواصل ثم شرع فيما يختبره به فكذب له كتاباً على الفور في غاية الوجازة قصداً
 للاسراع في إزالة المنكر على تقدير صدق الهدد بحسب الاستطاعة ودل على اسرعه
 في كتابته بقوله جواباً له (أَذْهَبَ بِكَ هَذَا) فكأنه كان مهتماً عنده فدفعه إليه وأمره
 بالاسراع فطار كأنه البرق ولهذا أشار بالفاء في قوله (قَالَ لَهُ إِلَهُهُمْ) أي الذين ذكرت أنهم
 يعبدون الشمس وذلك للاهتمام بأمر الدين وقرأ أبو عمرو وشعبة وخلاّد بخلاف عنه فألقه
 بسكون الهاء واختلس الكسرة قالون وهشام بخلاف عنه والباقون بأشباع الكسرة (ثم)
 قال له إذا ألقىته إليهم (قَالَ) أي تخ (عَنْهُمْ) إلى مكان تسمع فيه كلامهم ولا يصلون معه
 البك (فانظروا إذ يرجعون) أي يردون من الجواب وقال ابن زيد في الآية تقديم وتأخير
 مجازها أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم فانظروا إذ يرجعون ثم يقول عنهم أي انصرف إلى فأخذ
 الهدد الكتاب وأتى إلى بلقيس وكانت بأرض يقال لها مأرب من صنعاء على ثلاثة أيام
 قال قتادة فوافاه في قصرها وقد غلقت الأبواب وكانت إذا رقدت غلقت الأبواب وأخذت

المفاتيح فوضعتها تحت رأسها فأناها الهدهد وهي نائمة مسددة لقمة على قنأها فألقى الكتاب على
 نحرها وقبيل نقرها فانتبهت فزعة وقال مقاتل جل الهدهد الكتاب بنقاره حتى وقف على
 رأس المرأة وحولها العادة والخنود فرف ساء والناس ينظرون اليه حتى رفعت المرأة
 رأسها فالتقى الكتاب في حجرها وقال وهب بن منبه وابن زيد كانت لها كوة مسددة قبله الشمس
 تقع الشمس فيها حين تطلع فإذا نظرت إليها وجدت لها فجاء الهدهد إلى الكوة فسددها بمنحاه
 فارتفعت الشمس ولم تعلم بها فلما استبطأت الشمس قامت تنظر إليها فرمى بالحجفة إليها فأخذت
 بالقيس الكتاب وكانت قارئة فلما رأته الخاتم ارتعدت وخضعت لأن ملك سليمان كان في خاتمه
 وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها وقرأت الكتاب وتأخر الهدهد فجاءت حتى
 قعدت على سرير ملكها وجمعت الملا من قومها وهم اثنا عشر ألف فاندمع كل قائد ألف مقاتل
 وعن ابن عباس قال كان مع بلقيس مائة ألف قبيل مع كل قبيل مائة ألف والقبيل الملا دون الملك
 الأعظم وقال قتادة وقد قاتل كان أهل مشورتها ثمانمائة وثلاثة عشر رجلا كل رجل منهم على
 عشرة آلاف فلما جاؤا أخذوا بحالهم (قالت) لهم بلقيس (يا أيها الملا) وهم أشرف الناس
 وكبرائهم (أني ألقى إلى) أي بالقاء ملق على وجهه غريب (كتاب) أي صحيفة مكتوب فيها
 كلام وخبر جامع قال الزمخشري وكانت كتب الأنبياء جلالاتهم لا يكتبون ولا يكثر من ولما حوى
 هذا الكتاب من الشرف أمر أباهم لم يعهد مثله وصفته بقولها (كريم) وقال طاء والخصال
 سمته كريمالا أنه كان محتوما روى أنه صلى الله عليه وسلم قال كرامة الكتاب ختمه وكان عليه
 السلام يكتب إلى العمم قبيل له أنهم لا يقبلون إلا كتابا عليه خاتم فاصطنع له خاتما وعن ابن المقفع
 من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به وقال مقاتل كريم أي حسن وعن ابن عباس
 أي شريف لشرف صاحبه وقيل سمته كريمالا أنه كان مصدرا بيسم الله الرحمن الرحيم ثم ينت
 من الكتاب فقالت (أنه من سليمان) ثم ينت المكتوب فيه فقالت (وأنه بسم الله الرحمن
 الرحيم (الآنموا على)) قال ابن عباس لا تتكبروا على وقيل لا تتعظموا ولا ترفعوا على أي
 لا تمتنعوا عن الإجابة فإن ترك الإجابة من العلو والتكبر (وأنتوني مسلمين) أي منقادين
 خاضعين فهو من الاستسلام أو مؤمنين فهو من الإسلام (فان قيل) لم قدم سليمان اسمه على
 البسملة (أجيب) بأنه لم يقع منه ذلك بل ابتدأ الكتاب بالبسملة وإنما كتب اسمه عندها بعد ختمه
 لأن بلقيس إنما عرفت كونه من سليمان بقراءة عنوانه كما هو المعهود ولذلك قالت أنه بسم الله
 الرحمن الرحيم أي أن الكتاب فالقديم واقع في حكاية الحال واعلم أن قوله بسم الله الرحمن
 الرحيم مشتمل على إثبات الصانع وإثبات كونه عالما قادرا حيا مريدا حكما رحما قال
 الطيبي وقال القاضي هذا كلام في غاية الوجازة مع إثبات كمال الصانع وإثبات كمال الدلالة على
 المقصود لاشتماله على البسملة الدالة على ذات الاله وصفاته صريحا والتزاما والنهي عن الترفع
 الذي هو أم الرذائل والأمر بالاسلام الذي هو جامع لأمهات الفضائل ولما سكتوا عن الجواب
 (قالت) لهم (يا أيها الملا) ثم ينت ما دخلها من الرعب من صاحب هذا الكتاب بقولها

(أفتوني) أي تكثر مواعلي بالانابة عما أفعله (في أمرى) هذا الذي أجيب به هذا الكتاب جعلت الشورى فتوى توسع الآن الفتوى الجواب في الحادثة وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة واو والباقون بتحقيقها وفي الابتداء الجميع بالتحقيق ثم علت أمرها لهم بقولها (ما كنت قاطعة أمرا) أي فاعلمته وفاصلته غير مترددة فيه (حتى تشهدون) أفادت بذلك أن شأنهم إذا عاينوا مشاورتهم في كل جليل وحقيق فكيف بهذا الأمر الخطير وفي ذلك استعطفاهم بتعظيمهم واجلالهم وتكرهم ودلالة على غزارة عقلها وحسن أدبها ثم انهم أجابوها عن ذلك بأن (قلوا) ما نلن إلى الحرب (نحن أولو قوة) أي بالمال والرجال (وأولو) أي أصحاب (بأس) عزم في الحرب (شديد والأمر) أي في كل من المصادمة والمسالمة راجع وموكول (اليك فانظري) أي بسبب أنه لا نزاع معك (ماذا تأمرين) فإنا نطيعك وتتبع أمرك * ولما علمت أن من سخر له الطير على هذا الوجه لا يعجزه شيء بريده (قالت) جوابا لما أحست في جوابهم من ميلهم إلى الحرب والحرب بحال لا يدري عاقبتها (إن المولك) أي مطلقا فكيف بهذا النافذ الأمر العظيم القدر (إذا دخلوا) عنوة بالقهر (قرية أفسدوها) أي بالنهب والتخريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة) أي أهانوا أشرفها وكبراهها كي يستقيم لهم الأمر ثم أكدت هذا المعنى بقولها (وكذلك) أي ومثل هذا الفعل العظيم الشأن (يفعلون) أي هو خلق لهم مستقر في جميعهم فكيف عن قطيعه الوحوش والطيور وغيرهما * (تنبيه) هذه الجملة من كلامها وهو كما قال ابن عادل الظاهر ولهذا جيلت عليه فتكون منصوبة بالقول ويحتمل أن تكون من كلام الله تعالى تصديقا لها فهي استنافية لا محل لها من الإعراب وهي معترضة بين قولها ولما يفت ما في المصادمة من الخطر أتبعته بما عزمت عليه من المسالمة بقولها (واني مرسله اليهم) أي إلى سليمان وقومه (بهديّة) وهي العطية على طريق الملاطفة وذلك أن بلقيس كانت امرأة كيسة قد سبست وساست فقالت للملأ من قومها اني مرسله إلى سليمان وقومه بهديّة أصانعه بها عن ملكي فاخبر به بها أملك هو أم نبى فان يكن ملكا قبل الهدية وانصرف وان يكن نبيا لم يقبل الهدية ولم ير ضمامنا إلا أن تتبعه على دينه فذلك قولها (فناظرهم) أي أي شيء (يرجع المرسلون) فأهدت اليه وصفا ووصائف قال ابن عباس ألبستهم لباسا واحدا كي لا يعرف ذكر من أنى وقال مجاهد ألبست الجوارى لباس الغلمان وألبست الغلمان لباس الجوارى واختلف في عددهم فقال ابن عباس مائة وصيف ومائة وصيفة وقال مجاهد ومقاتل مائة غلام ومائتا جارية وقال قتادة أرسلت اليه بلبنات من ذهب في حرير وديباج وقال ثابت البناني أهدت اليه صفائح الذهب في أوعية الديباج وقيل كانت أربع لبنات من ذهب وقال وهب وغيره عمدت بلقيس إلى خمسمائة غلام وخمسمائة جارية فألبست الجوارى لباس الغلمان الاقيصة والمناسق وألبست الغلمان لباس الجوارى وجعلت في سواعدهم أساور من ذهب وفي أعناقهم أطواق من ذهب وفي آذانهم أفرطا وشوقا من صمغ بأنواع الجواهر وغواشيهما من الديباج الملونة وبعثت اليه خمسمائة لبنة من ذهب وخمسمائة

من فضة وتاجام كالابدر والياقوت المرتفع وأرسلت المسك والعنبر وعدت الى حقبة فجعلت
فيها درة ثينة غير منقوبة وجرعة منقوبة معوجة الثقب ودعت رجلا من أشرف قومها
يقال له المنذر بن عمرو وصحت اليه رجلا من قومها أصحاب رأي وعقل وكتب معهم كتابا بخطه
الهدية وقالت ان كنت نبيا في بين الوصف والوصائف واخبر بما في الحقبة قبل ان تفتحها واثنى
الدرة ثقبها مستويا وادخل خيطا في الخرزة المنقوبة من غير علاج انس ولا جن وأمرت بلقيس
العلمان اذا كلمكم سليمان فكلموه بكلام تأييد وتحنيت يشبه كلام النساء وأمرت الجوازي أن
يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ثم قالت للرجل انظر الى الرجل اذا دخلت عليه فان
نظر اليك نظر غضب فاعلم انه ملك فلا يهملوك منظره فانما أعز منه وان رأيت الرجل يشاء لطيفا
فاعلم انه نبي ثم رسل فتقدم قوله ورد الجواب فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل الهداه مسترعا
الى سليمان فأخبره الخبر كله فأمر سليمان عليه السلام الجن أن يضربوا البنات الذهب ولبينات
الفضة ففعلوا ثم أمرهم أن يسطوا من موضعه الذي هو فيه الى تسعة فراسخ ميديانا واحدا
بالبينات الذهب والفضة وأن يجعلوا حول الميادين حائطا شرفها من الذهب والفضة ففعلوا ثم
قال أي الدواب أحسن مما رأيتم في البر والبحر قالوا يا نبي الله اناراً شادواب في بحر كذا وكذا
منقطة مختلفة ألوانها اجنحة واعراف ونواص قال علي بن الساعة فأتوا بها فقال شذوها
عن عين الميدان وعن يساره على لبنات الذهب والفضة وألقوا لها علوفتها فيها ثم قال للجن علي
بأولادكم فاجتمع خلق كثير فأماهم عن عين الميدان ويساره ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره
ووضع له أربعة آلاف كرسي على يمينه ومثلها على يساره وأمر الشياطين أن يصطفوا صقفا
فراسخ وأمر الانس فاصطفوا صقفا فراسخ وأمر الوحوش والسباع والطيور والطيور
فاصطفوا فراسخ عن يمينه ويساره فلما دنا القوم من الميدان ونظروا الى ملك سليمان ورأوا
الدواب التي لم تر أعينهم مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت أنفهم ورموا
مامعهم من الهدايا وفي بعض الروايات أن سليمان لما أمر بفرض الميدان بلبينات الذهب
والفضة أمرهم أن يتركوا على طريقهم موضعا على قدر موضع اللبانات التي معهم فلما رأى
الرسول موضع اللبانات خالبا وكل الارض مفروشة خافوا أن يهملوا بذلك فطرحوا مامعهم
في ذلك الموضع الخالي فلما رأوا الشياطين نظروا الى منظر عجيب ففزعوا فقلت لهم الشياطين
جوزوا فلا بأس عليكم فكلوا يترن على كردوس من الجن والانس والطيور والسباع
والوحوش حتى وقفوا بين يدي سليمان فنظر اليهم سليمان نظرا حسنا بوجهه طلق وقال ما وراءكم
فأخبره رئيس القوم بما جأؤه وأعطاه كتاب الملكة فنظر فيه وقال أين الحقبة فأتى بها فخر كهذا
وجاء جبريل عليه السلام فأخبره بما في الحقبة فقال ان فيها درة ثينة غير منقوبة وجرعة منقوبة
معوجة الثقب فقال الرسول صدقت فاقب الدرة وأدخل الخيط في الخرزة فقال سليمان عليه
السلام من لي بثقبها فسأل سليمان الانس ثم الجن فلم يكن عندهم علم بذلك ثم سأل الشياطين فقالوا
أرسل الى الارضة فجاءت الارضة فأخذت شعرة في فيها فدخلت فيها حتى خرجت من الجانب

الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك قالت تصير رزقي في الشجر فقال لك ذلك وروى انها جاءت
 دودة تكون في الصفصاف فقالت أنا أدخل الخيط في الثقب على أن يكون رزقي في
 الصفصاف فجعل لها ذلك فأخذت الخيط بنسها ودخلت الثقب وخرجت من الجانب الآخر
 ثم قال من لهذه الخرزة يسلكها بالخيط فقالت دودة بيضاء أنا لها يا رسول الله فأخذت الدودة
 الخيط في فيها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان سلى حاجتك
 قالت تجعل رزقي في الفواكه قال لك ذلك ثم ميز بين الجوارى والعلماء بأن أمرهم أن يغسلوا
 وجوههم وأيديهم فجعلت الجارية تأخذ الماء من الآنية بأحدى يديها ثم تجعله على اليد
 الأخرى ثم تضرب به الوجه والغلام يأخذ من الآنية بيديه ويضرب بهما وجهه وكانت الجارية
 تصب الماء على باطن ساعدها والغلام على ظاهرها الساعد وكانت الجارية تصب الماء صبا وكان
 الغلام يحذر الماء على ساعده حذرًا فيزيتهم بذلك ثم رد سليمان الهدية كما قال تعالى (فلما جاء)
 أي الرسول الذي بعثته والمراد به الجنس قال أبو حيان وهو يقع على الجمع والمفرد والمذكر
 والمؤنث (سليمان) ورفع اليه ذلك (قال) أي سليمان عليه السلام للرسول ولما في خدمته
 استصغارا لمأمعه (أنتوني) أي أنت ومن معك ومن أرسلك (بمال) وإنما قصدى لكم
 لأجل الدين تحقير الأمر الدنيا وعلما بأنه لا التفات له نحوها بوجه ولا يرضيه شيء دون طاعة
 الله تعالى وقرأ نافع وأبو عمرو وبائبات الباء وصلوا وقفا وابن كثير ببائبات الباء وصلوا وقفا
 وجزة بادغام النون الأولى في الثانية وإثبات الباء وصلوا وقفا ثم تسبب عن ذلك قوله
 استصغارا لمأمعهم (فما أتاني الله) أي الملك الأعظم من الحكمة والنبوة والملك وهو الذي
 يغني مطيعه عن كل شيء سواه فهم ما سأله أعطاه وقرأ نافع وأبو عمرو وحفص بفتح الباء في
 الوصل ولقاول وأبي عمرو وحفص أيضا إثباتها وقفا والباقيون بحذف الباء وقفا وصلوا
 وأما الهاجزة والكسائي محضة وورش بالفتح وبين اللفظين (خير) أي أفضل (مما أتاكم)
 أي من الملك الذي لا دين ولا نبوة فيه (بل أنتم) أي يجهلكم بالدين (بهديتكم) أي بأهداء
 بعضكم إلى بعض (تفرحون) وأما أنا فلا أفرح بها وليست الدينان حاجتي لأن الله تعالى
 قد مكنتني فيها وأعطاني منها ما لم يعط أحدا ومع ذلك أكرمني بالدين والنبوة ثم قال للمنذر
 ابن عمرو أمير الوفاء (ارجع) أي بهديتهم وجع في قوله (اليهم) اكراما لنفسه وصيانة
 لاسمها عن التصريح بضميرها وتعظيما لكل من يهتم بأمرها ويطيعها (فلنأتينهم بمجنود
 لا قبل) أي لا طاقة (لهم بها) أي بمقابلتها (ولنخرجهم منها) أي من أرضهم وبلادهم وهي سبا
 (أذلة وهم صاغرون) أي ذليلون لا يملكون شيئا من المنعة (فان قيل) فلنأتينهم ولنخرجهم
 قسم فلا بد أن يقع (أجيب) بأنه معلق على شرط محذوف أفهم المعنى أي إن لم يأتوني
 مسلمين قال وهب وغيره من أهل الكتب لما رجعت رسل بلقيس إليها من عند سليمان
 قالت لهم قد عرفت والله ما هذا بلك ومالتابه من طائفة فبعثت إلى سليمان أني قادمة عليك
 بعلوك قومي حتى أنظر ما أمرك وماتدعو اليه من دينك ثم أمرت بعرضها فجعلته داخل سبعة

أبواب داخل قصرها وقصرها داخل سبعة قصور وأغلقت الأبواب وجعلت عليها حراسا
يحفظونه ثم قالت لمن خلفت على سلطانهم الحفظ بما وكلت وبسرير ملكي لا يخلص إليه أحد
حتى أتيتك ثم أمرت مناديا ينادي في أهل مملكتهما أن تؤذنه بالرحيل وتجهز للمسير فأرسلت
في اثني عشر ألف قبيل من ملوك اليمن تحت يد كل قبيل ألف كثيرة قال ابن عباس
كان سليمان رجلا مهيبا لا يتعد أبشئ حتى يكون هو الذي يسأل عنه فخرج يوما فجلس على
سرير ملكه فرأى رجلا قريما منه فقال ما هذا قالوا بلقيس وقد نزلت منا على مسيرة فرسخ
فأقبل سليمان حينئذ على جنوده بأن (قال) لهم (يا أيها الملا) أي الاشراف (أيكم) وفي
الهمزتين ما تقدم (بأنني بعرضها قبيل أن يأتوني مسلمين) أي مؤمنين وقال ابن عباس
واختلفوا في السبب الذي لأجله أمر سليمان باحضار عرضها فقالوا أكثرهم لأن سليمان علم أنها
إن أسلمت يحرم عليه ما لها فأراد أن يأخذ سريرها قبيل أن يحرم عليه أخذها باسلامها وقيل
ليربها قدرة الله تعالى ببعض ما خصه به من العجائب الدالة على عظم القدرة وصدقة في دعوى
النبوذة في معجزة يأتى بها في عرضها وقال قتادة لأنه أعجبه صدقة لما وصفه الهدى بالعظم فأحب
أن يراه وقال ابن زيد يريد أن يأمر بتكثيره وتغييره فيختبر بذلك عقلها (قال عنبريت من الجن)
وهو المارد القوي قال وهب اسمه كودي وقيل ذكوان وقال ابن عباس العنبريت الداهي
وقال الضمك هو الخبيث وقال الربيع الغليظ وقال الفراء القوي الشديد قيل إن الشياطين
أقوى من الجن وإن الردة أقوى من الشياطين وإن العنبريت أقوى منهما قال بعض
المفسرين العنبريت من الرجال الخبيث المتكبر وقيل هو صخر الجن وكان بمنزلة جبل يضع
قدمه عند منتهى طرفه وقوله تعالى (أنا أتيتك به) قرأه في الموضعين نافع بإثبات الالف
من أنا وصلوا وقتنا والباقون وصلوا لا وقتنا ثم بين سرعة اسراعه بقوله (قبيل أن تقوم من
مقامك) أي الذي تجلس فيه للفضاء قال ابن عباس كان له غداة كل يوم مجلس يقضى فيه إلى
نصف النهار ثم أوتى الأمر وأكده بقوله (وأتى عليه) أي على الاتيان به سالما (لقوى) أي
على حمله لا يحصل عجزى عنه (أمين) أي على ما فيه من الجواهر وغيرها قال سليمان عليه السلام
أريد أسرع من ذلك (قال الذي عنده علم من الكتاب) المنزل وهو علم الوحى والشرائع وقيل كتاب
سليمان وقيل اللوح المحفوظ والذي عنده علم من الكتاب جبريل قال البقاعي وأعله التوراة
والزبور انتهى وفي ذلك إشارة إلى أن من خدع كتاب الله حق الخدمة كان الله تعالى معه كما ورد
في شريعنا كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشى
عليها أي أنه يفعل له ما يشاء (واختلفوا) في تعيينه فقال أكثر المفسرين هو آصف بن برخيا
كاتب سليمان وقيل اسمه اسطوم وكان صدقا عالما يعلم اسم الله الأعظم الذي إذا دعى به أجاب
وإذا سئل به أعطى وقيل ملك أيد الله تعالى به سليمان عليه السلام وعن ابن لهيعة بلغني أنه
الخضر عليه السلام (أنا أتيتك به) ثم بين فضله على العنبريت بقوله (قبل أن يرتد) أي يرجع
(إلى طرفك) أي بصرك إذا طرفت أجبائك فأرسلته إلى منتهاه ثم رددته فالطرف يخرج بكت

قوله وقال ابن عباس
واختلفوا الخ كذا
في الاصول ولعله
محرف عن عباس أو
وقال محرف عن قالة
اه متبعه

قوله والباقون وصلوا
لا وقتا كذا في الاصول
ولعله وقتنا لا وصلوا
وليجز ر اه متبعه

أجفانك اذا نظرت فوضع في موضع النظر ولما كان الناظر موصوفاً بارسال الطرف في نحو قوله
 وكنت اذا أرسلت طرفك رائداً * لقلبك يوما انعبت المناظر
 وصف برد الطرف ووصف الطرف بالارتداد روى ان آصف قال سليمان مدعي نفسك حتى
 ينهي طرفك قد سليمان عينيه فنظر نحو العين ودعا آصف فبعث الله تعالى الملائكة فسلموا
 السرير من تحت الارض يجذون جذاً حتى انخرقت الارض بالسرير بين يدي سليمان وقال
 الكلبي خر آصف ساجداً ودعا باسم الله الاعظم فغار عرشها تحت الارض حتى نبع تحت كرسى
 سليمان بقدره الله تعالى وقيل كانت المسافة شهرين وقال سعيدي بن جبير يعني من قبل أن
 يرجع اليك أقصى من ترى وهو أن يصل اليك من كان منك على مدبصرك وقال قتادة قبل أن
 يأتيك الشخص من مد البصر وقال مجاهد يعني ادامة النظر حتى يرد البصر خاسئاً قال
 الركني شري ويجوز أن يكون هذا مثلاً لاستقصاء مدة المجيء به كما تقول لصاحبك اعمل ذلك في
 لحظة وفي رد طرف والتفت ترني وما أشبه ذلك تريد السرعة انتهى * واختلفوا في الدعاء الذي
 دعاه آصف فقال مجاهد ومقاتل يا ذا الجلال والاكرام وقال الكلبي يا حي يا قيوم وروى ذلك
 عن عائشة رضي الله عنها وروى عن الزهري قال دعاء الذي عنده علم من الكتاب يا الهنا واله
 كل شيء الهنا واحداً لا اله الا أنت اتفق بعرشها وعن الحسن بالله يا رحمن وقال محمد بن المنكدر
 انما هو سليمان قال له عالم من بني اسرائيل اتاه الله تعالى علماً وفهماً أنا آتيتك به قبل أن يرد اليك
 طرفك قال سليمان هات قال أنت النبي ابن النبي وليس أحداً وجهه عند الله منك فان دعوت الله
 كان عندك فقال صدقت ففعل ذلك فجى بمالعرش في الوقت قال الرازي وهذا
 القول أقرب واستدل لذلك بوجوه منها ان سليمان كان أعرف بالكتاب من غيره لانه هو النبي
 فكان صرف اللفظ اليه أولى ومنها أن احضار العرش في تلك الساعة اللطيفة درجة عالية
 فلو حصلت لا آصف دون سليمان لاقتضى ذلك قصور حال سليمان في أعين الخلق ومنها انه قال
 هذا من فضل ربي فظاهره يقتضى أن يكون ذلك المعجز قد أظهره الله تعالى بدعاء سليمان (فأما
 وآم) أي رأى سليمان العرش (مستقر أعنده) أي حاصل بين يديه (قال) شاكر الرب لما آتاه
 الله تعالى من هذه الخوارق (هذا) أي الايمان المحقق (من فضل ربي) أي المحسن الى
 لا يعمل استحق به شيئاً فإنه أحسن الى باخراجه من العدم ونظر الى توفيقه للعمل فكل عمل نعمة
 يستوجب على بها الشكر ولذلك قال (ليساوي) أي ليختبرني (أأشكر) فاعترف بكونه فضلاً
 (أم أكفر) بظني اني أؤتيه باستحقاق * (تنبيه) * ههنا همزان مفتوحتان فتنازع بينهما
 الهمزة الثانية وابن كثير وأبو عمرو وهشام بخلاف عنه وأدخل بينهما ألفاً قالون وأبو عمرو
 وهشام ولم يدخل ورش وابن كثير ولورش أيضاً بد الهاء ألفاً والباقيون بالتحقيق وعدم
 الادخال ثم زاد في حث نفسه على الشكر بقوله (ومن شكر) أي أوقع الشكر له (فأما
 بشكر لنفسه) فان نفعه لها وهو ان يستوجب تمام النعمة ودوامها لان الشكر قد للنعمة
 الموجودة وجلب للنعمة المفقودة (ومن كفر) أي بالنعمة (فان ربي) أي المحسن الى

توفيق لما نافية من الشكر (غنى) عن شكره لا يضطره ترك شيئاً (كريم) أى بادراً بالانعام عليه فلا يقطع عنه بسبب عدم شكره ولما حصل العرش عنده (قال) عليه السلام (نكروا) أى غيروا (لها عرشها) أى سريرها إلى حالة تنكره إذا رأتها قال قتادة ومقاتل هو أن يزدفيه وينقص وروى أنه جعل أعلاه أسفله وأسفله أعلاه وجعل مكان الجوهر الأحمر أخضر ومكان الأخضر أحمر اختباراً لاعتقلها كما اختبر تناب الوصفاء والوصائف والذرة وغير ذلك واليه أشار بقوله (تتظرون تهدي) أى إلى معرفته فيكون ذلك سبباً لهدايتها في الدين (أم تكون من الذين) شأنهم أنهم (لا يمتدون) بل هم في غاية العباوة ولا يتجدد لهم اعتداء وقال وهب ومحمد بن كعب أنما حل سليمان على ذلك أن الشياطين خافت أن يترجوها سليمان فنفسى له أسرار الجن لأن أمها كانت جنية وإذا ولدت له ولد لا ينفكون عن تسخير سليمان وذريته من بعده فأسأوا الثناء عليها ليزهدوه فيها فقالوا أن في عقلها شياً وأن رجلها كخافر الحمار وأنهم شعراء السابق فأراد سليمان عليه الصلاة والسلام أن يحجب عقلها بتكبير عرشها ونظر إلى قدميها بينا الصرح ثم أشار إلى سرعة مجيئها إشارة إلى خضوعها بالتعبير الفاء في قوله (فلما جاءت) وكانت قد وضعت عرشها في بيت خلف سبعة أبواب ووكات به حراساً أشداء (قيل) لها وقد رأت عرشها بعد تنكيره (أهكذا عرشتك) أى مثل هذا عرشتك (قالت) كأنه هو (قال مقاتل) عرفته ولكنها شبهت عليهم كاشبهوا عليها وقال عكرمة كانت حكيمته لم تقبل نعم خوفاً من أن تكذب ولم تقبل لاختوفاً من التكذيب فقالت كأنه هو فعرف سليمان كمال عقلها حيث لم تقبل ولم تنكر وقيل اشتبه عليها أمر العرش لأنها خلقت في بيت خلف سبعة أبواب مغلفة والمفاتيح معها فقبل لها فانه عرشتك فما أغنى عنك إغلاق الأبواب وقوله تعالى (وأوتينا العلم من قبلها) فيه وجهان أحدهما أنه من كلام بلقيس فالضمير في قبلها راجع للمعجزة والحالة الدال عليها السياق والمعنى وأوتينا العلم بنبوة سليمان من قبل ظهور هذه المعجزة أو من قبل هذه الحالة وذلك لما رأت قبل ذلك من أمر الهدد ورد الهدية والرسل من قبلها من قبل الآية في العرش (وكما مسلمين) أى منقادين طائعين لأمر سليمان والثاني أنه من كلام سليمان واتباعه فالضمير في قبلها عائد على بلقيس فكان سليمان وقومه قالوا إنما أقدمنا صاب في جوابها وهي عاقلة وقدر زقت الإسلام ثم عطفوا على ذلك قولهم وأوتينا العلم يعنى بالله تعالى وبقدرة على ما يشاء من قبل هذه المرأة في مثل علمها وغرضهم من ذلك شكر الله تعالى في أن خصهم بزيادة التقديم في الإسلام فله مجاهد وقيل معناه وأوتينا العلم بإسلامها ومجيئها طائعين من قبل مجيئها وكما مسلمين طائعين لله تعالى واختلاف في فاعل قوله عز وجل (وصدّها ما كانت تعبد من دون الله) على ثلاثة أوجه أحدها ضمير البارى تعالى والثاني ضمير سليمان عليه السلام أى منعها ما كانت تعبد من دون الله وهو الشمس وعلى هذا فما كانت تعبد منسوب على إسقاط الخافض أى وصدّها الله تعالى أو سليمان عما كانت تعبد من دون الله قاله الزمخشري مجوزاً له قال أبو حيان وفيه نظر من حيث أن حذف الجار ضرورة كقوله يترون الديار فلم تعوجوا وقد تقدم آيات كثيرة من هذا النوع والثالث أن الفاعل هو ما كانت

أى صدها ما كانت تعبد عن الاسلام أى صدها عبادة الشمس عن التوحيد وقوله تعالى (انها
 كانت من قوم كافرين) استئناف أخبر الله تعالى انها كانت من قوم يعبدون الشمس فنشأت
 بينهم ولم تعرف العبادة ولم تعرف الاعباداة الشمس ولما تم ذلك فكانه قيل هل كان بعد ذلك
 اختبارا فقيل نعم (قيل لها) أى قائل من جنود سليمان عليه السلام فلم يمكنها المخالفة (ادخلى
 الصرح) وهو سطح من زجاج أبيض شفاف تحته ماء جارية سمك اصطنعه سليمان ولما قالت
 له الشياطين ان رجلا يحكمنا في الجمار وهي شعراء الساقين فأراد أن ينظر الى ساقها من غير
 أن يسألهما كشفهما وقيل الصرح صحن الدار أجرى تحته الماء وألقي فيه كل شيء من دواب
 البحر السمك والضفادع وغيرها ثم وضع سريره في صدره وجلس عليه وعكف عليه الطير
 والجن والانس وقيل اتخذ صحنها من قوارير وجعل تحتها تماثيل من الحيتان والضفادع فكان
 الواحد اذا رآه ظنه ماء (فلما رآه حسبه لجة) وهي معظم الماء (وكشفت عن ساقها) لتوضه
 فظن اليها سليمان فرأها حسن الناس ساقا وقدمالا انها كانت شعراء الساقين فلما رأى سليمان
 ذلك صرف نظره عنها وناداها بأن (قال) لها (انه) أى هذا الذى ظننته ماء (صرح عمرو)
 أى علم ومنه الامر للملاسة وجهه من الشعر (من) أى كائين من (قوارير) أى زجاج
 وليس بما ثم ان سليمان دعاها الى الاسلام وكانت قد رأت حال العرش والصرح فأجابت بأن
 (قالت رب) أى أيها المحسن الى (انى ظلت نفسي) أى بما كنت فيه من العمى بعبادة
 غيرك عن عبادتك (وأسلمت مع سليمان لله) أى مقررة له بالالوهية والربوبية على سبيل
 الوحدةانية ثم رجعت اشارة للعجز عن معرفة الذات حق المعرفة الى الافعال التى هى بحر
 المعرفة فقالت (رب العالمين) فعمت بعد أن خصت اشارة الى الترقى من حضيض دركات العمى
 الى أوج درجات الهدى وقيل انها المبلغت الصرح ووطنه لجة قالت فى نفسها ان سليمان يريد
 أن يغرقنى وكان القتل أهون من هذا فوقع ولها ظلت نفسى أى بذلك الظن واختلفوا فى أمرها
 بعد اسلامها هل تزوجها سليمان عليه السلام فالذى عليه أكثر المفسرين فيما رأيت انه تزوج بها
 وكره ما رأى من شعراقتها فسأل الانس ما يذهب هذا فقالوا موسى فقالت المرأة لا تغشى
 حديدة قط فسأل الجن فقالوا الاندى فسأل الشياطين فقالوا اننا نختال لك حتى تكون كالفضة
 البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمامات من يومئذ فلما تزوجها سليمان
 أحبها حباً شديداً وأقرها على ملكها وأمر الجن فابتدوا لها بأرض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس
 مثلها ارتفاعاً وحسناً قال الطيبي سلحين ومومنة باليمن وغدان قال فى النهاية هو بضم الغين
 وسكون الميم البناء العظيم وكان يزورها فى الشهر مرة ويقيم عندها ثلاثة أيام وولدت
 له وقيل انها لما أسلمت قال لها سليمان اختارى رجلاً من قومك أن أزوجه قال قالت ومثلى
 يابى الله ينسكح الرجال وقد كان لى فى قومي من الملك والسلطان ما كان قال نعم انه لا يكون فى
 الاسلام الا ذلك ولا ينبغي لك ان تتخذى ما أحل الله فقالت ان كان ولا بد فزوجه ذابع ملك
 همدان فزوجه بها ثم ردها الى اليمن وسلطن زوجها ذابع على اليمن وأمر زبعة أمير جن

الذين أن يطيعه فبقي له المصانع ولم يزل أمر حتى مات سليمان عليه السلام فلما ان حال الحول
 وتبينت الجن موت سليمان أقبل رجل منهم فسلك تهامة حتى اذا كان في جوف اليمن صرخ
 بأعلى صوته يامعشر الجن ان الملك سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم وتفرقوا
 وانقضى ملك ذي تبع وملك بلقيس مع ملك سليمان وقيل ان الملك وصل الى سليمان وهو ابن
 ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة فسبحان من يدوم ملكه وبقاؤه * ولما تم
 سبحانه وتعالى قصة سليمان ودأود عليهما السلام ذكر قصة صالح عليه السلام وهي القصة
 الثالثة بقوله تعالى (ولقد أرسلنا) أي بالثامن العظيمة (الى غود أخاهم) أي من القبيلة
 (صالحاً) ثم ذكر المقصود من الرسالة بما لا عدل منه ولا أحسن بقوله (ان اعبدوا الله) أي
 الملك الاعظم وحده ولا تشركوا به شيئاً ثم تعجب منهم بما أشارت اليه الفاء واذا المناجاة من
 المبادرة الى الافتراق بما يدعو الى الاجتماع بقوله (فاذا هم) أي غود (فريقان) وبين بقوله
 تعالى (بختصمون) انهم فرقة افتراق بكفر وایمان لافارقة اجتماع في هدى وعرفان وفريق
 صدق صالحا وتبعه وفريق استمر على شركه وكذبه وكل فريق يقول أنا على الحق وخصمي على
 الباطل ثم استعطف صالح عليه السلام على المكذبين بأن (قال) لهم (يا قوم لم تستجلبون) أي
 تطلبون العجلة بالاثبات (بالسينة) أي القى مسايتها ثابتة وهي العقوبة التي أذرت بها من كفر
 (قبل) الحالة (الحسنة) من الخيرات التي أبشركم بها في الدنيا والآخرة ان آمنتم والاستجبال
 طلب الاثبات بالامر قبل الوقت المضروب واستجبالهم لذلك بالاسرار على سببه وقولهم
 استمراء اتنا بما عهدنا وكانوا يقولون ان العقوبة التي يعدها صالح ان وقعت على زعمه بنا
 حينئذ واستغفروا فحينئذ يقبل الله تعالى توبتنا ويدفع العذاب عنا فخطأهم صالح عليه السلام
 على حسب عقولهم واعتقادهم فقال (لولا) أي هلا ولم لا (تستغفرون الله) أي تطلبون غفرانه
 قبل نزول العذاب فان استجبال الخير أولى من استجبال الشر (لعلكم ترجون) تنبيههم على
 الخطأ فيما قالوه فان العذاب اذا نزل بهم لا تقبل توبتهم * (تنبيه) * وصف العذاب بأنه سيئة
 مجازا ما لان العقاب من لوازمه أولا ولا يشبهه في كونه مكرها وأما وصف الرحمة بأنه احسنه
 فقيل حقيقة وقيل مجاز ثم ان صالحا عليه السلام لما قرأ لهم هذا الكلام الحق أجابوه
 بكلام فاسد بأن (قالوا) فطاظة وغلظة (اطيرنا) أي تشامنا (بك وبين معك) أي وبين
 آمن بك وذلك أن الله تعالى قد أسسك عنهم المطر في ذلك الوقت وخطوا فقالوا احل بنا هذا
 الضرر والشدة من شؤمك وشؤم أصحابك قال الزمخشري كان الرجل يخرج مسافرا فيمطر بطائر
 فيزجره فان مر سائحان تين وان مر بارحاشام قال الجوهرى السنج والساخ ما ولا يماينه
 من ظبي أو طائر أو غيرهما ويرح الظبي بروحا اذا ولاك مياسره يمر بمن لا يماينه الى مياسره
 والعرب تطير بالبارح وتتفاءل بالساخ فلما نسبوا الخير والشر الى الطائر استعير لما كان
 سبهما من قدر الله تعالى وقسمته * (تنبيه) * أصل اطيروا تطيرنا أو نغتم التاء في الطاء واجتلبت

حمزة وصل ثم أجابهم صالح عليه السلام بأن (قال) لهم (طائر كم) أي ما يصيبكم من خير
 وشتر (عند الله) أي الملك الأعظم المحيط بكل شيء علم وقدرته وهو قضاؤه وقدره وليس شيء منه
 يدغمه وسعى طائرا السرعة نزوله بالإنسان فانه لا شيء أسرع من قضاء محتموم وقال ابن عباس
 الشوم أنا كم من عند الله تعالى بكفركم وقيل طائر كم عملكم عند الله سعى طائر السرعة صعوده
 الى السماء ومنه قوله تعالى وكل إنسان ألزمناه طائره في عنقه (بل أنتم قوم نفوس) قال ابن
 عباس تحتبرون بالخير والشر كقوله تعالى وتبلوكم بالشر والخير فتنة وقال محمد بن كعب
 تعذبون وقيل بفسنكم الشيطان يوسوسه اليكم بالماير والمأخر الله تعالى عن عامة هذا الفريق
 بالشر تبه على بعض شرهم بقوله تعالى (وكان في المدينة) أي مدينة ثمود وهي الحجر (تسعة
 رهط) أي رجال وانما جازت به الرحمة بالرهط لانه في معنى الجماعة فكأنه قبل تسعة أنفس
 أو رجال كما قدرته والفرق بين الرهط والفرقة الثلاثة الى العشرة أو من السبعة الى
 العشرة والنفر من الثلاثة الى التسعة وأما وهم عن وهب الهذيل بن بدر بن غنم بن غنم
 رباب بن مهرج مصدع بن مهرج عمير بن كردبة عاصم بن محزومة سبيط بن صدقة سمعان
 ابن صفي قدار بن سالف وهم الذين سعو في عقر الناقة وكفوا عاتة قوم صالح وكانوا من أبناء
 أشرافهم ورأسهم قدار بن سالف وهو الذي تولى عقر الناقة وقوله (يفسدون في الارض)
 إشارة الى عموم فسادهم ودوامه وقوله (ولا يصالحون) يحتمل أن يكون مر كذا لا قوله ويحتمل أن
 لا يكون وهو الاول لان بعض المنسدين قد ينذر منه بعض الصلاح فنفي عنهم ذلك فليس شأنهم
 الا الفساد المحض الذي لا يخاطبه شيء من الصلاح ولما اقتضى السياق السؤال عن بعض حالهم
 أجاب بقوله (قالوا اتقوا الله) أي قال بعضهم لبعض اتقوا الله (أي الملك العظيم النبيته)
 أي صالحا (وأهله) أي من آمن به لنهلككم الجميع لانه فان البيات مباغاة العدو وليلا * (تنبيه) *
 محل نقاشهم اجزم على الامر ويجوز أن يكون فعلا ماضيا وحينئذ يجوز أن يكون مفسرا قالوا
 كأنه قيل ما قالوا فاقبل نقاشهم ويجوز أن يكون حالا على أضمار قد أي قالوا ذلك متقاسمين
 واليه ذهب الزمخشري (ثم لقنوا) أي بعد اهلاك صالح ومن معه (ولولاه) أي المطالب بدمه
 ان بقي منهم أحد (ما شهدنا) أي ما حضرنا (مهلك) أي اهلاك (أهله) أي أهل ذلك الولي فضلا
 عن أن نكون باشرنا وأهل صالح عليه السلام فضلا عن أن نكون شهدنا ما هلكه أو باشرنا
 قتله ولا موضع اهلاكه وقرأ حمزة والكسائي بعد اللام من لبيته بناء فوقية مضهونة وبعد
 الياء الخمسة بناء فوقية مضهونة وبعد اللام من لقنوا بناء فوقية مفتوحة وضم اللام بعد
 الواو والباقون بعد اللام من لقنوا بنون مفتوحة ونصب اللام من لقنوا وقرأ عاصم مهلك
 بفتح الميم والباقون بضم باء وكسر اللام خاص فتحها الباقيون ولما عموما على هذا الامر
 وطنوا أنفسهم على المبالغة في الحلف بقولهم (وانا الصادقون) أي في قولنا ما شهدنا مهلك أهله
 ذلك (فان قيل) كيف يكونون صادقين وقد جحدوا ما فعلوا فأجاب الخبر على خلاف الخبر عنه
 (أجيب) على التفسير الثاني بأنهم اعقدوا أنهم اذا يمتوا بالحيا ويتوا أهله فجمعوا بين

البياتين ثم قالوا ماشهم دنا مهلك أهله فذكروا أحدهما كانوا صادقين لأنهم فعلوا البياتين جميعاً إلا أحدهما وفي هذا دليل قاطع على أن الكذب قبيح عند الكفرة الذين لا يعرفون الشرع ونواهيهم ولا يخطر ببالهم إلا أنهم قصدوا قتل نبي الله ولم يرضوا الانفسهم أن يكونوا كاذبين حتى سقوا للصدق في خبرهم حيلة ينصون فيها عن الكذب ولما كان منهم عمل من لم يظن أن الله عالم به قال تعالى محذراً أمثالهم عن أمثال ذلك (ومكرًا ومكرًا) وهو ما أخذوه من تدبيرهم الفتنك لصالح وأهله (ومكرًا ومكرًا) أي جازي ناسهم على مكرهم بتجليل العقوبة (وهم لا يشعرون) أي لا يتجدد لهم شعور بما قد رواه عليهم شبه بمكر الماكر على سبيل الاستعارة وقيل إن الله تعالى أخبر صالحًا بمكرهم فحزرت عنهم فذال مكر الله تعالى في حقهم (فانظر كيف كان عاقبة مكرهم) في ذلك (أنادمرناهم) أي أهلكناهم (وقومهم أجمعين) روى أنه كان لصالح عليه السلام مسجد في الحجر في شعب يصل فيه فقالوا زعم صالح أنه يفرغ من آل ثلاثة فنحن نفرغ منهم ومن أهله قبل الثلاثة فخرجوا إلى الشعب وقالوا إذا جاء يصلي قتلناه ثم رجعنا إلى أهله فقتلناه ثم فبعث الله تعالى نخرة من أهضب جبالهم فبادروا إلى الشعب فطبقت النخرة عليهم فم الشعب فلم يدروا قومهم أين هم ولم يدروا ما فعل الله تعالى بهم وبقومهم وعذب الله تعالى كلانهم في مكانه بصيحة جبريل عليه السلام ورمتهم الملائكة بججارة يرونها ولا يرونهم وقال ابن عباس أرسل الله تعالى الملائكة تلك الليلة إلى دار صالح يحرسونه فأنى التسعة دار صالح شاهر بن سبيوفهم فرمتهم الملائكة بالججارة من حيث يرون الججارة ولا يرون الملائكة فقتلتهم وقال مقاتل نزلوا في سفح الجبل ينظر بعضهم بعضاً لما توادار صالح فخمى عليهم الجبل فأهلكهم وأهلك الله تعالى قومهم بالصيحة (فملاك يوتهم) أي غودكلهم (خاوية) أي خالية من خوى البطن إذا خلا أو ساقطة منه سمة من خوى النجم إذا سقط * (تسبه) * خاوية منصوب على الحال والعامل فيها معنى اسم الإشارة وقرأ الكوفيون أنادمرناهم بفتح الهمزة ما على حذف حرف الجر أي لا نادمرناهم وأما أن يكون خبر مبتدأ محذوف أي هي أنادمرناهم أي العاقبة تدمرنا أيهاهم وقيل غير ذلك والباقون بكسر الهمزة على الاستئناف وهو تنسير للعاقبة وقرأ ورش وأبو عمر ووحصص يوتهم بضم الباء الموحدة وكسرها الباقون ولما ذكر تعالى هلاكهم اتبعه بقوله تعالى (بما ظلموا) أي بسبب ظلمهم وهو عبادتهم من لا يستحق العبادة وتركهم من يستحقها ثم زاد في التحويل بقوله تعالى (إن في ذلك) أي هذا الأمر الباهر للعقول الذي فعل بشود (لآية) أي عبرة عظيمة ولكنا (لقرم يعلمون) قدر توافية غفلون أما من لا علم عنده فقد نادى على نفسه في عداد الهائم ولما ذكر تعالى الذين أهلكهم اتبعه بذكر الذين نجحهم فقال (وأنجيناً) أي بعظمتنا وقدرتنا (الذين آمنوا) وهم الفريق الذين كانوا مع صالح كلهم (وكالوايتقون) أي متصفين بالتقوى أيضاً فكانهم مجبولون عليه فيجعلون بينهم وبين ما يخط الله وقاية من الأعمال الصالحة * ولما ذكر تعالى قصة صالح عليه السلام اتبعها قصة لوط عليه السلام وهي القصة الرابعة بقوله تعالى (ولوطاً)

وهو ما منصوب عطفًا على صالح أي وأرسلنا لوطًا وما عطفًا على الذين آمنوا أي وأنجينا لوطًا وما باذكر مضمره ويبدل منه على هذا (اذ) أي حين (قال لقومه) أي الذين كان سكن فيهم لم يفارق عنه إبراهيم الخليل عليه السلام وصاهرهم وكانوا يأتون الأحداث منكرا وموجبا (أتأتون الفاحشة) أي الفعل المتناهية في الفحش (وأنتم تبصرون) من بصر القلب أي تعلمون فحشها واقتراف القبائح من العالم بقبحها أقبح أو يبصروا بضعكم من بعض لأنهم كانوا في ناديتهم يرتكبونها علمين لا يستتر بعضهم من بعض خلاعة ومجانة وأنهم ما كافي المعصية قال الزمخشري وكان أناس بنى على مذهبهم قوله

ويح باسم ما أتى وذرفى من الكنى * فلا خير في اللذات من دونها ستر

أو تبصرون آثار العصاة قبلكم وما نزل بهم (فان قيل) إذا فسر تبصرون بالعلم وبه بعد بل أنتم قوم تجهلون فكيف يكونون علماء جهلاء (أجيب) بأنهم يفعلون فعل الجاهلين بأنهم فاحشة مع علمهم بذلك أو يجهلون العاقبة أو أن المراد بالجهل السفاهة والمجانة التي كانوا عليها ثم عين ما أبهمه بقوله (أنسكم لتأتون) وقال (الرجال) إشارة إلى أن فعلهم هذه مما يعي الوصف ولا يبلغ كنه قبحها ولا يصدق ذو عقل أن أحدا يفعلها ثم غل ذلك بقوله (شهوة) أنزالهم إلى رتبة البهائم التي ليس فيها قصد ودل ولا عناف وقال (من دون النساء) إشارة إلى أنهم أسوأ من الطرفين في الفعل والترك وقوله (بل أنتم قوم تجهلون) تقدم في جواب تبصرون تفسيره (فان قيل) تجهلون صفة لقوم والموصوف لفظه لفظ الغائب فهل لا يثبت الصفة الموصوف (أجيب) بأنه قد اجتمعت الغيبة والمخاطبة فغلبت المخاطبة لأنها أقوى وأرفع أصلا من الغيبة وقرأ أنسكم نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسهيل الهزرة الثانية الفسوة كالباء وحققتها الباقيون وأدخل بينهما قالون وأبو عمرو والناس وهشام بخلاف عنه ولما بين تعالى جهلهم بين أنهم أجاوبوا بما لا يصلح أن يكون جوابا بقوله تعالى (فما كان جواب قومه) أي لهذا الكلام الحسن لم يكن لهم حجة ولا شبهة في دفعه (الأن قالوا) عدولا إلى المغالبة وتعاديا في الخبث (أخرجوا آل لوط) أي أهله وقالوا (من قريبتكم) منعليه بأسكانه عندهم وعلوا ذلك بقولهم (أنهم أناس يتطهرون) أي يتزهدون عن القاذورات كلها فيذكرون هذا العمل القدر ويغيظنا انكارهم وعن ابن عباس هو استهزاء أي قالوا تهكم بهم ولما وصلوا في الخبث إلى هذا الحد سب سبحانه وتعالى عن قولهم وفعلهم قوله تعالى (فأنجيناه وأهله) أي كلهم من أن يصلوا إليهم بأذى ويلحقهم من عذابنا (الأمرا أنه قدرناها) أي قضينا عليها وجعلناها بقدرنا (من الغابرين) أي الباقيين في العذاب وقرأ شعبة بخذف الدال والباقيون بالتشديد (وأعطينا عليهم مطرا) هو حجارة السهيل أي أهلكتهم ولذلك تسبب عنه قوله (فساء) أي فبئس (مطر المذريرين) بالعذاب مطرهم * ولما أتم سبحانه وتعالى هذه القصص الدالة على كمال قدرته وعظيم شأنه وما خص به رسله من الآيات والاتصاف من البعداء أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحمد الله على هلاك الأمم الخالية بقوله (قل) يا أفضل الخلق (الحمد)

أى الوصف بالا حاطة بصفات الكمال (الله) على اهلاك هؤلاء البعداء البغضاء وأن يعلم على من
اصطفاه بالعصمة من الفواحش والنجاة من الهلاك بقوله تعالى (وسلام على عباده الذين
اصطفى) أى اصطفاهم واختارهم فيهم فقال مقاتل هم الانبياء والمرسلون بدليل قوله تعالى
وسلام على المرسلين وقال ابن عباس في رواية أى مآلثهم أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم وقيل
هم كل المؤمنين من السابقين واللاحقين * (تنبيه) * سلام مبتدأ وسوغ لابتداء به كونه
دعاء ولما بين أنه تعالى أهلكهم ولم ين عنهم آلهتهم من الله شيئاً قال تعالى (الله) أى الذى له
الجل والاکرام (حبر) أى لعباده الذين اصطفاهم وانجأهم (أم ما ينشرون) أى الكفار
من الآلهة خيرا بعد اذهابهم لا يغنون عنهم شيئاً * (تنبيه) * لكل من التراء السبعة في هاتين
الهيئتين وجهان الأول تحقيق همزة الاستفهام وابدال همزة الوصل للسامع المذ والثاني
تحقيق همزة الاستفهام أيضا وتسهيل همزة الوصل مع القصص رقرأ أبو عمرو وعاصم
يشركون بالياء التهيئة بالغيبة حلا على ما قبله من قوله تعالى وأمطارنا عليهم مطارا وما بعده
من قوله تعالى بل أكثرهم والباقون بالياء التوقية على الخطاب وهو التثبات للكفار بعد
خطاب نبيه صلى الله عليه وسلم وهذا نص صريح للمشركين بجهلهم أنهم أثروا عبادة الاصنام
على عبادة الله تعالى ولا يؤثر عقل شيئا على شئ لا زيادة خيرة ومنفعة فتقبل لهم هذا الكلام
تنبيه لهم على نهاية ضلالهم وجهلهم وتكذيبهم وتغيبهم أروا لهم أن الله لا خير فيها
أشركوه رأسا حتى يوازنون بينه وبين من هو مبتدأ كل خير وروى أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان إذا قرأها قال بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم ثم عدد سبحانه وتعالى أنواعا من
الخيرات والمنافع التي هي آثار رحمته وفضله أنه قول منها قوله تعالى (ثم من خلق السموات
والارض) أى التي هي أصول الكائنات ومصادى المنافع (فان قيل) ما الفرق بين أم وأم في أم ما
يشركون وأم من خلق السموات (أجيب) بأن تلك متصلة لأن المعنى إيه ما خير هذه منقطع
بمعنى بل والهمزة لما قال الله خيرا أم الآلهة فقال بل أم من خلق السموات والارض خير من
لهم بأن من قدر على خلق العالم خيرا من جاد لا يقدر على شئ (وأرسل إليكم) أى لأجلكم
خاصة وأنتم تكفرون به وتسبون ما تفرده من ذلك غيره (من السماء ماء) هو للارض كالماء
الداق للارحام (فأنبأنا به حدائق) جمع حديقة وهي البستان وقيل النطقة من الارض
ذات الماء قال الراغب سميت بذلك تشبها بحديقة العين في الهيئة وحصول الماء فيها وقال غيره
سميت بذلك لاحدائق الجدران بها قوله ابن عادل وليس بشئ لأنه يطلق عليها ذلك مع عدم
الجدران (ذات همجة) أى بها وسن وروى في مسرور على تقارب أصولها مع اختلاف
أنواعها وتباين طعومها وأشكالها وقاديرها وألوانها ولما ثبت الالباب له تناف عن غيره
بقوله تعالى (ما كان) أى ماصح وما تصور بوجه من الوجوه (لكم) وأنتم أحياء فضلا
عن من كانكم الذين هم أموات بل موات (أن تنبأوا خبرها) أى تخبر تلك الحدائق
(أألهمع الله) اعانه على ذلك أى ليس معه اله (بل هم) أى في ادعائهم معه سبحانه شريكا

(قوم يعدلون) أى عن الحق الذى لا مزية فيه الى غيره وقيل يعدلون عن هذا الحق الظاهر ونظير هذه الآية أول سورة الانعام * الثانى منها قوله تعالى (أم من جعل الارض قرارا) وهو يدل من أم من خلق السموات وحكمه حكمه ومعنى قرار الاتمدا بأهلها وكان التباس يقتضى أن تكون هادئة ومضطربة كما يضطرب ما هو معلق فى الهواء ولكن الله تعالى أبدى بعضها من الماء بحيث يتأق استقرار الانسان والدواب عليها (وجعل خللا لها) أى وسطها (أنهارا) أى جارية على حالة واحدة فلو اضطربت الارض أدنى اضطراب لتغيرت مجارى المياه ثم ذكر تعالى سبب القرار بقوله تعالى (وجعل لها راسى) أى جبا لا أثبت بها الارض على ميزان دبره سبحانه وتعالى فى مواضع من أرجائها بحيث اعتدلت جميع جوانبها فاستغنت من الاضطراب ولما كان بعض مياه الارض عذبا وبعضها ملحا مع اقرب جدتين الله تعالى أن أحدهما لم يختلط بالآخر بقوله تعالى (وجعل بين البحرين) أى العذب والملح (حاجزا) من قدرته يمنع أحدهما أن يختلط بالآخر (أأله مع الله) أى الهيط علما وقدره معين له على ذلك (بل أكثرهم) أى الذين يتنفعون بهذه المنافع (لا يعلمون) توحيد ربهم بل هم كالبهائم لاعراضهم عن هذا الدليل الواضح * (تنبيه) فى قراءة أله المثل أشككه * الثالث منها قوله تعالى (أم من يجيب المضطر) أى المكروب وهو الذى أحوججه مرض أو فقر أو نازلة من نازل الدهر الى اللجاء والتضرع الى الله تعالى (إداعاه) وقت اضطرابه وعن ابن عباس هو المجهود وعن السدى هو الذى لا حول له ولا قوة (فان قيل) هذا يعم كل مضطر وكم مضطر يدعو فلا يجاب (أجيب) بأن اللام فيه للجنس لا للاستغراق ولا يلزم منه اجابة كل مضطر وقوله تعالى (ويكشف السوء) كالتفسير للاستجابة وانه لا يقدر أحد على كشف ما وقع له من فقر الى غنى ومرض الى صحة الا القادر الذى لا يجزئه شئ والقاهر الذى لا ينازع والاضافة فى قوله تعالى (ويجعلكم خلفاء الارض) بمعنى فى أى يخلف بعنكم بعضها لا يزال يجدد ذلك باهلاك قرن وانشاء آخر الى قيام الساعة (أأله مع الله) أى الملك الذى لا كفوله ثم استأنف التكبىة تنظيها له ومواجهها بقوله تعالى (قل لا ما يدركون) أى يعاؤون وقرأ أبو عمرو وهشام بالياء التحصية على الغيبة والباقون بالخطاب وفيه ادغام التاء فى الذال وما زائدة لتفليل القليل * الرابع منها قوله تعالى (أم من يدريك) أى يرشدكم الى مقاصدكم (فى ظلمات البر) أى بالتجوم والجمال والرياح (والبحر) بالتجوم والرياح (ومن يرسل الرياح) أى التى هى دلائل السير (نشرا) أى تنشر السحاب وتجمعها (بين يدي رحمة) أى التى هى المطر نسمة للمسيب باسم السبب والرياح التى يهتدى بها فى المقاصد أربع اتى من نجاه الكعبة الصبا ومن ورائها الدبور ومن جهة يمينها الجنوب ومن شمالها الشمال ولكل منها طبع فالصبا حارة يابسة والدبور باردة رطبة والجنوب حارة رطبة والشمال باردة يابسة وهى ريح الجنة التى تهب على أهلها جعلنا الله ووالديننا ومشايخنا وأصحابنا ومن انتفع بشئ من هذا التفسير ودعا لنا بالمغفرة منهم وقرأ حمزة والكسافى وابن كثير الريح

بالافراد والباقيون بالجمع وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ونشر ابيض النون والشين وابن عامر
 بضم النون وسكون الشين وحزرة والكسائي بفتح النون وسكون الشين وعاصم بالياء الموحدة
 مضهومة وسكون الشين ولما انكشف بما مضى من الايات ما كانوا في ظلامه من واهي
 الشبهات وانضمت الادلة ولم يبق لاحد في شيء من ذلك علة كثر سبحانه وتعالى الانكار في قوله
 تعالى (ألم مع الله) أي الذي كل علمه (تعالى الله) أي الفاعل القادر المختار (عما
 يشركون) به غيره وأين رتبة العجز من رتبة القدرة * الخامس منها قوله تعالى (ألم من يبدأ
 الخلق) أي كلهم في الارحام من نقطة ما علمتهم منهم وعالم تعلموا (ثم يعيده) أي بعد الموت
 لان الاعادة أهون (فان قيل) كيف قيل لهم ثم يعيده (أجيب) بأنهم كانوا
 مقرين بالابتداء ودلالته على الاعادة ظاهرة قوية لان الاعادة أهون عليه من الابتداء فلما
 كان الكلام مقرونا بالدلالة الظاهرة صاروا كأنهم لا يذنبون لهم في انكار الاعادة لقيام
 البراهين عليها ولما كان الامطار والانبات من أدل ما يكون على الاعادة قال مشبرا اليهم ما على
 وجهه عم جميع ما مضى (ومن يرزقكم من السماء) أي بالمطر والحز والبرد وغيرها مما له
 سبب في التكوين أو التلوين (والارض) أي بالنبات والمعادن والحیوان وغيرها مما
 لا يعلمه الله تعالى وعبر عنها بالرزق لان به تمام النعمة (ألم مع الله) أي الذي له صفات
 الجلال والاكرام ولما كانت هذه كلها براهين ساطعة ودلائل قاطعة أمر الله تعالى رسوله
 صلى الله عليه وسلم اعراضا عنهم بقوله تعالى (قل) أي لهؤلاء المدعين للعقول (هاؤنا
 برهانكم) أي جحتمكم على نبي شيء من ذلك عن الله تعالى أو على اثبات شيء منه لغيره (ان كنتم
 صادقين) أي في أنكم على حق في أن مع الله تعالى غيره وأضاف تعالى البرهان اليهم تمكيا بهم
 وتنبيهاعلى أنهم أبعدوا في الضلال وأغرقوا في المحال ثم انهم سألوه عن وقت قيام الساعة فنزل
 (قل) أي لهم (لا يعلم من في السموات والارض) من الملائكة والناس (الغيب) أي
 ما غاب عنهم وقوله تعالى (الا الله) استثناء منقطع أي لكن الله يعلمه ولما كان الله تعالى
 منزها عن أن يحويه مكان جعل الاستثناء هنا منقطعا (فان قيل) من حق المنقطع النصب
 (أجيب) بأنه رفع بدلا على لغة بني تميم يقولون ما في الدار أحد الا جار يريدون ما فيها الا حجار
 كان أحدا لم يذكر ومنه قولهم ما تأتي زيد الا عمرو وما أعانته اخوانكم الا اخوانه (فان قيل)
 ما الداعي الى المذهب التميمي على الحجازي (أجيب) بأنه دعت اليه حاجة سرية حيث أخرج
 المستثنى مخرج قوله الا البعافير بعد قوله ليس بها أنيس * الا البعافير والا انيس ليؤل المعنى
 الى قولك ان كان الله بمن في السموات والارض فهم يعلمون الغيب بمعنى أن علمهم الغيب
 في استحالة كاستحالة أن يكون الله منهم كما أن معنى ما في البيت ان كانت البعافير أنيسا فبها
 أنيس انباء عن خلوها عن الانيس وبصح أن يكون متصلا والظرفية في حقه تعالى مجاز بالنسبة
 الى علمه وان كان فيه جمع بين الحقيقة والجاز كما قال به امامنا الشافعي رضي الله تعالى عنه وان
 منعه بعضهم ومن ذلك قول المتكلمين الله تعالى في كل مكان على معنى أن علمه في الاماكن كلها

فكان ذاته فيها وعلى هذا فيرتفع على البذل والصفة والرفع أقصع من النصب لانه منقوع وعن عائشة رضي الله تعالى عنها من زعم أنه يعلم ما في غد فقد أعظم على الله الفرية والله تعالى يقول قل لا يعلم من في السموات والارض الغيب الا الله وعن بعضهم أخفى غيبه عن الخلق ولم يطلع عليه أحد الا من آمن أحد من عبده مكره وقوله تعالى (وما يشعرون) صفة لاهل السموات والارض نبي أن يكون لهم علم بالغيب وان اجتمعوا وتعاونوا (آيات) أى أى وقت (يعنون) أى ينشرون وقوله تعالى (بل) بمعنى هل (أدرك) أى بلغ وتناهى (علمهم في الآخرة) أى بها حتى سألوها عن وقت مجيئها ليس الامر كذلك (بل هم في شك) أى ريب (منها) كمن تحير في الامر لا يجد عليه دليلا (بل هم منها عيون) لا يدركون دلائلها الاختلال بصيرتهم وهذا وان اخص بالمشركين من في السموات والارض نسب الى جميعهم كما يستند فعل البعض الى الكل (فان قيل) هذه الانشابات الثلاثة مامعناها (أجيب) بأنها التنزيل أحوالهم وصفهم أولا بآتهم لا يشعرون بوقت البعث ثم بآتهم لا يعلمون أن القيامة كائنة ثم بآتهم يخبطون في شك ومريبة فلا يزالونه والازالة مستطاعة ثم بما هو أسوأ حالا وهو العمى وأن يكون مثل البهيمة قد عكف همه على بطنه وفرجه لا يخطر بباله حق ولا باطلا ولا يفكر في عاقبة وقد جعل الآخرة مبدء أعمالهم ومنشأ فلذلك عدا من دون عن لأن الكفر بالعاقبة والجزاء هو الذي جعلهم كالبهائم لا يتدبرون ولا يبصرون ووصفهم باستحكام علمهم في أمر الآخرة تمكينا وقرأ أبو عمرو وابن كثير يقطع الهمزة مفتوحة وسكون اللام قبلها وسكون الدال بعدها والباقون بكسر اللام واستقاط الهمزة بعدها وتشديد الدال وبعدها ألف بمعنى تتابع حتى استحكم أو تتابع حتى انقطع من تدارك بنو فلان اذا تتابعوا في الهلاك وقوله تعالى (وقال الذين كفروا أنذا كنا آباءا وبنونا أننا) أى نحن وآباؤنا الذين طال العهد بهم (الخروجون) كالنبات والعامر في اذا محذوف يدل عليه مخرجون تقديره نبعث ونخرج لآتين يدي عمل اسم المفعول فيه عقبات وهي همزة الاستفهام وانا ولام الابتداء وواحدة منها كافية فكيف اذا اجتمعت والمراد الاخراج من الارض أو من حال الفناء الى حال الحياة وتكرير حرف الاستفهام بادخاله على اذا وانا جمعا انكار على انكار وجود عقب بجود دليل على كفر مؤكدم بالغ فيه والضمير في انالهم ولا بآتهم لان كونهم ترابا قد تناولهم وآباءهم * (تنبيه) * آباءا عطف على اسم كان وقام الفصل بالخبر مقام الفصل بالتوكيد وقرأ نافع بالخبر في اذا وبالاستفهام في اننا وابن عامر والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وزاد افسه فونا ثانية وباقي القراء بالاستفهام في الاول والثاني وهم على مذاهبهم من التسهيل والتحقيق والمتوالف فذهب قالون وأبي عمرو والتسهيل في الهمزة الثانية وادخل ألف بينهما وبين همزة الاستفهام ومذهب ورش وابن كثير التسهيل وعدم الادخال ومذهب هشام الادخال وعدمه مع التحقيق ومذهب الباقي التحقيق وعدم الادخال ثم أقام الكفار الدليل في زعمهم على ذلك فقالوا تعليلا لا استبعادهم (لقد وعدنا هذا) أى الاخراج

من القبور كما كنا أول مرة (نحن وآباؤنا من قبل) أى قبل محمد فقد دمرت الدهور على هذا الوعد ولم يتبع منه شئ فذلك دليل على أنه لا حقيقة له فكأنه قيل فما فائدة المراد به فقالوا (إن) أى ما (هذه الأساطير لا أولين) أى أحاديثهم وأكاذيبهم التى كبروها ولا حقيقة لها * (تنبيه) * أساطير الأولين جمع أسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (فان قيل) لم قدم فى هذه الآية هذا على نحن وآباؤنا وفى آية أخرى قدم نحن وآباؤنا على هذا (أجيب) بأن التقدم دليل على أن المتقدم هو الغرض المقصود بالذكر وإن الكلام انما سبق لاجل نفى احدى الآيتين دل على أن إيجاد البعث هو الذى تقدم به الكلام وفى الأخرى على أن إيجاد المبعوث بذلك الصدم ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يرشدهم بحافى صورة التهديد بقوله تعالى (قل سِيرُوا فِي الْأَرْضِ) أى أيها العمى الجاهلون (فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بأنكارهم وفى هلا كهـم بالعذاب فانكم ان نظرتهم وتأملت أخبارهم حق التأمل أسرع بكم ذلك الى التصديق فنجوت والاهلكتم كما هلكوا وأراد بالمجرمين الكافرين (فان قيل) فلم يقل عاقبة الكافرين (أجيب) بأن هذا يحصل به التعريف لكل العصاة ثم إن الله تعالى صبر نبيه صلى الله عليه وسلم على ما يناله من جلافتهم وعماهم عن السبيل الذى هدى اليه الدليل بقوله تعالى (ولا تحزن عليهم) أى فى عدم إيمانهم فانما عليك البلاغ (ولا تنكس فى ضيق مما يمكرون) أى لا تهتم بمكرهم عليك فانما ناصرك عليهم وجعل تدبيرهم فى تدبيرهم كطغاة قوم صالح * (تنبيه) * الضيق المخرج يقال ضاق الشئ ضيقا وضيقا بالفتح والكسر ولهذا قرأ ابن كثير بكسر الصاد والباءون بالفتح ولما أشار تعالى الى أنهم لم يفتقروا فى المبالغة فى التكذيب بالساعة وجهها أشار تعالى الى أنهم فى التكذيب بالوعيد بالساعة وغيرها من عذاب الله أشد مبالغة بقوله تعالى (ويقولون) بالمضارع المؤذن بالتجدد كل حين والاستمرار (مضى هذا الوعد) أى العذاب والبعث والمجازاة الموعود بها وسعوه وعدا اظهار الجميعة ثم كابه (ان كنتم) أى أنت ومن تبعك (صادقين) فيه ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يحيبهم بقوله تعالى (قل) لهم عسى أن يكون ردف لكم أى نعمكم وردفكم ولحقكم فاللام مزيدة على هذا التأكيد كالباء فى قوله ولا تلقوا بأيديكم ويضح أن يكون تضمن ردف معنى فعل فتعدى باللام فهو دافق وأردف وبهذا فسر ابن عباس وقد عدى عن فى قول السائل فلما ردفنا من غير وجهه * فلو اسرعا والمنية تعنى

يعنى دنونا من غير (بعض الذى نستعملون) أى فصل لهم القتل يدروا بقاى العذاب بأقرب بعد الموت * (تنبيه) * عسى وأعمل وسوف فى مواعيد الملوك كالجزم بها وانما يطلقون اظهار الوفا لهم وأشعارا بأن الرمز منهم كالتصريح من غيرهم وعليه جرى وعد الله ووعده ولما كان التقدم رفاً ربك لا بهل على هذا العاصى بالانتقام مع تمام قدرته عطف عليه (وان ربك) أى المحسن اليك بالحلم على أمتك (لذو فضل) أى بفضل وانعام (على الناس) أى كافة (ولكن أكثرهم لا يشكرون) أى لا يعرفون حق النعمة ولا يشكرونه بل

يستجملون بجهلهم العذاب قال ابن عادل وهذه الآية تبطل قول من قال لا نعمة لله على كافر
(وان ربك) أى والحال انه (لعل ما تكفى) أى تضمر وتسر وتحفى (صدرهم) أى
الناس كلهم فضلا عن قومك (وما يعلنون) أى يظهرون من عداوتك وغيرهافيما بينهم على
ذلك (وما من غائبة في السماء والارض) أى في أى موضع كان منهما وأمردهما دلالة على ارادة
الجنس الشامل لكل فرد* (تنبيه) في هذه التاء قولان أحدهما أنها لامبالغة كراوية وعلامة
في قولهم ويل للشاعر من راوية السوء كأنه تعالى قال وما من شيء شديد الغيبوبة والخفاة الا وقد
علمه الله تعالى * والثاني أنها كالتاء الداخلة على المصادر نحو العاقبة والعافية قال
الزمخشري وتظيرها الذبيحة والنطيحة والرمية في أنها أسماء غير صفات (الآتي كتاب) هو
اللوح المحفوظ كتب فيه ذلك قبل ايجاده لانه لا يكون شيء الابعة وتقديره (مبين) أى ظاهر
لمن ينظر فيه من الملائكة * ولما تم تعالى الكلام في اثبات المبدأ والمعاد ذكر بعده ما يعلق
بالنبوة بقوله تعالى (ان هذا القرآن) أى الآتي به هذا النبي الامي الذي لم يعرف قبله علما
ولا خاط عالما (يقص على بني اسرائيل) أى الموجودين في زمان نبينا صلى الله عليه وسلم
(أكثر الذي هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين وان بالغوا في كتمه كقصه الزاني المحصن
في اخفاءهم ان حده الرجم وقصة عزيز والمسيح واخراج النبي صلى الله عليه وسلم ذلك مما في
توراتهم فصع بحقيقة على لسان من لم يعلم قط نبوته صلى الله عليه وسلم لان ذلك لا يكون
الامن عند الله ثم وصف تعالى فضل هذا القرآن بقوله تعالى (وانه لهدى) أى من الضلالة
لما فيه من الدلائل على التوحيد والحشر والنشر والنبوة وشرح صفات الله تعالى (ورحمته)
أى نعمة واكرام (للمؤمنين) أى الذين طبعهم على الايمان فهو صفة لهم راحة كأنه
للكافرين وقرى آذانهم وبمى في قلوبهم * ولما ذكر تعالى دليل فضله أتبعه دليل عدله بقوله
تعالى (ان ربك) أى المحسن اليك بما يصل اليه أحد (يقضى بينهم) أى بين جميع
المختلفين (بحكمه) أى الذي هو أعدل حكم وأتقنه وأنفذه (فان قيل) القضاء والحكم
شيء واحد فتوله تعالى يقضى بينهم بحكمه أى بما يحكم به كقوله يقضى بتضائه ويحكم بحكمه
(أجيب) بأن معنى قوله تعالى يحكمه أى بما يحكم به وهو عدله لانه لا يقضى الا بالعدل فسمى
المحكوم به حكما أو أراد بحكمته (وهو) أى والحال أنه هو (العزيز) أى فلا يرده لأمر
(العليم) فلا يخفى عليه سر ولا جهر فلما ثبت له تعالى العلم والحكمة والعظمة والقدرة تسبب
عن ذلك قوله تعالى (فمولى على الله) أى ثوبه لتدع الامور كلها اليه وتستريح من تحمل
المشاق وثوقا بنصره ثم عدل ذلك بقوله تعالى (انك على الحق المبين) أى البين في نفسه الموضع لغيره
فصاحب الحق حقيق بالوثوق بحفظ الله تعالى ونصره وقوله تعالى (انك لاتسمع المولى)
تعليل آخر لا امر بالتوكل من حيث انه يقطع طمعه من معاصدته وانما شبهوا بالمولى لعدم
انتفاعهم باستماع ما يتلى عليهم كما شبهوا بالصم في قوله تعالى (ولاتسمع الصم الدعاء اذا ولوا
مدبرين) أى معرضين (فان قيل) ما معنى قوله تعالى ولوا مدبرين (أجيب) بأنه تأكيد لحال

الاصم لانه اذا تبعه عن محل الداعي بأن قولى عنه مدبرا كان أبعد عن ادراك صوته وقرأ
 ابن كثير ولا يسمع بالياء التحية المقنوعة وفتح الميم الصم برفع الميم والباقون بالتاء النوقية
 مضمومة وكسر الميم الصم بالنصب وسهل نافع وابن كثير وأبو عمر والهمزة الثانية من الدعاء
 اذا كالياء مع تحقيق الاولى والباقون بضمهم على مراتبهم في المدة ثم قطع طمعه في
 ايمانهم بقوله تعالى (وما أنت بهادى العمى) أى فى أبصارهم وبصائرهم من يلاهم وناقلا
 ومبعدا (عن ضلالهم) أى عن الطريق بحيث تحفظهم عن أن يزولوا عنها أصلا فإن هذا
 لا يقدر عليه الا الحى القيوم وقرأ حزة تهدى بناء فوقية وسكون الهاء والعمى بنصب الياء
 والباقون بالياء الموحدة مكسورة وفتح الهاء بعدها ألف والعمى بكسر الياء ولما كان هذا
 رعبا وقف عن دعائهم رجاء فى اتقيادهم وارعواهم بقوله تعالى (أن) أى ما (تسمع) أى
 سماع الانتفاع على وجه الكمال فى كل حال (الامن يؤمن) أى من علمنا أنه يصدق (بأياتنا)
 بأن جعلنا فيه قابلية السمع ثم نسب عنه قوله دليل على ايمانه (فهم سملون) أى مخلصون
 فى غاية الطوعية لك كفى قوله تعالى بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن أى جعله سالما خلاصا
 ثم ذكر تعالى ما يوعدون مما تقدم استجابه لهم له استهزاء بقوله تعالى (واذا وقع القول عليهم)
 أى مضمون القول وهو ما وعدوا به من قيام الساعة والعذاب ووقوعه حصوله أو أطلق
 المصدر على المفعول أى المقول (أخرجنا) أى بالنا من العظمة (لهم) حين مشاركة
 العذاب والساعة وظهور أمر اطها حين لا تنفع التوبة (دابة من الارض) وهى الحساسة
 جاء فى الحديث ان طولها ستون ذراعا لا يدركها طالب ولا يقوتها هارب وروى ان لها أربع
 قوائم وزغبها وهوشعر أصفر على ريش الفرج وربشا وجناحين وعن ابن جريج فى وصفها
 فقال رأسها رأس الثور وعينها عين الخنزير وأنها أذن فيل وقرنها قرن ابل وعنقها عنق
 نعامة وصدرها صدر أسد ولونها لون غر وخصرها خصرة هرة وذنبها ذنب ككش
 وخفيها خف بعير وما بين المفصلين اثنا عشر ذراعا بذراع آدم عليه السلام وروى أنها
 لا تخرج الارأسها ورأسها يبلغ عنان السماء أى يبلغ السحاب وعن أبي هريرة فيها من كل لون
 وما بين قرنيها فرسخ للركب وعن الحسن لا يتم خروجها الا بعد ثلاثة أيام وعن علي رضى
 الله تعالى عنه أنها تخرج ثلاثة أيام والناس يتظرون فلا تخرج الاثلثا وروى انه صلى الله
 عليه وسلم سئل من أين تخرج الدابة فقال من أعظم المساجد حرمة وأكرمها على الله فأيهم ولهم
 الاخر وجها من بين الركن حذاء دار بنى مخزوم عن عيينة الخارج من المسجد فقوم يهربون
 وقوم يقنون نظارا وقبل تخرج من الصفا ولما كان التعبير بالدابة يفهم أنها كالحيوانات
 العجم لا كلام لها قال (تكلمهم) أى بالعربية كما قاله مقاتل يكلام يفهمونه بلسان طلق ذلك
 فتقول (ان الناس كانوا بآياتنا لا يؤقنون) أى ان الناس كانوا لا يؤقنون بخروجى لان
 خروجها من الآيات وتقول ألعنة الله على الظالمين وعن السدى تكلمهم ببيان الاديان
 كلها سوى دين الاسلام وعن ابن عمر تستقبل المغرب فتصرخ صرخة تنفله ثم تستقبل

المشرق ثم الشام ثم اليمن ففعل مثل ذلك وروى أنهم اتخرج من أحياد روى بينا عيسى
عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون اذ تضطرب الارض تحتهم تحرك القنديل وينشق
الصفام يلى المسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها عصا موسى وخاتم سليمان فتضرب
المؤمن في مسجده أو فيما بين عينييه بعصا موسى فتسكت نكتة يضاء قفص تلك النكتة في
وجهه حتى يضي لها وجهه أو تترك وجهه كأنه كوكب دري وتكتب بين عينييه مؤمن
وتسكت الكافر بالخاتم في أنفه فتفسد النكتة حتى يسود لها وجهه وتكتب بين عينييه كافر
وروى فجعل وجه المؤمن بالعصا وتخطم أنف الكافر بالخاتم ثم تقول لهم يا فلان أنت من
أهل الجنة يا فلان أنت من أهل النار وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
بادروا بالأعمال ستا طلع الشمس من مغربها والدجال والدخان والدابة وخاصة أحدكم
وأمر العامة وقال صلى الله عليه وسلم أن أول الآيات خروج طالع الشمس من مغربها وخروج
الدابة على الناس ضحى وأنها كانت قبل صاحبها فالأخرى على أثرها وقال صلى الله
عليه وسلم للدابة ثلاث خرجات من الدهر فتخرج خروجا بقصى اليمن فيفسد ذكرها في البادية
ولا يدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم تكمن زمانا طويلا ثم تخرج خروجا أخرى قريبا من مكة
فيفسد ذكرها بالبادية ويدخل ذكرها القرية يعني مكة ثم بينا الناس يرمقون أنظم المساجد على
الله حرمة وأكرمها على الله عز وجل يعني المسجد الحرام لم يرعهم الا وهى في ناحية المسجد تدنو
وتدنو قال الراوى ما بين الركن الاسود الى باب بنى مخزوم عن عيين الخارج من المسجد
في وسط من ذلك فارفض الناس عنها وثبتت لها صابغة عرفوا أنهم لم يعجزوا والله فخرت عليهم
تنفض رأسها من التراب فرت فجلت عن وجوههم حتى تركتها كأنهم الكواكب الدرية ثم وارت
في الارض لا يدركها طالب ولا يعجزها هارب حتى ان الرجل ليقوم فيسجدونها بالصلاة فتأنيه
من خلفه فتقول يا فلان الآن تصلى فيقبل عليها بوجهه فتسجد في وجهه فيتجاور الناس في
ديارهم ويصطحبون في أسفارهم ويشتركون في الاموال ويعرف الكافر من المؤمن فيقتال
للمؤمن يامؤمن وللکافر ياکافر وعن علي رضي الله تعالى عنه انه قال ليست بدابة لها ذنب
ولكن لها الحية يشير الى أنها رجل والا كثرون على أنها دابة وعن ابن عباس انه قرع الصفا
بعصا وهو محرم وقال ان الدابة لتسمع قرع عصا هذه وعن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال بش الشعب شعب أحياء مرتين أو ثلاثا قيل لم ذاك يا رسول الله قال تخرج منه
الدابة فتصرخ ثلاث صرخات يسمعه من بين الخافقين وقال وهب وجهها وجه الرجل
وسائر خلقها خلق الطير فتعبر من يراها أن أهل مكة كانوا يجمعون القرآن لا يوقنون وقرأ
الكوفيون بفتح الهمزة من أن على تدبير الباء أي بأن الناس الخ والباقون بضم مرها على
الاستئناف (ويوم نحشر) أي الناس على وجه الاكراه قال أبو حيان الحشر الجمع على عنف
(من كل أمة) أي قرن (قوجا) أي جماعة (من يكذب بآياتنا) أي وهشم رؤسائهم
المتبعون (فهم يوزعون) أي يجمعون يرد آخرهم الى أولهم وأطرافهم على أوساطهم

لستحقوا ولا يشذ منهم أحد ولا يزالون كذلك (حتى اذا جاؤا) الى مكان الحساب (قال)
 أي الله تعالى لهم (ألكذبتن) أي أنبأتني (بآياتي) التي جاؤا بها (و) الحال أنكم
 لم تحيطوا بها) أي من جهة تكذيبكم (علما) أي من غير فكر ولا نظر يؤدى الى الاحاطة بما
 في معانيها وما أظهرت لاجله حتى تعلموا ما تستحقه وما يليق به بدليل الامر به فيه وأم في قوله
 تعالى (أم ماذا) منقطعة وقد تقدم حكمها وماذا يجوز أن يكون برمتها استقها ما منصوبا
 بـ تعلمون الواقع خبرا عن كنتم وأن تكون ما استقها مية مبتدأ وذا موصول خبره والصلة
 (كنتم تعملون) وعائده محذوف أي أي شيء الذي كنتم تعملونه (ووقع القول) أي وجب
 العذاب الموعود (عليهم بما ظلموا) أي بسبب ما وقع منهم من الظلم من صريح التكذيب
 وما ينشأ عنه من الضلال في الاقوال والافعال (فهم لا ينطقون) قال قتادة كيف ينطقون
 ولا حجة لهم نظيره قوله تعالى هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون وقيل لا ينطقون لأن
 أفواههم مخنومة ثم الله تعالى لما خوفهم بأحوال القيامة ذكر كلاما يصلح أن يكون دليلا على
 التوحيد والحشر ولى النبوة بالغلة في الارشاد الى الايمان والمنع من الكفر فقال (آلم تروا)
 مما يناديهم على قدر تعالى بعثهم بعد الموت وعلى كل ما أخبرناهم به (انا جعلا) أي بعظمتنا الدالة
 على نفوذ امرنا واداننا فعلننا بالاختيار (الدليل) أي مظلما (ليسكنوا فيه) عن الانتشار (والنهار
 مبصرا) أي يصرف فيه ليتصرفوا فيه ويتبعوا من فضل الله فحذف من الاول ما ثبت نظيره
 في الثاني ومن الثاني ما ثبت نظيره في الاول اذ التقدير جعلنا الدليل مظلما كما رتبنا السكونا فيه
 والنهار مبصرا ليتصرفوا فيه كما رتبنا فحذف مظلما لدلالة مبصرا ولتصرفوا لدلالة ليسكنوا فيه وقوله
 تعالى مبصرا كقوله تعالى آية النهار مبصرة وقد تقدم الكلام على ذلك في الاسراف قال الرحمن شري
 فان قلت ما للتعاقب لم يراع في قوله تعالى ليسكنوا ومبصرا حيث كان أحدهما علة والاخر حالا
 قلت هو مراعى من حيث المعنى وهكذا النظم المطبوع غير المتكلف لأن معنى مبصرا
 ليسكنوا فيه طرق القلب في المكاسب وأجاب غيره بأن السكون في الليل هو المقصود ولأن
 وسيله الى جلب المنافع الدينية والدنيوية (أن في ذلك) أي هذا المذكور (آيات) أي
 دلالات بينة على التوحيد والبعث والنبوة وغير ذلك وخص المؤمنين بقوله تعالى (لقوم
 يؤمنون) لأنهم المتقنون به وان كانت الأدلة لكل كقوله تعالى هدى للمتقين ولما ذكر تعالى
 هذا الحشر الخاص والدليل على مطلق الحشر ذكر الحشر العام بقوله تعالى (ويوم ينفخ) أي
 بأبصارهم (في الصور) أي القرن ينفخ فيه اسرافيل عليه السلام (ففرع) أي فصعق كما قال
 تعالى في آية أخرى فصعق (من في السموات ومن في الارض) أي كلهم فماتوا والمعنى أنه يليق
 عليهم الفرع الى أن يموتوا وقبل ينفخ اسرافيل في الصور ثلاث نفخات نفخة الفرع ونفخة
 الصمق ونفخة القيام لرب العالمين (فان قيل) لم قال الله تعالى فرع ولم يقل في فرع (أجيب) بأن
 في ذلك نكتة وهي الاشعار بتحقيق الفرع وشبوهه وأنه كائن لاحالة واقع على أهل السموات
 والارض لأن الفعل الماضي يدل على وجود الفعل وكونه مقطوعا به والمراد فزعهم عنه

النفخة الاولى حين يبعثون (الامن شاء الله) أى المحيط علما وقدرة وعزوة وعظمة أن لا يفرغ
 روى أنه صلى الله عليه وسلم سأل جبريل عنهم فقال هم الشهداء يتقلدون أسيا فهم حول العرش
 وعن ابن عباس هم الشهداء لانهم أحياء عند ربهم لا يصل الفزع اليهم وعن مقاتل هم جبريل
 وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ويروى أن الله تعالى يقول لملك الموت خذ نفوس
 اسرافيل ثم يقول الله تعالى من بقى يملك الموت فيقول سبحانه ربى تباركت وتعاليت بقى
 جبريل وميكائيل وملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفوس ميكائيل ثم يقول الله تعالى من بقى
 يملك الموت فيقول سبحانه ربى تباركت وتعاليت بقى جبريل وملك الموت فيقول ملك الموت
 الموت فيقول يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك
 الباقي الدائم وجبريل الميت الثاني قال يا جبريل لا بد من موتك فيقع ساجدا يخشع بجماعة حية
 فيروى أن فضل خلقه على خلق ميكائيل كالطود العظيم وروى أنه بقى مع هؤلاء الاربعة
 حلة العرش ثم روح اسرافيل ثم روح ملك الموت وعن الصادق هم رضوان والخور ومالك
 والزبانية عليهم السلام وقيل عقارب النار وحياتها (وكل) أى من فزع ومن
 لم يفرغ (أنوه) أى بعد ذلك للحساب بنفخة أخرى يقيمهم بها وفى ذلك دليل على تمام قدرته
 تعالى فى كونه أقامهم عليه أماتهم (داحرين) أى صاغرين وقرأ حفص وحزرة بقصر
 الهمة وفتح التاء على انه فعل ماض وفعوله الهاء فالتعبير به لتحقيق وتوعبه والباقيون بعد
 الهمة ضم التاء على انه اسم فاعل مضاف للهاء وهذا جل على معنى كل وهى مضافة تقديرا
 أى وكاهم ولما ذكر تعالى دخورهم اتيه بدخور ما هو أعظم منهم بقوله تعالى (وترى الجبال)
 أى تبصرها وقت النفخة والخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ليكون أنفذ الناس بصرا وأنورهم
 بصيرة أولئك أحد (تجسبها) أى تظنها (جامدة) أى قائمة بآبته فى مكانها لا تتحرك لان
 الاجرام الكبار اذا تحركت فى سميت واحدا لا تسكاد تتبين حركتها (وهى تتر) أى تسير حتى تقع
 على الارض فتسوى بها صبوة ثم تصير كالعين ثم تصير بها منورا وأشار تعالى الى
 أن سيرها خفي وان كان حينئذ بقوله تعالى (مزالجها) أى مزالجها لا يدرك على ما هو
 عليه لانه اذا طبق الجو لا يدرك سيره مع انه لا شك فيه والام تكشف الشمس باللبس
 وكذلك كبير الجرم أو كثير العدد بقصر عن الاحاطة به لبعده ما بين أطرافه والكثرة البصر
 والناظر الخادق يظنه واقفا وقرأ تجسبها بكسر السين نافع وابن كثير وأبو عمرو
 والكسائي وفتحها الباقيون وقوله تعالى (صنع الله) مصدر مؤ كدلفه ونون الجلة قبله أضيف
 الى فاعله بعد حذف عامه الى صنع الله ذلك صنعا ثم زاد فى التعظيم بقوله لا اعلى تمام الاحكام
 فى ذلك الصنع (الذى اتقن) أى أحكم (كل شئ) صنعته ولم يثبت هذا على هذا
 الوجه المتقن والنظام الامكن أتيج قطعاً قوله تعالى (انه) أى الذى اتقن هذه الامور (خير
 بما يشعرون) أى عالم بظواهر الاحوال وبواطنها ليجازيهم عليها كما قال تعالى (من جاء
 بالهتنة) أى الكاملة وهى الايمان وعن ابن عباس الهتنة كلمة الشهادة (فله خير) أى

أفضل (منها) مضاعفاً قل ما يكون عشرة أضعاف الى ما لا يعلمه الا الله تعالى وقيل له خير
 حاصل من جهتها وهو الجنة وفسر الجلال المحلى الحسن ببلالة الله وقال في فله خير منها أى
 يسببها فليس للفضل الاذافعل خير منها وهذا يناسب القول الثانى (وهم) أى الجاثون بها
 (من فزع يومئذ) أى يومئذ اذ وقعت هذه الاحوال العظيمة (آمنون) أى حتى لا يحزنهم
 انزع الاكبر وقرأ يفعلون ابن كثير وأبو عمر وهشام بالياء التحية على الغيبة والباقون
 بالنوقية على الخطاب وقرأ وهم من فزع يومئذ آمنون الكوفيون بتنوين العين والباقون
 بغير تنوين وهو أعم فانه يقتضى الامن من جميع فزع ذلك اليوم وأما قراءة التنوين فتحتمل
 معنيين من فزع واحد وهو خوف العذاب وأما ما يلحق الانسان من الرعب ومشاهدته فلا
 يتفك منه أحد ومن فزع شديد مفرط الشدة لا يكتفه الوصف وهو خوف النار وقرأ نافع
 والكوفيون بفتح الميم من يومئذ والباقون بكسرها (فان قيل) أليس قال تعالى فى أول
 الآية فتنزع من فى السموات ومن فى الارض الامن شاء الله فكيف تنفى الفزع ههنا (أجيب)
 بأن الفزع الاول لا يخولونه أحد عند الاحساس بشدة تقع أهول فبجأ الاما استثنى وان
 كان المحسن آمناً من لحاق الضرر وأما الثانى فهو الخوف من العذاب (ومن جاء
 بالسبيته) أى التى لاسبته مثلهما وهى الشرك لقوله تعالى (فكتب) أى بأيسر أمر (وجوههم
 فى النار) بأن وليتها مع انه ورد فى الصحيح ان مواضع السجود التى أشرفها الوجه لاسبيل
 للنار عليها والوجه أشرف ما فى الانسان فاذا هان كان ماسواها وأولى بالهوان والمكبوب عليه
 منكوس ويقال له بكينا (هل) أى ما (تجزون الا) جزاء (ما كنتم تعملون) أى من
 الشرك والمعاصى * (تنبيه) * جعل مقابلة الحسنة بالثواب والسيئات بالعقاب من جملة
 احكامه للاشياء واتقانه لها واجر الله لها على قضايا الحكمة انه عليم بما يفعل العباد وبما
 يستوجبون عليه فيكافئهم على حسب ذلك فانظر الى بلاغة هذا الكلام وحسن نظمه وترتيبه
 وأخذ بعضه بتجزئة بعض كأنما أفرغ افراغا واحدا ولا مر ما أعجز القوى وأخرس الشقاشق
 والادعاء ثم أمر الله تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يقول لقومه (انما أمرت) أى بأمر
 من لا يرد له أمر (أن أعبد) أى بجميع ما أمركم به (رب) أى موجد ومدبر (هذه
 البلدة) أى مكة التى تخرج الدابة منها فزح كل من رآها ثم تؤمن أهل السعادة أخصه بذلك
 لا أعبد شيئاً مما تعبدونه (الذى حرمها) أى جعلها الله تعالى حراماً آمناً لا يسفك فيها دم ولا يظلم
 فيها أحد ولا يصاد صيدها ولا يحتل خلاها ولما خص مكة بهذه الاضافة تشير بفعالها
 وتعظيماً لشأنها قال احترازاً عما قد يتوهم (وله كل شئ) أى من غيرها مما أشركتموه به وغيره
 خلقاً وملا كما ولما كانوا يعبدون نفعاً ما قالوا نحن نعبد الله بعبادة من نرجو بقرئنا اليه زلقى عين له
 الدين الذى تكون به العباد بقله (وأمرت) أى مع الامر بالعبادة وحده (أن أكون)
 أى كونا هو فى غاية الرسوخ (من المسلمين) أى المتقدين لجميع ما أمر به كآية اتم انقياد ثابته
 على ذلك غاية الثبات (وان) أى وأمرت أن (أتلوا القرآن) عليكم تلاوة الدعوة الى

الايمان أو أن أو اطلب على تلاوته لتكشف لي حقائقه في تلاوته شيئاً فشيئاً (فن اهتدى) أى
 باتباع هذا القرآن الداعي الى الجنان (فانما يتدى لنفسه) أى لاجلها لان ثواب هدايته
 له (ومن ضلّ) أى عن الايمان الذى هو الطريق المستقيم (فقل) أى له كما تقول للغير
 (انما أنا من المنذرين) أى المخوفين له عواقب صنعه فلا على من وبال ضلاله شئ انما على
 الرسول الا البلاغ وقد بلغت (وقل) أى انذار اللهم وترغيباً وترجئة وترهيباً (الحمد) أى
 الاحاطة بأوصاف الكمال (لله) أى الذى له العظمة كلها على نعمة النبوة وعلى ما علمنى
 ووفقنى للعمل به (سير بكم آياته) الفاهرة في الدنيا كوقعة بدر وخروج دابة الارض وفي
 الآخرة بالعذاب الاليم (فتعرفونها) أى فتعرفون أنها آيات الله وانما كن حين لا تنفعكم
 المعرفة (وما ربك) أى المحسن اليك بجميع ما أقامك فيه من هذه الامور العظيمة والاحوال
 الجسيمة (بغافل عما تعملون) أى فلا تحسبوا أن تأخير هذا بكم لغفلته عن أعمالكم وقرأ
 نافع وابن عامر وحفص بالتاء على الخطاب لان المعنى عما تعمل أنت وأتبعك من الطاعة وهم
 من المعصية والباقون بالياء على الغيبة وما رواه البضاوى تبعاً للزخشرى من أن من قرأ
 طس كان له من الاجر عشر حسنات بعدد من صدق سليمان وكذب به وهود وشعيب وصالح
 وابراهيم ويخرج من قبره وهو ينادى لا اله الا الله حديث موضوع

﴿سورة القصص مكية﴾

الاقوله تعالى ان الذى فرض الاية تنزل بالجنة والا الذين آتيناهم الكتاب الى لا ينبغي الجاهلين
 وهى سبع أو ثمان وثمانون آية وألف وأربعمائة واحد وأربعون كلمة وخمسة آلاف وثمانمائة
 حرف وتسمى سورة موسى عليه السلام لاشتغالها على قصته فقط من حين ولد الى أن أهلك الله
 تعالى فرعون وخسف بقارون كما سميت سورة نوح وسورة يوسف لاشتغالها على قصتهما ولا يقال
 سميت بذلك لذكر القصص فيها في قوله تعالى فلما جاءه رقص عليه القصص لان سورة يوسف فيها
 ذكر القصص مرتين الاولى نقص عليك أحسن القصص والثانية قوله تعالى لقد كفى في
 قصصهم فكانت سورة يوسف أولى بهذا الاسم وأيضاً فكانت سورة هود أولى بهذا الاسم لانه
 ذكر فيها قصص سبعة أنبياء وهذه ليس فيها الا قصة واحدة فكان ينبغي العكس وأن تسمى سورة
 هود القصص وهذه سورة موسى (بسم الله) الذى اخضع بالكبرياء والعظمة (الرحمن)
 الذى عمّ بنعمه أهل الايمان والكفران (الرحيم) الذى خص بنعمه بعد البعث أهل الايمان
 (طس) تقدم الكلام على أوائل السور وأول البقرة (تلك) أى هذه الآيات العالمة الشأن
 (آيات الكتاب) أى المنزل على قلبك الجامع لجميع المصالح الدنيوية والاخرية والاضافة
 بمعنى من (المبين) أى المظهر الحق من الباطل (تسلو) أى تنقص قصصاً متتابعة متواليها
 بعضها في اثر بعض (عليك) بواسطة جبريل عليه السلام (من بنا) أى خبر (موسى
 وفرعون بالحق) أى بالصدق الذى يطابقه الواقع * (تنبيه) * يجوز أن يكون مفعول

تلوحذ وفادات عليه صنته وهي من نبا موسى تقديره تلوعليك شيامن نبا موسى ويجوز أن
 تكون من مزيدة على رأى الاخفش أى تلوعليك نبا موسى وبالحق يجوز أن يكون حال من
 فاعل تلوون من مفعوله أى تلوعليك بعض خبره ماملة بسين أو ملتبس بالحق ثم نبه على أن هذا
 البيان كما سبق انما يتقع أولى الاذعان بقوله تعالى (اتوم يومنون) فغيرهم لا يتتفع بذلك
 ولما كان كأنه قيل ما المقصود من هذا قال (أن فرعون) ملك مصر الذى أدى الالهية (علا)
 أى بادعاء الالهية وتجبره على عباد الله وقهره لهم (فى الارض) أى أرض مصر واطلاقها
 يدل على تعظيمها وانها كجميع الارض لاشتمالها على ما قل أن يشتمل عليه غيرها (وجعل)
 أى بما جعلنا له من نفوذ الكلمة (أهلها) أى أهل الارض المرادة (شيعا) أى فرقاً تتبع كل
 فرقة شيئاً تبعه على ما يريد ويطيعونه لا يملك أحد منهم أن يكون عتيقه أو اصنافاً
 فى استخداه يسخر صنفاً فى بناء وصنفاً فى حفر وصنفاً فى حرق ومن لم يستعمله ضرب عليه
 الجزية أو فرقاً مختلفة قد أغرى بينهم العداوة والبغضاء وهم بنو اسرائيل والقبض وقوله تعالى
 (يستضعف طائفة منهم) يجوز فيه ثلاثة أوجه أن يكون حال من فاعل جعل أى جعلهم كذلك
 حالة كونه مستضعفاً طائفة منهم وأن يكون صفة لشيعا وأن يكون استئنافاً بيانا لحال الاهل
 الذين جعلهم فرقاً وأصنافاً وهم بنو اسرائيل الذين كانت حياة جميع أهل مصر على يدي
 واحد منهم وهو يوسف علمه السلام وفعل معهم من الخير ما لم يفعله والدمع ولده ومع ذلك كافؤه
 فى أولاده وأولاد اخوته بأن استعبدوهم ثم ما كفاهم ذلك حتى ساءوهم على يدي العنيدسوة
 العذاب قال البقاعى وهذا حال الغرباء بينهم قديما وحديثا ثم بين الاستضعاف بقوله تعالى
 (يذبح أبناءهم) أى عند الولادة وكل بذلك أناسا ينظرون لكما ولدت امرأة ذكر اذبحوه
 وسبب ذلك ان كما قال له سيولد مولود فى بنى اسرائيل يذهب ملكك على يديه فولدتك
 الليلة اثنا عشر غلاما فقتلهم وبقي هذا العذاب فى بنى اسرائيل ستمين كثيرة وكان ذلك من
 غاية حق فرعون فانه ان صدق الكاهن لم يدفع القتل السكان وان كذب فواجه القتل
 (ويستحي نساءهم) أى يريد حياة الاناث فلا يذبحهن وقال السدى ان فرعون رأى فى منامه
 نارا أقبلت من بيت المقدس الى مصر فارتقت القبط دون بنى اسرائيل فسأل عن رؤياه ف قيل له
 يخرج من هذا البلد من بنى اسرائيل رجل يكون هلاك مصر على يديه فأمر بقتل الذكور وقيل
 ان الانبياء عليهم السلام الذين كانوا قبل موسى عليه السلام بشروا بحجبه فسمع فرعون ذلك
 فأمر بذبح بنى اسرائيل (انه) أى فرعون (كان من المفسدين) فلذلك اجترأ على قتل
 خلق كثير من أولاد الانبياء لتخيل فاسد قال وهب ذبح فرعون فى طلب موسى سبعين ألفاً من
 بنى اسرائيل وقوله تعالى (وزيد أن غن) عطف على قوله ان فرعون علا فى الارض لانها
 نظيرة تلك فى وقوعها لنفسه سيرا لنباموسى وفرعون وقصصه وزيد حكاية حال ماضية أى
 نعطى بقدرتنا وعلمنا ما يصكون جدرا أن غن به (على الذين استضعفوا) أى حصل
 استضعافهم وأهانهم بهذا الفعل الشنيع ولم يراقب فيهم مولا هم (فى الارض) أى أرض مصر

فذلوا وأهينوا ونزهم في أنفسهم وأعدائهم فوق ما يحبون وفوق ما يأملون (ونجعلهم أئمة)
 أى مقدمين في الدين والدنيا علماء يدعون إلى الجنة عكس ما يأتي من عاقبة آل فرعون وقال
 مجاهد دعاة إلى الخير وقال قتادة ولادة ولولو كما لقوله تعالى وجعلكم ملوكا وقيل يقتدى بهم
 في الخير (ونجعلهم) أى بعظمنا وقد رتبنا (الوارثين) أى الملك مصر لا ينازعهم فيه أحد من
 القبط يختلفونهم في مساكنهم (ونمكن) أى نوقع التمكين (لهم في الأرض) أى كلها
 لاسميا أرض مصر والشام باهلاك أعدائهم وتأيد ملكهم وتأيدهم بكلمة الله ثم بالنبيا من
 بعده صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين بحيث يسلمهم بسبيهم على من سواهم بما يؤيدهم به من
 الملائكة ويظهر لهم من الطوارق (ونرى) أى بما لنا من العظمة (فرعون) أى الذى
 كان هذا الاستضعاف منه (وهامان) وزيره (وجنودهما) أى الذين كانوا يوصلان بهم
 إلى ما يريدانه من الفساد فيقوى كل منهم بالآخر في الأرض فعلاوا وطغوا وقوله تعالى (منهم) أى
 المستضعفين متعلق بنرى أو بنريد لا يحذرون لأن ما بعد الموصول لا يعمل فيما قبله (ما كانوا
 يحذرون) أى من ذهاب ملكهم وهلاكهم على يدمولود منهم وقرأ آجرة والكسائي ويرى بالياء
 مفتوحة وفتح الراء مع الامالة وسكون الياء بعد الراء ورفع فرعون وهامان وجنودهما مضارع
 رأى مسند إلى فرعون وما عطف عليه فلذلك رفعوا وقرأ الباقر بالنون مضعومة وكسر
 الراء وفتح الياء بعدها ونصب الاسماء الثلاثة مضارع أرى فذلك نصب فرعون وما عطف عليه
 منغولا أول وما كانوا هو الثاني ثم ذكر تعالى أول نعمة من بها على الذين استضعفوا بقوله تعالى
 (وأوحيا) أى ونسى الهام أو منام (إلى أم موسى) لا وحى نبوة قال قتادة قذفنا في قلبها
 واسمها يوحنا زوى بنت لاوى بن يعقوب وهذا هو الذى أمضينا في قضائنا أن يسمى بهذا
 الاسم وأن يكون هلاك فرعون وزوال ملكه على يده بعد أن ولده وخافت أن يذبحه الذابحون
 (أن أرضعته) ما كنت آمنة عليه ولم يشعر بولادته غير أخته قبل أرضعته ثمانية أشهر وقيل
 أربعة أشهر وقيل ثلاثة أشهر كانت ترضعه في حجرها وهو لا يبكي ولا يتحرك وقد روى أنها
 أرضعته ثلاثة أشهر في نابوت من بردى مطلى من داخله بالقار (فأذاخفت عليه) أى منهم
 أن يصيح فيسمع فيذبح (فألقيته) أى بعد أن تضعه في شئ يقيه من الماء (في البئر) وهو
 البحر ولكن أراد هنا النيل (ولا تخافي) أى لا تتجذدك خوف أصلا من أن يغرق أو يموت
 من ترك الرضاع (ولا تحزني) أى ولا يوجدك حزن لوقوع فراقه (فان قيل) ما المراد بالخوفين
 حتى أوجب أحدهما ونهى عن الآخر (أجيب) بأن الخوف الأول هو الخوف عليه من
 القتل لأنه كان إذا صاح خافت عليه أن يسمع الجيران صوته فيمنوا عليه وأما الثاني فلخوف
 من الغرق ومن الضياع ومن الوقوع في بعض العيون المبعوثة من قبل فرعون في تطلب الولدان
 وغير ذلك من المخاوف (فان قيل) ما الفرق بين الخوف والحزن (أجيب) بأن الخوف غم يلحق
 الإنسان لموقع الحزن غم يلحقه لواقع وهو فراقه والاضطرابه فتيهت عنهم جميعا وأمنت
 بالوحى لها ووعدت ما يسليها ويطمئن قلبها ويعملوها غبطة وسرورا وهو رده إليها كما قال تعالى

(انارادوه اليك) فازال مقتضى الخوف والحزن ثم زادها بشرى وأى بشرى بشو له تعالى
 (وجاهلوه من المرسلين) أى الذين هم خلاصة المخلوقين * وروى عطاء وانضجك عن ابن عباس
 قال ان بنى اسرائيل لما كثر وجمعر استطالوا على الناس وعملوا بالمعاصى ولم يأمر وابتعدوا
 ولم ينهوا عن منكر فسلط الله عليهم القبط فاضعفروهم الى أن أنجاهم الله تعالى على يد نبيه وكاينه
 قال ابن عباس ان أم موسى لما تقاربت ولادتها وكانت قابله من القوايل التى وكلهن فرعون
 بحبالى بنى اسرائيل مصافية لأم موسى فلما نذر بها اطلق أرسلت اليها فقاتل قد نزل لبي مازل
 فلم ينفعنى حبك اياى اليوم قال فعالت قبالتها فلما أن وقع موسى عليه السلام بالارض هاله انور
 بين عيني موسى فارتعش كل مفصل منها ودخل حب موسى قلبها ثم قالت لها يا هذه ما جئت اليك
 حين دعوتى الا ومن ورائى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا احب اشد اما وجدت حب
 شئ مثل حبه فاحفظلى ابنك فانى اراه هو عدونا فلما خرجت القابلة من عندها ابصرها بعض
 العيون فجاءوا الى بابها ليدخلوا على أم موسى فقالت أخته يا أمه هذا الحرس بالباب فلفت
 موسى فى خرقه ووضعت فى السور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما نضنع قال فدخلوا
 فاذا السور مسجور وأم موسى لم يتغير لونها فقالوا ما أدخل عليك القابلة فقالت هى مصافية لى
 دخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع اليها عقلها فقالت لاخت موسى فأين الصبي قالت
 لا أدري فسمعت بكاء الصبي من السور فانطلقت اليه وقد جعل الله تعالى النار عليه بردا وسلاما
 فاحمقته قال ثم ان أم موسى لما رأت الحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها فذف الله
 تعالى فى نفسها أن تتخذ له تابوتا صغيرا فقال لها التجار ما نضعين بهذا التابوت قالت ابنى
 أخبوه فى هذا التابوت وكرهت الكذب قال ولم قالت أخشى عليه كيد فرعون فلما اشترت
 التابوت وحملته وانطلقت انطلق التجار الى الذباحين ليخبرهم بأمر موسى عليه السلام فلما هم
 بالكلام أمسك الله تعالى لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدري ما يقول فلما أعياهم
 أمره قال كبيرهم اضربوه فاضربوه وأخرجوه فلما أتى التجار الى موضعه رد الله تعالى لسانه
 فتكلم فانطلق أيضا يريد الامناء تأتهم ليخبرهم فأخذ الله تعالى لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم
 يبصر شيئا فاضربوه وأخرجوه فوق فى وادى هوى فيه فجعل الله عليه ان رد لسانه وبصره أن لا يدل
 عليه وان يكون معه يحفظه حينما كان فعرف الله تعالى منه الصدق فرد عليه لسانه وبصره
 فخرقه ساجدا فقال يارب دنى على هذا العبد الصالح فدل عليه فخرج من الوادى وآمن به
 وصدقه وعلم أن ذلك من الله عز وجل * وقال وهب بن منبه لما جلت أم موسى بموسى كثر
 أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حبها أحد من خلق الله وذلك شئ ستره الله لما أراد أن
 يمن به على بنى اسرائيل فلما كانت السنة التى يذبح فيها بعث فرعون القوايل وتقدم اليهن
 وقدشن تقديش لم يفتش قبل ذلك وحملت أم موسى فلم تكبر بطنها ولم يتغير لونها ولم يظهر لبنها وكانت
 القوايل لا يتعرضن لها فلما كانت الليلة التى ولد فيها ولدته ولا رقب عليها ولا قابله ولم يطلع عليها
 أحد الا أخته مريم فلما خافت عليه عملت له تابوتا مطبقا ثم ألقت به فى البحر لئلا (تلقطه) بالتابوت

صبيحة النيل (آل) أى أعوان (فرعون) فوضعه بين يديه قال ابن عباس وغيره كان لفرعون يومئذ بنت ولم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها الى فرعون وكان بها برص شديد وكان فرعون قد جمع لها أطباء مصر والسحرة فظن روائى أمرها فقالوا له أيها الملك لا تبرا إلا من قبل البحر يوجد فيه شبه الانسان فيؤخذ من ريقه فيطبخ به برصها فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا وائة كذا حين تشرق الشمس فلما كان يوم الاثنين غدا فرعون الى مجلس له على شفير النيل ومعه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت ابنة فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع - واريها تلعابهن وتضع الماء على وجوههن اذ قبل النيل بالتابوت تضر به الامواج فقال فرعون ان هذا الشيء في البحر قد تعلق بالشجر فاتنوني به فاستدروا به بالسفن من كل جانب حتى وضعوه بين يديه فعا لجوا ففتح الباب فلم يقدر واعليه وعا لجوا كسره فلم يقدر واعليه فذنت آسية فرأت في جوف التابوت نور الميرى غيرها فعا لجته ففتحت الباب فاذا هي بصبي صغير في مهده واذا نور بين عينيه وقد جعل الله تعالى رزقه في ايهامه يصح لنا فآلى الله تعالى موسى المحبة في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي من التابوت عمدت بنت فرعون الى ما يسيل من ريقه فلطخت به برصها فبرأت فقبلته وضمته الى صدرها فقالت الغواة من قوم فرعون أيها الملك اننا نظن ان ذلك المولود الذى تحذر منه من بنى اسرائيل هو هذا رعى به في البحر فرفا منك فاقتله فهم فرعون يقتله فقالت آسية قرة عينى ولك واستوهبت موسى من فرعون وكانت لتلد فوهبه لها وقال فرعون أما أنا فلا حاجة لى فيه وفى حديث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو قال يومئذ هو قرة عينى كما هو لك لهداه الله كما هداها قال الزنخشرى وهذا على سبيل الفرض والتقدير أى لو كان غير مطبوع على قلبه كما آسية لقال مثل قولها ولا سلم كما أسلمت هذا ان صح الحديث تأويله والله أعلم بصحته انتهى ثم قال لا آسية ما تسميه قالت سميت موسى لانا وجدناه فى الماء والشجر فهو الماء موسى هو الشجر فذلك قوله تعالى فالتقطه آل فرعون (ليكون لهم عدوا) أى يطول خوفهم منه بخلافه لهم في دينهم وحملهم على الحق وقتل رجالهم (وحزنا) أى بزوال ملكهم لانه يظهر فيهم الآيات التى يهلك الله تعالى بها من يشاء منهم ويستعبد نساءهم ثم يظفر بهم حتى يهلكهم الله تعالى بالغرق على يده اهلاك نفس واحدة فيع الحزن والنواح أهل ذلك الاقليم كله * (تنبيه) * فى هذه اللام الوجهان المشهوران أحدهما أنها اللعة البخارية دون الحقيقة لانهم لم يكن داعيهم الى الالتقاط أن يكون لهم عدوا وحزنا ولكن المحبة والتبني غير أن ذلك لما كان نتيجة التقاطهم له وغمرته شبه بالداعى الذى يفعل القاعل الفعل لاجله وهو الأكرام الذى هو نتيجة المحبة والتأدب الذى هو غمرة الضرب ليتأدب ويحترمه ان هذه اللام حكمها حكم الاسد حيث استعيرت لما يشبهه التعليل كما استعير الاسد لمن يشبه الاسد والثانى أنها للعاقبة والصبرورة لانهم لم يلقطوه ليكون لهم عدوا وحزنا ولكن صار عاقبة أمره الى ذلك وقرأ حمزة والكسائى بضم الحاء وسكون الزاى والباقون بقصهما وهما الفتان بمعنى

واحد كالعدم والعدم * ثم بين تعالى ان هذا الفعل لا يفعله الا حق متهور أو مغفل مخذول
 لا يكاد يصيب بقوله تعالى (ان فرعون وهامان وزيره (وجنودهما) أى كلهم على طبع واحد
 (كانوا خاطئين) أى فى كل شئ فلا بدع منهم أن قتلوا ألوف لا اله ثم أخذوه يريدونه ليكبرو بفعل
 بهم ما كانوا يحذرون أو مذبذبين فعاقبهم الله تعالى بما ربي عدوهم على أيديهم وقال وهب
 لما وضع التابوت بين يدي فرعون فقهه فوجد فيه موسى فلما نظر اليه قال كيف أخطأ هذا
 الغلام الذبح وكان فرعون قد استسكح امرأة من بنى اسرائيل يقال لها آسية بنت مزاحم
 وكانت من خبازات النساء ومن بنات الانبياء عليهم السلام وكانت أمًا للمساكين ترجمهم
 وتصدق عليهم وهى المذكورة فى قوله تعالى (وقالت امرأة فرعون) أى له وهى قاعدة لجنته
 هذا الوليد أكبر من ابن سنة وانما أمرت أن تذبح الولدان لهذه السنة فدعه (قرت عين لى)
 أى به (ولك) أى يا فرعون لانهم المارأياه أخرجه من التابوت أحياه وروى أنها قالت انه أنا
 من أرض أخرى ليس من بنى اسرائيل ولما ثبت له انه من تقربه العيون قالت (لا تقتلوه) أى
 لأنى بنفسك ولا أحد من تأمره بذلك ثم عللت ذلك واستأنفت بقولها (عسى أن ينفعنا)
 ولو كان له أبوان معروفان فإن فيه مخايل اليمين ودلائل النذع وذلك لما رأت من النور بين
 عينيها وارتضاع من ابهامه لبنا وبربه البرصاء بريقه (أو تعذروا) أى اذا كان لم يعرف له أبوان
 فيكون نفعه أكثر فانه أهل لان تشرف به المملوك * (تنبيه) * التاء فى قرى عين مجرورة وقف
 عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء وهى خبر مبتدأ منقرض أى هو قرى عين
 والعامية من القراء والمفسرين وأهل العلم على ذلك ونقل ابن الانبارى بسنده الى ابن عباس انه
 وقف على لا أى هو قرى عين لى فقط ولك لا أى ليس هو لك قرى عين ثم يمدى بقوله تقتلوه وقال ابن
 عادل وهذا لا ينبغى أن يصح عنه وكيف يبقى تقتلوه من غير نون رفع ولا مقتضى حذفها فلذلك
 قال السراة هو لحن وقوله تعالى (وهم لا يشعرون) جملة حالبة من كلام الله تعالى أى لا شعور
 لهم أصلاً لأن من لا يكون له علم الاباكتساب فكيف اذا كان مطبوعا على قلبه واذا كانوا
 كذلك فلا شعوراهم بما يؤل اليه أمرهم معهم من الامور الهائلة المؤدية الى هلاك المفسدين
 وقيل ان ذلك من كلام امرأة فرعون كأنها لما رأت ملاء أشاروا بقتله قالت له افعلى أنت ما أقول
 لك وقومك لا يشعرون أنا النقطه * قال الكلبى ولما أخبر الله تعالى عن حال من اتبعه أخبر عن
 حال من فارقه بقوله تعالى (وأصبح) أى عقب الليلة التى حصل فيها فراقه (فؤادهم موسى)
 أى قلبها الذى زاد احتراقه شوقا وخوفا وحزنا وهذا يدل على انه ألقته بسلا واختلف فى معنى
 قوله (فارغا) فقال أكثر المفسرين خاليما من كل هم الامن هم موسى عامية السلام وقال الحسن
 أى ناسيا للوحى الذى أوحاه الله تعالى اليها حين أمرها ان تلقية فى البحر ولاتخاف ولا تحزن
 والعهد الذى عهد أن يرده اليها ويجعله من المرسلين فجاءها الشيطان وقال كرهت أن يقتل
 فرعون ولذا فيكون لك أجره ونوابه وتوليت أنت قتله فألقىته فى البحر وأغرقته وقال
 الزمخشري أى صفر من العقل والمعنى أنها حين سمعت بوقوعه فى يد فرعون طار عقلها لما

دهمها من فرط الجزع والدهش ونحوه قوله تعالى وأفئدتهم هم هواء أى جوف لاعتقوله فيها
وذلك أن التلويح مراكز العتول الاترى الى قوله تعالى فتكون لهم قلوب يعقلون بها وقوله
تعالى (إن) هى المنقذة من العقوبة واسمها محذوف أى انها (كادت) أى قاربت (لتبدي)
أى يقع منها الاظهار لكل ما كان من امره مصرحة (به) أى بأمر موسى عليه السلام
من أنه ولدها وقال عكرمة عن ابن عباس كادت تقول والابناء وقال مقاتل لما رأته المأبوت
يرفعه موج ويضعه آخر خشيت عليه الغرق فكادت تصيح من شفتها وقال الكلبي كادت
تظهر انه ابنها حين سمعت الناس يقولون لموسى بعدما شب موسى ابن فرعون فشيق عليها
فكادت تقول هو ابني وقيل إن الهاء عائدة الى الوحي أى كادت لتبدي بالوحي الذى أوحى الله
تعالى اليها أن يرده عليها وجواب (ولأن ربنا) محذوف أى لا بدت به كقوله تعالى وهم بها لو لأن
رأى برهان ربه والمعنى لولا أن ربنا (على قلبها) بالاضمة والصبر والتثبت وقوله تعالى (لتكون
من المؤمنين) متعلق بربنا أى من المصدقين بوعد الله تعالى وهو قوله تعالى انارادوه الملك
ثم أخبر تعالى عن فعلها فى تعرف خبره بعد أن أخبر عن كتمانها بقوله تعالى (وقالت) أى
أتمه (لاختمه) أى بعد أن أصبحت على تلك الحالة قد خفي عليها أمره (قصمه) أى اتبعى أثر
وشمى خبره برا وجوز افعلت (فصبرت) أى أبصرت (بد عن جنب) أى مكان بعيدا اختلاسا
(وهم لا يشعرون) جملة حالية وتعلق الشعور محذوف أى أنها أخته وأنها ترتقبه بل هم فى غاية
الغفلة التى هى فى غاية البعد عن رتبة الالهية أو أنها انصه أو أنه سيكون لهم عدوا وحزنا ثم ذكر
تعالى أخذ الأسباب فى رده بقوله تعالى (وحزنا) أى منعنا بعظمنا (عليه المراضع) جمع
مرضعة وهى من تكثرى للارضاع من الاجاب أى حكمتنا بمنعه من الارضاع فمنه فاستعير
التعريم للمنع لانه منع فيه وجهه قال الرازى فى النوامع تحريم منع لا تحريم شرع (من قبل)
أى من قبل أن تأمر أمته أخته بما أمرت به أو قبل قصها أمره أو قبل ولادته فى حكمتنا وقضائنا
وهو أنه تعالى غير طبعه عن لبن سائر النساء فلذلك لم يرضع أو أحدث فى لبنه طعم ما ينفر عنه
طبعه أو وضع فى لبن أمته لذة تعود بها فكان يكره لبن غيرها فلما رأته أخت موسى التى أرسلتها
أتمه فى طلبه أنه لا يقبل ثدى امرأة وفى القصة أن موسى مكث ثمان ليال لا يقبل ثديا ويصيح
فقالوا لها اهل عندك مرضعة تدليننا عليها عليه يقبل ثديها قال ابن عباس أن امرأة فرعون كان
همها من الدين أن تجده له مرضعة فكأما أتوه بمرضعة لم يأخذ ثديها فدفنت أخته منه بعد
نظرها له (وقالت) لما رأته فى غاية الاهتمام برضاعه (هل) لكم حاجة فى أئى (أدلكم
على أهل بيت) ولم نقل على امرأة لتوسع دائرة النظر (يكفلونه لكم) أى يأخذونه ويتولونه
ويقومون بجميع مصالحه من الرضاع وغيره لاجلهم ثم أبعدت الهمزة عن نفسها فقالت هى
امرأة قبل ولدها فأحب شئ اليها أن تجد صغيرا ترضعه ثم زادتهم رغبة بقولها (وهم له
ناصحون) أى ثابت نصيحهم له لا يغشونه نوعا من الغش قال البغرى والنصح ضد الغش وهو
تصفية العمل من شوائب الفساد قال السدى لما قالت ذلك أخذوها وقالوا قد عرفت هذا

الغلام فدلنا على أهلها ففعلت ما أعرفه وقالت انما أردت وهم للملك ناصحون ففعلت منهم بذلك قال ابن عادل وهذا يسمى عند أهل البيان الكلام الموجه ومثله لما سئل بعضهم وكان بين أقوام بعضهم يحب عليا دون غيره وبعضهم يحب أبا بكر وبعضهم عمر وبعضهم عثمان رضى الله تعالى عنهم وقيل له أيهم أحب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال من كانت بتمته تحته وقيل لما تفرسوا أنها عرفته قالت انما قلت هذا رغبة في سرور الملك واتصالا به وقيل انها لما قالت ذلك قالوا لها من فقالت أمي قالوا ولا من ابن قالت نعم هرون وكان ولد في سنة لا يقبل فيها قالوا صدقت فانتي اباها فانطلقت اذ أمها فأنخبرتها بحال ابنها وجاءت بها اليهم فلما وجد الصبي ربيع أمه قبل نديها وجعل يصح حتى امتلا جنينا به رافقا لوالها فقي عندنا فقلت لا أندري على فراق بيتي ان رضيعتم أن كلفه في بيتي والا فلا حاجة لي به وأظهرت الزهد فيه فقيل اللهم فمروا بذلك فرجعت به الى بيتها فذلك قوله تعالى (فردناه الى أمه) ثم عاله بقوله تعالى (كي تنزع عنها) أي تبرد وتسقط وأصل فترة العين من العز وهو البرد أي بردت ونامت بخلاف سقطت عينه يقال أقر الله تعالى عينك من الفرح وأضنها من الحزن فلهذا قالوا دعة الفرح باردة ودعة الحزن حارة وهذا قول الاصمعي قال أبو تمام

فأما عيون العاشقين فأضحت * وأما عيون الشامتين فقرت

وقال أبو العباس ليس كما قال الاصمعي بل كل دمع حار فعنى أقر الله تعالى عينك صادفت سرورا فنامت وذهب سهرها وصادفت ما يرضيك أي بلغك الله أقصى أملاك حتى تنزع عينك من النظر الى غيره استغنما ورضا بما في يدك (ولا) أي وكى لا (تخزن) أي بفراقه (ولتعلم) أي علما هو عين اليقين كما كانت عالمة به علم اليقين وعلم شهادة كما كانت عالمة به علم غيب (أن وعد الله) أي الامر الذي وعدها به الذي له الكمال كله في حفظه وارساله (حق) أي هو في غاية الثبات في مطابقة الواقع (ولكن أكثرهم) أي أكثر آل فرعون وغيرهم (لا يعلمون) أن وعد الله حق فيرتابون فيه أولا يعلمون أن الله وعدها رده اليها قال النخاع لما قبل نديها قالها ما انك لامة قالت لا قال فما له قبل نديك من بين النسوة قالت أيها الملك اني امرأة طيبة الريح حلوة اللب فاشتم ريحي صبي الأقبيل على نديها قالوا صدقت فلم يبق أحد من آل فرعون الا هدى اليها وأتحننها بالذهب والجوهر وأجرى عليها أجرها قال السدي وكانوا يدفعون اليها كل يوم دينار (فان قيل) كيف حل اليها أن تأخذ الاجر على ارضاع ولدها منه (أجيب) بأنها ما كانت تأخذه عنى أندأجر على الرضاع وانما حربي كانت تأخذه على الاستباحة فكنت عندها الى أن فطمته واستتر عند فرعون يأكل من مأكوله ويشرب من مائه ويلبس من ملبوسه الى أن كل كما قال تعالى حكاية عنه في سورة الشعراء ألم نربك فينا وابدأ ولبت فينا من عمرك سنين (ولما بلغ أشده) وهو ثلاث سنين أو ثلاث كما قال مجاهد وغيره (واسموى) أي بلغ أربع سنين كما رواه سعيد بن جبيرة عن ابن عباس وقيل اعتدل في السن

قوله فان قيل كيف حل لها الخ في حاشية الجمل والظاهر أن هذا السؤال لا يرد من أصله لانه لم يكن اذ ذلك شرع حتى تلتزم حكمه وعلى فرض أن يكون فليس يلزم أن يكون كسرنا لجواز أن يكون له نفار ربيع آخر

وتم استحكامه بانتهاء شبابه وعوم من العمر ما بين احدى وعشرين سنة الى اثنين وأربعين
 (آتيانه) أى ابتداء من غير اكتساب أصلا خرفا للعادة اسوة اخوانه من الانبياء (حكما) أى
 علما محكما بالعلم (وعلم) أى فتها في الدين تهيمته لبوته وارصاد الرسالته وقيل المراد بالعلم علم
 التوراة والحكم السنة قال الزمخشري وحكمة الانبياء سنة لهم قال الله تعالى واذكرن ما بيني
 وفيه من آيات الله والحكمة وقيل معناه آتيانه سيرة الحكماء العلماء وسنتهم قبل البعث
 فكان لا يفعل فعلا يستجمل فيه قال البقاي واختار الله تعالى هذا السن للارسل ليكون
 من جملة الخوارق لا يتبعه يكون ابتداء الانسكاس الذي قال الله تعالى فيه ومن نعمه رأى الى
 اكمال سن الشباب تنسكه في الخلق أى نوقته فلا يزداد بعد ذلك في قواه الظاهرة ولا الباطنة شئ
 أو لا يوجد فيه غير لم تكن موجودة أصلا عشر سنين ثم يأخذ في النقصان هذه عادة الله في
 جميع بني آدم الا الانبياء عليهم الصلاة والسلام فانهم في هذا الوقوف يؤتون من بحار العلوم
 ما يقصر عنه الوصف بغير اكتساب بل غير تغزرها الله تعالى فيهم حينئذ يؤتون من قوة
 الابدان أيضا بقدر ازل ذلك في انسكاس غيرهم يكون غوهم وكذا من ألحقه الله تعالى بهم من
 صالحى آتياهم كما قال تعالى (وكذلك) أى مثل هذا الجزاء العظيم (فجزى الحسنين) أى كلهم
 على احسانهم ولما أخبر تعالى بتهيمته للنبوّة أخبر بما هو سبب لهجرته وكأمنه سبب بعد ابراهيم عليه
 السلام بقوله تعالى (ودخل) أى موسى عليه السلام (المدينة) قال السدي هي مدينة منف
 من أرض مصر وقال مقاتل كانت قرية تدعى جابين على رأس فرسخين من مصر وقيل مدينة عين
 شمس وقيل غير ذلك (على حين غفلة من أهلها) وهو وقت القنالة واشتغال الناس بالقبولة وقال
 محمد بن كعب القرظي دخلها فيمابين المغرب والعشاء وقيل يوم عيد لهم وهم مشتغلون فيه
 بلهوهم وقيل لما شب وعقل أخذ يسيكهم بالحق وينكر عليهم فأخافوه فلا يدخل قرية الاعلى تغفل
 واختلف في السبب الذي من أجله دخل المدينة في هذا الوقت قال السدي وذلك أن موسى كان
 يسمى ابن فرعون فكان يركب مراكب فرعون ويلبس مثل ملابسه فركب فرعون يوما وليس
 عنده موسى فلما جاء موسى قيل له ان فرعون قد ركب فركب في اثره فأدركه المقتبل بأرض
 منف فدخلها نصف النهار وليس في طريقها أحد وقال ابن اسحق كان لموسى شيعه من بني
 اسرائيل يسمعون منه ويتقنون برأيه فلما عرف ما هو عليه من الحق رأى فراف فرعون وقومه
 خالفهم في دينهم فأخافوه فكان لا يدخل قرية الا خائفًا مستخفيا وقال ابن زيد ولما علم موسى
 فرعون بالعصا في صغره فأراد فرعون قتله فقالت امرأته هو صغير فترك قتله وأمر باخراجه من
 مدنته فلم يدخل عليهم الا بعد أن كبر وبلغ أشده (فوجد فيها) أى المدينة (رجلين يقتتلان)
 أى يفعلان مشدات القتال مع الملازمة من الضرب والخنق وهما اسرائيل وقطى ولهذا قال
 تعالى مجيبا لمن كان يسأل عنهما وهو ينظر اليهما (هذان من شيعته) أى من بني اسرائيل (وهذا
 من عساقه) أى من القبط قال مقاتل كانا كافرين الا أن أحدهما من القبط والاخر من
 بني اسرائيل لقول موسى عليه السلام انك لغوى مبين والمشهور أن الاسرائيلي كان مسلما

قوله جابين كذا
 في جميع الأصول
 التي بأيدينا وفي
 حاشية الجمل وقيل
 هي قرية يقال لها
 أم خنان على فرسخين
 من مصر اه

قيل انه السامري والقبطي طباح فرعون فكان القبطي يسخر الاسرائيليين ليحمل الحطب
 الى المطبخ وقال سعيد بن جببر عن ابن عباس لما بلغ موسى أشدّه لم يكن أحدا من آل فرعون
 يخلص الى أحد من بني اسرائيل بظلم حتى امتنعوا كل الامتناع وكان بنو اسرائيل عزوا
 لما كان موسى ليكونه ربيب الملك مع أن مرضعته منهم لا يظنون أن سبب ذلك الا الارضاع
 (فاستغاثه) أي طلب منه (الذي من شعبته) أن يعينه (على الذي من عدوه) فغضب
 موسى عليه السلام واشتد غضبه وقال للفرعون في خل سبيله فقال انما أخذته ليحمل الحطب
 الى مطبخ أبيك فنارعه فقال الفرعون لقد هممت أن أجعله عليك وكان موسى عليه السلام
 قد أوى بسطة في الخلق وشدة في القوة والبطش (فذكره موسى) أي دفعه بجمع كفه والفرق
 بين الوكر والكران الاول بجمع الكف والثاني باطراف الاصابع وقيل بالعكس وقيل الكثر
 في الصدر والوكر في الظهر (فقتل) أي فأوقع القضاء الذي هو القضاء على الحقيقة وهو الموت
 الذي لا ينجونه مخلوق (عليه) فقتله وفرغ منه وكل شيء فرغت منه فقد قضيته وقضيت عليه
 وخفي هذا على الناس لما هم فيه من الغفلة فلم يشعر به أحد فقدم موسى عليه السلام عليه ولم
 يكن قصده القتل فدفعه في الرمل (قال هذا) أي قتله (من عمل الشيطان) أي لاني لم أؤمر به
 على الخصوص ولم يكن من قصدي وان كان المقتول كافرا حريشا ثم أخبر عن حال الشيطان
 ليحذر منه بقوله (انه عدو) فينبغي الحذر منه (مضت) لا يقود الى خير أصلا (مبين) أي
 عداوته واضلاله في غاية البيان ما في شيء منهم اخفاء ولما لم يكن في قتله الا الذم لعدم اذن خاص
 (قال رب) أي أيها المحسن الى (التي ظلت نفسي) أي بالاقدام على ما لم تأمرني به بالخصوص
 وان كان مماحا (فأغتر) أي احم هذه الهفوة عني وأثرها (لي) أي لاجلي لانا أخذني
 (فغدر) أي أوقع المحو لذلك كما سأل اكراما (له انه هو) أي وحده (الغفور) أي البالغ
 في صفة الستركل من يريد (الرحيم) أي العظيم الرحمة بالاحسان بالتوفيق الى الافعال
 المرضية لمقام الالهية ولاجل أن هذه صفة رده الى فرعون وقومه حين أرسله اليهم فلم يقدروا
 على مواخذته بذلك بقصاص ولا غيره بعد أن نجح منهم قبل إرساله على غير قياس ثم شكر ربه على
 هذه النعمة التي أنعم بها عليه بأن (قال رب) أي أيها المحسن الى (بما أنعمت علي) أي
 بسبب انعامك علي بالغفرة (فلن أكون) أي ان عصمتني (ظهير) أي عوناً وعشيراً وخطيباً
 (للمجرمين) قال ابن عباس للكافرين وهو ما حبة فرعون وانتظامه في جملة وتكسيده
 سواده حيث كان يركب بركوبه كالولد مع الوالد وكان يسمى ابن فرعون واما مظاهرة من
 تؤل مظاهرة الى الحرم والانه كما في مظاهرة الاسرائيليين المؤدية الى القتل الذي لم يؤمر به
 وهذا نحو قوله تعالى ولا تتركوا الى الذين ظلموا وعن عطاء أن رجلاً قال له ان أخى
 يضرب بقله ولا يعدد رزقه قال في الرأس يعني من يكتب له قال خالد بن عبد الله القسري قال
 فاین قول موسى وتلاه هذه الآية وفي الحديث ينادى مناد يوم القيامة أين الظلمة وأشبابها

الظلمة حتى من لاقاهم - دواة أو يرى لهم فلما فيجملعون في نابوت - من حديد فيرمي بهم في جهنم
وقول ابن عباس يدل على أن الاسرائيلي الذي أعانه موسى عليه السلام كان كافرا وهو قول
مقاتل وقال قتادة أني لأعجب بعد ما على خطيئة وقيل بما أنعمت على من القوة فلن أستمع لها
الافى مظهرة أولياتك وأهل طاعتك والايان بك قال ابن عباس لم يستثن أي لم يقل فلن
أكون ان شاء الله تعالى فابقي به في اليوم الثاني كما قال تعالى (فأصبح في المدينة) أي التي
قتل القتيل فيها (حاشا) أي بسبب قتله (يترب) أي ينتظر ما يناله من جهة القتل قال
البعوي والترب انتظار المصكره وقال الكلبي ينتظر متى يؤخذ به (فأذا) أي فبجاء
(الذي استنصره) أي طلب نصرته من شيعته (بالامس) أي اليوم الذي يلي يوم الاستدراخ
(يستصرخه) أي يطلب أن يزيل ما يصرخ بسببه من الضر من قبلي آخر كان يظلمه فكانه قيل
فما قال له موسى بعدما أوقعه فيما يكره ففصل (قال له) أي له - هذا المستصرخ (موسى) أنك
لغوي أي صاحب ضلال بالغ (مبين) أي واضح الضلال غير خفيه ليكون ما وقع بالامس
لم يكفك عن الخصومة لمن لا نطقه وان كنت مظلوما ثم دنا منهم - ما لينصره (فلما أن أراد) أي
شاء فان من يدة (أن يبطش) أي موسى عليه السلام (بالذي هو عدو لهما) أي لموسى
والاسرائيلي لأنه لم يكن على دينهما ولا أن القبط كانوا أعداء بني اسرائيل بان يأخذ به عنف
وسطوة خلاص الاسرائيلي منه (قال) أي الاسرائيلي لغوي لا جمل ما رأى من غضبه
وتكليمه فلما نأته يريد البطش به (باموسى) فاصا عليه باسمه (أريد أن تقتلني) أي اليوم
وأنا من شيعتك (كما قتلت نصبا بالامس) أي من شيعه أعدائنا الذي يدل على أن الاسرائيلي
هو الذي قال له هذا الكلام السابق وعليه الاكثرون لأنه لم يعلم بقتل القبطي غير الاسرائيلي
وقيل انما قال موسى للفرعوني أنك لغوي مبين بظلمك وناسبه قوله (ان) أي ما (تريد الآن
تكون جبارا) أي فاهرا عاليا فلا يلقى ذلك الا بقول الكافر أو أن الاسرائيلي لما ظن قتله قال
ذلك وقد قيل في الاسرائيلي انه كان كافرا قال أبو حيان وشأن الجبار أن يقتل بغير حق
في الارض أي التي تكون بها فلا يكون فوقك أحد (وماتري) أي تتخذ ذلك ارادة
(أن تكون) أي كونا هولك كالجليلة (من المصلحين) أي الغريبتين في الصلاح فان الصلح بين
الناس لا يصل الى القتل على هذه الصورة فلما سمع القبطي هذا ترك الاسرائيلي وكان القبط
لما قتل ذلك القبطي ظنوا في بني اسرائيل فأغروا فرعون بهم وقالوا ان بني اسرائيل قتلوا منا
رجلا فنخذلنا بجثة افعال ابغوا الى قاتله ومن يشهد عليه فان الملك وان كان صفوة مع قومه
لا يستقيم له أن يقضى بغير بينة ولا ثبت فلما قال هذا الغوي هذه المقالة علم القبطي أن موسى
عليه السلام هو الذي قتل الفرعوني فانطلق الى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون بقتل موسى
قال ابن عباس فلما أرسل فرعون الذابح لقتل موسى أخذوا الطريق الاعظم (وجاء رجل)
أي ممن يحب موسى عليه السلام واختلف في اسمه فقيل حرقل مؤمن آل فرعون وقيل شعرون
وقيل شععان وكان ابن عم فرعون (من أقصى المدينة) أي أبعدا مكانا (يسمى) أي يسرع

في مشيه فأخذ طريقا قريبا حتى سبق الى موسى فأخبره وأذره حتى أخذ طريقا آخر فكانه قيل
 لما قال الرجل له فقبل (قال) مناديا لموسى تطفئا وازالة للبس (ياموسى ان الملا) أى اشراف
 القبط الذين في أيديهم الخل والعقد لأن لهم القدرة على الامر والنهي (بأعزرون بك) أى
 يتشاورون في شأنك (ليقتلوك) حتى وصل حالهم في تشاورهم الى أن كلامهم يأمر الآخرو يأمر
 بأمره لأنهم سمعوا انك قتلت صاحبهم (فاخرج) أى من هذه المدينة ثم علل ذلك بقوله على سبيل
 التاكيد ليزيل ما يطرقة من احتمال عدم القتل لكونه عزيزا عند الملك (انك من الناصحين)
 أى الغريبين في نعمك (تخرج) أى موسى عليه السلام مبادرا (منها) أى المدينة لما علم صدق
 قوله مما تحققته من القرائن حال كونه (خائفا) على نفسه من آل فرعون (يتربص) أى يكتر
 الالتفات بإدارة رقبته في الجهات ينظر هل يتبعه أحد ثم دعا الله تعالى بأن (قال رب) أى أيها
 المحسن الى بالنجاة وغير ذلك من وجوه البر (نجني) أى خلصني (من القوم الظالمين) أى الذين
 يضعون الامور في غير مواضعها فيقتلون من لا يستحق القتل مع قوتهم فاستجاب الله تعالى
 دعاه فوقفه اسلول الطريق الاعظم فحومدين فكان ذلك سبب نجاته وذلك ان الذين اتدبوا
 اليه قطعوا بأنه لا يسلك الطريق الاكبى جريا على عادة الخائفين المهاجرين وفي القصة
 أن فرعون لما بعث في طلبه قال اركبوا ثييات الطريق فانبشوا فيما ظنوه عينا وشمالا ففاتهم
 (ولما توجه) أى أقبل بوجهه فاصدا (تلقاه) أى الطريق الذي يلاقى سالكه أرض (مدين)
 قال ابن عباس خرج وما قصد مدين ولكنه سلم نفسه الى الله تعالى ومضى من غير معرفة
 فهداه الله تعالى الى مدين وقبل وقع في نفسه أن بينهم وبينه قرابة لأنهم من ولد مدين بن ابراهيم
 وكان من بني اسرائيل سميت البلدة باسمه فخرج ولم يكن له علم بالطريق بل اعتمد على فضل الله
 تعالى وقبل جاءه جبريل عليه السلام وعلمه الطريق قال ابن اسحق خرج من مصر الى مدين خائفا
 بلا زاد ولا ظهر وبينهم مسيرة ثمانية أيام ولم يكن له طعام الا ورق الشجر (قال عسى) أى جدير
 وحقيق (ربي) أى المحسن الى (أن يهديني سواء) أى أعدل ووسط (السيبل) أى الطريق
 الذي يطلعني الله تعالى عليها من غير اعوجاج وقال ذلك قبل أن يعرف الطريق اليها قبل فلما
 دهاجاء ملك بيده عنزة فانطلق به الى مدين قال المفسرون خرج موسى من مصر ولم يكن له طعام
 الا ورق الشجر والبقل حتى ترى خضرته في بطنه وما وصل الى مدين حتى وقع خف قدميه
 قال ابن عباس وهو أول ابتلا من الله تعالى لموسى عليه السلام (ولما ورد) أى وصل (ماء
 مدين) وهو نهر كان يسقي منها الرعاة مواشيهم (وجد عليه) أى الماء (أمة) أى جماعة كثيرة
 (من الناس) محتلفين (يسقون) أى مواشيهم (ووجد من دونهم) أى في مكان سواهم
 أسفل من مكانهم (أمرأتين) عبر بذلك لما جعل لهما اسمعانة من المرأة ومكارم الاخلاق كما يعلمه
 من أمعن النظر فيما يذكر عنهما (تزوجان) أى تحبسان وتعتان أغنامهما اذا فرغت من
 العطش الى الماء حتى يفرغ الناس ويخلو لهما البئر وقال الحسن تكفان الغنم ثلاثا تحلظ بغنم
 الناس وقال قتادة تكفان الناس عن أغنامهما وقبل ثلاثا يحلظن بالرجال وقبل كاتان تزودان

عن وجوههما نظرا لما نظر من لتسترهما وقيل غير ذلك فسكانه قيل فما قال موسى لهما قيل (قال) لهما راحة لهما (ما خطبك) أي ما شأنك كما لا تسقيان مواشيك مع الناس (قالتا لا نسقي) أي مواشينا وحذف للعلم به (حتى يصدر) أي ينصرف ويرجع (الرعاة) أي عن الماء خوف الزحام فنسقي وقرأ أبو عمرو وابن عامر بفتح الياء ونظم الدال والباقون بضم الياء وكسر الدال مضارع أصدر يعدي بالهمزة * (تنبيه) * المفعول محذوف أي يصدرون مواشيهم والرعاة جمع راع مثل تاجر وتجار أي نحن امرأتان لا يليق أن نزاحم الرجال فإذا صدر واسقيننا مواشينا ما أفضلت مواشيهم في الحوض (وأبو ناشيخ كبير) أي لا يستطيع لكبره أن يسقي فاضطررنا إلى ما ترى (تنبيه) اختلف في أيهم ما فقال مجاهد والنعمان والسدي والحسن أبوهما هو شعيب النبي عليه السلام وأنه عاش عمرًا طويلا بعده هلاك قومه حتى أدركه موسى عليه السلام ووزج بانيته وقال وهب وسعيد بن جبيرة هو يثرون ابن أخي شعيب وكان شعيب قد مات قبل ذلك بعدما كف بصره فدفن بين المقام ووزع من وقيل رجل ممن آمن بشعيب قالوا فلما مع موسى قولهما راحهما فاقطع صخرة من رأس بئر أخرى كانت بقرهما لا يطيق رفعها إلا جماعة من الناس وقال ابن اسحق أن موسى زاحم القوم ونحاهم عن رأس البئر فسقي غنم المرأتين ويروى أن القوم لما رجعوا بأغنامهم غطوا رأس البئر بججر لا يرفعه إلا عشرة نفر وقيل أربعون وقيل مائة فجاء موسى ورفع الحجر وحده وسقي غنم المرأتين ويقال أنه سألهن دلوا من ماء فاعطوه ودلوهم وقالوا سبق بهار كانت لا ينزعها إلا أربعون فاستقي بها وصهبا في الحوض ودعا فيه بالبركة فزوى منه جميع الغنم (فان قيل) كيف ساغ لنسبي الله تعالى لشعيب أن يرضى لابنتيه الرعي بالماشية (أجيب) بأن الناس اختلفوا فيه هل هو شعيب أو غيره وإذا قلنا أنه هو كما عليه الأكثر فليس ذلك بمعذور فلا ياباه الدين والناس مختلفون في ذلك بحسب المروءة وعاداتهم فيها متباينة وأحوال العرب والبدو تبين أحوال العجم والحضر لاسيما إذا دعت إلى ذلك ضرورة (فسيق) أي موسى عليه السلام (لهما) والمفعول محذوف أي عنهما لما علم ضرورتهم ما انتهز الفرصة لاجر وكرم الخلق في مساعدة الضعيف مع ما به من النصب والجوع وسقوط خف القدم ولكنه راحهما وأغنامهما وكفاهما أمر السقي في مثل تلك الزحمة بقوة قلبه وقوة ساعده وما آتاه الله تعالى من الفضل في متانة الفطرة ورصانة الجبلة (ثم تولى) أي انصرف فجاء لظهره بلي ما كان يليه وجهه (إلى الظل) أي ظل سمرة فجلس في ظلها بالقبيل ويستريح مقبلا على الخلق بعدما قضى من نصيحة الاخلائي وهو جائع قال الضحالك ثبت سبعة أيام ليذيق طعاما لا يقل الأرض (فقال رب اني) وأكد الافتقار بالاصاق باللام دون إلى بقوله (لما أنزلت إلى من خير) قليل أو كثير غث أو سمين (فقير) أي محتاج سائل * (تنبيه) * لما أنزلت متعلق بفتير قال الزمخشري عدى فقير باللام لأنه ضمن معنى سائل وطالب ويحتل إلى فقير من الدنيا لاجل ما أنزلت إلى من خير الدين وهو النجاة من الظالمين وليس في السكوى إلى الغنى المطلق نقص قال ابن عباس سأل الله تعالى فلقة خبز يقيم بها صلبه وقال الباقر لقد قالها وإنه محتاج إلى شق غرة وقال

سعيد بن جبير عن ابن عباس لقد قال موسى ذلك وهو أكرم خلقه عليه وأنه كان قد بلغ به من
 الضر أن اخضر بطنه من أكل البقل وضعف حتى اصق بطنه الشر يفطره وإنما قال ذلك في
 نفسه مع ربه وهو لا يثق به وقيل رفع به صوته لاستعاج المرأتين وطلب الطعام وهذا لا يليق
 بموسى عليه السلام فانظر الى هذا النبي عليه السلام وهو خلاصة ذلك الزمان ليكون لك في ذلك
 سوة وتجهله اماما وقدة وتقول مالى الانبياء ولصالحون من الضيق والاهوال في سجن الحياة
 الدنيا صونا لهم منها واكراما من ربهم عنها رفعة لدرجاتهم واستهانة لها وان ظنه الجاهل المغرور
 على غير ذلك وفي القصة ترغيب في الخير وحث على المعاونة على البر وبعث على بذل المعروف
 مع الجهد فلما رجعت الى أبيهم ما سر يعاقبل الناس وأغنامهم ما حفل بها فان قال لهم ما اعد لكم
 قالتا وجدنا وجلا صالحا رحيمافسقى لنا أغنامنا فقال لاحداهما اذهبي فاذعيه لي (بحجته
 احداهما) بمثلة أمر أبيها وقوله (عشى) حال وقوله (على استحياء) حال أخرى أى مستحبة
 امامن جانه واممن عشى قال عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه ليست بسلفع من النساء
 خراجه ولا جنة ولكن جانه مستورة وضعت كم درعها على وجهها استحياء ثم استأنف الاختصار
 بما تشوق اليه السامع بقوله تعالى (قالت) وأكدت اعلا ما بعلا بيها من الرغبة الى لقائه
 (ان أبى) وصور حاله بالضارع بقولها (يدعوك ليجزيك) أى يعطيك مكافأة لك لان المكافأة
 من شيم الكرام (أجر ما سقيت لنا) أى مواشينا قال ابن اسحق اسم الكبرى صفورا
 والصفرى لبنى وقيل لبنا وقال غيره صفرا وصفيرا وقال الضحاك صفورا وقال الاكثرون التى
 جاءت لموسى الكبرى وقال الكلبي هى الصفرى قال الرازى وليس فى القرآن دلالة على شئ
 من هذه التفاصيل (فان قيل) فى الآية اشكالات احداها كيف ساغ لموسى عليه السلام أن
 يعمل بقول امرأة وأن عشى معها وهى أجنبية فان ذلك يورث التهمة العظيمة وقال صلى الله
 عليه وسلم اتقوا مواضع التهم وثانيها أنه سقى أغنامهما تقربا الى الله تعالى فكيف يليق به أخذ
 الاجرة عليه وذلك غير جائز فى الشريعة وثالثها أنه عرف فقرهما وقرأ بينهما وأنه عليه السلام
 كان فى نهاية القوة بحيث يمكنه الكسب بأقل سعى فكيف يليق برواة مثله طالب الاجرة على
 ذلك القدر من الشيخ الفاضل النقيب المرأة الفقيرة ورابعها كيف يليق بالنبي شعيب عليه السلام
 أن يبعث ابنته الشابة الى رجل شاب قبل العلم بكون الرجل عقيفا أو فاسقا (أجيب) عن الاول
 بأن الخبير يعمل فيه بقول المرأة فان الخبير يعمل فيه بقول الواحد حزا كان أو عمدا ذكرنا
 أو نكح وهى ما كانت مخبرة الا عن أبيها وأما المشى مع المرأة بعد الاحتياط والتورع فلا بأس به
 وعن الثانى بأن المرأة لما قالت ذلك لموسى عليه السلام ما ذهب اليهم طلبا للاجرة بل للتبرؤ بذلك
 الشيخ الكبير لما روى أنه لما دخل على شعيب عليه السلام اذا هو بالعشاء مهيا فقال اجلس
 يا شاب فجلس فقال موسى أعوذ بالله فقال شعيب ولم ذلك ألسنت يجائع قال بلى ولكن أخاف أن
 يكون هذا عوضا لما سقيته لهم ما آمن أهل بيت لا نطلب على عمل من أعمال الآخرة عوضا من
 الدنيا وفى رواية لا يبيع ديننا بذنبا ولا نأخذ بالمعروف نجسا فقال له شعيب لا والله يا شاب ولكنها

عادت وعادت آباء نقرى الضيف ونظم الطعام فجلس موسى عليه السلام يأكل وأيضاً فليس
 بمسكراً أن الجوع قد بلغ إلى حيث ما كان يطبق يحمله ففعل ذلك اضطراباً وهو الجواب عن
 الثالث فإن الضرورات تبيح المحظورات وعن الرابع بأن شعباً عليه السلام كان يعلم طهارته
 ابنه وبراءتها ما بوحى أو بغيره فكان بأمن عليها قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه فتسام
 عيسى والجارية أمانه فهبت الريح فوصفت ردّها فمكره موسى عليه السلام أن يرى ذلك
 منها فقال لها امشي خلفي أو قال موسى اني من عنصري اراهم فيكون خفي حتى لا يرفع الريح
 ثيابك فأرى ما لا يحل وفي رواية كوني خلفي ودليني على الطريق يرى الحصار لأن صوت المرأة
 عورة (فان قيل) لم خشى موسى عليه السلام أن يكون ذلك أجراً له على عمله ولم يكره مع الحضر
 عليه السلام ذلك حين قال لو شئت لتخذت عليه أجر الأجير بأن أخذ الاجرة على الصدقة
 لا يجوز وأما الاستبراء ببدء فغيره مكره (فلما جاءه) أي موسى شعباً (وقص) أي موسى عليه
 السلام (عليه) أي شيعب عليه السلام (القصص) أي حدثه حديثه مع فرعون وآله في كفرهم
 وطمعهم وأذلالهم لعباد الله تعالى * (تنبيه) • القصص مصدر كالعمل يسمى به المقصود
 قال الضحاك قال لمن أنت يا عبد الله قال أنا موسى بن عمران بن يصر بن قاهث ابن لاوي بن
 يعقوب عليه السلام وذكره جميع أمره من لدن ولادته وأمر القوابل والمراضع والتدب في
 اليم وقتل القبطي وأهم يطلبونه ليشتموه ثم ان شعباً عليه السلام منه بأن (قال) له (لا تحت
 شجوت من القوم الظالمين) أي فان فرعون لاسطان له بأرضنا (فان قيل) ان المفسرين قالوا
 ان فرعون يوم ركب خلف موسى ركب في ألف ألف وستمائة ألف والملك الذي هذا شأنه كيف
 يعقل أن لا يكون في ملكه قرية على بعد ثمانية أيام (أجيب) بان هذا ليس بحال وان كان نادراً
 ولما آمنه واطمأن (فالت احداهما) أي المرأتين وهى التى دعته الى ايها مشيرة بالنداء بأداة
 البعد الى استصغارها لنفسها وجلالة أيها (باب استأجره) أي اتخذها أجيراً البرى أغنامنا
 (ان خبر من استأجرت القوى الأئمين) أي خبر من استعملت من قوى على العمل اشئ من
 الاشياء وأداء الامانة قال أبو جحان وقولها قول حكيم جامع لا يزد عليه لانه اذا اجتمعت هاتان
 الخصمتان أعنى الكفاية والامانة فى القسام أمرك فقد فرغ بالك وتم مرادك وقد استغنيت
 بارسال هذا الكلام الذى ساقه ساق المنزل والحكمة أن تقول استأجره لقوته وأمانته
 وانما جعل خبر من استأجرت اسما والقوى الأئمين خبر عام أن العكس أولى لان العناية
 هى سبب التقديم وقد صدقت حتى جعل لها ما هو أحق بأن يكون خبر الاسما وورد الفعل
 بلفظ الماضى للدلالة على أنه أمر قد جرب وعرف وعن ابن عباس أن شعباً اختطفته الفرية
 فقال وما علمك بقوته وأمانته فذكرت اقلال الحجر وزرع الدلو وان صوب أى خفض رأسه حين
 باعته رسالة أيها اليه وأمرها بالمشى خلفه وعن ابن مسعود أن رس الناس ثلاثة فث شعب
 وصاحب يوسف فى قوله عسى أن ينقنا وأبو بكر فى عمر ولما أعلنت ابنته بذلك (قال) لموسى
 عليه السلام عند ذلك (أتى أريد) يا موسى والتأكيد لان الغريب قلما يرغب فيه أول ما يقدم

لاسيما من الرؤساء اتم الرغبة (أن أنكحك احدى ابنتي هاتين) أى الحاضرتين اللتين سقيت
 لهما البيا تملهما فينظر من يقع اختياره عليه منهما ليعقد له عليهما قال أكثر المفسرين انه زوجه
 الصغرى منهما وهى التى ذهبت لطلب موسى وأصحابها صفورا على خلاف تقدم فى اسمها وقوله
 هاتين فيه دليل على أنه كان له غيرهما وقوله (على أن تأجرنى ثمانى حجج) امامن أجرته اذا
 كنت له أجيرا كقولك أئوته اذا كنت له أبنا وثمانى حجج ظرفه أى ترى غنى ثمانى حجج وامامن
 أجرته هذا اذا أئبته اياه فانه النراء أى تجعل ثوابى من تزويجها أى تجعل أجرى على ذلك
 وثوابى ثمانى حجج تقول العرب أجرلك الله بأجرلك أى أباك ومنه تعزية رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أكرمكم الله ورحمكم وثمانى حجج مفعول به ومعناه رعية ثمانى حجج (فان قيل) كيف صح
 أن ينكحه احدى ابنتيه من غير تميز (أجيب) بأن ذلك لم يكن عقدا ولكن مواعدة ومواصفة
 أمر قد عزم عليه ولو كان عقدا لقال أنكحتك ولم يقل انى أريد أن أنكحك وقد مررت الاشارة
 الى ذلك والمجبع السنون واحدها حجة (فان أتممت عشرا) أى عشر سنين وقوله (فن عندك)
 يجوز أن يكون فى محل رفع خبر المبتدأ المحذوف تقديره فهى من عندك أو نصب أى فقد
 زدت من عندك أو تفضلت به من عندك وليس ذلك بواجب عليك (تنبيه) هذا اللفظ يدل على
 أن العقد وقع على أقل الاجلين والزيادة كالتسريع فالعقد وقع على معين ودلت الآية على أن
 العمل قد يكون مهرا كاملا وعلى أن عقد السكاح لا يفسد بالشرط الذى لا يوجب العقد
 ان كان وقع شرط هذه الزيادة فى العقد ولما ذكره ذلك أراد أن يعلم أن الأمر بعد الشرط
 بينهم على المسامحة فقال (وما أريد أن أشق عليك) أى أدخل عليك مشقة بمناقشة ومراجعة
 أوقات ولا فى اتمام عشر ولا غير ذلك ثم كدمعنى المساهلة بقوله (ستجدنى) وفتح الباء نافع
 عند الوصل والباقون بسكونهم ثم استثنى على قاعدة أنباء الله وأيامه فى المراقبة على سبيل
 التبرك بقوله (ان شاء الله) أى الذى له جميع الأمر (من الصالحين) قال عمرأى فى حسن الصحة
 والوفاء بما قلت أى وكل ما تريد من كل خير وقيل أراد السلاخ على العموم (فان قيل) كيف
 ينقعد العقد بهذا الشرط ولو قلت أنت طالق ان شاء الله لم تطلق (أجيب) بأن هذا انما يختلف
 بالشرائع أو ان ذلك ذكر للتبرك (قال) أى موسى عليه السلام (ذلك) أى الذى ذكرته وعاهدتني
 فيه وشارطتني عليه (يبني وبينك) أى قائم بيننا جميعا لا يخرج كالأنا عنه لأنا عاشرطت على ولا
 أنت عاشرطت على نفسك * (تنبيه) * ذلك مبتدأ والظرف خبره وأضيفت بين لفرد
 لتكررها وعطفت بالواو ولو قلت المال لزيد فعمولم يجوز والاصل ذلك بيننا كما مر ففرق بالعطف
 ثم فسر ذلك بقوله (أيما أى أى) (الاجلين) ما زائدة (فضيت) أى فرغت أطولهما
 الذى هو العشر واقتصرهما الذى هو الثمان (فلا عدوان) أى اعتداء بسبب ذلك ولا
 لاحد (على) فى طلب أكثر منه لانه كالاتجيب الزيادة على العشر لا تجب الزيادة على الثمان
 (فان قيل) تصور العدوان انما هو فى أحد الاجلين الذى هو أقصر وهو المطالبة بثمة العشر فما
 معنى تعليق العدوان بهما جميعا (أجيب) بأن معناه كما انى ان طولبت بالزيادة على العشر

كان عدوانا لاشك فيه فكذلك ان طوبى بالزيادة على الثمان أراد بذلك تقرير أمر الخيار وانه
 ثابت مستقر وان الاجلين على السواء اما هذا واما هذا من غير تفاوت بينهما في القضاء وأما
 القصة فوكلت الى رأي ان شئت أثبت بها والالم أجبر عليها وكأنه أشار بنفي صيغة المبالغة الى أنه
 لا يؤخذ لعدة صدره وطهارة أخلاقه بطلاق العدوان (والله) أي الملك الاعظم (على ما تناول)
 أي كله في هذا الوقت وغيره (وكيل) قال ابن عباس ومقاتل شهيد فيما بيني وبينك وقبل حفيظ
 وعن سعيد بن جبير قال سألتني يهودى من أهل الحيرة أي الاجلين قضى موسى فقلت لأدري
 حتى أقدم على خبر العرب فأسأله فقدمت فسألت ابن عباس فقال قضى أكثرهما وروى عن
 أبي ذر مر فوعا اذا سئلت أي الاجلين قضى موسى فقل خيرهما واذا سئلت فأى المرأتين تزوج
 فقل الصغرى منهما وهى التى جاءت فقالت يابأت استأجره فترزوج صغرها وقضى أوفاهما
 وقال وهب أنكحه الكبرى وروى عن شاذان أوس مر فوعا بكى شعيب عليه السلام حتى عمى
 فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله تعالى عليه بصره ثم بكى حتى عمى فرد الله تعالى
 عليه بصره وقال له ما هذا البكاء أشوقا الى الجنة أم خوفا من النار قال لا يارب ولكن شوقا
 الى لقاءك فأوحى الله تعالى اليه ان يكن ذلك فهنيأ لك يا شعيب لذلك أخذ منك موسى كلبي ولما
 تم العقد بينهما امر شعيب ابنته أن تعطى موسى عصا يدفع بها السباع عن غنمه واختلوا فى تلك
 العصاف فقال عكرمة خرج بها آدم من الجنة فأخذها جبريل بعد موت آدم فكانت معه حتى اتي
 بها موسى ليمسكها فبعها اليه وقال آخرون كانت من أس الجنة حملها آدم من الجنة فتوارثها
 الانبياء وكان لا يأخذها غيبي الا أكلته فصارت من آدم الى نوح ثم الى ابراهيم حتى وصلت
 الى شعيب وكانت عصا الانبياء عليهم الصلاة والسلام عنده فأعطاها موسى وقال السدى
 كانت تلك العصا تودعها اياه ملك فى صورة رجل فأمر ابنته أن تأتبه بعصا فدخلت فأخذت
 العصا فأتت بها فلما رآها شعيب قال لها ردى هذه العصا وأتبه بعصا فدخلت فألقته وأرادت
 أن تأخذ غيرها فلا يقع فى يدها الا هى حتى فعلت ذلك ثلاث مرّات فأعطاها موسى فأخذها
 موسى معه ثم ان الشيخ ندم فقال كانت وديعة فذهب فى اثره فطلب أن يردها فصافى موسى
 أن يعطيه وقال هى عصاى فرضيت أن يجعلها بينهما أو لرجل يلقيها فلقها ماملك فى صورة رجل
 فتحكم أن تطرح العصا فن حملها فهوى له فطرح موسى العصا فعا لجها الشيخ فلم يطقها فأخذها
 موسى بيده فرفعها فتركها له الشيخ وروى ان شعيبا عليه السلام كان عنده عصا الانبياء فقال
 لموسى بالليل ادخل ذلك البيت فخذ عصا من تلك العصا فخذها بطيها آدم من الجنة ولم
 تزل الانبياء يتوارثها حتى وقعت الى شعيب فمسها وكان مكثوفا ففطن أى رجل بها فقال غيرها
 فما وقع فى يده الا هى سبع مرّات فعلم ان له شأنا وعن الحسن ما كانت الاعصا من الشجر اعترضها
 اعتراضا وعن الكلبي الشجرة التى منها نودى موسى شجرة العوسج ومنها كانت عصا امه ولما أصبح
 قال له شعيب اذا بلغت مفرق الطريق فلا تأخذ على عيئك فان الكلا وان كان بها كثيرا الا أن فيها
 تينبا أخشاه عليك فاخذت الغم ذات اليمين ولم يقدر على كنهها فشئى على اثرها فاذا عشب وريف

لم ير مثله فنام فاذا بالثنين قد أقبل فخار به العصا حتى قتله وعاتد الى جنب موسى دامية فلما
أبصرها دامية والثنين مقتولا ارتاح لذلك ولما رجع الى شعيب مس الغنم فوجد هاما ملائ
البطون غزيرة اللبن فأخبره موسى ففرح وعلم أن موسى والعصا شأنهما (فلما قضى موسى الاجل) أي
أنهم وفرغ منه وزوجه ابنته قال مجاهد مكث بعد ذلك عند صهره عشرًا أخرى فأقام عنده عشرين
سنة ثم أنشعيا عليه السلام أراد أن يجازي موسى على رعيته اكرامه وصلة لابقته فقال له اني
وهبت لك من الجداء التي تضعها أغناني هذه السنة كل أبلق وبقعاء فوحي الله تعالى الى موسى
في المنام أن اضرب بعصاك الماء الذي في مستقى الاغنم قال فضرب موسى بعصاه الماء ثم سقى
الاغنم منه فأن خطأت واحدة منها الا وضعت حلمها ما بين أبلق وبقعاء فعلم شعيب أن ذلك رزق
ساقه الله عز وجل الى موسى وامر أنه فوفى له بشرطه وسلم الاغنم اليه ثم أن موسى استأذنه
في العود الى مصر فأذن له فخرج (وسار بأهله) أي امر أنه راجعا الى أهله بمصر (آنس)
أي أبصر من بعيد (من جانب الطور) اسم جبل (ناراً) آنسه رؤيتهما وكان في البرية في ليلة
مظلمة شديدة البرد وأخذ امرأته المطلق حينئذ (قال لاهله امكنوا) أي ههنا وقرأ حجة
في الوصل بضم الهاء قبل همزة الوصل وعبر موسى عليه السلام بضمير الذكور فعمل كان معه
بنون فعملهم على امرأته وقد ذكرت غير ذلك في السورة التي قبل هذه ثم علل ذلك بقوله مؤكدا
لاستبعاد أن يكون في ذلك المكان التنفر وفي ذلك الوقت الشديد البرد ناراً (اني آنست ناراً)
فتح الباء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكتها الباقون كأنها قيل فماذا تعمل بها فقال معبر بالترجي
لأنه الباق بالتواضع (لعل أتيكم منها) أي من عندها (بخر) أي عن الطريق لأنه كان قد
أخطأها (أجذوة) أي قطعة وشعلة (من النار) وقال قتادة ومقاتل هو العود الذي
احترق بفضه * (تنبيه) * من النار صفة بلذرة ولا يجوز تعاقها بما يتحكم كما تعلق به منها لأن
هذه النار هي النار المذكورة والعرب اذا قدمت نكرة وأرادت اعادة اعادة مضمرة
أو معروفة بال العهدية وقد جمع الامر بينهما وقرأ عاصم بفتح الجيم وحذف بضمها والباقيون
بالكسر وكلها لغات وجمعها جذى ثم استأنف قوله (لعلكم تهطلون) أي لتسكنوا على
رجاء من أن تنزلوا من النار فتهطلوا عليها لتدفعوا وهذا دليل على أن الوقت كان شتاء (فلما
أنها) أي النار وبنى (نودي) لانهول لأن آخر الكلام يدل دلالة واضحة على أن
المنادي هو الله تعالى ولما كان نداءه تعالى لا يشبه نداء غيره بل يكون من جميع الجواب
ومع ذلك قد يصحكون لبعض المواضع من يشرف بوصف من الاوصاف أمّا بأن يكون أول
السماع منه أو غير ذلك أو يكون باعتبار موسى عليه السلام قال (من شاطئ الوادي)
فن لا بداء الغاية وقوله تعالى (اليمين) صفة للشاطئ أو للوادي واليمين من اليمين وهو
البركة أو من اليمين المعادل اليسار من العضوين ومعناه على هذا بالنسبة الى موسى أي الذي
يلى عينك دون يسارك والشاطئ صفة الوادي والنهر أي حافته وطرفه وكذا الشط والسف
والساحل كلها بمعنى وجمع الشاطئ أشطاء قاله الراغب وشاطئاً فلان ما شينه سارها على الشاطئ

وقوله تعالى (في البقرة المباركة) متعلق بشودي أو بمحذوف على أنه حال من الشاطئ ومعنى
المباركة جعلها الله تعالى مباركة لأن الله تعالى كلم موسى عليه السلام هناك وبعمته نبيه وقال
عطاءيريد المقدسة وقوله تعالى (من الشجرة) بدل من شاطئ الوادي بإعادة الجاء بدل اشتمال
لأن الشجرة كانت ثابتة على الشاطئ قال البقاعي ولعل الشجرة كانت كبيرة فلما وصل الهادخل
النور ومن طرفها الى وسطها فدخلها وراءه بحيث توسطها فسمع وهو فيها الكلام من الله تعالى
حقيقة وهو المتكلم سبحانه وتعالى لا الشجرة قال القشيري وحصل الاجماع على انه عليه السلام
سمع تلك اللملة كلام الله تعالى ولو كان ذلك نداء الشجرة لكان المتكلم الشجرة وقال
التفتازاني في شرح المقاصد ان اختيار جملة الاسلام انه سمع كلامه الارضي بلا صوت ولا حرف
كما ترى ذاته في الآخرة بلا كم ولا كيف واختلف في الشجرة ما هي فقال ابن مسعود كانت
سمرة خضراء وقال قتادة ومقاتل والكلبي كانت عوسجة وقال وهب من العليق وعن ابن
محياسن انها العناب ثم ذكر المادى به بقوله تعالى (أن ياموسى) فان هي مفسرة لاختقفة (اننى
أنا الله) أى المستجمع للاسماء الحسنى والصفات العليا وفتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو
وسمى عنها بالاقون ثم وصف نفسه سبحانه تعالى بقوله (رب العالمين) أى خالق الخلائق
أجمعين ومرى بهم قال البيضاوى هذا وان خالف ما في طه والنمل في اللفظ فهو مطبقة في
المقصود انتهى وقال ابن عادل واعلم انه تعالى قال في سورة النمل نودى أن بورك من في النار
ومن حولها وقال ههنا أنى أنا الله رب العالمين وقال في سورة طه أنى أنا ربك ولا منافاة بين
هذه الاشياء فهو تعالى ذكر الكل إلا أنه تعالى حكى في كل سورة ما اشتمل عليه ذلك النداء ثم
ان الله تعالى أمره أن يلقى عصاه ليربه آية بقوله تعالى (وأن ألق عصاك) أى لاريك فيها آية
فألقاها فصارت في الحال حية عظيمة وهي مع عظمها في غاية الخفة (فلما رآها) أى العصا
(تهتز) أى تحرك كأنها في سرعتها وخفتها (جان) أى حية صغيرة (ولى مدبرا) خوفا منها
ولم يلتفت الى جهتها وهو معنى قوله تعالى (ولم يعقب) أى موسى عليه السلام وذلك كتابة عن
شدة التميم على الهرب والاسراع فيه خوفا من الادراك في الطلب فقبل له (ياموسى أقبل)
أى التفت وتقدم اليها (ولا تخف) ثم أكده الامر لما لا آدمي يجبول عليه من النفرة وان
اعتقد صحة الخبر بقوله تعالى (انك من الأمنين) أى العربيين في الامن كعبادة اخوانك
من المرسلين فانه لا يخاف لدى المرسلون ثم زاد طمأنينته بقوله تعالى (اسلك) أى ادخل على
الاستقامة مع الخفة والرشاقة (بدك في جيبك) أى القطع الذى في ثوبك وهو الذى يخرج
منه الرأس أو هو الكتم كما يدخل السلك وهو الخيط الذى ينظم فيه الدرر (تخرج يضا) يضا
عظيما يكون لشأن خارق للعادات (من غير سوء) أى عيب من أثر الحريق الذى عجز فرعون
عن مداوانه أو غيره فخرجت ولها شعاع كشعاع الشمس يعنى البصر * (تبسه) *
قد ذكر هذا المعنى ثلاث عبارات احداها هذه وثانيها واضم يدك الى جناحك وثالثها
وادخل يدك في جيبك (واضم اليك جناحك) أى يدك المبسوطين تتقي بهما الحية

كالخائف الفزع بادخال البنى تحت عضد اليسرى وبالعكس أو بادخالهما في الجيب فيكون
 تكرير الغرض آخر وهو أن يكون ذلك في وجه العدو اظهر جراحة ومبدأ لظهور معجزة
 ويجوز أن يراد بالضم التجلد والثبات عند انقلاب العصا حية استعارة من حال الطائر لانه
 اذا خاف نشر جناحيه وأرخاهما واذا امن واطمأن ضمهما اليه ومنه ما يحكي عن عرب
 عبد العزيز أن كاتبه كان يكتب بين يديه فانقلبت منه قلعة ربح فنجعل وانكسر فقام
 وضرب بقلمه الارض فقال له عمر خذ ذلك واضم اليك جناحك وليفرخ روعك فاني ماسمعتها
 من أحد أكثر ما سمعتها من نفسي ومعنى قوله تعالى (من الرهب) من أجل الرهب أى اذا
 أصابك الرهب عند رؤية الحية فاضم اليك جناحك لتجلبا وضبط النفس جعل الرهب
 الذى كان يصيبه سببا وعلة فيما أمر به من ضم جناحه اليه وقال القراء أراد بالجناح العصا
 ومعناه اضم اليك عصاك قال البغوى وقيل الرهب الكمة بلغة حمير قال الأصمعي سمعت
 بعض الاعراب يقول اعطنى مافى رهبك أى فى كلك ومعناه اضم اليك وأخرجها من
 الكمة لانه تناول العصا ويده فى كمة انتهى قال الزنجشبرى معترضاهذا القول ومن بدع
 التفاسير أن الرهب الكمة بلغة حمير وانهم يقولون اعطنى مافى رهبك وايت شمرى كيف
 صحته فى اللغة وهل سمع من الالباب الثقات الذين ترضى عربيتهم ثم ليت شمرى كيف وقع
 فى الآية وكيف طبقه المفصل كسائر كلمات التنزيل على أن موسى عليه السلام ما كان عليه
 ليلة المناجاة الا زمانة من صوف لا كمين لها انتهى ويحتمل أن يكون لها كتم قصير فن
 نرى نظرا الى قصره ومن أثبت نظرا الى أصله وحتمه لا تعارض وفى البغوى عن ابن عباس أن
 الله تعالى أمره أن يضم يده الى صدره ليدب عنه الورع وما ناله من الخوف عند رعاية الحية
 وقال وما من خائف بعد موسى عليه السلام الا اذا وضع يده على صدره زال خوفه وقال مجاهد
 وكل من فزع فضم جناحه اليه ذهب عنه الفزع وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وفتح الراء
 والماء وحفص بفتح الراء وسكون الهاء والباقون بضم الراء وسكون الهاء والكل لغات
 * ولما تم كونه آية بانقلابها الى البياض ثم رجوعها الى لونها قال الله تعالى (فذا لك) أى العصا
 واليد البيضاء وشدد ابن كثير وأبو عمرو والنون وخففها الباقون (برهانان) أى سلطانان
 وجنتان فأهزتان مرسلان (من ربك) أى المحسن اليك لا يقدرك على مثلهما غيره (الى
 فرعون ومله) أى وأنت مرسلهما اليهم كلما أردت ذلك وجدته لأنهم ما يكونون لك هنا
 فى هذه الحضرة فقط (فان قيل) لم سميت الحجة برهانان (أجيب) بأن ذلك لبياضها وانارتها
 من قولهم للسر امرأة البياض برهرة بتكرير العين واللام معا والدليل على زيادة النون
 قولهم أبره الرجل اذا جاء بالبرهان وتطيره تسميتهم اياها سلطانا من السليط وهو الزيت
 لانارتها ثم عمل الارسال اليهم على وجه اظهار الآيات لهم واستمرارها بقوله (انهم كانوا)
 أى جبهة وطبعا (قوما) أى أقوياء (فاسقين) أى خارجين عن الطاعة فكانوا أحقا أن يرسل
 اليهم * ولما قال تعالى فذا لك برهانان الى آخره تضمن ذلك أن يذهب موسى بهذين البرهانين الى

فرعون وقومه فعند ذلك طلب من بعضه بأن (قال رب) أي أيها المحسن إلى (أني قتلت منهم
 نفساً) هو القبطي السابق وأنت تعلم أنني ما خرجت إلا هارباً منهم لاجلهم (فأخاف) أن يبدؤهم
 بمثل ذلك (أن يقتلوني) به لوحدي وغيري وثقل لسانى في إقامة الحج فأخاف أن يشوت
 المقصود بقتلى ولا يجمع من ذلك إلا أنت وإن لسانى فيه عقدة (وأخى هرون هو أفصح منى
 لساناً) أى من جهة اللسان للعقدة التى كانت حصلت له من وضع الحجر فى فيه وهو طفل
 فى كفالة فرعون وقيل كانت من أصل الخلقة والنصاحة لغية الخلوص ومنه فصيح اللين خلص
 من رغوته وفصح الرجل جادت لغته وأفصح تكلم بالعربية (فأرسله) أى بسبب ذلك (معى
 رداً) أى معيناً من ردأت فلاناً بكذا أى جعلته له قوة وعاضداً وردأت الحائط إذا دغمته
 بخشب أو كبش يدفعه أن يسقط وقرأ دفع بنقل حركة الهمزة إلى الدال وحذف الهمزة
 والباقون بسكون الدال وتووين الهمزة بعدها * ولما كان له من العطف والشفقة ما يقصر
 الوصف عنه تبه على ذلك باجبة السؤال بقوله (يصدقنى) أى بأن يخلص بفصاحته ما قلته وبينه
 ويقم الأدلة عليه حتى يصير كالشمس وضوحاً فيكون مع تصديقه لى بنفسه سبباً فى تصديق غيره لى
 وقرأ عاصم وحزرة بنضم التاف على الاستئناف أو الصنف لردأ والباقون بالسكون جواباً
 للامر قال الرازى ليس الغرض بتصديق هرون أن يقول له صدقت أو يقول للناس صدق
 موسى وانما هو أن يخلص بلسانه الفصح وجوب الدلائل ويجيب عن الشبهات ويجادل به
 المكفار فهذا هو التصديق المقيد وفائدة الفصاحة انما تظهر فى ذلك لافى مجرد قوله صدقت قال
 السدى نبيان وآيات أقوى من نبي واحد وآية واحدة وهذا ظاهر من جهة العادة وأما من
 جهة الدلالة فلا فرق بين معجز ومعجزين ثم علل سؤاله هذا بقوله (أنى أخاف أن يكذبون) أى
 فرعون وقومه ولسانى لا يطاوعنى عند الحاجة (قال) الله تعالى له مجيباً السؤاله (سشد
 عضدك) أى أمرتك (بأخيك) أى سنفويك ونعيمك به (وتجعل لى سلطاناً) أى
 ظهوراً عظيماً وغلبة لهم بالحج والهبة لاجل ما ذكرت من الخوف (ولا) أى فتسبب عن
 ذلك أنهم لا (يصلون اليك) بنوع من أنواع الغلبة (بآياتنا) أى فجعل ذلك بسبب
 ما يظهر على أيديكم من الآيات العظيمة بنسبتها لنا ولذلك كانت النتيجة (أنتما ومن
 اتبعكما) من قومكما وغيرهم (الغالبون) أى لا غيركم وهذا يدل على أن فرعون لم يصل إلى
 السحرة بشئ مما هددهم به لانهم من أكابر الاتباع الباذلين أنفسهم فى الله تعالى واسب
 فى القرآن ما يدل على أنه فعل بهم ما وعدهم به قال البقاعى وكانه حذف أمرهم هنالكة فى بيان
 أمر فرعون وجنوده بدليل ما كرر ذكرهم وقد كشفت العاقبة عن أن السحرة ليسوا من
 جنوده بل من حزب الله تعالى وجنده ومع ذلك فقد أشار إليهم بهذه الآية والتى بعدها اه
 * ولما كان التقدير قاتلهم كما أمره الله تعالى وعاضده أخوه كما أخبر الله تعالى ودعاهم إلى الله
 تعالى وأظهر ما أمر به من الآيات بنى عليه ميقابا لعامة مرعاة امتثاله (فلما جاءهم) أى
 فرعون وقومه ولما كانت رسالة هرون عليه السلام انما هى تأييد لموسى عليه السلام أشار

الى ذلك بالصرح باسم الجاني بقوله تعالى (موسى يا آتينا) أى التى أمرنا بها الدالة على
 جميع الآيات للتساوى فى خرق العادة حال كونها (بينات) أى فى غاية الوضوح (قالوا)
 أى فرعون وقومه (ما هذا) أى الذى أظهرته من الآيات (الاسحر مقترى) أى مختلق
 لأنه معجز من عند الله ثم ضموا اليه ما يدل على جهلهم وهو قولهم (وما معتنا) أى ما حدثنا
 (بهذا) أى الذى تدعوننا اليه وتقولون من الرسالة عن الله تعالى (يا آتينا) وأشاروا الى
 البدعة التى أضلت كثير من الخلق وهى تحميم عوائد التقليد لاسيما عند تقادمها على
 القواطع فى قولهم (الاولين) وقد كذبوا افتروا القديمة على أيام يوسف عليه السلام
 * وما بالعهد من قدم * فقد قال لهم الذى آمن يا قوم انى أخاف عليكم مثل يوم الاحزاب الى
 قوله ولقد جاءكم يوسف من قبل بالبينات (و) لما كذبوه وهم الكاذبون (قال) لهم (موسى
 ربى) أى المحسن الى (أعلم) أى عالم (عن جاء بالهدى) أى الذى أذن الله تعالى فيه وهو
 حق فى نفسه (من عنده) فيعلم أى محقق وأنهم مطعون وقرأ ابن كثير بغير واو وقبل القاف لانه
 قاله جوا بالحقاهم والباقون بالواو لأن المراد حكاية القولين ليوازن الناظر بينهما ليرى صحيحهما
 من فاسدهما (ومن تكون له) أى لكونه منصورا مؤيدا (عاقبة الدار) أى الراحة
 والسكن والاستقرار (فان قيل) العاقبة المحمودة والمذمومة كلاهما يصح أن تسبعا عاقبة
 الدار لأن الدنيا ما ان تكون خاتمتها بخير او برقم اختصت خاتمتها بالخير بهذه التسمية دون
 خاتمها بالشر (أجيب) بأن الله تعالى قد وضع الدنيا مجازا الى الآخرة وأراد بعباد الله أن لا يعملوا
 فيها الا بخير وما خلفهم الا لأجله ليلغو خاتمة الخير وأما عاقبة السوء فلا اعتداد بها لانهم من
 نتائج تخويف القهار وقرأ جزء والكسافى بالياء على التذكير والباقون بالناء على التأنيث
 * ثم عمل ذلك بما جرى الله تعالى به عادة فقال معلما بأن المخذول هو الكاذب اشارة الى أنه
 الغالب لكون الله تعالى معه مؤكدا لما استقر فى النفس من أن القوى لا يقبله الضعيف
 (انه لا يفلح) أى لا يظفر لا يفتوز (الظالمون) أى الكافرون الذين يمشون كما يمشى من هو فى
 الظلام بغير دليل (وقال فرعون) جوا بالهذا الترغيب والترهيب (يا أيها الملام) أى الانشرف
 معظما لهم استجلا بالقلوبهم (ما علمت لكم من الغيبرى) فذهبن كلامه فى الهمة غيره
 واثبات الهمة بنفسه فكانه قال ما لكم من اله الا أنا كما قال الله تعالى قل أتنبون الله بما لا يعلم
 فى السموات ولا فى الارض أى عاينين وذلك ان العلم تابع للموجود لا يتعلق به الاعلى ما هو
 عليه فاذا كان الشئ معدوما لم يتعلق به موجود فى ثم كان انتفاء العلم بوجوده انتفاء لوجوده
 فغير عن انتفاء وجوده بانتفاء العلم بوجوده ويجوز ان يكون على ظاهره وان الها غيره معلوم عنده
 ولكنه مضمون بدليل قوله وانى لا ظن من الكاذبين واذا ظنهم كاذبا فى اثنائه الها غيره ولم يعلمه
 كاذبا فقد ظن ان فى الوجود الها غيره ولو لم يكن المخذول طائفا كالقبيح بل عالما بصحة قول
 موسى لقول موسى عليه السلام له لقد علمت ما أنزل هؤلاء الارباب السموات والارض بصائر

قوله ولو لم يكن
 المخذول الخ لم يذكر
 جواب لوعلى ما فى
 التسخ التى بأيدينا
 وقد ذكره الكشف
 بقوله لما تكلف ذلك
 البيان العظيم
 فراجع اه مصححه

* ثم نسب عن جهله قوله لوزيره معلاله صنعة الآجر لانه أقول من عمله قال عمر رضي الله تعالى عنه حين سافر الى الشام ورأى القصور المشيدة بالآجر ما علمت ان أحدا بنى بالآجر غير فرعون (فأوقدلى) وأضاف الايقاد اليه اعلاما بأنه لا بد منه (ياها مان) وهو وزيره (على الطين) أى المتخذ للبناء بصير آجر ثم نسب عن الايقاد قوله (فاجعل لى) أى منه (صرحا) أى قصر اعاليها وقبل منارة وقال الزجاج هو كل بناء متسع مرتفع (لعلنى أطلع) أى أنسكاف الطلوع (الى الله موسى) أى الذى يدعو اليه فانه ليس فى الارض أحد بهذا الوصف الذى ذكره فأنأطلبه فى السماء موها ما لهم انهم لا يمكن الوصول اليه وهو قاطع بخلاف ذلك ولكنه يقصد المدافعة من وقت الى وقت قال أهل السير لما أمر فرعون وزيره هامان ببناء الصرح جمع العمال والفعلة حتى اجتمع خمسون ألف بناء سوى الاتباع والاجراء ومن يطبخ الآجر والجص وينجز الخشب ويضرب المسامير يرفعوه ويشدوه حتى ارتفع ارتفاعا لم يبلغه بنيان أحد من الخلق أراد الله تعالى أن يقتلهم فيه فلما فرغوا منه ارتقى فرعون فوقه فأمر بشابة فضرب بها نحو السماء فردت اليه وهى ملطخة دمافقال قد قتلت الله موسى وكان فرعون يصعد على البراذين فبعث الله تعالى جبريل عليه السلام فضرب الصرح بجناحه فقطعه ثلاث قطع فوقع منها قطعة على عسكر فرعون فقتل منهم ألف ألف رجل ووقعت قطعة فى البحر وقطعة فى المغرب ولم يبق أحد ممن عمل فيه بشئ الا هلك ثم زادهم شكبا بقوله مؤكدا لاجل رفع ما استقر فى الانفس من صدق موسى عليه السلام (والى لاظنه) أى موسى عليه السلام (من الكاذبين) أى دأبه ذلك وفرعون هو الذى قد ليس وكذب ووصف أصدق أهل ذلك الزمان بصفة نفسه الغريقة فى العدوان (واستكبر) أى أوجد الكبر بغاية الرغبة فيه (هو) بقوله هذا الذى صدّهم به عن السبيل (وجنوده) باعراضهم لشدة رغبته فى الكبر على الحق والاتباع للباطل (فى الارض) أى أرض مصر قال البقاعى ولعله عرفها اشارة الى أنه لو قدر على ذلك فى غير ما فعل (بغير الحق) أى بغير استحقاق قال البقاعى والتعجب بالتعجب يفيد على أن التعظيم بنوع من الحق ليس بكبر وان كانت صورته كذلك وأما تكبره سبحانه فهو بالحق كله قال صلى الله عليه وسلم فيما أحكامه عن ربه الكبرياء ردائى والعظمة ازارى فمن نازعنى وأحدا منهم ما التبتة فى النار (وظنوا) أى فرعون وجنوده ظنوا بنوا عليه اعتقادهم فى أصل الدين الذى لا يكون الا بقاطع (أنهم البنا) أى الى حكمنا خاصة الذى يظهر عند انقطاع الاسباب (لا يرجعون) بالشورى وقرأ نافع وحزرة والكسافى بفتح الباء وكسر الجيم والباقون بضم الياء وفتح الجيم * ولما نسب عن ذلك أهلا لهم قال تعالى (فأخذناه وجنوده) كلهم أخذناه قهرا ونقمه وذلك علنا من وأشار تعالى الى احتقارهم بقوله تعالى (فتبذناهم) أى طرحناهم (فى اليم) أى البحر المالح فغرقوا فكانوا على كثرتهم وقوتهم كحصىات صفارة ذفها الرامى الشديد الدرم من يده فى البحر ونحو ذلك قوله تعالى وألقينا فيهم راوسى شامخات وقوله تعالى وحملت الارض والجبال فدكا كد واحدة * ولما نسب عن هذه الآيات من العاوم ما لا تحيط به الفهوم قال تعالى (فانظروا) أى أيها

الاعتبار الآيات الناطقة فيها نظراً اعتبار (كيف كان عاقبة) أي آخر أمر (الظالمين)
 حيث صاروا إلى الهلاك فخذ قوماً عن مثلها وفي هذا إشارة إلى أن كل ظالم تكون عاقبته
 هكذا إن صابه المظلم الحق ورابطه حتى يحكم الله وهو خير الحاكمين * ولما كان من سن سنة
 حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة ومن سن سنة سيئة كان عليه وزرها
 ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة قال الله تعالى (وجعلناهم) أي في الدنيا (أئمة) أي
 قدوة للضلال بالجل على الضلال وقيل بالتسمية كتولية تعالى وجعلوا الملائكة الذين هم عباد
 الرحمن أنا أناب ونزع الإلطف الصارفة عنه (يدعون) أي يوجدون الدعاء لمن اغتر بما لهم
 فضل بضلالمهم (إلى النار) أي إلى موجباتها من الكفر والمعاصي وأما أئمة الحق فأنما
 يدهون إلى موجبات الجنة من فعل الطاعات والنهي عن المنكرات جعلنا الله تعالى
 وأحبناهم معهم بمحمد وآله * ولما كان الغالب من حال الأئمة النصرة وقد أخبر عن خذلانهم
 في الدنيا قال تعالى (ويوم القيامة) أي الذي هو يوم التغابن (يدعون) أي لا يكون لهم
 نوع نصرة تدفع العذاب عنهم (وأبغناهم) في هذه الدنيا لعنة أي طردوا عن الرحمة ودعاء
 عليهم بذلك من كل من سمع خبرهم بلسانه أن خالفهم أو بفعله الذي يكون عليهم مثل وزرهم
 وافقهم * وإنما قال الله تعالى الدنيا ولم يقل الحياة قال البقاعي لأن السبب لتحقير أمرهم
 ودناءة شأنهم (ويوم القيامة هم) أي خاصة ومن شاكلهم (من المقبحون) أي المبعدين
 أيضاً المخزبين مع قبح الوجود والأشكال والشناعة في الأقوال والأفعال والأحوال من
 التبع الذي هو ضد الحسن من قولهم قبح الله العدو وأبعده عن كل خير وقال أبو عبدة من
 المهلكين قال البقاعي في ألبت شعري أي صراحة بعد هذا في أن فرعون عدو الله في الآخرة
 كما كان عدو الله في الدنيا فلعنة الله على من يقول أنه مات مؤمناً وأنه لا صراحة في القرآن بأنه
 من أهل النار وعلى من يشك في كفره بعدما ارتكبه من جلي أمره انتهى وقد قدمت الكلام
 في سورة يونس على قول فرعون وأنا من المسلمين * ثم أنه تعالى أخبر عن أساس امامة بني إسرائيل
 مقسم عليه مع الافتتاح بحرف التوقيع بقوله (ولقد آتينا) أي بما لنا من الجلال والكمال
 (موسى الكتاب) أي التوراة الجامعة للهدي والخبر في الدارين قال أبو حيان وهو أقول
 كتاب نزلت فيه الفرائض والأحكام (من بعدما أهلكنا القرون الأولى) أي من قوم نوح إلى
 قوم فرعون وقوله تعالى (بصائر للناس) حال من الكتاب جمع بصيرة وهي نور القلب أي أنوار
 القلوب فيبصر بها الحقائق ويميز بين الحق والباطل كما أن البصر نور العين الذي تبصر به
 (وهدي) أي للعامل بها إلى كل خير (ورجة) أي نعمة هنيئة شريفة لأنها قائدة إليها ولما ذكر
 حالها ذكر حالهم بعد انزالها بقوله تعالى (لعلهم يتذكرون) أي ليعلم كون حالهم حال
 من يرجى تذكره * ثم أن الله تعالى خاطب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وما كنت)
 أي يا أفضل الخلق (بجانب الغربي) قال قتادة بجانب الجبل الغربي وقال الكبي بجانب
 الوادي الغربي أي الوادي من الطور الذي رأى موسى عليه السلام فيه النار وهو ما يلي البحر

من جهة الغرب على عين المتوجه الى ناحية مكة المشرقة من ناحية مصر فناده فيه العزير
 الجبار وهو ذوطوى (اذ) أى حين (فضينا) أى أوحينا (الى موسى الامر) أى أمر
 الرسالة الى فرعون وقومه وما يريد أن يفعل من ذلك فى أوله وأثنائه وآخره مجلا فكان كل ما
 أخبرنا به مطابقا تفصيله لاجماله (وما كنت) أى بوجه من الوجوه (من الشاهدين) لتفاصيل
 ذلك الامر الذى أجلاه موسى عليه السلام حتى يخبر به كله على هذا الوجه الذى اتيناك به
 فى هذه الاساليب المجيزة ولا شك أن معرفتك لذلك من قبيل الاخبار عن الغيبات التى لا تعرف
 الا بالوحى ولذلك استدركه بقوله تعالى (والكاف) أى بالثامن العظمة (أثنائا) بعدما
 أهلكنا أهل ذلك الزمان الذين علموا هذه الامور بالمشاهدة وهم السبعون المختارون للميعات
 أو بالاخبار كلها (قروا) أى أمما كثيرة بعدموسى عليه السلام (قطاؤل) أى بمروره وعلوه
 (عليهم العمر) أى ولكنا أوحينا اليك أنا أنشأنا قروا وتختلفة بعدموسى عليه السلام فتطاولت
 عليهم المدد فسوا العهود واندرست العلوم وانقطع الوحى فحذف المستدرك وهو أوحينا
 وأقام سببه وهو الانشاء مقامه على عادة الله تعالى فى اختصاراته فهذا الاستدراك شبه
 بالاستدراكين بعده (فان قيل) ما لفائدة فى إعادة قوله تعالى وما كنت من الشاهدين بعد قوله
 وما كنت بجباب الغربى لانه ثبت بذلك أنه لم يكن شاهدا لان الشاهد لا بد أن يكون حاضرا
 (أجيب) بأن ابن عباس قال التقدير لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرت ما شاهدت تلك الوقائع
 فانه يجوز أن يكون هناك ولا يشهد ولا يرى وقرأ أبو عمرو فى الوصل بكسر الهاء والميم وحزة
 والكسافى بضم الهاء والميم وحزة فى الوقف بضم الهاء وسكون الميم والباقون فى الوصل
 بكسر الهاء وضم الميم * زمانى العلم عن ذلك بطريق الشهود فى سبب العلم بذلك بقوله تعالى
 (وما كنت ناولا) أى معينا اقامة طويلة مع الملازمة بدين (فى أهل مدين) أى قوم شعيب عليه
 السلام يكلم موسى وشعيب فيهم (تلق) أى تقرأ (عليهم) نعملائهم (اياتنا) العظيمة التى منها
 قصتها لتكون بمن ينهم بأموال الوحى ويتعرف دقيق أخباره فيكون خبرهم وخبر موسى عليه
 السلام معن (ولكن كما مرسلين) اياك رسولا وأنزلنا عليك كتابا فيه هذه الاخبار لتلوها عليهم
 ولولا ذلك ما علمت اولم يخبرهم بها (وما كنت بجباب الطور) أى ناحية الجبل الذى كلم الله تعالى
 عليه موسى عليه السلام (اذ) أى حين (نادينا) أى أوقعنا النداء لموسى عليه السلام فأعطيناه
 التوراة وأخبرناه بما لا يمكن الاطلاع عليه الا من قبلنا ومن قبله ومن المشهور أنكم تطلع
 على شئ من ذلك من قبله لان ما خاطت أحدا من حمل تلك الاخبار عن موسى عليه السلام
 ولا أحد اهلها من جملها عنه ولكن كان ذلك اليك منا وهو معنى قوله تعالى (ولكن) أى
 أنزلنا ما أردنا وأرسلناك به (رحمة من ربك) لك خصوصاً وللخلق عموماً وقيل اذ نادى باسم موسى
 خذ الكتاب بقوة وقال وهب قال موسى يارب أرني مجد اقال انك لن تصل الى ذلك وان شئت
 ناديت أمته وأسمعتك صوتهم قال بلى يا رب فقال الله تعالى يا أمة محمد فأجابه يوم من أصلا بآياتهم
 وقال أبو زرعة نادى يا أمة محمد قد أجبتكم قبل أن تدعوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني

وروى عن ابن عباس ورفعه بعضهم قال الله تعالى يا أمة محمد فاجابوه من أصلاب الآباء وأرحام
الأمهات لبسك اللهم لبسك ان الحمد لله والنعمة لك والملك لاشريك لك قال الله تعالى يا أمة محمد
ان رجحتي سبقت غضي وعفوي عفاي قد أعطيتكم قبل أن تسألوني وقد أجبتكم من قبل أن
تدعوني وقد غفرت لكم من قبل أن تستغفروني من جاء يوم القيامة بشهادة أن لا اله الا الله
وأن محمدا عبدي ورسولي دخل الجنة وان كانت ذنوبه أكثر من زبد البحر * (تنبيه) * قال
البيضاوي لعل المراد به أي بقوله تعالى وما كنت بجانب العلور اذ نادى نيا وقت ما أعطى
التوراة وبالأول أي قوله تعالى وما كنت بجانب الغر في اذ قضينا حيث استنبأناه لانهما
المذكوران في القصة وقوله تعالى (لتنذر) أي لتحذر تحذيرا كثيرا (قوما) أي أهل قوة
ونجدة ليس بهم عائق عن أعمال الخير العظيمة الا الاعراض عنك وهم العرب ومن في ذلك
الزمان من الخلق يتعلق بالفعل المحذوف (ما أناهم) وعم السني بزيادة الجار في قوله تعالى
(من نذير) وزيادة الجار في قوله تعالى (من قبلك) يدل على الزمن القريب وهو زمن
الفترة بينه وبين عيسى عليهما الصلاة والسلام وهو خمسمائة وخمسون سنة ونحو هذا قوله تعالى
لتنذر قوما ما أنذرا أبائهم وقبل ليس المراد زمن الفترة بل ما بينه وبين اسمعيل عليهما السلام
على أن دعوة موسى وعيسى كانت شخصية بيني اسرائيل وما حولهم (لعلهم يذكرون) أي
يتعظون (ولولا أن نصيهم) أي في وقت من الاوقات (مصيبة) أي عظمة (بما قدمت
أبديهم) أي من المعاصي التي قضينا بأنهم يعملوا بعينها (فميقولوا ربنا) أي أيها الحسن البناء
(لولا) أي هلاولم لا (أرسلت لنا) أي على وجه التفسير لئلا نكون على علم بأنهم
يعتني الملك الاعلى به (رسولا) وأجاب التحضيض الذي شبهه بالامر ليكون كل منهما
باعنا على الفعل بقوله تعالى (فتتبع) أي فتنسب عن ارسال رسولك ان تتبع (آياك
وتكون) أي كونه في غاية الرسوخ (من المؤمنين) أي المصدقين لك في كل ما أتى به
عند رسولك * (تنبيه) * لولا الاولى امتناع وجوابها المحذوف تقديره كما قال الزجاج
ما أرسلنا اليهم رسولا يعني ان الحامل على ارسال الرسل اذاحة عنهم بهذا القول فهو
كقوله تعالى لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل والثانية تخصيصية وتتبع جوابها كما مر
فلذلك أضمر أن (فان قيل) كيف استقام هذا المعنى وقد جعلت العقوبة هي السبب في الارسال
لا القول لدخول حرف الامتناع عليها دونه (أجيب) بأن القول هو المقصود بأن يكون سببا
للإسالة ولكن العقوبة لما كانت هي السبب للقول وكان وجوده بوجودها جعلت العقوبة
كأنها سبب للإرسال بواسطة القول فأدخلت عليها لولا وجب بالقول معطوفا عليها بالفاء المعطية
معنى السببية ويؤول معناه الى قولك ولولا قولهم هذا اذا أصابتهم مصيبة لما أرسلنا ولكن اخترت
هذه الطريقة لكسبة وهي أنهم لو لم يعاقبوا مثلا على كفرهم وقد عاينوا الجواب الى العلم
اليقيني بطلان دينهم لم يقولوا لولا أرسلت النار سولا بل انما يقولون اذا نالهم العقاب وانما
السبب في قولهم هذا هو العقاب لا غير التأسف على ما فاتهم من الايمان بخالفهم عز وجل

وفي هذا من الشهادة القوية على استحكام كفرهم ورسوخه فيهم ما لا يخفى وهو كقوله تعالى ولوردوا العاد والمأمن وأغنه * ولما كان التقدير ولكن أنزلنا النار من السماء فحطمتهم هذه بنى عليه (فلما جاءهم) أي أهل مكة (الحق) أي الذي هو أعم من الكتاب والسنة وما يقاس عليه ما هو في نفسه جديراً بأن يقبل لكونه في الذروة العليا من الشبث فكيف وهو (من عندنا) على ما لنا من العظمة وهو على أسانك وأنت أعظم الخلق (قالوا) أي أهل الدعوة من العرب وغيرهم تغنوا وكفرا به (لولا) أي هلا ولم لا (أوتى) أي هذا إلا أني بما يزعم أنه الحق من الآيات (مثل ما أوتى موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرهما من كون الكتاب أنزل عليه جلة واحدة قال الله تعالى (أولئك كفروا) أي العرب ومن بلغته الدعوة من بنى إسرائيل ومن كان مثله في البشرية والعقل في زمن موسى (بما أوتى موسى) عليه السلام (من قبل) أي من قبل محبي الحق على لسان محمد صلى الله عليه وسلم * ولما كان كأنه قد قيل ما كان كفرهم به قيل (قالوا) أي فرعون وقومه ومن كفر من بنى إسرائيل (ساحران) أي موسى وأخوه عليهما السلام (تظاهرا) أي أعان كل منهما صاحبه على سحره حتى صار سحرهما معجزاً فلبا جميع السحرة وتظاهرا الساحرين من تظاهرا السحرة على قراءة الكوفيين بكسر السين وسكون الحاء وقرأ الباقر بفتح السين وكسر الحاء وألف بينهما * (تنبيه) * يجوز أن يكون الضمير لمحمد وموسى عليهما الصلاة والسلام قال البقاعي وهو أقرب وذلك لأنه روى أن قريش اجتمعوا إلى اليهود فسألوه عن محمد صلى الله عليه وسلم فأخبروه ثم أنفعه في كتابهم فقالوا هذه المقالة فيكون الكلام استئنافاً للجواب من كأنه قال ما كان كفرهم به ما قيل قالوا أي العرب الرجلان ساحران أو الكتابان ساحران ظاهر أحدهما الآخر مما لا يخرج علم كل ذي لب أن هذا القول زيف لأنه لو كان شرطاً لعجز السحر التظاهر لكان سحر فرعون أعجزاً من عجز آل فرعون لأنه تظاهر عليه جميع حجرة بلاد مصر وعجز واعن معارضة ما أظهر موسى عليه السلام من آياته كالعصا وما محمد صلى الله عليه وسلم فقد دعا أهل الأرض من الجن والانس إلى معارضة كتابه وأخبرهم أنهم عاجزون ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً فمعجز واعن آخرهم * ولما تضمن قولهم ذلك الكفر صريحاً جوابه (وقالوا) أي كفار قريش (أنا بئس) أي من الساحرين أو السحرة الذين تظاهروا بهما ما أتساه من عند الله (كافرون) جراحة على الله تعالى وتكبراً على الحق ثم قال الله تعالى (قل) أي لهم الزاماً كنتم صادقين في أني ساحر وكنا بئس سحر وكذلك موسى عليه السلام (فأنا بئس كتاب من عند الله) أي الملك العلي الأعلی (هو) أي الذي تأتون به (أهدى منهما) أي من الكتابين وقوله (أتبعه) أي وأثر كهما جواب الأمر وهو فأتوا (أن كنتم) أي أيها الكفار (صادقين) أي في أناسا حراً فأتوا بما أنتم بكم به قال البقاعي وهذا من الشروط التي يراد بها الإلزام والتبكيك ولعل محبي حرف الشك لله تكلم بهم (فإن لم يستجيبوا لك) أي دعاك إلى الكتاب الأهدى لغذف المنعول

للعلم به ولأن فعل الاستجابة تعدي بنفسه الى الدعاء وباللام الى الداعي فاذا عدى اليه حذف
الدعاء غالباً كقول القائل

وداع (أى ورب داع) دعاء من يعجب الى الذنا * فلم يستجبه عند ذلك مجيب
الشاهد في استجبه حيث عداه الى الداعي وحذف الدعاء والتقدير فلم يستجب دعاءه (فاعلم)
أنت (أنما تبعون) أى بغاية جهدهم فيما هم عليه من الكفر والتكذيب (أهواهم) أى
دعائهم أو كثر الهوى يخالف للهدى فهم ضالون غير مهتدين بل هم أضل الناس وذلك معنى
قوله تعالى (ومن أضل ممن اتبع) أى بغاية جهده (هواهم) أى لأحد أضل منه فهو
استقهاهم بمعنى النفي وقوله تعالى (بغير هدى من الله) في موضع الحال للتوكيد والتقييد
فان هوى النفس قد يوافق الهدى (ان الله لا يهدي القوم الظالمين) أى وان كانوا أقوى
الناس لاتباعهم أهواهم (ولقد وصلنا) قال ابن عباس يينا وقال الفراء أنزلنا آيات القرآن
يتبع بعضها بعضاً (لهم) أى خاصة فكان تخصيصهم بذلك منة عظيمة يجب عليهم شكرها
(القول) أى القرآن قال مقاتل يينا لكفار مكة بما فى القرآن من أخبار الأمم الخالية كيف
عذبوا بتكذيبهم وقال ابن زيد وصلنا لهم خير الدنيا بخير الآخرة حتى كانوا عابثوا الآخرة
فى الدنيا (لعلهم يتذكرون) أى ليكون حالهم حال من يرجى لهم أن يرجعوا الى عقولهم فيجدوا
فيما طبع فيها ما يذكرهم بالحق ثم كأنه قيل هل تذكر منهم أحد قيل نعم أهل الكتاب الذين هم
أهل حقاً تذكروا وذلك معنى قوله تعالى (الذين آتيناهم الكتاب من قبله) أى قبل القرآن أو قبل
محمد صلى الله عليه وسلم (هم به) أى بما تقدم (يؤمنون) أيضاً نزل في جماعة أسلموا من اليهود
عبد الله بن سلام وأصحابه وقال مقاتل هم أهل الانجيل الذين قدموا من الحبشة وآمنوا بالنبي
صلى الله عليه وسلم وقال سعيد بن جبيرة هم أربعون رجلاً قدموا مع جعفر من الحبشة على النبي
صلى الله عليه وسلم فلما رأوا ما بال مسلمين من الخصاصة قالوا الهانبي الله ان لنا أموالاً فان أذن لنا
انصرفنا فخرنا بأموالنا فواسيناهم المسلمون فأذن لهم فانصرفوا فأتوا بأموالهم فواسوا بها
المسلمين فنزل فيه ثم ذلك الى قوله تعالى وعمار زقناهم ينفقون وعن ابن عباس نزلت في عثمان
من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وغمانية من الشام ثم وصفهم
الله تعالى بقوله تعالى (واذ اتى) أى تجدد تلاوة القرآن (عليهم قالوا) أى مبادرين
لذلك (آمنابه) ثم عللوا ذلك بقولهم (انه الحق) أى الكامل الذى ايس وراه الا الباطل مع
كونه (من ربنا) أى المحسن النائم عللوا مبادرتهم بقوله لهم (انا كنا من قبله) أى القرآن
(مسلمين) أى منافقين غاية الانقياد مخلصين لله بالتوحيد ومؤمنين بمحمد صلى الله عليه وسلم انه
نبي حق (أولئك) أى العالو الزينة (يؤتون أجراً مرتين) أى لايسانهم به غيباً وشهادة
أى بالكتاب الاول ثم بالكتاب الثانى (عاصبروا) أى بسبب صبرهم على دينهم وقال مجاهد نزلت
في قوم من أهل الكتاب أسلموا فأوذوا وعن أبى بردة عن أبى موسى أن رسول الله صلى الله عليه

وسلم قال ثلاثة يؤتون أجرهم مرتين رجل كانت له جارية فأدبها فأحسن أدبها ثم أعنتها
وترجها ورجل كان من أهل الكتاب آمن بكتابه وأمن بمحمد صلى الله عليه وسلم وعبد أحسن
عبادة الله تعالى ونصح لسيده * ولما كان الصبر لا يتم إلا بالاتصاف بالحاسن والاتخلع من المساوي
قال تعالى عاظموا على يؤمنون مشيراً إلى تجديد هذه الأفعال كل حين (ويدرون) أي يدفعون
(بالحسنة) من الأقوال والأفعال (السيئة) أي فيمعونها بها وقال ابن عباس يدفعون
بشهادة أن لا إله إلا الله الشرك وقال مقاتل يدفعون بها ما سمعوا من الأذى والشتم من
المشركين أي بالصنح والعفو (ومارزقناهم) أي بعطائنا ليجول منهم ولا قوة قليلاً كان أو كثيراً
(ينفقون) أي يصدقون معقدين في الخلف على الذي رزقه * ولما ذكر الله أن السماح
بغنائن النفوس به من فضول الأموال من إمارات الأيمان أتبعه أن خزن ما تبذله الانفس
من فضول الأقوال من علامات العرفان بقوله تعالى (واذا سمعوا اللغو) أي ما لا ينفع
في دين ولا دنيا من شتم وتكذيب وتغيب وفتوة (أعرضوا عنه) تكبر ما عن الخنا وقيل
اللغو القبيح من القول وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب ويقولون لهم
تبألكم تركتم دينكم فيعرضون عنهم ولا يردون عليهم (وقالوا) وعظا ونسبهم القائل (لنا)
خاصة (أعمالنا) لا تنابون على شيء منها ولا تعاقبون (وابكم) أي خاصة (أعمالكم)
لا تطالب بشيء منها فنحن لا نشغل بالرد عليكم (سلام عليكم) متاركة لهم ونبذوا دعاءهم
بالسلامة عما هم فيه لسلام تحية وإكرام ونظير ذلك وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاماً
أ أكد ذلك تعالى بقوله تعالى حاكماً عنهم (لا ينبغي) أي لا تكلف أنفسنا أن نطلب (الجاهلين)
أي لا نريد شيئاً من أموالهم وأقوالهم وأغير ذلك من خلاهم وقيل لا نريد أن نكون من أهل
الجهل والسفه قبل نسخ ذلك بالامر بالقتال وهو بعيد لأن ترك المسافهة مندوب إليه وإن كان
القتال واجباً ونزل في حربه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبي طالب (انك لاتهدى من
أحببت) أي نفسه أو هدايته بخلاف الإيمان في قلبه روى سعيد بن المسيب عن أبيه أنه قال لما
حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد عنده أبا جهل وعبد الله بن
أبي أمية بن المغيرة فقال أي عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله فقال أبو جهل
وعبد الله بن أبي أمية أترغب عن ملة عبد المطلب فلم يزل صلى الله عليه وسلم يعرضها ويصدانه
بتلك الكلمة حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم هو على ملة عبد المطلب وأبي أن يقول لا إله
إلا الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم والله لاستغفرن لك ما لم أنه عن ذلك فأنزل الله تعالى
ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين كذب وأنزل الله تعالى في أبي طالب فقال
رسوله صلى الله عليه وسلم انك لاتهدى من أحببت الآية وفي مسلم عن أبي هريرة أن النبي
صلى الله عليه وسلم أمره بالتوحيد فقال له لولا أن تعصيني قريش تقول أنا نوحى عليه على
ذلك الجزع لا قررت بها عينك فأنزل الله تعالى الآية وروى أن أبا طالب قال عند موته
يا معشر بنى هاشم أطيعوا محمداً وصدد قوه وتلهوا وترشدوا فقال النبي صلى الله عليه وسلم يا عم

تأمرهم بالنصيحة لانفسهم وتدعها للنفس قال فماتريد يا ابن أخي قال أريد منك كلمة واحدة
فانك في آخر يوم من أيام الدنيا تقول لا اله الا الله أشهد بذلك ثم اعند الله قال يا ابن أخي قد علمت
انك صادق ولكني أكره أن يقال جزع عند الموت ولولا أن يكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة
وسبة بعدى لفلتم والافرت بهم اعينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ولكني
سوف أموت على ملة الاشياخ عبد المطلب وعبد مناف (فان قيل) قال الله تعالى
في هذه الآية انك لاتمهدى من أحببت (ولكن الله يهدي من يشاء) وقال تعالى في آية
أخرى وانك لتهدى الى صراط مستقيم (أجيب) بأنه لاتنافي بينهما فان الذي أثبتته وأضافه
اليه الدعوة والذي نفي عنه هداية التوفيق وشرح الصدور وهو يورثه في القلب فيصياه
القلب كما قال تعالى أو من كان مستافاً حينئذ وجه الله نوراً يضيء في الناس (وهو أعلم) أي
عالم (بالمهتدين) أي الذين قد هياهم لتطلب الهدى عند خلقه لهم سواء كانوا من أهل الكتاب
أم من العرب كأولئك أم أبا عبد الله ثم سمي الله تعالى عن كفار قريش شبهة تتعلق بأحوال
الدنيا بقوله تعالى (وقالوا ان تتبع الهدى) أي الاسلام فنوحده الله تعالى من غير اشرار
(معك) وأنت على ما أنت عليه من مخالفة الناس (تخطف) أي من أي خاطف أرادنا
لانا صير قليلا في كثير من غير نصير (من أرضنا) كما تنطف العاصف لمخالفة كافة العرب لنا
وليس لنا نسبة الى كثرتهم ولا قوتهم فيسرعوا اليانا فيخطفونا أي يتقصدون خطفنا واحدا
واحدا فانه لاطاقة لنا على ادامة الاجتماع وأن لا يشذ بعضنا عن بعض قال المبرد والخطف
الانزعاج بسرعة نزلت في الحرث بن نوفل بن عبد مناف قال النبي صلى الله عليه وسلم اننا نعلم أن
الذي نقوله حق ولكن ان اتبعناك على دينك وخالفنا العرب بذلك وانما نحن أكلة رأس خفنا
أن تفرحنا العرب من أرضنا مكة ثم رد الله تعالى عليهم هذه الشبهة وألقمهم الحجر بقوله تعالى
(أولئك منكم) أي غاية التمكن (لهم) أي في أوطانهم ومحل سكناهم بما لنا من القدرة (حرماننا)
أي إذا آمن بأمن فيه كل خائف حتى الطير من كواسرها والوحش من جوارحها حتى ان سبل
الحل لا يدخل الحرم بل اذا وصل اليه عدل عنه وروى أن مكة كانت في الجاهلية لا يعرضها
ظلم ولا بغي ولا يبغي فيها أحد الا أخرجهت و كان الرجل يلقي قاتل أبيه وابنه فيها فلا يجهجه
ولا يعرضه لبسوء وروى الازرق في تاريخ مكة عن حبيب بن عبد العزيز قال كان في
الكعبة حلق يدخل الخائف يده فيها فلا يريه أحد فجاء خائف ليدخل يده فاجتذبه رجل فشلت
يده فلقد رأيته في الاسلام وانه لاشل وعن ابن عباس قال أخذ رجل ذودا من عم له فأصابه
في الحرم فقال ذودي فقال اللص كذبت قال فاحلف فحلف عند المقام فقام رب الذودين
الركن والمقام باسطا يديه يدعو فابرح مقامه يدعو حتى ذهب عقل اللص وجعل يصيح بمكة
مالي ولفلان رب الذود فبلغ ذلك عبد المطلب فجمع الذود ودفعه الى المظالم فخرج به وبني
الاخر حتى وقع من جبل فتردى فأكلته السباع وعن ابن جريج ان غير قريش من العرب

كانوا يطوفون بالبيت عراة الا ان اعارتهم قريش شيابا فجاءت امرأته اجمال فطافت
عريانة فوارجل فاجبته فدخل فطاف الى جنبها فادنى عضده من عضدها فالتزقت عنده
بعضدها فخرجا من المسجد هاربين فزعين على وجوههما لما اصابهما من العقوبة فلقبها مشيع
من قريش فاقتاها ما أن يعود الى المكان الذي اصابا فيه الذنب فيدعوان ويخلصان أن
لا يعودا فعادا ودعوا وأخلصا النية فافترت أعضادهما فذهب كل واحد منهما في ناحية وعن
عبد العزيز بن رواد أن قوما اتهموا الى ذي طوى فاذا ظنى قد دنا منهم فأخذ رجل منهم بقائمة
من قوائمه فقال له أصحابه ويحك أرسله فعمل بفعلك وأبى أن يرسله فبصر الطيبي وبال ثم أرسله
فناموا في القافلة ثم اتهموا فاذا بجبهة متطوقة على بطن الرجل الذي أخذ الطيبي فلم تنزل الحية
عنه حتى كان منه من الحدث مثل ما كان من الطيبي وعن مجاهد قال دخل قوم مكة تجارا من
الشام في الجاهلية فترلوا اذا طوى فاختبروا له لهم ولم يكن معهم ادم فرمى رجل منهم طيبة
من طباطا الحرم وهي حوله ثم رعى فقاموا اليها فسلخواها وطبخوها لئلا يندموا فيها فينقادهم
على النار فيلحقها اذ خرجت من تحت القدر عنق من النار عظيمة فأحرقت القوم جميعا ولم
تتحرق ثيابهم ولا أمتعتهم وعن أيوب بن موسى ان امرأة في الجاهلية كان معها ابن عم لها
صغير فذالت لها بنى الى أغيب عنك والى أخاف أن يظلمك أحد فان جارك ظالم بعدى فان الله بمكة
يتناسم عنك فجاءه رجل فذهب به فاسترقه فلما رأى الغلام البيت عرفه بالدفقة فنزل يشهد حتى
تعلق بالبيت فجاءه سيده فذبحه اليه لياخذه فبيست يده فذلت الاخرى فبيست فاستغنى فأقضى أن
يخرج عن كل واحدة من يديه بدنة ففعل فأطلت يده وترك الغلام وخلي سبيله وعن أبي ربيع
ابن سالم الكلابى أن رجلا من كنانة بن هذيل ظلم ابن عم له فخوفه بالدعاء في الحرم فقال هذه ناقى
فلانة اركبها فاذهب اليه فاجتهد في الدعاء في الحرم فجاءه في الحرم في الشهر الحرام فقال اللهم
انى أدعوك جاهدا مضطرا على ابن عمى فلان ترميه بدار لادوا له ثم انصرف فوجد ابن عمه قد
رمى في بطنه فصار مثل الزق فزال ينتفخ حتى انشق وعن عمر بن الخطاب رضي الله عنه انه سأل رجلا من
بنى سليم عن ذهاب بصره فقال يا أمير المؤمنين كذا بنى ضيعاء عشرة وكان لنا ابن عم فكانت ظلمة فكان
يذكرنا الله والرحم فلما رأى أننا لا نكف عنه انتهى الى الحرم في الاشهر الحرم فجعل يرفع
يديه ويقول

لاهم أدعوك دعاء جاهدا * اقبل بنى ضيعاء الاواحد

ثم اضرب الرجل ودعه قاعدا * أعمى اذا قيد بعمى القائد

قال ذات اخو في التسعة في تسعة أشهر في كل شهر واحد وبقيت أنا فوميت ورماني الله عز وجل
في رجلى فليس يلائنى قائد فقال عمر رضي الله تعالى عنه جعل الله هذا في الجاهلية اذ لا دين حرمة
حرمها وشرفها ليرجع الناس عن اتهاك ما حرم مخافة تعجيل العقوبة فلما جاء الدين صار التوعد
للساعة ويستحيب الله تعالى لمن يشاء فانقوا الله وكونوا مع الصادقين وانما كثرت من هذه
الحكايات ليكون الداخل للحرم على حذر فان الله تعالى جاءه ومكن أهله في الحرم الذي

امنهم بجرمة البيت وامن قطانه بجرمته وكانت العرب في الجاهلية حولهم يتغاورون ويتجادون وهم آمنون في حرمهم لا يخافون وبجرمة البيت هم قازون بواد غير ذي زرع والثمرات والارزاق تجي اليهم كما قال تعالى (يجي) أي يجمع ويحمل (اليه) أي خاصة دون غيره من جزيرة العرب (غرات كل شيء) من النبات الذي بأرض العرب من غمر البساتين الحارة كالسرو والطب والنبق والباردة كالعنب والتفاح والرمان والخوخ فاذا حولهم الله تعالى ما حولهم من الامن والرزق بجرمة البيت وحدها وهم كفرة عبدة أصنام فكيف يستقيم أن يعزّزهم للخوف والتخطف ويسلمهم الامن اذا ضمو الى حرمة البيت حرمة الاسلام واسناد الامن الى أهل الحرم حقيقة والى الحرم مجاز * (تنبيه) * معنى الكلمة هنا الكثرة كقوله تعالى وأنت من كل شيء ولكن في تعبيره بالمضارع وما بعده إشارة الى الاستمرار وان يأتي اليه بعد ذلك من كل ما في الارض من المال ما لم يخطر لاحد منهم في بال وقرأنا فاع بالتاء الفوقية والباقون بالياء التحتية وأمال جزءوا الكسائي محضة ورش بالنسخ وبين اللغتين والباقون بالفتح ثم انه تعالى بين أن الرزق من عنده بقوله تعالى (رزقاً من لدنا) أي فلا صنع لاحد فيه بل هو محض تنزيل * (تنبيه) * اتصاب رزقاً على المصدر من معنى يجي أو الحال من غرات لتخصيصهم بالاضافة كما تنصب عن الذكورة المخصصة وان جعلته اسماء للرزق اتصبت على الحال من غرات (ولكن أكثرهم) أي أهل مكة وغيرهم ممن لا هداية له (لا يعلمون) أي ليس لهم قابلية للعلم حتى يعلموا اننا نحن القائلون لذلك بل هم جهلة لا يتطنون له ولا تفكرون له لعلوا وقيل انه متعلق بقوله تعالى من لدنا أي قليل منهم تدبرون فيعلمون أن ذلك رزق من عند الله اذ لو علموا المخافوا غيره ثم بين تعالى أن الامر بالعكس فانهم أحمقاً بأن يخافوا من بأس الله تعالى على ما هم عليه بقوله تعالى (وكم أهلكنا من قرية) أي من أهل قرية وأشار الى سبب الاهلاك بقوله تعالى (بطرت معيشتها) أي وقع منها البطر في زمن عيشتها الرخي الواسع فكان حالهم كحالكم في الامن وادرار الرزق فلما بطر وامعشتهم أهلكناهم ومعنى بطرهم لها قال عطاء انهم أكلوا رزق الله وعبدوا غيره وقيل البطر سوء احتمال الغنى وهو ان لا يحتفظ حق الله تعالى فيه * (تنبيه) * اتصاب معيشتها اما بحذف الجار واتصال الفعل كما في قوله تعالى واختار موسى قومه أو بتقدير حذف طرف الزمان وأصله بطرت أيام معيشتها واما بتضمين بطرت معنى كشرت أو خسرت أو على التمييز وعلى التشبيه بالمفعول به وهو قريب من سفة نفسه (فمكث مساكينهم) خاوية (لم تسكن من بعدهم) بعد ان طال ما تالوا فيها وغفوها وزخرفوها وزوا فيها الابكار وفرحوا بالاعمال البكار (الآ) سكوناً (قليل) قال ابن عباس لم يسكنها الا السافرون ومار والطريق يوماً وساعة من ليل أو نهار ثم تصير سبباً موحشة كالقفار بعد ان كانت ممتعة القناء بيض الصفاح وسم القنأ قال الزمخشري ويحتمل ان شؤم معاصي المهلكين بقي أثره في ديارهم فكل من سكنها من أعقابهم لم يبق فيها الا قليلاً (وكذا) أي ازلا

وابدا (نحن) لا غيرنا (الوارثين) منهم اذ لم يخلفهم احد يتصرف تصرفهم في ديارهم وسائر
متصرفاتهم قال القائل

تخلف الامم عن اصحابها * حينما ويدركها الفناء فتبتع

(وما كان ربك) أى المحسن اليك بالاحسان بارسالك الى الناس (مهلك القرى) أى هذا
الجفس كله يجرم وان عظم (حتى يبعث في أممها) أى اعظمها وأشر فيها (رسولا) لان غيرها
تبع لها ولم يشترط كونه من أممها فتد كان عيسى عليه السلام من الناصرة وبعث الى بيت
المقدس (يتلو عليهم) أى أهل القرى كلهم (آياتنا) الدالة على ما ينبغي لنا من الحكمة
وبالهامن الانجاء على نفوذ الكامة وباهر العظمة الزام للعبادة وقطعا للمعذرة لئلا يقولوا
ربنا لولا أرسلت الينا رسولا لولا ذلك لما أرتدنا عنوم الخلق بالرسالة تجعلنا الرسول وهو محمد صلى
الله عليه وسلم نائم الانبياء من أم القرى كلها وهى مكة ابدال الحرام (وما كأمه لمكى القرى)
أى كلها بعد الارسال (الأوأهلها طالمون) أى غريقون في الظلم بالعصيان بترك غرات الايمان
وتكذيب الرسل (وما أوتيتهم من شئ) أى من أسباب الدنيا (فتناع) أى فهو متناع (الحياة الدنيا)
تتمتعون بها أيام حياتكم وليس يعود دفعه الى غيرها فهو آيل الى فساد وان طال زمن التمتع به
(وزينتها) أى فهو زينة الحياة الدنيا التى هى كلها فاضلا عن زينتها الى فناء فليس تهى ولا شئ يبارى
ولا أبدى (وما عند الله) أى الملك الاعلى وهو ما لا عين رأت ولا اذن سمعت (خير) على تقدير
مشاركة ما فى الدنيا له فالخيرية فى ظنكم لان الذى عنده اطيب واكثر واشهى وازهى (و) هو
مع ذلك كله (ابنى) لانه وان شارك متناع الدنيا فى انه لم يكن ازلها فهو ابدى وهذا جواب عن
شبههم فانهم قالوا ان كمال الدين اتملا نفوسنا الدنيا فبين تعالى ان ذلك خطأ عظيم لان ما عند الله
خير وابقى من وجهين الاول ان المنافع هناك اعظم والثانى انه اخالصة عن الشوائب ومنافع
الدنيا مشوبة بالمضار بل المضار فيها أكثر وأما أن ابني فلانها دأمة غير منقطعة ومن قابل
المتناهي بغير المتناهي كان عدم ما فظهر بهذا ان منافع الدنيا لا تنسب لها الى منافع الآخرة فلا
جرم تنبه على ذلك بقوله تعالى (أفلا يعقلون) ان الباقي خير من الفانى فيستبدلون الذى هو أدنى
بالذى هو خير فمن لم يرج منافع الآخرة على منافع الدنيا فانه يكون خارجا عن حد العقل قال
ابن عادل ورحم الله الشافعى حيث قال من أوصى ثلث ماله لاعتقل الناس صرف ذلك الثلث
الى المشتغلين بطاعة الله تعالى لان عقل الناس من أعطى القليل وأخذ الكثير وما هم الا
المشتغلون بالطاعة فكانه رحمه الله تعالى انما أخذ من هذه الآية انتهى وقرأ أبو عمر وبالباء
وهو بلغ فى الموعظة لاشتماله على الالتفات للاعراض به عن خطايهم والباقون بالتاء على
الخطاب جريا على ما تقدم (أفمن وعدناه) على عظمته فى الغنى والتدرة والصدق (وعدا
حسنا) لاشئ أحسن منه فى موافقته للامنية وبقائه وهو الجنة فان حسن الوعد بحسن
الموعد ولذلك سمى الله تعالى الجنة بالحسنى (فهو لاقبه) أى مدركه لامتناع الخلاف وعده
ولذلك عطفه بالفناء المعطية معنى السببية (كن متعنا متناع الحياة الدنيا) أى الذى هو

عليه فأقل ما رآه أن يوزع العذاب على من كان سبباً في ذلك وقيل ما صدر به من قوله تبعاً لما رأى
تراً من عبادتهم أياً ما كان ولم يلم بل غفرت إلى هذا الكلام منهم بل عذرهم ما لا طائل تحته أشد إلى
الأعراض عنه لأنه لا يستحق جواباً كما قيل رب قول جوابه السكوت بقوله تعالى (وقيل)
أي ثانياً للتباعد تهمكهم - واطهار العجزهم الملزوم لتعديهم وعظم نأسهم وذكر ذلك بصيغة
الجهول للاستهانة بهم وانهم من الدل والصغار بحيث يجيبون كل أمر كأنهم (أدعوا) أي
كلكم (شركاءكم) أي الذين ادعيتهم جهلاً شركتهم ليدفعوا عيكم العذاب (فدعوه) تعالوا بنا
لا يغني وتساكبما يتحقق أنه لا يجدي الشرط الغاية واستيلاء الحيرة والدهشة (فلم يستجيبوا لهم)
أي لم يجيبوه هم لعجزهم عن الاجابة والنصرة قال ابن عادل والأقرب أن هذا على سبيل التقرير
لأنهم يعلمون أنه لا فائدة في دعائهم (ورأوا) أي هم (العذاب) عاملين بأنه واقعهم لا نفع
عنهم فكان الحال حينئذ مقتضياً أن يقال من كل من يهواههم (لو أنهم كانوا يتدنون) أي
تحصل منهم هداية ساعة من الدهر تأسفوا على أمرهم وغنوا غلامهم ولو أن ذلك كان في طاعتهم
وجواب لو محذوف أي لتجوا من العذاب ولما رأوه أصلاً قال الضحاك ومقاتل يعني التبوع
والتابع يرون العذاب ولو أنهم كانوا يتدنون في الدنيا ما أبصروا في الآخرة (ويوم يناديهم)
أي الله تعالى وهم بحيث يستمعهم الداعي ويتقدمهم البصر قد برزوا لله جميعاً من كان منهم عاصياً
ومن كان منهم مطيعاً في صعيد واحد قد أخذوا بأنفسهم الزحام تراكب الأقدام على الأقدام
والجهم العرق وعظم العرق (فبئس ماذا) أي أوضاع وعينوا أجوابكم الذي (أجبتهم
المرسلين) اليهم * (تنبيه) * ويوم يحطوف على الأول فإنه تعالى يسأل عن أشراكم بهم ثم
تكذبهم الأنبياء ولم يلم يكن لهم قدم صدق ولا سابق حق بما أتتهم الرسل به من الحجج لم يكن لهم
جواب إلا السكوت وهو المراد بقوله تعالى (فعميت) أي خفيت وأظلمت (عليهم الأنبياء) أي
الأخبار المنجية (يومئذ) التي هي من العظمة بحيث يحق لها في ذلك اليوم أن تذكر * (تنبيه) *
الأصل فعموا عن الآية لكنه عكس مبالغة ودلالة على أن ما يحضر الذهن إنما يفيض ويرد
عليه من خارج وإذا أخطأ لم يكن له حيلة إلى استحضاره وإذا كان الرسل عليهم الصلاة والسلام
في ذلك اليوم يفوضون إلى علم الله تعالى فما ظنك بالضلال فلهذا قال تعالى (فهم لا ينسأون)
أي لا يسأل بعضهم بعضاً عن الجواب لشرط الدهشة أو لعلهم بأنه من عذاب حال من أسر على كثرة
(فأما من تاب) عنه وقوله تعالى (وأم من) نصريح بماء علم التماسان الكفر والإيمان ضدان
لا يمكن تولد أحدهما إلا بأخذ الآخر وقوله تعالى (وعمل صالحاً) لاجل أن يكون مصداقاً لدعواه
بالإيمان (فمسي) إذا فعل ذلك (أن يكون من المتقين) عند الله وعسى فيحقق على عادة
الكروام أو ترج من الناسب يعني فليستوقع أن ينلج * ولما كان كانه قيل ما لاهل القسم الأول
لا يتوخون النجاة من ضيق ذلك البلاء إلى رجب هذا الرجاء وكان الجواب ربك منهم من
ذلك وماله لم يقطع له - ذا القسم بالسلاح كما قطع لاهل القسم الأول بالثناء كان الجواب
(وربك يخلق ما يشاء ويختار) لا موجب عليه ولا مانع له (ما كان لهم الخيرة) أي أن ينفهوا

يقول لهم كل ما يختارونه * (تنبيه) * الخيرة بمعنى الخبر كالطيرة بمعنى التطير وظاهره نفي الاختيار عنهم رأسا قال البيضاوي والامر كذلك عند التحقيق فان اختيار العبيد مخلوق منوط بدواع لا اختيار لهم فيها وقال الرازي في النوامع وفيه دليل على أن العبد في اختياره غير مختار فلهذا أهل الرضا حطوا الرجال بين يدي ربهم وسلوا الامور اليه بصفاء التقوى يض يعني فان أمرهم أوتهاهم يادروا وان أصابهم سهام المصائب العظام صابروا وان أعزهم أعزوا انفسهم وأكرموا وان أذلهم رضوا وسلوا فلا يرضيهم الا ما يرضيه ولا يريدون الا ما يريد فيخيه قال القائل وقف الهوى لي حبت أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم
أجد الملامة في هوالة الذئبة * حسب الذكرك فليملئ للزوم
وأهنتي فأهنت نفسي صاغرا * مامن بهمون عليك من بكرم

وقبل ما موصولة مفعول لاختار والراجع محذوف والمعنى ويختار الذي كان لهم فيه الخيرة اي الخير والصلاح (سبحان الله) تنزيها لله ان يراجه أحد أو ينازع اختياره (وتعالى) أي علا علوا لا تبلغ العقول توجيه كنه مداه (عما يشركون) أي عن اشراكهم أو مشاركة ما يشركونه به * ولما كانت القدرة لا تتم الا بالعلم قال تعالى (وربك) أي الحسن اليك المتولي أمر ترتيبك (يعلم ما تكن) أي تخفي وتستتر (صدورهم) من كونهم يؤمنون على تقدير ان تأتيتهم آيات مثل آيات موسى عليه السلام أولا يؤمنون ومن كون ما أظهر من أظهر الايمان بلسانه خالصا ومشوبا ومن كونهم يخفون عداوة الرسول صلى الله عليه وسلم (وما يعلمون) أي يظهر من ذلك كل ذلك لديه سواء فلا يكون لهم مراد الا بخلقهم (فان قيل) هلا اكني بقوله تعالى ما تكن صدورهم عن قوله وما يعلمون (أجيب) بأن علم الخفي لا يستلزم علم الجلي اما بعد وألفظ او اختلاط أصوات يمنع تمييز بعضها عن بعض أو غير ذلك * ولما كان علمه تعالى بذلك انما هو ليكون الهوا واحد افر داصدا وكان غيره لا يعلم من علمه الاماعله قال تعالى (وهو الله) أي المستأثر بالالهية الذي لا يسمى له الذي لا يحيط الواضدون بكنهه عظمتيه ثم شرح معنى الاسم الاعظم بقوله تعالى (لا اله الا هو) وهذا تنبيه على كونه قادرا على كل الممكنات عالما بكل المعلومات منزعا عن النوائص والآفات ثم علل ذلك بقوله تعالى (له) أي وحده (الجد) أي الاحاطة بأوصاف الكمال (في الاولى والاخرة) لانه المولى للنعم كلها عاجلها وآجلها يحمد المومنون في الآخرة كما حمدوه في الدنيا (فان قيل) الحمد في الدنيا ظاهر فما الحمد في الآخرة (أجيب) بأنهم يحمدونه بقولهم الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن الحمد لله الذي صدقنا وعده وآخردعواهم أن الحمد لله رب العالمين والتوحيد هناك على وجه اللذة لا الكلفة وفي الحديث يلهمون التسبيح والتقديس (وله الحمدكم) أي القضاء النافذ في كل شيء وقال ابن عباس حكم لاهل الطاعة بالمغفرة واهل المعصية بالشقاء (واليه) لا الى غيره (ترجعون) أي بأيسر أمر يوم النفع في الصور لبعثرة ما في القبور بالبعث والنشور مع أنكم الآن راجعون في جميع أحكامكم اليه ومقصودون عليه ان شاء امضاها وان أراد ردها ولو اها في الآية غاية التقوية لقلوب

المطيعين ونهاية الزجر والردع للمعتردين ثم بين سبحانه وتعالى بعض ما يجب أن يحمد عليه مما لا يقدر عليه سواه بقوله تعالى (قل) أي يا أفضل الخلق لاهل مسكة (أرأيتم) أي أخبروني (أن جعل الله) أي الملك الأعلى (عليكم الليل) أي الذي به اعتدال حر النهار (سرمدا) أي دائماً (إلى يوم القيامة) لأنها رعمه (من اله غير الله) أي العظيم الشأن الذي لا كف له (بأنيتكم بضياء) أي بنهار تطلبون فيه المعيشة (أفلا تسمعون) أي ما يقال لكم بجماع اصغاه وتدبر (قل أرأيتم أن جعل الله) أي الذي له الأمر كله (عليكم النهار) أي الذي توازن حرارته برطوبة الليل فيسببها صلاح النبات وغير ذلك من جميع المنقدرات (سرمدا) أي دائماً (إلى يوم القيامة) لا ليل فيه (من اله غير الله) أي الجليل الذي ليس له مثل (بأنيتكم بلبيل) أي نشأته ظلام (تسكنون فيه) استراحة عن مشاعب الاشغال (فان قيل) هلا قيل بنهار تصرفون فيه كقيل لبيل تسكنون فيه (أجيب) بأنه تعالى ذكر الضياء وهو ضوء الشمس لأن المنافع التي تتعلق به متكاثرة ليس التصرف في المعاش وحده والظلام ليس بتلك المنزلة ومن ثم قرن بالضياء أفلا تسمعون لأن الله مع يدرك ما لا يدرك البصر من ذلك منافعه ووصف فوائده وقرن باللبيل (أفلا تبصرون) لأن غيرك يصبر من منفعة الظلام ما تبصره أنت من السكون قال البقائي فالآية من الاحتباك ذكر الضياء أول دليل على حذف الظلام ثانياً والليل والسكون ثانياً دليل على حذف النهار والانتشار أول دليل على حذف السكون ثالثاً والسمع والابصار لتدبروا آياته وتصرفوا في مصنوعاته عطف عليه (ومن رحمته) أي التي وسعت كل شيء لأن من غيرهما من خوف أو رجاء أو تعلق غرض من الأغراض (جعل لكم الليل والنهار) آيتين عظيمتين دبر فيهما وبهما جميع مصالحكم فجعل آية الليل (لتسكنوا فيه) فلا تسموا فيه لمعاشكم (وم جعل آية النهار مبصرة) (لتبصروا من فضله) بأن تسموا في معاشكم ببجودكم قال البقائي فالآية من الاحتباك ذكر أول السكون دليل على حذف السعي في المعاش ثانياً وذكر الابتغاء من فضله ثانياً دليل على حذف عدم السعي في المعاش أولاً (ولعلكم تشكرون) أي وليكون حالكم حال من يربح منه الشكر لما يجدد لكم من تقليم ما من النعم المتوالية التي لا يحصرها الخلقها وأما الآخرة فلما كانت غير مبنية على الأسباب وكانت الجنة لا تعب فيها بوجه كان لا حاجة فيها بالليل (ويوم يناديهم فيقول أين شركائي الذين كنتم ترعون) تقرع بعد تقرع للاشعار بأنه لا شيء أجلب لغضب الله تعالى من الاشراك به كأنه لا شيء أدخل في مرضاه من توحيد الله فكما أدخلنا في أهل توحيدك فأدخلنا في الناجين من وعيدك ومتعنا بالظفر إلى وجهك الكريم يا رحم الراحمين ويحتمل أن يكون القول لتقرير فساد رأيهم والثاني إبان أنه لم يكن عن سন্দوأنما كان محض شه وهوى أو أنه ذكر الثاني كما قال الجلال الهلبي ليبنى عليه (وزرعنا) أي أخرجنا وأفردنا بقوة وسطوة (من كل أمة شهيداً) أي وهو رسولهم يشهد عليهم بما قالوه (فتبنا) أي فنسب عن ذلك أن قلنا للام (هاؤا برهانكم) أي دليلهم القطعي الذي فزعتهم في الدنيا إليه وعولتم في شرككم عليه كما هو شأن ذوى العقول أنهم لا يبنون شيئاً على غير أساس (فعلوا) أي بسبب هذا

السؤال لما اضطروا ولم يجدوا لهم سبيدا (إن الحق) في الإلهية (الله) أي الملك الذي له الامركه لا يشاركة فيه أحد (وضلع عنهم) أي غاب غيبة الضائع (ما كانوا يفترون) أي يقولونه قول الكاذب المنعبد للكذب ليكون له دليل عليه ولا شبهة للغلط فيه (أن فارون) ويسمى في التوراة توح (كان من قوم موسى) قال آثر المفسرين كان ابن عمه لأن فارون بن بصهر بن قاهث بن لاوي بن يعقوب وموسى عليه السلام ابن عمران بن قاهث بن لاوي وقال ابن اسحق كان فارون عم موسى فكان أخا عمران وهما ابنا بصهر ولم يكن في بني اسرائيل اقرا للتوراة من فارون ولكنه نافع كما نفع السامري وكان يسمى النور الحسن صورته وعن ابن عباس كان ابن خالته (فبقي عليهم) أي تجاوز الحد في احتقارهم عاخر لئلا فيه قيل كان عاملا لفرعون على بني اسرائيل وكان يبغي عليهم ويظلمهم وقال قتادة بغي عليهم بكثرة المال ولم يرع لهم حق الايمان بل استخف بالقتراء وقال الضحاك بغي عليهم بالشرك وقال شهر بن حوشب زاد في طول تشابهه شبرا روى عن ابن عباس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لا ينظر الله يوم القيامة الى من جزئ به خيلاء وقال القفال طلب الفضل عليهم وان يكونوا تحت يده وقال ابن عباس تكبر عليهم - وتجبر وقال الكشي تحسد هرون عليه السلام على الحبورة روى أهل الاخبار أن فارون كان أعلم بني اسرائيل بعد موسى وهرون وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبقي وطغي وكان أول طغيانه وعصيانه أن الله تعالى أوحى الى موسى أن يأمر قومه أن يعلتوا في أردنيهم خيوطا أربعة في كل طرف خيطا أخضر كلون السماء يذكرون اذا نظروا اليها السماء ويعاون أي منل منها كلامي فقال موسى عليه السلام يارب أفلا تأمرهم أن يجعلوا أردنيهم كلها خضر فان بني اسرائيل تحنر هذه الخيط فقال الله تعالى يا موسى إن الصغير من أمري ليس بصغير فان لم يطيعوني في الأمر الصغير لم يطيعوني في الأمر الكبير فدعاهم موسى عليه السلام وقال إن الله تعالى يأمركم أن تعلتوا في أردنيكم خيوطا خضرا كلون السماء لكي تذكروا ربكم اذا رأيتموها ففعل بنو اسرائيل ما أمرهم به واستكبر فارون ولم يفعل وقال اغنا يفعل هذا الابواب بعبيدهم لكي تغرؤا عن غيرهم وكان هذا بدء عصيانه وبغيه ولما قطع الله لبني اسرائيل البحر وأغرق فرعون جعل الحبورة لهرون عليه الصلاة والسلام فحصلت له النبوة والحبورة وكان له القربان والذبيح وكان لموسى عليه السلام الرسالة فوجد فارون لذلك في نفسه وقال يا موسى لك الرسالة ولهرون الحبورة واست في شيء لأصبر أنا على هذا فقال موسى عليه السلام والله ما صنعت ذلك لهرون بل الله تعالى جعلها له فقال فارون والله لأصدقن حتى ترى بيانه فجمع موسى عليه السلام رؤساء بني اسرائيل وأمرهم أن يجي كل رجل منهم بعصا فجاءوا بها فخرمها وألقاها موسى عليه السلام في قبة له كان يعبد الله تعالى فيها وكان ذلك بأمر الله تعالى ودعاه موسى عليه السلام أن يريهم بيان ذلك فبأوا يجرسون عصيهم فأصبحت عصاهرون عليه السلام وقد اهترأها ورق أخضر وكانت من شجرة اللوز فقال موسى عليه السلام لفارون ألا ترى ما صنع لهرون عليه السلام فقال والله ما هذا بأعجب مما صنع من السحر فاعتزل فارون

ومعه ناس كثير وولى هرون عليه السلام الحبورة وهي رياسة الذبيح والت قربان وكانت بنو
اسرائيل يأتون بهديا لهم الى هرون عليه السلام فيضهها في المذبح وتنزل نار من السماء فتأكلها
واعنزل فارون باتباعه وكان كثير المال والتبع من بنى اسرائيل فكان لا يأتي موسى عليه السلام
ولا يجالسهم وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم ان فارون كان من السبعين المختارة الذين سمعوا
كلام الله تعالى * ولما ذكر الله تعالى بغيبه ذكر سببه الحقيقي بقوله تعالى (وايتناه من الكنوز) أى
الاموال المدفونة المدخورة فضلا عن الظاهرة التي هي بصدد الاتفاق منها المعاصاة يعرض
من المهمات (ما) أى الذى أوتى شئ كثير لا يدخل تحت حصر حتى (ان مفتاحه) أى مفتاح
الاعمال التي هو مدفون فيها وراى أبوابها (لتنزه) أى تمسك بجهد ومشقة تنقلها (بالعصبة)
أى الجماعة الكثيرة التي تعصب أى يتولى بعضهم بعضا (أولى) أى أصحاب (التنزه) أى تعليمهم من
اقتنائها اياهم * (تنبيه) فى المبالغة بالتعبير بالكنوز والمناخ والنزه والعصبة الموصوفة ما يدل
على انه أوتى من ذلك ما لم يؤت أحد ممن هو فى عداده وكل ذلك مما تستبده العقول فلذلك وقع
التأكيده واختلافوا فى عدد العصبة فقال مجاهد ما بين العشرة الى خمسة عشر وقال الخليل
عن ابن عباس ما بين الثلاثة الى العشرة وقال قتادة ما بين العشرة الى الأربعين وقيل أربعون
رجلا وقيل سبعون وروى عن ابن عباس قال كان يحمل مفتاحه أربعون رجلا أقوى
ما يكون من الرجال وقال جرير عن منصور عن خيثمة قال وجدت فى الانجيل ان مفتاح خزائن
فارون وقرسته بين بغلاما يزيد فيها مفتاح على اصبع لكل مفتاح كنز ويقال كان فارون أيضا
ذهب يحمل معه مفتاح كنوزه وكانت من حديد فلما أنقلت عليه جعلت من خشب فثقلت
فجعلها من جلود البقر على طول الاصابع وكانت تحمل معه اذا ركب على أربعين بغلا وفى الباء فى
بالعصبة وجهان أنهم للتعبية كالهزمة ولا قلب فى الكلام والمعنى لى المناخ العصبة الاقوياء
كما تقول أجناته وجئت به وأذهبته وذبحت به والثانى قال أبو عبيدة ان فى الكلام قلبا والاصل
لتنزه العصبة بالمناخ أى تمنض بها كقولهم عرضت الناقة على الحوض ولما ذكر الله تعالى
بغيبه ذكر وقته بقوله تعالى (اذ قال له قومه) أى من بنى اسرائيل (لا تفرح) أى بكثرة المال
فرح بطرفان الفرح بالعرض الزائل يدل على الركون اليه وذلك يدل على نسيان الآخرة وعلى
غاية الجهل وقلة التأمل بالعواقب قال ابن عباس كان فرحه ذلك شرا لانه ما كان يخاف معه
عقوبة الله عز وجل (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (لا يحب) أى لا يعامل معاملته المحب
(الفرحين) أى البطرين الاشرين الراغبين فى النرح بما يقضى الذين لا يشكرون الله تعالى بما
أعطاهم فان فرحهم يدل على سقوط الهمم كما قال تعالى ولا تفرحوا بما آتاكم وقال التائى فى ذلك
ولست بفرح اذا الدهر مررتى * وقال آخر

أشد ألم عندى فى سرور * نيقن عنه صاحبه انتقالا

فلا يفرح بالدينا الامن ونسى بها واطمان فأما من قلبه الى الآخرة ويعلم أنه مفارق ما فيه عن
قريب لم يتخذته نفسه بالفرح (وابتغ) أى اطلب طالبا تحمد نفسك فيه (فما آتاك الله) أى

الملك الذي الامر كله بيده من الغنى والثروة (الدار الآخرة) بأن تقوم بشكر الله فيما أنعم الله عليك وتنفقه في رضا الله تعالى فيجازيك بالجنة (ولانس) أى ولا تترك (نصيحتك من الدنيا) قال مجاهد لا تترك أن تعمل في الدنيا للآخرة حتى تنجو من العذاب لأن حقيقة نصيب الانسان من الدنيا أن يعمل للآخرة وقال السدى بالصدقة وصله الرحم وقال علي رضي الله تعالى عنه وكرم الله وجهه لا تنس صحتك وقوتك وشبابك وغناك ان نطلب بها الآخرة روى أنه صلى الله عليه وسلم قال فليأخذ العبد من نفسه لنفسه ومن ديناه لآخرة ومن الشبهة قبل الكبر ومن الحياة قبل الموت فوالذي نفس محمد بيده ما بعد الموت من مستعقب ولا بعد الديار الآخرة والنار وعن ميمون الأزدي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لرجل وهو يعظه اغتنم خسا قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وقال الحسن أمر أن يقدم الفضل ويسلك ما يغنيه وقال منصور بن زاذان قوتك وقوت أهلك (وأحسن) أى أوقع الاحسان بدفع المال الى المحتاجين والانساق في جميع الطاعات ويدخل في ذلك الاعانة بالجاء وطلاقة الوجه وحسن اللقاء وحسن الذكر (كما أحسن الله) الجامع لصفات الكمال (الملك) بأن تعطي عطاء من لا يخاف الفتر كما أوسع الله عليك (ولا تبغ) أى ولا تراد رادة ما (الفساد في الارض) بتفتير ولا تذكروا ولا تكبروا على عباد الله تعالى ولا تحقرنم اتبع ذلك علمه مؤكداً لأن أكثر المفسدين يسهط لهم في الدنيا وأكثر الناس يستبعد أن يسهط فيه الغير محبوب فتبيل (ان الله) أى العالم بكل شيء التقدير على كل شيء (لا يجب المفسدين) أى لا يعاملهم معاملة من يحبه وقيل ان القائل له هذا موسى عليه السلام وقيل مؤمنو قومه وكيف كان فقد جمع في هذا الوعظ ما فيه مزيد لكنه أبى أن يقبل بل زاد عليه كثر النعمة بأن (قال) أى قارون في الجواب (انما أوتيته) أى هذا المال (على علم) حاصل (عندي) فانه كان أعلم بنى اسرائيل بالتوراة اى فرأى له أهل القبط في هذا المال عليكم كما فضلى بغيره وقبل هو علم الكيمياء وقال سعيد بن المسيب كان موسى يعلم الكيمياء فلم يوسع بنون ثلث ذلك العلم وعلم كالب بن يوفنا ثلثه وعلم قارون ثلثه فخذ هما قارون حتى أضاف علمهما الى علمه فكان ذلك سبب أمواله وقيل على علم عندى بالتصرف في التجارات والزراعات وأنواع المكاسب ثم أجاب الله تعالى عن كلامه بقوله تعالى (أو لم يعلم ان الله) أى بما له من صفات الجلال والعظمة والكمال (قد أهلك) وقوله تعالى (من قبله من القرون) فيه تنبيه على أنه لم يعظم مع مشاهدته للمهلكين الموصوفين مع قرب الزمان وبعده وقوله تعالى (من هو أشد منه قوة) أى في البدن والمعاني من العلم وغيره والانسار والخدم (وأكثر جمعاً) في المال والرجال آخرهم فرعون الذي شاعده في ملكه وحقق أمره يوم هلك فيه تعجب وتوبيخ على اغتراره بقوته وكثرة ماله مع علمه بذلك لانه قرأ في التوراة وكان أعلمهم بها وسمعه من حفاظ التواريخ واختلف في معنى قوله عز وجل (ولا يسأل عن ذنوبهم المجرمون) فقال قتادة يدخلون النار بغير سؤال ولا حساب وقال مجاهد لا تسأل الملائكة عنهم لانهم يعرفونهم بسيماهم وقال الحسن لا يسئلون سؤال

استعلام وانما يستلون سؤال توبيع وتقريع وقيل المراد ان الله تعالى اذا عاقب المجرمين فلا حاجة
به الى سؤالهم عن كيفية ذنوبهم وكتبت لانه تعالى عالم بكل المعلومات فلا حاجة الى السؤال (فان
قيل) كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى فوربك لنسألنهم عما كانوا يعملون (أجيب)
بجمل ذلك على وقتين وقال أبو مسلم السؤال قد يكون للمعاساة وقد يكون للتوبيخ والتقريع
وقد يكون للاستعتاب قال ابن عادل وألقى الوجوه بهذه الآية الاستعتاب لقوله تعالى ثم
لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون (فخرج)
أى فتسبب عن تجبره واغتراره بما له ان خرج (على قومه) أى الذين نصحوه في الاقتصاد في شأنه
والاكتنار في الجود على اخوانه وقوله تعالى (في زينة) فيه دلائل على أنه خرج بأظهر زينة
وأكلها وليس في القرآن الا هذا القدر والناس ذكروا وجوهها مختلفة فقال ابراهيم النخعي
انه خرج هو وقومه في ثياب حر وصفر وقال ابن زيد في تسعين ألفا عليهم المعصفرات وقال مقاتل
خرج على بغلة شهباء عليها سرج من ذهب عليه الارجوان ومعه أربعة آلاف فارس عليهم وعلى
دوابهم الارجوان ومعه ثلثمائة جارية بيض عليهن الحلي والثياب الحر على البغال ولما كان كآلة
قبيل ماذا قال قومه له قيل (قال الذين يريدون الحياة الدنيا) منهم لسفول همهم وقصور نظرهم
على الفاني لكونهم أهل جهل وان كان قولهم من باب الغبطة لامن باب الحسد الذي هو غنى
زوال نعمة الحسد (يا ليت لنا) أى نتمنى تملنا عظيما أن نؤتى من أى مؤت كان وعلى أى وصف
كان (مثل ما أوتى فارون) أى من هذه الزينة وما تسبب عنه من العلم حتى لا تزال أحباب أموال
ثم عظموها بقولهم مؤكدين لعلمهم ان ثم من يريد ان يشكر عليهم (انه لذو حظ) أى نصيب وبخت
من الدنيا (عظيم) بما أوتيه من العلم الذى كان سبيله الى جمع هذا المال وهو لاه الراغبون يحتمل
أن يكونوا من الكفار وان يكونوا من المسلمين الذين يحبون الدنيا ودل على جهلهم وفضل العلم
الرباني وحسنة ما أوتى فارون من المال والعلم الظاهر الذى أدى الى اتباعه قوله تعالى (وقال
الذين أوتوا العلم) وهم أهل الدين قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما يعنى الاحبار من بنى
اسرائيل وقال مقاتل أوتوا العلم بما وعد الله في الآخرة فقالوا للذين غنوا (وبذلكم) وبيل أصله
الدعاء بالهلاك ثم استعمل في الزجر والردع والبعث على ترك ما يضر وهو منصوب بمخذوف أى
ألزمكم الله ويلكم (ثواب الله) أى الجليل العظيم (خير) أى من هذا الخطام الذى
أوتيه فارون في الدنيا بل من الدنيا وما فيها ومن فاته الخير جرح به الويل ثم بينوا استحقة تعظيما
له وترغيبا للاسماع في حاله بقولهم (لمن آمن وعمل) تصديقا لآيانه (صالحا) ثم بين تعالى عظمة
هذه النصيحة وعلو قدرها بقوله تعالى (ولا يلقاها) أى هذه النصيحة التى قالها أهل العلم وهى
الزهد في الدنيا والرغبة فيما عند الله أو الجنة المثاب بها (الا الصابرون) أى على أداء الطاعات
والاحتراف عن المحرمات وعلى الرضا بقضاء الله في كل ما قسم من المنافع والمضار الذين صار
الصبر لهم خلقا ولما تسبب عن نظره هذا الذى أوصله الى الكفر بربه أخذه بالعذاب أشار الى
ذلك بقوله سبحانه وتعالى (لنفسنا) أى بما لنا من العظمة (به وبداره الارض) روى أنه كان

يؤذى موسى عليه الصلاة والسلام كل وقت وهو يداري به للقربة التي بينهما وهو يؤذيه كل وقت ولا يزيد الا عتوا وتجبراً ومعاداة لموسى حتى بنى داراً وجعل بابهم من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب وكان الملامن بنى اسرائيل يفسدون اليه ويروحون فيطعمهم الطعام ويضاحكونه قال ابن عباس نزل الزكاة على موسى عليه السلام فأتاه فارون فصالحه عن كل ألف دينار دينار وعن كل ألف درهم بدرهم وعن كل ألف شاة بشاة فلم تسمع بذلك نفسه فجمع بنى اسرائيل وقال لهم ان موسى قد أمركم بكل شيء فأطعوه وهو الا ان يريد ان يأخذ أموالكم فقالوا أنت كبيرنا فأمرنا بما شئت قال أمركم ان تحبوا بفلاة البقي فتجعل لها جعلاً حتى تقذف موسى بنفسها فإذا فعلت ذلك خرج عليه بنو اسرائيل ورفضوه فدعاها فجعل لها فارون ألف درهم وقيل ألف دينار وقيل طشتان ذهب وقيل قال لها اني آمنوك وأخلطك بنسائي على ان تقذف موسى بنفسك غدا اذا حضر بنو اسرائيل فلما كان من الغد وكان يوم عيد لهم قام موسى عليه السلام خطيباً فقال من سرق قطعناه ومن زنى غير محصن جلدناه ومن زنى محصناً رجمناه فقال له فارون ولو كنت أنت قال ولو كنت أنا قال ان بنى اسرائيل يزعمون أنك فجرت بفلاة قال ادعها فان قالت فهو كما قالت فلما أن جاءت قال لها موسى يا فلاة أنا فعلت بك ما يتقول هؤلاء فعظم عليها وأساها بالذي فلق البحر لبنى اسرائيل وأنزل التوراة الاصدقت فتداركها الله تعالى بالتوفيق وقالت في نفسها أحدث اليوم نوبة أفضل من ان أؤذى رسول الله فقالت لا كذبوا ولكن جعل لي فارون جعلاً على ان أرى منك بنفسى فجر موسى ساجداً يبيك ويقول اللهم ان كنت رسولك فأغضب لي فأوحى الله تعالى اليه اني أمرت الارض ان تطيعك ففرها عاشت فقال موسى عليه السلام يا بنى اسرائيل ان الله بعثنى الى فارون كما بعثنى الى فرعون فن كان معه فليدب مكانه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا ولم يبق مع فارون الا رجلاً ثم قال موسى يا أرض خذهم فأخذت الارض بأقدامهم وفي رواية كان على فراشه وسريره فأخذته حتى غيبت سريره ثم قال خذهم فأخذتهم الى الركب ثم قال خذهم فأخذتهم الى الارض فقام رجل لا يبلغ قعرها الى فأخذتهم الى الاعناق وفارون وصاحبه في كل ذلك يتضرعون الى موسى ويناشدونه فارون بالله والرحم حتى روى انه ناشده سبعين مرة وموسى في كل ذلك لا يلتفت اليه لشدة غضبه ثم قال يا أرض خذهم فانطبقت عليهم الارض فأوحى الله تعالى اليه ما أغلظ قلبك استغاث بك سبعين مرة فلم ترجه وعزني وجلا لي لودعاني مرة واحدة لاجبته وفي بعض الآثار لا تجعل الارض بعدك طوعاً ولا حذراً قال قتادة خسف به فهو يتجمل في الارض كل يوم فامة رجل لا يبلغ قعرها الى يوم القيامة قال وأصبح بنو اسرائيل يتناجون فيما بينهم ان موسى اعتمد على فارون ليستبد به وكونه فدعا الله تعالى حتى خسف بداره وبأمواله فأياماً كيامة هذا النبي ان تردوا ما أتاكم به من الرحمة فتهلكوا وان كنتم أقرب الناس اليه فان فارون كان من أقارب موسى عليه السلام فان الانبياء عليهم السلام كانوا لا يوجدون الهدى في قلوب العدا فكذلك لا يمنه ونهم من الردى ولا يشنعون الا لمن ارضى (فما) أى فتسبب عنه انه ما (كان له) أى لفارون وأكذ النبي لما استقر في الاذهان ان الاكابر منصورون بزيادة الجبار في قوله تعالى (من فئة) أى أعوان وأصل الفئة

الجماعة من الطير كانت هتيت بذلك لكثرة رجوعها الى المكان الذي ذهبت منه
 (ينصرفون من دون الله) أى غيره بأن يغفوا عنه الهلاك (وما كان من المتصيرين) أى
 المستعنيين منه من قولهم نصره من عدوه فانتصر اذا منعه منه فامتنع ولما خسف به واستبصر
 الجهال الذين هم كالبهايم لا يرون الا المحسوسات ذكر حالهم بقوله (وأصبح) أى وصاروا لكنه
 ذكره لمقابلة المساء (الذين نكسوا) أى أرادوا ارادة عظيمة بغاية الشفقة ان يكونوا (مكأنه) أى
 تكون حاله ومنزلته فى الدنيا لهم (بالامس) أى الزمان الماضى القريب وان لم يكن بلى يومهم
 الذى هم فيه فالامس قد يذكر ولا يراد به اليوم الذى قبل يومك ولكن الوقت المسبب تقرب على
 طريق الاستعارة (يقولون ويكأن الله يسطر) أى يوسع (الرزق لمن يشاء من عباده) بحسب
 مشيئته وحكمته لا لكرامته عليه (ويقدر) أى يضيق على من يشاء لالهوان من يضيق عليه
 بل لحكمته وقضائه ابتلاء منه وفطنة ووى اسم فعل بمعنى أعجب أى أنا والكاف بمعنى اللام
 وهذه الكلمة والى بعدها متصلة بإجماع المصاحف واختلاف القراء فى الوقف فالكسائى وقف
 على اليا قبل الكاف ووقف أبو عمرو على الكاف ووقف الباقر على الذوق وعلى الهاء وحزرة
 يسهل الهمزة فى الوقف على اصله وأما الوصل فلا خلاف فيه بينهم * ولما لاح لهم من واقعة ان
 الرزق انما هو بيد الله اتبعوه ما دل على انهم اعتقدوا أيضا ان الله قادر على ما يريد من غير الرزق
 كما هو قادر على الرزق من قولهم (ولان من الله) أى تفضل الملك الاعظم (علينا) بجوده ولم
 يعطنا ما نتمينا من الكون وعلى مثل حاله (لخسف بنا) مثل ما خسف به (ويكأنه لا يعلم
 الكافرون) لنعمة الله تعالى كقارون والمكذبين لرسوله وما وعداهم من ثواب الآخرة وقوله
 تعالى (تلك الدار الآخرة) اشارة تعظيم وتنظيم لشأن أى تلك الدار التى سمعت بذكرها وبلغت
 وصفها وتلك مبتدأ والدار صفته والخبر (تجعلها للذين لا يريدون علوا فى الارض) بالبنى
 (ولا فسادا) بعمل المعادى فلم يعلق تعالى الوعد بترك العلو والفساد ولكن بترك ارادتهم ما وميل
 القلوب اليه ما كما قال تعالى ولا تتركوا الى الذين ظلموا فعلق الوعد بالكون وسن على رضى الله
 تعالى عنه ان الرجل يعجبه أن يكون شمرا فله أجود من شمرا فله ما حبه فيدخل تحتها وعن
 الفضيل أنه قرأها ثم قال ذهب الامانى ههنا وعن عمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنه انه كان
 يردد هاتى قبض قال الزمخشري ومن الطامع من يجعل الملوك فرعون الفساد لثقارون متعلقا
 بقوله تعالى ان فرعون علانى الارض بقوله تعالى ولا تبغ الفساد فى الارض فيقول من لم يكن
 مثل فرعون وقارون فله تلك الدار الآخرة ولا تدبر قوله تعالى (والعاقبة) أى الحمودة (للمتقين)
 أى عقاب الله تعالى بعمل طاعته كما تدبره على والفضيل وعمر بن عبد العزيز رضى الله تعالى عنهم
 ولما بين تعالى ان الدار الآخرة ليست لمن يريد علوا فى الارض ولا فسادا بل هى للمتقين بين بعد
 ذلك ما يحصل فقال تعالى (من جاء بالحسنة فله خير منها) من عشرة أضعاف الى سبعين الى
 سبعمائة ضعف الى ما لا يحيط به الا الله تعالى (ومن جاء بالسئنة) وهى ما نهى الله تعالى عنه
 ومنه اخافة المؤمنين (فلا يجرى) أى من أى جازوا طهر ما فى هذا النعل من الضمير العائد على

من يقوله تعالى (الذين عملوا السيئات) تصوير حالهم وتبجيلها وتنفير من عملها (الا جزاء ما كانوا يعملون) أى مثله وهذا من فضل الله العظيم وكرمه الواسع أن لا يجزى السيئة الا بمثلها ويجزى الحسنه بأكثر منها كما مر (فان قيل) قال تعالى ان أحسنتم أحسنتم لانفسكم وان أسأتم قلها كرز ذكر الاحسان واكتفى في ذكر الاساءة بعمرة واحدة فما السبب في ذلك (أجيب) بأن هذا المقام مقام ترغيب في الدار الآخرة فكانت المبالغة في النهي عن المعصية مبالغة في الدعوة الى الآخرة وأما الآية الأخرى فهي شرح حالهم فكانت المبالغة في ذكر محاسنهم أولى (فان قيل) كيف انه تعالى لا يجزى السيئة الا بمثلها مع ان المتكلم بكلمة الكفر اذا مات في الحال عذب أبداً لا يباد (أجيب) بأنه كان على عزم أنه لو عاش أبداً لقال ذلك فعومل بمقتضى عزمه (ان الذي فرض) أى أنزل (عليك القرآن) فانه أكثر المفسرين وقال عطاء ووجب عليك العمل بالقرآن وقال أبو علي تفرض عليك أحكامه وفرائضه (لراذك الى معاد) أى معاد ليس لغيرك من البشر وهو المقام المحمود الذي وعدك ان يعينك فيه وتكبير المعاد لذلك وروى سعيد بن جبيرة عن ابن عباس يعني الى الموت وقال الزهري وعكرمة في يوم القيامة وقيل الى الجنة وروى العوفي عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما يعني الى مكة وهو قول مجاهد وقال القتيبي معاد الرجل بلده ينصرف ثم يعود الى بلده وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم لما خرج من الغار مهاجر الى المدينة سار في غير الطريق مخافة الطلب فلما أمن ورجع الى الطريق ونزل الخلفة بين مكة والمدينة وعرف الطريق الى مكة اشتاق اليها فأتاه جبريل عليه السلام فقال اشقت الى بلدك ومولدك قال نعم قال فان الله تعالى يقول ان الذي فرض عليك القرآن لراذك الى معاد قال الرازي وهذا أقرب لأن ظاهر المعاد أنه كان فيه وفارقه وحصل له العود اليه وذلك لا يليق بالجنة وان كان سائر الوجود محتملاً لكن ذلك أقرب قال أهل التحقيق وهذا آخر مما يدل على نبوة لأنه أخبر عن الغيب ووقع كما أخبر فيكون معجزاً * ونزل جواب القول كفار مكة تارك لنبي ضلال مبين (قل) أى للمشركين (ربى أعلم من جاء بالهدى) وما يستحقه من الثواب في المعاد يعني نفسه (ومن هو في ضلال مبين) يعنيهم وما يستحقونه من العذاب في معادهم فهو الجاني بالهدى وهم في الضلال * (تنبيه) * من جاء منصوب بمضمر أى يعلم أو باعلم ان جاء لها بمعنى عالم واعلمناها اعماله (وما كنت ترجو) أى في سالف الدهر بحال من الاحوال (أن يلقى) أى ينزل على وجهه لم تقدم على رده (اليك الكتاب) أى يوحى اليك القرآن قال البيضاوى أى سيردك الى معاد كما لقي اليك الكتاب وما كنت ترجوه وهو ظاهر على أن المراد بالمعاد مكة وقوله تعالى (الارحة) استثناء منقطع أى لكن ألقى اليك الكتاب رحمة (من ربك) أى فأعطاك القرآن وقيل متصل قال الزمخشري هذا كلام محمول على المعنى كأنه قيل وما ألقى اليك الكتاب الارحة فيكون استثناء من الاحوال أو من المفعول له (فلا تكون ظهيرا) أى معينا (للكافرين) على دينهم الذي دعوا اليه قال مقاتل وذلك حين دعى الى دين أبيه فذكره الله تعالى نعمة ومنه عن مظاهرتهم على ما هم عليه (ولا يصدنك عن آيات الله) أى قراءتها والعمل بها (بعد ان نزلت

الملك) أى لا ترجع اليهم فى ذلك (وادع) أى أوجد الدعاء (الى ربك) أى الى عبادته وتوحيده
 (ولا تصكون من المشركين) أى باعانتهم ولم يؤثر الجازم فى الفعل لبنا به بخلافه فى بصدك
 فانه حذف منه نون الرفع اذ أصله يصد وتك حذف نون الرفع للجازم ثم حذف الواو والالتقاء
 الساكنين (ولا تدع) أى تعبد (مع الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال (الها آخر) (فان قيل)
 هذا وما قبله لا يقع منه صلى الله عليه وسلم فنافذة ذلك انتهى (أجيب) بانه ذكر للتبعية وقطع
 اطماع المشركين عن مساعدته لهم أو ان الخطاب وان كان معه لكن المراد غيره كما فى قوله تعالى
 لن اشركت ليحطن علمك ثم علل ذلك بقوله تعالى (لا اله الا هو) أى لا نافع ولا ضار ولا معطى
 ولا مانع الا هو كقوله تعالى رب المشرق والمغرب لا اله الا هو فاحتجده وصى لا فلا يجوز اتخاذ
 الهوا ثم علل وحدانيته بقوله تعالى (كل شئ هالك الا وجهه) أى ذاته فان الوجه يعبر به عن
 الذات وقال ابو العالية الاما أريد به وجهه وقيل الاملكه واختلفوا فى قوله تعالى هالك فن
 الناس من فسر الهلاك باخراجه عن كونه مستفعا به بالامانة أو بتفريق الاجزاء وان كانت
 أجزاؤه باقية فانه يقال هلك الثوب وهلك المتاع ولا يريدون به فناء اجزائه بل خروجه عن كونه
 مستفعا به ومنهم من قال معنى كونه هالكا كونه قابلا للهلاك فى ذاته فان كل ما عاده تعالى ممكن
 الوجود قابل للعدم فكان قابلا للهلاك فأطلق عليه اسم الهالك نظر الى هذا الوجه وعلى هذا
 يحمل قول النسفى فى بحر الكلام سبعة لا تنفى العرش والكبرى والالواح والقلم والجنة
 والنار بأهلها من ملائكة العذاب والحدود العين والارواح (له الحكم) أى القضاء النافذ
 فى الخلق (واليه) وحده (ترجعون) أى فى جميع أحوالكم فى الدنيا والنشور من القبور
 للجزاء فى الآخرة فيجزىكم بأعمالكم ومارواه البضاوى تبعاً للزمخشري من قوله صلى الله
 عليه وسلم من قرأ سورة طسم القصص كان له من الاجر بعدد من صدق بموسى وكذب ولم يبق ملك
 فى السموات والارض الا شهد له يوم القيامة انه كان صادقا حديث موضوع

❖ (سورة العنكبوت مكية) ❖

الاعشر آيات من أولها الى قوله تعالى وليعلن المنافقين قال الحسن فانها مكية وهى سبع
 وستون آية وألف وتسعمائة واحد وثمانون كلمة وأربعة آلاف وخمسمائة وخمسة وتسعون
 حرفاً (بسم الله) الذى أحاط بجميع القوة وأعز جنده (الرحمن) الذى شمل جميع العباد بنعمه
 (الرحيم) بجميع خلقه وقوله تعالى (الم) سبق القول فيه فى أول البقرة ووقوع الاستفهام
 بعده دليل على استقلاله بنفسه فيكون اسماً للسورة وللقرآن والله أنه سر استأثر به
 الله تعالى واستقلاله بما يضمه به بتقديره مبتدأ أو خبراً وغيره مما مر أول سورة البقرة وقبل
 فى الم اشار بالالف الدال على القائم الاعلى المحيط ولام الوصله وميم التمام بطريق الرمز الى
 انه تعالى أرسل جبريل الى محمد عليهما الصلاة والسلام ولما قال تعالى فى آخر السورة المتقدمة
 وادع الى ربك وكان فى الدعاء اليه الحراب والضراب والطمان لان النبى صلى الله عليه وسلم

وأصحابه كثرة - وورين بالجهد فشق على البعض ذلك فقال تعالى (أحسب الناس) أى كافة
 (أن يتركوا) أى أظنوا أنهم يتركون بغير اختبار وابتلاء في وقت ما يواجهه من الوجوه * (تنبيه) *
 أن يتركوا سادسة مذكورة على حسب عند الجهور (أن) أى بأن (يقولوا) أى بقولهم (استأوههم)
 أى والحال أنهم (لا يفتنون) أى يعتبرون بما تميز به حقيقة إيمانهم عشاق التكليف كلها جرة
 والمجاهدة ورفض الشهوات وأنواع المصائب في النفس والأموال ليتبين المخلص من المنافق
 والصادق من الكاذب ولينالوا بالصبر عليها عالى الدرجات فإن مجر رد الإيمان وإن كان عن
 خلوص لا يقتضى غير الخلاص من الخلود في العذاب واختلصوا في سبب نزول هذه الآية فقال
 النبي نزل في أناس كانوا بمكة قد أقروا بالإسلام ثم هاجروا فبهم الكفار فهم من قتل
 ومنهم من نجوا فنزل الله تعالى هاتين الآيتين وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنه ما قال إنما
 نزلت في عمار بن ياسر وعياش بن أبى ربيعة والوليد بن الوليد وسلمة بن هشام كانوا يعذبون بمكة
 وقال ابن جريح نزلت في عمار بن ياسر كان يعذب في الله عز وجل وقال مقاتل نزلت في مهجع
 ابن عبد الله مولى عمر كان أول قتيل قتل من المسلمين يوم بدر فقال صلى الله عليه وسلم سيد
 الشهداء مهجع وهو أول من يدعى إلى باب الجنة من هذه الأمة فخرج عليه أبواه وأمر أنه فأنزل
 الله تعالى فيهم هذه الآية وقيل وهم لا يفتنون بالأوامر والنواهي وذلك أن الله تعالى أمرهم
 في الابتداء بمجرد الإيمان ثم فرض عليهم الصلاة والزكاة وسائر الشرائع فشق على بعض فأنزل
 الله تعالى هذه الآية ثم عزاهم فقال (ولقد فتنا الذين من قبلهم) أى من الأنبياء والمؤمنين ففهم
 من نشر بالمشار ومنهم من قتل وأبلى بنو إسرائيل بفرعون فكان يسوهم سوء العذاب فذلك
 سنة قديمة جارية في الأمم كلها فلا ينبغي أن يتوقع خلافه (فليعلمن الله) أى الذى له الكمال كله
 (الذين صدقوا) في إيمانهم علم مشاهدة للخلق والافاق الله تعالى لا يخفى عليه خافية (وليؤمن
 الكاذبين) فيه أى فظهر الله الصادقين من الكاذبين في الإيمان (فائدة) لبعض المحبين
 للهوى آية (أى علامة) بهم يعرف الصا * دق في عشقه من الكذاب
 سهر الليل دائما ونحول السجسم والموت في رضا الاحباب
 (أم حسب) أى ظن (الذين يعملون السيئات) أى الشرك والمعاصي فإن العمل يعلم أفعال
 القلوب والجوارح (أن يسبقونا) أى يفوتونا فلا نتقم منهم وهذا سادسة مذكورة على حسب
 وأم منقطعة والانزاع فيها لأن هذا الحساب أبطل من الأول لأن صاحب ذلك بقدر أن لا
 يتمكن لإيمانه وصاحب هذا بظن أن لا يجازى بما سواه ولهذا عقبه بقوله تعالى (ساءما يحكمون)
 أى بشىء الذى يحكمونه أو حكما يحكمونه حكمهم هذا الخذف الفصوص بالذم ولما بين بقوله
 أحسب الناس أن يتركوا أن العبد لا يترك في الدنيا سدى وبين في قوله تعالى أم حسب الذين
 يعملون السيئات أن من ترك ما كلف به يعذب عذابا بين أن من يعترف بالآخر ويعمل لها
 لا يضيع عمله بقوله تعالى (من كان يرجو لقاء الله) أى الملك الأعلى قال ابن عباس ومقاتل
 من كان يخشى البعث والحساب والرجاء بمعنى الخوف وقول سعيد بن جبيرة من كان يطعم

في ثواب الله (فان أجل الله) أي الوقت المضروب لقائه (لآت) أي لجاء لا محالة فانه لا يجوز
 عليه خلاف الوعد (فان قيل) كيف وقع فان أجل الله لآت جوا بالشرط (أجيب) بأنه اذا
 كان وقت اللقاء آتيا كان اللقاء آتيا لا محالة كما تقول من كان يرجو لقاء الملك فان يوم الجمعة قريب
 اذا علم أنه يقعد للناس يوم الجمعة وقال مقاتل يعني يوم القيامة لكائن ومعنى الآية ان من يخشى
 الله تعالى ويأمله فليس تعدله وليعمل لذلك اليوم كما قال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل
 عملا صالحا (وهو السميع) أي لما قالوه (العليم) يعلم من صدق فيما قال ومن كذب فينتيب ويعاقب
 على حسب علمه قال الرازي وههنا طينة وهي أن للعبد أموراهي أضاف حسنة عمله قلبه
 وهو التصديق وهو لا يرى ولا يسمع وإنما يعلم وعمل لسانه وهو يسمع وعمل أعضائه وجوارحه
 وهو يرى فاذا أتى بهذه الاشياء جعل الله تعالى لمسموعه مالا اذن سمعت وأمره مالا عين رأت
 ولعمل قلبه مالا خطر على قلب بشر كما وصف في الخبر في وصف الجنة اهـ (تنبيه) * لم يذكر الله
 تعالى من الصفات غير هذين الصفتين كالعزيز والحكيم وذلك لانه سبق القول في قوله أحسب
 الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وسبق الفعل بقوله تعالى وهم لا يشعرون وبقوله تعالى فليعلم
 الله الذين صدقوا وبقوله تعالى أم حسب الذين يعملون السيئات وأن القول يدرك بالسمع
 والعمل منه ما يدرك بالبصر ومنه ما لا يدرك به مع ما علم بما مرزوا العلم بشملهما ولما بين تعالى
 أن التكليف حسن واقع وان عليه وعدا وابعاد ليس له ما دافع بين ان طلب الله تعالى ذلك
 من المكلف ليس لنفع يعود اليه بقوله تعالى (ومن جاهد) أي بذل جهده في جهاد حرب أو نفس
 حتى كأنه يسابق آخر في الاعمال الصالحة (فانما يجاهد لنفسه) لأن منفعة جهاده للاقته تعالى
 فانه غنى مطلق كما قال تعالى (ان الله) أي المتصرف في عباده بما شاء (لغنى عن العالمين) أي
 الانس والجن والملائكة وعن عبادتهم ومثل هذا كثير في القرآن كقوله تعالى من عمل صالحا
 فلنفسه وقوله تعالى ان أحسنتم أسنتم لانفسكم فينبغي للعبد أن يكثر من العمل الصالح
 ويخلصه لأن من عمل فعلا يطلب به مالا كما ويعلم أن الملك يراهم يحسن العمل ويثقه واذا علم ان
 عمله لنفسه لا لاحد يكثر منه نسأل الله الكريم الفتح أن يوفقنا للعمل الصالح وأن يفعل ذلك
 بأهلينا وذريتنا ومحبينا بعمد وآله ولما بين تعالى حال المسمى بمجلا بقوله تعالى أم حسب الذين
 يعملون السيئات أن يسبقونا إشارة الى التعذيب بمجلا وذو رجال المحسن بقوله تعالى ومن جاهد
 فأنما يجاهد نفسه وكان التقدير فالذين جاهدوا والذين عملوا السيئات لتخزينهم أجعين ولكنه
 طواه لان السياق لاهل الرجا أعطف عليه قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا) تصديقا لآياتهم
 (الصالحات) أي في الشدة والرخاء على حسب طاقتهم وفي ذلك إشارة الى ان رحمته تعالى أتم من
 غنائه وفضله أتم من عدله وأشار بقوله تعالى (الذين كفروا) منهم سيئاتهم الى ان الانسان وان اجتهد
 لا بد من ان يزل عن الطاعة لانه مجبول على النقص فالصلاة الى الصلاة كثارة لما بينهما ما لم تؤت
 البكاء والجمعة الى الجمعة ورمضان الى رمضان ونحو ذلك مما وردت به الاخبار عن النبي صلى
 الله عليه وسلم المختار فالصغائر تكفر بعمل الصالحات وأما الكبائر فكلها كفر بالنوبة ولم يشهره

بالعفو عن العقاب أتم البشرى بالامتنان بالشواب فقال عاطدا على ما تقديره ولتثبت لهم حسناتهم
 (ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون) أى أحسن جزاء ما عملوه وهو الصالحات وأحسن نصب
 ينزع الخافض وهو الباء * ولما كان من جملة العمل الصالح الاحسان الى الوالدين ذكر ذلك بقوله
 تعالى (ووصينا الانسان بوالديه) أى وان علينا (حسنا) أى بترابهم ما وعظما عليهم ما أى وصينا
 بآباء والديه حسنا وبأبائهم والديه حسنا لانهم سبب وجود الولد وسبب بقائه بالتربية المعتادة
 والله تعالى سبب له في الحقيقة بالارادة وسبب بقائه بالاعادة للسعادة فهو أولى بأن يحسن العبد
 حاله معه فيطيعهما ما لم يأمر به معصية الله كما حال تعالى (وان جاهدك لتسركنى) وقوله تعالى
 (ما ليس لك به علم) أى لا علم لك بالهينة موافق للواقع فلا منهوم له وأنه اذا كان لا يجوز أن يتبع
 فيما لا يعلم صحة فبالاولى أن لا يتبع فيما يعلم بطلانه (فلا تطعهما) في ذلك كما جاء في الحديث لا طاعة
 لمخلوق في معصية الله تعالى ولا بد من اضممار القول ان لم يضر قبل ثم عمل ذلك بقوله تعالى (الى
 مرجعكم) أى من آمن منكم ومن كفر ومن بڑ والديه ومن عقر ثم تسبب عنه قوله تعالى (فأتيتكم
 بما كنتم تعملون) أى أخبركم بصلح أعمالكم وسيتم فأجاز بكم عليها نزلت هذه الآية في سعد
 ابن أبى وقاص الزهرى وأمه جنة بنت أبى سفيان بن أمية بن عبد شمس روى أنهم لما سمعت
 بالسلامة قالت له يا سعد بلغنى انك قد صلبت فوالله لا بطنى سققت من الضع وهو بكسر
 الصاد المجمة وبجاء مهملة الشمس والريح وان الطعام والشراب على حرام حتى تكفر بعمد
 وكان أحب أولادها اليها فأبى سعد ولبثت ثلاثة أيام لا تنقل من الضع ولا تأكل ولا تشرب فلم
 يطعهما سعد بل قال والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بعمد صلى الله عليه وسلم
 ثم جاء سعد الى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا اليه فنزلت هذه الآية وهى التي في لقمان
 والتي في الاحقاف فأمره صلى الله عليه وسلم ان يدايرها ويترضاها بالاحسان وروى أنهم انزلت
 في عياش بن أبى ربيعة الخزوى وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنهم مائة اثنين
 حتى نزل المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أم هانئ بنت مخزومة
 امرأه من بنى تميم بن حنظلة فنزل عياش وقال له ان من دين محمد صلى الله عليه وآله والارحام وبڑ الوالدين وقد
 تركت أمك لا تأكل ولا تشرب ولا تأوى بيتا حتى ترأك وهى أشد حياء منك فاستشار عمر فقال
 هو ما يجد عاك ولك على أن أقسم ما لى بينى وبينك فما زال به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال عمر
 أما اذ عصيتى فخذنا قتي فليس في الدنيا بعير يطعها فان رابك عنهما ريب فارجع فلما انتهوا الى
 السيد قال أبو جهل ان ناقتى قد كفت فاحملنى معك قال نعم فنزل ليوطى لنفسه وله فأخذه وشداه
 وأرقصاه وجلده كل واحد منهم مائة جلدة وذهب به الى أمه فقالت لا تزال في عذاب حتى ترجع
 عن دين محمد فنزلت رضى تعالى الله عنه وأرضاه ونفعنا به في الدنيا والآخرة * ولما كان التقدير
 فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلهم في المفسدين ولكنه طواه دلالة السياق عليه عطف
 عليه زيادة في الحث على الاحسان الى الوالدين قوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات)
 (الصالحات لندخلهم في الصالحين) أى الانبياء والاولياء بأن نخشعهم معهم أو ندخلهم وهم

الجنة والصلاح منتهى درجات المؤمنين ومنتهى أنبياء الله والمرسلين * ولما بين سبحانه ونه الى المؤمنين بقوله تعالى فليعلن الله الذين صدقوا وبين الكفار بقوله تعالى وليعلن الكاذبين بين أنه بقى قسم ثالث مذبذب بقوله تعالى (ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أؤذى في الله) بأن عذبهم الكفرة على الايمان (جعل فتنة الناس) أى له بما يصيبه من أذيتهم في منعه عن الايمان الى الكفر (كعذاب الله) أى في الصرف عن الكفر الى الايمان (ولئن) لام قسم (جاء نصر) أى للمؤمنين (من ربك) أى بفتح وغنية (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (انا كما معكم) في الايمان فاشركونا في الغنية وأما عند الشدة فيجيبون كما قال الشاعر

وما أكثر الاصحاب حين تعدهم * ولكنهم في الثوابات قليل

قال الله تعالى (أوليس الله بأعلم) أى بعالم (بما في صدور) أى قلوب (العالمين) من الايمان والنفاق (وليعلن الله الذين آمنوا) أى يعلو بهم (وليعلن المنافقين) فيجازى القرين واللام في الفعلين لام قسم * ولما بين الفرق الثلاثة وأحوالهم ذكر أن الكافر يدعو من يقول آمنت الى الكفر بقوله تعالى (وقال الذين كفروا) أى ظاهر وأباطنا (للذين آمنوا) أى ظاهرا وباطنا لم يتعاملون الاذى والذل (اتبعوا سبلنا) أى الذى نسلكه في دننا تدفعوا عن أنفسكم ذلك فقالوا تخاف من عذاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم فقالوا لهم اتبعونا (ولتحمل خطايانا) ان كان ذلك خطيئة أو ان كان بعث ومواخذة قال الجلال المحلى والامر بمعى الخبر وهو أولى من قول البيضاوى وانما أمر وأتبعهم بالحل عاطفين على أمرهم بالاتباع مباغلة في تعليق الحل بالاتباع والوعد بتخفيف الاوزار عنهم ان كان تشجيعا للمؤمنين على الاتباع وبهذا الاعتبار ارد عليهم وكذبهم بقوله (وما هم) أى الكفار (بجاملين من خطايهم) أى المؤمنين (من شئ انهم لكاذبون) في ذلك قال الزمخشري وترى في التبيين بالاسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه اذا أراد ان يشجعه على ارتكاب بعض العظام فاعمل هذا وانته في غنى وكمن مغرور بمثل هذا الضمان من ضعة العامة وجهاتهم ومنه ما يحكى أن أبا جعفر المنصور رفع اليه بعض أهل الحشوحوا بحجة فلما قضاه قال يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال وما هى قال شفاعةك يوم القيامة فقال له عمر بن عبيد رجه الله اياك وهو لا فاتهم قطاع الطريق في المأمن (فان قيل) كيف سماهم الله تعالى كاذبين وانما ضمنوا شيا علم الله تعالى انهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به لا يسمى كاذبا لاحين ضمن ولا حين يحجز لانه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو الخبر عن الشئ لا على ما هو عليه (أجيب) بأن الله تعالى شبه حالهم حيث علم ان ما ضمنوه لا طريق لهم الى أن يفيوا به فكان ضمهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه الخبر عنهم ويجوز أن يراد انهم كاذبون لانهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشئ وفي قلوبهم نية الخلف * (تنبيه) * من الاولى للتبيين والثانية مزيدة والتقدير وما هم بجاملين

شيأ من خطاياهم (فإن قيل) قال الله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء ثم قال الله تعالى
 (وليحملن) أي الكفرة (أنفالهم) أي انقال ما اقترفته أنفسهم (وأنفالهم) أي انقال
 بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبلنا وابطالهم مقاديرهم فكيف الجمع بينهما (أجيب) بأن قول
 القائل جل فلان عن فلان يريد أن جل فلان خف فان لم يخف حمله فلا يكون قد حمل منه شيئا
 فتقوله تعالى وما هم بحاملين من خطاياهم يعني لا يرفعون عنهم خطيئة بل يحملون أو زار أنفسهم
 وأوزار بسبب اضلالهم كقوله صلى الله عليه وسلم من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل
 بها من غير أن ينتقص من وزره شيء وقال تعالى في آية أخرى ليحملوا أوزارهم كاملة يوم القيامة
 ومن أوزار الذين يضلونهم بغير علم من غير أن ينقص من أوزار من تبعهم شيء (وليسكن يوم
 القيامة) أي سؤال توبيخ وتقريع (عما كانوا يشتركون) أي يحتفلون من الأكاذيب والباطل
 واللام في النعيلين لام قسم وحذف فاعلهما الواو ونون الرفع ولما كان السياق للبلاء
 والامتحان والصبر على الهوان ذكر من الرسل الكرام عليهم السلام من طال صبره على البلاء
 ولم يشترعه عن نصيحة العباد بقوله تعالى (ولقد أرسلنا نوحا) أي أول رسل الله إلى الخلق
 من العباد وهو معنى (الي قومه) وعمره أربعون سنة فان الكفر كان قد عم أهل الأرض وكان
 عليه السلام أطول الأنبياء ابتلاءهم ولذلك قال الله تعالى ميسابا عن ذلك ومعه قبا (فلتب فيهم)
 أي بعد الرسالة (أنفس سنة الأخسین عاما) يدعوهم إلى توحيد الله تعالى فكذبوه (فأخذهم
 الطوفان) أي الماء الكثير فغرقوا (وهم ظالمون) قال ابن عباس مشركون وفي ذلك تسلية للنبي
 صلى الله عليه وسلم ولما بع به رضى الله تعالى عنهم وتنبأ لهم وتهديد لقريش قال ابن عباس
 كان عمر نوح عليه السلام ألفا وخمسين سنة بعث على رأس أربعين سنة ولبث في قومه تسعمائة
 وخمسين سنة وعاش بعد الطوفان ستين سنة حتى كثر الناس وفشا ورؤى عن ابن عباس أنه
 بعث وهو ابن أربع مائة وثمانين سنة وعاش بعد الطوفان ثلثمائة وخمسين سنة فان كان هذا
 محذور طاع ابن عباس فيضاف إلى لبثه في قومه وهو تسعمائة وخمسون سنة فيكون قد عاش
 ألف سنة وسبعمائة وثمانين سنة وأما قبره عليه السلام فروى ابن جرير والازرق حديثا مرسل
 أن قبره بالمسجد الحرام وقيل بلدة البقاع يعرف اليوم بكرنوخ وهذا الجامع قد بنى بسبب ذلك
 وعن وهب أنه عاش ألفا وأربعمائة سنة والآية تدل على خلاف قول الأطباء العمر الانساني
 لا يزيد على مائة وعشرين سنة ويسمونه العمر الطبيعي قال الرازي ونحن نقول ليس طبيعيا بل
 هو عطاء الهى وأما العمر الطبيعي فلا يدوم عنده ولا يحده فضلا عن مائة أو أكثر (فإن قيل)
 هلا قال تسعمائة سنة وخمسين ولم جاء التميز والابال سنة وثانيا بالعام (أجيب) عن الاول بأن
 ما أورده الله تعالى أحكم لأنه لو قيل كما ذكرنا أن توهم اطلاق هذا العدد على أكثره وهذا
 التوهم زائل مع محبته كذلك وكأنه قال تسعمائة وخمسين سنة كاملة وافية العدد الا أن ذلك
 أخصر وأعذب لفظا وأملأ بالفائدة وفيه نكتة أخرى وهى ان القصة مسوقة لذكر ما نبئ به
 نوح عليه السلام من أمته وما كابد من طول المصاهرة تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم

وتبينه فكان ذكر رأس العدد الذي لأرأس كبر منه أوقع وأوصل إلى الغرض من استقالة
 السامع مدة صبره وعن الثاني بأن تكرر اللفظ الواحد في الكلام الواحد حقيقة بالاجتناب
 في البلاغة الا اذا وقع ذلك لاجل غرض نتيجة المتكلم من تفهيم أو توبيه أو تحذير أو تحذير
 والطوفان لغمة طاف وأحاط بكثرة وغلبة من سبيل أو ظلام أو نحو ذلك قال العجاج
 وعم طوفان الظلام الاثنايا * (فأخيهناه) أي نوحا عليه السلام (وأصحاب السفينة) أي الذين
 كانوا فيهم من الغرق وكانوا اثنايا وسبعين نفسا نصفهم ذكور ونصفهم إناث منهم أولاد نوح
 سام وحام ويافث ونسأؤهم وعن محمد بن اسحق كانوا عشرة خمسة رجال وخمسة نسوة وقد
 روى عن النبي صلى الله عليه وسلم كانوا اثنايا نوح وأهله وبنوه الثلاثة ونسأؤهم (وجعائناها)
 أي السفينة أو الحادثة والقصة (آية) أي عبرة وعلامة على قدرة الله تعالى وعلمه وانجائه الطائع
 واهلاكه للعاصي (للعالمين) أي لمن بعدهم من الناس ان عصا موسى لم تقع في الدهر
 حادثة أعظم منها ولا أغرب ولا أشهر في تطبيق الماس جميع الارض بطولها والعرض وغرق
 جميع ما عليها من حيوان انسان وغيره ولما ذكر تعالى قصة نوح وكان بلاه ابراهيم عليه السلام
 عظيما في ذنوبه في النار واخر اجهه من بلاده اتبعه به بقوله تعالى (وابراهيم) وهو منصوب
 اما بآذ كرويكون (ان قال لقومه اعبدوا الله واتقوه) أي خافوا عاقبته بدل ائتمال لان الاحيان
 تشعل ما فيها واتمام عطوفاته على نوحا واذ طرف لا رسلنا أي أرسلناه حين بلغ من السن والعلم
 مبلغا صلح فيه لان يعطى قومه وينجهم ويعرض عليهم الحق ويأمرهم بالعبادة والتقوى
 (ذلكم) أي الامر العظيم الذي هو اخلاصكم في عبادتكم له وتقواكم (خبر لكم) أي من
 كل شيء (ان كنتم تعلمون) أي في عباد من يتجدد له علم فينظر في الامور بنظر العلم دون نظر
 الجهل ولما أمرهم بما تقدم ونهى العلم عن جهل خبرته دل عليه بقوله (انما نعبدون من
 دون الله) أي غيره (أو انانا) أي اصناما لا تستحق العبادة لانما اجماعه منصوصه لا شرف
 لها (وتختلفون) أن تصورون بأيديكم (انكنا) أي شيا مصر وفاعل وجهه فانه مصنوع
 وأنتم تسمونه باسم الصائغ ومربوب وأنتم تسمونه رباً وتقولون كذباً في تسميتها آلهة وادعاء
 شفاعتها عند الله ثم ان الله تعالى نفى عنها النفع بقوله تعالى (ان الذين يعبدون ضلالا وعدولا
 عن الحق الواضح (من دون) أي غير (الله) الذي له الملك كله لا يمكن ان يكون لكم رزقا) أي
 شيئا من الرزق الذي لا قوام لكم بدونه وأنتم تعبدونهم فكيف بغيركم فتسبب عن ذلك قوله
 تعالى (فأتقوا) أي اطعوا (عند الله) أي الذي له صفات الكمال (الرزق) أي كله فانه
 لا شيء منه الا هو بيده (فان قيل) لم تذكر الرزق في قوله تعالى لا يمكن ان يكون لكم رزقا وعرفه
 في قوله تعالى فأتقوا عند الله الرزق (أجيب) بأنه ذكره في معرض النفي أي لا رزق
 عندهم أصلا وعرفه عند الاشياء عند الله تعالى اي كل رزق عنده فاطلبوه منه وأيضا الرزق
 من الله معروف لقوله تعالى وما من دابة في الارض الا على الله رزقها والرزق من الاوثان غير

معلوم فنكره لعدم حصول العلم به (راعبدوه) أى عبادة يتقبلها وهي ما كانت خاصة من الشرك
(واشكروا) أى أوقعوا الشكر (له) خاصة على ما أقاض عليكم من النعم ثم علم ذلك بقوله
تعالى (اليه) وحده (ترجعون) أى معنى فى الدنيا والآخرة فإنه لا حكم فى الحقيقة لاحد
سواه وحسباً بالنشر والخسر بأيسر أمر فيشيب الطائع ويعذب العاصي ولما فرغ من بيان
التوحيد أتى بعده بالتهديد فقال (وان تكذبوا) أى وان تكذبونى (فقد) أى فيكفكم فى الوعد
والتهديد معرفتكم بأنه قد (كذب أتم) أى فى الأزمان الكائنة (من قبلكم) أى من قبل من
الرب لم يجرى الأمر فيهم على سنن واحد لم يختلف قط فى نجاة المطيع للرسول وهلاك العاصي له
ولم يضر ذلك الرسول شيئاً ما أضرب به الأنفسهم (ومع على الرسول) أن يقهركم على التصديق
بل ما عليه (الابلاغ المبين) الموضح مع ظهوره فى نفسه بلا مرية بحيث لا يبقى فيه شك باظهار
المجزة واقامة الأدلة على الوحدةية * (تنبيه) * فى الخطاب بهذه الآية والآيات بعده إلى
قوله تعالى فما كان جواب قومه وجهاً * الأول أنه قوم إبراهيم عليه السلام لأن القصة له
فكان إبراهيم عليه السلام قال لقومه ان تكذبونى فقد كذب أتم من قبلكم وانما أتيت
بما على من التبليغ فإن الرسول ليس عليه إلا التبليغ والبيان (فان قيل) ان إبراهيم عليه
السلام لم يسمعه الا قوم نوح وهم أمة واحدة (أجيب) بأن قبل قوم نوح أيضاً كان أقوام
كقوم ادريس وقوم شيث وأدم وأيضاً فإن نوحاً عليه السلام عاش أكثر من ألف سنة وكان
القرن يموت وتجي أولاده والآباء يوصون الأبناء بالامتناع من الاتباع فكفى بقوم نوح أمماً
والقد عاش ادريس ألف سنة فى قومه إلى أن رفع إلى السماء وآمن به ألف انسان منهم على عدد
سفيه وأعقابهم على التكذيب * الثانى ان الآية مع قوم محمد صلى الله عليه وسلم لأن هذه
القصص أكثرها المقصود منه تذكير قومه بحال من مضى حتى يمنعوهم من التكذيب
ويرتدعوا خوفاً من التعذيب فقال فى أثناء حكاياتهم يا قوم ان تكذبوا فقد كذب قبلكم أقوام
هلكوا فان كذبت فأتى أخاف عليكم ان يقع بكم ما وقع بغيركم وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى
والبقاعى وهذه الآية تدل كما قال ابن عادل على أنه لا يجوز تأخير البيان عن وقت الحاجة لأن
الرسول اذا بلغ شيئاً ولم يبينه فلم أت بالبلاغ المبين (أولم يروا) أى ينظروا (كيف يبدئ الله) أى
الذى له كل كمال (الخلق) أى يخلقهم الله تعالى ابتداءً نقطة ثم مضغة ثم علقة (ثم) هو لا غيره
(بعبده) أى الخلق كما كان (ان ذلك) أى المذكور من الخلق الأول والثانى (على الله)
أى الجامع لكل كمال المنزه عن كل شائبة نقص (يسير) فكيف يشكرون الثانى (فان قيل)
متى رأى الانسان بدء الخلق حتى يقال أولم يروا كيف يبدئ الله الخلق (أجيب) بأن المراد
بأروية العلم الواضح الذى هو كالأروية فالعاقل يعلم أن البدء من الله تعالى لأن الخلق الأول
لا يكون من مخلوق والا لما كان الخلق الأول خلقاً أول فهو من الله تعالى (فان قيل)
علق الأروية بالكيفية لا بالخلق ولم يقل أولم يروا أن الله خلق أوبداً الخلق والكيفية
غيره لومة (أجيب) بأن هذا القدر من الكيفية معلوم وهو أنه خلقه ولم يك شيئاً مذكوراً

وأنه خلقه من نقطة هي من غذاء هو من ماء وتراب وهذا القدر ص كاف في حصول العلم
بامكان الاعادة (فان قيل) لم أبرز اسمه تعالى في ان ذلك على الله يسير ولم يقل ان ذلك عليه
كما قال ثم يعيده من غير ابراز (أجيب) بأنه مع اقامة البرهان على أنه يسير أ كده باظهار اسمه
فانه يوجب المعرفة أيضا بكون ذلك يسيرا فان الانسان اذا سمع لفظ الله وفهم معناه انه الحي
القادر بقدره كماله لا يعجزه شيء شيط بذرات كل نافذ الارادة يقطع بجواز الاعادة وقرأ حزة
والكسافي وخلف ترابا لواء على الخطاب على تقدير القول والباقون بالياء على الغيبة * ولما
ساق تعالى هذا الدليل الذي حاج به الخليل قومه قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم
(قل) أي لهؤلاء الذين تعبدوا عبادتنا قلوا ما قام من الدليل القاطع والبرهان الساطع (في الأرض) ان لم
عليه الصلاة والسلام وتأتوا ما قام من الدليل القاطع والبرهان الساطع (في الأرض) ان لم
يكفكم النظر في أحوال بلادكم (فانظروا) أي نظرا اعتبارا (كيف بدأ ربكم الذي خلقكم
ورزقكم (الخلق) من الحيوان والنبات والزرع والاشجار وغير ذلك مما تضمنه الجبال
والسهول (ثم الله) أي الخالق لجميع صفات الكمال (ينشئ النشأة الآخرة) بعد النشأة الاولى
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبقض الشين وألف بعد الشين مدودة قبل الهمزة والباقون بسكون
الشين والهمزة بعد الشين ثم عمل ذلك بقوله تعالى (ان الله على كل شيء قدير) لان نسبة
الاشياء كلها اليه واحدة (فان قيل) أبرز اسم الله في الآية الاولى عند البدء فقال كيف
يبدئ الله وأضره عند الاعادة وههنا أضمره عند البدء وأبرزه عند الاعادة فقال ثم الله ينشئ
(أجيب) بأنه في الآية الاولى لم يسبق ذكر الله تعالى بفعل حتى يسند اليه البدء فقال كيف
يبدئ الله الخلق ثم يعيده اكتفاء بالاولى وفي الثانية كان ذكر البدء مسندا الى الله تعالى
فاكتفى به ولم يبرزه وأما اظهاره عند الانشاء ثانيا فقال ثم الله ينشئ مع انه كان يكفي أن يقول
ثم ينشئ النشأة الآخرة فلحكمه بالغة وهي انه مع اقامة البرهان على إمكان الاعادة أظهر اسمه
حتى ينهم به صفات كماله ونعوت جلاله فيقطع بجواز الاعادة فقال ثم الله مظهر البقع في ذهن
الانسان من اسمه كال قدرته وشمول علمه ونفوذا وادته فيعترف بوقوع بدنه وجواز اعادته (فان
قيل) قال في الاولى أو لم يروا كيف يبدئ الله الخلق بلفظ المستقبل وههنا قال فانظروا كيف
بدأ الخلق بلفظ الماضي فما الحكمة (أجيب) بأن الدليل الاول هو الدليل النفسي الموجب للعلم
وهو موجب للعلم ببدء الخلق وأما الدليل الثاني فعنه ان كان ليس لكم علم بأن الله يبدئ الخلق
فانظروا الى الاشياء المخلوقة فيحصل لكم العلم بأن الله بدأ خلقا ويحصل من هذا القدر العلم بأنه
ينشئ كما بدأ ذلك (فان قيل) قال في هذه الآية ان الله على كل شيء قدير وقال في الاولى ان
ذلك على الله يسير فإندته (أجيب) بأن فيه فائدتين الاولى ان الدليل الاول هو الدليل النفسي
وهو وان كان موجبا للعلم التام ولكن عند انضمام الدليل الآتي اليه يحصل العلم التام
لانه بالنظر الى نفسه علم حاجته الى غيره ووجوده منه فبهم علمه بأن كل شيء من الله تعالى فقال
عند تمام الدليل ان الله على كل شيء قدير وقال عند الدليل الواحد ان ذلك وهو الاعادة على

الله يسير الثانية ان العلم الاول اتم وان كان الثاني اعم وكون الاعم يسيرا على الفاعل اتم من كونه مقدورا له بدليل قولك لمن يحمل مائة رطل انه قادر عليه فاذا شئت عن جملة عشرة ارطال تقول ذلك سهل يسير عليه فتقول كان التقدير ان لم يحصل لاكم العلم التام بأن هذه الامور عند الله سهلة يسيرة فسيروا في الارض لتعلموا انه مقدور ونفس كونه مقدورا كاف في امكان الاعادة ولما تم الدليل على الاعادة انتج لا محالة انه (يعذب) أي بعذله (من يشاء) تعذيبه أي منكم ومن غيركم في الدنيا والآخرة (ويرحم) أي بفضله ورحمته (من يشاء) رحمته فلا يسهوه (فان قيل) لم قدم التعذيب في الذكر على الرحمة مع أن رحمته سابقة كما قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى سبقت رحمتي غضبي (أجيب) بأن السابق ذكر الكفار وذكر العذاب لسبق ذكر مستحقته بحكم الاعداد وعقبه بالرحمة فذكر الرحمة وقع تبعاً للثلاث يكون العذاب مذكورا وحده وهذا لتحقيق قوله رحمتي سبقت غضبي (والله) وحده (تقبلون) أي تردن بعد موتكم بأيسر سعي (وما أنتم بمعجزين) ربكم عن ادراككم (في الارض) كيف اقليلتم في ظاهرها وباطنها واختلاف في معنى قوله تعالى (ولا في السماء) لأن الخطط مع الادميين وهم ليسوا في السماء فقال الفراء معناه ولا من في السماء بمعجزان عصي كقول حسان بن ثابت رضى الله تعالى عنه

فمن يعجز رسول الله منكم * ويمدحه وينصره سواء

أراد ومن يمدحه وينصره فأضمر من يريد أنه لا يعجز أهل الارض من في الارض ولا أهل السماء من في السماء فالمعنى ان من في السماء عطف بتقديران بعضى وقال الفراء وهذا من غوامض العربية وقال طرب وما أنتم بمعجزين في الارض ولا في السماء لو كنتم فيها كقول القائل ما يفوتني فلان هنا ولا في البصرة أي ولا في البصرة لو كان بها وكقوله تعالى ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض أي على تقدير ان تسكونوا فيها وقال ابن عادل وأبعد من ذلك من قدر موصولين محذوفين أي وما أنتم بمعجزين من في الارض من الجن والانس ولا من في السماء من الملائكة فكيف تعجزون خالفهما وعلى قول الجمهور يكون المنعول محذوفاً أي وما أنتم بمعجزين أي فائتين ما يريد الله تعالى وقال البقاعي ويمكن أن يكون له نظر الى قصة نمرود وبناؤه الصرح الذي أراد به التوصل الى السماء لاسيما والآيات مكتشفة بقصة ابراهيم عليه السلام من قبلها ومن بعدها ولما أخبرهم بأنهم مقدور عليهم وكان ربما يتوهم أن غيرهم ينصرهم صرح بنفيه في قوله تعالى (وما لكم) أي أجمعين وأشار الى سفول رتبة كل من سواء بقوله تعالى (من دون الله) أي غيره وأكداً في بابيات الجار بقوله (من ولي) أي قريب بحسبكم لاجل القرابة (ولانصير) ينصركم من عذابه * ولما بين الاصلين التوحيد والاعادة وقررها بالبرهان هد ذلك من خالفه على سبيل التفصيل بقوله تعالى (والذين كفروا) أي استروا ما أظهرت لهم أنوار العقول (بآيات الله) أي بسبب دلائل الملك الاعظم المرتبة والمهوعة التي لا أوضع منها (واقائه) بالبعث بعد الموت الذي أخبر به وأقام الدليل عليه

(أَوَّلُكَ) أَيُ الْبَعْدَاءِ الْبَغْضَاءِ (يَسُوا) أَيُ مُخْطَفِينَ بِأَسْمِهِمْ مِنَ الْإِنْبِلِ مِنَ الْأَزْلِ لَانْهُمْ
 لَمْ يَرْجُوا نِقَاءَ اللَّهِ يَوْمًا وَلَا قَالِ قَاتِلِ مِنْهُمْ رَبِّ اغْفِرْ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ (مِنْ رَحْمَتِي) أَيُ مَنْ أَنْ
 أَفْعَلُ بِهِمْ مِنَ الْأَكْرَامِ بِدُخُولِ الْجَنَّةِ وَغَيْرِهَا فَعَدَلَ الرَّاحِمُ (وَأَوَّلُكَ لَهُمْ عَذَابُ أَلِيمٍ) أَيُ
 مُؤَلِّمٌ بِالْعَمَلِ (فَانْ قَبِلْ) هَلَا كُنْتُ بِتَوَلُّهِ تَعَالَى أَوَّلَةً مَرَّةً وَاحِدَةً (أَجِيبْ) بِأَنَّ ذَلِكَ
 كَزَرٍّ تَفْخِيمًا لِلْأَمْرِ فَالْيَأْسُ وَصَفَ لَهُمْ لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ دَائِمًا يَكُونُ رَاجِيًا خَائِفًا وَأَمَّا الْكَافِرُ فَلَا يَخْطُرُ
 بِإِلَهِهِ رَجَاءٌ وَلَا خَوْفٌ وَعَنْ قِتَادَةِ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى ذَمَّ قَوْمًا هَافُوا عَلَيْهِ فَسَالِ أَوَّلُكَ يَسُوا مِنْ
 رَحْمَتِي وَقَالَ وَلَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ فَيَنْبَغِي لَهُمْ مَنْ أَنْ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ
 اللَّهِ وَلَا مِنْ رَحْمَتِهِ وَأَنْ لَا يَأْمَنَ عَذَابُهُ وَعِقَابُهُ فَصَفَةَ الْمُؤْمِنَ أَنْ يَكُونَ رَاجِيًا لَهُ خَائِفًا ثُمَّ أَنَّ اللَّهَ
 تَعَالَى أَخْبَرَ عَنْ فِظَا طَةِ قَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَتَكْبِيرِهِمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ) لَمَّا أَمَرَهُمْ
 بِالتَّوْحِيدِ وَتَقْوَى اللَّهِ تَعَالَى (الْأَنْ قَالُوا) أَيُ قَالِ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ أَوْ قَالَهُ وَاحِدُهُمْ وَكَانَ
 الْبَاقُونَ رَاضِينَ (أَقْتُلُوهُ وَأَحْرِقُوهُ) بِالنَّارِ (فَانْ قَبِلْ) كَيْفَ سَمِيَ قَوْلُهُمْ أَقْتُلُوهُ وَأَحْرِقُوهُ
 جَوَابًا عَنْ أَنَّهُ لَيْسَ بِجَوَابٍ (أَجِيبْ) عَنْهُ مِنْ وَجْهَيْنِ أَحَدُهُمَا أَنَّهُ خَرَجَ مَخْرُجَ كَلَامِ الْمُسْتَكْبِرِ
 كَمَا يَقُولُ الْمَلِكُ لِلرَّسُولِ خَصْمَهُ جَوَابُكُمْ السَّيْفُ مَعَ أَنَّ السَّيْفَ لَا يَسِيْرُ بِجَوَابٍ وَانْغَامَ عَنْهُ لَا أَقَابِلُ
 بِالْجَوَابِ وَانْغَامًا أَقَابِلُ بِالسَّيْفِ وَثَانِيَهُمَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَرَادَ بِيَانِ صَلَاتِهِمْ وَأَنَّهُمْ ذَكَرُوا
 مَا لَيْسَ بِجَوَابٍ فِي مَعْرِضِ الْجَوَابِ فَيَبِينُ أَنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ جَوَابٌ أَصْلًا وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ لَا يَجِيبُ
 غَيْرُهُ وَسَكَتَ لَا يَعْلَمُ أَنَّهُ يَقْدِرُ عَلَى الْجَوَابِ أَمْ لَا لِحُجُوزِ أَنْ يَكُونَ يَكُونُ عَنْ الْجَوَابِ لِعَدَمِ
 الْإِلْتِفَاتِ وَأَمَّا إِذَا أَجَابَ بِجَوَابٍ فَاسَدَ عِلْمُ أَنَّهُ قَصْدُ الْجَوَابِ وَمَا قَدَّرَ عَلَيْهِ ثُمَّ أَنَّهُمْ اسْتَفْتَرَوْا بِهِمْ
 عَلَى الْأَحْرَاقِ لِحُجْمِ عَوَالِهِمْ حُطْبًا إِلَى أَنْ يَمْلُؤُوا مَا بَيْنَ الْجِبَالِ وَأَضْرَمُوا فِيهِ النَّارَ حَتَّى اسْتَرْقَتْ
 مَا دَانَا مِنْهَا بِعَظِيمِ الْأَشْثَةِ مَالٍ وَقَذَفُوهُ فِيهَا بِالْمُخْصِنِ (فَأَنْجَاهُ اللَّهُ) بِعَالِهِ مِنْ كَمَالِ الْعَطَشَةِ
 (مِنْ النَّارِ) أَيُ مِنْ أَحْرَاقِهَا وَأَذَاهَا وَفَقَعْتُهُ بِأَنَّ أَحْرَقَتْ وَثَاقَهُ (أَنْ فِي ذَلِكَ) أَيُ مَا ذَكَرْنَا مِنْ أَمْرِهِ
 وَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قِصَّتُهُ مِنَ الْحُكْمِ (لَا يَأْتِ) أَيُ إِبْرَاهِيمَ قَاطِعَةً فِي الدَّلَالَةِ عَلَى جَمِيعِ أَمْرِ اللَّهِ
 مِنْ تَصَرُّفِهِ فِي الْأَعْيَانِ وَالْمَعَانِي لِكُونِ النَّارِ لَمْ تَحْرِقْهُ وَأَحْرَقَتْ وَثَاقَهُ وَكُلَّ مَا مَرَّ عَلَيْهِ مِنْ طَائِفِ
 وَاجْتِدَادِهِ مَعَ عَظَمَتِهِ فِي زَمَانٍ بِسِيرِ وَانْشَاءِ رُؤُوسِ مَكَانِهَا وَرَوَى أَنَّهُ لَمْ يَنْتَفِعْ فِي ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي
 أُلْقِيَ فِيهِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالنَّارِ وَذَلِكَ لِذَهَابِ حَرِّهَا (الْقَوْمُ يَوْمُنُونَ) أَيُ يَصْدُقُونَ
 بِتَوْحِيدِ اللَّهِ وَقَدَرْتَهُ لَانْهُمْ الْمُسْتَفْعُونَ بِالْفَعْصِ عَنْهَا وَالتَّأْتِلُ فِيهَا (وَقَالَ) أَيُ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ غَيْرِهَا بِتَلْدِيدِهِمْ بِقَتْلِهِ أَوْ غَيْرِهِ (انْغَامًا لِحُجْمِ) أَيُ أَخَذَتْهُمُ بِأَمْرٍ طَانَعٍ وَتَكْفٍ وَأَشَارَ إِلَى
 عَظَمَةِ اللَّهِ وَعُلُوِّ شَأْنِهِ (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الَّذِي كُلُّ شَيْءٍ تَحْتَ قَهْرِهِ (أَوْ ثَانَا) أَيُ أَصْنَامًا تَعْبُدُونَهَا
 وَمَا مَصْدَرِيَّةٌ (مَوْدَّةً بَيْنَكُمْ) أَيُ تَوَادَّدْتُمْ عَلَى مَحَبَّتِهَا (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بِالْاجْتِمَاعِ عِنْدَهَا
 وَالتَّوَالُّ فِي أَمْرٍ هَا بِالنَّاصِرِ وَالتَّعَاوُضِ كَمَا يَتَّقِي نَاسٌ عَلَى مَذْهَبٍ فَيَكُونُ ذَلِكَ سَبَبًا تَعَاوُضَهُمْ
 وَهَذَا دَالٌ عَلَى أَنَّ جَمْعَ الْفُسُوقِ لِأَهْلِ الدِّينَا هُوَ الْعَادَةُ الْمُسْتَمَرَّةُ وَانْ الْحُبُّ فِي اللَّهِ وَالْاجْتِمَاعُ لَهُ
 عَزْرٌ جَدُّ الْمُنَافِسَةِ مِنْ قَطْعِ عِلَاقِ الدِّينَا وَشَهْوَاتِهَا الَّتِي زَيَّنَتْ لِلنَّاسِ عَلَى مَا فِيهَا مِنَ الْإِلْبَاسِ

وعظيم البأس وقرأ نافع وابن عامر وشعبة مودة بالنصب والتسوين وبينكم نصب النون
فنصب مودة على أنه منقول له أي لأجل مودة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو والكسائي برفع
مودة من غير تنوين وكسر النون على أن مودة خبر مبتدأ محذوف أي هي مودة والباقون
بنصب مودة من غير تنوين وكسر النون وهذا أيضا كاعراب الموثونة * ولما أشار إلى هذا النفع
الذي هو في الحقيقة نصر أتبع ذلك ما يعقبه من الضر البالغ معبراً بإداة البعد بقوله (ثم يوم
القيامة يكفر بعضكم ببعض) فيذكر كل منكم محاسن أخيه ويتبرأ منه تلعن الاتباع القادة
وتلعن القادة الاتباع كما قال تعالى (ويلعن بعضكم بعضاً) وتذكرون كلكم عبادة الاوثان
تارة إذا تحققت أنما ضرر لا نفع لها وتقرن بها أخرى طالبين نصرتها راجين منفعتها وتذكر
الاوثان عبادتكم وتجدد منفعتكم (ومأواكم) أي جميعاً أنتم والاوثان (النار وما أنكم
من ناصرين) يحمودكم منها * ثم بين تعالى أول من آمن بأبراهيم بقوله تعالى (فآمن له) أي
لأجل دعائه له مع ما رأى من الآيات (لوط) وكان ابن أخيه هارون وهو أقل من صدقه من
الرجال (وقال) أي إبراهيم عليه السلام لما شوحد بالانكار من الهجرة لصعوبتها (إني
مهاجر) أي خارج من أرضي وعشيرتي على وجهيهم فقتل ومخاز (إلى ربّي) أي إلى أرض
ليس فيها أنيس ولا عشير ولا من ترجى نصرته ولا من تنفع مودته فهاجر من كوثي من سواد
الكوفة إلى حران ثم منها إلى الأرض المقدسة فكانت هجرتان ومن ثم قالوا الكل نبي هجرة
ولأبراهيم عليه السلام هجرتان وهو أول من هاجر في الله وكان معه في هجرته لوط وأمر أنه سارة
قال مقاتل وكان إذا ذاك ابن خمس وسبعين سنة (فان قيل) لم يقل إني مهاجر إلى حيث أمرني
ربي مع أن المهاجرة توهم الجهة (أجيب) بأن هذا القول ليس في الاخلاص كقوله إلى ربي لأن
الملك إذا صدر منه أمر برواح الاختيار ثم واحد منهم سار إلى ذلك الموضع لغرض نفسه فقد
هاجر إلى حيث أمره الملك ولكن ليس لاختلاف الوجهه فلذا قال مهاجر إلى ربي يعني يوجهني
إلى الجهة المأمور به للهجرة إليها ليس طلب للجهة وإنما هو طلب لله ثم علل ذلك بما سلبه عن فراق
أرضه وأهل وده من ذوى رحمه وأنسابه بقوله (إنه هو) أي وحده (العزيز) أي فهو جدير
باعتزاز من انقطع إليه (الحكيم) فهو إذا أعزأ أحد منعت حكمته من التعرض له بالاذلال
بفعل أو يقال * ولما كان التدبير فأعززه بما ظن بأعطف عليه قوله (وهيئ له) أي بعظيم
قدرتنا شكرنا على هجرته (اسحق) من زوجته سارة رضى الله تعالى عنها التي جمعت إلى العقم
في شبابها البأس في كبرها (ويعقوب) من ولده اسحق عليه السلام (فان قيل) لم يذكر
اسماعيل عليه السلام وذكر اسحق وعقبه (أجيب) بأن هذه السورة لما كان السياق فيها
للاعتناء وكان إبراهيم عليه السلام قد أتى في اسمعيل بفراقه مع أمته ووضعهم في مضجعة
من الأرض له أنيس فيها لم يذكره نصريحاً في سياق الامتنان وأفرد اسحق لانه لم يتصل فيه بشئ
من ذلك ولان الامتنان به ليكون أمته عجوزاً عقيماً كبيراً وأعظم لانها أعجب وذكر اسمعيل
لأنه يحاكي قوله تعالى (وجعلنا) أي بعزتنا وحكمتنا (في ذريته) من ولد اسحق واسمعيل

عليه ما السلام (النسبة) فلم يكن بعده نبي أجنبى عنه بل جميع الانبياء من ذرية اسحق الانبياء
محمد صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل قاله بعض العلماء (فان قيل) ان الله تعالى جعل
في ذرية النبوة اجابة لدعائه والوالد يسوق بين اولاده فكيف صارت النبوة في ولد اسحق عليه
السلام أكثر (أجيب) بأن الله تعالى قسم الزمان من وقت ابراهيم الى يوم القيامة قسمين
والناس أجمعين فالقسم الاول من الزمان بعث الله تعالى فيه أنبياء فيهم فضائل جنة وجاؤا
تتري واحدا بعد واحد ومجتعين في عصر واحد كلهم من ذرية اسحق عليه السلام ثم في القسم
الثاني من الزمان أخرج من ذرية ولده اسمعيل عليه السلام واحدا اجمع فيه ما كان فيهم
وأرسله الى كافة الخلق وهو محمد صلى الله عليه وسلم وجعله خاتم النبيين وقدر دام الخلق على دين
أولاد اسحق أكثر من أربعة آلاف سنة ولا يعد أن تبقى الخلق على دين ذرية اسمعيل ذلك
المقدار (والكتاب) فلم ينزل كتاب الا على أولاده (فان قيل) لم أفرد الكتاب مع انما أربعة
التوراة والانجيل والزبور والفرقان (أجيب) بأنه أفرد ليدل مع تناوله جنسية الكتب
الاربعة انه لا شيء يستحق أن يكتب الا ما أنزل فيها أو كان راجعا اليها ولو جمع لم ينفذ هذا المعنى
(واتيناه أجرة) على هجرته (في الدنيا) بما خصصناه به مما لا يقدر عليه غيرنا من سعة الرزق ورغد
العيش وكثرة الولد والحزم في الشجوخة وكثرة النسل والثناء الحسن والمحبة من جميع الخلق
وغير ذلك قال الرازي وفي الآية لطيفة وهي ان الله تعالى بدل جميع أحوال ابراهيم عليه
السلام في الدنيا باضدادها لما أراد القوم تعذيبه بالنار كان وحيدا فافيد الله تعالى وحده
بالكثرة حتى سلا الدنيا من ذريته ولما كان أول بعث الى قومه وأقاربه الاقربين ضالين مضلين
من جملتهم أزرى الله تعالى أقاربه بأقارب مهتدين هادين وهم ذريته الذين جعلت فيهم
النبوة والكتاب وكان أول الاجابة له ولا مال وهم اغاية المذلة الديونية آناه الله تعالى من المال
والجما حتى كان لمن المواسي ما علم الله تعالى عدده حتى قيل انه كان له اثنا عشر ألف كتاب
حارس بأطواق الذهب وأما الجاه فصار بحيث تقرن الصلاة عليه بالصلاة على سائر الانبياء
الى يوم القيامة فصار معروفًا بشيخ المرسلين بعد أن كان خاملا حتى قال قائلهم سمعنا في يذكركم
يقال له ابراهيم وهذا الكلام لا يقال الا للمجهول عند الناس (وانه في الآخرة) أى التي هي
الدار ومحل الاستمرار (لمن الصالحين) أى الذين خصصناهم بالسعادة وجعلنا لهم الحسن
وزيادة قال ابن عباس مثل آدم ونوح وفي اعراب قوله تعالى (ولو طأ) ما تقدم في اعراب
نصب ابراهيم (اذ) أى حين (قال لقومه) أهل سدوم الذين يكن فيهم وصايرهم وانقطع
اليهم فصار واقومه حين فارق عمه الخليل ابراهيم عليه ما السلام منكرا ما رأى من حالهم وقبح
فعالهم مؤكدا (أفمنكم لتأتون الفاحشة) وهي اذبار الرجال المجاوزة للحد في القبح
فكان ذلك لا فاحشة غيرها ثم علل كونها فاحشة استمنافا بقوله (ما سبقكم بها) وهي حالة
مبينة لعظيم حرامتهم على المتكرأى غير مسبوقة به وأغرق في النبي بقوله (من أحد) وزاد
بقوله (من العالمين) أى كلهم من الانس والجن أى فضلا عن خصوص الناس ثم كرر الانكار

تأكيد التجاوز قصها الذي يشكره بقوله (أنتكم لتأتون الرجال) آيات الشهوة وعطف
 عليها ما ضموا اليها من المنكر بقوله (وتقطعون السبل) أي طريق المارة بالقتل وأخذ
 المال بفعالكم الفاحشة بمن عزبكم فترك الناس المحرم بكم أو قطعون سبل النساء بالأعراض
 عن الحرث وآيات ما ليس بمرث (وتأتون في ناديتكم المنكر) أي تذهبون في متحدثكم بفعل
 الفاحشة بعضهم ببعض وهو مما تنكره الشرائع والمواد والعقول وأنتم لا تتحاشون عن شيء
 منه في الجمع الذي يتحاشى فيه الإنسان من فعل خلاف الأولى من غير أن يستحي بعضهم من
 بعض قال ابن عباس المنكر هو الحذف بالحصاص والرمي بالبندق والفرقة ومضغ العلك
 والسؤال بين الناس وحل الأزار والسباب والتضارط في مجالسهم والغش والمزاح وعن
 عائشة رضي الله تعالى عنها كانوا يتعاقبون وقيل السخرية عن يترهم وقيل المجاهرة
 في ناديتهم بذلك العمل وكل معصية فأنها رها أخرج من سترها ولذلك جاء من خرق جلباب الحياء
 فلا غيبة له ولا يقال للعجس ناديا لا مادام فيه أهله فإذا قاموا عنه لم يسم ناديا وعن ملحول
 في أخلاق قوم لوط مضغ العلك قطر يراف الأصابع بالحناء وحل الأزار والصغير والحذف
 واللوطية ودل على عنادهم بقوله تعالى مسبيا عن هذه الفضائح بالنهي عن تلك القبائح
 (فما كان جواب قومه) أي الذين فيهم قوة ونجدة بحيث يخشى شرهم ويتقوا أذاهم لما أنكر
 عليهم ما أنكر (الآن قالوا) عناد وجهلا واستهزاء (استناب العذاب الله) وعبروا بالاسم
 الأعظم زيادة في الجراءة (أن كنت من الصادقين) أي في استقباح ذلك وإن العذاب نازل
 بقا عليه (فان قيل) قال قوم إبراهيم عليه السلام اقتلوه أو حرّقه وقال قوم لوط استناب العذاب
 الله ان كنت من الصادقين وما هذبه مع ان إبراهيم كان أعظم من لوط فان لوطا كان من قومه
 (أجيب) بأن إبراهيم كان يتدح في دينهم ويشتم آلهتهم وبعد صفات نفهم بقوله لا اسمع
 ولا يصير ولا ينفع ولا يغني والسب في الدين صعب ففعلوا جزاء القتل والتحرير ولوطا كان
 ينكر عليهم فعلهم وينسبهم الى ارتكاب المحرم وهم ما كانوا يقولون ان هذا واجب من الدين
 فلم يصعب عليهم مثل ما صعب على قوم إبراهيم كلام إبراهيم فقالوا له انك تقول ان هذا
 حرام والله يعذب عليه فان كنت صادقا فاستنابا بالعذاب (فان قيل) ان الله تعالى قال
 في موضع آخر فما كان جواب قومه الآن قالوا أخرجوا آل لوط من قريبتكم وقال هنا
 فما كان جواب قومه الآن قالوا استنابا بعذاب الله فكيف الجمع (أجيب) بأن لوطا كان
 ثابتا على الارشاد مكثرا على النهي والوعيد فقالوا أولا استنابا نعم لما نزل ذلك منه
 ولم يسكت عنهم قالوا أخرجوا ولما ليس منهم طلب النصرة من الله بأن (قال) أي لوط
 عليه السلام معرض عنهم مقبلا بكلمته على المحسن اليه (رب) أي أيها المحسن الى (انصرتني على
 القوم) أي الذين فيهم من القوة ما لا طاقة لي بهم معه (المفسدين) أي العاصين بإتيان الرجال
 ووصفهم بذلك مبالغة في استنزال العذاب واشعارا بأنهم أحقوا بأن يعجل لهم العذاب ولما
 دعا لوط على قومه بقوله رب الى آخره استجاب الله تعالى دعاه وأمر ملائكة بهلاكهم

وأرسلهم مبشرين ومنذرين كما قال تعالى (ولما جاءت) وأسقط ان لانه لم يتصل القول بأول الجي
بل كان قبله السلام والضيافة وعظم الرسل بقوله تعالى (ولما) أى من الملائكة تعظيما لهم
فى أنفسهم (أبراهيم بالبشرى) أى باسحق ولد له ويعقوب ولد لاسحق عليهم السلام (قالوا)
أى الرسل عليهم السلام لابراهيم عليه السلام بعد أن بشره وتوجهوا نحو سدوم (انما هم لكو
أهل هذه القرية) أى قرية سدوم والاضافة لفظية لان المعنى عنى الاستقبال ثم عللوا ذلك
بقولهم (ان أهلها كانوا ظالمين) أى غريقين فى هذا الوصف فلاحية فى رجوعهم عنه
(فان قيل) قال تعالى فى قوم نوح فأخذهم الطوفان وهم ظالمون فى ذلك اشارة الى أنهم كانوا
على ظلمهم حين أخذهم ولم يقتل فأخذهم وكانوا ظالمين وهنا قال ان أهلها كانوا ظالمين ولم يقتل
وهم ظالمون (أجيب) بأنه لافرق فى الموضعين فى كونهم مأمهليكين وهم مصررون على الظلم
لكن هنالك الاخبار من الله تعالى عن الملائكة حيث قال فأخذهم وهم عند الوقوع
فى العذاب ظالمون وههنا الاخبار من الملائكة عن المستقبل حيث قالوا انما هم لكو فذكروا
ما أمروا به فان الكلام عن الملك بغير اذنه سوء أدب وهم كانوا ظالمين فى وقت الامر وكونهم
يقون كذلك لاعلم لهم به * ولما قالت الملائكة لابراهيم عليه السلام ذلك (قال) لهم مؤكدا
تنبها على حالة ابن أخيه (ان فيها لوطا) ولم يقتل عليه السلام ان منهم لوطا لانه نزل عندهم
فلذا جاء بالتصريح بالسؤال عنه (قالوا) أى الرسل عليهم السلام له (نحن أعلم) منك
(عن فيها) أى من لوط وغيره (لنضيته وأهله الامراة كانت من الغابرين) أى الباقيين
فى العذاب وهم النجرة لعم وجههم معهم الغيرة وقرأ حمزة والكسائي بسكون الزون الثانية
وتخفيف الجيم بعدها والباقيون يفتح الزون وتشديد الجيم بعدها (ولما ان جاءت رسلنا لوطا)
أى المعظمون بنا (س) أى حصلت له المساءة والغم (بهم) أى بسبيهم مخافة أن يقصدهم
قومه بسوء لما رأى من حسن أشكالهم وهو يظن انهم من الناس لانهم جاءوا من عند ابراهيم
عليه السلام اليه على صورة البشر روى عنهم كانوا يجلسون مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة
فيها حصا فاذا مزجهم عابر سبل حذوهم فأبهم أصابعه كان أولى بدقيل انه كان يأخذهم معه
وينسكهم ويعقرهم ثلاثة دراهم ولهم فاض بذلك ولهذا يقال أجور من قانى سدوم (وضاق)
أى بأعمال الخيلة فى الدفع عنهم (بهم ذريعا) أى ذرعه أى طاقته والاصل فى ذلك أن من
طالت ذراعه نال ما لا يشاله قصيرها يضرب مثلا فى العجز والقدرة * ولما رآه على هذه الحالة
خفضوا عليه (قالوا) له (لا تخف) اننا رسل ربك لاهلاكهم (ولا تحزن) أى على
عدمكهم منا أو على أحد من يهلك فانه ليس فى أحد منهم خير يؤسف عليه بسببه فانهم وصلوا
فى الخيل الى حد لا مطمع فى الرجوع عنه مع ملازمته لدعائهم من غير ملل ولا ينجز نعم عللوا
ذلك بقولهم مبالغين فى التأكيد (انما نجول) أى مبالغون فى انجائك وقولهم (وأهلك)
منصوب على عمل الكاف (الامر أنك كانت من الغابرين) فان قبل القوم عذبوا بسبب
ما صدر منهم من الفاحشة وامر أنه لم يصدر منها ذلك فكيف كانت من الغابرين معهم

أجيب بأن الدال على الشر كفاعله كما أن الدال على الخير كفاعله وهي كانت تدل القوم على ضيوف لوط حتى كانوا يقصدونهم فبالدلالة صارت كأحدهم (فان قيل) ما مناسبة قولهم انانجولك لقولهم لا تخف ولا تحزن فان خوفه ما كان على نفسه (أجيب) بأن لوطا لما ضاق عليهم وحزن لاجلهم قالوا له لا تخف اى علينا ولا تحزن لاجلنا فانما لك ثم قالوا له يا لوط خفت علينا وحزنت لاجلنا فى مقابلة خوفك وقت الخوف نزيل خوفك ونخيمك وفى مقابلة حزنك نزيل حزنك ولا تترك تفجيع فى أهلاك فقالوا انانجولك وأهلك وقرأ ابن كثير وشعبه وحزة والكسافى بسكون النون وتخفيف الجيم والباقون بفتح النون وتشديد الجيم ثم انهم بعد بشارة لوط بالنجية قالوا له (انامزلون) اى لا محالة (على اهل هذه القرية رجرا) اى عذابا (من السماء) فهو عظيم وقعه شديد صدعه واختلف فى ذلك الرجز فقبل حجارة وقيل نار وقيل خسف وعلى هذا يكون المراد ان الامر بالخسف والقضاء به من السماء وقرأ ابن عامر بفتح النون وتشديد الزاى والباقون بسكون النون وتخفيف الزاى * (تنبيه) * كلام الملائكة مع لوط جرى على غط كلامهم مع ابراهيم عليه السلام فقدموا البشارة على انزال العذاب ثم قالوا انانجولك ثم قالوا انامزلون ولم يعلموا النتيجة فلم يقولوا انانجولك لانك نبي أو عابد وعلاوا الاهلاك فقالوا (بما كانوا يفسقون) اى يخرجون فى كل وقت من دائرة العقل والحياء كقولهم هناك ان أهلها كانوا ظالمين. ولما كان التقدير ففعلت رسلا ما وعدوه به من النجاة واهلاك جميع قراهم فتركها كان لم يسكنها أحد عطف عليه قوله تعالى (ولقد تركنا) اى بئسنا من العظمة (منها) اى من تلك القرى (آية) اى علامة على قدرتنا على كل ما نريد (ينسئ) اى ظاهرة قال ابن عباس منازلهم الخربة وقال قتادة هى الحجارة التى أهلكوا بها أبقاها الله تعالى حتى أدركها أوائل هذه الامة وقال مجاهد وظهر الماء الاسود على وجه الارض (فأثاء) اتفق القراء على ادغام الدال فى التاء * (تنبيه) * فى هذه الآية إشارة الى غفلة المخاطبين بهذه القصة من العرب وغيرهم وأنه ليس بينهم وبين الهدى الاتفكيرهم فى أمرهم مع الانخلاع من الهوى وانما يصحكون ذلك (لقوم يعقلون) اى يتدبرون فعدم لم يستبصر بذلك غير عاقل * (تنبيه) * ههنا أسئلة الاول كيف جعل الآية فى نوح وابراهيم عليهما السلام بالنجاة فقال فانجيئنا وأصحاب السفينة وجعلناها آية وقال فانجى الله من النار ان فى ذلك لآيات وجعل ههنا الهلاك آية الثانى ما الحكمة فى قوله تعالى فى السفينة جعلناها آية ولم يقل ينسئ وقال ههنا آية ينسئ الثالث ما الحكمة فى قوله تعالى هناك للعالمين وقال ههنا القوم يعقلون (أجيب) عن الاول بأن الآية فى ابراهيم كانت فى النجاة لان فى ذلك الوقت لم يكن اهلاك وأما فى نوح فلان الانجاء من الطوفان الذى علا الجبال بأسرها أمر عجيب الهى ومابه النجاة وهو السفينة كان باقيا والغرق لم يبق له بعده أثر محسوس فى البلاد فجعل الباقي آية وأما ههنا فتجاة لوط لم تكن بأمر ينى أثره للحس والهلاك أثره محسوس فى البلاد فجعل الآية الامر الباقي ههنا البلاد وههنا السفينة (وههنا الطيفة) وهى ان الله تعالى آية قدرته موجودة

في الانجاء والاهلاك فذكر من كل باب آية وقدم آيات الانجاء لانها اثر الزجعة واخر آيات الهلاك
 لانها اثر الغضب ورحمة سابقة وعن الثاني بأن الانجاء بالسفينة لا يفتقر الى امر آخر وأما
 الآية ههنا الخسف وجعل ديارهم المعمورة عالمها ساقلها وهو ليس بعماد وانما ذلك بارادة
 قادر بخصه بكان دون مكان ويزمان دون زمان فهي بيينة لا يمكن الجاهل أن يقول هذا
 أمر يكون كذلك وكان له أن يقول في السفينة أمرها يكون كذلك فيقال له فلودام الماء حتى
 ينفذ زادهم كيف كانت تحصل لهم النجاة ولوسط الله تعالى عليهم الريح العاصفة كيف
 تكون أحوالهم وعن الثالث بأن السفينة موجودة معلومة في جميع أقطار العالم فعند
 كل قوم مثال السفينة يتذكرون بها حالة نوح واذا ركبوها يطلبون من الله النجاة منه ولا ينق
 أحد بعجز السفينة بل يكون دائماً يحف القلب متضرراً على الله تعالى طالباً للنجاة وأما
 أثر الهلاك في بلاد لوط ففي موضع مخصوص لا يطالع عليه الا من مر به او يصل اليها او يكون له
 عقل يعلم أن ذلك من الله تعالى وارادته بسبب اختصاصه بكان دون مكان ووجوده في زمان
 دون زمان ولما كان شعيب عليه السلام أيضاً قد ابتلى بتكذيب قومه اتبع قصته بقصة لوط
 بقوله تعالى (والى مدين) أى واقدراً سلنا أو بعثنا الى مدين (أخاهم) أى من النسب والبلد
 (شعيباً) ومدين قبل اسم رجل في الاصل وجهل وله ذرية فاشتهر في القبيلة كتهيم وقيس
 وغيرهما وقبل اسم ما نسب القوم اليه فاشتهر في القوم قال الرازي والاول كأنه أشجع لأن
 الله تعالى أضاف الماء الى مدين بقوله تعالى ولما ورد ماء مدين ولو كان اسماء الماء لكانت
 الاضافة غير صحيحة أو غير حقيقية والاصل في الاضافة التغير والحقيقة (فان قيل) قال تعالى
 في نوح واقدراً سلنا نوحاً الى قومه فتقدم نوحاً في الذكر وعرف القوم بالاضافة اليه وكذلك
 في ابراهيم ولوط وههنا ذكر القوم أولاً وأضاف اليهم أخاهم شعيباً بالحكمة في ذلك (أجيب)
 بأن الاصل في الجميع أن يذكر القوم ثم يذكر رسولهم لأن الرسل لا تبعث الى غير معينين وانما
 تبث الرسل الى قوم محتاجين الى الرسل فيرسل الله تعالى اليهم من يختاره غير ان قوم نوح
 وابراهيم ولوط لم يكن لهم اسم خاصة ولا نسبة مخصوصة يعرفون بها فعرفوا بنبيهم عليه السلام
 فقيل قوم نوح وقوم لوط فأما قوم شعيب وهو دوصالح فكان لهم نسب معلوم اشتهر وابه عند
 الناس فجري الكلام على أصله وقال تعالى والى عاد أخاهم هودا والى مدين أخاهم شعيبا
 (فقال) أى فتسبب عن رساله وبعثه ان قال (يا قوم اعبدوا الله) أى الملك الاعلى وحده
 ولا تشركوا به شيئاً فان العبادة التي فيها شرك ظاهر أو خفي عدم لأن الله تعالى أغنى الشركاء
 فهو لا يقبل الاما كان له خالصاً (فان قيل) لم يذكر عن لوط عليه السلام انه أمر قومه بالعبادة
 والتوحيد وذكر عن شعيب ذلك (أجيب) بأن لوطاً كان من قوم ابراهيم وفي زمانه وكان
 ابراهيم سبقه بذلك واجتهد فيه حتى اشتهر الامر بالتوحيد عند الخلق من ابراهيم فلم يحتاج لوط
 الى ذكره وانما ذكره لاختصاصه به من المنع من الفاحشة وغيرها وان كان هو أبداً بأمر بالتوحيد
 اذا من رسول الاو يكون أكثر كلامه في التوحيد وأما شعيب فكان بعد انقراض ذلك الزمن

وذلك القوم فكان هو أصلا في التوحيد فبدأ به * ولما كان السياق لاقامة الأدلة على البعث
الذي هو من مقاصد السورة قال (وارجوا اليوم الآخر) أي وافعلوا ما ترجون به العاقبة
فأقيم المسبب مقام السبب أو أمر وبالرجاء والمراد اشتراط ما يسوقه من الإيمان كما يؤمر
الكافر بالشرعيات على إرادة الشرط وقيل هو من الرجاء بمعنى الخوف (ولا تعثوا في الأرض)
حال كونكم (مفسدين) أي متعمدين الفساد * ولما نسب عن هذا النص وتعبه تكذيبهم
نسب عنه وتعبه اهلا كهم تحمية قال إن أهل السياات لا يسبقوننا قال تعالى (فكذبوه) في ذلك
(فان قيل) ما حكاه الله تعالى عن شعيب أمر ونهى والامر لا يكذب ولا يصدق فان قال
لغيره عبد الله لا يقال له كذبت (أجيب) بأن شعيبا كان يقول الله واحد فاعبدوه والخسر
كائن فارجووه والفساد محرم فلا تقر بوجه وهذه فيها اخبارات فكذبوه فيما أخبر به (فأخذتهم
الرجفة) أي الزلزلة الشديدة وعن الضحك صيحة جبريل لأن القلوب رجفت بها (فأصبحوا
في دارهم) أي في بلدهم أو دورهم فآثروا بالواحد ولم يجمع لأن اللبس (جاءين) أي
باركين على الركبتين (فان قيل) قال تعالى في الاعراف وههنا فأخذتهم الرجفة وقال
في هو فأخذتهم الصيحة والحكاية واحدة (أجيب) بأنه لا تعارض بينهما فان الصيحة كانت
سببا للرجفة لأن جبريل لما صاح ترزلات الأرض من صيحة فرجفت قلوبهم والاضافة الى
السبب لثنافي الاضافة الى سبب السبب (فان قيل) ما الحكمة في انه تعالى اذا قال فأخذتهم
الصيحة قال في ديارهم وحيث قال فأخذتهم الرجفة قال في دارهم (أجيب) بان المراد من
الدار هو الديار والاضافة الى الجمع بجو زان تكون بلفظ الجمع وأن تكون بلفظ الواحد اذا
أمن اللبس كما مر وانما اختلف اللفظ للطيفة وهي ان الرجفة هائلة في نفسها فلم تتج الى تمويلها
وأما الصيحة فغير هائلة في نفسها لكن تلك الصيحة لما كانت عظيمة حتى أخذت الزلزلة
في الأرض ذكر الديار بلفظ الجمع حتى تعلم هيئتها والرجفة بمعنى الزلزلة عظيمة عند كلامه فلم تتج
الى معظم الامر ها * ولما كان معنى ختام قصة مدني فأهلكناهم عطف على ذلك المعنى قوله تعالى
(وعادا) أي وأهلكنا بضاعادا (وعمودا) مع ما كانوا فيه من العتو والتكبر والعلو لأن من
المقاصد العظيمة الدالة على اتباع بعض هذه الامم بعضا في الخير والشر على نسق والجرى بهم
في اهلاك المكذبين وانجاء المصدقين طبعا عن طبق وقرأ حزة وحذف في الوصل وعمود بغير
تنوين على تأويل التيسير وفي الوقف بسكون الدال والباقون بالتنوين وفي الوقف بالالف
(وقد نين لكم) أي ما حل بهم من مساكنهم أي ما وصف من هلاكهم وما كانوا فيه من شدة
الاجسام وسفه الاحلام وعلو الاستقام وتقرب الازدهان وعظم الشأن عند موركهم بتلك
المساكن ونظرهم اليها في ضربكم في التجارة الى الشام فصرفوا في الاقتبال على الاستمتاع
بالعرض الثاني من هذه الدنيا فأما الوابعدا وبنا مشيدا ولم يغن عنهم شيء من ذلك شيئا من أمر
الله (وزين لهم الشيطان) البعيد من الرحمة المحترق بالعنة بقوة احتياله ومحجوب ضلاله
ومحاله (أعمالهم) أي الفاسدة من الكفر والمعاصي فأقبلوا بكيتهم عليها (فصدتهم) أي

فتسبب عن ذلك صدهم (عن السبيل) أى منعهم عن سلوك الطريق الذى لا طريق الا هو
 لكونه يوصل الى النجاة وغيره يوصل الى الهلاك * ولما كان ذلك وبما ظن القبط غبارتهم قال
 (وكانوا متبصرين) أى معدودين بين الناس من البصراء العقلاء * ولما كان فرعون ومن
 ذكر معه من العقوب يمكن لا يخفى لما أوتوا من القوة بالاموال والرجال قال (وقارون) أى وأهلكتنا
 قارون وقومه لأن وقوعه فى أسباب الهلاك أعجب لكونه من بنى اسرائيل ولأنه ابنى بالمال
 والعلم فكان ذلك سبب إعجابه فتكبر على موسى وهرون عليهم السلام فكان ذلك سبب
 هلاكه (وفرعون وهامان) وزيره الذى أوقدله على الطين فباع سعاده لكونه ذنب الغيرة
 (ولقد جاءهم) من قبل (موسى بالبينات) أى بالجميع الظاهرات التى لم تدع لبسا (فاستكبروا) أى
 طلبوا أن يكونوا أكبر من كل كبير بأن كانت أفعالهم أفعال من يطلب ذلك (فى الارض)
 بعد موسى عليه السلام اليهم أنهما كانوا قبله (وما كانوا سابقين) أى فائتين بل أدرتهم
 أمر الله من سبق طالبه اذا فاته (فكلا) أى فتسبب عن تكذيبهم أن كلا (أخذنا) أى
 بالانسان العظيمة (بذنبه) أى أخذنا عقوبة ليعلم أنه لأحد يجزنا (فمنهم من أرسلنا عليه
 حاصبا) أى ريحاً عاصفا فيها حبساء كتوم لوط وهاد (ومنهم من أخذنا الصيحة) أى التى
 تظهر شدتها الريح الحاملة لها الموائفة لنفسها فترجف لعظمتها الارض كمدن وثود (ومنهم
 من خسفناه الارض) أى غيبناه فيها كقارون وجماعته (ومنهم من أغرقنا) بالغمر فى الماء
 كتوم نوح وفرعون وقومه وعداب قوم صالح المعد فى الاغراق والمعد فى الخسف فتارة يهلك
 بريح تقذف بالبحار من السماء كتوم لوط ومن الارض كعاد (وما كان الله) أى الذى
 لا شئ من الجلال والكمال الاله (ليظلمهم) أى فيعذبهم بغير ذنب (ولكن كانوا أنفسهم)
 لا غيرها (يظلمون) بارتكاب المعاصى ولم يقبلوا النصيح مع هجرهم ولا خافوا العقوبة على
 ضعفهم * ولما بين تعالى انه أهلك من أشرك عاجلا وعذب من كذب آجلا لم ينفعه معبوده
 مثل تعالى اتخذ ذلك معبودا باخذ العنكبوت بيتا فقال (مثل الذين اتخذوا) أى
 تكافوا أن اتخذوا (من دون الله) أى الذى لا كف له فرضوا بالدون الذى لا ينفع ولا يضر
 عوضا عن لا تكفيه الاوهام والظنون (أولياء) ينصرونهم بزعمهم من معبودات وغيرها
 فى الضعف والوهن (كمثل العنكبوت) أى الدابة المعروفة ذات الارجل الكثيرة الطوال
 (اتخذت بيتا) أى تكافئت أخذته صنعتها ليمتصها الردى ويحسمها البلاء كما تكافئ هؤلاء
 اصطناع أربابهم ليقومهم ويحفظوهم بزعمهم فكان ذلك الميت مع تكلفها فى أمره ونعها
 الشديدي شأنه فى غاية الوهن (وان) أى والحال ان (أوهن البيوت) أى أضعفها (لبت)
 العنكبوت لا يدفع عنها حرا ولا بردا كذلك الاصنام لا تنفع عابديها (لو كانوا يعلمون) أى
 لو كانوا يعلمون أن هذا مثلهم وان أمر دينهم بالغ هذه الغاية من الوهن وأيضا انه اذا صم
 ما عتده فى دينهم بيت العنكبوت فقد تبين أن دينهم أوهن الايمان لو كانوا يعلمون أى لو كان
 لهم نوع ما من العلم لاتفعوا به ولعلموا ان هذا مثلهم فأبعدوا عن اعتقاد ما هذا مثلهم ولقاتل

قوله وعداب قوم صالح الخ كذا فى جميع الاصول التى لا بد منها وهو غير مستقيم اه

أن يقول مثل المشرك الذي يعبد الوثن بالقياس الى المؤمن الذي يعبد الله مثل عنكبوت تنخذ
 بيتا بالاضافة الى رجل يبنى بيتا بجر وجص أو ينحتم من حجر وكان أو هن البيوت اذا استقر بها
 يتمايتايت العنكبوت كذلك الاديان اذا استقرت يتمايتايتا عباد الاوثان (فان قيل)
 لم مثل تعالى بالتخاذ العنكبوت ولم يشمل بنسجها (أجيب) بأن نسجها فيه فائدة لولا لما
 حصلت وهو اصطيد الذباب بد من غير أن يقوتها ما هو أعظم منه واتخاذهم الاوثان فيعدهم
 ما هو أقل من الذباب من متاع الدنيا ولكن يقوتهم ما هو أعظم منها وهو الدار الآخرة التي هي
 خير وأبقى فليس اتخاذهم كنسج العنكبوت * (تنبيه) * فون العنكبوت أصلية والواو والتاء
 مزيدتان بدليل جمعه على عناكب وتصغيره عنكب ويذكر ويؤث في التأنيث قوله تعالى
 اتخذت ومن التدكير قول القائل

على هطالهم منهم بيوت * كان العنكبوت هو ابتناها

وهذا مطرد في أسماء الاجناس تذكر وتؤنث وقرأ ورش وأبو عمر ووحفص البيوت بضم
 الباء والباقون بكسرها * ولما كان شرب المثل بالشئ لا يوضح الامن العالم بذلك الشئ قال الله
 تعالى (ان الله) أى الذى له صفات الكمال (يعلم ما) أى الذى (يدعون) أى يعبدون
 (من دونه) أى غيره (من شئ) أى سواء كان صنما أم انسيا أم جنيا (وهو العزيز) فى ملكه
 (الحكيم) فى صنعه وقرأ أبو عمر ووعاصم يدعون بالياء التحية والباقون بالنوقية * ولما
 ذكر مثلهم وما تتوقف صحته عليه كان كأنه قيل على وجه التعظيم هذا المثل مثلهم فعطف
 عليه قوله تعالى اشارة الى أمثال القرآن كلها تعظيها وتبينها على جليل قدرها وعلو شأنها
 (وتلك الامثال) أى العالية عن أن تنال بنوع احتيال ثم استأنف قوله تعالى (نضر بها)
 أى بما لسان العظمة بيانا (للناس) أى تصوير المعاني المعقولات بصور المحسوسات
 لعلها تقرب من عقولهم فينتفعوا بها وهكذا حال التشبيهات كلها هي طرق الى افهام
 المعاني المحتمية فى الاستتار تبرزها وتكشف عنها وتصورها روى أن الكفار قالوا كيف
 يضرب خالق الارض والسموات الامثال بالهوام والحشرات كالذباب والبعوض والعنكبوت
 فقال الله تعالى مجهل لهم (وما يعقلها) أى حق تعقلها فينتفع بها (الا العالمون) أى الذين
 هموا للعلم وجعل طبعها لهم بحيث فى قلوبهم من أنواره وأشرفى صدورهم من أسرارهم فهم
 يضعون الاشياء مواضعها روى الحرث بن أبي اسامة عن جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم
 قال العالم الذى عقل عن الله وعمل بطاعته واجتنب خطئه قال البغوى والمثل كلام سائر
 يتضمن تشبيه الآخر بالاول يريد أمثال القرآن التى يشبه بها أحوال كذا هذه الامة
 بأحوال كفار الامم المتقدمة * ولما قدم تعالى أنه لا يمجزله سبحانه ولا ناصر لمن خذله استدل
 على ذلك بقوله تعالى (خلق الله) أى الذى لا بدانى فى عظمته (السموات والارض بالحق)
 أى الامر الذى يطابقه الواقع أو بسبب اثبات الحق وباطال الباطل أو بسبب انه محق غير
 فاصد به باطلا فان المقصود بالذات من خلقهما افاضة الجود والدلالة على ذاته وصفاته كما أشار

إليه بقوله تعالى (إن في ذلك لآية) أي دلالة ظاهرة على قدرته تعالى (للمؤمنين) واختص
المؤمنون بذلك لأنهم المستفعدون به * ثم خاطب تعالى رأس أهل الإيمان بقوله تعالى (اتل
ما أوحى إليك من الكتاب) أي القرآن الجامع لكل خير لتعلم أن نوحا ولوطا وغيرهما كانوا على
ما أنت عليه بلغوا الرسالة وبالفوا في إقامة الدلالة ولم يذوقوا قومهم من الضلالة وهذا تسمية
للنبي صلى الله عليه وسلم * ولما أرشد تعالى إلى مفتاح العلم دل على قانون العمل بقوله تعالى
(وأقم الصلاة) أي التي هي أحق العبادات ثم علل ذلك بقوله تعالى (إن الصلاة تنهي)
أي توجب النهي وتجدد له واطب على أقامته بجميع حدودها (عن الفحشاء) أي عن الخصال
التي بلغ قصها (والمنكر) وهو ما لا يعرف في الشرع (فإن قيل) كم من مصل يرتكب الفحشاء
(أجيب) بأن المراد الصلاة التي هي الصلاة عند الله تعالى المستحق بها الثواب بأن يدخل
فيها مائة مائة من النصوص متقبلا بقوله تعالى اغماض قبل الله من المتقين ويضليها خشعا بالقلب
والجوارح فتدروى عن حاتم كأن رجلى على الصراط والجنة عن عيني والنار عن شمالي ومالك
الموت من فوقي وأصلي بين الخوف والرجاء ثم يحوطها بعد أن يصلها ولا يحيطها فهي الصلاة
التي تنهى عن الفحشاء والمنكر وقال ابن مسعود وابن عباس إن الصلاة تنهى وترجع عن
معاصي الله عز وجل فمن لم تأمره صلاته بالمعروف ولم تنهه عن المنكر لم يزد بصلاته من الله تعالى
الابعدا وقال الحسن وقتادة من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر فصلاته وبال عليه وقيل
من كان مراعى للصلاة جرد ذلك إلى أن يفتنى عن السيئات يوما ما فقد روى أنه قيل لرسول
الله صلى الله عليه وسلم إن فلانا يصل بالنهار ويسرق بالليل فقال إن صلاته لتردعه وروى أن
فتى من الأنصار كان يصل مع الصلوات ولا يدع شيئا من الفواحش إلا ركبته فوصفه فقال إن
صلاته سنهته فلم يلبث أن تاب وقال ابن عوف معنى الآية إن الصلاة تنهى صاحبها عن الفحشاء
والمنكر مادام فيها وعلى كل حال فإن المراعى للصلاة لا بد أن يكون أبعد من الفحشاء والمنكر
من لا راعيها أو يضافكم من مصلين تنهاهم الصلاة عن الفحشاء والمنكر واللفظ لا يقتضي أن لا
يخرج واحد من المصلين عن قضيتها كما تقول إن زيدا ينهى عن المنكر فليس غرضك أنه ينهى
عن جميع المنكر وانما تريد أن هذه الخصلة موجودة فيه وحاصلة منه من غير اقتضاء للعموم
وقيل المراد بالصلاة القرآن كما قال تعالى ولا تجهر بصلواتك أي بقراءتك وأراد به من يقرأ القرآن
في الصلاة فالقرآن ينهى عن الفحشاء والمنكر روى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم إن
رجلا يقرأ القرآن الليل كله ويصبح سارقا قال سنهته قراءته ولما كان النهاى في الحقيقة اغما
هو ذكر الله أتبع ذلك بقوله تعالى (ولذ كر الله أكبر) أي لأن ذكر المستحق لكل صفات كمال
أكبر من كل شيء فذكر الله تعالى أفضل الطاعات قال صلى الله عليه وسلم ألا أبشركم بخير
أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها في درجاتكم وخير من إعطاء الذهب والفضة وأن
تلقو عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا وماذا يا رسول الله قال ذكر الله وسئل
صلى الله عليه وسلم أي العبادة أفضل عند الله درجة يوم القيامة قال إذا ذكرن الله كثيرا قالوا

يا رسول الله ومن الغازين في سبيل الله فقال لوضرب بسيفه الكفار والمشركين حتى ينكسر
 ويختضب دمالكان المذاكر الله كثيرا أفضل منه درجة وروى ان رسول الله صلى الله عليه
 وسلم مر على جبل في طريق مكة يتأهل له جدران فقال سيروا هذا جدان سبق المفردون قالوا
 وما المفردون يا رسول الله قال الذاكرون الله كثيرا والذكرات أو والصلاة أكبر من غيرها
 من الطاعات وسماها بذكر الله كما قال تعالى فاسعوا الى ذكر الله وانما قال ولذكر الله أكبر
 ليستقل بالتعليل كائنه قال والصلاة أكبر لانها ذكر الله وعن ابن عباس ولذكر الله
 تعالى اياكم رحمة أكبر من ذكركم اياه بطاعته وقال عطاء ولذكر الله أكبر من أن يتقى معه
 معصية (والله) أي المحيط علما وقدره (يعلم) أي في كل وقت (مانصعون) من الخير
 والشر فيجازيكم على ذلك * ولما بين تعالى طريقة ارشاد المشركين بين طريقة ارشاد أهل
 الكتاب بقوله تعالى (ولا تجادلوا أهل الكتاب) أي اليهود والنصارى ظانمينكم أن الجدل
 ينفع أو يزيد في اليقين أو يرد واحد عن ضلال مبين (الآياتي) أي بالمجادلة التي (هي)
 أحسن (كعارضة الحشونة باللين والغضب بالكظم والدعاء الى الله تعالى بآياته والتنبية على
 حجة كما قال تعالى ادفع بالتي هي أحسن (الآ الذين ظلموا منهم) بأن حاربوا وأبوا أن يقرؤا
 بالجزية فجادلوهم بالسيف إلى أن يسلموا ويعطوا الجزية وقبل الا الذين آذوا رسول الله صلى الله
 عليه وسلم وقبل الا الذين أثبتوا الولد والشريك وقالوا لا والله مغلوله وعن قتادة الآية منسوخة
 بقوله تعالى فانلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا بمجادلة أشد من السيف * ولما
 بين تعالى عن موجب الخلاف أمر بالاستعطف بقوله تعالى (وقولوا) أي لمن قبل الاقرار
 بالجزية اذا أخبركم بشئ مما في كتبهم (أما بالذي أنزل البنا) أي من هذا الكتاب المجز
 (وأزل اليكم) من كتبكم أي لانه في أصله حق وان كان قد نسخ منه نسخ وان حدثواكم بشئ
 منه وليس عندكم ما يصدقه ولا ما يكذبه فلا تصدقوهم ولا تكذبوهم لما روى أبو داود انه
 صلى الله عليه وسلم قال لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالله وكتبه ورسله فان
 قالوا باطلا لم تصدقوهم وان قالوا حقا لم تكذبوهم أي فان هذا ادعى الى الانصاف وأنتي للخلاف
 * ولما يكن هذا جامع للرفيقين أتبعه بما يحجمه بقوله تعالى (والها ما الهكم واحد) أي
 لا اله الا غيره وان ادعى بعضكم عزيزا والمسيح (ونحن له) خاصة (مسلمون) أي خاضعون
 متقادون أتم انقياد فيأمرنا به بعد الاصول من الفروع سواء كانت موافقة لفروعكم
 كالوجه بالصلاة الى بيت المقدس أو ناسخة كالوجه الى الكعبة ولا تتخذوا لاجبار والرهبان
 أربابا من دون الله لناخذ ما يشرعونه لنا مخالفا لكتابه وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم (وكذلك)
 أي ومثل ذلك الانزال الذي أنزلناه الى أنبيائهم من التوراة وغيرها (أنزلنا اليك الكتاب)
 أي القرآن مصدقا لساير الكتب الالهية وهو تحقيق لقوله تعالى (فالذين آتاهم الكتاب)
 أي التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) أي بالقرآن (ومن هؤلاء) أي أهل
 مكة أو ممن في عهد صلى الله عليه وسلم من أهل الكتابين (من يؤمن به) وهم مؤمنوا أهل

مكة وأهل الكتابين (وما يجحد) أى ينكر قال قتادة والجود انما يكون بعد المعرفة (بآياتنا) أى
 التى جاوزت أقصى غابات العظمة حتى انها استحققت الاضافة اليها (الا الكافرون) أى اليهود
 ظهر لهم أن القرآن حق والجاني به محق ووجدوا ذلك وهذا تنفير لهم عما هم عليه يعنى انكم
 آمنتم بكل شئ وامتنعتم عن المشركين بكل فضيلة الا هذه المسئلة الواحدة وبانكارها تلحقون بهم
 وتعطلون مزايائكم فان الجاحد بآية بصير كافرا (وما) أى وأنزلنا اليك الكتاب والحال انك ما
 (كنت تتلو) أى تقرأ أصلا (من قبله) أى هذا الكتاب الذى أنزلناه اليك وكذا استغراق
 الكتب بقوله تعالى (من كتاب) أصلا (ولا تحطه) أى تجدد ولا تزم خطه وصور الخط
 واكده بقوله (بيمينك) (فان قيل) ما فائدة قوله بيمينك (أجيب) بأنه ذكر اليمين التى
 هى أقوى الجارحتين وهى التى يزاول بها الخط زيادة تصوير لما نفي عنه من كونه كتابا لا ترى
 انك اذا قلت فى الاثبات رأيت الامر يخط هذا الكتاب بيمينه كان أشد لاثباتك انه تولى كتبه
 فكذلك النفي وفى ذلك اشارة الى انه لا تحدث الرية فى أمره لعاقل الا بالمواطبة القوية التى
 ينشأ عنها ملكة فكيف اذا لم يحصل أصل الفعل ولذلك قال تعالى (آذا) أى لو كنت ممن
 يخط ويقرأ (لارتاب) أى شك (المبطلون) أى اليهود فبك وقالوا الذى فى التوراة انه
 أتى لا يقرأ ولا يكتب أو لارتاب مشركو مكة وقالوا لعل تعلمه أو لعل تعلمه من كتب الاولين
 وكتبه يده (فان قيل) لم سماهم مبطلين ولولم يكن أميا وقالوا ليس بالذى تجده فى كتبنا لكانوا
 صادقين محققين ولكن أهل مكة أيضا على حق فى قوله لم لعل تعلمه أو كتبه يده فانه رجل كاتب
 قارئ (أجيب) بأنه سماهم مبطلين لانهم كفروا به وهو أى بعيد من الريب فكأنه قال
 هؤلاء المبطلون فى كفرهم بل لم يكن أميا لارتابوا أشد الريب فحينئذ ليس بقارئ ولا كاتب
 فلا وجه لارتابهم وأيضاً سائر الانبياء عليهم الصلاة والسلام لم يكونوا أميين ووجب الايمان
 بهم وما جاؤا به لكونهم مصدقين من جهة الحكم بالمعجزات فهب انه قارئ كاتب فإلهم
 لم يؤمنوا به من الوجه الذى آمنوا به موسى وعيسى على ان المنزل اليهم معجز وهذا المنزل
 معجز فاذا هم مبطلون حيث لم يؤمنوا وهو أى مبطلون حيث لم يؤمنوا وهو غير أى *
 ولما كان التقدير ولكنه لا ريب انهم أصلا ولا شبهة لقولهم انه باطل قال تعالى (بل هو)
 أى القرآن الذى جئت به وارتابوا فيه فكانوا مبطلين لذلك على كل تقدير (آيات) أى
 دلالات (بينات) أى واضحات جدا فى الدلالة على صدقك (فى صدور الذين أوتوا العلم)
 أى المؤمنين يحفظونه فلا يتبدرا حد على تحريف شئ منه لبيان الحق لديهم وفى ذلك اشارة
 الى ان خلفاء عن غيرهم وقال ابن عباس وقتادة بل هو يعنى محمد صلى الله عليه وسلم
 ذو آيات بينات فى صدور الذين أوتوا العلم من أهل الكتاب لانهم يجدونه نعمة ووصفه
 فى كتبهم (وما يجحد) وكان الاصل به ولكنه أشار الى عظمته بقوله تعالى (بآياتنا) أى
 ينكرها بعد المعرفة على ما لها من العظمة باضافتها اليها والبيان الذى لا يجهله أحد
 (الظالمون) أى المتوغلون فى الظلم المكثرون (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى

ههنا الا الظالمون ومن قبل قال الا الكافرون (أجيب) بأن ما من حرف ولا حركة في القرآن الا وفيه فائدة ثم ان العقول البشرية تدرك بعضها ولا تصل الى أكثرها وما أوتي البشر من العلم الا قليلا ولا يمكن الحكمة هنا أنهم قبل بيان المعجزة قيل لهم ان لكم الزايف لا تبطلوها بانكار محمد صلى الله عليه وسلم فتكونوا كافرين فلفظ الكافر هنا انك ابلغ فذمهم عن ذلك استنكافهم عن الكفر ثم بعد بيان المعجزة قال لهم ان بحمد هذه الآية لكم انكارا لرسال الرسل فلتتحقن في أول الامر بالمشركين حكما وتلتحقن عند بحمد هذه الآيات بالمشركين حقيقة فتكونوا ظالمين أى مشركين كما قال تعالى ان الشرك لظلم عظيم فهذه اللفظ ههنا أبلغ ولما كان التقدير بحمدوها بما لهم من الرسوخ في الظلم ولم يعدوها آيات فضلا عن كونها بينات عطف عليه قوله تعالى (وقالوا) موهمين مكر اظهار اللصقة بأدنى ما يدل على الصدق (ولآ) أى هلا (أنزل عليه) أى محمد صلى الله عليه وسلم على أى وجه كان من وجوه الانزال (آية) تكون بحيث تدل قطعاً على صدق الآتى بها (من ربه) أى الذى يدعى احسانه اليه كما أنزل على الانبياء قبله كثافة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى عليهم السلام ليستدل بها على صدق مقالته وصحة ما يدعيه من حاله وقرأ نافع وأبو عمرو وابن عامر وحفص آيات بالجمع لان بعده قل انما الآيات بالجمع اجماعا والباقيون آية بالافراد لان غاب ما جاء في القرآن كذلك * ولما كان هذا انكارا للشمس بعد مشرقها ومكابرة فيما تحدى به من المعجزات بعد حقوقها أشار اليه بقوله تعالى (قل) أى لهم انما اللعنات حتى كأنك ما أتيتهم بشئ (انما الآيات عند الله) أى الذى له الامر كما ينزل آياتها فلا يتدر على انزال شئ منها غيره فانما الاله هو لا سواء ولو شاء أن ينزل ما يقتضونه لفعل (وانما أنا نذير مبين) أى فليس من شأنى الا الانذار واباته بما أعطيه من الآيات وليس لى أن أقترح عليه الآيات فأقول أنزل على آية كذا دون آية كذا على أن المقصود من الآيات الدلالة على الصدق وهى كلها فى حكمة آية واحدة فى ذلك ولم يذكر البشارة لانه ليس من أسلوهم اوقوله تعالى (أولم يكفهم) جواب لقولهم لولا أنزل عليه آيات من ربه أى ان كانوا طائفين للحق غير متيقنين آية مغنية عن كل آية (انا أنزلنا) أى بما لنا من العظمة (عليك الكتاب) أى القرآن الجامع لسداد الدارين بحيث صار خلقا لك (يتل عليهم) أى تعبد بمتابعة قراءته عليهم شيأ بعد شئ فى كل مكان وفى كل زمان من كل مقال مصداقا لما فى الكتب القديمة من نعتك وغيره من الآيات الدالة على صدقك فأعظم به آية باقية لا تزول ولا تضعل اذ كل آية سواء من قضية ماضية وتكون فى مكان دون مكان فالقرآن أنتم من كل معجزة لوجوه الاول ان تلك المعجزات وجدت وما دامت فان قلب العصا عبانا واحياء الميت لم يق لنا منه أنزفوا أنكره واحدا لم يمكن اثباته معه دون الكتاب وأما القرآن فهو باق لو أنكره واحد فقال انت بآية من مثله الثانى أن قلب العصا عبانا كان فى آن واحد ولم يره من لم يكن فى ذلك المكان وأما القرآن فقد وصل الى المشرق والمغرب وسمعه كل أحد * (وههنا لطيفة) * وهى ان آيات نبينا صلى الله عليه وسلم كانت أشبه بالانتمى بمكان دون مكان لان من

جعلها انشاق القمر وهو يوم الارض لان الخسوف اذا وقع عم وذلك لان بقوته كانت عامة
لا تختص بقطر دون قطر وغاض بحر ساوة في قطر وسقط انوار كسرى في قطر وانهدمت
الكنيسة بالر وم في قطر آخر اعلاما بأنه يكون أمر اعاما الثالث ان غير هذه المعجزة يقول
الكافر المعاند هذا سحر وعمل يد والقرآن لا يمكن هذا القول فيه وقال أبو العباس المرسى خضع
بعض العقاب من سماع بعض اليهود يقرأ التوراة فعوتبوا اذ تخشعوا من غير القرآن وهم انما
تخشعوا من التوراة وهي كلام الله تعالى فاطنك بن أعرض عن كتاب الله وتخشع بالملهي والغناء
* ولما كان هذا القرآن أعظم من كل آية يتترحمون ما قال تعالى (آن في ذلك) أي انزال الكتاب
على هذا الوجه البعيد المثال البديع المثال (رحمة) أي نعمة عظيمة في كل لحظة وظهيرا
نلتب النفوس في كل لحظة (وذكرى) أي عظيمة مستمرة تذكركها * ولما عم بالقول خص
من حيث النفع فقال (لقوم يؤمنون) لانهم المستفيعون بذلك * ولما كان من المعلوم أنهم
يقولون نحن لانصدق أن هذا الكتاب من عند الله فضلا عن أن نكتفي به قال تعالى (قل) أي
جوابا لما قد يقولونه من نحو هذا (كفى بالله) أي الحائز لجميع العظمة وسائر الكمالات
(بني وبينكم شهيدا) أي قد بلغتكم ما أرسلت به اليكم ونصحتكم وأنذرتكم وأنهم قابلوني
بالجد والتكذيب وقد صدقني بالمعجزات وروى أن كعب بن الأشرف وغيره قالوا يا محمد من
يشهد لك أنك رسول الله فنزلت ثم وصف الشهيد وعلل كفايته بقوله (يعلم ما في السموات) أي
كلها (والارض) أي كذلك لا يخفى عليه شيء من ذلك فهو عليم بما تنسبونه اليه من القول
عليه وبما أنسبه أنا اليه من هذا القرآن الذي يشهد لي بعجزكم عنه فهو شاهدي والله
في الحقيقة هو الشاهد لي فيه بالثناء على والشهادة لي بالصدق لانه قد ثبت بالعجز عنه أنه كلامه
* ولما بين تعالى الطريقين في ارشاد الفريقين المشركين وأهل الكتاب عاد الى الكامل
الشامل لهما والانكار العام فقال (والذين آمنوا بالباطل) أي وهو ما يعبد من دون الله
(وكمروا بالله) أي الذي يجب الايمان به والشكر له لان له السكالكه وكل ما سواه هالك
ليس له من ذاته الالعدم (أولئك) أي البعداء البغضاء (هم الخاسرون) أي العريقون في
الخسارة فانهم خسروا أنفسهم أبد الأبد (فان قيل) قوله أولئك هم الخاسرون ينتفى
الحصر في من آمن بالباطل وكفر بالله فمن يأتي بأحد همدون الآخر لا يكون كذلك (أجيب)
بأنه يستحيل أن يكون الاثنى بأحدهما لا يكون آتيا بالآخر لان المؤمن بما سوى الله تعالى
مشرك لانه جعل غير الله مثله وغير الله عاجز ممكن باطل فيكون الله تعالى كذلك ومن كفر بالله
تعالى وأكفره فيكون قائلا بأن العالم واجب الوجود له فيكون قائلا بأن غير الله لا فيكون
اثباتا لغير الله وإيماناً به (فان قيل) اذا كان الايمان بما سواه كضرا به فيكون كل من آمن
بالباطل فقد كفر بالله فهل لهذا العطف فائدة غير التاكيد الذي في قول القائل قم ولا تقعد
واقرب مني ولا تبعد (أجيب) بأن فيه فائدة غيرها وهو أنه ذكر الثاني لبيان قبح الاول كقول
القائل أقول بالباطل وترك الحق لبيان أن القول بالباطل قبيح * ولما أنذرهم صلى الله عليه وسلم

وأوعد بالعذاب ان لم يؤمنوا أخبر الله تعالى عنهم بقوله تعالى (ويستجلبونك بالعذاب) نزلت في النضر بن الحرث حين قال فأمطر علينا حجارة من السماء ان كنت من الصادقين ويجهلون تأخيرهم عنهم شبهة لهم فيما يزعمون من التكذيب (ولو لأجل مسمى) قد ضرب لوقت عذابهم فلا تندم فيه ولا تأخر (لجسامهم العذاب) وقت استجبالهم لان القدرة آتمة والعلم محيط (ولما أتيتهم بغفلة) أى فجأة في الدنيا كوقعة بدر أو الآخرة عند نزول الموت بهم (وهم لا يشعرون) بل هم في غاية الغفلة عنه والاشتغال بما ينسبه ثم زاد في التعجب من جهلهم بقوله تعالى مبدلاً (يستجلبونك بالعذاب) أى يطلبون منك ابتغاءهم ناجر أو لو كان في غير وقته الا ليق به ولو علوا ما هم صاثرون اليه لئنموا أنهم لم يخطوا فضلا عن أن يستجلبوا ولا عملوا جامع جهدهم في الخلاص منه (وإن جهنم) التى هى من عذاب الآخرة (المحيطة بالكافرين) أى تحيط بهم يوم يأتيهم العذاب وأهى كالمحيطة بهم الآن لاحاطة الكافر والمعاصى التى تقربها بهم وأنى بالظاهر موضع المضمر تنبيه على ما استحقوا به عذابا وتعميم الكل من اتصف به ثم ذكر تعالى كيفية احاطة جهنم بقوله عز وجل (يوم يغشاهم العذاب) أى يلحقهم ويلصق بهم (من فوقهم ومن تحت أرجلهم) فعلم بذلك احاطته من جميع الجوانب (فان قيل) لم خص الجانبين ولم يذكر البين والشمال وخلف وقد ام (أجيب) بأن المقصود ذكر ما تميز به نار جهنم عن نار الدنيا ونار الدنيا تحيط بالجوانب الاربعة فان مر يدخلها تكون الشعلة قد امه وخلقه ويمينه ويساره وأما النار من فوق فلا تنزل وانما تصعد من أسفل في العادة وتحت الاقدام لاتبى الشعلة بل تنطفئ الشعلة التى تحت القدم ونار جهنم تنزل من فوق ولا تنطفئ بالادوس موضع القدم (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى من فوقهم ومن تحت أرجلهم ولم يقل من فوق رؤسهم ولا قال من فوقهم ومن تحتهم بل ذكر المضاف اليه عند ذكر تحت ولم يذكره عند ذكر فوق (أجيب) بأن نزول النار من فوق سواء كان من سمت الرأس أم من موضع آخر يجب لان طبع النار الصعود الى فوق فلهذا لم يخصه بالرأس وأما بقاء النار تحت القدم فهو يجب والافق جوانب القدم في الدنيا تكون الشعلة فذكر العجيب وهو ما تحت الارجل حيث لم ينطق بالادوس وأما فوق فعلى الاطلاق وقوله تعالى (ونقول) قرأ نافع والكوفيون بالياء أى الموكل بالعذاب من ملائكتهم بأمره والباقيون بالنون أى تأمر بالعذاب * ولما بين عذاب أجسامهم بين عذاب أرواحهم وهو أن يقال لهم على سبيل التسهيل والاهانة (ذوقوا ما كنتم تعملون) جعل ذلك عين ما كانوا يعملون مبالغة بطريق اسم المسبب على السبب فان عملهم كان سببا لعذابهم وهذا كثير في الاستعمال * ولما ذكر تعالى حال المشركين على حدة وحال أهل الكتاب على حدة وجعلهما في الانذار وجعلهما من أهل النار اشتد عنادهم وزاد فسادهم وسعوا في اذياء المؤمنين ومنعهم من العبادة قال تعالى (يا عبادى الذين آمنوا) فشرفهم بالاضافة اليه (ان أرضى واسعة) أى في الذات والرزق وكل ما تريدون من الرفق ان لم تتمكنوا بسبب هؤلاء المعادين الذين يقتلونكم في دينكم قال مقاتل والكلى نزلت في ضعفاء مسلمي مكة يقول الله تعالى

ان كنتم في ضيق بمكة من اظهار الایمان فاخرجوا منها فان ارض المدينة واسعة آمنة وقال
 مجاهد ان ارضي واسعة فهاجر واوجاهدوا فيها وقال سعيد بن جبیر اذا عمل في ارض بالمعاصي
 فاخرجوا منها فان ارضي واسعة وكذا يجب على كل من كان في بلد يعمل فيها بالمعاصي ولا
 يمكنه تغيير ذلك ان يهاجر الى حيث تنهي له العبادة ولكن صارت البلدان في زماننا كلها متساوية
 فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وقرأ بنحو الباء ابن عامر والباقون بتسكينها وقيل
 نزلت في قوم تختلفوا عن الهجرة بمكة وقالوا نخشى ان هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة فانزل
 الله تعالى هذه الآية ولم يعذرهم بترك الخروج وقال مطرف بن عبد الله ارضي واسعة بمعنى رزق
 لكم واسع فاخرجوا روى الثعلبي عن الحسن البصري مرسلان فربما يشبه من ارض الى
 ارض ولو كان شبرا استوجب الجنة وكان رفيق ابراهيم وشهد صلوات الله وسلامه عليهم
 * (تنبيه) * قوله تعالى يا عبادي لا يدخل فيه الكافر لوجوه الاول قوله تعالى ان عبادي ليس لك
 عليهم سلطان والكافر تحت سلطنة الشيطان فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي الثاني قوله تعالى
 يا عبادي الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله الثالث ان العباد ما يؤذون
 العبادة والكافر لا يعبد الله فلا يدخل في قوله تعالى يا عبادي وانما يختص بالمؤمنين الذين يعبدونه
 الرابع الاضافة بين الله تعالى والعبد بقول العبد الهی وبقول الله عبدی (فان قيل) اذا كان
 عباده لا يتناول الا المؤمنين فما الفائدة في قوله الذين آمنوا مع ان الوصف انما يميز كرامة
 الموصوف كما يقال يا أيها المكثرون المؤمنون يا أيها الرجال العقلاء يميز بين الكافر والجاهل
 (أجيب) بأن الوصف يذكر لا لتمييز بل لمجرد بيان ان فيه الوصف كما يقال الانبياء المكرمون
 والملائكة المطهرون مع ان كل نبي مكرم وكل ملك مطهر وانما يقال لبيان ان فيهم الاكرام
 والطهارة ومثله قولنا الله العظيم فهنا ذكر لبيان أنهم مؤمنون * ولما كانت الإقامة بمكة
 قبل الفتح مؤدية الى النشة قال تعالى (فاياي) أى خاصة بالهجرة الى ارض تأمنون فيها
 (فاعبدون) أى وحدون وان كان بالهجرة وكانت هجرة الامل والاوطان شديدة (فان قيل) قوله
 تعالى يا عبادي ينهم منه كونهم عابدين فما الفائدة في الامر بالعبادة (أجيب) بأن فيه فائدتين
 احدهما المداومة أي يامن عبدتوني في الماضي اعبدوني في المستقبل الثانية الاخلاص
 أي يامن تعبدني اخلص العمل لي ولا تعبد غيري (فان قيل) ما معنى التاء في فاعبدون (أجيب)
 بأن التاء جواب شرط محذوف لان المعنى ان ارضي واسعة فان لم تحصلوا العبادة في ارضي
 فأخلصوها في غيرها * ولما أمر الله تعالى عباده بالحرص على العبادة وصدق الاعتراف بها حتى
 يطلبوا لها أوفى البلاد وان بعدت وشق عليهم ترك الاوطان ومفارقة الاخوان خوفاً منهم
 بالموت لتوهم عليهم الهجرة بقوله تعالى (كل نفس ذائقة الموت) أى كل نفس مفارقة ما ألفته
 حتى يدناط بالمآل بمسئته وانسه فان أطاعت ربها أنجبت نفسها ولم تنقصها الطاعة من
 الاجل شيئاً والأو بقت نفسها ولم تردها المعصية في الاجل شيئاً فاذا قدر الانسان انه ميت
 سهلت عليه الهجرة فانه ان لم يشارك بعض مألوفه بها غارق كل مألوفه بالموت وقد ورد أكثر وا

من ذكرها دم اللذات أى الموت فانه ما ذكر في قليل أى من العمل الاكثره ولا ذكر في كثير أى من أمل الدنيا الاقله * ولما هون أمر الهجرة حذر من رضى في دينه بنقص شئ من الاشياء حشا على الاستعداد بغاية الجهد في التزود للمعاد بقوله تعالى (ثم الياترجعون) على أيسر وجه فبحازى كلاً منكم بما عمل وقرأ أبو بكر بالباء التحتية والباقون بالتاء الفوقية (والذين آمنوا وعملوا) أى تصديقاً لايمانهم (الصالحات لنبوئنهم) أى لننزلهم (من الجنة عرفاً) أى يوتنا عليه قال الباقي تحتها قاعات واسعة وقرأ جزة والكسائي بعد النون بناء مثلثة ساكنة وبعدها واو مكسورة وبعدها الواو او باء مفتوحة أى لشؤونهم أى لتقنينهم من الثواب وهو الائمة يقال نوى الرجل اذا أقام فيكون انتصاب عرفاً لاجرائه بحجراً لنزلهم أو ينزع الخافض اتساعاً أى في غرف أو تشبيه الطرف الموقت بالمهم كقوله لا تعدن لهم صراطك والباقون بعد النون بياء موحدة وبعدها واو مشددة وبعدها الواو همزة مفتوحة وعلى هذه القراءة فاتصباها على أنها مفعول ثان لأن بواي تعدى لاثنيين قال الله تعالى تبوء المؤمنون مقاماً للقتال ويتعدى باللام قال تعالى واذبوا بالابراهيم * ولما كانت العلالي لا تروق الا بالرياض قال تعالى (تجري من تحتها الانهار) ومن المعلوم انه لا يكون في موضع أنهار الا أن يكون فيه بساتين كبار وزروع ورياض وأزهار فيشرفون عليهم من تلك العلالي * ولما كانت بحالة لا تكرفها يوجب هجرة في لحظة ما كفى عنه بقوله تعالى (خالدين فيها) أى لا يغون عنها حولاً ثم عظم أمرها وشرف قدرها بقوله تعالى (نعم أجر العاملين) أى هذا الاجر وهذا في مقابلة قوله تعالى للكفار ذوقوا ما كنتم تعملون ثم وصفهم بما يرغب في الهجرة بقوله تعالى (الذين صبروا) أى أوجدوا هذه الحقيقة حتى استقرت عندهم فكانت سحبة لهم فأوقفوها على كل شاق من التكليف من هجرة وغيرها فان الانسان قل أن ينشك عن أمر شاق ينبغي الصبر عليه ثم رغب في الاستراحة بالتقويض اليه بقوله تعالى (وعلى ربهم) أى المحسن اليهم وحده لا على أهل ولا وطن (يتوكلون) أى يوجدون اتوكل ايجاداً مستقر التجدد كل مهم يعرض لهم * ولما أشار بالتوكل الى أنه الكافي في أمر الرزق في الوطن والغربة لا مال ولا أهل قال عاطفنا على ما تقديره فكان من متوكل عليه كفاداً يحوجه الى أحد سواء فليبادر من أنقذه من الكثر وهده الى الهجرة طلب الرضاء (وكائين من دابة) أى كثير من الدواب العاقلة وغيرها (لا تحمل) أى لا تطيق أن تحمل (رزقها) أى لا تدخر شيئاً لساعة أخرى لانها قد لا تدرك نفع ذلك وقد تدركه وتتوكل وعن الحسن لا تدخر انما تصبغ في رزقها الله تعالى وعن ابن عيينة ليس شئ يخبأ الا الانسان والخلة والقارة وعن بعضهم قال رأيت البلبل يدخر في حنسية ويقول للعقق مخبأى الا أنه ينساها ولا تجده ولا تطيق حمله لضعفها ثم كأنه قيل فن رزقها فتقبل (الله) أى المحيط علماً وقدره المتصف بكل كمال (يرزقها) على ضعفها وهى لا تدخر (واياكم) مع قوتكم وادخاركم واجتهادكم لافرق بين رزقه لها على

ضعفها وعدم ادخالها وترزبه لكم على قوتكم وانذاركم فانه هو المسبب وحده فان
 القر يقين ناره يجدون وتارة لا يجدون نصارا لادخار وعدمه غير معتد به ولا منظور اليه
 وقرأ ابن كثير بعد الكاف بالف وبعد الالف همزة مكسورة والباقيون بعد الكاف همزة
 مفتوحة وبعد هاء مشددة ووقف أبو عمر وعلى الماء ووقف الباقيون على النون وحزة
 في الوقف يسهل الهمزة على أصله * (تنبيه) * كائِنْ كلمة مركبة من كاف التشبيه وأى التى
 تستعمل استعمال من وماركبتا وجعل المركب بمعنى كم ثم لم تكتب الابل النون ليفصل بين
 المركب وغير المركب لان كائى تستعمل غير مركبة كما يقول القائل رأيت رجلا كائى
 رجل يكون وحينئذ لا يكون كائى مركبا فاذا كان كائى ههنا مركبا كتب بالنون للتمييز
 (وهو السميع) لا قوا لكم نخشى الفقر والضيعة (العليم) بما فى ضمائركم واختلف
 فى سبب نزول هذه الآية فعن ابن عمر أنه قال دخلت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حائطا
 من حوائط الانصار فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يلتقط الرطب بيده ويأكل فقال
 كل يا ابن عمر قلت لأشمتيه يارسول الله قال لكنى أشمتيه وهذه صبح رابعة لم أطعم طعاما
 ولم أجده فقلت يارسول الله ان الله المستعان فقال يا ابن عمر لو سألت ربى لاعطانى مثل ملك
 كمرى وقبصر أضعافا مضاعفة ولكنى أجوع يوما وأشبع يوما فكيف بلك يا ابن عمر اذا عمرت
 وبقيت فى حشالة من الناس يخبئون رزق سنة ويضعف اليقين فترت وكان من دابة
 وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم قال للمؤمنين الذين كانوا بمكة وآذاهم المشركون
 هاجروا الى المدينة فقالوا كيف تخرج الى المدينة وليس لنا مال فنطعمنا ويسقينا
 فنزلت وعن أنس أن النبى صلى الله عليه وسلم كان لا يدخر شيئا وقال صلى الله عليه وسلم
 لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما رزق الطير تغدو وخصا وتروح بطانا وقال
 صلى الله عليه وسلم أيها الناس ليس شئ يقر بكم الى الجنة ويأعدكم من النار الا وقد
 أمرتكم به وليس شئ يقر بكم من النار ويأعدكم من الجنة الا وقد نهى بكم عنه وان الروح
 الامين نثرت فى روعى أنه ليس من نفس عوت حتى تستوفى رزقها فاتقوا الله وأجملوا فى الطلب
 ولا يحملنكم استبطاء الرزق أن تطلبوه بمعاصى الله فانه لا يدرك ما عند الله الا بطاعته (ولئن)
 اللام لام قسم (سألتم) أى كفاركم وغيرهم (من خلق السموات والارض) وسواهما على
 هذا النظام العظيم (وسبحر الشمس والقمر) لاصلاح الاقوات ومعرفه الاوقات وغير ذلك
 من المنافع (ليقرآن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال لما تقررت فى نظرهم من ذلك وتلقوه
 من آياته هم موافقة للحق فى نفس الامر (فانى) أى فكيف ومن أى وجه (يؤفكون) أى
 يصرفون عن توحيده بعد اقرارهم بذلك (فان قيل) ذكر فى السموات والارض الخلق وفى
 الشمس والقمر التسخير (أجيب) بأن مجرد خلق السموات والارض آية ظاهرة بخلاف
 خلق الشمس والقمر فانهم ما لو كانا فى موضع واحد لا يتحرك كان حاصل الليل والنهار

ولا الصيف ولا الشتاء. فإذا الحكمة الظاهرة في تجريكهما وتسخيرهما * ولما كان قد يشكل
على ذلك التفاوت في الرزق عند من لم يتأمل حق التأمل فيقول ما بال الخلق متفاوتين في الرزق
قال تعالى (الله) أي بآلته من الاحاطة بصفات الكمال (يسيطر الرزق) بقدرته التامة امتحانا
(للمن يشاء من عباده) على حسب ما يعلم من بواطنهم (ويقدر) أي يضيق (له) بعد البسط
أولن يشاء ابتلاء فظهر من ذلك قدرته وحكمته وأنت ترى الملوك وغيرهم من الاقوياء بفاويزن
في الرزق بين عمالهم بحسب ما يعلمون من علمهم الناقص بأحوالهم فاظنك تلك الملوك العالم
علماء لا تدون من ساحته ظنون ولا شكوك كما قال تعالى (إن الله) أي الذي له صفات الكمال
(بكل شئ) أي من المرزوقين ومن الارزاق وكيف ينفذ أو يساق وغير ذلك (علمهم)
يعلم مقادير الحاجات والارزاق فهو على ذلك كله قدير يعلم ما يصلح العباد من ذلك وما يفسدهم
ويعطيهم بحسب ذلك إن شاءكم رام بعض الاقوياء اغناء فقير وافتقار غنى فكشف الحال عن
فساد ما راموا من الاتئال * ولما قال الله تعالى الله يسطر الرزق ذكر اعترافهم بذلك بقوله تعالى
(ولئن) اللام لام قسم (سألتم من نزل من السماء ماء) بعد ان كان مضبوطا في جهة العلو
(فأجيب به الارض) الغبراء وأشار بآيات الجوار إلى قرب الآيات من زمان الممات فقال
(من بعد موتها) فصارت خضراء ثم تبرعد أن لم يكن لها شئ من ذلك (ليقولن الله) معترفين
بأنه الموجد للممكات بأسرها أصوالها وفروعها ثم انهم يشركون به بعض مخدوعاته الذي
لا يقدر على شئ من ذلك فلما ثبت أنه الخالق بدأ وعادة كما يشاهد في كل زمان قال منها على
عظمة صفاته اللازم من اثباتها صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) بأفضل الخلق
متحجبا منهم في جودهم كيف يقرون بما يلزمهم التوحيد ثم لا يوجدون (الحمد لله) الذي
لا سمى له وليس غيره احاطة من الاشياء فلم يتمم الحجة بما أقروا به من احاطته وهم لا يشعرون
ذلك باعراضهم (بل أكثرهم لا يعقلون) فيناقضون حيث يقولون بأنه المبدئ لكل ما عده ثم انهم
يشركون به غيره مما هم معترفون بأنه خلقه فهم لا يعرفون معنى الحديث لم يعملوا به ومنهم
من آمن بعد ذلك فكان في الذروة من كمال العقل في التوحيد الذي يلزمه سائر الفروع
ومنهم من كان دون ذلك فكان نقي العقل عنه متبذرا بالكمال * ولما بين بهذه الآيات ان الدنيا
سبقة على الفناء والزوال والانعقاد والارتحال وضع ان السرور بها في غير موضعه فلذلك قال
مشيرا بعد سبب العقل عنهم الى أنهم هم فيها كالبهائم يتهارجون (وما هذه الحياة الدنيا) فحقرها
بالاشارة ولفظ الدناءة مع الاشارة الى هذا الاعتراف بهذا الاسم كافي في الازام بالاعتراف
بالاخرى (الالهو) وهو الاستمتاع بالذات الدنيا (ولعب) وهو العبث وسميت بهنما
لانها فانية وقيل للهو الاعراض عن الحق واللعب الاقبال على الباطل (فان قيل) قد قال
تعالى في الانعام وما الحياة الدنيا ولم يقل وما هذه الحياة وقال ههنا وما هذه الحياة فافانته
(أجيب) بأن المذكور من قبل ههنا أمر الدنيا فأجابها الارض من بعد موتها فقال

هذه والمذكور قبلها هناك الآخرة - ثم قال يا حسرتنا على ما فرطنا فيها وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم فلم تكن الدنيا في ذلك الوقت في خاطرهم فقال تعالى وما الحياة الدنيا (فان قيل) ما الحكمة في تقديمه هناك اللعب على الله وههنا الخراب اللعب عن الله (أجيب) بأنه لما كان المذكور من قبل هناك الآخرة وأظهرهم العسرة ففي ذلك الوعدية بالاستغفار في الدنيا بل نفس الاشتغال بها فأخذ الأبعد وههنا لما كان المذكور من قبل الدنيا وهي خداعة تدعو النفوس الى الاقبال عليها والاستغفار فيها اللهم المانع عنك من الاستغفار فيشتغل به امن غير استغفار فيها وأهاسم بعضهم فلا يشتغل بها أصلا وكان الاستغفار اقرب من عدمه فقدم الله (ولما كانوا ينكرون الحياة بعد الموت أخبر على سبيل التأكيد أنه لا حياة غيرها بقوله تعالى (وان الدار الآخرة لهي) أى خاصة (الحيوان) أى الحياة التامة الباقية) (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى هناك ولدار الآخرة خير وقال ههنا ودار الآخرة لهي الحيوان (أجيب) بأنه لما كان الحاصل هناك حال اظهار الحسرة ما كان المكاف يحتاج الى وازع قوى فقال الآخرة خير ولما كان الحال هنا حال الاشتغال بالدنيا احتاج الى وازع قوى فقال لا حياة الا حياة الآخرة والحيوان مصدر حي وقياسه حييان فقلت الباء الثانية واو او به سمي ما فيه حياة حيوانا هو ابلغ من الحياة لما في بناء فعلا من الحركة والاضطراب اللازم للحياة ولذلك اختبر عليها ههنا ولما كانوا قد غلطوا في الدارين كليهما فتنزلوا كل واحدة منهما غير منزلتهما فعدوا الدنيا وجودا دائما على هذه الحالة وعدوا الآخرة عدما لا وجود لها بوجهه قال تعالى (لو كانوا يعلمون) أى لم يؤثروا عليها الدنيا التي أصلها عدم الحياة والحياة فيها عارضة سريعة الزوال فان قيل ما الحكمة في قوله تعالى في الانعام أن فلا يعقلون وقال ههنا لو كانوا يعلمون (أجيب) بأن المثبت هناك كون الآخرة خيرا ولأنه ظاهر لا يتوقف الاعلى العقل والمثبت هنا أن لا حياة الا حياة الآخرة وهذا دقيق لا يعرف إلا بعد لم نافع (فاذا) أى فتسبب عن عدم عقولهم المستلزم لعدم علمهم انهم اذا (ركبوا) البحر (في الفلك) أى السفن (دعوا الله) أى الملك الاعلى (مخلصين) بالتوحيد (له الدين) معرضين عن الشركاء بالقلب واللسان حيث لا يدركون الا الله ولا يدعون سواه لعلمهم بأنه لا يكشف الشدائد الا هو (فلما نجاهم) أى الله سبحانه وتعالى موصلاتهم (الى البر) اذاهم (أى حين الوصول الى البر) (يشركون) به كما كانوا في هذا الخبر عنهم بأنهم عند الشدائد مقررون أن القادر على كشفها هو الله عز وجل وحده فاذا زالت عادوا الى كفرهم قال عكرمة كان أهل الجاهلية اذا ركبوا في البحر حملوا معهم الاصنام فاذا اشتد عليهم الريح اتقوا في البحر وقالوا يا رب بارب وقال الرازي في اللوامع وهذا دليل على أن معرفة الرب في فطرة كل انسان وانهم ان غفلوا في السر فلا شك أنهم يولدون اليه في حال الضراء انتهى فعلم أن الاشتغال بالدنيا هو الصادق عن كل خير وان الانقطاع عنها معين للفطرة الاولى المستقيمة ولهذا تجد الفقراء اقرب الى كمال خبر وفي اللام في قوله تعالى (ليكفر زجرا يتناهم) وجهان أظهرهما أن اللام فيه لام كي اي بشركون ليكونوا كافرين

بشرهم نعمة النجاة فيكون ذلك فصل من لاعقل له أصلا وهم ينحاشون عن مثل ذلك والشأن
كونها للامر (وليتقوا) باجتماعهم على عبادة الاصنام وتوآدهم عليها وقرأ ورش وأبو عمرو
وابن عامر وعاصم بالكسر وهي محملة للوجهين المتقدمين والباقيون بالسكون وهي ظاهرة
في الامر فان كانت اللام الاولى للامر فقد عطف امر اعلى مثله فان قيل كونها للامر مشكل
اذ كيف يأمر الله تعالى بالكفر وهو متوعد عليه (أجيب) بأن ذلك على سبيل التهديد كقوله
تعالى اعملوا ما شئتم وان كانت للعلة فقد عطف كلاما على كلام فيكون المعنى لا فائدة لهم في
الاشراك الا الكفر والتعق بما يستمتعون به في العاجلة من غير نصيب في الآخرة (فسوف
يعلمون) يومئذ ما يحمل بهم من العقاب * ولما كان الانسان يكون في البحر على أخوف ما يكون
وفي بيته يكون على آمن ما يكون لاسيما اذا كان بيته في بلد حصين فلماذا كر الله المشركين عند
الخوف الشديد ورأوا أنفسهم في تلك الحالة رابعة الى الله ذكرهم حالهم عند الامر اعظم
بقوله تعالى (أو لم يروا) أي أهل مكة يعيون بصائرهم (أنا جعلنا) بضمنا لهم (حرما) وقال
(آمنا) لانه لا خوف على من دخله فلما آمن كل من دخله كل كانه هو نفسه الا آمن وهو حرم
مكة فانما امنتمهم وبلدهم وفيها سكاهم ومولدهم وهي حصينة بحصن الله وآمنة موحية
للتوحيد والاخلاص لانكم في أخوف ما أنتم دعوتكم الله وفي آمن ما حصلتكم عليه كفرتم
بالله وهذا متناقض لان دعاءكم في ذلك الوقت على سبيل الاخلاص فما كان الا قطعكم بأن
النعمة من الله لا غير وهذه النعمة العظيمة التي حصلتكم وقد اعترفتم بأنكم لا تكون الا من الله
فكيف تكفرون به او الا صنم التي قلتم في حال الخوف انه الا آمن لها كيف آمنتم بها في حال
الامن (و) الحال انه (يتخطف الناس من حولهم) أي من حول من فيه من كل جهة قتلا
وسبيامع قلة من عكة وكثرة من حولهم فالذي خرق العادة في فعل ذلك حتى صار الى هذا السن
قادر على أن يعكس الحال فيجعل من بالحرم متخطفا ومن حوله آسنا ويجعل الكل في الخوف
على منهاج واحد (أما بالاطل) من الشياطين والاديان وغيرهما (يومنون) والحال انه
لا يشك عاقل في بطلانه (وبنعمة الله) التي أحدثها لهم من الانجاء وارسال محمد صلى الله عليه
وسلم (يكفرون) حيث جعلوا موضع شكرهم له على النجاة وغيرها ثم كرههم بعبادة غيره (ومن
أظلم) أي أشد ضعفا للاشياء في غير مواضعها (من افترى) أي تعمد (على الله كذبا) أي
أي كذب كان من الشرك وغيره كما كانوا يقولون اذ فعلوا فاحشة وجدنا عليا أبانا والله أمرنا
بها (أو كذب بالحق) أي النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن المجزئ المئين على لسان هذا الرسول
الأمين الذي ما أخبر خبرا الا طابقه الواقع (لما) أي حين (جاءه) من غير امهال الى أن ينظر
ويتأمل بل سارع الى التكذيب أول ما سمعه وقوله تعالى (أليس في جهنم مثوى للكافرين)
استفهام تقرير لثوابهم كقوله

ألستم خير من ركب المطايا * وأندى العالمين بطون راح

قال بعضهم ولو كان استغفها ما أعطاها الخليفة ما نه من الابل وحقيقته أن الهزمة هزمة

الانكار دخلت على النبي فرجع الى معنى التقرير والمعنى اما هذا الكافر المكذب مشوى في جهنم حتى اجترأ مثل هذه الجراثة (والذين جاهدوا) أى وقهوا الجهاد بقاية جهدهم على مادل عليه بالمقاولة (فينا) أى بسبب حقنا وراغبنا خاصة بلزوم الطاعات من جهاد الكفار وغيرهم من كل ما ينبغي الجهد فيه بالقول والفعل في الشدة والرخاء ومخالفة الهوى عند هجوم الفتن وشداها المحن مستحضرين لعظمتنا (لنهديهم) مما نجعل لهم من النور الذي لا يضل من صحبه هداية تليق بعظمتنا (سبلنا) أى طريق السير اليها وهى الطريق المستقيمة والطريق المستقيمة هى التى توصل الى رضا الله عز وجل قال سبحانه ان بن عيينة اذا اختلف الناس فانظروا ما عليه أهل النغور فان الله تعالى قال والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا وقال الحسن الجهاد مخالفة الهوى وقال الفضيل بن عياض والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به وقال سهل بن عبد الله والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا وقال أبو سليمان الداراني والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم الى ما لم يعلموا وعن بعضهم من عمل بما يعلم وفق لما لم يعلم وقيل ان الذى نرى من جهلنا بعالم نعلم انما همون نقصنا فيما نعلم وقيل المجاهدة هى الصبر على الطاعة وقرأ أبو عمر وبسكون الباء الموحدة والباقيون بضمها (وان الله) أى بعظمته وجلاله وكبرائه (مع المحسنين) أى المؤمنين بالنصرة والمعونة في دنياهم والمغفرة والثواب في عقباهم ومارواه البيضاوى تباللزم خسر من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة العنكبوت كان له من الاجر عشر حسنات بعدد المؤمنين والمنافقين فهو حديث موضوع ورواه ابن عادل عن أبي امامة عن أبي بن كعب

﴿سورة الروم مكية﴾

وهي ستون آية ونعمانمائة وتسع عشرة كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وأربعة وثلاثون حرفا (بسم الله) الذى يملك الامر كله (الرحمن) الذى رحم الخلق كلهم ينصب الدلائل (الرحيم) الذى لطف بأوليائه وقوله تعالى (الم) تقدم الكلام على ذلك في قول سورة البقرة وقال البقاعى لما ختم سبحانه وتعالى التى قبلها بأنه مع المحسنين قال أم مشيرا بألف القيام والعلو ولا م الوصول وميم التمام الى أن الله الملك الاعلى القيوم أرسل جبريل عليه الصلاة والسلام الذى هو وصلة بينه وبين أنبيائه عليهم السلام الى أشرف خلقه محمد صلى الله عليه وسلم المبعوث لاتمام مكارم الاخلاق يوحى اليه وحيا معلمي بالشاهد والغائب فيأتى الامر على ما أخبر به دليلا على صحة رسالته وكمال علم مرسله وشمول قدرته ووجوب وحدانيته (غلبت الروم) وهم أهل كتاب غلبتهم فارس وايسوا أهل كتاب بل يعبدون الاوثان (في أدنى الارض) أى أقرب أرض الروم الى فارس بالجزيرة التى فيها الجبشان والبادى بالغزو والفرس (وهم) اى الروم (من بعد غلبهم) أضيف المصدر الى المفعول أى غلبه فارس اياهم (سيفلبون) فارس (في بضع سنين) وهو ما بين الثلاث الى التسع والعشر فالتقى الجبشان في السنة السابعة

من الالتقاء الاول وغلبت الروم فارس وسبب نزول هذه الآية على ما ذكره المفسرون انه كان بين فارس والروم قتال وكان المشركون يودون أن تغلب فارس لان أهل فارس كانوا مجوساً أميين والمسلمون يودون غلبة الروم على فارس لكونهم أهل كتاب فبعث كسرى جيشاً الى الروم واستعمل عليه رجلاً يقال له شهر ياروبعث قبصر حيثما واستعمل عليه رجلاً يدعى بجفلس فالتقى مع شهر يارباذرمات وبصرى وهى أدنى الشام الى أرض العرب فغلبت فارس الروم وبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وهم بمكة فشق ذلك عليهم وكان النبي صلى الله عليه وسلم يكره أن تظهر الاميون من المجوس على أهل الكتاب من الروم وفرح كفار مكة وقالوا للمسلمين انكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وقد ظهر اخواننا من أهل فارس على اخوانكم من أهل الروم ولنظهرن عليكم هذه الآية فخرج أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه الى الكوفة فقال فرحتم بظهور اخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخيراً بذلك نينا صلى الله عليه وسلم فقال لأبي بن خلف الجمحي كذبت يا أبا فضيل فقال أبو بكر أنت أكذب بأعداء الله فقال أجعل بيننا أجلاً فأحبك عليه والمناسبة المراهنة فناحبه على عشر قلائص من كل واحد منهما فان ظهرت الروم على فارس غرمت وان ظهرت فارس غرمت وجعل الاجل ثلاث سنين فجاء أبو بكر الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك فقال ما هكذا ذكرت انما البضع مابين الثلاث الى التسع فزايده في الخطر وماده في الاجل فاجعلها مائة فلوس الى تسع سنين وقيل الى سبع سنين قال قد فعلت فلما خشي أبي بن خلف أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه فلزمه وقال انى أخاف أن يخرج من مكة فأقم لي كفيلاً فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر فلما أراد أبي بن خلف أن يخرج الى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال والله لأدعك حتى تعطيني كفيلاً فأعطاه كفيلاً ثم خرج الى أحد ثم رجع أبي بن خلف فأتى بمكة من جراحته التي جرحه رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك عند رأس سبع سنين من مناجبتهم وقبل كان يوم بدر فأخذ أبو بكر الخطر من ذرية أبي وجاء به الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال صدق به وهذه الآية من الآيات البينة الشاهدة على صحة النبوة وان القرآن من عند الله لانه انبأ عن علم الغيب الذى لا يعلمه الا الله تعالى (فان قيل) كيف صحت المناجبة وانما هي قمار (أجيب) بأن قتادة رجه الله تعالى قال كان ذلك قبل تحريم القمار قال الزمخشري ومذهب أبي حنيفة ومحمد أن العقود الفاسدة من عقود الربا وغيرها جائزة في دار الحرب بين المسلمين والكفار وقد احتجوا على صحة ذلك بما عقده أبو بكر رضى الله عنه بينه وبين أبي بن خلف ولما كان تغلب ملك على ملك من الامور الهائلة وكان الاخبار به قبل كونه أهول ذكر له ذلك بقوله تعالى (قله) أى وحده (الامر من قبل) أى قبل جولة فارس على الروم ثم دولة الروم على فارس (ومن بعد) أى بعد دولة الروم عليهم ودولتهم على الروم • ولما أخبر تعالى به هذه المجزة أخبر بهجرة

أخرى بقوله تعالى (وبومئذ) أي تغلب الروم على فارس (بفرح المؤمنون) أي العرب قون
 في هذا الوصف من اتباع محمد صلى الله عليه وسلم (بنصر الله) أي الذي لا راد لأمره الروم
 على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزل جبريل عليه السلام بذلك فيه
 مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه قال السدي فرح النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنون
 بظهورهم على المشركين يوم بدر وظهور أهل الكتاب على أهل الشرك وعن أبي سعيد الخدري
 وافق ذلك يوم بدر وفي هذا اليوم نصر المؤمنون (بنصر من يشاء) من ضعيف وقوى لانه
 لا مانع له ولا يسهل عما يفعل فالغلبة لا تدل على الحسب بل الله قد يرزق ثواب المؤمن فينتابه
 ويسلط عليه الاعادى وقد يختار تعجيل العذاب الادنى دون العذاب الاكبر قبل يوم المعاد
 (وهو العزيز) فلا يعز من عادى ولا يذل من والى وقرأ قالون وابو عمرو والكسائي بسكون الهاء
 والباقيون بالضم ولما كان السياق لبشارة المؤمنين قال (لرحيم) فيخصهم بالاعمال الزكية
 والاخلاق المرضية (وعدا الله) أي الذي له جميع صفات الكمال مصدره وكذا ناصبه مضمر
 أي وعدهم الله ذلك وعدا بظهور الروم على فارس (لا يخلف الله) أي الذي له الامر كله (وعده)
 به وهذا مقتر لمعنى هذا المصدر ويجوز أن يكون قوله تعالى لا يخلف الله وعده حال من المصدر
 فيكون كالمصدر الموصوف فهو مميز للنوع كانه قبل وعد الله وعدا غير مخلف (ولكن أكثر
 الناس) الجهلهم وعدم تفكيرهم (لا يعلمون) ذلك وقوله تعالى (يعلمون) بدل من قوله تعالى
 لا يعلمون وفي هذا الابدال من التكنية انه أبله منه وجعله بحيث يقوم مقامه ويستمدد
 ليعلم أنه لا فرق بين عدم العلم الذي هو الجهل وبين وجود العلم الذي لا يجاوز الدنيا (ظاهرا من
 الحياة الدنيا) يفيد أن للدنيا ظاهرا وباطنا فظاهرهما باعرفه الجهال من أمر معايشهم كيف
 يكسبون وينفرون ومتى يغرسون ويزرعون ويحصدون وكيف يبنون ويعرشون قال الحسن
 ان أحدهم لينقر الدرهم بطرف ظفره فذكر وزنه وهو لا يحيطي وهو لا يحسن بصلى وأمثال
 هذا الهم كثير وهو ان كان عند أهل الدنيا عظماء فهو عند الله حقير فلذلك حقره لانهم
 ما زادوا فيه على ان ساوا البهائم في ادراكها ما تنفعها فتستجلبه بغير ريب من الحيل وما
 يضرها فتدفعه بأنواع من الخداع وأما علم باطنها وهو أنها مجاز الى الآخرة فيزود منها بالطاعة
 فهو معدود وفي تنكير الظاهر إشارة الى أنهم لا يعلمون الا ظاهرا واحدا من جملة ظواهرها
 (وهم) أي هؤلاء الموصوفون خاصة (عن الآخرة) أي التي هي المقصودة بالذات وما خلقت
 الدنيا الا للتوصل بها اليها يظهر الحكم بالقسط وجميع صفات العز والكبر والجلال والاكرام
 (هم غافلون) أي في غاية الاستغراق والاضراب عنها بحيث لا تنظر في خواطرها * (تنبيه) *
 هم الثانية يجوز أن تكون مبتدأ وغافلون خبره والجملة خبرهم الاولى وان تكون
 تنكير الاولى وغافلون خبر الاولى وأية كانت فذكرها مناد على أنهم مع معدن الغفلة عن
 الآخرة ومقرها وهم غافلون عنها (أو لم يتفكروا) أي يمتدوا في اعمال
 التسكرو وقوله تعالى (في أنفسهم) يحتمل أن يكون ظرفا كانه قبل أولم يجدوا التسكرو في أنفسهم

أى فى قلوبهم الفارغة من التفكير والتفكير لا يكون الا فى القلوب ولكنه زيادة تصوير لحال
 المتفكرين كقولك اعتقده فى قلبك وأضمه فى نفسك وأن يكون صلة أى ولم يتفكروا فى
 أحوالها خصوصا فيعلموا ان من كان منهم قادرا كمالا لا يخلف وعده وهوانا ناقص فكيف
 بالاله الحق ويعلموا أن الذى سارى بينهم فى الابدان من العدم وطورهم فى أطوار الصور وفاتوا
 بينهم فى القوى والقدر وبين أحوالهم فى الطول والقصر وسلط بعضهم على بعض بأنواع
 الضرر ومات أكثرهم مظلوما قبل القصاص والناظر لابتدى حكمته البالغة من جمعه العدل
 بينهم فى جزاء من وفى أو عذر أو شكر أو كفر ففى ذلك دلالة على وحدانية الله تعالى وعلى
 الحشر ثم ذكر تعالى نتيجة ذلك وعلاه بقوله فى أسلوب التأكيده لاجل انكارهم وعلى التقدير
 الاول يكون المتفكر فيه (ما خالق الله) أى بهزج لاله وعلاه فى كماله (السموات والارض)
 على ما هما عليه من النظام المحكم والقانون المنصف فالبقاعى واقردا لارض لعدم دليل
 حسى أو عقلى يدلهم على زهدها بخلاف السماء اه وقدير زهدها بقوله تعالى خلق سبع سموات
 ومن الارض مثلهن (وما بينهما) من المعانى التى بها كمال منافعهما (الآ) خلقتا متلبسا
 (بالحق) أى الامر الثابت الذى يطابقه الواقع فاذا ذكر البعث الذى هو مبدأ الآخرة التى
 هذا السليم اوجد الواقع فى تصوير النطف وتنشيع الروح وتمييز العالَم منها للتصوير من الفساد
 بطابق ذلك واذا تدبر النبات بعد ان كان هشما قد نزل عليه الماء فزها واكثر وروا بوجده مطابقا
 لامر البعث واذا ذكر القدرة فرأى اختلاف الليل والنهار وسير النكوا كب الصغار والكبار
 وامطار الامطار واجراء الانهار ونحو ذلك من الاسرار ما يطابق الكل ما يطابق البال ولما
 كان عندهم ان هذا الوجود حياة وموت لا الى نفاذ قال تعالى (واجل) لابدان ينتهى اليه
 (مسمى) أى فى العلم من الازل لذلك يفتى عند انتهائه وبعده بالبعث ولما كانوا يشكرون أمهم
 على كفر كد قوله تعالى (وان كثيرا من الناس) مع ذلك على وضوحه (بناقم ربهم) أى الذى
 ملاهم احسانا يرجوعهم فى الآخرة الى العرض عليه لتواب والعقاب (للكافرون) أى
 لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (فان قيل) ما الفائدة فى قوله تعالى ههنا وان كثيرا من الناس وقال
 من قبل ولاكن أكثر الناس (أجيب) بأن فائدته انه من قبل لم يذ كر دليل على الاصلين وههنا
 قد ذكر الدلائل الراسخة والبراهين اللامحة ولاشك فى أن الايمان بعد الدليل أكثر من
 الايمان قبل الدليل فبعد الدليل لابدان يؤمن من ذلك جمع فلا يبقى الاكثر كما هو فقال بعد
 اقامة الدليل وان كثيرا وقال قبله ولاكن أكثر الناس لانه بعد الدليل لا يمكن الذهول عنه وهو
 السموات والارض لأن من البعيد أن يذهل الانسان عن السماء التى فوقه والارض التى تحته
 فلهذا ذكر ما يقع الذهول عنه وهو أمثالهم وحكاية أشكالهم فقال (أوليسيروا فى الارض)
 أى سيروا اعتبار وقوله تعالى (فتنظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الامم وهى اهلاكهم
 بتدبيرهم رسلكم تقرير ليسيرهم فى أنظار الارض وتظهرهم الى آثار المدمرين كما هو ونمود
 (كانا أشد منهم) أى العرب (قوة) أى فى أبدانهم وعقولهم (وأما و الارض) أى

حرنوها وتلبوها للزرع والغرس والمعادن والمياه وغير ذلك (وعروها) أى أولئك السالفون
 (أكثر مما عروها) أى هؤلاء الذين أرسلت إليهم بل ليس لهم من إثارة الأرض وعمارتها
 كبير أمر فان بلاد العرب انما هي في جبال سود وفيها غبر فهاو الاتمكم بهم وبيان لضعف
 حالهم في دنياهم التي لا خفر لهم بغيرها (وجاءتهم وسلهم بالبنات) أى بالجميع الظاهرات مثل
 ما أناكم به رسولنا من وعدنا الصادقة وأمورنا الحارقة كأمر الاسراء وما أظهر فيه من
 الغرائب كالإخبار بأن العير تقدم في يوم كذا يقدمها اجل صفته كذا وغرائره كذا فظهر
 كذلك وما أنتم به كالم يؤمن من كان أشد منكم قوة (فما) أى نسب أنه ما (كان الله) أى
 على ماله من أوصاف الكمال مریدا (ليظلمهم) بأن يفعل معهم فعل من تعدونه أنتم ظالمابان
 بملككم في الدنيا ثم يقتص منهم في القيامة قبل إقامة الحجية عليهم بإرسال الرسل بالبنات
 (ولكن كانوا) بغاية جهدهم (أنفسهم) أى خاصة (يظلمون) أى يجددون الظلم لها بما يقع
 الضمر موقع جلب النفع (ثم كان عاقبة) أى آخر أمر (الذين أسأوا) وقوله تعالى (السوءى)
 تأنيث الأسوأ وهو الأقبح كما أن الحسنى تأنيث الاحسن والمعنى أنهم عوقبوا في الدنيا بالدمار
 ثم كان عاقبتهم السوءى إلا أنه وضع المظهر ووضع المضمر أى العقوبة التي هي أسوأ العقوبات
 في الآخرة وهي جهنم التي أعدت للكافرين وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمر وعاقبة بالرفع على أنها
 اسم كان والسوءى خبرها والباقون بالنصب على أنها خبر كان وقيل السوءى اسم لجهنم كما أن
 الحسنى اسم للجنة وساءتهم (إن) أى بان (كذبوا بآيات الله) أى القرآن وقيل تفسير السوءى
 ما بعده وهو قوله تعالى أن كذبوا أى ثم كان عاقبة المبشرين بالكذب حملتهم تلك السيئات على
 أن كذبوا بآيات الله (وكأنوا بها) مع كونها أبعده شئ عن الهز (يستمزون) أى يسكرون على
 ذلك بتجديده في كل حين * ولما كان حاصل ما مضى أنه تعالى قادر على الاعادة كما قدر على الابتداء
 صرح بذلك في قوله تعالى (الله) أى المحيط علما وقدره (يبدأ الخلق) أى بدأ منته ما رأيت
 وهو يجدد في كل وقت ما يريد من ذلك كما تشاهدون (ثم يعيده) أى خلقهم بعد موتهم أحياء
 ولم يقل يعيدهم لرده إلى الخلق (ثم إليه يرجعون) للجزاء فيجزئهم بأعمالهم وقرأ أبو عمرو
 وشعبة بالماء على الغيبة على التسق الماضي والباقون بالماء على الخطاب أى إليه ترجعون
 معنى في أموركم كما هي الدنيا وإن كنتم لقصورا تنتظرون تنسبون لها الأسباب وحسب بعد قيام
 الساعة وهي أبلغ من القراءة الأولى لأنها أنص على المقصود * ولما ذكر الرجوع أتبعه ببعض
 أحواله بقوله تعالى (ويوم تقوم الساعة) مهمت بذلك إشارة إلى عظيم القدرة عليهم مع كثرة
 الخلق على ما هم فيه من العظما والكبراء والزساء (يلبس المجرمون) أى يسكت المشركون
 لا تفتطاع جحمت فالأبلاس أن يبق بأئسسا كما متعبر يقال ناظرته فابلس ومنه الناقة الملباس
 أى التي لا ترغو وقال مجاهد من تنصون وقال قتادة المعنى يأس المشركون من كل خير * ولما
 كان الساكت رجما غناه عن الكلام غيره نبي ذلك بقوله تعالى محقة قاله بجمعه ما مضى (ولم يكن)
 ومعناه لا يكون (لهم من شركائهم) أى عن أفركوهم بالله وهم الاصنام (شفعوا) ينقدونهم

مما هم فيه ليتبين لهم غلطهم وجهلهم المفطر في قولهم هؤلاء شفعاؤنا عند الله * ولما ذكر
تعالى حال الشفعاة عنهم ذكر حالهم مع الشفعاة بقوله تعالى (وكأنوا بشركائهم) أى خاصة
(كافرين) أى متبرئين منهم بأنهم ليسوا بألهة وقيل كانوا فى الدنيا كافرين بيسمهم وكتب شفعاة
فى المعقب بواو قبل الالف كما كتب علماء بنى اسرائيل وكذلك كتب السواى بألف قبل الياء
ابن تالله - مزه على صورة الحرف الذى منه حركتها (ويوم تقوم الساعة) أى وبالله من يوم
وزاد فى تهويله بقوله تعالى (يوم ننفخ فى الصور) أى المؤمنون الذين يفرحون بنصر الله والكافرون
فرقة لا اجتماع بعدها هؤلاء فى عليين وهؤلاء فى أسفل سافلين كما قال عز من قائل (فأما الذين
آمنوا) أى أقروا بالايمان بأنفسهم (وعملوا) تصديقا لآقرارهم (الصلوات فهم) أى خاصة
(فى روضة) وهى أرض عظيمة جدا منسبطة واسعة ذات ما غرق ونبات موجب بهج هذا
أصلها فى اللغة قال الطبرى ولا نجد أحسن منظرا ولا أطيب نشرا من الرياض أه والتسكير
لابهام أمرها وتفخيجه والروضة عند العرب كل أرض ذات نبات وماء ومن أمثالهم أحسن
من بيضة فى روضة يريدون بيضة النعامة (يبحرون) قال أبو بكر بن عياش التيجان على
رؤسهم وقال أبو عبيدة يسرون أى على سبيل التجدد كل وقت سرورا تنشق له الوجوه وتبسم
الاقواء وتزهر العيون فيظهر حسننها وبهجتها تظهر النعمة بظهور آثارها على أهل
الوجوه وأيسرها وقال ابن عباس بكرمون وقال قتادة ينعمون وقال الاوزاعى عن يحيى بن
كثير يبحرون هو السماع فى الجنة وقال الاوزاعى اذا أخذ فى السماع لم يبق فى الجنة شجرة
الاوردت وقال ليس أحد من خلق الله أحسن صوتا من اسرافيل فاذا أخذ فى السماع قطع
على أهل سبع سموات صلاتهم وتسيحهم وعن النبي صلى الله عليه وسلم انه ذكر الجنة وما فيها
من النعيم وفى آخر القوم اعرابى قال يا رسول الله هل فى الجنة من سماع قال نعم يا اعرابى
ان فى الجنة نهر احاطاه الابكار من كل يضاة خوصاينة تغنين بأصوات لم تسمع الخلائق بمثلها
قط فذلك أفضل نعيم الجنة قال الدارمى فسألت أبا الدرداء هم تغنين قال بالتسيح وروى أن
فى الجنة لا شجار عليها اجراس من فضة فاذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله رجلا من تحت
العرش فتقع فى تلك الاجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما توارطوا (وأما الذين كفروا)
أى غطوا ما كشفته أنوار العقول (وكذبوا) عنادا (بآياتنا) التى لا أصدق منها ولا أضوأ من
أنوارها بما لهم من عظمتها وهو القرآن (ولقاء الآخرة) أى بالبعث وغيره (فأولئك) أى البغضاء
البعداء (فى العذاب) الكامل لا غيره (محضرون) أى مدخلون لا يغيبون عنه (فنجحنا الله)
أى سجدوا لله تعالى بمعنى صلوا (حين نسون) أى حين تدخلون فى المساء وفيه صلاتان المغرب
والعشاء (وحيث تصبحون) أى تدخلون فى الصباح وفيه صلاة الصبح وقوله تعالى (وله الحمد
فى السموات والأرض) اعتراض ومعناه بحمده أهلها وقوله تعالى (وعشيا) عطف على حين
وفيه صلاة العصر (وحيث تطهرون) أى تدخلون فى الطهيرة وفيه صلاة الظهر قال نافع بن
الأزرق لابن عباس هل تسجد الصلوات الخمس فى مواقيتها فى القرآن فقرأ هاتين الآيتين وقال

جمعت الآيات الصلوات الخمس ومواقبتها وانما خص هذه الاوقات مع ان افضل الاعمال
 أدومها لان الانسان لا يقدر ان يصرف جميع أوقاته الى التسبيح لانه محتاج الى ما يعينه من
 مأكول ومشروب وغير ذلك تخفف الله عنه العبادة في غالب الاوقات وأمره بها في أول النهار
 ووسطه وآخره وفي أول الليل ووسطه فاذا صلى العبد ركعتي الفجر فكأنما سبح قدر ساعتين
 وكذلك باقي الركعات وهن سبع عشرة مع ركعتي الفجر فاذا صلى الانسان الصلوات الخمس
 في أوقاتها فكأنما سبح الله سبع عشرة ساعة من الليل والنهار بقي عليه سبع ساعات من جميع
 الليل والنهار وهي مقدار النوم والنائم مرفوع عنه القلم فيكون قد صرف جميع أوقاته بالتسبيح
 في العبادة أو بمعنى زهوه من السوء بالثناء عليه بالخير في هذه الاوقات لما يتجدد فيها من نعم الله
 تعالى الظاهرة عن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قال
 سبحان الله وبحمده في يوم مائة مرة حطت خطاياه وان كانت مثل زبد البحر وعنه عن النبي
 صلى الله عليه وسلم من قال حين يصبح وحين يمسي سبحان الله وبحمده مائة مرة لم يأت أحد يوم
 القيامة بأفضل مما جاء به الا أحد قال مثل ما قال وزاد عليه وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم
 كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان في الميزان حبيبتان الى الرحمن سبحان الله وبحمده سبحان
 الله العظيم وعن جويرية بنت الحرث زوج النبي صلى الله عليه وسلم رضى عنها أنه خرج
 ذات غداة من عندها وكان اسمها برة فحوله رسول الله صلى الله عليه وسلم فسمها جويرية فكره
 أن يقال خرج من عنده برة فخرج وهي في مسجد ها أي مصلها فارجع بعد ما تعالى النهار فقال
 ما زلت في مجلسك هذا منذ خرجت بعد قالت نعم فقال لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات
 لو وزن بكلمتك لو زنتن سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته
 وعن سعد بن أبي وقاص قال كان عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أيجزأ خدمك أن يكتب
 في كل يوم ألف حسنة فسأله سائل من جلسائه كيف يكتب كل يوم ألف حسنة قال يسبح مائة
 تسبيحة فيكتب له ألف حسنة أو يحط عنه ألف خطيئة وفي غير رواية مسلم ويحط بغير ألف • ولما
 كان الانسان عند الصباح يخرج من سعة النوم الى سعة الوجود وهي اليقظة وعند العشاء
 يخرج من اليقظة الى النوم أتبعه الاحياء والامانة حقيقة بقوله تعالى (يخرج الحي
 كالانسان والطائر من الميت) كالنطفة والبيضة (ويخرج الميت) كالبيضة والنطفة
 (من الحي) على عكس ذلك أو يعقب الحياة الموت وبالعكس وقيل يخرج المؤمن من الكافر
 والكافر من المؤمن (ويحيى الارض) أي بالمطر واخراج النبات (بعد موتها) أي يسها
 (وكذلك) أي ومثل هذا الاخراج (يخرجون) بأيسر أمر من الارض بعد تنفراق أجسامكم فيها
 أحياء للبعث والحساب وقرأ نافع وحذف وحجة والكسائي الميت بكسر الباء المدد والباقون
 بالسكون وقرأ حمزة والكسائي وابن ذكوان بخلاف عنه بفتح التاء قبل الخاء وضم الراء على
 البناء للفاعل والباقون بضم التاء وفتح اراء على البناء للمفعول (ومن آياته) أي ومن جملة
 علامات توحيده وكمال قدرته (أن خلقكم) أي أصلكم وهو آدم عليه السلام (من تراب)

لم يكن له أصلاً انصاف ما بحياة أو أنه خلقكم من نقطة والنطفة من الغذاء والغذاء انما يتولد من الماء والتراب (ثم) أي بعد اخر اجكم منه (اذا أنتم بشر تمشرون) في الارض كقوله تعالى وبث منهم رجلاً كثيراً ونساء * (تنبيه) * الترتيب والمهلة ههنا ظاهراً فانهم يصيرون بشراً بعد أطوار كثيرة وتمشرون حال واذا هي النجاسية الا ان الفجائية اكثر ما تقع بعد الفاء لانها تقتضي التعقيب ووجه وقوعها مع ثم بالنسبة الى ما يليق بالحالة الخاصة أي بعد تلك الاطوار التي قصها علينا في موضع آخر من كونها نطفة ثم علقه ثم مضغة ثم عظما مجرداً ثم عظما مكسواً لما فاجأ البشرية والانتشار (ومن آياته) أي على ذلك (ان خلق لكم) أي لاجلكم لم يبق نوعكم بالتولد في تقديم الجار وهو قوله تعالى (من أنفسكم) أي جنسكم بعد ايجادها من ذات أيكم آدم عليه السلام (أرواحاً) انا ناهن شفع لكم دلالة ظاهرة على حرمة التزوج من غير الجنس كالجن قال البقاعي والتعبير بالنفس أظهر في كونها من بدن الرجل أي خلق حواء من ضلع آدم (لتسكنوا) ماثلين (الهيأ) بالشهوة والالفة من قولهم سكن اليه اذا مال وانقطع واطمأن اليه ولم يجعها من غير جنسكم لثلاثه وامنهما قال ابن عادل والصحيح أن المراد من جنسكم كما قال تعالى لقد جاءكم رسول من أنفسكم ويدل عليه قوله تعالى لتسكنوا اليها يعني أن الجنسين المختلفين لا يسكن أحدهما الى الآخر أي لا تثبت نفسه معه ولا يميل قلبه اليه * ولما كان المقصود بالسكن لا ينظم الابدوام الالفة قال تعالى (وجعل) أي صير بسبب الخلق على هذه الصفة (بينكم مودة) أي معنى من المعاني يوجب أن لا يجب أحدهم من الزوجين أن يصل الى صاحبه شيء يكرهه (ورحمة) أي معنى يحمل كلا على أن يجتهد لا تخفى جلب الخير ودفع الضر وقيل المودة كتابة عن الجماع والرحمة عن الولد تمسكاً بقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا وقوله تعالى ورحمة منا (ان في ذلك) أي الذي تقدم من خلق الازواج على الحال المذكور وما يتبعه من المنافع (لايات) أي دلالات واضحات على قدرة فاعله وحكمته (لقوم يفكرون) أي يستعملون أذكاءهم على القوانين المحزنة ويجتهدون في ذلك فيعملون ما في ذلك من الحكم ولما بين تعالى دلائل الانفس ذكر دلائل الآفاق بقوله تعالى (ومن آياته) أي الدالة على ذلك (خلق السموات) على علوها واحكامها (والارض) على اتساعها واقانها وقدم السماء على الارض لان السماء كالكثرة ولما أشار الى دلائل الانفس والآفاق ذكر ما هو من صفات الانفس بقوله تعالى (واختلاف ألسنتكم) أي لغاتكم من العربية والعجمية وغيرهما ونغماتكم وهياتهم فلات كادت تسمع متفققين متفققين في همس ولا جاهرة ولا شدة ولا رخاوة ولا لينة ولا فصاحة ولا غير ذلك من صفات الأطق وأشكاله وأنتم من نفس واحدة (و) اختلاف (ألوانكم) من أبيض وأسود وأشقر واسمر وغير ذلك من اختلاف الألوان وأنتم بنو رجل واحد وهو آدم عليه السلام والحكمة في ذلك أن الانسان يحتاج الى التمييز بين الأشخاص ليعرف صاحب الحق من غيره والعدو من الصديق ليحترز قبل وصول العدو اليه ولتقبل على الصديق قبل أن يهونه الاقبال عليه وذلك قد يكون بالبصر فخلق اختلاف الصور وقد يكون

بالسمع فخلق اختلاف الاصوات وأما اللمس والشم والذوق فلا يفيد فائدة في معرفة العدو
 واليدني فلا يقع التمييز بين كل واحد بشكله وحليته وصورته ولواته فتصوره والاصوات
 ونشأ كلت وكانت ضربا واحدا الوقع التجاهل والالتباس ولتعطلت مصالح كثيرة ورمز أرباب
 نوامين يشتهان في الحليسة فيروك الخطأ في التمييز بينهم فما فسبحان من خلق الخلق على ما أراد
 وكيف أراد وفي ذلك آية عظمة حيث ولدوا من أب واحد ونفروا من أصل فذوهم على الكثرة التي
 لا يعلمها الا الله تعالى مختلفون متفاضلون * ولما كان هذا مع كونه في غاية الوضوح لا يختص
 بجنس من الخلق دون غيره قال (ان في ذلك) أي الامر العظيم العالی الرتبة في بيانه وظهور
 برهانه (لايات) أي دلالات واضحات جدا على وحدانيته تعالى (للعالمين) أي ذوى العقول
 والعلم ولا يختص به صنف منهم دون صنف من جن ولا انس ولا غيرهم فهذا هو حكمه قوله تعالى
 هنا للعالمين وفيما تقدم بقوله تعالى لقوم يتفكرون وقرأ حفص وحده بكسر اللام * ولما ذكر
 تعالى بعض العرضيات اللازمة وهو الاختلاف ذكر الاعراض المفارقة ومن جعلها النوم
 بالليل والحركة في النهار طلبا للرزق كما قال تعالى (ومن آياته) الدالة على القدرة والعلم
 (مناكم) أي نومكم ومكانه وزمانه الذي يغلبكم بحيث لا تستطيعون له دفعا (بالليل والنهار)
 قيلولة (وابتغواكم من فضله) أي مناكم في الزمانين لاستراحة القوى النفسانية وقوة القوى
 الطبيعية وطلب معاشكم فيها فان كثيرا ما يكب الانسان بالليل أو مناكم بالليل وابتغواكم
 بالنهار خلف ونظم بين الزمانين والتعلين بعد اثنين وهما الواو وان اشعارا بان كلاما من الزمانين وان
 اختص بأحدهما فهو صالح للاثخر عند الحاجة ويؤيده آيات أخر قوله تعالى وجعلنا الليل
 لباسا وجعلنا النهار معاشا وقوله تعالى وجعلنا آية النهار مبصرة ويكون التقدير هكذا ومن
 آياته مناكم وابتغواكم بالليل والنهار من فضله وأخر الابتغاء وقرنه في اللفظ بالفضل إشارة الى
 ان العبد ينبغي ان لا يرى لرق من كسبه وبجده بل من فضل ربه ولهذا قرن الابتغاء بالفضل
 في كثير من المواضع منها قوله تعالى فاذا قضيت الصلوة فانكروا في الارض وابتغوا من فضل
 الله وقوله تعالى وابتغوا من فضله * (تنبيه) * قدم الله تعالى المنام بالليل على الابتغاء بالنهار في
 الذكر لان الاستراحة مطلوبة لذاتها والطلب لا يكون الحاجة فلا ينبغي الاحتجاج
 في الحال أو خائف من المآل (ان في ذلك) أي الامر العظيم العالی الرتبة من عباد النوم
 بعد النشاط والنشاط بعد النوم الذي هو الموت الاصغر ويجاد كل من المولين بعد
 اعدامهما والجد في الابتغاء بعد المفارقة في التحصيل (لايات) عديدة على القدرة والعلم لاسيما
 البعث (لقوم يسمعون) أي من الدعاة والنصاح سماع تفهم واستبصار فان الحكمة فيه ظاهرة
 * (تنبيه) * قال هنا آيات لقوم يسمعون وقال تعالى من قبل لقوم يتفكرون وقال تعالى للعالمين
 لان المنام بالليل والابتغاء بنظر الجاهل أو الغافل انهما مما يقتضيه طبع الحيوان فلا يظهر لكل
 أحد كونهما من نعم الله تعالى فلم يقل آيات للعالمين ولان الامرين الأولين وهما اختلاف
 اللسنة والالوان من اللوازم والمنام والابتغاء من الامور المفارقة فالنظر اليهما لا يدوم

لزوالمهما في بعض الاوقات ولا كذلك اختلاف الالسنه والالوان فانهم يمدون يدوهم الانسان
 لجعلهما آيات عليه وأما قوله تعالى لقوم يتفكرون فان من الاشياء ما يعلم من غير تفكر ومنها
 ما يكفي فيه مجرد الفكرة ومنها ما يحتاج الى موقف يوقف عليه ومرشد يرشد اليه فيفهمه اذا
 سمعه من ذلك المرشد ومنه ما يحتاج بعض الناس في تفهمه الى أمثال حسية كالاشكال
 الهندسية لان خلق الأزواج لا يقع لاحدانه بالطبع الا اذا كان جامدا الفكرة فاذا تفكر علم كون
 ذلك الخلق آية وأما المنام والابتغاء فقد يقع لكثيراً منهم من أفعال العباد وقد يحتاج الى مرشد
 معين لتفكره فقال لقوم يسمعون ويجهلون بالهم من كلام المرشد * ولما ذكر تعالى العرضيات
 اللازمة للانفس والمشاركة ذكر العرضيات التي لا فاق بقوله تعالى (ومن آياته) الدالة على
 عظيم قدرته (يريكهم البرق) أى اراء تفكرهم له على هيئات وكيفيات طال ما شاهدته وهاتارة تأتى
 بما ينسروا تارة بما يسر كما قال تعالى (خوفاً) أى للاخافة من الصواعق المحرقة (وطمعا) أى
 وللاطمئاع فى المياه العذبة (وينزل من السماء ماء) أى الذى لا يمكن لاحد غيره دعواه وقرأ ابن
 كثير وأبو عمرو وبسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى (فيحيى به)
 أى بذلك الماء خاصة لان أكثر الارض لا يسقى بغيره (الارض) أى بالنبات الذى هولها كالروح
 لجسد الانسان (بعد موتها) أى يسبها (ان فى ذلك) أى الامر العظيم العالى القدر (آيات)
 لاسماعيل السدرة على البعث (لنقوم يعقلون) أى يتدبرون فيستمعون عقولهم فى استنباط
 أسرارها وكيفية تكونها ليطهرهم كمال قدرة الصانع * (تنبيه) * كما قدم السماء على الارض
 قدم ماهو من السماء وهو البرق والمطر على ماهو من الارض وهو الانبات والاحياء وكما أن
 فى انزال المطر وانبات الشجر منافع كذلك فى تقديم الرعد والبرق على المطر منفعة وهى أن البرق
 اذا لاح فالذى لا يكون تحت كن يحاف الايتلال فيستعدله والذى له صريح أو مصنع يحتاج
 الى الماء أو زرع يسوى مجارى الماء وأيضاً أهل البوادي لا يعملون البلاد المعشبة ان لم يكونوا
 قدراً أو البروق اللاتحمة من جانب دون جانب واعلم ان دلائل البرق وفوائده وان لم تظهر للمفهمين
 فى البلاد فهى ظاهرة للبادين فلهذا جعل تقديم البرق على تنزيل المام من السماء نعمة وآية
 (فان قيل) ما الحكمة فى قوله تعالى هنا آيات لقوم يعقلون وفيما تقدم لقوم يتفكرون (أجيب)
 بأنه لما كان حدوث الولد من الوالد امر أعاديا مطردا قليل الاختلاف كان يتطرق الى الاوهام
 العامة أن ذلك بالطبيعة لان المطر دأقوى الى الطبيعة من المختلف والبرق والمطر ليس أمرا
 مطردا غير مختلف بل يختلف اذ يقع ببلدة دون بلدة وفى وقت دون وقت وتارة يكون قويا
 وتارة يكون ضعيفا فهو أظهر فى العقل دلالة على الفاعل المختار فقال هو آية لمن كان له عقل
 وان لم يتفكر تفكر تاما * ثم ذكر تعالى من لوازم السماء والارض قيامهما بقوله تعالى (ومن
 آياته) أى على غمام المقدرة وكمال الحكمة (أن تقوم السماء والارض بأمره) قال ابن مسعود
 قامتا على غير عبد أمره أى بإرادته فان الارض لنقلها يتجيب الانسان من وقوفها وعدم
 نزولها وكون السماء فى علوها يتجيب من علوها ونباتها من غير عدم وهذا من اللوازم فان

الارض لا تخرج عن مكانها الذي هي فيه وانما أفرده السماء والارض لان السماء الاولى
والارض الاولى لا تقبل النزاع لانها مشاهدة مع صلاحية اللفظ بالكل لانه جنس * (تنبيه) *
ذكر تعالى من كل باب أمرين أمّا من الانفس فقوله تعالى خلقكم وخلق لكم واستدل بخلق الزوجين
ومن الآفاق السماء والارض فقال تعالى خلق السموات والارض ومن لوازم الانسان
اختلاف اللسان واختلاف الالوان ومن عوارض الآفاق البرق والامطار ومن لوازمهما
قيام السماء والارض لان الواحد يكفي للاقرار بالخلق والثاني يفيد الاستقرار ومن هذا اعتبر
شهادة شاهدين فان قول أحدهما يفيد الظن وقول الآخر يفيد التأكيّد ولهذا قال ابراهيم
عليه السلام بلى وليكن ليطمئن قلبي (فان قيل) ما الفائدة في قوله تعالى هنا ومن آياته أن تقوم
وقال تعالى قبله ومن آياته يريكم البرق ولم يقل أن يريكم ليصيركم للمصدر بأن (أجيب) بأن القيام
لما كان غير معتبراً خرج الفعل بأن عن الفعل المستقبّل ولم يذكّر معه الحروف المصدرية
(فان قيل) ما الحكمة في أنه تعالى ذكر ست دلائل وذكر في أربع منها أن في ذلك آيات ولم يذكر في
الاول وهو قوله تعالى ومن آياته أن خلقكم من تراب ولا في الآخر وهو قوله ومن آياته أن تقوم
السماء والارض (أجيب) عن ذلك أمّا عن الاول فلان قوله بعده ومن آياته أن خلق لكم أيضاً
دليل الانفس فخلق الانفس وخلق الأزواج من باب واحد على ما تقدم من أنه تعالى ذكر من كل
باب أمرين للتقرير والتوكيد فلما قال في الثانية أن في ذلك آيات كان عائداً إليهما وأما في قيام
السماء والارض فلانه ذكر في الآيات السماوية أنها آيات للعالمين ولتقوم به قلوبهم وذلك أظهر ورها
فلما كان في أول الامر ظاهراً في آخر الامر بعد سر الدلالة يكون أظهر فلم يميز أحداً في ذلك
عن الآخر * ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل على القدرة والتوحيد ذكر مدلوله وهو قدرته على الاعادة
بقوله تعالى (ثم اذ ادعاكم) وأشار الى هوان ذلك القول عنده بقوله عز وجل (دعوة) أي
واحدة (من الارض) بأن ينفخ اسرافيل في الصور للبعث من القبور فيها فيقول أيها الموتي
اخرجوا (اذا أنتم تخرجون) أي منها أحياء بعد اضعالكم بالموت والبالا فلا تبقى نعمة
من الاولين والاخرين الا قامت تنظر كما قال تعالى ثم نفخ فيه أخرى فاذا هم قيام ينظرون
(فان قيل) به يتعلق من الارض بالنعل أم بالمصدر (أجيب) بهيات اذا جاءهم الله وهو النعل
بطل نهر معقل وهو المصدر وثم امل تراخي زمانه وألغى ما فيه (فان قيل) ما الفرق بين
اذا واذا (أجيب) بأن الاولى للشرط والثانية للمفاجأة وهي تنوب من باب النسي في جواب
الشرط ولذلك نابت من باب النسي في جواب الاولى * (تنبيه) * قال ههنا اذا أنتم تخرجون
وقال تعالى في خلق الانسان أولاً ثم اذا أنتم بشر تتشرون لأن هنالك يكون خلق وتقدّر
وتدرج حتى يصير التراب قابلاً للحياة فينفخ فيه روحه فاذا هو بشر وأما في الاعادة فلا يكون
تدرج وتراخي بل يكون بدأً خروج فلم يقل ههنا * ولما ذكر تعالى الآيات التي تدل على القدرة
على الحشر الذي هو الاصل الآخر والوحدانية التي هي الاصل الاول أشار إليهما بقوله
تعالى (ولهم في السموات والارض) ملكاً وخلقاً (كل له فاتون) قال ابن عباس كل له

مطيعون في الحياة والنساء والموت والبعث وان عصوا في العبادۃ وقال الكبي هـ هذا خاص
 بمن كان منهم مطعما ونفس السموات والارضين له وملكه فكل له متقادون فلا شريك له أصلا
 ثم ذكر المدلول الآخر بقوله تعالى (وهو الذي يبدؤ الخلق) أي على سبيل التجديد كما
 تشاهدون * وأشار الى تعظيم الاعادة باداة التراخي فقال (ثم يعيده) أي بعد الموت للبعث
 وفي قوله تعالى (وهو أهون عليه) قولان أحدهما أنها التفضيل على بابها وعلى هذا يقال كيف
 يتصور التفضيل والاعادة والبداءة بالنسبة الى الله تعالى على حد سواء وفي ذلك أجوبة
 أحدها أن ذلك بالنسبة الى اعتقاد البشر باعتبار المشاهدة من أن اعادة الشيء أهون من
 اختراعه لاحتياج الابتداء الى اعمال فكر غالبا وإن كان هذا مستغنيا عن الباري سبحانه وتعالى
 فخطوبوا بحسب ما أقنوه ثانيا أن الضمير في عليه ليس عائدا الى الله تعالى انما يعود على الخلق
 أي والعود أهون على الخلق أي أسرع لأن البداءة فيها تدرج من طور الى طور الى أن صارت
 انسابا والاعادة لا تحتاج الى هذه التدرجات فكانت قهرا وهو أقصر عليه وأيسر وأقل انتقالا
 والمعنى يقومون بصيحة واحدة فيكون أهون عليهم بمعنى أن يقوموا بخلقهم علقا ثم مضى الى
 أن يصير وارجالا ونساء وهي رواية الكبي عن أبي صالح عن ابن عباس ثانيا أن الضمير في
 عليه يعود على المخلوق بمعنى والاعادة أهون على المخلوق أي اعادته شيئا بعد ما أنشأه هذا في عرف
 المخلوقين فكيف ينكرون ذلك في جانب الله تعالى والثاني أن أهون ليس للتفضيل بل هي
 صيغة بمعنى هين كقولهم الله أكبر أي كبر وهو رواية العوفي عن ابن عباس وقد يجيء أفعل
 بمعنى الفاعل كقول الفرزدق

ان الذي سئل السماء عن لنا * يتادعاه أعز وأطول

أي عزيرة طويلة وعود الضمير على الباري تعالى أولى ليوافق الضمير في قوله تعالى (وله المثل) أي
 الوصف العجيب الشأن كالقدرة العاتية والحكمة الشاملة قال ابن عباس هو أنه ليس كمثل
 شيء وقال قتادة هو أنه لا اله الا هو قال البيضاوي ومن فسر بلا اله الا الله أراد به الوصف
 بالوحدانية (الاعلى) أي الذي ليس لغيره ما يساويه أو يذنيه * ولما كان الخلق لقصورهم
 مقيدون بالله لم به نوع مشاهدة قال (في السموات والارض) أي اللتين خلقتهما ولم يستعصيا
 عليه فكيف يستعصى عليه شيء فيهما (وهو) أي وحده (العزير) أي الذي اذا أراد شيئا كان له
 في غاية الانقياد كما انما كان (الحكيم) أي الذي اذا أراد شيئا أتقنه فلم يقدر غيره الى
 التوصل الى بعض شيء منه ولانتم حكمة هذا الكون على هذه الصورة الا بالبعث بل هي
 الحكمة العظمى ليصل كل ذي حق الى حقه بأقصى التحرير * ولما أبان من هذا أنه تعالى
 المنقرد بالملك بشمول العلم وقوام القدرة وكال الحكمة اقصل بحسن أمثاله واحكام مقاله
 وفعاله قوله تعالى (ضرب) أي جعل (لكم) بحكمته أيها المشركون في أمر الاصنام
 وبيان الإبطال من بشر لها وفساد قوله بأجل ما يكون من التقرير (مثلا) مبتدأ (من)
 أنفسكم التي هي أقرب الاشياء اليكم ثم بين المثل بقوله تعالى (هل لكم) أي يا من عبدوا مع

الله غيره (عما) أى من بعض ما (ملكتم أيمانكم) أى من العبيد والاماء الذين هم بشر مثلكم وعم في النقي الذي هو المراد بالاستعقاهم بزيادة الجار بقوله تعالى (من شركاء) أى فى حالة من الحالات يسوغ لكم بذلك أن تجعلوا الله شركاء (فى ما رزقناكم) من الاموال وغيرهما مع ضعف ملككم فيه * (فائدة) * فى مقطوعة عن ما (فأنتم) أى يا معاشر الاحرار والعبيد (فيه) أى الشئ الذى وقعت فيه الشراكة (سواء) فىكون أنتم وهم شركاء يتصرفون فيه كصرفكم مع أنهم بشر مثلكم (فان قيل) أى فرق بين من الاولى والثانية والثالثة فى قوله تعالى من أنفسكم (أجيب) بأن الاولى للابتداء كأنه قال أخذ مثلاً وانترعه من أقرب شئ منكم وهى من أنفسكم ولم يعد والثانية للتبعيض والثالثة مزيده لتأكيد الاستعقاهم الجارى مجرى النقي ثمين المساواة بقوله تعالى (تحافونهم) أى معاشر السادة فى التصرف فى ذلك الشئ المشترك (كنه فينكم أنفسكم) أى كما تحافون بعض من تشاركونه من يساو بكم فى الحرية والعظمة أن تنصرفوا فى الامر المشترك بشئ لا يرضيه وبدون اذنه وظهر أن حالكم فى عبيدكم مثل له فيما أشركتموه به موضع لبطلانه فاذا لم ترضوا هذا لأنفسكم وهو أن تسقوى عبيدكم معكم فى الملك فكيف ترضونه لخالفكم فى هذه الشركاء التى زعمتموها فسقوا ونهاه وهى من أضعف خلقه أن لا تستحيون (كذلك) أى مثل هذا التفصيل العالى (تفصل الآيات) أى نبيها فان التمثيل مما يكشف المعانى ويوضحها (لنقوم بعقلون) أى يدرون هذه الدلائل بعقولهم والامر لا يخفى بعد ذلك الاعلى من لا عقل له (بل اتبع الذين ظلموا) أى أشركوا فانهم وضعوا الشئ فى غير موضعه فعل الماشى فى الظلام (أهواءهم) وهى ما تميل اليه نفوسهم (بغير علم) أى جاهلين لا يفقههم شئ فان العالم اذا اتبع هواه بعارده علمه * ثم بين تعالى أن ذلك بارادته بقوله تعالى (فمن يهدي من أضل الله) أى الذى له الامر كله أى لا يقدر أحد على هدايته (ومالهم من ناصرين) أى مانعين يمنعونهم من عذاب الله لامن الاصنام ولامن غيرها * ولما تحزرت الأدلة وانصببت الاعلام أقبل تعالى على خلاصة خلقه ابداً بابائه لا يفهم ذلك حق فهمه غيره بقوله سبحانه (فاقم وجهك) أى قصدك كله (للدين) أى أخلص دينك لله قاله سعيد ابن جبير وقال غيره سدد علك والوجه ما يتوجه اليه وقيل أقبل بكلك على الدين عبر بالوجه عن الذات كقوله تعالى كل شئ هالك الا وجهه أى ذاته بصفاته وقوله تعالى (حنيفاً) حال من فاعل أقم أو منعه أو من الدين ومعنى حنيفاً أى مائلاً اليه مستقيماً عليه وسئل عن كل شئ لا يكون فى قلبك شئ آخر وهذا قريب من معنى قوله تعالى ولا تكون من المشركين وقوله تعالى (فطرت الله) أى خلقته منصوب على الاغراء أو المصدر بمبادل عليه ما بعده وهو بقاء مجرورة وقف عليها ابن كثير وأبو عمرو والكسافى بالهاء والباقون بالتاء ثم أكد ذلك بقوله تعالى (التي فطر الناس) قال ابن عباس خلق الناس (عليها) وهو دينه وهو التوحيد قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود الا وهى بولده على الفطرة وانما أبواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه فقوله على الفطرة على العهد الذى أخذه عليهم بقوله تعالى ألتب ربكم قالوا بلى وكل مولود فى العالم

على ذلك الاقرار وهي الحنيفة التي وقعت الخلقة عليها وان عبد غيره قال الله تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله وقال ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى وايكن لا عبرة بالايان الفطرى في احكام الدنيا وانما يعتبر الايمان الشرعى بالمأمور به وهذا قول ابن عباس وجاعة من المفسرين وقيل الآية مخصوصة بالمؤمنين وهم الذين فطرهم الله تعالى على الاسلام روى عن عبد الله بن المبارك قال معنى الحديث أن كل مولود يولد على فطرته أى على خلقته التي جبل عليها في علم الله تعالى من السعادة والشقاوة فكل منهم صار في العاقبة الى ما فطر عليه وعامل في الدنيا بالعمل المشاكل لها فمن علامات الشقاء أن يولد بين يهوديين أو نصريين فيحملانه لشقائه على اعتقاده دينهما وقيل معنى الحديث أن كل مولود يولد في مبدا الفطرة على الخلقة أى الجبل السليمة والطبع المتين لقبول الدين فلوترك عليها لا استمر على لزومها الآن هذا الدين موجود حسنه في العقول وانما يعدل عنه من يعدل الى غيره لآفة من النشوء والتقليد فمن يسلم من تلك الآفات لم يعتد غيره ذكر هذه المعاني أبو سليمان الخطابي في كتابه ولما كانت سلامة الفطرة أمرا مستترا قال تعالى (لا تبدل خلق الله) أى الملك الاعلى الذى لا كف له فلا يقدر أحد أن يغيره فمن حل الفطرة على الدين قال معناه لا تبدل دين الله فهو خبر يعنى النهى أى لا تبدلوا دين الله قاله مجاهد وابراهيم والمعنى الزموا فطرة الله أى دين الله واتبعوه ولا تبدلوا التوحيد بالشرك ومن حلها على الخلقه قال معناه لا تبدل خلق الله أى ما جبل عليه الانسان من السعادة والشقاوة فلا يصير السعد شقيبا ولا الشقي سعيدا وقال عكرمة معناه تحريم اخصاء البهائم أى فى غير المأكول وفى المأكول الكبير أما المأكول الصغير فانه يجوز ويلحق بالحي إلى المحرم كل تغيير يحرم كالونهم (ذلك) أى الشأن العظيم (الدين القيم) أى المستقيم الذين لا عوج فيه توحيد الله تعالى (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) أن ذلك هو الدين المستقيم لعدم تدبرهم وقوله تعالى (منيين) أى راجعين (اليه) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم قال الزمخشري فان قلت لم وحد الخطاب أولا ثم جمع قلت خطوط رسول الله صلى الله عليه وسلم أولا وخطاب الرسول خطاب لأمته مع ما فيه من التعظيم للامام ثم جمع بعد ذلك للبيان والتلخيص (واتقوه) أى خافوه فانكم وان عبدتموه فلا تأمنوا أن تزيغوا عن سبيله (وأقيموا الصلوة) أى داوموا عليها وعلى أدائها فى أوقاتها (ولا تكونوا من المشركين) أى لا تكونوا ممن يدخل فى عدادهم عبادة أوهة ثمرة أو عمل تشابهونهم فيه فانه من تشبه بقوم فهو منهم وهو عام فى كل مشرك سواء كان بعبادة صنم أو نار أو غير ذلك وقوله تعالى (من الذين) بدل من المشركين باعادة الجار (فرّقوا بينهم) أى الذى هو الفطرة الاولى فبعد كل قوم منهم شيئا وداودا يا غير دين من سواهم وهو معنى (وكانوا شيعا) أى فرقا متخالفين كل واحدة منهم متشابه مع دان بدينها على من حالتهم حتى كفر بعضهم بعضا واستباحوا الدماء والاموال فعلم قطعاً أنهم كلهم ليسوا على الحق وقرأه الكسائي بألف بعد الفاء وتخفيف الراء بالاقون بغير ألف وتشديد

الرأفة على القراة الاولى فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به * ولما كان هـ ذا أمر يتعجب
 من وقوعه زاده عجبا بقوله تعالى استثنافا (كل حزب) أى منهم (بالحديث) أى عندهم
 (فرحون) أى مسرورون ظننا منهم أنهم صادفوا الحق وفازوا به دون غيرهم * ولما بين تعالى
 التوحيد بالدليل وبالمثل بين أن لهم حالة يعترفون بها وان كانوا يشكرونها في وقت وهى حالة
 الشدة بقوله تعالى (واذا مس الناس ضرر) أى خط وشدة (دعوا ربهم) أى الذى لم يشركه
 فى الاحسان اليهم أحد (منيبين) أى راجعين من جميع ضلالاتهم (اليه) أى دون غيره علما منهم
 بأنه لا فرج لهم عند شئ غيره قال الرازى فى اللوامع فى أواخر الغنى بكون وهذا دليل على أن
 معرفة الرب فى فطرة كل انسان وأنهم ان غفلوا فى السراء فلا شك أنهم يلوذون اليه فى حال
 الضراء (ثم اذا أذاقهم منه رحمة) أى خلاصا من ذلك الضر (اذا فرق منهم ربهم) أى
 المحسن اليهم دائما المجتهد لهم هذا الاحسان من هـ ذا الضر (يشركون) أى فاجأ فريق
 منهم الاشراك بربهم الذى عافاهم فاذا العجائب وقعت جواب الشرط لانها كالفاء فى أنها
 للتعقيب ولا تقع أول كلام وقد تنجم معها الفاء زائدة (فان قيل) ما الحكمة فى قوله هـ هنا اذا
 فريق منهم وقال فى العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون ولم يقل فريق (أجيب)
 بأن المذكور هناك غير معين وهو ما يكون من هول البحر والمخلص منه بالنسبة الى الخلق قليل
 والذى لا يشرك منهم بعد الخلاص فرقة منهم فهم فى غاية القلة فلم يجعل المشركين فرقة القلة من
 خرج من الشرك وأما المذكور هـ هنا الضر مطلقا فيتناول ضرر البحر والامراض والاهوال
 والمخلص من أنواع الضر خلق كثير بل جميع الناس قد يكونون قد وقعوا فى ضرر ما فخلصوا
 منه والذى لا يبقى بعد الخلاص مشركا من جميع الانواع اذا جمع فهم خلق عظيم وهو جميع
 المسلمين فانهم تخلصوا من ضرر ولم يتوأمشركين وأما المسلمون فلم يخلصوا من ضرر البحر
 بأجمعهم فلما كان الناجى من الضر المؤمن جمعا كثيرا سمى الباقي فريقا وقوله تعالى (ليكثروا
 بما آتيناهم) يجوز أن تكون اللام فيه لام كى وان تكون لام الامر ومعناه التهديد كقوله
 تعالى اعملوا ما شئتم ثم خاطب هؤلاء الذين فعلوا هذا خطاب تهديد بقوله تعالى (فتمتعوا وسوف
 تعلمون) عاقبة تمتعكم فى الآخرة وفى هذا التفات من الغيبة (أم أئزنا عليهم سلطنا) أى دليلا
 واضحا قاهرا أو ذا سلطان أى ملك معه برهان فقولته تعالى (فهو يشككم) على الاول كلاما
 مجازيا وعلى الثانى كلاما حقيقيا وعلى كلا الحالين هو جواب للاستفهام الذى تضمنه أم
 المنقطعة (بما) أى بصفة ما (كانوا به يشركون) أى فيما أمرهم بالاشراك بحيث لا يجدوا بدا
 من متابعتهم لتزول عنهم الملامة وهذا الاستفهام معنى الانكار أى ما أئزنا بما يقولون سلطنا
 قال ابن عباس حجة وعذرا وقال قتادة كتابا يشككم بما كانوا به يشركون أى ينطق
 بشركهم * ولما بين تعالى حال المشرك الظاهر شركه بين تعالى حال المشرك الذى دونه وهو من
 تكون عبادته لا الدنيا بقوله تعالى (واذا) معبرا بأداة التحقيق إشارة الى أن الرحمة أكثر
 من النعمة وأسند الفعل اليه فى مقام العظمة إشارة الى سعة جوده فقال (أدقنا الناس رحمة)

أى نعمة من خصب وكثرة مطر وغنى ونحوه لاسبب لها الارحمتنا (فرحوا بها) أى فرح بطر
مطمئنين من زوالها ناسين شكر من أنعم بها ولا ينبغي أن يكون العبد كذلك (فان قيل) الفرح
بالرحمة مأوربه قال تعالى بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا وههنا ذمهم على الفرح
بالرحمة (أجيب) بأنه هناك فرحوا برحمة الله من حيث انهم اضافة الى الله وههنا فرحوا
بنفس الرحمة حتى لو كان المطر من غير الله لكان فرحهم به مثل فرحهم اذا كان من الله تعالى
(وان نصهم سيئة) أى شدة من جذب وقلة مطر وفقر ونحوه (بما قدمت أيديهم) من السيئات
(اذا هم يفتنون) أى يأسون من رحمة الله وهذا خلاف وصف المؤمنين فانهم يشكرونه
عند النعمة ويرجون عند الشدة وقرأ أبو عمرو والكسائي بكسر النون بعد القاف
والباقون بالفتح (أولم يروا) أى يعلموا (أن الله يسطر الرزق) أى يوسع (لمن يشاء) امتحانا
(ويقدر) أى يضيّق لمن يشاء ابتلاء وهذا شأنه دائماً مع الشخص الواحد فى أوقات متعاقبة
متباعدة ومتقاربة ومع الأشخاص ولو فى الوقت الواحد فلو اعتبروا حال قبضه سبحانه
لم يسطروا ولو اعتبروا حال بسطه لم يفتنوا بل كان حالهم الصبر فى البلاء والشكر فى الرخاء
والاقلاع عن السيئة التى نزل بسببها القضاء * ولما لم تغن عن أحدهم فى استجلاب الرزق قوته
وغزارة عقله ودقة مكره وكثرة حيله ولا ضره ضعفه وقلة عقله وعجز حيلته وكان ذلك أمراً عظيماً
ومنزاعاً شدة ظهوره وجلالته خفياديقاً قال بعضهم

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه * وجاهل جاهل تلقاه مرزوقاً

أشار سبحانه الى عظمته بقوله مؤكداً الان عملهم فى شدة اهتمامهم بالسي فى الدنيا عمل من يظن
أن تحصيله انما هو على قدر الاجتهاد فى الاسباب (ان فى ذلك) أى الامر العظيم من الاقتار
فى وقت والاغناء فى آخر والتوسيع على شخص والقتير على آخر والامن من زوال الحاضر
من النعم مع تكرر المشاهدة للزوال فى النفس والغير والأمن من حصولها عند المحنة مع كثرة
وجدان الفرج وغير ذلك من أسرار آياته (آيات) أى دلالات واضحات على الوحدانية لله
تعالى وتنام العلم وكمال القدرة وانه لا فاعل فى الحقيقة الا هو لكن (لقوم) أى ذوى هم
وكفاية القيام بما يحق لهم أن يقوموا به (بؤمنون) أى يوجدون هذا الوصف ويدعون
تجديده كل وقت لما يتواصل عندهم من قيام الأدلة بأدلة التأمل والامعان والتفكير
والاعتماد فى الرزق على من قال واتدبیرنا القرآن للذكرفهلم من مذكر أى من طالب علم
فيعان عليه فلا يفرحون بالنعم اذا حصلت خوفاً من زوالها اذا أراد القادر ذلك ولا يفتنون
بها اذا زالت رجاء فى اقبالها فضلاً من الرازق لان أفضل العبادة انتظار الفرج بل همهم بما عليهم
من وظائف العبادة واجبها ومندوبها ومعرضون عما سوى ذلك قد وكوا أمر الرزق الى من
تولى أمره وفرغ من قسمه وقام بضمانه وهو القدير العالم * ولما أفهم ذلك عدم الاكتراث
بالدنيا لان الاكتراث بها لا يزيدوها والتواهن بها لا ينقصها قال تعالى مخاطباً الاكثمين
لتنفيز أوامرهم (فآت) يا خيرا الخلق (ذا القربى) أى القرابة (حقه) أى من البر والصلة

لانه أحق الناس بالرحمة الجود أو كرمًا (والمسكين) سواء كان ذا قرابة أم لا (وابن السبيل) وهو المسافر كذلك من الصدقة وأمة النبي صلى الله عليه وسلم تبع له في ذلك • (تبينه) • عدم ذكر بقية الاصناف يدل على أن ذلك في صدقة التطوع ودخل الفقير من باب أولى لانه أسوأ أحوال من المسكين (فان قيل) كيف تعلق قوله تعالى فات ذا القربى حقه بما قبله حتى جى بالفناء (أجيب) بأنه لما ذكر أن السبيته أصابتهم بما قدمت أيديهم أتبعه ذكر ما يجب أن يفعل وما يجب أن يتروك وقد احتج أبو حنيفة بهذه الآية في وجوب النفقة للعمام إذا كانوا محتاجين عاجزين عن الكسب وعند الشافعي رضى الله عنه لانه نفقة بالقرابة الأعلى الولد والوالدين فاس سائر القرابة على ابن العم لانه لا ولادة بينهم • ولما أمر بالإنفاق رغب فيه بقوله تعالى (ذلك) أى الإنفاق على الرتبة (خير للذين يريدون وجه الله) أى ذاته أو وجهته وجانبه أى يقصدون به وفهم ما خلاصا لوجهه كقوله تعالى الا ابتغاء وجهه رب الأعلى أى يقصدون جهة التقرب الى الله تعالى لاجهة أخرى والمعنيان متقاربان ولكن الطريقة مختلفة (وأولئك) أى العالو الرتبة لغناهم عن كل فان (هم المفلحون) أى الفائزون الذين لا يشوب فلاحتهم شئ وأما غيرهم فخائب وأمان لم ينفع فواضع وأمان أنفق على وجه الرياء فقد خسر ماله وأبقى عليه وبالله كما قال تعالى (وما أتيتهم من رزق) أى مال على وجهه الرب المحترم بزيادة في المعاملة أو المكروه بعبطة يتوقع بهم أمر يد مكافأة وكان هذا مما حرم على النبي صلى الله عليه وسلم لقوله تعالى ولا تنس ذكر أى لا تعطف وتطلب أكثر مما أعطيتك تشريفا له وكره لعامة الناس فسمى باسم المطلوب من الزيادة في المعاملة فالربا ربوان فالحرمان كل قرض يؤخذ فيه أكثر منه أو يجز منه نفعه والذي ليس بحرام أن يستدعى بهديته أو بهيته أكثر منها وقرأ ابن كثير بقصر الهزمة بمعنى ما جئتم به من إعطاء ربا والباقون بعدها (لربو) أى يزيد ويكثر ذلك (في أموال الناس) أى يحصل فيه زيادة تكون أموال الناس ظرفا لها فهو كناية عن أن الزيادة التي يأخذها المرابي من أموالهم لا يملكها أصلا وقرأ نافع بناء الخطاب بعد اللام مضمومة وسكون الواو والباقون بالياء التحمية مفتوحة وفتح الواو (فلا ربو) أى يزكو وينمو فلا ثواب فيه (عند الله) أى الملك الأعلى الذي له الغنى المطلق وصفات الكمال وكل لا يربو عند الله فهو محق لا وجود له فما له الى فناء وان كثر عبق الله الربوا ويربى الصدقات • ولما ذكر ما زيارته فنقص أتبعه ما نقصه زيادة بقوله (وما أتيتهم) أى أعطيتم (من رزمة) أى صدقة وعبر عنها بذلك ليفيد الطهارة والزيادة أى ظهور ربن بها أموالكم من الشبهة وأبدانكم من مواد الخبث وأخلاقكم من الغسل والدنس • ولما كان الاخلاص عزيزا أشار الى عظمته بتكريره بقوله عز وجل (أى بها) (وجه الله) أى عظمة الملك الأعلى فيعرفون من حقه ما يتلشى عندهم كل ما سواه فيخلصون له (فأولئك هم المضعفون) أى ذوو الاضعاف الذين ضاعوا أموالهم في الدنيا بسبب ذلك بال حفظ والبركة وفي الآخرة بكثر الثواب عند الله من عشر أمثال الى مالا يحصره ونظير المضعف المقوى والموسر لذى القوة واليسار • ولما وضع هذا أنه لازيادة الا فبايزيده الله ولا تخبر الا فباختاره

الله بين تعالى ذلك بطريق لا أوضح منه بقوله تعالى (الله) أي بعظيم جلاله لا غيره (الذي خلقكم) أي أوجدكم على ما أنتم عليه من التقدير لا تملكون شيئاً (ثم رزقكم ثم عيشكم ثم يميتكم هل من شركائكم) أي عن أنشر كنتم بالله (من يفعل من ذلكم) مشيراً إلى علو رتبته باداة البعد وخطاب الكل * ولما كان الاستفهام الإنكارى التوبيخى في معنى النفي قال مؤكداً المستغفر قال لكل ما يمكن منه ولو قل جداً (من شيء) أي يستحق هذا الوصف الذي تطلقونه عليه * ولما زعمهم قطعاً أن يقولوا لا وعزتك ما لهم ولا لآدم منهم فعل شيء من ذلك قال تعالى معرضاً عنهم منزهاً النفس الشريفة (سبحانه) أي تنزهها لا يحيط به الوصف من أن يكون محتاجاً إلى شرك (وتعالى) أي علواً لا تصل إليه العقول (عما يشركون) في أن يفعلوا شيئاً من ذلك * (تنبيه) * يجوز في خبر الجلالة الكريمة وجهان أظهرهما أنه الموصول بعدها والثاني أنه الجملة من قوله تعالى هل من شركائكم والموصول صفة والراجع من ذلكم لأنه بمعنى من أفعاله ومن الأولى والثانية يفيدان شيوع الحكم في جنس الشركاء والأفعال والثالثة مزيدة لتعميم النفي فكل منهم ما استقل به بنا كيد لتعجيز الشركاء وقرأهزة والكسائي شأ الخطاب والباقيون بالياء التحسية * ولما بين لهم تعالى من حقارة شركائهم ما كان حقهم به أن يرجعوا فلم يفعلوا أتعبه ما أصابهم به على غير ما كان في أسلافهم عقوبة لهم على قبيح ما ارتكبوا استعظاماً للتوبة بقوله تعالى (ظهر الفساد) أي النقص في جميع ما ينفع الخلق (في البر) بالقطع والخوف وقلة المطر ونحو ذلك (والبحر) بالغرق وقلة القواطم الصيد ونحوه من كل ما كان يحصل منه وقلة المطر كالتؤثر في البر تؤثر في البحر فتضلوا أجواف الأصداف من اللؤلؤ وذلك لأن الصدف إذا جاء المطر يرتفع على وجه الماء وينفتح فيوقع فيه من المطر صار للؤلؤ وقالوا إذا انقطع القطر عمت دواب البحر وقيل المراد بالبر البوادي والمفاوز وبالبحر المدائن والقرى التي على المياه الجارية قال عكرمة العرب تسمى المطر جراً تقول أجذب البر وانقطعت مادة البحر * ثم بين سببه بقوله تعالى (بما كسبت أيدي الناس) أي بسبب شؤم ذنوبهم ومعاصيهم كقوله تعالى وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم قال ابن عباس الفساد في البر قتل أحد بني آدم أخاه وفي البحر غصب الملك الجبار السفينة قال الضعفاء كانت الأرض خضرة موفقة لآبائي ابن آدم شجرة الأوجد عليها ثمره وكان ماء البحر عذبا وكان لا يقصد الأسد البقر والغنم فلما قتل قاييل هابيل أقشعرت الأرض وشاكت الانجرار وصار ماء البحر ملها زعافاً وقصد الحيوانات بعضها بعضاً وقال قتادة هذا قبل مبعث نبينا صلى الله عليه وسلم امتلأت الأرض ظمأ فلما بعث الله تعالى محمداً صلى الله عليه وسلم رجع راجعون من الناس وقيل أراد بالناس كفار مكة * ولما ذكر تعالى عليه البداية ثني بعلية الجزائية بقوله تعالى (ليذيقهم بعض الذي عملوا) كرماء وحما يعفون كثيراً ما أصلا ورأساً وأماناً المعاجلة به وبؤخره إلى وقت مآفي الدنيا والآخرة وقرأ قبل بالنون بعد اللام والباقيون بالياء التحسية ثم ثلث بالعلية الغاية بقوله تعالى (لعلهم يرجعون) أي عاهاهم عليه * ولما بين تعالى حالهم بظهور الفساد في أحوالهم بسبب

فساد أقوالهم بين لهم ضلال أعمالهم وأشكالهم الذين كانت أفعالهم كأنهم يقولون تعالى
لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء الذين لا هم لهم سوى الدنيا (سبروا في الأرض)
فإن سبركم الماضي لكونه لم تعجبه عبرة عدم (فانظروا) فظن اعتبار (كيف كان عاقبة الذين من
قبل) أي من قبل أيامكم لتروا منازلهم ومساكنهم خالية فتعلموا أن الله تعالى أذا همهم وبال
أمرهم وأوقعهم في حفائر مكرهم (كان أكثرهم مشركين) أي فلذلك أهلكتهم ولم تغن
عنهم كثرتهم وأنجينا المؤمنين وما شئتم قتلهم * ولما نهى الله تعالى الكفار عما هم عليه أمر
المؤمنين بما هم عليه وخطب النبي صلى الله عليه وسلم يعلم المؤمن فضيلة ما هو مكلف به فإنه أمر
به أشرف الأنبياء بقوله تعالى (فأقم وجهك للدين القيم) أي المستقيم وهو دين الإسلام (من قبل
أن يأتي يوم) أي عظيم (لا مرد له) أي لا يقدر أن يرد أحد وقوله تعالى (من الله) يجوز أن
يتعلق يأتي أو بمجدد وفيدل عليه المصدر أي لا يرد من الله أحد والمراد به يوم القيامة لا يقدر
أحد على رده من الله وغيره عاجز عن رده فلا بد من وقوعه (يومئذ) أي أذا أتى (يصدعون) أي
يتفرقون فربق في الجنة وفربق في السعير ثم أشار إلى التفرق بقوله تعالى (من كفر) أي منهم
(فعليه كفرة) أي وبال كفرة (ومن عمل صالحاً) أي بالإيمان وما يترتب عليه (فلا نفهم
يمهدون) أي يوضئون منازلهم في القبور وفي الجنة بل وفي الدنيا فإن الله تعالى يعزهم بعز طاعته
* (تنبيه) * أظهر قوله تعالى صالحاً ولم يضر لئلا يتوهم عود الضمير على من كفر وبشارة بأن أهل
الجنة كثير وإن كانوا قليلاً لأن الله تعالى هو مولاهم فهو من كبرهم وأفرد الشرط وجمع الجزاء
في قوله تعالى فلا نفهم يمهدون إشارة إلى أن الرحمة أعم من الغضب فتشمله وأهله وذريته وفيه
ترغيب في العمل من غير نظر إلى مساعد وأنه ينتفع نفسه وغيره لأن المؤمن للمؤمن كالبنين
يشد بعضهم بعضاً وأقل ما ينتفع والديه وشيخه في ذلك العمل وقوله تعالى (ليجزى) أي الله سبحانه
وتعالى الذي أنزل هذه السورة لبيان أنه ينصر أولياءه لاحسانه لأنه مع المحسنين ولذلك اقتصر
هنا على ذكرهم بقوله تعالى (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أي تصديقاً لإيمانهم (من فضله) علة
ليمهدون أولي صدعون والاقتصار على جزاء الموصوفين للاشهاد بأنه المقصود بالذات
والاكتماء عن غوى قوله تعالى (أنه لا يحب الكافرين) فإن فيه إثبات البغض لهم فيه عذوبهم
والحبة للمؤمنين فينبههم وتأكيده اختصاص الصلاح المفهوم من ترك الضميرهم إلى التصريح بهم
تعليل لهم وقوله تعالى من فضله دال على أن الأمانة بمحض الفضل * ولما ذكر تعالى ظهور الفساد
والهلاك بسبب الشرك ذكر ظهور الصلاح ولم يذكر أنه بسبب العمل الصالح لأن الكبريم
لا يترك لاحسانه عوضاً ويترك لاضداده سبباً لئلا يتوهم به الظالم قال تعالى (ومن آياته) أي
دلالاته الواضحة (أن يرسل الرياح مبشرات) أي بالمطر كما قال تعالى نشر ابن يدي رحمة أي قبل
المطر وقبل مبشرات بصلاح الأهوية والاحوال فإن الرياح لو لم تهب لظهر الوباء والفساد
وقرأ ابن كثير وحزرة والكسائي الريح بالانفراد على إرادة الجنس والباقيون بالجمع وهي الجنوب
والشمال والصبا لانهارياح الرحمة وأما الدبور فريح العذاب ومنه قوله صلى الله عليه وسلم

اللهم اجعل لهم ارباحا ولا تجعل لهم ارباحا وقوله تعالى (وليديقكم) أي هم (من رحمته) أي من نعمته
 من المياه العذبة والاشجار الرطبة وصحة الابدان وما ينبع ذلك من أمور لا يحصى فيها الاخالقها
 معطوف على مبشرات على المعنى كانه قيل لبشركم وليد يقكم أو على عله مخدوفة دل عليها
 مبشرات أو على يرسل بانما فعل معل دل عليه أي وليد يقكم أرسلها (وتجزي افلك) أي
 السفن في جميع البحار وما جرى مجراها عند هبوبها وانما زاد (بأمره) لان الرمح قد تهب ولا
 تكون موافقة فلا بد من ارساء السفن والاحتياط لحبسها وربما عصفت وأغرقت (ولتتبعوا)
 أي تطلبوا (من فضله) من رزقه بالتجارة في البحر (ولعلكم) أي ولتسكنوا اذا فعل بكم ذلك على
 رجاء من أنكم (تتشكرون) على ما أنتم عليكم من نعمه ودفع عنكم من نقمه * (تنبيه) * قال تعالى
 في ظهير الفساد ليديقهم بعض الذي عملوا وقال ههنا وليد يقكم من رحمته فخاطبهم ههنا
 تشريفا ولان رحمته قريب من المحسنين وحسنه فالحسن قريب فيخاطب والمسي بعيد فلم
 يخاطب وقال ههنا لبعض الذي عملوا فاضاف ما أصابهم الى أنفسهم وأضاف ما أصاب المؤمنين
 الى رحمته فقال تعالى من رحمته لان الكريم لا يذكر لرحمته واحسانه عوضا فلا يقول أعطيتك
 لانك فعلت كذا بل يقول هذا لك مني وأما ما فعلت من الحسنة فجزاؤه بعد عندي وأيضاف لو قال
 أرسلت لسبب فعلكم لا يكون بشارة عظيمة وأما اذا قال من رحمته كان غاية البشارة وأيضا
 فلو قال بما فعلتم لكان ذلك موهبا لقصان ثوابهم في الآخرة وأما في حق الكفار فاذا قال
 بما فعلتم أنباء عن نقصان عقابهم وهو كذلك وقال هناك لعلمهم يرجعون وقال ههنا لعلمهم
 تشكرون فلو اشارة الى ثوابهم للشكر في النعم وعطف على النعم قوله تعالى (واقعد
 أرسلنا) أي بما لنا من القوة وقال تعالى (من قبلك رسلا) تنبيه على أنه خاتم النبيين بتخصيص
 ارسال غيره بما قبل زمانه وقال (الى قومهم) اعلا ما بان أمر الله اذا جاء لا ينفذ فيه قريب
 ولا بعيد (لجأؤهم بالبينات) فانقسم قومهم الى مسلمين ومجبرمين (فآتينا) أي فكأن
 معاداة المسلمين للمجبرمين فينا سببا لانا آتينا بما لنا من العظمة (من الذين أخرجوا) أي أهلكت
 الذين كذبوهم لاجرامهم وهو قطع ما أمرناهم بوصله * ولما كان محط الفائدة الزامه سبحانه
 لنفسه بما تفضل به قدمه تعجلا للسرور ونطمينا للنفوس فقال تعالى (وكان) أي على سبيل
 النبات والدوام (حقا علينا) أي مما أوجبناه بوعدها الذي لا خلف فيه (نصر المؤمنين) أي
 العريقين في ذلك الوصف في الدنيا والآخرة ولم يزل هذا أبنائي كل ملة على مدى الدهر فلبعد
 هؤلاء مثل هذا وليأخذوا مثل ذلك أهبة لينظروا من المغلوب وهل ينفعهم شيء روى الترمذي
 وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه الا كان
 حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى وكان حقا علينا نصر المؤمنين قال
 البقاعي فالآية من الاحتيال أي وهو ان يؤتى بكلام من يحذف من كل منهما شيء يصحكون
 نظمهما بحيث تبدل ما أثبت في كل على ما حذف من الآخر فحذف أول الا هلاك الذي هو أثر
 الخذلان لدلالة النصر عليه وثانيا الانعام لدلالة الانتقام عليه * تنبيه تعالى على كمال قدرته فهو

الناسم للؤمنين بقوله تعالى (الله) أى وحده (الذى يرسل) مرة بعد أخرى (الرياح) مضطربة
هايجة بعد ان كانت ساكنة (فتثير حباباً) أى تزعجه وتشره (فيسطه) بعد اجتماعه
(في السماء) أى جهة العلو (كيف يشاء) فى أى ناحية شاء قليلاً تارة كسيرة ساعة وكثيراً أخرى
كسيرة أيام على حسب ارادته واختياره لادخل فيه لطبيعة ولاغيرها (ويجعلها) اذا اراد
(كسفاً) أى قطعاً غير متصل ببعضها ببعض اتصال يمنع نزول الماء وقرأ ابن عامر يسكون السين
يخلاف عن هشام والباقون ينتهجا (فتري) بسبب ارسال الله له أو بسبب جعله ذامساً وفروج
يا من هو من أهل الرؤية أو بأشرف خلقنا الذى لا يعرف هذا حق معرفته سواء (الودق) أى
المطر (يخرج من خلاله) أى السحاب الذى هو اسم جنس فى حلقى الاتصال والانفصال
(فاذا اصاب) أى الله (به) أى بالودق (من) أى أرض من (يشاء) ونبه على ان ذلك فضل منه
لا يجب عليه لاحد شئ أصلاً بقوله تعالى (من عباده) أى الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم
جديرون بـلازمة شكره والخضوع لامره (اذا هم يستشيرون) أى يظهر عليهم البشر وهو
السرور الذى تشمر له البشارة حال الاصابة ظهوراً بالغاء عظيم بما يرجوه مما يحدث عنه
من الاثر النافع من الخصب والرطوبة والين ثم بين تعالى عزهم بقوله تعالى (وان) اى والحال
أنهم (كانوا) فى الزمن الماضى (من قبل ان ينزل عليهم) أى المطر وقرأ أبو عمرو وابن كثير
بسكون النون وتخفيف الزاى والباقون بفتح النون وتشديد الزاى وقوله تعالى (من قبله)
من باب التكرير والتأكيّد كقوله تعالى فكان عاقبتهم ما أنهم ما فى النار خالدين فيها ومعنى التوكيد
فيه الدلالة على ان عهدهم بالمطر قد تطاول بعدما استحكم بأسهم وقوله تعالى (للمسلمين) إشارة
الى انه تمادى ابلاسهم فكان الاتيسار على قدر اهتداهم بذلك وقيل الاولى ترجع الى المطر
والثانية الى انشاء السحاب فلا تأكيّد (فانظر الى أثر رحمت الله) والرجة هى الغيث وأثرها
هو النبات وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائى بأنف بعد الماء المثلثة والباقون بغير ألف
ورحمت رحمت هذه مجرورة فوقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائى بالهاء والباقون بالتاء (كيف
يجي) أى الله (الارض) باخراج النبات (بعدموتها) أى يسهما (ان ذلك) أى القادر
العظيم الشأن الذى قدر على احياء الارض (لمحي الموقى) كلها من الحيوانات والنباتات أى
ما زال قادراً على ذلك كما قال تعالى (وهو على كل شئ قدير) لان نسبة
القدرة منه سبحانه وتعالى الى كل ممكن على حد سواء * ولما بين أنهم عند توقف النامى يكونون
آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين ان تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها بقوله تعالى
(ولئن أرسلنا) أى بعد وجود هذا الاثر الحسن (ريحا) عقبها (قرأوه) أى الاثر لان الرجة
هى الغيث وأثرها هو النبات وأثر الزرع لدلالة السياق عليه (مصفرأ) قديلاً وأندى التلّف
من شدة ييس الریح اما بالحرأ والبرد وقيل رأوا السحاب لانه اذا كان مصفر الم يعطر
ويجوز أن يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب * (تنبيه) * اللام وطمة للقسم
دخلت على حرف الشرط وقوله تعالى (انظروا) أى اصاروا (من بعده) أى اصفراره

(يكفرون) أى يأنسهم من روح الله جواب ستمسداً للجزء وذلك فسر بالاستقبال
 * (تنبيه) * سعى النافعة رياحاً والضارة ريحاً للوجوه أحدها أن النافعة كثيرة الأنواع كثيرة
 الأفراد فجمعها لأن في كل يوم وليلة تنهب نفحات من الرياح النافعة ولا تنهب الرياح الضارة
 في أعوام بل الضارة لا تنهب في الدهور ثانياً أنها النافعة لا تكون إلا رياحاً وأما الضارة فنفسخة
 واحدة تقبل كريح السموم ثالثاً حاجة في الحديث أن ريحاً هبت فقال عليه الصلاة والسلام
 اللهم اجعلها رياحاً ولا تجعلها ريحاً إشارة الى قوله تعالى فأرسلنا عليهم ريح العقيم وقوله
 تعالى ريحاً صرصر الى قوله تنزع الناس * ولما علم الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم وجوه
 الأدلة ووعداً ووعداً ولم يزد هم دعاءه الأفراد وكفراً وارصاداً قال تعالى (فإنك لا تسمع
 الموقن) أى ليس في قدرتك استماع الذين لا حياة لهم فلا تنظر ولا تسمع أو موقن القلوب استماعاً
 يتفهمهم لأنه مما اختص به الله تعالى وهو لا يمثل الأموات لأن الله تعالى قد ختم على مشاعرهم
 (ولا تسمع الصم) أى الذين لا سماع لهم (الدعاء) إذا دعوتهم * ولما كان الاسم قد
 يحس بدعائك إذا كان مقبلاً بحاسة بصره قال تعالى (إذا ولولوا) وذكر الفعل ولم يقل
 ولت إشارة الى قوة التولى له لا يظن أنه أطلق على المجازة مثلاً ولهذا قال تعالى (مدبرين)
 وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبشبهل الهمزة الثانية في الوصل والباقون بالتحقيق
 وإذا وقف جزء وهشام على الدعاء أبدل الهمزة ألفاً مع المدة والتوسط والتقصير (وما أنت
 بهادى العمى) أى عوجد لهم هداية (عن ضلالتهم) إذا ضلوا عن الطريق وقرأ حجة بن
 الخطاب مفتوحة وسكون الهاء والعمى بنصب الباء والباقون بالباء الموحدة مكسورة وفتح
 الهاء والعمى بالخفض * (تنبيه) * قد جعل الله تعالى للكافرين هذه الصفات وهو أنه شبهه
 أولاً بالمت وارشاد الميت بحال والمحال أبعد من الممكن ثم بالاصم وارشاد الاصم صعب فانه
 لا يسمع الكلام وانما يفهمهم بالإشارة والافهام بالإشارة صعب ثم بالاعمى وارشاد الاعمى
 أيضاً صعب فأنك إذا قلت له مثلاً الطريق عن يمينك فانه يدور الى يمينه لكنه لا يلقى عليه بل
 يصير عن قريب فارشاد الاصم أصعب ولهذا تكون العاشرة مع الاعمى أسهل من العاشرة مع
 الاصم الذى لا يسمع لأن غايته الافهام وليس كل ما يفهم بالكلام يفهم بالإشارة فإن المعلوم
 والغائب لا إشارة اليه فبدأ أولاً بالمت لأنه أعلى ثم بالادون منه وهو الاصم وقيد بقوله تعالى
 إذا ولوا مدبرين ليكون أدخل في الامتناع لأن الاصم وإن كان يفهم فانما يفهمهم بالإشارة فإذا
 ولى لا يكون نظره الى المشير فامتنع افهامه بالإشارة أيضاً ثم بأدنى منه وهو الاعمى لما مر ثم قال
 تعالى (إن) أى ما (تسمع) أى سماع افهام وقبول (الامن يؤمن بآياتنا) أى القرآن
 فأثبت للمؤمن استماع الآيات فلزم أن يكون المؤمن حياً جميعاً بصيراً الآن المؤمن ينظر
 في البراهين ويسمع زواجر الوعظ فتظهر منه الافعال الحسنة ويفعل ما يجب عليه (فهم
 مسلمون) أى مطيعون كما قال تعالى عنهم وقالوا سمعنا وأطعنا * ولما أعاد تعالى دليل الاتفاق
 بقوله تعالى الله الذى يرسل الرياح أعاد دليل السلام من دلائل الانفس وهو خلق آدمى وذكر

أحواله بقوله تعالى (الله) أى الجامع لصفات الكمال (الذى خلقكم من ضعف) أى ما دنى
 ضعف لقوله تعالى ألم تخلقكم من ماء مهين (ثم جعل من بعد ضعف) آخر وهو ضعف الطفولية
 (قوة) أى قوة الشباب (ثم جعل من بعد قوة ضعفا) أى ضعف الكبر (وشيبة) أى شيب الهرم
 وهى بياض فى الشعر يحصل أوله فى الغالب فى السنة الثالثة والاربعين وهو أول سن الاكتمال
 والاخذ فى النقص بالفعل بعد الحسنى الى أن يزيد النقص فى الثالثة والستين وهو أول سن
 الشيخوخة ويقوى الضعف الى ما شاء الله تعالى وقرأ أعاصم وحجة بخلاف عن حفص بفتح
 الضاد فى الثالثة وهو لغة غيم والمباقون بالضم وهو لغة قريش * ولما كانت هذه هى العادة
 الغالبة وكان الناس متفاوتين فيها وكان من الناس من يطعن فى السن وهو قوى وأنتج ذلك
 كله أنه لا بد أن يكون التصرف بالاختيار مع شمول العلم وتتمام القدرة قال تعالى (يخلق ما يشاء)
 أى من هذا وغيره (وهو العليم) بتدبير خلقه (القدير) على ما يشاء (فان قيل) ما الحكمة
 فى قوله تعالى هنا وهو العليم التدبير وقوله تعالى من قبل وهو العزيز الحكيم والعزة إشارة الى
 كمال القدرة والحكمة إشارة الى كمال العلم فتقدم القدرة هناك على العلم (أجيب) بأن المذكور
 هناك الاعادة بقوله تعالى وهو أهون عليه وله المثل الأعلى فى السموات والارض وهو العزيز
 الحكيم لان الاعادة بقوله تعالى كن فيكون فالقدرة هناك أظهر وهما المذكور الابداء وهو
 أطوار وأحوال والعلم بكل حال حاصل فالعلم ههنا أظهر ثم ان قوله تعالى وهو العليم التدبير فيه
 تبشير وانذار لانه اذا كان عالما بأحوال الخلق يكون عالما بأحوال المخلوق فان عملوا خيرا علمه وان
 عملوا شرا علمه ثم اذا كان قادرا وعلم الخير أثاب واذا علم الشر عقاب ولما كان العلم بالاحوال
 قبل الاثابة والعقاب اللذين هما بالقدرة والعلم قدم العلم وأما الآية الأخرى فالعلم تلك الاحوال
 قبل العقاب فتعال وهو العزيز الحكيم * ولما ثبت قدرته تعالى على البعث وغيره عطف على قوله
 أول السورة ويوم تقوم الساعة يسلس المجرمون (ويوم تقوم الساعة) أى القيامة سميت بذلك
 لانها تقوم فى آخر ساعة من ساعات الدنيا أولانها تسع بقعة أو اعلما بتبشيرها على الله تعالى
 وصارت علما عليهم بالاعبة كالكوكب للزهرة (يقسم) أى يحلف (المجرمون) أى الكافرون
 وقوله تعالى (مالئوا) جواب قوله تعالى يتسم وهو على المعنى اذ لوحكى قولهم بعينه لتسيل
 مالئنا أى فى الدنيا (غير ساعة) استقلوا أجل الدنيا لما عاينوا فى الآخرة وقال مقاتل والكلبي مالئوا
 فى قبورهم غير ساعة كما قال تعالى كأنهم يوم يرونهم يلبنوا الاعشى أو ضحاها وكما قال تعالى
 كأنهم يوم يرون ما وعدون لم يلبنوا الا ساعة من نهار وقيل فيما بين فناء الدنيا والبعث وفى
 حديث روى الشيخان ما بين الفتحين أربعون وهو محتمل للساعات والايام والاعوام (كذلك)
 أى مثل ذلك الصبر عن حقائق الامور الى شكوكها (كانوا) فى الدنيا كوناهم كالجبله لهم
 (يوسفون) أى يصرفون عن الحق فى الدنيا وقال مقاتل والكلبي كذبوا فى قولهم غير ساعة
 كما كذبوا فى الدنيا أن لا بعث والمعنى ان الله تعالى أراد ان يفتضحهم بخلقوا على شئ تبين لاهل الجمع
 انهم كاذبون فيه * ثم ذكر انكار المؤمنين عليهم بقوله تعالى (وقال الذين أوتوا العلم والايمن)

وهم الملائكة والانبياء والمؤمنون (لقد لبثتم في كتاب الله) أى فيما كتب الله لكم فى سابق
 علمه وقضائه وفى اللوح المحفوظ أو فيما وعده فى كتابه من الحشر والبعث فيكون فى كتاب
 الله متعلق بلبثتم وقال مقاتل وقادة فيه تقديم وتأخير معناه وقال الذين أوتوا العلم بكتاب الله
 والايان لقد لبثتم (الى يوم البعث) وفى تردى معنى الباء فردوا ما قال هؤلاء الكفار وحلقوا عليه
 وأطلعوهم على الحقيقة ثم وصلوا ذلك بتقريرهم على انكار البعث بقولهم (فهذا يوم البعث)
 الذى أنكرتموه وقرأ نافع وابن كثير وعاصم باظهار الراء المثلثة عند التاء المثناة والباقون
 بالادغام * (تنبيه) * سبب اختلاف القرئين أن الموعود بوعدها إذا ضرب له أجل ان علم أن
 مصيره الى النار وهو الكافر يستقل مدة البعث ويختار تأخير الحشر والابقاء فى القبر وان علم
 ان مصيره الى الجنة وهو المؤمن فيستكثر المدة ولا يريد تأخيرها فيختلف القرىبان وفى هذه
 الفاء قولان أظهرهما أنهما عاطفة هذه الجملة على لبثتم وقال الزنجشمرى هى جواب شرط مقدر
 أى ان كنتم منكرين البعث فهذا يوم البعث أى فقد تبين بطلان ما قلتم * ولما كان التقدير قد
 أتى فقد تبين أنه كما كتابه عالمين فلو كان لكم نوع من العلم لصدقتوا فى اخبارنا به فنعلمكم ذلك
 الآن عطف عليه قوله تعالى (ولكنكم كنتم) أى كوناهو كالجملة لكم فى انكاركم له (لأنتم لمون)
 أى ليس لكم علم أصلاً فقرر بطلانكم فى طلب العلم من أبوابه والتوصل اليه بأسبابه فلذلك كذبتم به
 فاستوجبتم جزاء ذلك التكذيب اليوم * ولما كانت الآيات دالة على أن هذه الدار دار عمل وان
 الآخرة دار جزاء وان البرزخ حائل بينهما فلا يكون فى واحدة منهما ما للآخرى تسبب عن ذلك
 قوله تعالى (فيومئذ) أى اذ يقع ذلك ويقول الذين أوتوا العلم تلك المقالة (لا تنفع الذين
 ظلموا معذرتهم) فى انكارهم له (ولا هم يستعجبون) أى لا يطلب منهم الرجوع الى
 ما رضى الله تعالى كما دعوا اليه فى الدين كما قولهم استعجبني فلان فأعقبته اى استرضاني
 فأرضيته وقرأ الكوفيون لا يتنفع بالياء التحية لأن المعذرة بمعنى العذر ولأن تأنيهاً غير حقيقى
 وقد فصل بينهما والباقون بالتاء الفوقية * ثم أشار تعالى الى ازالة الاعذار والايان بما فوق
 الكفاية من الانذار انه لم يبق من جانب الرسول صلى الله عليه وسلم تقصير بقوله تعالى (ولقد
 نذرنا) أى جعلنا (لناس فى هذا القرآن) أى فى هذه السورة وغيرها (من كل مثل) أى
 معنى غريب هو أوضح وأثبت من اعلام الجبال فى عبارتهى أشرق من سائر الامثال فان طلبوا
 شيئاً آخر غير ذلك فهو عند محض لان من كذب دليلاً حقيقاً لا يصعب عليه تكذيب الدلائل بل
 لا يجوز للمستدل أن يشترع فى دليل آخر بعد ذكر دليله لا جديداً مستقيماً ظاهر الاشكال عليه
 وعنده الخصم وهذا من العالم فكيف بالنبي صلى الله عليه وسلم (فان قيل) الانبياء عليهم الصلاة
 والسلام ذكروا أنواعاً من الدلائل (أجيب) بأنهم سردوها سرداً ثم قرروا فرداً فرداً كمن يقول
 الدليل عليه من وجوه الاول كذا والثانى كذا والثالث كذا وفى مثل هذا عدم الالتفات الى
 عند العائد لانه يرد تنبييع الوقت كى لا يتمكن المستدل من الايمان بجميع ما وعده من
 الدليل فتحط بدرجة والى هذا أشار بقوله تعالى (ولئن) اللام لام قسم (جنتهم) بأفضل

الخلق (بآية) مثل العصا واليد الموصى عليه السلام (ليقولن الذين كفر وا) منهم (ان) أى ما
 (أنتم الأمطلون) أى أصحاب أبا طيل (فان قيل) لم وحده في قوله تعالى جنتهم وجمع في قوله تعالى
 ان أنتم (أجيب) بأن ذلك لسكنة وهى انه تعالى أخبر في موضع آخر فقال ولئن جنتهم بكل آية
 أى جاءت بها الرسل فقال الكفار ما أنتم أيها المدعون الرسالة كالكمم الا كذا وقال الحلال
 المحلى ان أنتم أى محمد وأصحابه وأما الذين آمنوا فيقولون نحن بهذه الآية مؤمنون (كذلك)
 أى مثل هذا الطبع العظيم (يطبع الله) أى الذى له العظمة والكمال (على قلوب الذين
 لا يعلمون) توحيد الله (فان قيل) من لا يعلم شيئاً أى فائدة في الاخبار عن الطبع على قلبه
 (أجيب) بأن معناه أن من لا يعلم الا أن قد طبع على قلبه من قبل ثم انه تعالى سلى بيده صلى الله
 عليه وسلم بقوله تعالى (فاصبر) أى على اذارهم مع هذا الجفاء والرد بالباطل والاذى فان
 الكل فعلنا لم يخرج منه شئ عن ارادتنا (ان وعد الله) أى الذى له الكمال ~~كله~~ بنسرك
 واطهار دينك على الدين كله وفي كل ما وعده (حق) أى ثابت جداً بباطنه الواقع كيكشف
 عنه الزمان وتأتى به مطايا الحدوث * ولما كان التشديد فلا تجل عطف عليه قوله تعالى (ولا
 يستخفنيك) أى يحملك على الخفة ويطلب أن تتخف باستهجال النصر خوفاً من عواقب تأخير
 وتفسيرك عن التبليغ (الذين لا يؤقنون) أى أذى الذين لا يصدقون بوعدنا من البعث
 والحشر وغير ذلك تصديقاً بآياتي القلب بل هم اما شاكون وأدى شئ يرزأ لهم كمن يعبد الله
 على حرف أو مكذبون فهم بالغون في العداوة والتكذيب حتى انهم لا يصدقون في وعد الله بنصر
 الروم على فارس كأنهم على ثقة وبصيرة من أمرهم في أن ذلك لا يكون فاذا صدق الله وعده
 في ذلك باظهاره عن قرب علموا كذبهم عياناً وعلموا ان كان لهم علم أن الوعد بالساعة لا قامة
 العدل على الظالم والعود بالنصر على المحسن كذلك يأتي وهم صاغرون ويحشرون وهم
 داخرون وسيعلم الذين ظلموا أى من تلج يتلقون فقد انعطاف آخر السورة على أولها وانصل به
 اتصال القريب بالتريب وهما أنا سؤال الله تعالى القريب المحيب أن يغفر ذنوب من كتب هذا
 وهو محمد الشريفي الخطيب ويفعل ذلك بوالديه وأولاده ومشائخه وكل محبه له وحبيب وقول
 البضاوى تبعاً للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الروم كان له من الاجر
 عشر حسنات بعدد كل ملك يسبح الله بين السماء والارض وأدرك ما صنع في يومه ولبسته
 حديث موضوع رواه الثعلبي في تفسيره والله تعالى أعلم بالصواب

❖ (سورة لقمان مكية) ❖

أوالاولو أن ما في الارض من شجرة اقلام الايتين وهى أربع أو ثلاث وثلاثون آية وخسمائة
 وثمان وأربعون كلمة والثمان ومائة وعشرة أحرف (بسم الله) أى الذى وسع كل شئ رجة وعلما
 (الرحمن) الذى شملت نعمته سائر برية (الرحيم) بأوليائه نخصهم بعرفته قوله تعالى (الم) تنلهم
 الكلام عليه في أول سورة البقرة وقيل انه أشار بذلك الى أن الله الملك الاعلى أرسل جبريل عليه
 السلام الى محمد صلى الله عليه وسلم بوحى ناطق من الحكم والاحكام بما لم ينطق به من قبله امام

ولا يلحقه في ذلك شيء مدى الايام فهو المبدأ وهو الختام والى ذلك أو ما يتبعه باداة البعدى قوله تعالى (تلك) أى الآيات التى هى من العلو والعظمة بمكان (آيات الكتاب) أى الجامع لجميع أنواع الخير (الحكيم) بوضع الاشياء فى حوائج مراتبها فلا يستطاع نقص شيء من ابرامه ولا معارضة شيء من كلامه الدال ذلك على تمام علم منزله وشمول عظيمته وقدرته والاضافة بمعنى من وقوله تعالى (هدى ورجة) بالرفع وهى قراءة حرة مبتدأ مضمرة هى أو هو وقرأ الباقون بالنصب على الحال من آيات والعامل ما فى اسم الاشارة من معنى الفعل وقال تعالى (للمحسنين) اشارة الى أن رحمة الله قريب من المحسنين فانه تعالى قال فى البقرة ذلك الكتاب ولم يقل الحكيم وههنا قال الحكيم لانه لما زاد ذكر وصف فى الكتاب زاد ذكر من أحواله فقال هدى ورجة وقال هناك هدى للمتقين فتقوله تعالى هدى فى مقابلة قوله تعالى الكتاب وقوله تعالى ورجة فى مقابلة قوله تعالى الحكيم ووصف الكتاب بالحكيم على معنى ذى الحكمة كقوله تعالى فى عبثه راضية أى ذات رضا وقوله تعالى هناك للمتقين وقول تعالى هنالك للمحسنين لانه لما ذكر أنه هدى ولم يذكر شيئا آخر قال للمتقين أى يهدى به من يتقى الشرك والعناد وههنا زاد قوله تعالى ورجة فقال للمحسنين كما قال تعالى للذين أحسنوا الحسنى وزيادة فناسب زيادة قوله تعالى ورجة ولأن المحسن يتقى وزيادة ثم وصف المحسنين بقوله تعالى (الذين يقيمون الصلاة) أى يجعلونها كأنها قائمة بسبب اتقان جميع ما أمر به فيها وندب اليه ودخل فيها الحج لانه لا يعظم البيت فى كل يوم خمس مرات الا معظم له بالحج فعلا أو قوة (ويؤتون الزكاة) أى كلها فدخل فيها الصوم لانه لا يؤدى زكاة الفطر الا من صامه فعلا أو قوة * ولما كان الايمان أساس هذه الاركان وكان الايمان بالبعث جامعاً لجميع أنواعه وحامله على سائر وجوه الاحسان قال تعالى (وهم بالآخرة) أى التى تقدم أن المجرمين عنها غافلون (هم يوقنون) أى يؤمنون بها ايمان موقن فهو لا يقبل شيئاً فى الايمان ولا يغفل عنه طرفه عين فهو فى الذرة العليا من ذلك فهو بعد الله تعالى كأنه يراه فآية البقرة بداية وهذه نهاية * ولما كانت هذه الخلال أهميات الافعال الموجبة للكمال وكانت مساوية من وجه لآية البقرة ختمها بختامها بعد أن زعمها بزعامها فقال (أولئك) أى العالو الرتبة الحائزون من منازل القرب أعظم رتبة (على هدى) أى يتمكنون منه تمكن المستعنى على الشيء وقال (من ربهم) تذكير الهمة بأنه لولا احسانه لما وصلوا الى شيء ليلزموا تمريغ الجباه على الاعتاب خوفاً من الاجاب (وأولئك هم المفلحون) أى الظافرون بكل مراد * ولما بين سبحانه وتعالى حال من تحلى بهذا الحال فترقى الى حلية أهل الكمال بين حال اضدادهم بقوله تعالى (ومن الناس من يشتري لهو الحديث) أى ما يلهى عما يعنى كالحديث التى لا أصل لها والاساطير التى لا اعتبار فيها والمضاحك وفضول الكلام (فان قيل) ما معنى اضافة الله الى الحديث (أجيب) بأن معناها التبيين وهى الاضافة بمعنى من وان يضاف الشيء الى ما هو منه كقوله جبة خز وباب سراج والمعنى من يشتري الله من الحديث لان الله هو يكون من الحديث ومن غيره فبين بالحديث

والمراد بالحديث الحديث المنكر كما جاء في الحديث الحديث في المحدث بأكل الحسنة كما
تأكل البهيمة الحشيش ويجوز أن تكون الاضافة بمعنى من التبعية كما أنه قيل ومن الناس
من يشتري بعض الحديث الذي هو اللهو قال السكبي ومقاتل نزلت في النضر بن الحرث بن
كلدة كان يبيع ربايا الحيرة ويشتري أخبار العجم ويحدث بها قريشا ويقول إن محمدا يحدثكم
بحديث عاد وغود وأنا أحدثكم بحديث رستم وأسفنديار وأخبار الأكلسة فيستمطون
حديثه ويتركون استماع القرآن فأنزل الله تعالى هذه الآية وقال مجاهد يعني شراء المغنيات
والمغنين ووجه الكلام على هذا التأويل من يشتري ذات أو ذا اللهو الحديث وقيل كان
النضر يشتري المغنيات ولا يظفر بأحد يريد الإسلام الا انطلق به الى قينة فيقول أطمعني واسقني
وغنيه ويقول هذا خير لك مما يدعوك اليه محمد من الصلاة والصيام وأن تقابل بين يديه وعن
أبي امامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يجل تعليم الغنيات ولا يبعهن وأنما هن
حرام وفي مثل هذا نزلت الآية وما من رجل يرفع صوته بالغناء إلا بعث الله عليه شه طانين
أحدهما على هذا المنكب والآخر على هذا المنكب فلا يزالان يضربانه بأرجلهما حتى يكون
هو الذي يسكت وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن
ثمن الكلب وكسب المزمار وقال مكحول من اشتري جارية ضاربة ليسكها لغناها
وضربها مقيم عليه حتى يموت لم أصل عليه ان الله تعالى له يقول ومن الناس من يشتري لهو
الحديث الآية وعن الحسن وغيره قالوا اللهو الحديث هو الغناء والآية نزلت فيه ومعنى يشتري
لهو الحديث يستبدل ويختار الغناء والمزامير والمعارف على القرآن وقال أبو الصهباء سألت ابن
مسعود عن هذه الآية فقال هو الغناء والله الذي لا اله الا هو يرددها ثلاث مرات وقال ابراهيم
النعيمي الغناء ينبت النفاق في القلب قال وكان أصحابنا يأخذون بأقواء السكك يجرقون
الدفوف وقال ابن جريج لهو الحديث هو الطبل وقال الضحاك هو الشرك وقال قتادة هو كل
لهو ولعب وقيل الغناء منقذة للمال مسخطة للرب مقسدة للقلب (بضل عن سبيل الله) أي
الطريق الواضح الموصل للملك الاعلى المستجمع لصفات الكمال ضد ما كان عليه المحسنون من
الهدى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وفتح الباء قبل الضاد من الضلالة بمعنى لينتبه على ضلاله
والباقون بضمها ونكر قوله تعالى (بغير علم) ليفيد السلب العام لكل نوع من أنواع العلم
أي لانه لا علم بشئ من حال السبيل ولا حال غيرها علما يستحق اطلاق العلم عليه (فان قيل)
ما معنى قوله تعالى بغير علم (أجيب) بأنه تعالى لما جعله مشتريا للهو الحديث بالقرآن قال
يشتري بغير علم بالتجارة وبغير بصيرة بما حيث يستبدل الضلال بالهدى والباطل بالحق ونحوه
قوله تعالى فما ربحت تجارتهم وما كانوا مهتدين أي وما كانوا مهتدين بالتجارة وبصراء بها
(ويتخذها) أي السبيل التي لا أشرف منها مع ما ثبت له من الجهل المطلق (هزوا) أي مهزوا
بها وقرأ حزة والكسائي وحفص بنص المذال عطفا على يضل والباقون بالرفع على يشتري
وسكن حزة زاي هزوا وضما الباقون * ولما افتتح هذا الشق الدائم بينه بقوله تعالى

(أولئك) أى هؤلاء البعداء البغضاء (لهم عذاب مهين) لاهاتهم الحق باستقنار الباطل عليه
 * ولما كان الانسان قد يكون غافلا فاذنبه اتقنيه سبحانه وتعالى على ان هذا الانسان المتهمك
 فى أسباب الخسران لا يزداد على ممر الزمان الامنافاً لذلك ما يرد عليه من البيان بقوله تعالى
 (واذ اتلى عليه آياتنا) أى تجدد عليه تلاوتهم أى تلاوة القرآن من كل نال كان (ولى) أى بعد
 السماع مطلق التولية سواء كان على المجانبية أو مدبراً (مستكبراً) أى طالباً للكبر موجداً
 له بالاعراض عن الطاعة (كان) أى كأنه لم (يسمعها) فهو لم يزل على حالة الكبر (كان
 فى أذنيه وقراً) أى صمماً يستوى معه تكليم غيره له وسكونه * (تنبيه) * جلستما التشبيه حالان
 من ضمير ولى أو الثانية بيان للاولى وقراً نافع يسكون الذال والباقون بضمه * ولما تسبب
 عن ذلك استحقاقه لما يزيل كبره وعظمته قال تعالى (فنبهه) أى أعلمه (بعذاب أليم) أى
 مؤلم وذكر البشارة تهكم به وهو النضر من الحرث كما رتت الاشارة اليه * ولما بين تعالى حال
 المعرض عن سماع الآيات بين حال من يقبل على تلك الآيات بقوله تعالى (ان الذين آمنوا)
 أى أوجدوا الايمان (وعملوا) أى تصديقاً له (الصالحات لهم جنات) أى بساكن (النعيم)
 أى نعيم جنات فمكس للمبالغة كما أن هؤلاء العذاب المهين ووجد العذاب وجمع الرحمة اشارة
 الى أن الرحمة واسعة أكثر من الغضب * ولما كان ذلك قد لا يكون دائماً وكان السرور وشئ
 قد ينقطع قال تعالى (خالدين فيها) أى دائماً وقوله تعالى (وعدا الله) أى الذى لا شئ أجل
 منه مصدره وقدر نفسه لأن قوله تعالى جنات فى معنى وعدهم الله تعالى ذلك وقوله تعالى
 (حقاً) ممدوم كدفعه أى لمضمون تلك الجملة الاولى وعاملهما مختلف فتقدير الاولى وعد
 الله ذلك وعداً وتقدير الثانية أحق ذلك حقاً كدفع الجنات ولم يؤد كالعذاب المهين
 (وهو العزيز) أى فلا يقبله شئ (الحكيم) أى الذى لا يضيع شيئاً الا فى محله * ولما ختم بصفى
 العزة وهى غاية القدرة والحكمة وهى غرة العلم دل عليها بانهان أفعاله بقوله تعالى (خلق
 السموات) على علوها وكبرها ووضخامتها (بغير عمد) وقوله تعالى (ترونها) فيه وجهان
 أحدهما انه راجع الى السموات اذ لم يت بعد أصلاً وأنتم ترونها كذلك بغير عمد الثانى
 انه راجع الى العمد ومعناه بغير عمد مرئية وعلى كلا الوجهين هى ثابتة لا تزول وليس ذلك الا
 بقدرة قادر مختار * (تنبيه) * أكثر المفسرين ان السموات مبسوطة كصف مستوية لقوله
 تعالى يوم تطوى السماء كطي السجل للكتب وقال بعضهم انها مستديرة وهو قول جميع
 المهندسين والغزالي رحمه الله تعالى حيث قال ونحن نوافقههم فى ذلك فان لهم على دليل من
 المحسوسات ومخالفة الحس لا تجوز وان كان فى الباب خبر يؤول بما يحتله فضلاً عن أن ليس
 فى القرآن والخبر ما يدل على ذلك صريحاً بل فيه ما يدل على الاستدارة كقوله تعالى كل فى فلك
 يسبحون والفلك اسم لشيء مستدير بل الواجب أن السموات سواء كانت مستديرة أو مربعة
 مستقيمة هى مخلوقة لله تعالى باختيار لا بايجاب وطبع * ولما ذكر تعالى العمد المقلدة ذكر الاوتاد
 المقررة بقوله تعالى (وألقى فى الارض) أى التى أنتم عليها اجبالاً (دواسى) والعجب أنهم من فوقها

وجميع الرواسي التي تعرفونها تكون من تحت تبيينها عن (أن تعبد) أي تعبدكم (بكم) كما هو
 شأن ما على ظهر الماء (وبث) أي فرق (فيها من كل دابة) وقوله تعالى (وأولنا) أي بما
 لنا من القوة (من السماوات) فيه الثقات عن الغيبة * ولما تسبب عن ذلك تدبير الاقوات
 وكان من آثار الحكمة التابعة للعلم دل عليه بقوله تعالى (فأثبتنا) أي بمالكنا من العلو
 في الحكمة (فيها) أي الارض بمحفظ الماء بترابها (من كل زوج) أي صنف من النبات
 متشابه (كريم) بما لمن الهبة والنصرة الجالبة للسرور وفي هذا دليل على عزته التي هي
 كمال القدرة وحكمته التي هي كمال العلم ومهدية قاعدة التوحيد وقزرها بقوله تعالى (هذا)
 أي الذي تشاهدونه كله (خلق الله) أي الذي له جميع الكمال فلا يكلف له فان ادعيت ذلك
 (فأروى ماذا خلق الذين من دونه) أي غيره بكم بأن هذه الاشياء العظيمة مما خلقه تعالى
 وأنشأه فأروى ما خلقه آلهتكم حتى استوجبوا عندكم العباداة * (تنبيه) * ما استتبعها من
 انكار مبتدأ وذاعني الذي بصلته خبره وأروى معلق عن العمل وما بعده ستسدد المنعولين
 ثم أضرب عن تكبيتهم بقوله تعالى (بلى) منها على أن الجواب ليس لهم خلق هكذا كان
 الاصل ولكنه قال تعالى (الظالمون) أي العريضون في الظلم نعيمها وتبينها على الوصف
 الذي أوجب لهم كونهم (في ضلال) عظيم جدا محيط بهم (مبين) أي في غاية الوضوح وهو
 كونهم يضعون الاشياء في غير مواضعها لانهم في مثل الظلام لا نور لهم لانفجابه شمس الانوار
 عنهم بجمل الهوى فلا حكمة لهم ثم انه تعالى لما تفاها عنهم أثبت البعض أوليائه بقوله تعالى
 (ولقد آتينا) بما لنا من العظمة والحكمة (لقمان) وهو عبد من عبيدنا المطيعين لنا (الحكمة)
 وهو العلم المراد بالعمل أو العمل المحكم بالعلم قال ابن قتيبة لا يقال لشخص حكيم حتى يجمع له
 الحكمة في القول والفعل قال ولا يسمى المتكلم بالحكمة حكما حتى يكون عاملا بها وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما هي العقل والنهم والسطنة واختلاف في نسبه وفي سبب حكمته فتدل
 هو لقمان بن باعورا ابن اخت أيوب عليه السلام وأبو ابن خالته وقيل كان من أولاد آزر وعاش
 أئسنة وأدرك داود عليه السلام وأخذ عنه العلم وكان يفتي قبل مبعث داود عليه السلام
 فلما بعث قطع الفتوى فقبل له فقال الا أكتفي اذا كتفت وقيل كان قاضيا في بني اسرائيل
 وأكثر الاقاييل انه كان حكما ولم يكن نبيا أخرج ابن أبي حاتم عن وهب بن منبه انه سئل
 أكان لقمان نبيا قال لا لم يوح اليه وكان رجلا حكما وعن ابن عباس لقمان لم يكن نبيا ولا
 ملكا ولا نبي كان راعيا أسود ورزقه الله تعالى العتق ورزى قوله وصيته فقص أمره
 في القرآن لتتمسكوا بوصيته وقال ابن المسيب كان أسود من سودان مصر خياطا وقال مجاهد
 كان عبدا أسود غليظ الشفتين مشفق القدمين وقيل كان نجارا وقيل كان راعيا وقيل كان
 يختطب لمولاه كل يوم حزمة حطب وقال عكرمة والشعبي كان نبيا وقيل خير بين النبوة
 والحكمة فاختر الحكمة وعنه انه قال لرجل ينظر اليه ان كنت ترى أسود فقلني أبيض
 وعن عكرمة قال كان لقمان أهون مملوك على سيده وأقول ما روى من حكمته أنه بيناهو

مع مولاه اذ دخل المخرج وأطال فيه الجلوس فنادى لقمان ان طول الجلوس على الحاجة يسير
 منه الكبد ويكرب منه الباسور ويصعد الحز إلى الرأس فخرج وكتب حكمته على الحش قال
 وسكر مولاه فحاطر قوماعلى أن يشرب ماء بحيرة فلما أفاق عرف ما وقع منه فدعا لقمان فقال
 لمثل هذا كنت أخبوك قال اجتمعهم فلما اجتمعوا قال على أى شئ خاطرتوه قالوا على أن
 يشرب ماء هذه البحيرة قال فإن إلهاموا ذفا حبسوا موادها عنه قال وكيف نستطيع أن نجبس
 موادها قال فكيف يستطیع أن يشربها ولها مواد وأخرج الحكميم الترمذی فی نوادر
 الاصول عن أبي مسلم الخولاني قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لقمان كان عبدا كثير
 التفكر حسن الفطن كثير الصمت أحب الله فأحبه الله فبنى عليه بالحكمة نودى بالخلافة
 قبل داود فقبل له بالاقمان هل لك أن يجعلك الله خليفة في الارض تحكم بين الناس قال
 لقمان ان أجبرتني ربي قبلت فاني أعلم أنه ان فعل ذلك أعاني وعلمي وعصمتي وان خيرني
 اخترت العافية ولم أسأل البلاء فضالت الملائكة بالاقمان لم قال لان الحاصم بأشد
 المنازل وأكدرها يغشاها الظلم من كل مكان فيخذل أو يعان فان أصاب فبالحرى أن
 ينجو وان أخطأ أخطأ طريق الجنة ومن يكن في الدنيا ذليلا فهو خير من أن يكن شريفا ضائعا
 ومن تغير الديناعلى الآخرة فته الدنيا ولا يصيب الآخرة فنجبت الملائكة من حسن منطقة فنام
 نومة فأعطى الحكمة فاتبه وهو يتكلم بها ثم نودى داود بعده بالخلافة فقبلها ولم يشترط
 ما اشترط لقمان فوقع في النسي حكاه الله عنه فصيح الله تعالى عنه وتجاوز وكان لقمان يوازره
 أى يساعده بعلمه وحكمته فقال داود طوبى لك بالاقمان أوتيت الحكمة فصرفت عنك
 البلية وأوتى داود الخلافة فاقبل بالذنب والفتنة وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال خير الله
 تعالى لقمان بين الحكمة والنبوة فاختر الحكمة فأناب جبريل وهو نائم فذرت عليه الحكمة
 فأصبح ينطق بها فقبل له كيف اخترت الحكمة على النبوة وقد خيرك ربك فقال انه لو أرسل
 الى بالنبوة عزمة ترجوت فيها الفوز منه ولكنك أرجو أن أقوم بها ولو كنته خيرني فخفت
 أن أضعف عن النبوة فكانت الحكمة أحب الى وروى انه دخل على داود وهو يصنع
 الدر وع وقد لين الله له الحديد كالطين فأراد أن يسأله فادركته الحكمة فسكت فلما أتمها
 لبسها وقال نعم لبوس الحرب أنت فقال الصمت حكمه وقليل فاعله فقال له داود لحق
 قامميت حكما وروى ان مولاه أمره بدمج شاة وبأن يخرج منها أطيب مضغتين فأخرج
 اللسان والقلب ثم أمره بمثل ذلك وأن يخرج أخبث مضغتين فأخرج اللسان والقلب
 فسأله عن ذلك فقال هما أطيب ما فيها اذا طابا وأخبث ما فيها اذا خبثا وروى انه لقبه بـ رجل
 وهو يتكلم بالحكمة فقال ألسنت فلان الراعي فيم بلغت ما بلغت قال بصدق الحديث
 وأداء الأمانة وترك الملايين وعن ابن المسيب انه قال لاسود لا تحزن فانه كان من خير
 الناس ثلاثة من السودان بلال ومهجع مولى عمر ولقمان كان أسود نوبيا
 ذامشافر وروى سادات السودان أربعة لقمان الحبشي والنجاشي وبلال ومهجع وعن

أي هزيمة النبي صلى الله عليه وسلم قال الحكمة عشرة أجزاء تسعة منها في العزلة وواحد
 في الصمت وقال لقمان لا مال كحصه ولا نعيم كطيب نفس وقال ضرب الوالد لولده كالسماد
 للزروع * ولما كانت الحكمة هي الاقبال على الله قال الله تعالى (أن اشكرته) أي وقلنا له
 أن اشكر الله على ما أعطاك من الحكمة (ومن يشكر) أي يجتهد بالشكروية معاهده بنفسه
 كأنه من كان (فانما يشكر لنفسه) أي لأن ثواب شكره (ومن كفر) أي النعمة (فإن الله
 غني) عن الشكرو وغيره (حيد) أي له جميع المحامد وإن كفره جميع الخلق (و) اذكر
 (إذا قال لقمان لابنه وهو بعظه يا بني) تصغيرا شفاقا وقرأ حصص يفتح الباء وسكنها ابن كثير
 وكسرهما الباقيون (لا تشرك بالله) أي الملك الاعظم (أن الشريك) أي بالله (الظلم عظيم)
 فرجع اليه وأسلم ثم قال له أيضا يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة بأيتك الفرج من غير بضاعة
 يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فإن الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشبهك الدنيا يا بني
 لأنك كل شبعان شبع فأنك أن تلبسه للكل خير من أن تاكله يا بني لا تشكروني أنجز من هذا
 الديك الذي يصوت بالاسحار وأنت النائم على فراشك يا بني لا تؤخر التوبة فإن الموت يأتي بغتة
 يا بني لا ترغب في ود الجاهل فترى أنك ترضى عمله يا بني اتق الله ولا ترى الناس أنك تخشى
 بكرمولك بذلك وقلبك فاجر يا بني ندمت على الصمت قط فإن الكلام إذا كان من فضة كان
 السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر كما يعتزلك فإن الشر لا يتركك يا بني وشدة الغضب
 فإن شدة الغضب محقة لقواد الحكيم يا بني عليك بمجالس العلماء واستمع كلام الحكماء فإن الله
 تعالى يحب القلب الميت بنور الحكمة كما يحب الأرض بوابل المطر فإن من كذب ذهب ماء
 وجهه ومن ساء خلقته كثرت غمه ونسل الخور ومن مواضعها يسر من افهام من لا يفهم يا بني
 لا ترسل رسولا جاهلا فإن لم تجد حكما فكن رسول نفسك يا بني لا تنكح أمة غيرك فتورث نفسك
 حرناطوب لا يا بني يأتي على الناس زمان لا تقرب فيه عين حليم يا بني اختر المجالس على عينك فإذا
 رأيت المجلس يذكرك فيه الله عز وجل فاجلس معهم فإنك إن نك عالميا فنعك علمك وإن نك غيبيا
 يعلوك وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصيبك معهم يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكرك فيه
 الله تعالى فإنك إن تكن عالما لا تنتفع علمك وإن تكن غيبا يزيدك غباوة وإن يطلع الله تعالى
 عليهم بعد ذلك بسخط يصبك معهم يا بني لا يأكل طعاما إلا الاثمية وشاؤ في أمرك العلماء
 يا بني إن الدنيا أمر عميق وقد غرق فيها ناس كثير فاجعل سفينة قلبك فيها تقوى الله وحشوها
 الايمان بالله وشراءها التوكل على الله علمك أن تنجو ولا أراك ناجيا يا بني اني جئت الجفدل
 والحديد فلم أجعل شيئا أثقل من جار السوء وذقت المرارة كالحافلم أذق أشد من الفقر يا بني كن
 ممن لا يتبعي محمدا الناس ولا يكسب مذمتهم فنفسه عنهم في غنى والناس منه في راحة يا بني إن
 الحكمة أجلس المساكين بمجالس الملوك يا بني جالس العلماء وزاجهم بركبتك فإن الله يحب
 القلوب بنور الحكمة كما يحب الأرض الميتة بوابل السماء يا بني لا تعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم
 يا بني إذا أردت أن تواخي رجلا فأغضبه قبل ذلك فإن أنصفك عند غضبه والا فاحذر يا بني أنك

منذ نزلت الى الدنيا استدرت بها واستقبلت الاخرة فدارأت اليها تسيراً أقرب من دارأت عنها
تعاود يا بني عودك انك أن يقول اللهم اغفر لي فان الله ساعات لا ترد يا بني اياك والدين فانه ذل
النهار وهم الليل يا بني ارج الله رجاء لا يجزئك على معصيته وخف الله خوفا لا يؤيسك من
رجته اه وانما كثر من ذلك اهل الله ينفعني ومن طالعه بذلك رسياني في كلام الله تعالى
زيادة على ذلك واقتصرت على هذا التدبر والافواظ له لانه لو أراد شخص الاكثار منها
لجعل منها مجلدات فقد أخرج ابن أبي الدنيا عن حفص بن عمر الكندي قال وضع لثمان
عليه السلام جراباً من خردل الى جنبه وجعل يعط ابنه موعظة ويجز خردل فنفذ الخردل
فقال يا بني وعظتك موعظة لو وعظتها جبالاً لقطر قطراته فسبحان من يعز ويذل ويعني ويفقر
ويثني ويعرض ويرفع من يشاء وان كان عبداً فلا بدع أن يخص محمد صلى الله عليه وسلم ذاك النسب
العالى والمنصب المنيف بالرسالة من بين قريش وان لم يكن من أهل الدنيا المتعظمين بها
* ولما ذكر سبحانه ما وصى به ولده من شكر المنعم الاول الذي لم يشركه في ايجاده أحد
وذكر ما عليه الشرك من القطاعة والشناعة أتبعه وصيته سبحانه للولد بالدلالة كونه المنعم
الثاني بالسببية في وجوده بقوله تعالى (ووصينا الانسان بوالديه) أي أمرناه ان يبرهما
ويطيعهما ويقوم بهما ثم بين تعالى السبب في ذلك بقوله تعالى (حلتهم أمه وهن) أي حال
كونهم اذات وهن بحمله وبالغ في جعلهما نفس النعل دلالة على شدة ذلك الضعف (على وهن)
أي ضعف الحمل وضعف الطاق وضعف الولادة ثم أشار الى ما له عليه من المنة بعد ذلك بالشفقة
وحسن الكفالة وهو لا يتلك لنفسه شيئاً بقوله تعالى (وفصاله) أي فطامه من الرضاعة بعد
وضعه (في عامين) تقاسم فيهما في منامه وقيامه ما لا يعلمه حق علمه الله تعالى (فان قيل)
وصى الله تعالى بالوالدين وذكر السبب في حق الام مع ان الاب وجده منه أكثر من الام لانه
حمله في صلبه سنين ووراه بكسبه سنين فهو أبلغ (أجيب) بان المشقة الحاصلة للام أعظم فان
الاب حمله خفيفاً لكونه من جلد جسده والام حملته ثقيلاً آدمياً مودعاً فيها وبعد وضعه وتربيته
لبلائهم اراوينهم ما لا يخفى من المشقة ومن ثم قال صلى الله عليه وسلم لمن قال له من ابرأ منك
ثم أملك ثم أملك ثم قال بعد ذلك ثم أبالك وقوله تعالى (ان اشكركم) لاني المنعم في الحقيقة
(ولو الدين) أي انكوني جعلت ما سبب لوجودك والاحسان بتريتك لنفسك لوصينا وأعدله
ثم علل الامر بالشكر محذراً بقوله تعالى (الى) لاني غيري (المصير) فأحاسبك على شركك
ومعاصبك وعن القيام بحقهما قال سفيان بن عيينة في هذه الآية من صلى الصلوات الخمس
فقد شكر الله ومن دعا لوالديه في ادبار الصلوات الخمس فقد شكر لوالدين * ولما ذكر تعالى وصيته
بهما وأكد حقه بهما أتبعه الدليل على ما ذكرناه من قباحة الشرك بقوله تعالى (وان جاهداك)
أي مع ما أمرتك به من طاعتها (على ان تشرك بي) وقوله تعالى (ماليك لبي) موافق
للواقع لانه لا يمكن ان يدل علم من أنواع العلوم على شيء من الشرك بل العلوم كلها تدل على
الوحداية * ولما قرر ذلك على هذا المنوال البديع قال مسبغته (فلا تطعهما) أي في ذلك

ولواجمة على المجاهدة لك عليه بل خالفهما وان أدى الامر الى السيف فجاهدهما به لان
 أمرهما بذلك مناف للعكمة حامل على محض الجور والسنة ففيه تنبيه لقريش على محض الغلط
 في التقليد لا بآتهم في ذلك وربما أفهم ذلك الاعراض عنهم بالكية فلهدا قال تعالى (وصاحبهما
 في الدنيا) أى في أمورهما التى لا تتعلق بالدين مادمت حياهما (معروفا) ببرهما ان كانا على
 دين يقران عليه ومعاملتهما بالحلم والاحتمال وما تنهيه مكارم الاخلاق ومعالي الشيم * وبما
 كان ذلك قد يجزى الى نوع وهن في الدين ببعض محاباة نفي ذلك بقوله تعالى (وأتبع) أى بالغ
 في أن تتبع (سبيل) أى دين طريق (من أتاب) أى أقبل خاضعا (الى) لم يلتفت الى عبادة
 غيرى وهم المخلصون فان ذلك لا يخرجك عن برهما ولا عن توحيد الله تعالى ولا عن الاخلاص له
 * (تنبيه) في هذا حديث على معرفة الرجال بالحق وأمر بذكر المشايخ وغيرهم على محك الكتاب
 والسنة فمن كان عمله موافقا لهما اتبع ومن كان عمله مخالفا لهما اجتنب واذا كان مرجع
 أمورهم كلها اليه في الدنيا ففي الآخرة كذلك كما قال تعالى (ثم الى) أى في الآخرة (مرجعكم
 فأنبئكم) أى أعمل فعل من يبالغ في التعقيب والاختيار عقب ذلك وتنبيه لان ذلك
 أنسب شئ للعكمه وتعقب كل شئ بحسب ما يليق به (بما كنتم تعملون) أى تجددون عمله
 من صغير وكبير وجميل وحسيف وأجازى من أريد وأغفر لمن أريد فأعدل ذلك عدته ولا تعمل عمل
 من ليس له مرجع بحاسب فيه ويجازى على مناقيل الذر من أعماله والآيات معتزضتان
 في تضاعيف وصية لقمان تأكيد المافيهما من النهى عن الشرك كانه قال تعالى وصينا بمثل
 ما وصى به وذكر الوالدين للمبالغة في ذلك فانهم جامع أنهم ماتوا البارى في استحقاق التعظيم
 والطاعة لا يجوز أن يتبعوا في الاشرار كما ظنكم غيرهما ونزولهما في سعد بن أبي وقاص وأمه
 مكنت لاسلامه لاثام تطعم فيها شيئا ولذلك قيل من أتاب الى هو أبو بكر الصديق رضى الله عنه
 فان سعد أسلم بدعوة أبي بكر له ثم ابن لقمان قال لايه يأت ان علمت الخطيئة حيث لا يرانى
 أحد كيف يعلمها الله تعالى فقال (يا بنى) مجيبا له مستعظفا مصغرا بالنسبة الى جل شئ من
 غضب الله تعالى (انها) أى الخطيئة (انك) وأسقط النون لغرض اليجاز في الابهاء
 (مقتال) أى وزن ثم حترها بقوله (حجة) وزاد في ذلك بقوله (من خردل) أى ان تكن
 في الصغر كحجة الخردل وقرأ نافع مقتال بالرفع على أن الهاء ضمير الخطيئة كما مر وألصقة وكان
 تامة وتأنيم الاضافة للمقتال الى الحجة كتقول الاعشى

وتشرق بالقول الذى قد ذكرته * كما شرقت صدر القناة من الدم

والشرق الغصة يقال شرق برية أى غص والشاهد في شرق حيث انه لاضافة الصدر الى
 القناة وصدرها ما فوق نصفها ثم أثبت النون في قوله مينا عن صغرها (فمكن) إشارة الى
 ثباتها في مكانها ولينزاد شرق النفس الى محط الصائفة ويذهب الوهم لذهب معبرا عن
 أعظم الخفاء وأتم الاحوال (في صخرة) أى صخرة كانت ولولأنها أشد الصغور واخفاها * ولما
 أخفى وضيق أظهر ووسع ورفع وخفض ليكون أعظم اضياعها لحترها بقوله (أوفى السموات)

أى فى أى مكان منها على سعة أرجائها وتباعد انحنائها وأعاداً ونصاعلى ارادة كل منها على
 حذنه بقوله (أوفى الارض) أى كذلك وهذا كما ترى لا ينبغي أن تكون الصخرة فيهما أوفى
 غيرهما أوفى أحدهما وأخرج ابن أبي حاتم عن علي بن رباح أنه لما وعظ لقمان ابنه وقال
 انهما نك الالة أخذ حبة من خردل فألقى بها الى البرموك فألقاها فى عرضه ثم مكثت
 ماشاء الله تعالى ثم ذكرها وبسط يده فأقبل بها ذباب حتى وضعها فى راحته وقال بعض المفسرين
 المراد بالصخرة صخرة عليها الثور وهى لافى الارض ولا فى السماء وقال الرنخشى فيه اضممار
 تشديره ان تكون فى صخرة أو فى موضع آخر فى السموات أوفى الارض وقيل هذا من تقديم
 الخاص وتأخير العام وهو جائز فى مثل هذا التقسيم وقبل خفاء الشئ يكون بطرق منها أن يكون
 فى غاية الصغر ومنها أن يكون بعيدا ومنها أن يكون فى ظلمة ومنها أن يكون وراء حجاب فإذا
 امتنعت هذه الامور فلا يخفى فى العادة فأثبت الله الرؤية والعلم مع انتفاء الشرائط بقوله ان تلك
 منتال حبة من خردل اشارة الى الصغر وقوله فتكن فى صخرة اشارة الى الجباب وقوله أوفى
 السموات اشارة الى البعد فانها أبعد الابعاد وقوله أوفى الارض اشارة الى الظلمات فان
 جوف الارض أظلم الاما كن وقوله (يأت بها الله) أبلغ من قول القائل يعلمها الله لان من
 يظهر له شئ ولا يتقدر على اظهارها لغيره يكون حاله فى العلم دون حال من يظهر له الشئ ويظهره
 لغيره فتقوله يأت بها الله أى يظهرها للأنبياء يوم القيامة فيحاسب بها عاملها (ان الله) أى الملك
 العظيم (لطيف) أى نافذ التدبير يتوصل علمه الى كل خفى عالم به كنه وعن قتادة لطيف
 باستخراجه (خبير) أى عالم بواطن الامور فيعلم مستقرها روى فى بعض الكتب ان هذه
 آخر كلمة تكلم بها لقمان فان شئت من ارثه من هيبته مات قال الحسن معنى الآية هو
 الاحاطة بالاشياء صغرها وكبرها * ولما نبه على احاطة علمه سبحانه واقامته للحساب أمره
 بما يدخره لذلك نوسلا اليه ونحشعاليه وهو رأس ما يصلح به العمل ويصحح التوحيد ويصدق
 بقوله (يأتى) مكررا للمناداة تنبيه على فرط النصيحة لفرط المشقة (أقم الصلاة) أى بجميع
 حدودها وشروطها ولا تغفل عنها تيسيرا فى نجاتك وتصفية نفسك فان اقامتها وهو الاتيان
 بها على النحو المرضي مانعة من الخلل فى العمل ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر لانها
 الاقبال على من وحدته فاعتقدت انه الفاعل وحده واعرضت عن كل ما سواه لانه فى التحقيق
 عدم ولهذا الاقبال والاعراض كانت ثابتة للتوحيد وهذا يعلم ان الصلاة كانت فى سائر الملال غير
 ان هياتها اختلفت وترك ذكر الزكاة تنبيه على أنه من حكمته والحكمة تخلية وتخلي ولده من
 الدنيا حتى ما يكفهم لتقوتهم * ولما أمره بتكميله فى نفسه توفية لحق الحق عطف
 على ذلك تكمله لغيره بقوله (وأمر بالمعروف) أى كل من تقدر على أمره تهذبا لغيرك وشفقة
 على نفسك لتخلص أبناء جنسك (وأنه) أى كل من قدرت على نهيه (عن المنكر) حبا لاختيك
 ما تحب لنفسك تحمقا للنصيحة وتكميلا لعبادتك ومن هذا الطراز قول أبى الاسود رجه الله
 تعالى ابدأ بنفسك فانهم ما عن غيرها * فان انتهت عنه فأت حكيم

لأنه أمره ولا بالمعروف وهو الصلاة الناهية عن الفحشاء والمنكر فإذا أمر نفسه ونهاها
 فاسب أن يأمر غيره وينهاه وهذا وإن كان من قول لقمان إلا أنه لما كان في سياق المدح له
 كالمخاطبين به (فان قيل) كيف قدم في وصيته لآيته الأمر بالمعروف على النهي عن المنكر
 وحسن أمر ابنه قدم النهي عن المنكر على الأمر بالمعروف فقال لا تشرك بالله ثم قال أقم
 الصلاة (أجيب) بأنه كان يعلم أن ابنه معترف بوجود الآلة فأمره بهذا المعروف بل نهاه
 عن المنكر الذي ترتب على هذا المعروف وأما ابنه فأمره أمر مطلقا والمعروف يتقدم على
 المنكر * ولما كان القابض على دينه في غالب الأزمان كالقائض على الجور قال له (واصبر) صبرا
 عظيما بحيث تكون مستعلما (على ما) أي الذي (أصابك) أي في عبادتك وغيرهما من الأمور
 بالمعروف وغيره سواء كان بواسطة العباد أم لا كالمريض وقديدا هذه الوصية بالصلاة وختمها
 بالصبر لأنهم مملوك الاستعانة قال تعالى واستعينوا بالصبر والصلاة وأخرج أحمد عن هشام
 ابن عروة عن أبيه قال مكتوب في الحكمة يعني حكمة لقمان عليه السلام لتكن كلمتك طيبة
 وليكن وجهك بسيطا تكن أحب إلى الناس ممن يعطيهم العطايا وقال مكتوب في الحكمة
 أوف التوراة الرفق رأس الحكمة وقال مكتوب في التوراة كثر تجون وترجون وقال مكتوب
 في الحكمة كثر زدون وتخصدون وقال مكتوب في الحكمة أحب خليلك وخطيل أهلك وقيل
 للقمان أي الناس ثم قال الذي لا يبالي أن يراه الناس مسيا ومن حكمته أنه قال أقصر عن
 الجحاجة ولا أنطق فيما لا يعني ولا أكون مضحا كما من غير محب ولا مشاء لغير أرب ومنهم من كان
 له من نفسه واعظ كان له من الله حافظ ومن أنصف الناس من نفسه زاده الله بذلك عزا والذل
 في طاعة الله أقرب من التعز زباله عصية ومنها أنه كان يقول ثلاثة لا يعرفون إلا في ثلاثة مواطن
 الحليم عند الغضب والشجاع عند الحرب وأخوك عند حاجتك إليه * ولما كان ما أحكمه
 لولده عظيم الجدوى وجعل ختامه الصبر الذي هو ملاك الأعمال نبه بذلك بقوله على سبيل
 الاستئناف والتعليل (أن ذلك) أي الأمر العظيم الذي أوصيك به لاسيما الصبر على المصائب
 (من عزم الأمور) أي معزماتها تسمية لاسم المنعول أو القاعل بالمصدر أي الأمور المقطوع
 بها المقرضة أو الطاعة الجازمة بجزم فاعلها ثم حذره عن التكبر معبر عنه بلازمة لأن نفي
 الاعتماق للاخص بقوله (ولا تصغر خدك) أي لا تغلمه مع عدم المآلته بما له العنق متكافأ لها سرفا
 عن الحالة القاصدة قال أبو عبيدة وأصل الصغر داء يصيب البعير يلوى منه عنقه وقرأ ابن كثير
 وابن عامر وعاصم بغير الف بعد الصاد وتشديد العين والباقون بالق بعد الصاد وتخفيف العين
 والرسيم يحتملها فانه رسم بغير ألف وهما لغتان لغة الجحاز التخفيف ونغم التثقيب * ولما كان
 ذلك قد يكون لغرض من الأغراض التي لا تدوم أشار إلى المقصود بقوله (للناس) بلام العلة
 أي لا تنفع ذلك لأجل الإمالة عنهم وذلك لا يكون إلا اتهاما بهم من التكبر بل أقبل عليهم
 بوجهك كله مستبشرا منبسطا من غير كبر ولا عتو وعن ابن عباس لا تتكبر فحقر الناس
 وتعرض عنهم بوجهك إذا كلوك وقيل هو الرجل يكون بينك وبينه الشبهة فيملك فتعرض

عنه وقيل هو الذي إذا سلم عليه لوى عنقه تكبرا وقيل معناه لا يتحسر الفقير ليكن الفقير والغنى عندك سواء ثم اتبع ذلك ما يلزمه بقوله (ولا تمش) وأشار بقوله (في الأرض) إلى أن أصله تراب وهو لا يتدبر أن يعود وسبب صيراليه وأوقع المصدر وموقع الحال والعلة في قوله (مرحا) أي اختيالا وتبخترا أي لا تكن منك هذه الحقيقة لأن ذلك مشى أشرب طرمتكبر فهو حدير بأن يظلم صاحبه ويفحش ويغي بل أمش هو نأقان ذلك ينضى بك إلى التواضع فتصل إلى كل خير فتفرق بك الأرض إذا صرت في بطنها (إن الله) أي الذي له الكبرياء والعظمة (لا يجب) أي يعذب (كل محتمل) أي مرءئ لئاس في مشيه متبختر يرى له فضلا على الناس (تخور) على الناس بنفسه يظن أن أسباع النعم الذبوبة من محبة الله تعالى له وذلك من جهله فإن الله يسبغ نعمه على الكافر الجاحد فينبغي للمعارف أن لا يتكبر على عباده فإن التكبر هو الذي تردى به سبحانه في نارعه فبقصمه * ولما كان النهي عن ذلك أمرا بضاه قال (واقصد) أي اقتصد واسلك الطريق الوسطى (في مشيك) بين ذلك قواما أي ليكن مشيك قصد الاختيالا ولا اسرعا أي بين مشيين لا تدب ديب المتماوتين ولا تنب وثب الشطار قال صلى الله عليه وسلم سرعة المشي تذهب بهاء المؤمن وأما قول عائشة في عمر رضی الله تعالى عنه ما كان إذا مشى أسرع فأنما أرادت السرعة المرتفعة عن ديب المتماوت وقال عطاء أمش بالوقار والسكينة لقوله تعالى يمشون على الأرض هونا وعن ابن مسعود كانوا ينهون عن وثب اليهود وديب النصارى والقصد في الأفعال ~~ص~~ القسط في الأوزان قاله الرازي في اللوامع وهو المشي الهون الذي ليس فيه تصنع للخلق لا بتواضع ولا شكبر (واغضض) أي انقص (من صوتك) لئلا يكون صوتك منكرا وتكون برفع الصوت فوق الحاجة كالإذان فهو مأوربه وكانت الجاهلية يمدحون برفع الصوت قال القائل

جهير الكلام جهير العطاس * جهير الروى جهير النعم

وقال مقاتل أخفض من صوتك (فان قيل) لم ذكر المانع من رفع الصوت ولم يذكر المانع من سرعة المشي (أجيب) بأن رفع الصوت يؤذى السامع ويقرع الصمماخ بقوة ويدعاجحرق الغشاء الذي داخل الأذن وأما سرعة المشي فلا تؤذى وإن آذت فلا تؤذى غير من في طريقه والصوت يبلغ من على العين واليسار ولأن المشي يؤذى آلة المشي والصوت يؤذى آلة السمع وآلة السمع على باب القلب فإن الكلام ينتقل من السمع إلى القلب ولا كذلك المشي وأيضا فلان قبح القول أقبح من قبح الفعل وحسنه أحسن لأن اللسان ترجمان القلب * ولما كان رفع الصوت فوق الحاجة منه ~~ك~~را كما أن خفضه دونها تماوت وتكبر وكان قد أشار إلى النهي عن هذا بمن فافهم أن الطرفين مذمومان علل النهي عن الأول بقوله (إن أنكر) أي أقطع وأبشع وأوحش (الاصوات) كلها المشتركة في المكارة برفعها فوق الحاجة وأخلى الكلام من لفظ التشبيه وأخرجه مخرج الاستعارة تصوير الصوت الرافع صوته فوق الحاجة بصورة النفاق وجعل الصوت كذلك جارا مبالغة في التهجين وتنبيه على أنه من الكراهة بمكان

فقال (لصوت الجهر) أي هذا الجنس لما له من العلو المقطر من غير حاجة فإن كل حيوان قد يفهم من صوته أنه يصيح من ثقل أو تعب كالبعير وألغير ذلك والجمار لو ماتت تحت الحمل لا يصيح ولو قتل لا يصيح وفي بعض أوقات عدم الحاجة بصيح وينطق بصوت أوله زفير وآخره شهيق وهما فعل أهل النار وأورد الصوت ليكون نصاعاً على إرادة الجنس لئلا يظن أن الاجتماع شرط في ذلك ولذكر الجمار مع ذلك من بلاغة السهم والذم ما ليس لغيره ولذلك يستحسن التصريح باسمه بل يكون عنه ويرغبون عن التصريح به فيقولون الطويل الأذن كما يكنى عن الأشياء المستقدرة وقد عد في مساوي الآداب أن يجري ذكر الجمار في مجلس قوم من ذوى المروءة ومن العرب من لا يركب الجمار استنكاهاً فإن بلغت منه الرحلة وانما ركبه صلى الله عليه وسلم لخالفته عاداتهم واطهارة التواضع من نفسه وأما الرفع مع الحاجة فغير مذموم فإنه ليس بمستنكر ولا مستبشع (فان قيل) كيف ينهم كونه أنه كرا الاصوات مع أن حرا المنشار بالمبرد ووق النحاس بالحديد أو دصوتا (أجيب) من وجهين الأول أن المراد أنكر أصوات الحيوانات صوت الجهر فلا يرد السؤال والثاني أن الصوت الشديد الحاجة ومصلحة لا يستبشع ولا ينهم كروصوته كما حثت الإشارة إليه بخلاف صوت الجهر قال موسى بن أعين سمعت سفيان الثوري يقول في قوله تعالى أن أنكر الاصوات لصوت الجهر قال صباح كل شيء تسبيح لله تعالى الا الجمار وقال جعفر الصادق في ذلك هي العطسة التسبحة المشكرة وقال وهب تكلم لقمان بأني عشر ألف كلمة من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم قال خلد الربيعي كان لقمان عبداً ومن حكمته أنه دفع إليه مولا مشاة فقال له ادبحها واتق بأطيب مضغتين منها فأناها باللسان والقلب ثم دفع إليه مشاة أخرى فقال ادبحها واتق بأخيث مضغتين منها فأناها باللسان والقلب فسأله مولا فقال ليس شيء أطيب منهما إذا طابا ولا أخيث منهما إذا خبثا وقد مررت بالإشارة إلى ذلك ومن حكمته أنه قال لابنه يا بني لا ينزل بك امر رضىته أو كرهته الا جعلت في الضمير منك أن ذلك خير لك ثم قال لابنه يا بني ان الله قد بعث نبيا هم حتى تأتيه فقصده فخرج على حمار وابنه على حمار وتردنا ثم سارا أياما وليالي حتى لقيتهما مفازة فاخذنا أهبتهما لها فدخلنا فصارا ما شاء الله تعالى حتى ظهرا وقد تعالى النهار واشتد الحر وقد الماء والزاد واستبطا حماريهما فافترا لا وجعلا يشهدان على سوقهما فبينما هما كذلك اذ نظر لقمان امامه فاذا هو بسواد ودخان فقال في نفسه السواد الشجر والدخان العمران والناس فبينما هما يشهدان اذ وطئ ابن لقمان على عظم نائى على الطريق فخرم غشياً عليه فوثب إليه لقمان وضمه الى صدره واستخرج العظم باسنة ثم نظر إليه لقمان فذرفت عيناه فقال يا أبت انت تبكى وأنت تقول هذا خير لي وقد فقدت الطعام والماء وبقيت أنا وأنت في هذا المكان فان ذهبت وتركتنى على حالى ذهبت بهم وغم ما بقيت وان أقت معي متنا جميعا فقال يا بني أما لكاني فرقة الوالدين وأما ما قلت كيف يكون هذا خير فاعل ما صرف عنك أعظم مما أتيت به واعمل ما أتيت به أيسر مما صرف عنك ثم نظر لقمان امامه فلم ير ذلك الدخان والسواد واذا بشخص أقبل على فرس أبلق عليه ثياب يياض وعمامة بيضاء يسبح الهوام بها فلم

ينزل برمقه بعينه حتى كان منه قريبا فتوارى عنه ثم صاح به أنت لقمان قال نعم قال أنت
 الحكيم قال كذلك يقال قال ما قال لك ابنك قال يا عبد الله من أنت أسمع كلامك ولا أرى
 وجهك قال أنا جبريل أمرني ربي بخسف هذه القرية ومن فيها فأخبرت أنكم تريد أن
 قدوت ربي أن يحبكم كما يحبني بمشاةم فحبسكم كما حبسني به ابنك ولولا ذلك لخسفت بكم مع من
 خسفت ثم مسح جبريل عليه السلام يده على قدم ابنه فاستوى قائما ومسح يده على الذي
 كان فيه الطعام فامتلا طعاما وعلى الذي كان فيه الماء فامتلا ماء ثم حملهما وحملاهما
 فرحل بهما كما يرحل الطير فإذا هما في الدار التي خرجا بعد أيام وليال منها وعن عبد الله بن دينار
 أن لقمان قدم من سفر فلقي غلامه في الطريق فقال ما فعل أبي فقال مات قال الحمد لله ملكك
 أمرى قال ما فعلت أمي قال ماتت قال ذهب همي قال ما فعلت 'مرأى قال ماتت قال جدد
 فراشي قال ما فعلت أختي قال ماتت قال سترت عورتى قال ما فعل أخى قال مات قال انقطع
 ظهري وعن أبي قلابة قال قيل للقمان أي الناس أصبر قال صبرا لعمه أذى قيل فأى الناس أعلم
 قال من ازداد من علم الناس إلى علمه قيل فأى الناس خير قال الغني قيل الغني من المال قال لا
 ولكن الغني من التمس عنده خير ووجدوا لا أغنى نفسه عن الناس وعن سفيان قيل للقمان
 أي الناس شر قال الذي لا يالي أن يراه الناس مسينا وعن عبد الله بن زيد قال قال لقمان
 إلا أن يد الله على أفواه الحكماء لا يتكلم أحدهم إلا ما به الله تعالى له ولما استدل سبحانه
 بقوله تعالى خلق السموات بغير عمد على الوحدةانية وبين بحكمته للقمان أن معرفة
 ذلك غير مختصة بالنبوة استدل ثانيا على الوحدةانية بالنعم بقوله تعالى (ألم تروا) أي تعلموا علما
 هو في ظهورة كالمشاهدة (إن الله) أي الحاضر لكل كمال (تخزلكم) أي لاجلكم
 (ما في السموات) من الانارة والاطلام والشمس والقمر والنجوم والسحاب والمطر والبرد وغير
 ذلك من الانعامات مما لا يحصى كما قال والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره (و) تخزلكم
 (ما في الأرض) من البحار والثمار والآبار والأنهار والدواب والمعادن وغير ذلك مما لا يحصى
 (وأسبغ) أي أوسع وأتم (عليكم) وقوله تعالى (نعمه) قرأه نافع وأبو عمرو وحفص بفتح العين
 وبعد الميم هاء مضمومة والباقون بسكون العين وبعد الميم تاء مفتوحة منونة ومعناها الجمع
 أيضا كقوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها واختلف في قوله عز وجل (ظاهرة وباطنة) على
 اقوال فقال عكرمة عن ابن عباس النعمة الظاهرة القرآن والاسلام والباطنة ما ستر عليك من
 الذنوب ولم يجعل عليك بالنعمة وقال الضحاك الظاهرة حسن الصورة وتسوية الأعضاء والباطنة
 المعرفة وقال مقاتل الظاهرة تسوية الخلق والرزق والاسلام والباطنة ما ستر من الذنوب وقال
 الربيع الظاهرة الجوارح والباطنة القلب وقال عطاء الظاهرة تخفيف الشرائع والباطنة
 الشفاعة وقال مجاهد الظاهرة ظهور الاسلام والنصر على الأعداء والباطنة الأمداد
 بالملائكة وقال سهل بن عبد الله الظاهرة اتباع الرسول والباطنة محبة وقيل الظاهرة تمام
 الرزق والباطنة تمام الخلق وقيل الظاهرة الأمداد بالملائكة والباطنة القاء الرعب في قلوب

الكفار وقيل الظاهرة الاقرب باللسان والباطنة الاعتقاد بالقلب وقيل الظاهرة البصر والسمع واللسان وسائر الجوارح الظاهرة والباطنة القلب والعقل والفهم وما أشبه ذلك و يروى في دعاء موسى عليه السلام الهى دنى على اخفاء نعمتك على عبادك فقال أخفى نعمتي عليهم النفس ويروى ان أيسر ما يعذب به أهل النار الاخذ بالانفاس ونزل في النضر بن الحرث وأبي ابن خلف واشباههم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله تعالى وفي صفاته (ومن الناس) أى أهل مكة (من يجادل) أى يحاج فلا هو أعظم من جداله ولا كبير مثل كبره ولا ضلال مثل ضلاله وأظهر زيادة التشنيع على هذا المجادل بقوله تعالى (في الله) أى المحيط علما وقدرة ثم ين تعالى مجادلتها (أى بغير علم) أى مستفاد من دله بل بل بأفراط في ركافة معانيها لعدم استنادها الى حسن ولا عقل ملحقه بأصوات الحيوانات العجم فكان بذلك جارا تابعا للهوى (ولا هدى) أى من رسول عهد منه سداد الاقوال والانعال بما يدى من المعجزات والآيات البينات فوجب أخذ أقواله مسلمة وان لم يظهر معناها (ولا كتاب) أى من الله تعالى ثم وصفه بما هو لازم له بقوله تعالى (منير) أى بين غاية البيان بل انما يجادل بالتقليد رصكم كما قال تعالى (وإذا قيل) أى من أى قائل كان (لهم) أى المجادلين هذا الجدال (اتبعوا ما أنزل الله) أى الذى خلقكم وخلق آباءكم الاولين (قالوا) بجمود الانفعال (بل تتبع) وان أتينا بكل دليل (ما وجدنا عليه آباءنا) لانهم أثبت مناعقولا وأقوم قبلا وأهدى سبيلا فلهذه المجادلة في غاية القبح فان النبي صلى الله عليه وسلم يدعوهم الى كلام الله وهم يأخذون بكلام آبائهم وبين كلام الله تعالى وبين كلام العلماء عظيم فكيف ما بين كلام الله تعالى وكلام الجهال (أولو) أى أتبعوهم ولو (كان الشيطان) أى البعيد من الرحمة المحترق بالعنة (يدعوهم) الى الضلال فيو بقمه فيما يخطط الرجن فيؤديهم ذلك (الى عذاب السعير) وجواب لو محذوف مثل لا تتبعوه والاستفهام لانكاروا التعجب والمعنى ان الله تعالى يدعوهم الى الثواب والشيطان يدعوهم الى العذاب وهم مع هذا يتبعون الشيطان * ولما بين تعالى حال الممرك والمجادل في الله بين تعالى حال المسلم المستسلم لامر الله تعالى بقوله تعالى (ومن يسلم) أى في الحال والاستقبال (وجهه) أى تصده وتوجهه وذاته كلها (الى الله) أى الذى له صفات الكمال بأن فوض أمره اليه فلم يبق لنفسه أمر أصلا فهو لا يتحرك الا بأمر من أو أمره سبحانه (وهو) أى والحال انه (محسن) أى مخلص يخلصه كما أخلص بظاهرة فهو دائما في حال الشهود (فقد استمسك) أى أوجد الامساك بغاية ما يقدر عليه من القوة في تأدية الامور (بالعروة الوثقى) أى اعتمصم بالعهد الارثى الذى لا يخاف انقطاعه لأن وثق العرى جانب الله تعالى فان كل ما عداها كالمقطع وهو باق لا انقطاع له وهذا من باب التخييل مثل حال المتوكل بحال من أراد ان يسدى من شاوق جبل فاحتاط لنفسه بأن استمسك بأوثق عروة من جبل متين مأمون انقطاعه (فان قيل) كيف قال ههنا ومن يسلم وجهه الى الله فعداه بالى وقال في البقرة بلى من أسلم وجهه لله وهو محسن فعداه باللام (أجيب) بأن أسلم يعنى تارة

باللام وتارة بالي كما تعدى أرسل تارة باللام وتارة بالي قال تعالى وأرسلناك بالاسم رسولا وقال
تعالى كما أرسلنا إلى فرعون رسولا (والى الله) أى الملك الاعلى (عاقبة الامور) أى مصير جميع
الاشياء اليه كما أن منه باديها وانما يخص العاقبة لانهم مقررون بالبادية * ولما بين تعالى حال
المسلم رجع الى بيان حال الكافر فقال تعالى (ومن كفر) أى استمرأاده اليه عقله من أن الله
تعالى لا شريك له وأن لا قدرة أصلا لا حدسواه ولم يسلم وجهه اليه (فلا يحزنك) أى يهلك
ويوبخك (كفره) كأننا من كان فانه لم يفتك شي فيه ولا معجز لنا العجزك ولا تبعه عليك
بسببه في الدنيا وفي الآخرة وأقره الضمير في كفره اعتبارا بلفظ من لا رادة التنصيص على كل
فرد وفي التعبير هنا بالماضى وفي الاقول بالمضارع بشاره بدخول كثير في هذا الدين وانهم
لا يرتدون بعد اسلامهم وترغب في الاسلام لكل من كان خارجا عنه فالاية من الاحتباك ذكر
الحزن ثانيا دليلا على حذف ضمه أولا وذكر الاستسكان أولا دليلا على حذف ضمه ثانيا
(الينا) أى في الدارين (مرجعهم فنقبهم) أى بسبب احاطة بأمرهم وعقب رجوعهم
(بما عملوا) أى ونجازهم عليهم أن اردنا (أن الله) أى الذى لا كف له (عليه) أى محيط
العلم بحاله من الاحاطة بأوصاف الكمال (بذات الصدور) أى لا يخفى عليه سرهم وعلايتهم
فينبئهم عما أسرّت صدورهم (تتمهم) أى غفلهم ليمتصوا بنعيم الدنيا (قلبلا) أى الى
انقضاء آجالهم فان كل ات قريب وان ما يزول بالنسبة الى ما يدوم قليل (ثم نضطرهم) أى
نلجئهم ونزدهم في الآخرة (الى عذاب غليظ) أى شديد تقيل لا ينتفع عنهم أصلا ولا يجدون لهم
منه محيصا من جهة من جهاته فكانه في شدته وثقله جرم عظيم غليظ جدا اذا ترك على شيء لا يقدر
على الخلاص منه ثم انه تعالى لما سأل قلب النبى صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى فلا يحزنك كفره
أى لا تحزن على تكذيبهم فان صدقك وكذبهم تبين عن قريب وهو رجوعهم اليه تعالى أنه
لا يتأخر الى ذلك اليوم بل يتبين قبل يوم القيامة كما قال تعالى (ولئن) اللام لام قسم (سألتم
من خلق السموات) أى بأسرها ومن فيها (والارض) كذلك وقوله تعالى (ليقولن الله)
أى المسمى بهذا الاسم حذف منه نون الرفع لتوالي الامثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين فقد
أقر وأبان كل ما أشركوا به بعض خلقه ومضوع من مصنوعه * ولما تبين بذلك صدقه صلى
الله عليه وسلم وكذبهم قال الله تعالى مستأنفا (قل الحمد) أى الاحاطة بجميع أوصاف
الكمال (لله) أى الذى له الاحاطة الشاملة من غير تقييد بخلق الخافقين ولا غيره على ظهور
الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يعلمون) أى ليس لهم علم عنهم من تذكيرك مع
اعترافهم بما يوجب تصديقك * ولما أثبت لنفسه سبحانه الاحاطة بأوصاف الكمال استدل على
ذلك بقوله تعالى (لله) أى الملك الاعظم (مافى السموات) كلها (والارض) كذلك
ملكها وخلقها فلا يستحق العبادة فيه ما غيره * ولما ثبت ذلك أنجب قطعا قوله تعالى (ان الله) أى
الذى لا كف له (هو) أى وحده (الغنى) مطلقا لان جميع الاشياء له ومحتاجه اليه وليس
محتاجا الى شيء أصلا (الحمد) أى المستحق لجميع المحامد لانه المنعم على الاطلاق المحمود بكل

لسان من السنة الاحوال والا قول لانه هو الذي أنطقها ومن قيدا لمرس أطلقها * ولما قال
 تعالى لله ما في السموات والارض أو هم تناهى ملكه لانه صار ما في السموات والارض فيهما
 وحكم العقل الصريح بتناهي ما بين تعالى انه لا حد ولا ضبط لمعلوماته ومقدوراته الموجبة
 لجلده بقوله تعالى (ولو أن ما في الارض) أي كلها وادل على الاستغراق وتقضى كل فرد فرد من
 أفراد الجنس بتوله تعالى (من شجرة) حيث وحدها (أقلام) أي والشجرة يتدها من بعدها
 على سبيل المبالغة سبع شجرات وأن ما في الارض من البحر مداد لتلك الأقلام (والبحر) أي
 والمال أن البحر (يمده) أي يكون مداد الله وزيادة فيه (من بعده) أي من ورائه (سبعة
 أبحر) تكتب تلك الأقلام وذلك المداد الذي الارض كلها الدواة (ما نفدت كلمات الله)
 وفنيت الأقلام والمداد قال المفسرون نزل بمكة قوله تعالى ويسئلونك عن الروح الآية فلما
 هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم أتاه أخبار الرهبان ودفعوا ليا محمد بلغنا أنك تقول وما أوتيت من
 العلم الا قليلا أفعنيتنا أم قومك فقال صلى الله عليه وسلم كلا قد عنيت فقالوا ألسنت تتلو فيما
 جاءك أمأ وتينا التوراة وفيها علم كل شيء فقال صلى الله عليه وسلم هي في علم الله تعالى قليل
 وقد أنا كم ما ان علمت به اتفعم قالوا يا محمد كيف ترعم هذا وأنت تقول ومن يؤت الحكمة فقد
 أوتي خيرا كثيرا فكيف يجتمع هذا علم قليل وخير كثير فأئزل الله تعالى هذه الآية وقال قتادة
 ان المشركين قالوا ان القرآن وما يأتي به محمد يشك أن ينفذ فيقطع فنزلت (فان قيل) كان
 مقتضى الكلام أن يقال ولو أن الشجر أقلام والبحر مداد (أجيب) بأنه أغنى عن ذكر المداد
 قوله تعالى يمه لانه من مدة الدواة وأمدتها جعل البحر الأعظم بمنزلة الدواة وجعل البحر السبعة
 ملوأة مداد فهي تصب فيه مدادها أبد اصبلا لا ينقطع والمعنى ولو أن أشجار الارض أقلام
 والبحر مدود بسبعة أبحر وتكتب تلك الأقلام وبذلك المداد كلمات الله ما نفدت كلماته ونفدت
 الأقلام والمداد كقوله تعالى قل لو كان البحر مداد الكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفد
 كلمات ربي لان المحصور لا يفي بما ليس بمحصور وفيها من عظمة لا تتناهي ومن كبرياء لا يجارى
 ولا يضاهى (فان قيل) لم قيل من شجرة على التوحيد دون اسم الجنس (أجيب) بأنه أريد
 تفصيل الشجر وتفصيلها شجرة شجرة حتى لا يبقى من جنس الشجر ولا واحدة الا وقد برت
 أقلاما (فان قيل) الكلمات جمع قلة والموضع موضع التكثير لا التقليل فهلا قيل كلم الله
 (أجيب) بأن معناه أن كلماته لا تنفي بها البحار فكيف بكلمه وقرأ أبو عمرو والبحر نصب
 الرائ وذلك من وجهين أحدهما العطف على اسم أن أي ولو أن البحر ويمده الخبر والثاني
 النصب بفعل مضمر يفسره يمه والواو حينئذ للعالم والجملة حالية ولم ينجح الى ضمير رابطين
 الحال وصاحبها الاستغناء عنه بالواو والتقدير ولو أن الذي في الارض حال كون البحر مدودا
 بكذا وقرأ الباقر بن رفع الرائ وذلك من وجهين أيضا أحدهما العطف على ان وما في حيزها
 والثاني انه مبتدأ ويمده الخبر والجملة حالية والرابط الواو * (تنبيه) * قوله تعالى سبعة ليس
 لانه صار ما في السموات والارض أو هم تناهى ملكه لانه صار ما في السموات والارض فيهما

بالذكر من بين الاعداد لانها عدد كثير يحصر المعدودات في العادة ويدل على ذلك وجهان
الاول ان المعلوم عند كل أحد الحاجة اليه هو الزمان والمكان فالزمان منحصر في سبعة أيام
والمكان منحصر في سبعة أقاليم ولأن الكواكب السيارة سبعة والنجوم ينسبون اليها أموراً
فصارت السبعة كالعدد الحاسر للكثيرات الواقعة في العادة فاستعملت في كل كثير ومنه
قوله صلى الله عليه وسلم المؤمن يأكل في مكي واحد والكافري يأكل في سبعة أمعاء الثاني ان
في السبعة معنى يخصها ولذلك كانت السموات سبعاً والارضون سبعاً وأبواب جهنم سبعاً
وأبواب الجنة ثمانية لانها الحسنى وزيادة فالزيادة هي الثامن لان العرب عند الثامن يزيدون
واوا تقول القراء لها والاثمانية وليس ذلك الا للاستئناف لأن العدد تم بالسبعة ثم بين نتيجة
ذلك بقوله تعالى (إن الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلماً (عزير) أي كامل القدرة
لانهاية لقدوراته (حكيم) أي كامل العلم لانهاية لمعلوماته * (تسبيح) قد علم مما تقرأ أن
الآية من الاحتباك ذكر الأقسام دليل على حذف مدادها وذكر السبعة في مبالغة البحر دليلاً
على حذفها في الأشجار * ولما ختم تعالى بهاتين الصفتين بعد اثبات القدرة على الابداع من
غراتها ذكر بعض آثارها في البعث بقوله تعالى (ما خلقكم) أي كلكم في عزته وحكمته
الآلئ نفس واحدة وأعاد الثاني نصاً على كل واحد من الخلق والبعث على حدته بقوله تعالى
(ولا بعثكم) أي كلكم (الأكفيس) أي كبعث نفس وبين الأفراد تحقيقاً للمراد تأكيدها
للسهولة بقوله تعالى (واحدة) فان كلاً مع كونها غير نافذة نافذة وقد رتبته مع كونها باقية
بالغة فنسبة القليل والكثير إلى قدرته على حد سواء لانه لا يشغله شأن عن شأن ثم دل على ذلك
بقوله تعالى مؤكداً (إن الله) أي الملك الأعلى (سميع) أي بالغ السمع يسمع كل مسموع
(بصير) أي بليغ البصر يصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء * ولما قرأ تعالى هذه الآية
الطارقة دل عليها بأمر محسوس يشاهد كل يوم مرتين بقوله تعالى (ألتر) وهو محتمل وجهين
أحدهما أن يكون الخطاب مع النبي صلى الله عليه وسلم وعليه الأكثر وكأنه تعالى ترك
الخطاب مع غيره لان من هو غيره من الكفار لافائدة في الخطاب معهم ومن هو غيره من
المؤمنين فهم تبع له والوجه الثاني المراد منه الوعظ والوعظ يخاطب ولا يعين أحداً
فيقول لجميع عظيم بامسكين إلى الله مصيرك فمن نصيرك وماذا نصيرك (إن الله) أي بجلاله
وعز كاله (يولج) أي يدخل ادخالاً لا مربية فيه (الليل في النهار) فيغيب فيه بحيث لا يرى
شيء منه فاذا النهار قد عم الأرض كلها أسرع من اللمع (ويولج النهار) أي يدخله كذلك
(في الليل) فيضئ حتى لا يبقى له أثر فاذا الليل قد طبق الأفاق مشارقها ومغاربها في مثل الطرف
فيميز سبحانه كلامهما من الآخر بعد اضمه لاله في ذلك الخلق والبعث في قدرته بعزته
وحكمته بل بولغ سمعه ونفوذ بصره (وسبح الشمس) آية للنهار يدخل الليل فيه (والقمر) أي
آية لليل كذلك ثم استأنف ما حصر فيه بقوله تعالى (كل) أي منهما (يجري) أي في فلكه
سائر امتدادها وبالغاً ومنهياً (إلى أجل مسمى) لا يتعداه في منازل معروفة في جميع الملك

لا يزيد ولا ينقص هذا في الشهر مرة وتلك في السنة مرة لا يقدر واحد منهم ما أن يعتدى طوره
ولأن ينقص دوره ولأن يغير سيره * (تنبيه) * قال تعالى يوبل بصيغة المستقبل وقال
في الشمس والقمر وسخر بصيغة الماضي لأن الإبلح الليل في النهار أمر يتجدد كل يوم وتسخير
الشمس والقمر أمر مستمر كما قال تعالى حتى عاد كالعرجون القديم وقال ههنا إلى أجل
وفي الزمر لا تجل لأن المعنيين لا تقان بالحرفين فلا عليك في أيهما وقع قال الأكثر وهذا
خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين وقيل عام * ولما كان الليل والنهار على الأفعال بين
أن ما يقع في هذين الزمانين اللذين هما بتصرف الله لا يخفى عليه بقوله تعالى (وإن الله) أي
بماله من صفات الكمال (يعتصمون) أي في كل وقت على سبيل التجدد (حبيب) أي لا يخفى
عليه شيء منه لأنه الخالق له كله دقه وجله * ولما ثبت بهذه الأوصاف الحسنى والأفعال العليا
أنه لا موجد بالحقيقة إلا الله تعالى قال تعالى (ذلك) أي المذكور (بأن) أي بسبب
أن (الله) أي الذي لا عظيم سواه (هو) وحده (الحق) أي بسبب أنه الثابت في ذاته
الواجب من جميع جهاته المستحق للعبادة (وإن ما يدعون) أي هؤلاء المختوم على مداركهم
وأشار إلى سنول ربهم بقوله تعالى (من دونه) أي غيره (الباطل) أي العدم في حدة
ذاته لا يستحق أن تضاف إليه الألوهية بوجه من الوجوه وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي
وحفص يدعون بالياء على الغيبة والباقون بالتاء على الخطاب وإن مقطوعة من ما في الرسم
(وإن الله) أي الملك الأعظم وحده (هو العلي) على خلقه بالقهر فله الصفات العليا والأسماء
الحسنى (الكبير) أي العظيم في ذاته وصفاته * ولما قال تعالى ألم تر أن الله يوبل الليل
في النهار وسخر الشمس والقمر ذكر آية سماوية وأشار إلى السبب والمسبب ذكر بعده آية أرضية
تدل على باهر قدرته وكمال نعمته وشمول انعامه وأشار إلى السبب والمسبب بقوله تعالى
(الم تر) وفي مخاطب بذلك ما تقدم (أن الفلك) أي السفن كالأوصاف (تجري) أي يكم
حاملة ما تنجزون عن نقل مثله في البر (في البحر) أي على وجه الماء (بنعمة الله) أي بانعام الملك
الأعلى المحيط علما ووفرة المحسن اليكم بتعليم صفتها حتى تهيات لذلك على يد أيكم نوح العبد
الشكور عليه السلام وقيل نعمة الله هنا هي الريح التي تفعل بك باهر الله (ليريك من آياته)
أي عجائب قدرته ودلائله التي تدللكم على أنه الحق الذي أثبت بوجوب وجوده ما ترون من
الاجال الثقال على وجه الماء الذي ترسب فيه الأبرة فنادونها (أن في ذلك) أي الأمر الهائل
البديع الرفيع (آيات) أي دلالات وانجحات على ماله من صفات الكمال (لكل صبار)
على المشاق فيبعث نفسه في التفكير في عدم غرقه وفي مسيره إلى البلاد الشاسعة والأقطار
البعيدة وفي كون سيره ذهابا وإيابا نارة بريحين وتارة بريح واحدة وفي انجاء أيه نوح عليه
السلام ومن أراد الله تعالى من خلقه بها وغرق غيرهم من جميع أهل الأرض وفي غير ذلك
من شؤنه وأمره (شكور) أي مبالغ في كل من الصبر والشكر لانهم بالإيمان كما ورد الأيمان
نصفان نصف صبر ونصف شكر وعلم من صيغة المبالغة في كل منهما ما أنه لا يعرف في الرضا من

عظمة الله ما كان يعرف في الشدة الامن طبعهم الله تعالى على ذلك ووقفهم له وأعانهم عليه
ولهذا قال تعالى وقيل من عبادى الشكور وهاءنا أسأل الله الختان المذان من فضله أن
يجعلنى منهم ويفعل ذلك بأهلى وأجبابى فانه كريم جواد * ولما ذكر تعالى ان فى ذلك لايات ذكر
أن السك معترفون غير أن البصير يدركه أولاً ومن فى بصيرته ضعف لا يدركه أولاً كما قال تعالى
(واذا غشيهم) أى علاهم وهم فى النك حتى صار كل غملى لهم (موج) أى هذا الجنس
وأفرد لشدته اضطرابه واتيانته شيئاً فى اثر شئ متتابعاً يركب بعضه بعضاً كأنه شئ واحد وأصله
من الحركة والازدحام واختلف فى قوله تعالى (كالظلل) فقيل مقاتل كالجلال وقال
الكسبى كالسحاب والظلال جمع ظلة شبه بها الموج فى كثرتها وارتفاعها (فان قيل) كيف جعل
الموج وهو واحد كالظلال وهو جمع (أجيب) بأن الموج باقى منه شئ بعد شئ فلما صار والى
هذه الحالة (دعوا الله) أى مستحضرين لما يقدر عليه الانسان من كماله بجلاله وبجله عالين
بجميع مضمون الآية السابقة من حقيقته وعلوه وكبرائه وبطلان ما يدعونه من دونه
(مخلصين له الدين) أى الدعاء بأن ينجيهم لا يدعون شيئاً سواه بأنفسهم ولا قلوبهم لما اضطرتهم
الى ذلك (فلما نجاهم) أىخلصهم من تلك الاحوال (الى البر) نزولاً عن تلك المرتبة التى
أخلصوا فيها الدين وانفسهم واقسمين (فثم) أى تسبب عن نعمة الانجاء انه كان منهم (مقتصد)
أى عدل موفى فى البر بما قد عاهد الله عليه فى البحر من التوحيده لبعثه أى ثبت على ذلك وهم
قليل كادل عليه التصريح بالتبعيض قيل زلت فى عكرمة بن أبى جهل هرب فى عام الفتح الى
البحر فجاؤهم ربيع عاصف فقال عكرمة لئن نجاى الله من هذه لأرجعن الى محمد صلى الله عليه
وسلم ولاضعن يدي فى يده فسكنت الريح فرجع عكرمة الى مكة فأسلم وحسن اسلامه وقال
بجاهد مقتصد فى القول مضمر للكفر وقال الكسبى مقتصد فى القول أى من الكفار لان بعضهم
كان أشد قولاً وأعلى فى الافتراء من بعض ومنهم جاحد للنعمة ملق بالجلاب الحياء فى التصريح
بذلك وهو الاكثر كادل عليه ترك التصريح فيه بالتبعيض (فان قيل) ما الحكمة فى قوله
تعالى فى العنكبوت فلما نجاهم الى البر اذا هم يشركون وقال هنا فلما نجاهم الى البر فثم
مقتصد (أجيب) بأنه لما ذكره هنا أمر اعظيماً وهو الموج الذى كالجبال بقى أثر ذلك فى قلوبهم
مخرج منهم مقتصد وهناك لم يذكر مع ركوب البحر معانية مشل ذلك الامر فذكر اشراكهم
حيث لم يبق عندهم أثر وقوله تعالى (وما يجحد بآياتنا الا كل كفار) أى غدار فانه نقض للعهد
الفطرى أى لما كان فى البحر والخرأشد الغدر (كفور) أى للنعم فى مقابلة قوله تعالى ان فى ذلك
لايات أى يعترف بها الصبار الشكور ويجدها الختار الكفور فالصبار فى موازنة الختار لفظاً
ومعنى والصكور فى موازنة الشكور كذلك أما اللفظ فمما فظاها وأما كون الختار فى موازنة
الصبار معنى فلان الختار هو الغدار الكثير الغدر وأشد الغدر مثال مبالغته من الختار وهو
أشد الغدر والغدر لا يكون الامن قلة الصبر لان الصبور لا يهمل منه الاضرار فانه يصبر ويفوض
الامر الى الله تعالى وأما الغدار فيعاهدك ولا يصبر على العهد فينقضه وأما الكفور فى

مقابله الشكور معنى فظاهر * ولما ذكر تعالى الدلائل من أول السورة الى هنا وعطى بالقوى بقوله تعالى (يا أيها الناس) أي عامة وقيل أهل مكة (أتقوا ربكم) أي الذي لا يحسن اليكم غيره (واخشوا) أي خافوا (يوما) لا يشبه الأيام ولا يعد هول البحر ولا غيره عند أدنى هول من أهواله شيئا بوجه (لا يجزى) أي لا يقضى ولا يغنى (والدعن ولده) والراجع الى الموصوف محذوف أي لا يجزى فيه وفي التعبير بالمضارع إشارة الى أن الوالد لا تزال تدعوه الوالدية الى الشفقة على الولد وتجدد عنده العطف والرقّة والمفعول اما محذوف لانه أشبه في التقى واما مدلول عليه بما في الشق الذي بعده وقوله تعالى (ولا مولود) عطف على والد أو مبتدأ خبره (هو جازعن ولده) أي فيه (شيئا) من الجزاء وتغيير النظم للدلالة على أن المولود أولى بأن لا يجزى وقطع طمع من توقع من المؤمنين أن ينفع أباه الكافر في الآخرة (أن وعد الله) أي الذي له مع اعداء العز والجلال (حق) أي أن هذا اليوم الذي هذا شأنه هو كائن لأن الله تعالى وعده ووعده حق وقيل ان وعد الله حق بأن لا يجزى والدعن ولده ولا مولود هو جازعن ولده شيئا لانه وعد بأن لا تزور وزارة ورأى وعده الله حق (فلا تغرنكم الحياة الدنيا) بزخرفها ورونقها فانها زائلة لوقوع اليوم المذكور بالوعد الحق (ولا يغرنكم بالله) أي الذي لا أعظم منه ولا مكافئ مع ولايته معكم (الغرور) أي الكثير الغرور والمبالغ فيه وهو الشيطان الذي لا أحقر منه لما جمع من البعد والطرود والاحتراق مع عداوته بما يزين لكم من أمرها وبالمهمكم به من تعظيم قدرها وببسيككم كيدها وغدرها وتعبها وأذاها فيوجب ذلك لكم الاعراض عن ذلك اليوم فلا تعدونه معاد فلا تتخذون له زاد لما اقترن بغير وزنه من حلم الله تعالى واهماله قال سعيد بن جبيرة القرطبي أن يعمل المعصية وتبني المغفرة * وروى أن الحارث بن عمرو أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال متى قيام الساعة واني قد ألقيت حبا في الارض فحق السماء فطر وحمل امرأتى أذكر أم أنى وما عمل غدا وأين أموت فنزل قوله تعالى (إن الله) أي بماله من العظمة وجميع أوصاف الكمال (عنده) أي خاصة (علم الساعة) أي وقت قيامها لاعلم لغيره بذلك أصلا (وينزل الغيث) أي في أو اناه المقدّر له والمحل المعين له في علمه وقرأنا فاع وابن عامر وعاصم بفتح النون وتشديد الزاي والباقيون بسكون النون وتخفيف الزاي (وبه لم مافي لأرحام) أي من ذكر أو أنثى اسمى أو ميت تام أو ناقص (وما تدرى نفس) أي من الانفس البشرية وغيرها (ماذا تكسب غدا) أي من خير أو شر وربما تعزم على شيء وتفعل خلافه (وما تدرى نفس بأى أرض تموت) أي كما لا تدرى في أى وقت تموت ويعلم الله تعالى وروى ابن أبي حاتم عن مجاهد قال جاء رجل من أهل البادية فقال يا رسول الله ان امرأتى حبلى فأخبرني ما تلدو بلادنا مجدية فأخبرني متى ينزل النيث وقد علمت متى ولدت فأخبرني متى أموت فأنزل الله تعالى هذه الآية وعن عكرمة أن رجلا يقال له الوارث من بني حازن جاء الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا مجدي متى قيام الساعة وقد أجدت بلادنا فتنى تحصب وقد تركت امرأتى حبلى فتى تلد وقد علمت ما كسبت اليوم فإذا كسب غدا وقد علمت بأى أرض ولدت

فبأى أرض أموت فنزلت هذه الآية وعن قتادة قال خمس من الغيب استأثر الله بهن فلم يطلع
عليهن ملكا مقربا ولا نبيأمر سلا أن الله عنده علم الساعة فلا يدري أحد من الناس متى تقوم
الساعة في أى سنة ولا في أى شهر ألبلا أم نهارا وينزل الغيث فلا يعلم أحد متى ينزل ألبلا
أم نهارا ويعلم ما فى الارحام فلا يعلم أحد ما فى الارحام أذكر أم أنثى أجرام أسود ولا تدري
نفس ما ذاتك سب غدا أخبر أم شرا وما تدري نفس بأى أرض تموت ليس أحد من الناس
يدري أين مضجعه من الأرض أفى بحر أم فى بر أم سهل أم جبل وعن أحمد وابن أبي شبة موقوفاً
على شهر بن حوشب أن ملك الموت مر على سليمان فجعل يتطرق الى رجل من جلسائه بهيم النظر
اليه فقال الرجل من هذا فقال ملك الموت فقال فكأنه يريدنى فرأى ربحاً أن تحملى وتلقينى
بالهند فأمر سليمان الريح فحملته الى بلاد الهند فوق صحابة فلما استقرت فيها قبض روحه ملك
الموت عليه السلام ثم جاء الى سليمان عليه السلام فسأله عن نظره الى الرجل فقال ملك الموت
كان دوام نظرى اليه تعجباً منه إذ أمرت أن أقبض روحه بالهند وهو عندك وعن ابن عمر قال
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مفاتيح الغيب خمس لا يعلمن الا الله لا يعلم ما فى غد الا الله
ولا متى تقوم الساعة الا الله ولا ما فى الارحام الا الله ولا متى ينزل الغيث الا الله وما تدري نفس
بأى أرض تموت الا الله وعن أبي هريرة رضى الله تعالى عنه أن رجلاً قال يا رسول الله متى
الساعة قال ما المسؤول عنها بأعلم من السائل ولكن سأحدثكم بأسرارها إذا ولدت الامة ربها
فذلك من أسرارها وإذا كانت الحفاة الرعاة رؤس الناس فذلك من أسرارها وإذا اناطوا ول رعاء
الغنم فى البنيان فذلك من أسرارها وخمس من الغيب لا يعلمن الا الله ثم تلا أن الله عنده علم
الساعة الى آخر الآية وعن أبي أمامة أن أعرابياً وقف على النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر على
ناقاة له عشراء فقال يا محمد ما فى بطن ناقتي هذه فقال له رجل من الانصار دع عنك رسول الله صلى
الله عليه وسلم وهلم الى حتى أخبرك وقعت أنت عليها وفى بطنها ولد منك فأعرض عنه رسول الله
صلى الله عليه وسلم ثم قال ان الله يحب كل حي كريم ويبغض كل قاس لئيم متفحش ثم أقبل على
الاعرابي فقال خمس لا يعلمن الا الله ان الله عنده علم الساعة الآية وعن سلمة بن الأكوع
قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى قبة جبراء إذ جاءه رجل على فرس فقال له من أنت قال
أنا رسول الله قال متى الساعة قال غيب وما يعلم الغيب الا الله قال ما فى بطن فرسي قال غيب وما
يعلم الغيب الا الله قال فتى غطرق قال غيب وما يعلم الغيب الا الله وعن ابن عمر أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال أوتيت مفاتيح كل شئ الا الخمس ان الله عنده علم الساعة الآية وعن ابن مسعود
قال أوتى نبيكم صلى الله عليه وسلم مفاتيح كل شئ غير خمس ان الله عنده علم الساعة الآية وعن
علي بن أبي طالب رضى الله تعالى عنه لم يعم على نبيكم الا الخمس من سررائير الغيب هذه الآية
فى آخرها فمان ان الله عنده علم الساعة الى آخر السورة وعن ربعي قال حدثني رجل من بني عامر
أنه قال يا رسول الله هل ينبي من العلم شئ لا تعلمه فقال لقد علمنى الله خيرا وان من العلم ما لا يعلمه الا
الله الخمس ان الله عنده علم الساعة الآية وعن بنت معوذ قالت دخل على رسول الله صلى الله

عليه وسلم صبيحة عرسى وعندى جارىتان تغنيان وتقولان وفيما نرى يعلم ما فى غد فقال أما هذا فلا تقولاه ما يعلم ما فى غد إلا الله وعن ابن عزة الهذلى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا أراد الله قبض عبداً أرض جعل له إليها حاجة فلم يفته حتى يقدمها ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم وماتدرى نفس بأى أرض تموت وعن أبى مالك أن النبى صلى الله عليه وسلم يمتهاجوا بالسر فى مجلس فيه أصحابه جاءه جبريل فى غير صورته يحسبه رجلاً من المسلمين فسلم فردد عليه السلام ثم وضع يده على ركبتي النبى صلى الله عليه وسلم وقال له يا رسول الله ما الإسلام قال أن تسلم وجهك لله وتشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً عبده ورسوله وتقيم الصلاة وتؤتى الزكاة قال فإذا فعلت ذلك فقد أسلمت قال نعم ثم قال ما الإيمان قال أن تؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والكتب والنبيين والموت والحياة بعد الموت والجنة والنار والحساب والميزان والقدر خير وشره قال فإذا فعلت ذلك فقد آمنتم قال نعم ثم قال ما الإحسان قال أن تعبد الله كأنك تراه فإن كنت لا تراه فإنه يرالك قال فإذا فعلت ذلك فقد أحسنت قال نعم ثم قال فى الساعة يا رسول الله فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم سبحان الله خمس من الغيب لا يعلمها إلا الله أن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما فى الأرحام وماتدرى نفس ماذا تكتب غداً وماتدرى نفس بأى أرض تموت (إن الله) أى المختص بأوصاف الكمال (عليم) أى شامل علمه للأمور كلها كلياتها وجزئياتها فأثبت العلم المطلق لنفسه سبحانه بعد أن نفاه عن الغير فى هذه الخمس (خبير) أى يعلم خبايا الأمور وخفايا الصدور كما يعلم ظواهرها وجلاياها كل عنده على حد سواء فهو الحكيم فى ذاته وصفاته ولذلك أخفى هذه المفاتيح عن عباده لأنه لو أطلعهم عليها لقات كثير من الحكم باختلال هذا النظام على ما فيه من الأحكام فقد انطبق آخر السورة بأشبات العلم والخبر مع تقرير أمر الساعة التى هى مفتاح الدار الآخرة على أولها الخبر بمحكمة صفته التى من علمها حق علمها وتخلق بعبادته السبع وحضت عليه لاسمها الإيمان بالآخرة كان حكماً فسبحان من هذا كلامه وتعالى كبرياؤه وعز مرامه ومارواه البيضاءوى تبعاً للزخشرى من أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة لقمان كان له إيمان رفيعتا يوم القيامة وأعطى من الحسنات عشر أبعده من عمل المعروف ونهى عن المنكر حديث موضوع

(سورة السجدة مكية)

وهى ثلاثون آية وستمانه وعمانون كلمة وألف وخمسمائة وثمانية عشر حرفاً

(بسم الله) ذى الجلال والإكرام (الرحمن) بعموم البشارة والندارة (الرحيم) الذى أسكن فى قلوب أحبائه الشوق إليه والخضوع بين يديه وتقدم فى البقرة وغيرها الكلام على (الم) وعالم يسبق أنه إشارة إلى أن الله تعالى أرسل جبريل عليه السلام إلى محمد الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم بكتاب معجز دال بما عاينه على صحة رسالته ووحدايته من أرسله وسرد سبحانه هذه الحروف

في أوائل أربع من هذه السور فزادت على الطواسين بوحدة إشارة إلى أن هذه المعاني في غاية
 الثبات لا تنقطع لهما * ولما كان المقصود في التي قبلها اثبات الحكمة لمنزل هذا الكتاب الذي
 فيه تبيان كل شيء أخبر سبحانه وتعالى عن هذا بأنه من عنده بقوله تعالى (تنزيل الكتاب)
 أي الجامع لكل هدى على مازون من الله يدرج من السماء (لأريب) أي لاشك (فيه)
 لأن نافي الشك هو الإعجاز معه لا يتفك عنه فكل ما تقولونه مما يخالف ذلك تعنت أو جهل من
 غير ريب حال كونه (من رب العالمين) أي الخالق لهم المذبر لمصالحهم فلا يجوز في عقل
 ولا يخاطر في بال ولا يقع في وهم ولا يتصور في خيال أنه يصل شيء من كتابه تعالى إلى هذا النبي
 الكريم بغير أمره ولا يتخيل أن شيئاً منه ليس بقول الله تعالى ثم لا يتخيل أنه من كلامه ولكنه
 أخذه من بعض أهل الكتاب لأن هذا لا يفعل مع بعض الملوك فكيف بملك الملوك فكيف بمن
 هو عالم بالسرى والجهر محيط علمه بالحق والجلي * (تنبيه) * في تنزيل الكتاب امر بات محتملة
 وأظهرها ما جرى عليه الجلال الهللي من أن تنزيل الكتاب يبدأ ولأريب فيه خبر أول ومن
 رب العالمين خبر ثان وقوله تعالى (أم يقولون) أي مع ذلك الذي لا يفتري فيه عاقل (اقتراه)
 أي تعدد كذبه أم فيه هي المنقطعة والاضراب للانتقال للابطال وقيل الميم صلة أي
 أتقولون اقتراه وقوله تعالى (بل هو الحق) أي الثابت ثباتاً لا يباهيه ثبات شيء من الكتب قبله
 اضربان ثان ولوقيل بأنه اضرب ابطالي لنفس اقتراه وحده لكان صواباً وعلى هذا يقال
 كل ما في القرآن اضرب فهو اضرب انتقالي الألهذا فانه يجوز أن يكون ابطالاً لانه ابطال
 لقولهم أي ليس هو كما قالوا مفتري بل هو الحق وفي كلام الزمخشري ما يرشد إلى هذا فانه قال
 والضمير في فيه راجع إلى مضمون الجملة كأنه قيل لأريب في ذلك أي في كونه من رب العالمين
 قال ابن عادل ويشهد لوجهاته أم يقولون اقتراه لأن قولهم هذا مفتري انكار لأن يكون من
 رب العالمين وكذلك قوله بل هو الحق من بلك وما فيه من تقرير أنه من عند الله وهذا أسلوب
 صحيح محكم انتهى وقوله تعالى (من ربك) أي المحسن البك بما ناله واحكامه حال من الحق
 والعامل فيه محذوف على القاعدة وهو العامل أيضاً في (لتنذر) ويجوز أن يكون العامل في
 لتنذر غيره أي أنزله لتنذر (قوماً) أي ذوي قوة وجلد ومنعة (مأثاهم من نذر) أي رسول في
 هذه الأزمان القرية لقول ابن عباس ان المراد الفترة ويؤيده اثبات الجار في قوله تعالى
 (من قبلك) ولما ذكر تعالى علة الانزال أتبعه علة الانذار بقوله تعالى (لعلهم يهتدون) أي
 ليكون حالهم في مجاري العادات حال من ترجى هدايته إلى كمال الشريعة وأما التوحيد
 فلا عذر لاحد فيه مع إقامة الله تعالى من حجة العقل ومع ما أنقته الرسل عليهم الصلاة والسلام
 آدم فمن بعده من أوضع النقل بآثار دعواتهم وبقاياتهم ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لمن
 سأله عن أبيه أي وأبوك في النار وغير ذلك من الأدلة الدالة على أن من مات قبل دعوته على
 الشرك فهو في النار لكن ذكر بعض العلماء أن من خصائصه صلى الله عليه وسلم أن الله تعالى
 أحياه أبويه وأسلم على يديه ولا بدع في ذلك فان الله تعالى أكرمه بأشياء لا يتحصر * ولما ذكر

تعالى الرسالة وبين ما على الرسول من الدعاء الى التوحيد واقامة الدليل قال (الله) أى
 الحياوى لجميع صفات السكال وحده (الذى خلق السموات) كلها (والارض) بأسرها
 وما بينهما من المنافع العينية والمعنوية (فى ستة أيام) كما بأتى تفصيله فى فصول ان شاء الله تعالى
 (ثم استوى على العرش) وهو فى اللغة سرب الملك استواء يلبق به تعالى لم تعهد وامثله وهو
 أنه تعالى أخذ فى تدبيره وتدبير ما حواه بنفسه لا شريك له ولا نائب فيه ولا وزير كاتعهدون من
 ملوك الدنيا اذا امتنعت مما لكهم وتباعدت أطرافها ونشأت أقطارها (مالكم من دونه)
 لأن كل ما سواه دونه وتحت قهره ودل على عوم النقي بقوله تعالى (من ولى) أى بلى أموركم
 ويقوم مصالحكم وينصركم اذا حل بكم شئ مما تذكرون به (ولاشفيع) يشفع عنده فى تدبيركم
 أو فى أحد منكم بغير إذن (أفلا تذكرون) هذا فتؤمنون * ولما نى أن يكون له وزير
 أو شريك فى الخلق ذكر كيف يفعل فى هذا الملك العظيم الذى أبدعه فقال مستأنفاً فسر المراد
 بالاستواء (يدبر الامر) أى كل أمر هذا العالم بأن يفعل فى ذلك فعل الناظر فى أدبارة لا يتقن
 خواصه ولو أزمه كما نظرى اقباله لاحكام فواتحه وعوازمه لا بكل شأ منه الى أحد من خلقه
 قال الرازى فى اللوامع وهذا دليل على ان استواء على العرش به فى اظهاره القدرة والعرش
 مظهر التدبير لا مقرب لدبر * ولما كان المقصود للقرب انما هو تدبير ما يمكن مشهادتهم له من العالم
 قال تعالى مفرداً (من السماء) أى فينزل ذلك الامر الذى اتقنه كما يتقن من ينظر فى ادبار ما بهمله
 (الى الارض) أى غير متعرض الى ما فوق ذلك على أن السماء تشمل كل عال فيدخل به جميع
 العالم العلوى والارض تشمل كل ما سفل فيشمل ذلك العالم السفلى * (فنبه) * ههنا همزتان
 مكسورتان فقالون وابن كثير يسهل الاولى كالبايع المتدوا القصر وورش وقيل يسهل الثانية
 ولهما ابد الهامان غير متدوا سقط أبو عمرو والاولى مع المتدوا القصر والباقون يهقهقهما * ولما كان
 الصعود أشق من النزول على ما جرت به العوائد فكان بذلك مستبعداً أشار الى ذلك بقوله تعالى
 (ثم يهرج) أى يصعد (اليه) أى يصعد الملك الى الله تعالى أى الى الموضع الذى شرفه أو
 أمره بالكون فيه كقوله تعالى انى ذاهب الى ربى ومن يخرج من بيته مهاجراً الى الله ورسوله
 ونحو ذلك أو الى الموضع الذى ابتدأ منه نزول التدبير الى السماء كأنه صاعد فى معارج وهى
 الدرج على ما تتعارفون بينكم فى أسرع من لمح البصر (فى يوم) أى من أيام الدنيا (كان
 مقداره) لو كان الصاعد واحد منكم على ما تعهدون (ألف سنة مما تعدون) من سنينكم التى
 تعهدون قال البقاعى والذى دل على هذا التقدير شئ من العرف وشئ من اللفظ أما اللفظ
 فالتمثيل بكان مع انتظام الكلام بدونها لو أريد غير ذلك وأما العرف فهو ان الانسان المتكبر يبنى
 البيت العظيم العالى فى سنة مثلاً فاذا فرغه صعد اليه خادمه الى أعلاه فى أقل من درجتين من
 درج الرمل فلا تكون نسبة ذلك من زمن شائه الاجراً ولا يعد هذا وهو خلق محتاج فاختل
 بين خلق الخلق فى ستة أيام ولو شاء لخلقهم فى لحظة وهو غنى عن كل شئ قادر على كل شئ انتهى
 فنزل الامر وعروج العمل فى مسافة ألف سنة مما تعدون وهو ما بين السماء والارض فان

مساقته خمسمائة سنة فينزل في مسيرة خمسمائة سنة ويعرج في خمسمائة سنة فهو مقدار ألف سنة
 كأنه تعالى يقول لو سار أحد من بني آدم لم يقطعه إلا في ألف سنة والملائكة ينطعون في يوم
 واحد هذا في وصف عروج الملك من الأرض إلى السماء وأما قوله تعالى تعرج الملائكة والروح
 إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فأراد مدة المسافة من الأرض إلى سدرة المنتهى التي
 هي مقام جبريل عليه السلام فسبح جبريل والملائكة الذين معه من أهل مقامه مسيرة خمسين
 ألف سنة في يوم واحد من أيام الدنيا قاله مجاهد والضحك وورد أنه صلى الله عليه وسلم قال بين
 السماء والأرض خمسمائة عام ثم قال أتدرون ما الذي فوقها قلنا الله ورسوله أعلم قال سماء
 أخرى أتدرون كم بينها وبينها قلنا الله ورسوله أعلم قال خمسمائة عام حتى عد سبع سموات ثم قال
 هل تدرون ما فوق ذلك قلنا الله ورسوله أعلم قال العرش ثم قال أتدرون ما بينه وبين السماء
 السابعة قلنا الله ورسوله أعلم قال مسيرة خمسمائة عام ثم قال ما هذه تحتكم قلنا الله ورسوله أعلم
 قال أرض أتدرون ما تحتها قلنا الله ورسوله أعلم قال أرض أخرى أتدرون كم بينها وبينها قلنا الله
 ورسوله أعلم قال مسيرة سبع مائة عام حتى عد سبع أرضين ثم قال إني لله لودليتيم بحبل لهما على
 علم الله وقدرته وروى من مثل السموات والأرض في الكرسي كحقيقة ملقاة في فلاة وإن فضل
 الكرسي على السموات والأرض كفضل الفلاة على تلك الحلقة وقوله تعالى وسع كرسيه السموات
 والأرض يدل على أن الكرسي محيط بالكل وقيل مقدار ألف سنة وخمسين ألف سنة كلها
 في القيامة ومعناه حينئذ يدير الأمر من السماء إلى الأرض مدة أيام الدنيا ثم يعرج أي يرجع
 الأمر والتدبير إليه بعد قضاء الدنيا في يوم كان مقداره ذلك وذلك اليوم يتفاوت فهو على الكافر
 كخمسين ألف سنة وعلى المؤمن دون ذلك بل جاء في الحديث أنه يكون على المؤمن كمثل صلاة
 مكتوبة تصلاها في الدنيا وقبل أن ذلك إشارة إلى امتداد نفاذ الأمر وذلك لأن من نفذ أمره غاية
 النفاذ في يوم أو يومين وانقطع طبع لا يكون مثل من ينفذ أمره في سنين متطاوله فتقوله في يوم كان
 مقداره ألف سنة يعني يدير الأمر في زمان يوم منه ألف سنة فكيف يكون ثم منه وكيف يكون سنة منه
 وكيف يكون دهر منه وعلى هذا فلا فرق بين هذا وبين قوله مقدار خمسين ألف سنة لأن ذلك إذا
 كان إشارة إلى دوام نفاذ الأمر فسواء يعبر بألف سنة أو بخمسين ألف سنة لا يتفاوت إلا
 أن المبالغة بالخمسين أكثر وسيأتي بيان فائدتها في موضعها إن شاء الله تعالى * ولما تنقز رهذا
 من عالم الاشباح والخلق ثم عالم الأرواح والأمر بين أنه تعالى عالم بما كان وما يكون بقوله
 تعالى (ذلك) أي الإله الواحد القهار (عالم الغيب والشهادة) أي ما غاب عن الخلق
 ومنه الذي تقدمت مفاتيحه وما حضر وظهر فيدبر أمرهما (العزير) أي الغالب على أمره
 (الرحيم) على العباد في تدبيره وفيه إيماء بأنه تعالى برأى المصالح ففضلا وإحسانا * ولما ذكر تعالى
 الدليل على الوحدةانية من الاتفاق بقوله تعالى خلق السموات والأرض وما بينهما ذكر الدليل
 عليهم من الانفس بقوله تعالى (الذي أحسن كل شيء خلقه) قال ابن عباس أنقنه وأحكمه
 فجميع المخلوقات حسنة وإن تفاوتت إلى حسن وأحسن كما قال تعالى لقد خلقنا الإنسان

في أحسن تقويم وقال مقاتل علم كيف يخلق كل شيء من قول القائل فلان يحسن كذا إذا كان
 يتقنه وقيل خلق كل حيوان على صورة لم يخلق البعض على صورة البعض وقيل معناه
 أحسن إلى كل خلقه وقرأ نافع والسكوفيون بفتح اللام فعلا ماضيا والجملة صفة للمضاف أو
 المضاف إليه والباقون بسكونها على أنه بدل من كل شيء يدل اشتغال والضمير عائدا على كل شيء
 * ولما كان الحيوان أشرف الاجناس وكان الانسان أشرفه خصه بالذكور ليقيم دليل الوحدةانية
 بالانفس كما قام بالآفاق فقال دال على البعث (وبدأ خلق الانسان) أي آدم عليه السلام
 (من طين) قال الرازي ويمكن أن يقال الطين ماء وتراب مجتمعان فالآدمي أصله منى والمنى أصله
 غذاء والاعذية ما حيوانية أو نباتية والحيوانية ترجع إلى النباتية والنبات وجوده بالماء
 والتراب الذي هو الطين (ثم جعل نسله) أي ذريته (من سلالة) أي نطفة سميت سلالة
 لأنها نسل من الانسان أي تنفصل منه وتخرج من صلبه ونحوه قوله لهم للولد سليل هذا على
 التفسير الاول لأن آدم كان من الطين ونسله من سلالة (من ماء مهين) أي ضعيف وعلى
 التفسير الثاني هو أن أصله من طين ثم يوجد من ذلك الأصل سلالة هي ماء مهين وهو نطفة الرجل
 وأشار إلى عظمة ما بعد ذلك من خلقه وتطويره بقوله تعالى (ثم سواه) قومه بتصوير أعضائه
 وابداع المعاني على ما ينبغي (ونفخ فيه) أي آدم (من روحه) أي جعله حيا حساسا بعد
 أن كان مجادا وإضافة الروح إلى الله تعالى إضافة تشريف كيبت الله وناقته الله فيه أنه
 شرف ما علاه فخصه أشعار بأنه خلق عجيب وإن له شأنا له مناسبة ما إلى الحضرة الربوبية قال
 البيضاوي ولا جله أي ولا أجل كونه إن له شأنا إلى آخره روى من عرف نفسه فقد عرف ربه
 هذا الحديث لأصل له وبتقدير أن له أصلا ليس معناه ما ذكر بل معناه من عرف نفسه وتأمل
 في حقيقة ما عرف أن له صفاتا وجماله واليه أشار بقوله تعالى وفي أنفسكم أفلا تبصرون
 ثم ذكر ما ترتب على نفخ الروح في الجسد مخاطبا للذرية بقوله تعالى (وجعل لكم) بعد
 أن كنتم نطفة أمواتا (السمع) أي لتدركوا به ما يقال لكم (والابصار) أي لتدركوا بها
 الأشياء على ما هي عليه (والافتدة) أي القلوب المودعة غراثر العقول (فان قيل) ما الحكمة
 في تقديم السمع على البصر والبصر على الفتدة (أجيب) بأن الانسان يسمع أولا كلاما
 فينظر إلى فائده ليعرفه ثم يفتكر بقلبه في ذلك الكلام ليفهم معناه (فان قيل) ما الحكمة
 في ذكره المصدر في السمع وفي البصر والقواد الاسم ولهذا جاع الابصار والافتدة ولم يجمع السمع
 لأن المصدر لا يجمع (أجيب) بأن السمع قوة واحدة ولها محل واحد وهو الاذن ولا اختيار
 لها فيه وإن الصوت من أي جانب كان واصل إليه ولا قدرة للاذن على تخصيص السمع بأدراك
 البعض دون البعض وأما البصر فمحل العين ولها فيه اختيار فانها تهزك إلى جانب المرئي دون
 غيره وكذلك النواضح الادراك وله نوع اختيار يلتفت إلى ما يريد دون غيره فالسمع أصل دون
 محله لعدم الاختيار له والعين كالأصل وقوة الابصار ألها والقواد كذلك وقوة الفهم آتته فذكر
 في السمع المصدر الذي هو القوة وفي الابصار والافتدة الاسم الذي هو محل القوة ولأن السمع

قوة واحدة لها محل واحد ولهذا لا يسمع الانسان في زمان واحد كلامين على وجه يضبطهما
 ويرى في زمان واحد صورتين فأكثر ويشبههما (فان قيل) لم قدم السمع ههنا وقدم القلب
 في قوله تعالى في البقرة ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم (أجيب) بأنه تعالى
 عند الاعطاء ذكر الادنى ثم ارتقى الى الاعلى فكأنه قال أعطاكم السمع ثم أعطاكم ما هو أشرف
 منه وهو القلب وعند السلب قال ليس لهم قلب يدركون به ولا ما هو دونه وهو السمع الذي
 يسمعون به عن له قلب يفهم الحقائق ويستخرجها * ولما يبادروا الى الايمان عند التذكير
 بهذه النعم الجسام قال تعالى (قل لا ما تشكرون) أى تشكرون شكرا قليلا فاضريدهم موكدة
 للقله وقوله تعالى (وقالوا) معطوف على ما سبق منهم فأنهم قالوا الحمد ليس برسول والاله ليس
 بواحد والبعث ليس بممكن فدل على صحة الرسالة بنى الرب عن الكتاب ثم على الوحدانية
 بشمول القدرة واحاطة العلم بابداع الخلق على وجه هو نعمة لهم وختم بالتعجب من كفرهم وكان
 استبعادهم للبعث الذى هو الثابت الاصل من أعظم كفرهم وهو قولهم (أئذا) أى انبعث اذا
 (ضللنا) أى غبننا (في الارض) أى صرنا ترابا مخلوطا بتراب الارض لا يتميز منه وأصله من ضل
 الماء في اللبن اذا ذهب فيه وقولهم (أئننا لفي خلق جديد) أى يجدد خلقنا استفهام انكارى
 زيادة في الاستبعاد (فان قيل) انه تعالى ذكر الرسالة من قبل وذكر دليلها وهو التنزيل الذى
 لا ريب فيه وذكر الوحدانية وذكر دليلها وهو خلق السموات والارض وخلق الانسان من طين
 * ولما ذكر انكارهم الحشر لم يذكر الدليل (أجيب) بأنه ذكر دليله أيضا وهو ان خلقه الانسان
 ابتداء دليل على قدرته على الاعادة ولهذا استدل تعالى على انكار الحشر بالخلق الاول ثم بعده
 وهو أهون عليه وقوله تعالى الذى أنشأها أول مرة وأيضاً خلق السموات والارض كما قال أو
 ليس الذى خلق السموات والارض بقادر على أن يخلق مثلهم بل وقراً نافع والكسافى أئذا
 ضللنا في الارض انا الاول بالاستفهام والثاني بالخبر وقرأ ابن عاصم الاول بالخبر والثاني
 بالاستفهام والباقيون بالاستفهام فيه ما ومذهب قالون وأبي عمرو في الاستفهام تسهيل الثانية
 واخدا للالف بينها وبين همزة الاستفهام وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال
 وهشام يسهل الثانية ويحققهام مع الادخال والباقيون بتحقيقههما من غير ادخال وقوله تعالى
 (بل هم بلفظهم كافرين) أى جاحدون اضراب عن الاول أى ليس انكارهم لجرد الخلق ثانياً
 بل يكفرون بجميع أحوال الآخرة حتى لو صدقوا بالخلق الثانى لما اعتزوا بالعذاب والثواب
 أو يكون المعنى لم يتكروا بالبعث لنفسه بل لكفرهم ببقاء الله فأنهم كرهوه فأنكروا المفضى اليه
 ثم بين لهم ما يكون من الموت الى العذاب بقوله تعالى (قل) أى يا أفضل الخلق لهم (تتوفاكم)
 أى يقبض أرواحكم (ملك الموت الذى وكل بكم) أى يقبض أرواحكم وهو عزرائيل
 عليه السلام والتوفى استيفاء العدد معناه أن يقبض أرواحهم حتى لا يبقى أحد من العدد
 الذى كتب عليه الموت روى أن ملك الموت جعل له الدنيا مثل راحة اليد يأخذ منها صاحبها
 ما أحب من غير مشقة فهو يقبض أنفس الخلق من مشارق الارض ومغاربها وله أعوان من

ملائكة الرحمة وأعوان من ملائكة العذاب وقال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما خطوة ملك الموت ما بين المشرق والمغرب وقال مجاهد جعلت الأرض مثل الطست يتناول منها حيث يشاء وفي بعض الاخبار ان ملك الموت على معراج بين السماء والأرض فتزغ أعوانه روح الانسان فاذا بلغ نغرة نغرة قبضه ملك الموت وعن معاذ بن جبل ان ملك الموت حربة تبلغ ما بين المشرق والمغرب وهو يتصفح وجوه الناس فيأمن أهل بيت الا وملك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فاذا رأى انسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة وقال الآن يزار بك عسكر الموت فيصير ملقى لروح في شيء منه وهو على حاله كاملا لا نقص في شيء منه يدعى الخلل بسببه فاذا كان هذا فعل عبد من عبيده تعالى صرّفه في ذلك فقام به كثر ونه مع أن مما زجج الروح للبدن أشد من مما زجج تراب البدن لبقية التراب لانه ربما يستبدل بعض الخلق على بعض ذلك بنوع دليل من شئ ونحوه فكيف يستبعد شئ من الاشياء على رب العالمين ومدير الخلائق أجمعين نسأل الله تعالى أن يقضنا على التوحيد وان يستعملنا في طاعته ما أحبنا ويا فعل ذلك بأهلنا وأحبائنا * ولما قام هذا البرهان القطعي على قدرته التامة علم أن التقدير ثم بعيد كم خلقا جديدا كما كنتم أول مرة فخذفه كما هو عادة القرآن في حذف كل ما دل عليه السياق ولم يدع داع الى ذكره وعطف عليه قوله تعالى (ثم الى ربكم) أي الذي ابتداء خلقكم وترتيبكم وأحسن اليكم غاية الاحسان (ترجعون) أي تصيرون اليه أحياء فيجزىكم بأعمالكم * ولما تقرر دليل البعث بما لا خفاء فيه ولا لبس شرع في بعض أحواله بقوله تعالى (ولو ترى) أي تبصر (اذا المجرمون) أي الكافرون (ناكسوا رؤسهم) أي مطأطؤوها خوفا وخجلا وحرنا وذللا رعد ربهم) المحسن اليهم المتوحد بتدبيرهم قائلين بغاية الذل والرقعة (ربنا) أي المحسن الينا (أبصرنا) أي ما كنا نكذب به (وسمعنا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فارجعنا) بمالك من هذه الصفة المتضمنة للاحسان الى الدنيا دار العمل (نعمل صالحا) فيها (اماموقنون) أي ثابت لنا الآن الا يقان بجمع ما أخبرنا به عنك فلا يتبعهم ذلك ولا يرجعون وجواب لو محذوف تقديره رأيت أمر افطيعا والمخاطب يحتمل أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم شفعا لصدور فانهم كانوا يؤذونه بالكذب ويحتمل أن يكون عاما واذا على بابها من الماضي لان لو تصرف المضارع للمضي وانما جى هنا ماضيا لتحقيق وقوعه نحو أرى أمر الله وجعله أبو البقاء مما وقع فيه اذ موقع اذا ولا حاجة اليه وقوله تعالى (ولو شئنا) أي بما لنا من العظمة (لا تينا كل نفس) أي مكلفة لان الكلام فيها (هداها) فتهتدى بالايان والطاعة باختيار منها جواب عن قولهم ربنا أبصرنا وسمعنا وذلك ان الله تعالى قال اني لو أردت منكم الايمان لهديتكم في الدنيا ولما لم أهدكم تبين اني ما أردت ولا شئت ايمانكم فلا أردكم وهذا صريح في الدلالة على صحة مذهب أهل السنة حيث قالوا ان الله تعالى ما أراد الايمان من الكافر وما شاء منه الا الكفر (ولكن) لم أشأ ذلك لانه (حق القول مني) وأنا من لا يختلف الميعاد

لأن الاختلاف أمّا العجز أو النسيان أو حاجة ولا شيء من ذلك يليق بجنابي ولا يحلّ بساقتي وأؤكد
 لأجل انكارهم فقال مقصداً (لأَمْ لَأَنْ جَهَنَّمَ) أي التي هي محلّ أهانتني (من الجنّة)
 أي الجنّ طائفة ابليس وكأنّه تعالى انهم تحقير الهم غند من يستعظم أمرهم وبدأ بهم
 لاستعظامهم لهم ولأنهم الذين أضلّوهم (والناس أجمعين) حيث قلت لابليس لا ملأنّ
 جهنم منك وعمن تبعل منهم أجمعين فلذلك شئت كفر الكافر وعصيان العاصي بعد أن جعلت
 لهم اختياراً ونغيبت العقوبة عنهم فصار الكسب ينسب إليهم ظاهراً والخلق في الحقيقة
 والمشيئة على * ولما تسبب عن هذا القول الصادق أنّه لا محجّص بهم عن عذابهم قال لهم انظرنة
 إذا دخلوا جهنم (فدوقوا) العذاب (بما) أي بسبب ما (نسيتم لقاء يومكم) وحقيقته وبين
 ذلك بقوله تعالى (هَذَا) أي بترككم الإيمان به (إنا نسيناكم) أي عاملناكم بما لنا من
 العظمة ولحكم من الحقايرة معاملة الناسي لكم فترككم في العذاب (ودوقوا عذاب الخلد)
 أي المختص بأنّه لا آخر له (بما) أي بسبب ما (كنتم تعملون) أي من الكفر والتكذيب
 وانكار البعث * ولما ذكر تعالى علامة أهل الكفران ذكر علامة أهل الإيمان بقوله تعالى
 (أَتَأْمِنُونَ بآيَاتِنَا) أي الدالة على عظمتنا (الذين إذا ذكروا بها) أي من أي مذكر كان
 في أي وقت كان (خزوا وسجدوا) أي بادروا إلى السجود ومبادرة من كأنّه سقط من غير قصد
 خضعا لله من شدة تواضعهم وخشيتهم وخبائتهم خضوعاً ثابتاً دائماً (وسجوا) أي أوقعوا
 التسبيح به عن كل شأنة نقص متبسين (بمحمد ربه) أي قالوا سبحان الله وبجمده وقيل
 صلوا بأمر ربه * ولما تضمن هذا تواضعهم صرح به في قوله تعالى (وهم لا يستكبرون)
 أي عن الإيمان والطاعة كما يفعل من يصير مستكبراً وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يقرأ السورة التي فيها السجدة فيسجد ونسجد حتى ما يجده أحدنا مكاناً لموضع جهته في غروقت
 الصلاة وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ابن آدم السجدة فسجد
 اعتزل ابليس يسكني يقول يا ويلتي أمر ابن آدم بالسجود فسجد فله الجنة وأمرت بالسجود
 فأبيت في النار وهذه من عزائم سجود القرآن فتسنّ للقارئ والمستمع والسماع * ولما كان
 المتواضع ربما ينسب إلى الكسل في ذلك عنهم مينا لما تضمنته الآية السالفة من
 خوفهم بقوله تعالى (تجأني) أي ترتفع وتنبو (جنوهم عن المضاجع) عبره عن ترك النوم
 قال ابن رواحة

نبي تجأني جنبه عن فراشه * إذا استنقلت بالمشركين المضاجع

والمضاجع جمع المضجع وهو الموضع الذي يضيع عليه يعني الفراش وهم المتسجدون الذين يقيمون
 الصلاة قال أنس نزلت فينا معاشر الأنصار كما نصلي المغرب فلا نرجع إلى رحالتنا حتى نصلي
 العشاء مع النبي صلى الله عليه وسلم وعن أنس أيضاً قال نزلت في أناس من أصحاب النبي صلى الله
 عليه وسلم كانوا يصلون صلاة المغرب إلى صلاة العشاء قال عطاءهم الذين لا ينامون حتى يصلوا
 العشاء الآخرة والعجبر في جماعة وعنه صلى الله عليه وسلم من صلى العشاء في جماعة كان

كقيام نصف ليلة ومن صلى النجوى جماعة كان قيام ليلة وعن أنس كان يجتنب الفرس قبل
 صلاة العشاء وعنه أيضاً قال ما رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم راقداً قط قبل العشاء ولا
 متحداً نابعداً فإن هذه الآية ترات في ذلك وعن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال هم
 الذين لا ينامون قبل العشاء فأثنى عليهم فلما ذكر ذلك جعل الرجل يعتزل فراشه مخافة أن تعلمه
 عينه فوقع قبل أن ينام الصغير ويكسل الكبير وعن مالك بن دينار قال سألت أنساً عن هذه الآية
 فقال كان قوم من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين الأقران يصلون المغرب
 ويصلون بعدها إلى العشاء الآخرة فتزات هذه الآية فيهم وعن ابن أبي حازم قال هي ما بين
 المغرب والعشاء صلاة الأوابين وعن معاذ بن جبل عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى
 تتعافى جنوبهم عن المضاجع قال قيام العبد من الليل وعن معاذ بن جبل أيضاً قال كنت
 مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر فأصبحت يوماً مقرياً سامنة وهو يسير فقلت يا رسول الله
 أخبرني بعمل يدخلني الجنة ويباعدني من النار قال لقد سألت عن عظيم وإنه ليسير على من
 يسره الله عليه تعدد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتخرج
 البيت ثم قال ألا أدلك على أبواب الخير الصوم جنة والصدقة تطفى الخيطية وصلاة الرجل
 من جوف الليل ثم قرأ تتعافى جنوبهم عن المضاجع حتى بلغ يعملون ثم قال ألا أخبرك برأس
 الأمر وعوده وذروة سننهم الجهاد ثم قال ألا أخبرك بذلك كله فقلت بلى يا نبي الله فأخذ
 بلسانه فقال كف عنك هذا فقلت يا رسول الله وانا ما أخذون بما تكلم به فقال شككتك أملك
 يا معاذ وهل يكب الناس في النار على وجوههم إلا صنادلهم وعن كعب قال إذا حشر
 الناس نادى مناد هذا يوم الفصل أين الذين تتعافى جنوبهم عن المضاجع أين الذين يذكر
 الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ثم يخرج من تحتهم ناراً فيقول أمرت ثلاثاً من جعل مع الله
 الهما آخر وبكل جبار عنيد وبكل معتل نادياً أعرف بالرجل من الولد ولولده والمولود ولولده
 ويوم يفتقروا المسلمين إلى الجنة فيحبسون فيقولون نحبسوناً ما كان لنا أموال وما كنا أمراء
 وعن أبي امامة الباهلي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عليكم بشيام الليل فإنه دأب
 الصالحين قبلكم وقربة إلى ربكم وتكفير للسيئات ومعناه عن الاستقام ومطردة للداء وعن ابن
 مسعود أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال يحب ربنا من رجلين رجل ثار عن وطائه وحسافه
 بين حبه وأهله إلى صلاته رغبة فيما عندي وثقة بما عندي ورجل غزا في سبيل الله فأغرم مع
 أصحابه فعمل ما عليه من الانهزام وما عليه في الرجوع فرجع حتى هرب ودمه وعن عائشة رضي
 الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقوم الليل حتى تنتظر قدماء فقلت لم تصنع هذا
 يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر قال ألا أكون عبداً شكوراً وعن علي أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنهما من ظاهرها
 أعدّها الله لمن ألان الكلام وأطعم الطعام وتابع الصيام وصلى بالليل والناس نيام وأخرج
 البيهقي في شعب الإيمان عن ربيعة الخرساني قال يجمع الله الخلائق يوم القيامة في صعيد واحد

فيكونون ماشاء الله أن يكونوا ثم نادى مناد سيعلم أهل الجمع لمن يكون العز اليوم والكرم
ليقيم الذين تجبأ في جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفا وطمعا فيقومون وفيهم قلة
ثم يلبث ماشاء الله أن يلبث ثم يعود فينادى المنادى سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقم
الذين لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر الله فيقومون وهم أكثر من الأولين ثم يلبث ماشاء الله
أن يلبث ثم يعود وينادى سيعلم أهل الجمع لمن العز اليوم والكرم ليقم الحامدون على كل حال
فيقومون وهم أكثر من الأولين وأخرج ابن جرير عن ابن عباس تجبأ في جنوبهم عن المضاجع
يقول تها في الذكر الله أتم في الصلاة وأتم في قيام أو قعود أو على جنوبهم لا يزالون يذكرون الله
* ولما كان هجران المصعب قد يكور لغير العباد بين أنه لها بقوله تعالى مينا لحالهم (يدعون)
أي داعين (ربهم) الذي يؤدوهم بإحسانه ثم علله بقوله تعالى (خوفا) أي من مخطئه وعقابه فإن
أسباب الخوف من نقائصهم كثيرة سواء أرفوا أسبابا يوجب خوفا أو لا لأنهم لا يأمنون مكر
الله لأنه يفعل ما يشاء (وطمعا) في رضاه الموجب لشوابه وقال ابن عباس خوفا من النار وطمعا
في الجنة وعبر به دون الرجاء إشارة إلى أنهم لشدة معرفتهم بنقائصهم لا يعدون أعمالهم شيئا بل
يطلبون فضله بغير سبب وإن كانوا يجتهدون في طاعته * ولما كانت العبادة تقطع غالباً عن
التوسع في الدنيا بما دعت نفس العابد إلى التسلل بما في يده خوفا من نقص العبادة عند الحاجة
وصفهم الله تعالى بقوله تعالى (ومماررناهم) أي بعظم متلا يمحول منهم ولا قوة (يفتقون)
من غير اسراف ولا تقير في جميع وجوه القرب التي شرعنا لها هم فلا يخلون بما عندهم اعتماداً
على الخلاق الرزاق الذي ضمن الخلق فهم بخاصة لهم أوثق منهم بما عندهم * ولما ذكر تعالى
جزاء المستكبرين ذكر جزاء المتواضعين بقوله عز من قائل (فلا تعلم نفس) أي من جميع النفوس
مقربة ولا غيرها (ما أخفى) أي خفي (لهم) أي لهؤلاء المذكورين من منافع الغيوب
وخرائنها كما كانوا يمحذون أعمالهم في الصلاة في جوف الليل وبالصدقة وبغير ذلك وقرأ - ز
يسكون الباء والياء والف * ولما كانت العين لا تقر فتجميع الاعتدالين والسرور قال
تعالى (من قرة أعين) أي من شيء تنفيس تقربه أعينهم لأجل ما ألقوهما عن قرارها بالنوم ثم
صرح بما أفهمته فاء السبب بقوله تعالى (جزاء) أي أخفهاها لهم جزائهم (بما) أي بسبب
ما (كانوا يعملون) أي من الطاعات في دار الدنيا روى البخاري في التفسير عن أبي هريرة
أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت
ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال أبو هريرة أقرؤا إن شئتم فلا تعلم نفس ما أخفى لهم
الآية وعن ابن مسعود قال إنه مكتوب في التوراة لقد أعد الله تعالى للذين تجبأ في جنوبهم
عن المضاجع ما لم تر عين ولم تسمع أذن ولم يخطر على قلب بشر ولا يعلم ملك مقرب ولا نبي مرسل
وإنه لنبي القرآن فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن ابن عمر قال إن الرجل من أهل
الجنة يحب فيشرف عليه الناس فيقتلن يا فلان بن فلان ما أنت بمن خرجت من عندها بأولى بك
منافعة قول ومن أنت فيقتلن نحن من الذي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين

جزء بما كانوا يعملون وعن عامر بن عبد الواحد قال بلغني أن الرجل من أهل الجنة يمكث في مكان سبعين سنة ثم يلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فيقول له قد آن لك أن يكون لنامتك نصيب فيقول من أنت فتقول أنا من يد فيمكث معهن سبعين سنة ويلتفت فإذا هو بامرأة أحسن مما كان فيه فيقول قد آن لك أن يكون لنامتك نصيب فيقول من أنت فتقول أنا التي قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن سعيد بن جبيرة قال يدخلون عليهم على مقدار كل يوم من أيام الدنيا ثمرات معهم التمسح من الله من جنات عدن ما ليس في جناتهم وذلك قوله تعالى فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وعن كعب قال سأصف لكم منزل رجل من أهل الجنة كان يطلب حللاً لأبناً كل حلال حتى لقي الله تعالى على ذلك فإنه يعطى يوم القيامة قصرًا من أولوة واحد ليس فيها صدع ولا وصل فيها سبعون ألف غرفة وأسفل الغرف سبعون ألف بيت كل بيت سقفه صفائح الذهب والفضة ليس بموصول ولولا أن الله تعالى هزله لنظر لذهب بصره من نوره غلظ الحائط خمسة عشر ميلاً وطوله في السماء سبعون ميلاً في كل بيت سبعون ألف باب يدخل عليه في كل بيت من كل باب سبعون ألف خادم لا يراهم من في هذا البيت ولا يراهم من في هذا البيت فإذا أخرج من قصره سار في ملكه مثل عمر الدنيا يسير في ملكه عن يمينه وعن يساره ومن وراءه وأزواجه معه وأمس معه ذكر غيره ومن بين يديه ملائكة قد هروا له وبين أزواجه سترو بين يديه سترو وصف ووصائف قد أفهموا ما يشتهى وما تشتهى أزواجه ولا يوت هو ولا أزواجه ولا خدامه أبدانهم يزداد كل يوم من غير أن يبلى الأول وقرّة عين لا تقطع أبدًا لا يدخل إليه فيه روعة أبدًا وعن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال والذي نفسي بيده لو أن أحد أهل الجنة رجل أضاف آدم في دونه فوضع لهم طعاماً وشرباً حتى خرجوا من عنده لا ينقصه ذلك شيئاً أعطاه الله وعن سهل بن سعد قال بينما نحن عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يصف الجنة حتى انتهى ثم قال فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر ثم قال تتجافى جنوبهم عن المضاجع الآية قال انقرطبي أنهم أخفوا عمو وأخفى لهم نواباً يقدموا على الله فتقرت تلك الآية ومن أبي إيمان قال الجنة مائة درجة أولها درجة فضة وأرضها فضة ومساكنها فضة وأبناؤها فضة وزايجها المسك واللبان ذهب وأرضها ذهب ومساكنها ذهب وآبناؤها ذهب وزايجها المسك والثالثة أولو وأرضها الأولو ومساكنها الأولو وآبناؤها الأولو وزايجها المسك وسبع وتسعون بعد ذلك مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وتلاه هذه الآية فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين الآية وعن المنيرة بن شعبة يرفع إلى النبي صلى الله عليه وسلم أن موسى عليه السلام سأله ربه فقال أي رب أي أهل الجنة أدنى منزلة فقال رجل يحيى بعد ما دخل أهل الجنة الجنة فيقال له ادخل فيقول كيف أدخل وقد نزلوا منازلهم وأخذوا أخذاتهم فيقال له أتزنى أن يكون لك مثل ما كان لك من ملوك الدنيا فيقول نعم أي رب قد رضيت فيك له فإن لك هذا وعشرة أمثاله معه فيقول قد رضيت أي رب فيقال له فإن لك هذا وما شئت نفسك ولدت عينك فقال موسى

أي رب فأى أهل الجنة أرفع منزلة قال ياها أردت وسأحدثك عنهم اني غرست كرامهم يدي
 وسخت عليها فلا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر قال ومصدق ذلك في كتاب الله
 فلا تعلم نفس ما أخفى لهم من قرة أعين * ونزل في علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه والوليد
 ابن عتبة بن أبي معيط أخى عثمان لأمه حين تنازعا فقال الوليد بن عتبة لعلي أسكت فانك صبي
 وأما شيخ وأما والله أبسط منك لسانا وأحدث منك سنانا وأشجع جناها وأملأ منك حشوا
 في الكتبية فقال له علي أمكت فانك فاسق (فمن كان مؤمنا) أي راسخا في التصديق بجميع
 ما أخبر به الرسل (من كان فاسقا) أي راسخا في الفسق خارجا عن دائرة الأذعان وقال تعالى
 (لا يستويون) ولم يقل تعالى لا يستويون لانه لم يرد مؤمنا واحدا ولا فاسقا واحدا بل أراد
 جميع المؤمنين وجميع الفاسقين فلا يستوي جمع من هؤلاء بجمع من أولئك ولا فرد بفرد قال
 قتادة لا يستويون لافي الدنيا ولا عند الموت ولا في الآخرة * ولما نفي استواءهم أتبعه حال كل على
 سبيل التفصيل وبدأ بحال المؤمنين بقوله تعالى (أما الذين آمنوا وعملوا) أي تصدقا بالآياتهم
 (الصالحات) أي الطاعات (فلهم جنات المأوى) أي التي يأوي اليها المؤمنون قائم المأوى
 الحقيقي والديناميزل مرتحل عنها لا بحالة وهي نوع من الجنات قال الله تعالى ولقد رآه نزله
 أخرى عند سدرة المنتهى عندها جنة المأوى سميت بذلك لما روى عن ابن عباس قال تأوى
 اليها أرواح الشهداء وقبل هي عن عيين العرش (نزلا) أي عداد الهسم أول قدمهم قال
 البقاعي كما هي للضيف على ملاح اي عند قدمه (بما) أي بسبب ما (كانوا يعملون) من
 الطاعات فان أعمالهم من رحمة ربهم واذا كانت هذه الجنات نزلا فها ظنك بما بعد ذلك هو
 لعمري ما أشار اليه صلى الله عليه وسلم لما عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر
 وهم كل لحظة في زيادة لان قدرة الله تعالى لا نهاية لها فإياك أن تخادع أو يغترنك المجد * ثم نبى بحال
 الكافر بقوله تعالى (وأما الذين فسدوا) أي خرجوا عن دائرة الايمان الذي هو معدن التواضع
 وأهل للمصاحبة والملازمة (فأوأهم النار) أي التي لا صلاحية فيها لا يواضعون من الوجوه
 ملحوظهم ومنزلهم أي فالنار لهم مكان جنة المأوى للمؤمنين (كلما أرادوا) أي وهم يجتمعون
 فكيف اذا أراد بعضهم (أن يخرجوا منها) بأن يحيل اليهم ما يظنون به القدرة على الخروج
 منها كما كانوا يخرجون نفوسهم من محبط الأدلة ومن دائرة الطاعات الى ميدان المعاصي
 والزلات فيعاجلون الخروج فاذا ظنوا أنه يسر لهم ذهب بعد في غراتها (أي عيذوا فيها) فهو عبارة
 عن خلودهم فيها (وقيل لهم) أي من أي قائل وكلهم (ذوقوا عذاب النار) اهانة لهم
 وزيادة في تعذيبهم وقوله تعالى (الذي كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وجوزأب البقاء أن يكون
 صفة للنار فان ذكر على معنى الجحيم والحريق * ولما كان المؤمنون لان يتننون أصابتهم
 بشى من الهوان قال تعالى (ولنذيقنهم من العذاب الأدنى) أي عذاب الدنيا قال الحسن
 هو مصائب الدنيا واسقامها وقال عكرمة الجوع بمكة - سبع - نين أكلوا فيها الحيف والعظام
 والكلاب وقال ابن مسعود هو القتل بالسيف يدبر (دون العذاب الاكبر) وهو عذاب

الآخرة فإن عذاب الدنيا لا نسبة له إلى عذاب الآخرة (فإن قيل) ما الحكمة في مقابلة الأدنى بالأعلى والأدنى انما هو في مقابلة الأقصى والأعلى انما هو في مقابلة الأدنى (أجيب) بانه حصل في عذاب الدنيا أمران أحدهما أنه قريب والآخرة قليل صغير وحصل في عذاب الآخرة أيضاً أمران أحدهما أنه بعيد والآخرة عظيم كبير لكن العرف في عذاب الدنيا هو أنه الذي يصلح للتخويف فإن العذاب الآجل وإن كان قليلاً فلا يجترز عنه بعض الناس أكثر مما يجترز من العذاب الشديد إذا كان آجلاً وكذا الثواب العاجل قد يرغب فيه بعض الناس ويستبعد الثواب العظيم الآجل وأما في عذاب الآخرة فالذي يصلح للتخويف به هو العظيم والكبير لا البعيد لما ذكر فقال في عذاب الدنيا العذاب الأدنى يجترز العاقل ولو قال تعالى ولنذيقنهم من العذاب الأصغر ما كان يجترز عنه لصغره وعدم فهم كونه عاجلاً وقال في عذاب الآخرة لا أكبر لذلك المعنى ولو قال من العذاب الأبعد الأقصى لما حصل التخويف به مثل ما يحصل بوصفه من الكبير (لهم يرجعون) إلى الإيمان أي من بقي منهم بعد بدر (فإن قيل) ما الحكمة في هذا الترجي وهو على الله تعالى محال (أجيب) بوجهين أحدهما معناه لنذيقنهم إذا قه الرابي كقولنا تعالى اننا سنبتلكم يعني تركناكم كما يترك الناس حيث لا يلتفت اليه أصلاً كذلك ههنا والثاني نذيقنهم العذاب إذا قه يقول القائل اللهم يرجعون بسببه (ومن) أي لأحد (أظلم عن ذكر آيات ربه) أي القرآن (ثم أعرض عنها) فلم تفكر فيها وانه لا استبعاد الاعراض عنها مع فرط وضوحها وارشادها إلى أسباب السعادة بعد التذكر بها اعتقلاً كما في بيت الحامسة

وما يكشف الغماء إلا بن حرة * يرى غمرات الموت ثم يزورها

أي لا يكشف الأمر العظيم إلا الرجل كريم موصوف بما ذكر والغماء بتشديد الميم والمدّ أي في مدة اقترام الحرب والشاهد في قوله ثم يزورها إذا المعنى انه استبعد أن يزور غمرات الموت بعد ان رآها واستيقن أنها واطلع على شدتها (انامن الجرمين) أي الكافرين (منتقمون) وعبر بصيغة العظمة تنبيهها على أن الذي يحصل لهم من العذاب لا يدخل تحت الوصف على مجرد العداد في الظالمين فكيف اذا كانوا أظلم الظالمين والجله الاسمية تدل على دوام ذلك عليهم في الدنيا اما باطننا بالاستدراج بالنعم واما ظاهرنا بأجلال النقم وفي الآخرة بدوام العذاب على مزال لا يبداه ولما قرأ الاصول الثلاثة وعاد إلى الاصل الذي بدأ به وهو الرسالة المذكورة في قوله تعالى لتذوقوا ما أنأه من نذير بين أنه ليس بدعاً من الرسل بقوله تعالى (واقعد آتينا موسى الكتاب) أي الجامع للأحكام وهو التوراة فكان ذلك رسل مثلك وذكر موسى عليه السلام لقربه من النبي صلى الله عليه وسلم وهو أقول من أنزل عليه كتاب من أنبياء بني اسرائيل بعد فترة كثيرة من الانبياء بينه وبين يوسف عليهم السلام ولم يجترع عيسى عليه السلام لادرك والاستدلال لأن اليهود ما كانوا يوافقون على نبوته واما النصارى فكانوا يعترفون بنبوة موسى عليه السلام فذكر الجمع عليه (فلا تكن في مريبة) واختلف في الهام في قوله تعالى (من أقامه) على

أقوال أحدها أنهم باعثة على موسى عليه السلام والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائه موسى ليلة الاسراء وامتحن المبرد الزجاج في هذه المسئلة فأجاب بما ذكر قال ابن عباس وغيره المعنى فلا تكن في شك من لقائه موسى فانك زاه وتلقاه روى ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت ليلة أسرى موسى رجلاً آدم طوالاً جدياً كآفته من رجال شنوءة ورأيت عيسى رجلاً مرموقاً إلى الحجرة والبياض سبط الرأس ورأيت مالكاً خازن النار والدجال في آيات أراهن الله أياماً وعن أنس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت على موسى ليلة أسرى بي عند الكتيب الأحمر وهو يصلي في قبر (فان قيل) قد صرح في حديث المعراج أنه رآه في السماء السادسة وسراجته في أمر الصلاة فكيف الجلس بين هذين الحديثين (أجيب) بأنه يحتمل أن تكون رؤيته في قبره عند الكتيب الأحمر قبل صعوده إلى السماء وذلك في طريقه إلى بيت المقدس فلما صعد إلى السماء السادسة وجد هناك قد سبقه لمأربه الله تعالى وهو على كل شيء قدير (فان قيل) كيف تصح منه الصلاة في قبر وهو ميت وقد سقط عنه التكليف وهو في الدار الآخرة وهي ليست دار عمل وكذلك رأى النبي صلى الله عليه وسلم جماعة من الأنبياء وهم يحجون (أجيب) عن ذلك بأجوبة الأول أن أنبياء أفضل من الشهداء والشهداء أحياء عند ربهم فلا يبعد أن يحجوا ويصلوا كما صرح في الحديث وأن يتقربوا إلى الله تعالى بما استطاعوا لأنهم وإن كانوا قد توفوا لكنهم بمنزلة الأحياء في هذه الدار التي هي دار العمل إلى أن تنفخ وتنفخوا إلى دار الجزاء التي هي الجنة الجواب الثاني أنه صلى الله عليه وسلم رأى حالهم التي كانوا عليها في حياتهم ومثلوا له كيف كانوا وكيف كان معهم وصلاتهم الجواب الثالث أن التكليف وإن ارتفع عنهم في الآخرة لكن الذكروا الشكر والدعاء لا يرتفع قال الله تعالى دعواهم فيها سبحانه للهم وقال صلى الله عليه وسلم يلهمون التسبيح كما تلهمون النفس فابعد بعد ربه تعالى في الجنة أتم ما كان يعبد في دار الدنيا وكيف لا يكون ذلك وقد صار مثل حال الملائكة الذين قال الله تعالى في حقهم يسبحون الليل والنهار لا يفترون غاية ما في الباب أن العبادة ليست عليهم بتكليف بل هي مقتضى الطبع ثانياً أن الضمير يعود إلى الكتاب وحينئذ يجوز أن تكون الأضافة للتعالى أى من لقاء الكتاب لموسى أو المفعول أى من لقاء موسى الكتاب لأن الالتقاء تصح نسبته إلى كل منهما لأن من لقيه فقد لقيه قال السدي المعنى فلا تكن في مرية من لقاءه أى تلقى موسى كتاب الله تعالى بالرضا والقبول ثالثاً أنه يعود على الكتاب على حذف مضاف أى من لقاء مثل كتاب موسى رابعاً أنه عائد على ملك الموت عليه السلام لما تقدم ذكره خامساً يعود على الرجوع المندم من قوله إلى ربكم ترجعون أى لا تكن في مرية من لقاء الرجوع سادساً أنه يعود على ما ينهم من سياق الكلام مما يتلى به موسى من الابتلاء والامتحان قاله الحسن أن لا بد أن تلقى مالى موسى من قومه واختار موسى عليه السلام الحكمة وهي أن أحداً من الأنبياء لم يؤذ من قومه إلا الذين لم يؤمنوا وأما الذين آمنوا به فلم يخالقهم غير قوم موسى عليه السلام فإن لم يؤمن بدأه كفرون ومن آمن به منى

اسرائيل آذمه ايضا بالخالفه فطلبوا اشياء مثل رؤية الله جهره وكقولهم اذهب أنت وملك فها هنا
 وأظهر هذه الاقوال أن الضمير المسمى وأما الكتاب واختلاف في الضمير أيضا في قوله تعالى
 (وجه لناه) على قولين أحدهما يرجع الى موسى أي وجعلنا موسى (هدى) أي هاديا (لبنى
 اسرائيل) كما جعلنا الهاديا له متلك والثاني أنه يرجع الى الكتاب أي وجعلنا كتاب موسى
 هاديا كما جعلنا كتابك كذلك (وجعلنا منهم) أي من أنبيائهم وأخبارهم (أئمة يهدون) أي
 يرفعون البيان ويعلمون على حسب (بأمرنا) أي بما نزلنا فيه من الاوامر كذلك جعلنا من
 أئمتهم صحابة يهدون ما قال النبي صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم
 اهتديتم وقرأ نافع وابن كثير وأبو عرعرة يسهيل الهمزة قبل الميم ولهـم أيضا بالهيايه
 وحقها الباقون ومد هشام بين الهمزة في بخلاف عنه وقوله تعالى (لما صبروا) قرأ حزة
 والكسائي بكسر اللام وتختف الميم أي بسبب صبرهم على دينهم وعلى البلا من عدوهم
 ولاجله وقرأ الباقون بفتح اللام وتشديد الميم أي حين صبرهم على ذلك وإن كان الصبر أيضا
 انما هو توفيق الله تعالى (وكأنوا بآياتنا) الدالة على قدرتنا ووجدنا فينا لما له من العظمة
 (يرفون) أي لا يرتابون في شيء منها ولا يعجبون فعل الشاك فيه بالاعراض * ولما أفهم قوله
 تعالى منهم انه كن منهم من يضل عن أمر الله قال الله تعالى (ان ربك) أي المحسن اليك
 بارسالك ليعظم ثوابك (هو) أي وحده (يفصل بينهم) أي بين الهادين والمهدين والضايعين
 والمضلين (يوم القيامة) بالقضاء الحق (فيما كانوا فيه يخلفون) أي من أمر الدين لا يخفى
 عليه شيء منه وأما غير ما اختلفوا فيه فالحكم فيه لهم أو عليهم وما اختلفوا فيه لا على وجه
 القصص فيقع في محل العقوبه ولما أعاد ذكر الرسالة أعاد ذكر التوحيد بقوله تعالى (أولم يهد)
 أي بين كآرواه البخاري عن ابن عباس (لهم كم أهلك) أي كثر من أهلكا (من قبلهم من
 القرون) الماضين من المعرضين عن الآيات ونجيئنا من آمن بها وقوله تعالى (يمشون) حال
 من ضمير لهم (في مساكنهم) أي في أسفارهم الى الشام وغيرها كساكن عاد وغرد وقوم لوط
 فيعبروا (ان في ذلك) أي الامر العظيم (آيات) أي دلالات على قدرتنا (أفلا يسمعون)
 سماع تدبر واتعاط فيعظوا بها (أولم) أي أيقولون في انكار البعث أنذا ضلنا في الارض ولم
 (بروا أنا) عمالنا من العظمة (نسوق الماء) أي من السماء أو الارض (الى الارض الجرز)
 أي التي جرت نساها أي قطع باليس والتهشم أو بأيدى الناس فصارت ملء لآيات فيها وفي
 البخاري عن ابن عباس انهم التي لا تظار الامطار الا بغنى عنها شيئا لا يقال للتي لا تبت كالسباح
 جرز ويدل عليه قوله تعالى (فخرج به) من اعماق الارض بذلك الماء (زرعا) أي تبالا ساق
 له باختلاط الماء بالتراب وقبل الجزر اسم موضع باليمن (تأكل منه أنعامهم) أي من حبه وورقه
 وتبنه وحشيشه (وأنفسهم) أي من الحبوب والاقوات وقدم الانعام لوقوع الامتنان بها الآن
 بها اقوامهم في معاشهم وأبدانهم ولأن الزرع غذاء لادواب لا يتنمسه وأما غذاء الانسان
 فقد دبلم للحيوان فكان الحيوان يأكل الزرع ثم الانسان يأكل من الحيوان (فان قيل)

في سورة عبس قدم الله نسا أولافا لحكمة (أجيب) بأن السياق فيها الطعام الانسار الذي هو نهاية الزرع حيث قال فلينظر الانسان الى طعامه ثم قال: أفبتنا فيها جبا وذكر من طعامه من العنب وغيره ما لا يصلح للانعام فقدّمه وهذا السياق مطلق اخراج الزرع وأول صلاحه انما هو لا كل الانعام ولا يصلح للانسان * ولما كانت هذه الآية مبصرة قال (أفلا يصرون) هذا فيعلموا أنا نقدر على اعادةهم بخلاف الآية الماضية فانها كذبت مسبوقة فقال أفلا يصرون * ثم لما بين الرسالة والتوحيد بين الحشر بقوله تعالى (ويقولون) أي مع هذا البيان الذي ليس معه خفاء (حتى هذا الفتح) أي يوم القيامة وهو يوم الفصل بين المؤمنين وأعدائهم ويوم نصرهم عليهم وقيل هو يوم بدر وعن مجاهد والحسن يوم فتح مكة (ان كنتم صادقين) أي عريقين في الصدق بالاخبار بأنه لا بد من وقوعه حتى تؤمن اذا رأياه قال الله تعالى انتم علي الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء الجاهلة (يوم الفتح) أي الذي تسهزؤون به وهو يوم القيامة (لا ينفع الذين كفروا) أي غطوا آيات ربهم التي لا خفاء بها سواء في ذلك أنتم وغيركم من اتصف بهذا الوصف (ايانهم) لانه ليس ايماناً بالغيب (ولا هم ينظرون) أي يهملون في ايقاع العذاب بهم لحظة تامن من منظوراً (فان قيل) قد سألو عن وقت الفتح فكيف ينطبق هذا الكلام جواباً عن سؤالهم (أجيب) بأنه كان غرضهم في السؤال عن وقت الفتح استعجالاً منهم على وجه التكذيب والاستهزاء فأجيبوا على حسب ما علم من غرضهم في سؤالهم فقيل لهم لا تستعجلوا بعد ولا تسهزؤوا فكم أنى بكم وقد حصلتم في ذلك اليوم وأمنتم فلم ينفعكم الايمان واستنظرت في ادراك العذاب فلم تنظروا (فان قيل) فمن فسر يوم الفتح أو يوم بدر كيف يستقيم على تفسيره ان لا ينفعهم الايمان وقد نفع الطلقاء يوم فتح مكة وناسا يوم بدر (أجيب) بأن المراد أن المقتولين منهم لا ينفعهم ايمانهم في حال القتل كالم ينفع فرعون ايمانه حال ادراك الفرق وقوله تعالى (فأعرض عنهم) أي لا تبالي بشكذبيهم (وانظر) أي انزال العذاب بهم (انهم منظرون) أي بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك كان ذلك قبل الامر بقتالهم وقيل انظر عذابهم يعنيك انهم منظرون به بانقضاء استهزاء كما قالوا فأتايتنا عدنا وعن أبي هريرة قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ في الشجر يوم الجمعة الم تنزيل أي في الركعة الاولى وهل أتى على الانسان أي في الركعة الثانية وعن جابر قال كان النبي صلى الله عليه وسلم لا ينام حتى يقرأ تبارك والم تنزيل يقول هما يفضلان على كل سورة في القرآن بسبعين حسنة ومن قرأهما كتب له سبعون حسنة ورفع له سبعون درجة وعن أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الم تنزيل أعطى من الاجر كن أحباله القدر وقول الميضوي تبعاً للزمخشري عنه صلى الله عليه وسلم من قرأ الم تنزيل في بيته لم يدخل الشيطان بيته ثلاثة أيام قال شيخنا ابن حجر لم أجده والله تعالى أعلم بالصواب

﴿سورة الاحزاب مدنية﴾

وهي ثلاث وسبعون آية وألف ومائتان وخمسون كلمة وخمسة آلاف وتسعمائة وتسعون حرفاً وعن
أبي ذر قال قال أبي بن كعب كم تعدون سورة الاحزاب قال ثلاثا وسعين آية قال والذي يحلف
به أبي بن كعب ان كانت تعدل سورة البقرة أو أطول ولقد قرأنا منها آية الرجم الشيخ والشبيبة
اذ انزيا غابا رجوعهما البتة نكالا من الله والله عزير حكيم أراد أبي أن ذلك من جملة ما نسخ من
القرآن وأما ما حكى أن تلك الزيادة كانت في صحيفة في بيت عائشة فأكثرها الداجن في تأليفات
الملاحدة والروافض (بسم الله) الذي مهما أراد كان (الرحمن) الذي ثلث رحمة كل موجود
بالكرم والجلود (الرحيم) لمن توكل عليه بالعطف عليه ونزل في أبي سفيان وعكرمة بن
أبي جهل وأبي الاعور عمرو بن سفيان السلمي لما قدموا المدينة ونزلوا على عبد الله بن أبي
راس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعطاهم النبي صلى الله عليه وسلم الامان على أن يكاموه فقام
معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطهمة بن ابرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعندهم
الخطاب ارفض ذكر آلهتنا اللات والعزى ومناة وقل ان لها شفاععة لمن عبدها وندع وربك
فشق على النبي صلى الله عليه وسلم قولهم فقال عمر يا رسول الله انك لن في قتلهم فقال اني قد
أعطيتهم الامان فقال عمر اخرجوا في لعنة الله وغضبه وأمر النبي صلى الله عليه وسلم عمر أن
يخرجهم من المدينة (يا أيها النبي اتق الله) وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال ان أهل مكة
منهم الوليد بن المغيرة وشيبة بن ربيعة دعوا النبي صلى الله عليه وسلم الى أن يرجع عن قوله
على أن يعطوهم شطراً أو لهم وخوفه المنافقون من اليهود بالمدينة ان لم يرجع فقلوه فأنزل الله
تعالى يا أيها النبي اتق الله أي دم على التقوى كما يقول الرجل لغيره وهو قائم قم قائماً أي ائت
قائماً فسقط بذلك ما يقال الامر بالشيء لا يكون الا عند اشتغال المأمور بغير المأمور به اذ لا يصح
أن يقال للعباس اجلس وللساكت اسكت والنبي صلى الله عليه وسلم كان متقبلاً لان الامر
بالدعوة يصح في ذلك فيقال للعباس اجلس هنا حتى آتيت ويقال للساكت قد أحسنت
فاسكت نسلم أي دم على ما أتت عليه وأيضاً من جهة العقل ان الملك يتقي منه عادة على ثلاثة
أوجه بعضهم يخاف من عقابه وبعضهم يخاف من قطع ثوابه وثالث يخاف من احتجابه
فالنبي صلى الله عليه وسلم لم يؤمر بالتقوى بالاول ولا بالثاني وأما الثالث فالمتخلص لايأمنه مادام
في الدنيا فكيف والامور البسدية شاغلة فالآدمي في الدنيا نارة مع الله والاخرى مقبل على
مالا بتمنه وان كان معه الله ولهذا أشار بقوله عليه الصلاة والسلام انما أنا بشر مثلكم
يوحى الى يعنى برفع الحجاب عني وقت الوحي ثم أعود اليكم كما في منكم فأمر بتقوى توجب
ادامة الحضور وقال النخلة معناه اتق الله ولا تنقض الذي بينك وبينهم وقيل الخطاب مع
النبي صلى الله عليه وسلم والمراد الامة (تنبيه) جعل الله تعالى نداً نبيه صلى الله عليه وسلم
بالنبي والرسول في قوله تعالى يا أيها النبي اتق الله يا أيها النبي لم تحرم يا أيها الرسول بلغ ما أنزل
اليك وترلن داه بامعه كما قال تعالى يا آدم يا موسى يا عيسى يا داود كرامة وتشريفات ونوحيها
بفضلها (فان قيل) ان لم يوقع اسمه في النداء فقد وقع في الاخبار في قوله تعالى محمد رسول الله

وما محمد الا رسول (أجيب) بأن ذلك لتعليم الناس أنه رسول الله وتلقين لهم أن يسجدوا له
 ويدعوه به فلا تفاوت بين النداء والاختيار ألا ترى الى ما لم يقصده التعليم والتلقين من الاخبار
 كيف ذكره بنحو ما ذكر في النداء لقد جاءكم رسول من أنفسكم وقال الرسول يا رب اقد كان
 لكم في رسول الله اسوة حسنة والله ورسوله أحق أن يرضوه النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم
 ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي أن الله وملائكته يصلون على النبي وقرأ نافع النبي بالهمز
 والباقون بغير همز * ولما وجه اليه صلى الله عليه وسلم الامر بخشية الولي الودود أتبعه النبي
 عن الالتفات نحو العدو والحسود بقوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) في شيء من
 الاشياء لم يقدم اليك من الخلق فيه أمر وان لاح لائح خوف أو برق رجاء فجنبهم واحترس منهم
 فانهم أعداء الله تعالى وأعداء المؤمنين لا يريدون الا المضارة والمضادة قال أبو حيان سبب
 نزولها أنه روى انه صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كان يحب اسلام اليهود فتابعه ناس على
 النفاق وكان يلين لهم جانبهم وكأوا يظهرون النصائح من طريق الخداعة فتركت تحذير الله منهم
 وتنبها على عداوتهم انتهى وبهذا سقما قيل لم خص الكفار والمنافق بالذكر ولان ذكر غيرهما
 لا حاجة اليه لانه لا يكون عنده الامطاعا ولان كل من طلب من النبي صلى الله عليه وسلم طاعته
 فهو كافر أو منافق لان من يأمر النبي صلى الله عليه وسلم بأمر ايجاب معقدا أنه ان لم يفعل
 يعاقبه بحق يكون كافرا وقرأ أبو عمرو والدوري عن الكسائي الكافرين بالامالة محضة وورث
 بين بين والباقون بالفتح * ثم على تعالى الامر والنهي بما يزيل الهموم ويوجب الاقبال عليهم
 والزموم بقوله تعالى (ان الله) أي بعظيم كماله (كان) ازلا وأبدا (علما) أي شامل العلم (حكما)
 أي بالغ الحكمة فهو تعالى لم يأمر بالامر الا وقد علم ما يترتب عليه وأحكم اصلاح الحال فيه
 * ولما كان ذلك مفهوما مخالفة كل ما يدعو اليه كافر وكان الكافر رب عدا على شيء من مكارم
 الاخلاق فبده بقوله تعالى (واتبع) أي بغايه جهده (ما يوحى) أي يلقي القاء خفيا كما يفعل
 الحب مع حبيبه (الملك من ربه) أي المحسن اليك بصلاح جميع أمرك وأنى موضع الضمير
 بالظاهر ليدل على الاحسان في التريسة لقوى على امتثال ما أمرت به الآية السابقة * ولما
 أمر ما يتبع الوحي رغبه فيه بالتعليل بأوضح من التعليل الاول في أن مكرهم خفي بقوله
 تعالى مذكرا بالاسم الاعظم بجميع ما يدل عليه من الاسماء الحسنى زيادة في التقوى على
 الامتثال مؤكدا للترغيب (ان الله) أي بعظمته وكأله (كان) ازلا وأبدا (بما يعلمون) أي
 الفريقان من المكابدين (دق) (خبرا) أي فلا تهم بشأنهم فانه سبحانه كافيك وان تعاطم
 وقرأ أبو عمرو وبما يعلمون خبرا وبما يعلمون بصيرا بالياء على الغيبة على ان الواو ضمير الكثرة
 والمنافقين والباقون بالتاء على الخطاب فيهم * ولما كان الآدمي موضع الحاجة قال تعالى
 (وتوكل) أي دع الاعتماد على التدبير في أمورك واعتمد فيها (على الله) أي المحيط علما
 وقدرة فانه يكفيك في جميع أمورك (وكن بالله) أي الذي له الامر كله على الاطلاق (وكيلا)
 أي موكولا اليه الامور وكأها فلا تلتفت في شيء من أمرك الى غيره لانه ليس لك قلبان تصرف كل

واحد منهم مالى واحدكم كما قال تعالى (ما جعل الله) أى الذى له الحكمة البالغة والعظمة
 الباهرة (لرجل) أى لاحد من بنى آدم ولا غيره وعبر بالرجل لانه أقوى جسماء وفهمافيقهم غيره
 من باب أولى وأشار الى التأكيد بقوله تعالى (من قلبي) وأكدا الحقيقة وقزرها وجلالها
 وصورها بقوله تعالى (في جوفه) أى ما جمع الله تعالى قلبي في جوف لان القلب معدن
 الروح الحيوانى المتعلق للنفس الانسانية أولا ومنبع القوى بأسرها ومدير البعدن باذن الله
 تعالى وذلك يمنع التعدد (وما جعل أزواجكم اللائى) أباح لكم التمتع بهن (تظاهرون منهن)
 كما يقول الانسان للواحدة منهن أنت على كظهر أُمى (أنتهاكم) بحاسم عليكم
 من الاستمتاع بهن حتى تجعلوا ذلك على التأييد وترتبوا على ذلك أحكام الاتهامات بها
 (وما جعل أديعاءكم) جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه (أبناءكم) حقيقة ليجعل لهم ارضكم
 ويحترم عليكم حلالهم وغير ذلك من أحكام الانشاء والمعنى ان الله سبحانه وتعالى كالم يرفى
 حكمته أن يجعل للانسان قلبين لانه لا يتخلو أن يفعل بأحدهما مثل ما يفعل بالآخر من
 أفعال القلوب فأحدهما مافضله غير محتاج اليها وأما أن يفعل بهذا غير ما يفعل بذلك
 فذلك يؤدى الى انصاف الجملة بكونه مریدا كارها عما يظا ناموقنا كافي حالة واحدة
 لم ير أيضا ان تكون المرأة الواحدة أمال رجل زوجها لان الاممخدومة مخدوض لها الجناح
 والمرأة مستخدمة متصرف فيها بالاستفراش وغيره كالمملوك وهما حالتان متنافيتان ولم ير
 أيضا أن يكون الرجل الواحد عيال رجل وابنه لان البنوة اصاله فى النسب وعراقه فيه
 والدعوة الصاق عارض بالسمية لا غيره ولا يجمع فى الشئ الواحد أن يكون أصيلا غير
 أصيل وهذا مثل ضربه الله تعالى فى زيد بن حارثة وهو رجل من كلب سبى صغيرا وكانت
 العرب فى جاهليتها يتغاورون ويتسايون فاستتره حكيم بن حزام لعمته خديجة فلما تزوجها
 النبی صلى الله عليه وسلم وهبته له وطالبه أبوه وعمه فخير فاختار النبی صلى الله عليه وسلم فقال
 له أبوه وعمه يا زيد أنت مختار العبودية على الربوبية قال ما أباه فارق هذا الرجل فلما رأى رسول
 الله صلى الله عليه وسلم حرصه عليه أعتقه وبناه قبل الوحى وأخى بينه وبين حصة بن عبد المطلب
 فلما تزوج رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش وحكاتها تحت زيد بن حارثة قال
 المنافقون تزوج امرأة ابنه وهو ينهى الناس عن ذلك فانزل الله تعالى هذه الآية فيه وكذا قوله
 تعالى ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم وروى ان رجلا كان يسمى أبامعمر جدي بن معمر
 الفهرى وكان جلاليا حافظا لما يسمع فقتالت قريش ما حفظ أبوه عمر هذه الاشياء الاولى
 قلبان وكان يقول لى قلبان أعقل بكل واحد منهما ما أفضل من عقل محمد دف لما هزم الله تعالى
 المشركين يوم بدر انهم اومعمر ففهم فلقية أبوسفیان وهو معلق احدى نعليه يده والاخرى
 فى رجله فقال له ما فعلت الناس فقال له بين مقتول وهارب فقال له فما بالك احدى نعليك فى
 رجلك والاخرى فى يدك فقال ما ظننت الا أنهم سافى رجلى فأكذب الله تعالى قوله وقولهم
 وضر به مثلافى الظهار والنبي وعن ابن عباس كان المنافقون يقولون لمحمد قلبان فأكذبهم

الله تعالى وقيل سمى في صلته فقالت اليهود له قلبان قلب مع أصحابه وقلب معكم وعن الحسن نزلت في أن الواحد يقول لي نفسان نفس تأمرني ونفس تنهاني (فان قيل) ما وجه تعدية الظهار وأخواته بن (أجيب) بأن الظهار كان طلاقاً في الجاهلية فكانوا يتجنبون المرأة المظاهر منها كما يتجنبون المطابقة فكان قولهم تظاهر منها به أعدمناه جهة الظهار فلما تضمن معنى التباعد منها عدى بن (فان قيل) ما معنى قولهم أنت على كظهر أمي (أجيب) بأنهم أرادوا أن يقولوا أنت على حرام كبطن أمي فكانوا عن البطن بالظهر لئلا يذكر والبطن الذي ذكره يقارب ذكر الفرج لانه عمود البطن ومنه حديث عمر بن الخطاب عليه السلام على عمود بطنه أراد على ظهره ووجه آخر وهو أن اتیان المرأة وظهرها إلى السماء كان محترماً عندهم محظوراً وكان أهل المدينة يقولون إذا أتيت المرأة ووجهها إلى الأرض جاء الولد أحوال فلقد صد المطلق منهم إلى التغلظ في تحریم امرأته عليه شـ بها بالظهر ثم لم يقنع بذلك حتى جعله كظهر أمه وهو منكر وزور وفيه كضارة كما سيأتي إن شاء الله تعالى في سورة المجادلة وقرأ ابن عامر والكوفيون اللان بالهمزة المكسورة والياء بعدها في الوصل وسهل الياء كالهززة ورش والبرى وأبو عمرو مع المد والقصر وعن أبي عمرو والبرى أيضاً بالياء ما سكتة مع المد لا غير وقالون وقيل بالهمزة والياء بعدها وقرأ تظهرون عاصم بضم التاء وتخفيف الظاء وألف بعدها وكسر الهاء مخففة وقرأ حزة والكسائي بفتح التاء والطاء مخففتين وألف بعدها والطاء رفح الهاء مخففة وابن عامر كذلك إلا أنه يشدد الطاء والباقون بفتح التاء والطاء والهاء مع تشديد الطاء والهاء ولا ألف بعدها والطاء وقوله تعالى (ذلكم) إشارة إلى كل ما ذكرنا إلى الأخير (قولكم) بأفواهكم) أي مجرد قول لسان من غير حقيقة كالهذيان (والله) أي المحيط علماً وقدرة وله جميع صفات الكمال (بقول الحق) أي ماله حقيقة الثابت الذي يوافق ظاهره باطنه فلا قدرة لاحد على نقضه فان أخبر عن شيء فهو كما قال (وهو) أي وحده (يهدي السبيل) أي يرشد إلى سبيل الحق * ولما كان كانه قيل فما نقول اهدنا إلى سبيل الحق قال تعالى (ادعوه) أي الادعاء (لآبائهم) أي الذين ولدوهم ان علموا ولذا قال زبد بن حارثة قال صلى الله عليه وسلم من دعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام وأخرجه الشيخان عن سعد بن أبي وقاص ثم عمل تعالى ذلك بقوله تعالى (هو) أي هذا الدعاء (أقسط) أي أقرب إلى العدل من التبنّي وان كان انما هو أزيد الشفقة على المتبني والاحسان اليه (عند الله) أي الجامع لصفات الكمال وعن ابن عمر أن زبد بن حارثة مولى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما كان يدعو الا زبد بن محمد حتى نزل القرآن ادعوه لآبائهم الآية وقيل كان الرجل في الجاهلية اذا أعجبه جلد الرجل وظرفه ضمه إلى نفسه وجعل له مثل نصيب الذكر من أولاده من ميراثه وكان ينسب اليه فيقال فلان ابن فلان أمّا اذا جهلوا فهو ما ذكره بقوله تعالى (فان لم تعلموا آباءهم) لجهل أصلي وأطاري (فاخوانكم) أي فهم اخوانكم (في الدين) ان كانوا دخلوا في دينكم أي قولوا لهم اخواننا (ومواليكم) ان كانوا محتررين أي قولوا لموالي فلان وعن مقاتل ان لم تعلموا لهم أبافنسبواهم

اخوانكم في الدين أى أن تقول عبد الله وعبد الرحمن وعبيد الله وأشباهم من الاسماء وأن
 يدعى الى اسم مولاه وقيل مواليتكم أو لياؤكم في الدين * ولما كان عادتهم الخوف مما سبق
 من أحوالهم على النهى لشدة ورعهم أخبرهم انه تعالى أسقط عنهم ذلك لكونه خطأ وساقه
 على وجه يعم ما بعد النهى أيضا بقوله تعالى (وليس عليكم جناح) أى اثم وميل واعوجاج وعبر
 بالطرف ليعمد ان الخطأ لا اثم فيه بوجه ولوعب بالباء لظن ان فيه انما ولكن يعنى عنه فقال
 تعالى (فيمّا أخطأتم به) أى من الدعاء بالبنوة والمظاهرة أو فى شئ قبل النهى أو بعده ودل قوله
 تعالى (ولاكن ما) أى الاثم فيما (تعمدون فلو بكم) على زوال الحرج أيضا فيما وقع بعد النهى
 على سبيل التيسير أو سبق للناس ودل تأييد الفعل على انه لا يعمد بعد البيان الشافى
 الا قلب فيه رشادة الاثمة ودل جمع الكثرة على عموم الاثم ان لم ينه المتعمد * (تنبيه) * يجوز
 فى ما هـ ذه وجهان أحدهما ان تكون محرورة المحل عطف على ما المحرورة قبلها بنى والتقدير
 ولكن الجناح فيما عمدت كما مرت الإشارة اليه والثانى أنها مرفوعة المحل بالابتداء والخبر
 محذوف تقديره تواخذون به أو عليكم فيه الجناح ونحوه ولما كان هذا التكرم خاصا
 بما تقدمت عن سبحانه وتعالى بقوله (وكان الله) أزلا وأبدا (عقورا) أى من صفته الستر البليغ
 على المذنب التائب (رحيما) به ولما نهى تعالى عن التنبى وكان النبي صلى الله عليه وسلم قد تنبى
 زيد بن حارثة مولاه لما اختاره على أبيه وعنه كما مر على تعالى النهى فيه بالخصوص بقوله تعالى
 (والأعلى ان الأمر أعظم من ذلك) (النبي) أى الذى ينهى الله تعالى بدقائق الاحوال فى بدائع
 الاقوال ويرفعه دائما فى مراعى الكمال ولا يريد ان يشغله بولد ولا مال (أولى بالمؤمنين) أى
 الراضين فى الايمان فغيرهم أو فى كل شئ من أمور الدين والدينى لما حاز من الحضرة الربانية
 (من أنفسهم) فضلا عن آبائهم نفوذ حكمه فيهم وجوب طاعته عليهم روى أبوهريرة رضى
 الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال ما من مؤمن الا وأنا أولى الناس به فى الدنيا والآخرة
 اقرؤا ان شئتم النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم فأى مؤمن ترك ما لا فليته عصبته من كانوا
 فان ترك ديناً أو ضمياً عافيتنى فأنا مولاه وعن جابر انه صلى الله عليه وسلم كان يقول أنا أولى
 بكل مؤمن من نفسه فأينما رجل مات وترك ديناً قالى ومن ترك ما لا فهو لورثته وعن أبي هريرة
 قال كان المؤمن اذا توفى فى عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل هل عليه دين فان قالوا
 نعم قال هل ترك وفاء ليه فان قالوا نعم صلى الله عليه وان قالوا لا قال صلوا على صاحبكم وانما يصل
 عليه صلى الله عليه وسلم أو لا فيما اذا لم يترك وفاء لان شفاعته صلى الله عليه وسلم لا ترد وقد ورد
 ان نفس المؤمن محبوسة عن مقامها الكريم ما لم يوف دينه وهو محمول على من قصر فى وفائه
 فى حال حياته اما من لم يقصر لفقره مثلاً فلا كما أوضحت ذلك فى شرح المنهاج فى باب الرهن
 وانما كان صلى الله عليه وسلم أولى بهم من أنفسهم لانه لا يدعوهم الا الى العقل والحكمة
 ولا يأمرهم الا بما ينفعهم وأنفسهم اعتاد دعوههم الى الهوى والفتنة فتأمرهم بما يريدون فهو
 يتصرف فيهم فصرت الى ابا بل أعظم هذا السبب الربانى فأى حاجة الى السبب الجمعى

(وأزواجه أمهاتهم) أى المؤمنين أى مثلهن فى تحريم نكاحهن ووجوب احترامهن وطاعتن اكرامه صلى الله عليه وسلم لافى حكم الخلوة والنظر والظهار والمسافرة والنفقة والميراث وهو صلى الله عليه وسلم أب للرجال والنساء وأما قوله تعالى ما كان محمد أبأ أحد من رجالكم فعنا ليس أحد من رجالكم ولداً له وسأى ذلك ويحرم سؤالهن الامن وراء حجاب وسأى ما يعاق بذلك ان شاء الله تعالى فى محله وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه مر بغلام وهو يقرأ فى المصحف النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم فقال يا غلام حكمتما فقال هذا مصحف أبى فذهب اليه فساله فسال انه كان يلمه فى القرآن ويلهك الصفاق بالاسواق ومعنى ذلك ان هذا كان يقرأ أولاً ونسخ لما روى عن عكرمة انه قال كان فى الحرف الاول النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبوهم وعن الحسن قال فى القراءة الاولى النبى أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أب لهم وقوله تعالى (وأولوا الارحام) أى القرابات بأنواع النسب من البقرة وغيرها (بعضهم أبى) بحق القرابة (بعض) أى فى التوارث ثم نسخ لما كان فى صدر الاسلام فانهم كانوا فيه يتوارثون بالخلف والنصرة فبقول ذمتك ترضى وأرثك ثم نسخ بالاسلام والهجرة ثم نسخ بآية الموارث وبآية لتي فى آخر الانفال وأعادها نأ كبدا فان آية الموارث مقدمة ترتيباً وازدوا على آية الانفال آية الانفال على هذه كذلك وقوله تعالى (فى كتاب الله) يحتمل ان ذلك فى اللوح المحفوظ أو فيما أنزل وهو هذه الآيات المذكورة أو فيما فرض الله ولما بين انهم أولى بسبب القرابة بين المفضل عليه بقوله تعالى (من) أى هم أولى بسبب القرابة من (المؤمنين) الانصار من غير قرابة مرجحة (والمهاجرين) أى ومن المهاجرين المؤمنين من غير قرابة كذلك وقوله تعالى (الآن تفعلوا) استثناء منقطع كما جرى عليه الجلال المحلى أى لكن أن تفعلوا (الى أولياكم معروفاً) بوصية فخازر ويجوز أن يكون استثناء من أعم العام كما قاله الزمخشري فى معنى النفع والاحسان كما تقول القريب أولى من الاجنبى لافى الوصية تريد انه أحق منه فى كل نفع من ميراث وهبة وهدية وصدقة وغير ذلك لافى الوصية والمراد بفعل المعروف التوصية لانه لا وصية لوارث وعدى تفعلوا بالى لانه فى معنى تسدوا والمراد بالاولياء المؤمنين والمهاجرون للولاية فى الدين (كان ذلك) أى ما ذكر من آيتي ادعوهم والنبي أولى وقيل أول ما نسخ من الآيات الارث بالايان والهجرة ثانياً (فى الكتاب) أى اللوح المحفوظ والقرآن (مسطوراً) قال الاصمغنى وقيل فى التوراة قال البقاعى لان فى التوراة اذا نزل رجل يقوم من أهل دينه فعليهم أن يكرموه ويواسوه وميراثه لذوى قرابته فالآية من الاحتباك أثبت وصف الايمان وأولاد ليل على حذفه ثانياً ووصف الهجرة ثانياً ليل على حذف النصرة أولاً (واذ) أى واذا كر حين (أخذنا) بعلقتنا (من النبيين) ميثاقهم (أى عهودهم) فى تسليم الرسالة والدعاء الى الدين القيم فى المشط والمكره وفى تصديق بعضهم لبعض وفى اتباع فى فيما أخبرنا به فى قولنا لما آتيتكم من كتاب وحكمة ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه وقولهم أقرنا • ولما ذكرنا أخذ على جميع الانبياء من

العهد في ابلاغ ما يوحى اليهم والعمل بمقتضاه ذكر ما أخذ عليهم من العهد في التبليغ بقوله تعالى
(ومثك) أى في قولنا في هذه السورة اتق الله واتبع ما يوحى اليك وفي المائدة يا أيها الرسول
بلغ ما نزل اليك من ربك وان لم تفعل فما بلغت رسالته والله يعصمك من الناس فلاتم بهم براعة
عدو ولا خليل حقيق ولا خليل * ولما أتم المراد اجبالا وعموما وخصه صلى الله عليه وسلم من
ذلك العموم متبذرا به لقوله صلى الله عليه وسلم كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث
بنا تشریفه ولأنه المتصور بالذات اتبعه ببقية أولى العزم الذين هم أصحاب الكتب ومشاهير
أرباب الشرائع ورتبهم على ترتيبهم في الزمان لأنه لم يقصد المفاضلة بينهم بالتسمية بالمقدمين
والمؤخرين قال (ومن نوح) أول الرسل إلى المخالفين (وابراهيم) أبى الانبياء (وموسى) أول
أصحاب الكتب من بنى اسرائيل (وعيسى بن مريم) خاتم أنبياء بنى اسرائيل ونسبه إلى أمه
مناداة على من ضل فيه بدعوى الألوهية بالتوبيخ والتسجيل بالفضيحة * (تيسه) * ذكر هذه
الخمسة من عطف الخاص على العام كما علم مما تقرر وقوله تعالى (وأخذنا) أى بعظم متنا في ذلك
(منهم ميثاقا غليظا) أى شديدا بالوفاء بما جملوه وهو الميثاق الأول وانما كرر زيادة وصفه بالغلظ
وهو استعارة من وصف الاجرام والمراد عظم الميثاق وجلال شأنه في بابيه وقيل الميثاق
الغلظ المين بانه على الوفاء بما جملوه ثم أخذ الميثاق (ليسال) أى الله تعالى يوم القيامة
(الصادقين) أى الانبياء الذين صدقوا عهدهم (عن صدقهم) أى عما قالوه واتوهم بكيها
للكافرين بهم وقيل ليسان المصدقين للانبياء عن تصديقهم لأن من قال للصادق صدقت كان
صادقا في قوله وقيل ليسان الانبياء ما الذى اجابته به أمهم وقيل ليسان الصادقين بأفواههم
عن صدقهم بقلوبهم وقوله تعالى (وأعد للكافرين عذابا أليما) أى مؤلما معطوف على أخذنا
من النبيين لأن المعنى ان الله تعالى أكد على الانبياء الدعوة إلى دينه لأجل إثابة المؤمنين وأعد
للكافرين عذابا أليما ويجوز أن يعطف على ما دل عليه ليسان الصادقين كأنه قال أثاب المؤمنين
وأعد للكافرين وقيل انه قد حذف من الثانى ما أثبت مقابله في الاول ومن الاول ما أثبت
مقابله في الثانى والتقدير ليسان الصادقين عن صدقهم فأثابهم ويسأل الكافرين عما كذبوا به
رسولهم وأعد لهم عذابا أليما ثم حقق الله تعالى ما سبق لهم من الامر بتقوى الله تعالى بحيث
لا يبق معه الخوف من أحد بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذكروا) ورغبهم في الشكر بذكر
الاحسان والتصریح بالاسم الاعظم بقوله تعالى (نعم الله) أى الملك الاعلى الذى لا كف له
(عليكم) أى لتذكروه عليها بالنفوذ لآمره وعبر بالنعمة لأنها المتصورة بالذات والمراد انعامه
يوم الاحزاب وهو يوم الخندق ثم ذكر وقت تلك النعمة زيادة في تصويرها ليدكرهم ما كان فيه
منها بقوله تعالى (اذ) حين (جاءتكم جنود) أى الاحزاب وهم قريش وخطفان وودقرية
والنضير وقرأ نافع وابن كثير وابن كوان وعاصم بالاطهار والباقون بالادغام (فأرسلنا) أى
نسب عن ذلك اننا لما رأينا عجزكم عن مقابلتهم وقتلناهم وأرسلنا (عليهم ريحا) وهى ريح العسا
قال عكرمة قالت الجنوب للشمال ليلة الاحزاب انطلق بصره رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقات الشمال ان الحرة لا تسرى بالليل فكانت الرياح التي ارسلت لهم الصبا لما روى ابن عباس رضي الله تعالى عنه انه صلى الله عليه وسلم قال نصرت بالصبا واهلكت عاد بالبورلاق الصبار ريح فيها روح ما هبت على محزون الا زال حزنه (وجنودا) أي وأرسلنا جنودا من الملائكة (لم تزوها) وكانوا انما قاتل يومئذ فبعث الله عليهم تلك اليلة ليريجها باردة فقلعت الاوتاد وقطعت أطناب الفساطيط وأطنأت النيران وكذأت القدور وجالت الخيل بعضها على بعض وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول يا بني فلان هلم الي واذا اجتمعوا عنده قالوا التجاء التجاء فانهم زمامون غير قتال لما بعث الله تعالى عليهم من الرب (وكان الله) أي الذي نه جميع صفات الجلال والجمال (بما يعلمون) أي الاحزاب من التحزب والتجمع والمكر وغير ذلك (بصيرا) أي بالغ الابصار والعلم * (تنبيه) قال البخاري قال موسى بن عقبة كانت غزوة الخندق وهي الاحزاب في شوال سنة أربع روى محمد بن اسحق عن مشايخه قال دخل حديث بعضهم في بعض ان نفرا من اليهود منهم سلام ابن أبي الحقيق وحيبي بن أخطب وكثانة بن الربيع بن أبي الحقيق وهود بن قيس وأبو عمار الوائلي في نفر من بني النضير ونفرا من بني وائل وهم الذين حاربوا الاحزاب على رسول الله صلى الله عليه وسلم خرجوا حتى قدموا على قريش بمكة فدعواهم الى حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا اناسنا كون معكم عليه حتى نستأصله فقالت لهم قريش يا معشر يهود انكم أهل الكتاب الاول والعلم بما أصبنا مختلف فيه نحن ومحمد فدينا خيرا أم دينه قالوا دينكم خير من دينه وأنتم أولى بالحق منه فهم الذين قال الله تعالى فيهم ألم تر الى الذين أولوا نصيبا من الكتاب يؤمنون بالحبث والطاغوت الى قوله تعالى وكفى بجهنم سعيرا فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ما قالوا ونشطوا المادعواهم اليه من حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمعوا على ذلك ثم خرج أولئك النفر من اليهود حتى جاوا غطفان فدعواهم الى ذلك وأخبروهم انهم سيكونون معهم عليه وان قريشا قد بايعوهم على ذلك فأجابوهم فخرجت قريش وقائدهم أبو سفيان بن حرب وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حصن فلما سمع بهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وبما جعوا له من الامر ضرب الخندق على المدينة وكان الذي اشار به على النبي صلى الله عليه وسلم سلمان الفارسي رضي الله عنه وكان أول من هدشه سلمان رضي الله عنه مع النبي صلى الله عليه وسلم وهو يومئذ حرق قال يارسول الله انا كذا بفارس اذا حوصرنا خندقنا علينا فعمل فيه رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى أكملوه وأحكموه قال أنس رضي الله عنه خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم الى الخندق فاذا المهاجرون في غداة باردة ولم يكن لهم عبيد يعملون ذلك لهم فلما رأى ما بهم من التعب والجزع قال

اللهم ان العيش عيش الآخرة * فاغفر للانصار والمهاجرة

فقالوا مجيبين له

نحن الذين بايعوا محمدا * على الجهاد ما بقينا أبدا

قال البراء كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يثقل التراب يوم الخندق حتى اغبر بطنه وهو يقول
والله لولا الله ما هتدينا * ولا تصدقنا ولا صلينا
فأنزلن سكينه علينا * وثبت الاقدام ان لا قنينا
ان الاولى قد بغوا علينا * اذا أرادوا فتنة أبينا

ورفع بها صوت أبينا أيضا فلما فرغ رسول الله صلى الله عليه وسلم من الخندق أقبلت قريش في
عشرة آلاف من الاحابيش وبني كنانة وأهل تهامة وقائدهم أبو سفيان حتى نزلت بجمع الاسيال
من رومة بين الجرف والغابة وأقبلت غطفان في ألف ومن تابعهم من أهل نجد وقائدهم
عيينة بن حصن وعامر بن الطفيل بن هوازن وانضاف لهم اليهم ومن قريظة والنضير حتى نزلوا
الى جانب أحد وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون حتى جعلوا طاهروهم الى سلع
في ثلاثة آلاف من المسلمين فنضرب هناك عسكره والخندق يشه وبين القوم وأمر بالذراري
والنساء فرفعوا الى الآطام ومضى على الفريقين قريب من شهر لا حرب بينهم الا التراب بالنبل
والحجارة وكان بنو غطفان من أعلى الوادي من قبيل المشرق وقريش من أسفل الوادي من
قبيل المغرب كما قال تعالى (أذباؤكم) وهو يدل من اذباؤكم (من فوقكم) أي من أعلى
الوادي (ومن أسفل منكم) أي من أسفل الوادي (واذ كحين) (زاغت الابصار) أي
مالت عن سداد الله تصدفع الواله الجرع بما حصل لهم من الغفلة الحاصلة من الرعب وقوله تعالى
(وبلغت القلوب الحناجر) جمع حنجرة وهي منتهى الحلقوم كناية عن شدة الرعب والخفقان
قال البقاعي ويجوز وهو الاقرب ان يكون ذلك حقيقة يجذب الطحال والريضة لها عند ذلك
بانفاخهما الى أعلى الصدر وهذا يقال للبيان التفتيح بحجته أي ريشه فلما اشتد البلاء على الناس
بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم الى عيينة بن حصن والى الحرب بن عمرو وهما قائد غطفان
فأعطاهما ثلث غمار المدينة على ان يرجعا بنوهم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه
فجرى بينه وبينهما الصلح حتى كتبوا الكتاب ولم تقع الشهادة فذكر ذلك رسول الله صلى الله عليه
وسلم لسعد بن معاذ وسعد بن عباد واستشارهما فيه فقالا يا رسول الله أشيئ أنزل الله تعالى به
لا بد لنا من عمل به أم أمر نحببه فنصنع أم شئ نصنع لنا قال لا والله بل لكم والله ما أصنع ذلك
الا اني رأيت العرب قد رمتكم عن قوس واحد وكالبكم من كل جانب فأردت ان أكسر عنكم
شوكتهم فقال لسعد بن معاذ يا رسول الله قد كنا نحن وهؤلاء القوم على شرك بالله وعبادة الاوثان
لانعبد الله ولا نعرفه وهم لا يطمعون أن يأكلوا منا قرة الاقوى أو يبيعوا أخين أكرمنا الله تعالى
بالاسلام وأعزنا الله تعالى بك نعظيمهم أموالنا ما لنا بهذامن حاجة والله لا نعطيهم الا السيف حتى
يحكم الله بيننا وبينهم فقال صلى الله عليه وسلم أنت وذلك فتناول سعد رضي الله تعالى عنه
الصعيقة فجاءها من الكتاب ثم قال ليعهدوا علينا فأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
وعدهم ومحاصرههم ولم يكن بينهم قتال الا فوارس من قريش عمرو بن عبدود وأخوه بني عامر بن
لؤي وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب الخزيميان ونوفل بن عبد الله وضار بن

قوله ان الاولى قد
بغوا هكذا في جميع
النسخ وليس يجوزون
وتحريه ان الذين قد
بغوا علينا كما
في شرح المواهب

الخطاب ومرداس آخر محارب بن فهر قد تلبسوا بالقتال وخرجوا على خيلهم ومروا على بني
كثانة فقالوا لهم يا بني كثانة فستعلون اليوم من الفرسان ثم أقبلوا نحو الخندق حتى
وقفوا عليه فلما رأوه قالوا والله إن هذه لم تكن ما كانت العرب تكيد هائم تيمو واما مكانا من
الخندق ضيقا فضر بواخيلهم فاقتحمت فيه فحالت بهم في المسجعة بين الخندق وسلمع وخرج
على رضى الله تعالى عنه في نفر من المسلمين حتى أخذوا عليهم الشجرة التي اقمتموها منها خيلهم
وأقبلت الفرسان تعنى نحوهم وكان عمرو بن عبدود قاتل يوم بدر حتى أثبتته الجراحة فلم يشهد
أحد فلما كان يوم الخندق خرج معاليه إلى مكانه فلما وقف هو وخيله قال له على يا عمرو انك كنت
تعاهد الله تعالى لا يدعوك رجل من قريش إلى خصلتين إلا أخذت منه أحدا ما قال له أجل قال
له على فاني أدعوك إلى الله تعالى وإلى رسوله صلى الله عليه وسلم وإلى الاسلام قال لا حاجة لي
بذلك قال فاني أدعوك إلى البراز قال ولم يا ابن أخي فوالله ما أحب أن أقتلك قال على ولكني
والله أحب أن أقتلك لخمى عمرو وعند ذلك فاقتحم عن فرسه ففقره وأضرب وجهه ثم أقبل
على على فتنازلا وتجاولا فقتله على وخرجت خيله مهزومة حتى اقمتم من الخندق هاربة
وقتل مع عمرو رجلا من بني بن عثمان أصابه سهم فمات بمكة ونوفل بن عبد الله المخزومي
وهو كان اقمهم الخندق فتورط فيه فرموه بالحجارة فقال يامرئس العرب قتله أحسن
من هذه فقتل الله عليه على رضى الله تعالى عنه فقتله فغلب المسلمون على جسده فسالوا
رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يبيعهم جسده فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا حاجة لنا في جسده وغنمه فشاكم به نخل بينهم وبينه * ولما نشأ عن هذا قلب القلوب
وتجدد ذهاب الأفكار كل مذهب عبر بالمضارع الدال على دوام التجدد بقوله تعالى (وتظنون
بآله) الذى له صفات الكمال (الظنون) أى أنواع الظن فظن المخلصون الثبت القلوب أن
الله تعالى منجز وعده في علا دينه أو تمجدهم فخافوا الزلل وروى أن المسلمين قالوا بلغت
القلوب الحناجر فهل من شئ نقوله فقال صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم استر عوراتنا وآمن
ووعتنا وأما الضعاف القلوب والمنافقون فقالوا ما حكى الله عنهم فينا مأتى وقرأ نافع وابن عامر
الظنونا هنا والرسول والابيل في آخر السورة باباب الالف في الثلاثة وقفا ووصلا وأبو عمرو
وحجرة بمحذف الالف وقفا ووصلا قال الزجاج وهو القياس والباقيون بالالف في الوقف دون
الوصل زاد وهما في لقاصلة كما زاد وهما في القافية قال * أقلل اللوم عادل والعقاب * ورسم الثلاثة
بالالف * ولما كانت الشدة في الحقيقة انما هي للثابت لانه ما عنده الا الهلاك والنصرة قال
تعالى (هناك) أى في ذلك الوقت العظيم البعيد الرتبة (ابن المؤمنون) اختبروا فظهر المخلص
من المنافق والثابت من المتزلزل (وزلزلوا) أى حركوا وأزعجوا بما يرون من الاحوال
بتطافر الاعداء مع الكثرة وتطايير الاراجيف (زلزالا شديدا) فثبتوا بتثبيت الله تعالى لهم
على عدوهم وعن صفية قالت مر بنا رجل من اليهود فجعل يطوف بالحصن وقد حارب بنو قريظة
وقطعت ما بينها وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس بيننا وبينهم من يدفع عنا رسول الله

صلى الله عليه وسلم وأصحابه في نحو رعدوهم لا يستطيعون أن ينصرفوا اليها عنهم إذا تأمات
 قالت فقلت يا أحسان ان هذا اليهودي يطوف بنا كما ترى بالحسن واني والله ما آمنه أن يدل على
 عورائنا من وراءنا من يهود وقد شغل عنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فانزل الله
 فاقبله فقال يغفر الله لي يا بنه عبد المطلب والله لقد عرفت ما أنا بأصاحب هذا قالت فلما قال
 ذلك ولم أر عنده شيئا احتجرت ثم أخذت دودا ثم نزلت من الحصن اليه فوضر به بالعمود حتى
 قتله فلما فرغت منه رجعت الى الحصن فقلت يا أحسان انزل اليه فاسلبه فإنه لم يعمه من سلبه
 الا أنه رجل قال مالي بسلبه من حاجتي يا بنه عبد المطلب وأقام رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وأصحابه فيما وصف الله من الخوف والشدة لظواهر عدوهم واثباتهم من فوقهم ومن أسفل
 منهم ثم ان نعيم بن مسعود بن عامر بن غطفان أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
 اني قد أسلمت وان قومي لم يعلموا بالاسلام في غني بمأثرت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم انما
 أنت فينا رجل واحد نخذل عذان استطعت فانما الحرب خدعة فخرج نعيم بن مسعود حتى
 أتى قريظة وكان لهم نديم في الجاهلية فقال لهم يا بني قريظة قد عرفتم ودي اياكم وخاصة ما بيني
 وبينكم قالوا صدقت است عندنا بعتهم فقال لهم ان قريشا وغطفان جاءوا الحرب محمدا وقد
 ظاهر عدوهم عليه وان قريشا وغطفان ليسوا كهينتكم البلبلكم وبه اموالكم واولادكم
 ونسأؤكم لا تنفدرون على أن تتحولوا منه الى غيره وان قريشا وغطفان اموالهم وابناؤهم
 ونسأؤهم بغيره ان اوتهم زينة وغنية اصابوكم وان كان غير ذلك لحسوا بآلادهم وخلوا بينكم
 وبين الرجل والرجل يلدكم لا طاعة لكم به ان خلا بكم فلا تقاتلوا مع القوم حتى تأخذوا
 منهم رهنا من اشرافهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على ان يقاتلوا معكم محمد اصيلي الله عليه وسلم
 حين تناجزوه قالوا لقد اشرت برأى ونصع ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لابي سفيان بن حرب
 ومن معه من رجال قريش قد عرفتم ودي اياكم وفراق محمد اوقد بلغني أمر رأيت أن حقا
 على ان أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا انفعل قال تعالوا ان معشرهم وود قد ندموا على
 ما صنعوا بينهم وبين محمد وقد أرسلوا اليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل يرصيك عما أن تأخذ
 من القبيلتين من قريش وغطفان رجلا من اشرافهم فنعطيهم فنعطيهم فنعطيهم فنعطيهم فنعطيهم
 ثم تكون معك على من بقي منهم فأرسل اليهم أن نعم فان بعثت اليكم اليهودي لتسون رهنا من
 رجالكم فلا تدفعوا اليهم رجلا واحدا ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان انتم أهلي
 وعشيرتي وأحب الناس الي ولا أراكم تنهونني قالوا صدقت قال فاكتموا على قالوا انفعل
 ثم قال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم فلما كانت ليلة السبت في شوال سنة
 خمس وكان بمناصع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان ورؤس غطفان الى بني
 قريظة عنكم من بني جهيل في نفر من قريش وغطفان فقالوا اننا لسنابدا رما قد هلك الخلف
 والحافر فأعدوا للقتال حتى تناجز محمد اصيلي الله عليه وسلم وتفرغ بمابيننا وبينه فأرسلوا اليهم
 ان اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابه ما لم يحفظ

عليكم ولستم مع ذلك بالذي نقابل معكم حتى نعطونا وهما من رجالكم يكونون بأيدٍ شائعة
لنا حتى نتاجر محمد صلى الله عليه وسلم فانا نخشى ان ضربة منكم الحرب واشتدت عليكم أن تسبوا
الى بلادكم وتكونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد صلى الله عليه وسلم فلما رجعت
اليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمان والله ان الذي حدثكم به نعيم
ابن مسعود لحق فارسلوا الى بني قريظة انا والله لاندفع اليكم رجلا واحدا من رجالنا فان كنتم
تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا فقاتل بنو قريظة حين انتهت الرسل اليهم بهذا ان الذي
ذكر لكم نعيم من مسعود لحق ما يريد القوم الا أن يشاتلوا فان وجدوا فرصة انتهزوها وان يكن
غير ذلك استروا الى بلادهم واخلوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فارسلوا الى قريش وغطفان
انا والله لانتال منكم حتى تعطونا رهنا انا اوعا عليهم وخذل الله تعالى بينهم وبعث الله تعالى
عليهم الريح في ليل سانية شديدة البرد فجعلت تكفأ قروهم وطرح آياتهم فلما انتهى الى
رسول الله صلى الله عليه وسلم ما اختلف من أمرهم قال من يقوم فيذهب الى هؤلاء القوم
فيأتيهم بجبرهم أدخله الله تعالى الجنة قال حذيفة فما قام من اجل ثم صلى رسول الله صلى الله
صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت اليه فقال مثل ما سألت القوم وما قام من اجل ثم صلى
رسول الله صلى الله عليه وسلم هو يامن الليل ثم التفت اليه فقال ألا من رجل يقوم فينظر لنا
ما فعل القوم على أن يكون رفيقي في الجنة فما قام رجل من شدة الخوف وشدة البرد فلما يقم أحد
دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يا حذيفة فلم يكن لي بد من القيام حين دعاني فقلت
لبك يا رسول الله وقت حتى أتيت به وان جنبي بضربان فسمع رأسي ووجهي ثم قال انت هؤلاء
القوم حتى تأتيني بجبرهم ولا تحدث شيئا حتى ترجع الى ثم قال اللهم احفظه من بين يديه ومن
خلفه وعن عينيه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته فأخذت سهمي وشددت على اسلابي ثم انطلقت
أمشي نحوهم كافي أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود
الله تعالى تفعل فيهم ما تفعل وأبوسفيان قاعد يصطلي فأخذت سهمي فوضعت في كبدي قوسي
فأردت أن أرميه ولورميت لاصبته فذكرت قول النبي صلى الله عليه وسلم لا تحدث شيئا حتى
ترجع فرددت سهمي في كفايتي فلما رأى أبوسفيان ما تفعل الريح وجنود الله تعالى بهم لتأقرهم
قدرا ولانارا ولا بناء قام فقال يا معشر قريش ايا أخذت كل منكم يمد جليسه فينظر من هو
فأخذت يمد جليسي فقلت من أنت قال سبحان الله أمانت تعرفي أنا فلان فاذا رجل من هوازن
فقال أبوسفيان يا معشر قريش انكم والله ما أصبحتم بدار مقام لشدهلك الكراع والخف
واخلفنا بنو قريظة وبلغنا عنهم الذي نذكره وبلغنا من هذه الريح ماترون فارتحلوا فاني
مرتحل ثم قام الى جليسه وهو معقول فجلس عليه ثم ضرب به فوثب به على ثلاث فما أطلق عقاله الا
وهو قائم وسمعت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين الى بلادهم قال فرجعت الى رسول
الله صلى الله عليه وسلم كافي أمشي في حمام فأتيت به وهو قائم يصلي فلما أخبرته الخبر ضحك حتى
بدت أن يسبه في سواد الليل قال فلما أخبرته وفرغت قررت وذهب عني الدفا فأدنا في النبي صلى

الله عليه وسلم فأنا مني عند رجليه وألقي على طرف ثوبه وأصق صدرى بطن قدميه فلم أزل
 نائمًا حتى أصبحت فقال قمي يا نومان * ثم إن الله تعالى بين حال غير الثابتين بقوله تعالى (واذ يقول
 المنافقون) معتب ر قشمر وقيل عبد الله ابن أبي وأصحابه (والذين في قلوبهم مرض) أي
 ضعف اعتقاد (ما وعدنا الله ورسوله الا غرورا) أي باطلا استدرجناه الى الانسلاخ عما كنا
 عليه من دين آبائنا والى الثبات على ما سرنا اليه بعد ذلك الانسلاخ بما وعدناه من ظهور هذا
 الدين على الدين كله والتمكين في البلاد حتى حفر الخندق فانه قال انه أبصر بما رقبه من ضوء
 حجره سلمان مدينة صنعاء من اليمن وقصور كسرى من الحيرة من أرض فارس وقصور الشام
 من أرض الروم وان تابعه ليطهرون على ذلك كله وقد صدق الله وعده في جميع ذلك حتى
 في لبس سراقة بن مالك بن جعشم سوار كسرى بن هرمز كما هو مذكور في دلائل النبوة للبيهقي
 وكذبوا في شكهم فنار المصدقون وخاب الذين هم في ربهم يترددون (واذ قالت طائفة
 منهم) أي من المنافقين وهم أوس بن قبطي وأصحابه (يا أهل يثرب) أي المدينة وقال أبو
 عبيدة يثرب اسم أرض ومدينة الرسول صلى الله عليه وسلم في ناحية منها وفي بعض الاخبار
 أن النبي صلى الله عليه وسلم نهى أن تسمى المدينة يثرب وقال هي طابة كأنه كره تلك اللفظة
 فعدلوا عن هذا الاسم الذي وصفه الله النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسم الذي كانت تدعى به
 قديما مع نبيه عنه واحتمال وجهه بالشفقة من الثرب الذي هو اللوم والتمنيف وقال أهل
 اللغة يثرب اسم المدينة وقيل اسم البقعة التي فيها المدينة وامتناع صرفها اما العلمية والوزن
 أو العلمية والتأنيث وأما يثرب بالمشاة وفتح الراء فوضع آخر بالين قال الشاعر

وعدت وكان الخلف منك حجية * مواعيد عروق أخاه يثرب

وقال آخر

وقد وعدتكم موعدا لو وقت به * مواعيد عروق أخاه يثرب

وقرأ (لامقام) حنص بضم الميم أي لا إقامة (لكم) في مكان القتال ومصارعة الابطال
 والباطون بشحها أي لا مكان لكم تنزلون وتقيمون فيه (فارجعوا) الى منازلكم عن اتباع محمد
 صلى الله عليه وسلم وقيل عن القتال الى منازلكم * ولما بين تعالى هؤلاء الذين هتكوا الستر
 وبينوا ما هم فيه من سفول الامر اتبعهم آخر بن تستر وابعض المسترسمين باذبال النفاق خوفا
 من أهوال الشقاق بقوله تعالى (ويستأذن) أي يجتهد كل وقت طلب الاذن لاجل الرجوع
 الى البيوت والكون مع النساء (فريق منهم) أي طائفة شأنها الشرقة (النبي) في الرجوع
 وقد رأوا ما حواه من علو المقدار بما له من حسن الخلق والخلق وما له من جلاله الشمائل وكرم
 الخصائل وهم يوحاربه وينو سلة (يتولون) أي في كل قليل مؤكدين لعلمهم بكنزهم وتكذيب
 المؤمنين قولهم (أن يوتنا) أو يجمع الكثرة اشارة الى كثرة أصحابهم من المنافقين (عورة)
 أي غير حصيفة خلل كبير يمكن كل من أراد من الاحزاب أن يدخلها يدها فخلها منه وقيل
 قصيرة الجدران فاذا ذهبنا اليها حفظناها منهم وكفينا من يأتي النمام من مفسد هم حامية للدين

وذبا عن الاهلين وقر اورش وأبو عمرو وحفص بضم الباء والباقون بالكسر ثم كذبهم الله
 تعالى بقوله تعالى (وما) أى والحال أنهما (هى بعورة) فى ذلك الوقت الذى قالوا هذا فيه
 ولا يريدون بذهابهم جانيها (ان) أى ما (يريدون) باستئذانهم (الافراد) من القتال * ولما
 كانت غفائهم مشتتة بجلازمة دورهم فأظهروا اشتداد العناية بجمايتهم وأبو رابين تعالى
 ذلك بقوله تعالى (ولودخلت) أى يوتهم أو المدينة وأنت الفعل نضاعى المراد وإشارة الى
 أن ما ينسب اليهم جذير بالضعف وأنى بادة الاستعلاء بقوله تعالى (عليهم) إشارة الى أنه دخول
 غلبة (من أقطارها) أى جوانبها كلها بحيث لا يكون لهم مكان للهروب وحذف الفاعل للإيحاء
 بأن دخول هؤلاء الأحزاب ودخول غيرهم من العساكر سبباً فى اقتضاء الحكم المرتب عليه
 (ثم سئلوا) من أى سائل كان (افتنه) أى الشرك ومقاتلة المسلمين وقرأ (لأنها) نافع وابن
 كثير بتفسيرهم لهما جزأها أو فعلوها والباقون بالمداى أعطوها اجابة لسؤال من سألهم
 (وما تلبسوا بها) أى ما احتبسوا عن الفتنة (الايسير) أى لا سرعوا الى الاجابة للشرك طيبة
 به انفسهم فعمل بذلك أنهم لا يقصدون الا الفرار ولا حفظ البيوت من المضار وهذا قول أكثر
 المفسرين وقال الحسن المراد بالفتنة الخروج من البيوت سعى بذلك لان الانسان لا يخرج به
 من بيته الا الموت أو ما هو يقاربه فكأنه فتنة وعلى هذا يكون التفسير فيها راجعاً للبيوت
 أو المدينة أى ما لبسوا بالبيوت أو بالمدينة بعد اعطاء الكثر الايسر حتى هلكوا (ولقد كانوا)
 أى هؤلاء الذين أسرعوا الاجابة الى الفرار (عاهدوا الله) الذى لأجل منه (من قبل) أى
 من قبل غزوة الخندق (لا يولون الادبار) أى لا ينهزمون وقال يزيد بن رومان هم بنو حارثة
 هم أو يوم أحد ان يفشلوا مع بنى سلمة فلما نزل فيهم منازل عاهدوا الله تعالى ان لا يعودوا لمثلها
 وقال قتادة هم أناس كانوا قد غابوا عن وقعة بدر فرأوا ما أعطى الله تعالى أهل بدر من الكرامة
 والفضيلة قالوا لنأشهدنا الله قتالنا قاتل فساق الله تعالى اليهم ذلك وقال مقاتل والكلبي
 هم سبعون رجلاً يبيعون رسول الله صلى الله عليه وسلم ليله العقبة وقالوا اشتراطك ولتفنى
 ما شئت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أشترط لى أن تعبدوا ولا تنسروا كوايتهم شيئاً وأشترط
 لنفسى أن تمنعوني مما تمنعون منه أنفسكم وأزواجكم وأولادكم قالوا واذا فعلنا ذلك فما لنا
 يا رسول الله قال لكم النصر فى الدنيا والجنة فى الآخرة قالوا قد فعلنا ذلك عهدهم قال
 البغوى وهذا القول ليس بمرضى لان الذين يبيعون ليله العقبة كانوا سبعين نفر ليس فيهم شاك
 ولا من يقول مثل هذا القول وإنما الآية فى قوم عاهدوا الله تعالى ان يقاتلوا ولا يفرقوا فوضوا
 العهد انتهى ولما كان الانسان قديتهاون بالعهد لا عراض المعاهد عنه قال تعالى (وكان عهد
 الله) المحسط بصفات الكمال (مسؤولاً) أى عن الوفاء به ثم أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم
 بقوله تعالى (قل) أى لهم وأكذبتهم نفع الفرار (ان ينعكم الفرار) فى تأخير آجالكم فى وقت
 من الاوقات الذى ما كان استئذانكم الا بسببه (ان فررتم من الموت أو القتال) أى الذى كتب
 لكم لان الاجل ان كان قد حضر لم يتأخر بالفرار والام يقصره النبات كما كان على رضى الله

فَمَا لِي بِهِ يَقُولُ لَهُمُ الْاَمْرُ وَتَوْقِدَ الْجَرِّ وَاشْتَدَّ مِنَ الْحَرْبِ الْحَرُّ أَيْ يَبْجِي مِنَ الْمَوْتِ أَوْ يَوْمَ
 لَا يَقْدِرُ أَوْ يَوْمَ قَدَرٍ وَذَلِكَ أَنَّ أَجَلَ اللَّهِ الَّذِي جَعَلَهُ مُحِيطًا بِالْإِنْسَانِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَتَعَدَّاهُ أَصْلًا (وَإِذَا)
 أَيْ أَنْ فَرْتُمْ (لَا تَنْتَعُونَ) فِي الدُّنْيَا بَعْدَ فِرَارِكُمْ (لَا قَلِيلًا) أَيْ مَدَّةُ أَجَالِكُمْ وَهِيَ قَلِيلٌ فَالْعَاقِلُ
 لَا يَرْغَبُ فِي شَيْءٍ قَلِيلٍ يَشُوتُ عَلَيْهِ شَيْئًا كَثِيرًا * وَلَمَّا كَانَ رِيَاءُ يَقُولُونَ بَلْ يَنْتَعِلَانَا طَائِفًا مِمَّا رَأَيْنَا مِمَّنْ
 هَرَبَ فَلَمْ وَمَنْ ثَبَتَ فَاصْطَلَمَ أَمْرَهُ اللَّهُ تَعَالَى بِالْجَوَابِ عَنْ هَذَا بِقَوْلِهِ تَعَالَى (قُلْ أَيْ لَهُمْ مَنَكُمُ
 عَلَيْهِمْ) (مَنْ ذَا الَّذِي يُعْصِمُكُمْ) أَيْ يَجْعَلُكُمْ وَيَنْصَحُكُمْ (مَنْ اللَّهُ) الْحَمِيدُ بِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا بِحَالِ الْفِرَارِ
 وَقَبْلِهِ وَبَعْدِهِ (أَنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) أَيْ هَلَاكَ أَوْ غَزِيَّةً فَيَرُدُّ ذَلِكَ عَنْكُمْ (أَوْ) يَصِيغُكُمْ بِسُوءٍ أَنْ
 (أَرَادَ) أَيْ اللَّهُ (بِكُمْ رَحْمَةً) أَيْ خَيْرًا سَمَاءً بِهَا لَانَّهُ أَثَرُهَا وَالْمَعْنَى هَلْ احْتَرَزْتُمْ فِي جَمِيعِ أَعْمَارِكُمْ عَنْ
 سُوءٍ أَرَادَهُ فَنَنْتَعِلُكُمْ الْاحْتِرَازُ وَاجْتِنَادُ غَيْرِهِ فِي مَنَعِكُمْ رَحْمَةً مِنْهُ فَسَمَّاهُ أَمْرَهُ وَأَوْقَعَ اللَّهُ بِكُمْ شَيْئًا
 مِنْ ذَلِكَ فَتَقْدَرُ أَيْ حُدِّدَ بِذَلِكَ الْجَهْدُ عَلَى كَسْبِهِ بِدُونِ إِذْنِهِ وَيُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ الْآيَةُ مِنَ الْاحْتِبَالِ
 ذِكْرُ السُّوءِ أَوْ لَدَلِيلًا عَلَى حَذْفِ ضَدِّهِ ثَانِيًا وَذِكْرُ الرَّحْمَةِ ثَانِيًا لِأَيْ عَلَى حَذْفِ ضَدِّهِ أَوَّلًا وَهَذَا
 بَيَانُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى لَنْ يَنْتَعِلَكُمْ الْفِرَارُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ) أَيْ فِي وَفْتٍ مِنَ الْأَوْقَاتِ
 (مَنْ دُونَ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ (وَلَيْسَ) أَيْ يُوَالِيهِمْ فَيَنْفَعُهُمْ بِسُوءٍ تَنْفَعُ (وَلَا نَصِيرًا) أَيْ يَنْصُرُهُمْ مِنْ
 أَمْرِهِ فَيَرُدُّ مَا أَرَادَهُ بِهِ مِنْ السُّوءِ عَنْهُمْ يَقْرَأُ لِقَوْلِهِ تَعَالَى مَنْ ذَا الَّذِي يُعْصِمُكُمْ مِنْ اللَّهِ الْآيَةَ
 * وَلَمَّا أَخْبَرَهُمْ تَعَالَى بِمَا عَمِلُوا وَقَعَوْهُ مِنْ أَسْرَارِهِمْ وَأَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَوَعُظِهِمْ حَذَرَهُمْ
 بِدَوَامِ عِلْمِهِ بِمَنْ يَخُونُ عَنْهُمْ بِقَوْلِهِ تَعَالَى (قَدْ عَلِمَ اللَّهُ) الَّذِي لَهُ الْحَاطَةُ الْجَلَالُ وَالْإِجَالُ (الْمَعْرُوفِينَ
 مِنْكُمْ) أَيْ الْمُتَبَاطِينَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْمُنَافِقِينَ (وَالْقَائِلِينَ لِأَخْوَانِهِمْ)
 أَيْ سَاكِنِي الْمَدِينَةِ (هَلْ) أَيْ اتَّوَاوَأَقْبَلُوا (الْبَيْتَ) مَوْهَبِينَ أَنْ نَاحِيَتِهِمْ بِمَا يَقَامُ فِيهَا الْقِتَالُ
 وَيُؤَاطَبُ فِيهَا عَلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ قَالَ قَتَادَةُ هَؤُلَاءِ نَاسٌ مِنَ الْمُنَافِقِينَ كَانُوا يَتَّبِعُونَ أَنْصَارَ رَسُولِ
 اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَيَقُولُونَ لِأَخْوَانِهِمْ مَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَصْحَابُهُ إِلَّا كَذَرُ رَأْسٍ
 وَلَوْ كَانُوا الْجَمَالَ اتَّعَمَهُمْ أَبُو سَفْيَانَ وَأَصْحَابُهُ دَعَا الرَّجُلَ فَانْهَالَتْ وَقَالَ يَنْتَاقِلُ زَنَاةً فِي الْمُنَافِقِينَ
 وَذَلِكَ أَنَّ الْيَهُودَ أُرْسِلَتْ إِلَى الْمُنَافِقِينَ وَقَالُوا مَا الَّذِي يَحْمِلُكُمْ عَلَى قَتْلِ أَنْفُسِكُمْ بِسَبَابَةِ سَفْيَانَ
 وَمَنْ مَعَهُ فَأَنْتُمْ أَنْ قَدَرُوا عَلَيْكُمْ فِي هَذِهِ الْمَرْقَمَةِ بِسَبَابَةِ نَفْسِكُمْ أَحَدًا فَإِنَّا نَشْتَقِي عَلَيْكُمْ أَنْتُمْ أَخَوَانَنَا
 وَجِيرَانَنَا فَلَمْ يَلْبِثُوا فَنَسِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي وَاصِلُهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ يَعْزُوقُهُمْ وَيَخُوفُهُمْ بِأَبِي
 سَفْيَانَ وَمَنْ مَعَهُ وَقَالُوا مَا تَرْجُونَ مِنْ مُحَمَّدٍ مَا عِنْدَهُ خَيْرٌ مِمَّا هُوَ إِلَّا أَنْ يَتْلُمَا هَذَا الْفُلُوقَ بِنَا إِلَى
 أَخَوَانِنَا يَعْنِي الْيَهُودَ فَلَمْ يَزِدْ الْمُؤْمِنُونَ بِقَوْلِ الْمُنَافِقِينَ إِلَّا عِجَابًا وَاحْتِسَابًا (تَبَيَّنَ) * هَلُمَّ اسْمُ
 صَوْتٍ يَمْنَى بِهِ فَعَمِلَ مَدَّةً مَثَلِ احْضُرُوا قُرْبَ وَأَهْلُ الْحِجَارِ يَسْتَوُونَ فِيهِ بَيْنَ الْوَاحِدِ وَالْجَمَاعَةِ
 وَبَلَغَتْهُمْ جَاءَ الْقُرْآنُ الْعَزِيزُ وَأَمَّا بَنُو تَيْمٍ فَتَقُولُ هَلُمَّ يَارْجُلُ هَلُمَّ يَارْجُلَانِ هَلُمَّ يَارْجُلَانِ (وَلَا) أَيْ
 وَالْحَالُ أَنَّهُمْ لَا (يَا تَوْنَ الْبَاسُ) أَيْ الْحَرْبُ أَوْ مَكَانُهَا (الْأَقْلِيلَ) أَيْ لَرِيَاءٍ وَالسَّمْعَةُ بِشَدَرٍ مِائِرَاهِمُ
 الْمُخْلَصُونَ فَذَا الشَّعْبُ لَوَا بِالْمَارِكَةِ وَكَفَى كُلِّ مِنْهُمْ مَا لَبَسَهُ تَسْلَلُوا عَنْهُ لَوْ إِذَا وَعَاذُوا بَعْنَ لَا يَنْفَعُهُمْ
 مِنَ الْخَلْقِ عِيَادًا (أَنْفَعَهُ) أَيْ يَفْعَلُونَ مَا تَقَدَّمَ وَالْحَالُ أَنَّ كَلَامَهُمْ شَجِيحٌ (عَلَيْكُمْ) أَيْ بِحَسْوَلِ

نفع منهم أو من غيرهم نفس أو مال * (تنبه) * أشحة جمع شحيح وهو جمع لا يقاس اذ قياس فاعيل الوصف الذي عينه ولامه من وادوا حد أن يجمع على أفعلاء نحو خليل وأخلاء وضنين واضناء وقد سمع أئمتنا وهو القياس والشح الخجل وصفهم الله تعالى بالجلثم بالجبن بقوله تعالى (فإذا جاء الخوف) أي بمعنى أسبابه من الحرب ومقتداتها (رأيتم) أي أيها المخاطب وقوله تعالى (ينظرون) في محل حال من مذعول رأيتم لأن الرؤية بصرية وبين بعدهم حسا ومعنى يحرف الغاية بقوله تعالى (البك) أي حال كونهم (تدور) فهي امحال ثانية وامحال من ينظرون عينا وشعلا بادارة الطرف (أعينهم) أي زانعا رعبا ثم شبهها في سرعة قلبها الغير قصد صحيح بقوله تعالى (كألذي) أي كدوران عين الذي (يفشى عليه) مبتدأ غشيانا (من الموت) أي من معالجة سكراته خوفا ولو اذابك وذلك لأن قرب الموت وغشيه أسبابه ذهب عقله وتنحصر بصره فلا يطرف (فأذهب الخوف) وحيزت الغنائم (سلقوكم) أي تناولوكم تناولا ضعيفا بأنواع الأذى ناسين ما وقع منهم عن قرب من الجبن والخور وأصل السلق البسط بقهر اليد أو اللسان ومنه سلق امرأة أي بسطها وجامعها قال القائل

فقد هي لنا المنضج * فان شئت سلفناك * وان شئت على أربع

والسليقة الطبيعة المبينة والسليق المطمئن من الأرض (بالأسنة حداد) ذرية قاطعة فصيحة بعد أن كانت عند الخوف في غاية اللجاجة لا تقدر على الحركة من قلة الريق ويس الشفاء وهذا لطلب العرض الثاني من الغنمة وغيرها يقال الخطيب الذرب اللسان القصيص مسلق وقال ابن عباس سلقوكم أي عضهوكم وتناولوكم بالنقص والغنمة وقال قتادة بسطوا أسننتهم فيكم وقت قبعة الغنمة ويقولون اعطونا فاشهدنا معكم القتال ولستم بأحق بالغنمة منا ثم بين المراد بقوله تعالى (أشحة) أي شحاسة عليا (على الخير) أي المال الذي عندهم وفي اعتقادهم أنه لا خير غيره لا يريدون أن يصل شيء منه إليكم ولا يفوتهم شيء منه فهم عند الغنمة أشح قوم وعند البأس أجبن قوم * ولما وصفهم تعالى بهذه الصفات الدينية أخبر تعالى أن أساسها الذي نشأت عنه عدم الوثوق بالله تعالى لعدم الايمان فقال (أو لئن) أي البعداء البغضاء (لم يؤمنوا) أي لم يوجد منهم ايمان بقلوبهم وان أقرب به أسفتهم (فأحبط الله) أي بجلاله وتفرد في كبريائه وكلامه (أعمالهم) التي كانوا يأتونها مع المسلمين أي أظهر بطلانها واذالم تثبت لهم الاعمال فتبطل وقال قتادة أبطل الله تعالى جهادهم (وكان ذلك) أي الاحباط (على الله) بما لمن صفات العظمة (يسيرا) أي هيئته التي لا ارادة به وعدم ما عنده وقوله تعالى (يحسبون الأحزاب لم يذهبوا) يجوز أن يكون مسماة أنفا أي هم من الخوف بحيث انهم لا يصدقون أن الأحزاب قد ذهبوا عنهم ويجوز أن يكون حالا من أحد الضمائر المتقدمة إذا صح المعنى بذلك ولو بعد العامل قاله أبو البقاء والمعنى أن هؤلاء المنافقين يحسبون الأحزاب يعني قريشا وعظمانا اليهود ولم يفرقوا عن قتالهم من غاية الجبن عند ذهابهم كأنهم غائبون حيث لا يشألون كقوله تعالى ولو كانوا فيكم ما قاتلوا الا قليلا وقرأ ابن عامر وعاصم وحزرة بفتح السين

والباقون بالكسر (وإن يأت الأحزاب) بعدما ذهبوا كرة أخرى (يودوا) أي يمتدوا
(لأنهم بادون في الاعراب) أي كانوا في البادية بين الاعراب الذين هم عندهم في محل نقص
ومن تذكره مخالطته ثم ذكر حال فاعل بادون بقوله تعالى (يسألون) كل وقت (عن آبائكم)
أي أخباركم العظيمة مع الكفار وما آل اليه أمركم جريا على ما هم عليه من النفاق ليقبوا لهم
عندكم وجهها كأنهم مهتمون بكم يظهرن بذلك تحرفا على غيبتهم عن هذه الحرب (ولو)
أي والحال أنهم لو (كانوا) هؤلاء المنافقون (فيكم) هذه الكرة ولم يرجعوا إلى المدينة وكان
قتال (ماقاتلوا) معكم (الاقليات) نفاقا كما فعلوا قبل ذهاب الأحزاب من حضورهم معكم
تارة واستدناهم في الرجوع إلى منازلهم أخرى * ولما أخبر تعالى عنهم بهذه الأحوال التي
هي غاية في الذم أقبل عليهم أقبالا يدلهم على تنهاى الغضب بقوله تعالى مؤكدا محققا لا جيل
انكارهم (لقد كان لكم) أي الناس كافة الذين المنافقون في غمارهم (في رسول الله)
الذي جلاله من جلاله وكأله من كآله (أسوة) أي قدوة (حسنة) أي صالحة وهو المؤمني به
أي المقتدى به كما تقول في البيضة عذرون منا حديد أي هو في نفسه هذا المبلغ من الحديد
أو أن فيه خصلة حسنة من حقها أن يؤتى بها كالأبواب في الحرب ومقاسات الشدائد إذ
كسر رباعيته وجرح وجهه وقتل عمه وأذى بضروب الأذى فواساكم مع ذلك بنفسه فافعلوا
أنتم كذلك واستنوا بسنته * (تنبيه) * الأسوة اسم وضع موضع المصدر وهو الالتئسا فالأسوة
من الالتئسا كالقدوة من الاقتداء واتنسى فلان بقلان أي اقتدى به وقرأ عاصم بضم الهمزة
والباقون بكسرها وهم الغتان كالعدوة والعدوة والقدوة وقوله تعالى (لمن كان) أي
كونا كأنه جملته (يرجو الله) أي في جملته أنه يجتد الرجا مشمرا للذي لا عظيم في الحقيقة
سواه فيؤمل اسعاده ويخشى ابعاده تخصيص بعد التعميم للمؤمنين أي أن الأسوة برؤس الله
صلى الله عليه وسلم لمن كان يرجو الله قال ابن عباس يرجو ثواب الله وقال مقاتل يخشى الله
(واليوم الآخر) أي يخشى يوم البعث الذي فيه جزاء الأعمال (وذكر الله) أي الذي له صفات
الكمال وقيد بقوله تعالى (كثيرا) تحقيقا لما ذكر في معنى الرجا الذي به الفلاح أو أن المراد به
الدائم في حال السراء والضراء * ولما بين تعالى حال المنافقين ذكر حال المؤمنين عند لقاء
الأحزاب بقوله تعالى (ولم أر المؤمنين) أي الكاملون في الإيمان (الأحزاب) أي الذين
أدهشت رؤيتهم القلوب (قالوا) أي مع ما حصل لهم من الزلازل وتعاطم الأحوال (هذا) أي
الذي نراه من الهول (وما وعدنا الله) أي الذي له الأمر كله من تصديق دعوانا الإيمان بالبلاء
والامتحان (ورسوله) المبالغ بنحو قوله تعالى أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يأتكم مثل
الذين خلوا من قبلكم أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم أحب
الناس أن يتركوا أم مال ذلك ثم قالوا في مقابلة قول المنافقين وما وعدنا الله ورسوله الاغروا
(وصدق الله) أي الذي له صفات الكمال (ورسوله) أي الذي له الأمر كله أي ظهر صدقه ما في
عالم الشهادة في كل ما وداه من السراء والضراء كما رأينا به وما صادفنا فيما نأب عنهما

وعدا به من نصر وغيره واضهار الاسمين للتعظيم والتميز بذكركهما قال بعض المفسرين ولو
أعبدوا مضميرين للجمع بين البارئ تعالى واسم رسوله صلى الله عليه وسلم فكان يقال وصداقا وقد رَدَّ
صلى الله عليه وسلم على من جعدهما بقوله من يطع الله ورسوله فقد رشد ومن يعصهما فقد غوى
وأُنكر عليه بقوله بئس خطيب القوم أنت قل ومن يعص الله ورسوله قصد الى تعظيم الله تعالى
وقيل انما رد عليه لانه وقف على بعضهما واستشكل بعضهم الا قول بقوله حتى يكون الله ورسوله
أحب اليه مما سواهما فقد جمع بينهما في ضمير واحد (وأجيب) بأنه صلى الله عليه وسلم أعرف
بقدر الله تعالى من اقليل لسان نقول كما يقول وقد يقال اذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ذلك فالله جلّ وعلا أولى وحينئذ فالقاتل بأنه انما رد عليه لانه وقف على بعضهما أولى
* ولما كان هذا قول لا يمكن أن يكون لسانا فقط كقول المنافقين أكد كده لظن المنافقين ذلك
بقوله تعالى شاهد لهم (وما زادهم) أى مارأوه من أمرهم أو الرعب (الايامنا)
بالله ورسوله (وتسليما) بجميع جوارحهم في جميع القضاء والتقدير * ثم وصف الله تعالى
بعض المؤمنين بقوله تعالى (من المؤمنين) أى المذکورين سابقا وغيرهم (رجال)
أى فى غاية العظمة عندنا ثم وصفهم بقوله تعالى (صدقوا ما عهدوا الله) الحميدة والقدرة
(عليه) أى أقاموا بما عهدوا الله عليه ووفوا به (فمنهم من قضى نجبه) أى نذره بأن قاتل
حتى استشهد كحزمة ومصعب بن عمير وأنس بن النضر والنخب المذراست غير الموت لانه كذا
لازم فى رغبة كل حيوان وقيل النخب الموت أيضا قال قتادة قضى نجبه أى أجله وقيل
قضى نجبه أى بذل جهده فى الوفاء بالعهود من قول العرب نجب فلان فى سيره يومه وليلته أى
اجتهده * وقيل قضى نجبه قتل يوم بدر أو يوم أحد روى أن أنسا قال غاب عني أنس بن
النضر عن قتال بدر فقال يا رسول الله غبت عن أول قتال قاتلت المشركين لئن أشهدني الله قتال
المشركين لعربى الله ما أصنع فلما كان يوم أحد وانكشف المسلمون قال اللهم انى أعوذ باليك
مما صنع هؤلاء يعنى أصحابه وأبرأ اليك مما صنع هؤلاء يعنى المشركين ثم تقدم واستقبله سعد بن
معاذ فقال يا أبا عمرو الى أين قتال واهازر يح الجنة أجد هادون أحد فقاتل حتى قتل قال أنس
ابن مالك فوجدنا فى جسده بضعا ونمطين ضربة بالسيف أو طعنة برمح أو رمية بسهم فوجدناه
قد قتل وقدم مثل به المشركون فاعرفه أحد الأخوة بيناه قال أنس كأننى أرى أنظن أن هذه الآية
نزلت فيه وفى أشباهه (ومتهم) أى الصادقين (من ينتظر) أى السعادة كعثمان وطليحة
(وما بدلوا) أى العهد ولا غيره (تبدلا) أى شيئا من التبدل روى أن من لم يقتل فى عهد
النبي صلى الله عليه وسلم طلحة بن عبيد الله أحد العشرة المشهود لهم بالجنة ثبت مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم يوم أحد وفعل ما لم يفعله غيره لزم النبي صلى الله عليه وسلم فلم يفارقوه وذبح عنه
وفاء بيده حتى شلت أصبعه قال اسمعيل بن قيس رأيت يد طليحة شلاء وفى بها النبي صلى الله
عليه وسلم يوم أحد وعن معاوية سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول طلحة ممن قضى نجبه وعن
طلحة لما رجع النبي صلى الله عليه وسلم من أحد صعد المنبر حمد الله وأثنى عليه ثم قرأ رجال

صدقوا ما عاهدوا الله عليه الآية كلها فقام اليه رجل فقال يا رسول الله من هؤلاء فقال أيها السائل هذا منهم وعنه أيضا أن أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قالوا الاعرابي جاهل سله عن قضى نحيبه من هو وكانوا لا يجترئون على مسئلته بها بونه ويوقر ونه فسأله الاعرابي فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم سأله فأعرض عنه ثم أتى طلعت من باب المسجد فقال أين السائل عن قضى نحيبه قال الاعرابي أنا فقال هذا ممن قضى نحيبه وهذا يقوى القول بأن المراد بالتحب بذل الجهد في الوفاء بالعهد وعن خباب بن الارت قال هاجرنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبيل الله يتبعني وجه الله فوجب أحرنا إلى الله فنام من مضى لم يأكل من أجرة شيئا منهم مصعب ابن عمير قتل يوم أحد فلم يوجد له شيء يكفن فيه إلا عرقا فكا إذا وضعناها على رأسه خرجت رجلاه منها وإذا وضعناها على رجله خرج رأسه منها فقال صلى الله عليه وسلم ضعوها مما يلي رأسه واجعلوا على رجله من الأذخر قال ومنما من أئبعت له ثمرته فهو يهديها أئبعت أى أدركت ونفخت له ثمرتها ويهديها أى يجنيها وهذا كناية عما فتح الله تعالى لهم من الدنيا وعن زيد بن ثابت قال لما نسحننا المصحف من المصاحف فنفدت آية من سورة الأحزاب كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرؤها لم أجدها مع أحد إلا مع خزيم بن ثابت الانصاري الذي جعل رسول الله صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فألحقها في سورتها في المصحف (ليجزى الله) أى الذى يريد اظهار جميع صفاته يوم البعث للخاص والعام ظهورا تاما (الصادقين) أى في الوفاء بالعهد وادعائهم آمنوا به (بصدقهم) أى فيعمل أمرهم وينعمهم في الآخرة فالصدق سبب وإن كان فضلا منه لانه الموفق له * (تنبيه) * في لام ليجزى وجهان أحدهما انه الام العلة والثاني انه الام الصيرة وفيما يتعلق به أوجه اما بصدقوا واما بما زادهم واما بما بدلووا على هذا جعل المنافقين كأهم قصدوا عاقبة السوء وأرادوها يتبدلهم كإقصاء الصادقون عاقبة الصدق بوفائهم لأن كلا الفريقين مسوق الى عاقبته من الثواب والعقاب فكأنهما استويا في طلبهما والسعي لتحقيقهما (ويعذب المنافقين) أى الذين أخنوا الكفر وأظهروا الاسلام في الدارين يكذبهم في دعواهم الايمان المتقضى لبيع النفس والمال (ان شاء) بأن يميتهم على نفاقهم (أو يتوب عليهم) ان شاء بأن يهديهم الى التوبة فيتوبوا فالكل بارادته * (تنبيه) * جواب ان شاء مقدور وكذا ما فعلوا أى ان شاء تعذيبهم عذبهم وقرأ قالون والبرى وأبو عمرو واستنطاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقيل الثانية وايدلاها أيضا حرف مد وحققتها الباقون وفي الابتداء بالثانية الجميع بالتحقيق * ولما كانت توبة المنافقين مستعدة لما يرون من صلاتهم في الخداع وخبت سرارهم قال معللا ذلك كله على وجه التاكيد (أن الله) أى بما له من الجلال والجمال (كان) أزالا وأبدا (غفورا) لمن تاب (رحيما) بهم * ثم بين تعالى بعض ما جزاهم الله تعالى بصدقهم بقوله تعالى (ورد الله) أى بما له من صفات الكمال (الذين كفروا) وهم من تخرب من العرب وغيرهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الى بلادهم عن المدينة ومضايقة المؤمنين حال كونهم

(بقيظهم) أي متهيطين لم يشف صدورهم بنبل ما أرادوا بل تفرقوا عن غير طائل حال كونهم
 (لم يسألوا خيراً) لامن الدين ولا من الديار ذللاً وندامة فهو حال ثالثة أو حال من الحال الأولى
 فهي متداخلة (وكفى الله) أي الذي له العزة والكبرياء (المؤمنين القتال) بما ألقى
 في قلوبهم من الداعية للانصراف بالريح والجنود من الملائكة وغيرهم منهم نعيم بن مسعود
 لما تقدم من الحيلة التي فعلها قال سعيد بن المسيب لما كان يوم الأحزاب حصر النبي صلى الله
 عليه وسلم بضع عشرة ليلة حتى خلاص إلى كل امرئ منهم الكرب وحتى قال النبي صلى الله عليه
 وسلم اللهم اني أنشدك عهدك ووعدك اللهم انك ان تشا لا تعبد فينبأهم على ذلك اذ جاء نعيم
 ابن مسعود الاشجعي وكان يأمنه الفريقان جميعاً فخل بين الناس فانطلق الأحزاب منهزمين
 من غير قتال فذلك قوله تعالى وكفى الله المؤمنين القتال (وكان الله) أي الذي له صفات
 الكمال أزلاً وأبداً (قويًا) على احداث ما يريد (زبرًا) غالباً على كل شيء * ولما أم الله
 تعالى حال الأحزاب اتبعه حال من عاونوه بقوله تعالى (وأزّل الذين ظاهروهم) أي عاونوا
 الأحزاب (من أهل الكتاب) وهم بنو قريظة ومن دخل معهم في حصنهم من بني النضير (من
 صياصيمهم) أي حصونهم متعلق بأنزل ومن لا بداء الغاية والصابى جمع صبيصة وهي
 الحصون والسلاع والمعازل ويقال لكل ما يتشعب به ويتحصن فيه صبيصة ومنه قيل لقرن
 الثور والظبي واشوكه الديك صبيصة عن سعيد بن جبيرة قال كان يوم الخندق بالمدينة فجاء
 أبو سفيان بن حرب ومن تبعه من قريش ومن تبعه من كنانة وعيينة بن حصن ومن تبعه من
 غطفان وطلحة ومن تبعه من بني أسد وبنو العنزة ومن تبعهم من بني سليم وقريظة كان بينهم
 وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد فنتقضوا ذلك وظاهر والمشاركين فأنزّل الله تعالى فيهم
 وأنزل الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيمهم وكانت غزوة بني قريظة في آخر ذي القعدة
 سنة خمس من الهجرة وعن موسى بن عقبة انها في سنة أربع قال العلماء بالسيران رسول الله
 صلى الله عليه وسلم لما أصبح في الليلة التي انصرف الأحزاب واجعين إلى بلادهم انصرف رسول
 الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنون عن الخندق إلى المدينة ووضعوا السلاح فلما كان الظهر أتى
 جبريل عليه السلام إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم على فرسه الخبز وم والغبار على وجه
 الفرس والسرج فقال ما هذا يا جبريل قال من متابعة قريش فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم
 يمسح الغبار عن وجه الفرس وعن سرجه فقال يا رسول الله ان الملائكة لم تضع السلاح ان الله
 تعالى يأمرنا بالسرا إلى بني قريظة وأنا عايد اليهم فان الله دفعهم دق البيض على الصفا وانهم لك
 طعمة فأذن في الناس أن من كان سماعاً مطيعاً فلا يصلي العصر الا في بني قريظة وقدم رسول
 الله صلى الله عليه وسلم على بني طالب بآيته اليهم وابتدروا الناس فساد على حتى اذا نام
 الحصون سمع منهم مقالة فبيحها رسول الله صلى الله عليه وسلم فرجع حتى لقي رسول الله صلى الله
 عليه وسلم بالطريق فقال يا رسول الله لا علمك ان لا تدنونا هؤلاء الاخبيا قال أظنك سمعت
 في منهم أذى قال نعم يا رسول الله قال لو قد رأوني لم يقولوا من ذلك شيئاً فلما دار رسول الله صلى الله

عليه وسلم من حصنهم قال يا اخوان القردة هل أخرناكم الله وأنزل بكم نعمة قالوا يا أبا التماس ما كنت جهولا ومر رسول الله صلى الله عليه وسلم على أصحابه قبل أن يصل إلى بني قريظة قال هل مرت بكم أحد قالوا امر بنا حبة بن خليفة على بغلة شهباء عليها قطيفة من ديباج قال صلى الله عليه وسلم ذا الجبريل بعث إلى بني قريظة يزلزل بهم حصونهم ويقذف في قلوبهم الرعب ولما أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم بني قريظة نزل على بئر من آبارها فتلاحق به الناس فأتاه رجال من بعد صلاة العشاء الآخرة ولم يصلوا العصر لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يصل أحد العصر الا في بني قريظة فصلوا العصر بها بعد العشاء الآخرة فاعابهم الله تعالى بذلك ولا عنفهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان حبي بن أخطب دخل على بني قريظة في حصنهم حين رجعت عنهم قريش وغطشان وقاتل كعب بن أسد بما كان عاهده فلما أيسموا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم غير منصرف عنهم حتى يساجزهم قال كعب بن أسد يا معشر يهودانه قد نزل بكم من الأمر ما نزل واني عارض عليكم خلا لا ثلاثا فخذوا أيها شتم قالوا وما هي قال نابع هذا الرجل ونصته فوالله لقد تدبنا لكم أنه نبي مرسل وأنه الذي تجدونه في كتابكم فتأمنوا على دياركم وأبنائكم وأموالكم ونسائكم قالوا الاتفارق حكم التوراة أبدا ولا نستبدل به غيره قال فاذا أبيت هذا فاهلهم فلنقتل أبناؤنا ونساءنا ثم نخرج إلى محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه رجالا مصلتين بالسيوف ولم نترك وراءنا ثقلنا ثم صاحت حتى يحكم الله بيننا وبين محمد وأصحابه فانهم لم يتركوا ولم يترك وراءنا أحد ولا شيئا نخشى عليه وان تظهر فلعمرى لنحدث النساء والانشاء قالوا نقتل هؤلاء المساكين فإخيرا العيش بعدهم قال فان أبيت هذه فان الليلة ليلة السبت فعسى أن يكون محمد وأصحابه قد أمضوا فانزلوا العلمنا أن نصيب منهم غزوة قالوا انفسد سبينا ونحدث فيه ما لم يكن أحدث فيه من كان قبلنا فتركهم قال علماء السيرة وحاصرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم خمسة وعشرين ليلة حتى جهدهم الحصار فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكمي فأبوا وكانوا قد طلبوا أباالباب بن عبد المنذر أخا بني عمر بن عوف وكانوا حلفاء الاوس يستشيرونه في أمرهم فأرسله رسول الله صلى الله عليه وسلم إليهم فلما رآوه قام إليه الرجال والنساء والصبيان ليكون في وجههم فرق لهم فقالوا يا أباالباب أترى أن نزل على حكم محمد قال نعم وأشار بيده إلى حلقة يمينه انه يقتلكم قال أبوالباب فوالله ما زالت قدماي حتى قد عرفت اني خنت الله ورسوله ثم انطلق أبوالباب على وجهه ولم يأت رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى ارتبط في المسجد إلى عمود من عمده وقال لا أبرح من مكاني حتى يتوب الله تعالى علي عما صنعت وعاهد الله تعالى لا يبطأ بني قريظة أبدا ولا يراني الله تعالى في بلد خنت فيه الله ورسوله فلما بلغ رسول الله صلى الله عليه وسلم خبره وأبطأ عليه قال أما لو جاءني لاستغفرت له فأما اذ فعل فما أنا بالذي أطلعهم من مكانه حتى يتوب الله عليه فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم تنزلون على حكم سعد بن معاذ فرفضوا به فقال سعد حكمت فيهم ان تقتل مقاتلاتهم وتسبي ذراريهم ونساءهم فكبر النبي صلى الله عليه وسلم وقال لقد حكمت فيهم يحكم الله من فوق سبعة أرقعة ثم استزلهم

وخندق في سوق المدينة خندقا وقدمهم فنسرب أعناقهم وهم من ثمانمائة إلى تسعمائة وقيل
 كانوا ستمائة مقاتل وسبعمائة أسير (وقذف) أي الله تعالى (في قلوبهم الرعب) حتى سلوا
 أنفسهم للقتل وأولادهم ونساءهم للسبي كما قال الله تعالى (فريقا تقتلون) وهم الرجال يقال
 كانوا ستمائة (وتأسرون فريقا) وهم النساء والذراير يقال كانوا سبعمائة وخمسين ويقال
 تسعمائة (فان قتل) ما فائدة تقديم المنعول في الأول حيث قال تعالى فريقا تقتلون وتأخيره
 في الثاني حيث قال وتأسرون فريقا (أجيب) بأن الرازي قال ما من شيء من القرآن الا وله
 فائدة منها ما يظهر ومنها ما لا يظهر والذي يظهر من هذا والله أعلم أن القاتل يد بأبالهه فلا هم
 والاقرب فالاقرب والرجال كانوا مشهورين وكان القتل واردا عليهم وكان الاسراء هم النساء
 والذراير ولم يكونوا مشهورين والسبي والاسرأظهر من القتل لأنه يبي فيظهر لكل أحد انه
 أسير فقد من المهلين ما اشتهر على الفعل القاع به ومن الفعلين ما هو أشهر قدمه على المحل الخفي
 انتهى وقرأ ابن عامر والكسائي الرعب بضم العين والباء قون بسكونها * ولما ذكر المناطق
 بقسميه ذكر الصامت بقوله تعالى (وأورثكم أرضهم) من الحدائق والمزارع (وديارهم)
 أي حصونهم لأنه يحاي عليها ما لا يحاي على غيرها (وأموالهم) من النقد والماشية والسلاح
 والاثاث وغيرها فقسم رسول الله صلى الله عليه وسلم للندارس ثلاثة أسهم للفرس سهمان ولقارمه
 سهم لكل الرجل ممن ليس له فرس سهم وأخرج منها الخمس وكانت الخيل ستة وثلاثين فرسا وكان
 هذا أول في وضع فيه السهمان وجرى على سننه في المغازي واصطفى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم من سباياهم ربيعة بنت عمرو بن قريظة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحصر عليها
 أن يترجها ويضرب عليها الحجاب فقالت يا رسول الله تتركني في ملكك فهو أخف عليّ وعليك
 فتركها وكانت حين سباها كرهت الاسلام وأبت الا اليهودية فعزلها رسول الله صلى الله عليه
 وسلم ووجد في نفسه من أمرها بينهما هو مع أصحابه اذ سمع وقع نعين خلفه فقال ان هذا الثعلبية
 ابن شعبة يشترني باسلام ربيعة فجاء فقال يا رسول الله قد أسلمت ربيعة فسر ذلك روى ان
 رسول الله صلى الله عليه وسلم جعل عقارهم للمهاجرين دون الانصار فقالت الانصار في ذلك
 فقال انكم في منازلكم وقال عمر ان اخذه من كاخست يد يد قال لانما جعلت هذه طعمة على
 دون الناس قال رضينا بما صنع الله ورسوله وأنزل الله تعالى توبه أي لبابة على رسول الله صلى
 الله عليه وسلم وهو في بيت أتم سلمة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يضحك فقالت مم تضحك
 يا رسول الله أضحك الله تعالى منك فقال تب عليّ أي لبابة فقالت الأبيشرة بذلك يا رسول الله
 قال بلى ان شئت فقامت علي باب حجرتها وذلك قبل أن يضرب علي بن الحجاب فقالت يا لبابة
 أبشر فقد تاب الله تعالى عليك فنادوا الناس اليه لطلوه فقال لا والله حتى يكون رسول الله
 صلى الله عليه وسلم هو الذي يطلني بيده فلما مر عليه خارجا الى الصبح أطلقه ومات سعد بن
 حاذب بعد انقضاء غزوة بني قريظة قالت عائشة فحضره رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعمر
 فوالذي نفس محمد بيده اني لاعرف بكاء عمر من بكاء أبي بكر واني لجري قالت وكانوا كما قال

الله تعالى رحاء بينهم راختلف في تفسير قوله تعالى (وأرضاً) أى وأورثكم أرضاً لم تطوها
 فعن مقاتل انه اخبر وعليه أكثر المفسرين وعن الحسن فارس الروم وعن قيادة كذا فحدث
 انها مكة وعن عكرمة كل أرض تفتح الى القيامة ومن يدع التفسير أنه أراد نساءهم
 انتهى * ولما كان ذلك أمراً باهراً سهل بقوله تعالى (وكان الله) أى أزلها وأبدعها من
 صفات الكمال (على كل شيء) هذا وغيره (قديراً) أى شامل القدرة وى أبو هريرة أن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول لا اله الا الله وحده أعز جنده ونصر عبده
 وغلب الأحزاب وحده فلا شيء بعده ولما أرشد الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم الى جانب
 ما يتعلق بجواب التعظيم لله تعالى بقوله تعالى يا أيها النبي اتق الله ذكراً ما يتعلق بجواب الشفقة
 وبدلاً من ذلك فأنشأ أولي الناس بالشفقة ولهذا قدمه في النفقة فقال (يا أيها النبي قل
 لأزواجك) أى نسائك (أن كنتن) أى كوناراسخاً (تردن) أى اختياراً على (الحياة)
 ووصفها بما يزد فيها ذوى الهيم ويذكر من له عقل بالآخرة بقوله تعالى (الدنيا) أى ما فيها
 من السعة والرفاهية والنعمة (وزينتها) أى المنافاة لما أمرني به ربى من الاعراض عنه
 واحتقاره من أمرها لانها أبغض خلقه اليه لانها قاطعة عنه (فقالين) أصله ان الأمر يكون
 أعلى من المأمور فيدعوه ان يرفع نفسه اليه ثم كثر حتى صار معناه أقبل وهو هنا كناية عن
 الاخبار والارادة بعلاقة أن الخبر يدنو الى من يخبره (أمتعن) أى بما أحسن به اليك
 من متعة الطلاق وهي واجبة لزوجة لم يجب لها نصف مهر فقط بأن وجب لها جميع المهر
 او كانت مفقوضة لم توطأ ولم يفرض لها شيء صحيح أما في الاولى فلان المهر في مقابلة منفعة بضعتها
 وقد استوفاهما الزوج فوجب للايحاء المتعة وأما في الثانية فلان المفقوضة لم يحصل لها شيء
 فيجب لها متعة للايحاء بخلاف من وجب لها النصف فلامتعة لها لانه لم يستوف منفعة
 بضعتها فيكتفي نصف مهرها للايحاء بهذا اذا كان الفراق لا بسببها وسن أن لا تنص عن ثلاثين
 درهماً أو ما قيمته ذلك وأن لا تبلغ نصف المهر فان تراضيا على شيء فذلك والا قدرها قاض باجتهاده
 بقدر حالهما من يساره واعساره ونسبها وصفاتها قال تعالى ومعهون على الموسع قدره
 وعلى المقتر قدره (وأستر كن) أى من حيلة عصمتي (سراجيلاً) أى طلاقاً من غير مضارة
 ولا نوع حطة ولا مقاهرة (وان كنتن) أى بما ليكن من الجيلة (تردن الله) أى الأمر
 بالاعراض عن الدنيا (ورسوله) أى المؤتمراً بأمره به من الانسلاخ عنها المبالغ للعباد جميع
 ما أرسله به من أمر الدنيا والدين لا يدع منه شيئاً لماله عليه كن وعلى سائر الناس من الحق
 بما يلغهم عن الله تعالى (والدار الآخرة) أى التي هي الخوان بما لها من البقاء والعلو والارتقاء
 (فان الله) بما له من جميع صفات الكمال (أعد) أى في الدنيا والآخرة (للحسنات منكن)
 أى اللاتي يفعالن ذلك (أجر عظيم) تستحق ردونه الدنيا وزينتها ومن البيان لانهن كلهن
 محسنات قال المفسرون سبب نزول هذه الآية ان نساء النبي صلى الله عليه وسلم سألته من
 عرض الدنيا شياً وطلبن منه زيادة في النفقة وأذنبه بغيره بعضهن على بعض فهجرهن

رسول الله صلى الله عليه وسلم وإلى أن لا يتبرهن شهر ولم يخرج إلى أصحابه فقالوا ما شأنه وكانوا يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فقال عمر لا علم لك بشأنه قال فدخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت يا رسول الله أطلقتهن قال لا فقلت يا رسول الله اني دخلت المسجد والمسلمون يقولون طلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه فأنا نزل فأخبرهم انك لم تطلقهن قال نعم ان شئت فقلت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي لم يطلق رسول الله صلى الله عليه وسلم نساءه ونزل قوله تعالى واذا جاءهم أمر من الامن أو الخوف اذا عوا به ولوردوه الى الرسول وإلى أولى الامر منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم فكنت أنا الذي استنبط ذلك الامر وأنزل الله تعالى آية التخيير وكان تحت رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة نساء خمس من قريش عائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر وأُم حبيبة بنت أبي سفيان وأُم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة وأربع من غير القرشيات زينب بنت جحش الاسدية وميمونة بنت الحارث الهلالية وصفية بنت حيي بن أخطب الخيبرية وجويرية بنت الحارث المصطلقية فلما نزلت آية التخيير عرض عليهن رضي الله تعالى عنهن ذلك وبدأ رسول الله صلى الله عليه وسلم بعائشة رأس المحسنات اذ ذلك وكانت أحب أهله لخبرها وقرأ عليه القرآن فاخترت الله ورسوله والدار الآخرة فروى الفرح في وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم وتابعتها على ذلك قال قتادة فلما اخترن الله ورسوله شكرهن الله على ذلك وقصره عليهن فقال تعالى لا تحل لك النساء من بعد وعن جابر بن عبد الله قال دخل أبو بكر رضي الله عنه يستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جلوسا يابه لم يؤذن لاحد منهم فأذن لابي بكر فدخل ثم أقبل عمر ثم استأذن فأذن له فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا حوله نساءه واجاسا كذا قال فقال لا قول شيئا أضحك النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله لورايت بنت خارجة سألتني النفقة فتمت اليها فوجأت عنقه فافضح النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولي كما ترى يسألتني النفقة فقام أبو بكر الى عائشة يجأ عنقهها وقام عمر الى حفصة يجأ عنقهها كلاهما يقول لا تسألن رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ليس عنده ثم اعتزلهن شهر أو تسعا وعشرين يوما ثم نزلت هذه الآية يا أيها النبي قل لا أزواجكم حتى يبلغ المحسنات منك أجزا عظيما قال فبدأ بعائشة فقلت يا عائشة اني أعرض عليك أمر الأ أحب ان تعجلي فيه حتى تستشيري أ بويك قالت وما هو يا رسول الله فقلنا عليها الآية فقلت أفيك يا رسول الله استشير أ بوي بل اختار الله ورسوله والدار الآخرة وأسالك أن لا تخبر امرأة من نساءك بالذي قلت قال لا تسألني امرأة منهن الا أخبرتها ان الله لم يعنى معنا ولكن بعنى معلما مبشرا قوله واجامى مهتما والواجب الذي أسكته الهم وعلة الكتابة وقيل الوجوم الحزن وقوله فوجأت عنقه أي دقته وقوله لم يعنى معنا العنت المشقة والسعوبة وروى الزهري ان النبي صلى الله عليه وسلم أقسم أن لا يدخل على أزواجه شهر ا قال الزهري فأخبرني عروة عن عائشة قالت فلما مضت تسع وعشرون أعدت حتى دخلت على فقلت يا رسول الله انه مضى تسع وعشرون أعدت فقال ان الشهر تسع وعشرون * (تبسيه) * اختلف العلماء في هذا الخيار هل كان ذلك تقويضا لاطلاق

البين حتى يقع بنفس الاختيار ولا ذهب الحسن وقادة وأكثر أهل العلم الى انه لم يكن
 تفويض الطلاق وانما خيبرهن على انهن اذا اخترن الدنيا فارقهن اقله تعالى فتعالين
 أمتعن وأسرحكن ويدل عليه انه لم يكن جوابهن على الفور فانه قال لعائشة لا تعجلي حتى
 تستشري أبويك وفي تفويض الطلاق يكون الجواب على الفور وذهب آخرون الى انه كان
 تفويض طلاق ولو اخترن أنفسهن كان طلاقا واختلف العلماء في حكم التخيير فقال عمرو بن
 مسعود وابن عباس اذا خير الرجل امرأته فاخترت زوجها لا يقع شيء ولو اختارت نفسها وقع
 طلاق واحدة وهو قول عمر بن عبد العزيز وابن أبي ليلي وسفيان والشافعي وأصحاب الرأي
 الا ان عند أصحاب الرأي انه يقع طلاق بائنة اذا اختارت نفسها وعند الآخرين رجعية وقال
 زيد بن ثابت اذا اختارت الزوج تقع طلاق واحدة وان اختارت نفسها فثلاث وهو قول
 الحسن ورواية عن مالك وروى عن علي أنه اذا اختارت زوجها يقع طلاق واحدة رجعية
 وان اختارت نفسها فطلاق بائنة وأكثر العلماء على انه اذا اختارت زوجها لا يقع شيء وعن
 مسروق قال ما أبالي خيرت امرأتى واحدة أو مائة أو ألفا بعد أن تختارنى قال الرازى وهنا
 مسائل منها هل كان هذا التخيير واجبا على النبي صلى الله عليه وسلم أم لا والجواب ان التخيير
 كان قولاً واجبا من غير شك لانه ابلاغ الرسالة لان الله تعالى لما قال له قل لهن صار من الرسالة
 وأما التخيير معنى فبني على ان الامر للوجوب أم لا والظاهر انه للوجوب ومنها ان واحدة
 منهن لو اختارت نفسها وقلنا انما الاتيين الاباينة النبي صلى الله عليه وسلم فهل كان يجب على
 النبي صلى الله عليه وسلم الطلاق أم لا الظاهر نظر الى منصب النبي صلى الله عليه وسلم انه كان
 يجب لان الخلف في الوعد من النبي صلى الله عليه وسلم غير جائز بخلاف أحدنا فانه لا يلزمه شرعا
 الوفاء بما وعد ومنها ان المخارة بعد البينونة هل كانت تحرم على غيره أم لا الظاهر ان التحريم
 والام لم يكن التخيير معكاهما من التمتع بزينة الدنيا ومنها ان من اختارت الله ورسوله هل كان
 يحرم على النبي صلى الله عليه وسلم طلاقها أم لا الظاهر الحرمة نظرا الى منصب الرسول صلى الله
 عليه وسلم على معنى ان النبي صلى الله عليه وسلم لا يباشره أصلا بمعنى انه لو أتى به أو قرب
 أو عوتب انتهى ولما خيبرهن واخترن الله ورسوله عذبن الله للتوفى عما يسوء النبي صلى الله
 عليه وسلم وأوعدهن بتضعيف العذاب بقوله تعالى (يأيسوا النبي) أى المختارات له لما بينه
 وبين الله تعالى مما يظهروا شرفه (من يأت منكراً فإحش) أى سينة من قول أو فعل كاللشوز
 وسوء الخلق واختار الحياة الدنيا وزينتها على الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم وغير ذلك
 وقال ابن عباس المراد هنا بالفاشحة اللشوز وسوء الخلق وقيل هو كرهه كونه تعالى لئن أشركت
 ليحطن عماك وقرأ ابن كثير وشعبة (مبينه) بفتح الباء التحية أى ظاهر فخشا والباقون
 بكسرها أى واضحة ظاهرة في نفسها (يضاعف لها العذاب) أى بسبب ذلك (ضعفين) أى
 ضعف عذاب غيرهن أى مثليه وانما ضعف عذابهن لان ما فجع من سائر النساء كان أقبح منهن
 وأقبح لان زيادة قبح المعصية تتبع زيادة الفضل والمرتبة ولذلك كان ذم العقلاء لعاصي العالم

أشد منه للعاصي الجاهل لأن المعصية من العالم أجمع ولذلك جعل حد الحرز ضعيفاً حد العبد
وعوتب الانبياء عالم يعاتب به غيرهم وقرأ نافع وعاصم وحزرة والكسائي بالياء التحسية وألف بعد
الضاد وتحقيف العين مفتوحة العذاب بالرفع وابن كثير وابن عامر بالنون ولا ألف بعد الضاد
وتشديد العين مكسورة العذاب بالنصب وأبو عمر وبالياء وتشديد العين مفتوحة العذاب بالرفع
وقوله تعالى (وكان ذلك على الله يسيراً) فيه ايدان بأن كونهن نساء لنبى صلى الله عليه
وسلم ليس عفن عنهن شيئاً وكيف يغنى عنهن وهو سبب مضاعفة العذاب فكان داعياً الى تشديد
الامر عليهن غير صارف عنه * ولما بين تعالى زيادة عقابهن أتبعه زيادة ثوابهن بقوله تعالى
(ومن يقنت) أى يطع (منكن لله) الذى هو أهل لأن لا يلتفت الى غيره (ورسوله) الذى
لا ينطق عن الهوى فلا تخالفه فيما أمر به ولا تختار عيشاً غير عيشه (وتعمل) أى مع ذلك
يجوارحها (صالحاً) أى فى جميع ما أمر به سبحانه أو نهى عنه فلا تقتصر على عمل القلب
(نوتها أجرهما مرتين) أى مثلى ثواب غيرهن من النساء قال مقاتل مكان كل حسنة عشرين
حسنة فقرة على الطاعة ومرة لطاهاً رضا رسول الله صلى الله عليه وسلم بحسن الخلق وطيب
المعاشرة والقناعة * (تنبيه) * قوله تعالى نوتها أجرهما مرتين فى مقابلة قوله تعالى يضاعف لها
العذاب ضعفين وفيه لطيفة وهى أنه عند آية الأجر ذكر المؤتى وهو الله تعالى وعند العذاب
لم يصرح بالمعذب بل قال يضاعف وهذا الاشارة الى كمال الرحمة والكرم وقرأ أجزء والكسائي
بالياء التحسية فى يعمل ويوتها اجلا على لفظ من وهو الاصل والباقيون بالتاء الفوقية فى يعمل
على معنى من والنون فى نوتها على ان فيه ضمير اسم الله تعالى (واعتدنا) أى هيأتنا بما للنامن
العظيمة (لها) أى بسبب قبائحهم مع النبى صلى الله عليه وسلم المريد للتخلل من الدنيا التى يبغيها
الله تعالى مع ما فى ذلك من توفير الحظ فى الآخرة (رزقاً كريماً) أى فى الدنيا والآخرة
زيادة على أجرها أمانى الدنيا فلان ما يرزقهن منه يوفى قن لصرفه على وجه يكون فيه أعظم
الثواب ولا يخفى من أجله نوع عقاب وأمانى الآخرة فلا يوصف ولا يجد ولا تكديف فيه أصلاً
ولا كد وهذا ما جرى عليه القاعى وهو أولى مما جرى عليه كثير من المفسرين من الاقتصار
على رزق الجنة وعمله الرازى بقوله ووصف رزقاً يكونه كريمة مع ان الكريمة لا يكون وصفاً
الترازق وذلك اشارة الى ان الرزق فى الدنيا مقدر على ايدى الناس فان التاجر يسترزق من
السوقه والعالمون والصناع من المستعملين والمولك من الرعية والرعية منهم فالرزق فى الدنيا
لا يأتى بنفسه انما هو مسخر للغير يكتبه ويرسله الى الاعيان وأمانى الآخرة فلا يكون له مرسل
ومسلك فى الظاهر فهو الذى يأتى بنفسه فلا جل هذا الا يوصف فى الدنيا بالكرم الا الرزق وفى
الآخرة يوصف بالكرم نفس الرزق انتهى * ولما ذكر تعالى ان عذابهن ضعف عذاب غيرهن
وأجرهن مثلاً أجر غيرهن صرن كالحرائر بالنسبة الى الاماء قال تعالى (يا نساء النبى لستن
كاحد) قال البغوى ولم يقل كواحدة لأن الاحد عام يصلح للواحد والاثنين والجمع والمذكر
والمؤنث والمعنى لستن بجماعة واحدة (من) جماعات (النساء) اذا انقصت جماعة النساء

واحدة واحدة لم يوجد منهن جماعة واحدة تساوي يكن في الفضل والسابقة ومنه قوله تعالى والذين آمنوا بالله ورسوله ولم يفرقوا بين أحد منهم يريد بين جماعة واحدة منهم تسوية بين جميعهم في أنهم على الحق المبين وقوله تعالى لا تفرق بين أحد من رسوله قوله تعالى فإم منكم من أحد عنه حاجزين والجل على الأفراد بأن يقال ليست كل واحدة منكم كواحدة من أحاد النساء صحيح بل أولى ليلزم تفضيل الجماعة بخلاف الجل على الجمع وعن ابن عباس معنى لستن كأحد من النساء يريد ليس قد ركن عمدي مثل قدر غير كرتن من النساء الصالحات أنتن أكرم على وتوايكن أعظم لدى * ولما كان المعنى بل أنتن أعلى النساء ذكر شرط ذلك بقوله تعالى (إن أقيمتم) الله تعالى أي جعلتم بينكن وبين غضب الله تعالى وغضب رسوله صلى الله عليه وسلم وقاية ثم سبب عن هذا النهي قوله تعالى (فلا تخضعن) أي إذا أنكماتن بحضرة أجنبي (بالقول) أي بأن يكون لينا عذبا رخيا والخضوع النطام والتواضع واللين ثم سبب عن الخضوع قوله تعالى (فيطمع) أي في الخيانة (الذي في قلبه مرض) أي فساد وريية من فسق ونفاق أو نحو ذلك وعن زيد بن علي قال المرض مرضان مرض زنا ومرض نفاق وعن ابن عباس أن نافع بن الأزرق قال له أخبرني عن قوله تعالى فيطمع الذي في قلبه مرض قال الفجور والزنا قال وهل تعرف العرب ذلك قال نعم أما سمعت الأعشى وهو يقول

حافظ للفرج راض بالتني * ليس بمن قلبه فيه مرض

والتعبير بالطمع للدلالة على أن أمنيته لا سبب لها في الحقيقة لأن اللين في كلام النساء خلق لهن لا تكلف فيه وأريد من نساء النبي صلى الله عليه وسلم التكلف للاتباع بهذه المرأة مندوبة إلى الغلظة في المقالة إذا خاطبت الجانب لقطع الاطماع * ولما نهى عن الاسترسال مع سحابة النساء في رخاوة الصوت أمرهن بضده بقوله تعالى (وقلن قولنا ما نعرف) أي يعرف الله بعيد عن محل الطمع من ذكر الله وما تحتجن اليه من الكلام مما يوجب الدين والاسلام بتصریح وبيان من غير خضوع * ولما أمرهن بالقول وقدمه لعمومه أتبعه الفعل بقوله تعالى (وقرن) أي اسكنن وامكنن دائما (في بيوتكن) فن كسر القاف وهم غير نافع وعاضم جعل الماضي قرر بفتح العين ومن قصه وهو نافع وعاضم فهو عنده قرر بكسرها وهما القنان قال البغوي وقيل وهو الأصح أنه أمر من الوقار ~~بقوله~~ من الوعد عن ومن الوصل صلن أي كنن أهلا وقار وسكون من قوله وقرفلان يقر وقورا إذا سكن واطمأن انتهى ومن فتح القاف فحم الرا من كسر هاروق الرا وعن محمد بن سيرين قال بنت انه قيل لسودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم مالك لا تحبين ولا تعترين كما نفعل اخواتك فقالت قد حججت واعتبرت وأمرني الله أن أقزي ببقى فوالله لا أخرج من بيتي حتى أموت قال فوالله ما خرجت من باب حجرها حتى خرجت مجننازتها * واختلف في معنى التبرج في قوله تعالى (ولا تبرجن) فقال مجاهد وقتادة هو التمسك والتعجب وقال ابن جريج هو التبرج وقيل هو ابراز الزينة وابرار المحاسن للرجال وقرأ البري بتشديد التاء في الوصل والباقون بالتخفيف واختلف أيضا

في معنى قوله تعالى (تبرج الجاهلية الاولى) فقال الشعبي هي ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم وقال أبو العالية هي زمن داود وسليمان عليهما الصلاة والسلام كانت المرأة تتخذ قميصا من الدر غير مخيط الجاهلين فيرى خلقها منه وقال الكلبي كان ذلك في زمن غرود الجبار كانت المرأة تتخذ الدرع من اللؤلؤ فتلبسه وتغشى وسط الطريق ليس عليها شيء غيره وتعرض تقسم على الرجال وروى عكرمة عن ابن عباس أنه قال الجاهلية الاولى فيما بين نوح وادريس عليهما السلام وكانت ألف سنة وان بطنيين من ولد آدم كان أحدهما يسكن السهل والاخر يسكن الجبل وكان رجال الجبل صباحا وفي النساء دمامة وكان نساء السهل صباحا وفي الرجال دمامة وان ابليس أتى رجلا من أهل السهل واجرقه منهم فكان يخدمهم واتخذ شيا مثل الذي يزمريه الرعاة فجاء بصوت لم يسمع الناس مثله فبلغ ذلك من حوله فأثوه وهم يستمعون اليه واتخذوا عيدا يجتمعون اليه في السنة فيمتهرج النساء للرجال ويتزين الرجال لهم وان رجلا من أهل الجبل هجم عليهم في عيدهم ذلك فرأى النساء وصباحتهن فألقى أصحابه فأخبرهم بذلك فنفخوا الهم فزولوا معهم وظهروا الفاحشة بينهم فذل ذلك قوله تعالى ولا تبرجن ثيابكم بالمجاهلة الاولى وقال قتادة ما قبل الاسلام وقيل الجاهلية الاولى ما ذكرنا والجاهلية الاخرى قوم يفعلون مثل فعلهم في آخر الزمان وقيل الجاهلية الاولى ما كانوا عليه قبل الاسلام والجاهلية الاخرى جاهلية الفسوق في الاسلام ويعضده قوله صلى الله عليه وسلم لا يذركم في الصحبة ان فيك جاهلية كنرا واسلام وقول البيضاوي عن أبي الدرداء قال ان حجر لم أجده عن أبي الدرداء وقيل قد تذكر الاولى وان لم تكن لها أخرى كقوله تعالى وانه اهلك عاد الاولى ولم تكن لها أخرى * ولما أمرهن بلزوم البيوت للتحلوة عن الشواقب أرشدتهن الى التحلية بالرغائب بقوله تعالى (وأقن الصلاة) أي فرضا ونفلاصلة لما ينسكن وبين الخالق ان الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر (واتين الزكاة) احسانا الى الخلائق وفي هذا بشارة الفتوح وتوسيع الدنيا عليهم فان العيش وقت نزولها كان ضيقا عن القوت فضلا عن الزكاة * ولما أمرهن بخصوص ما تقدم لانهم ما أصل الطاعات البدنية والمالية ومن اعتنى بهم ما حق الاعتماد جرتاه الى ما وراءهما ثم وجع في قوله تعالى (وأطعن الله) أي الذي له صفات الكمال (ورسوله) أي الذي لا ينطق عن الهوى فيما أمر به ونهى عنه (انما يريد الله) أي الذي هو ذو الجلال والاكرام بما أمر كنه به ونها كنه عنه من الاعراض عن الزينة وما يتبعها والاقبال عليه (ليذهب) أي لاجل أن يذهب (عنكم الرجس) أي الانا الذي نهى الله تعالى عنه النساء قاله مقاتل وقال ابن عباس يعني عمل الشيطان وما ليس فيه رضا الرحمن وقال قتادة يعني البوء وقال مجاهد الرجس الشك وقوله تعالى (أهل البيت) في ناصبه وجه أحدها النداء أي يا أهل البيت أو المدح أي أمدح أهل البيت أو الاختصاص أي أخص أهل البيت كما قال صلى الله عليه وسلم نحن معشر الانبياء لا نورث والاختصاص في الخطاب أقل منه في المتكلم وسمع منك الله نرجو الفضل والاكثر انما هو في المتكلم كقولها

فمن نبات طارق * غشي على التمارق

وقولهم فمن غشي ضبة أصحاب الجمل * الموت أحلى عندنا من العسل
وقولهم فمن العرب أفقرى الناس للضيف واختلف في أهل البيت والاولى فيهم ما قال البقاعي
انهم كل من يكون من الزام النبي صلى الله عليه وسلم من الرجال والنساء والازواج والاماء
والافارب وكلما كان الانسان منهم أقرب وبالنبي صلى الله عليه وسلم أخص وأزكم كان
بالارادة **فق** وأجدرو بوفيه قول البيضاوى وتخصيص الشيعة أهل البيت بفاطمة وعلى
وابنهم ما رضى الله تعالى عنهم لما روى انه عليه الصلاة والسلام خرج ذات غدوة وعليه مرط
مرجل من شعر أسود خاس فقامت فاطمة فأدخلها فيه ثم جاء على فأدخله فيه ثم جاء الحسن
والحسين فأدخلهما فيه ثم قال انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت والاحتجاج
بذلك على عصمتهم وكون اجماعهم حجة ضعيف وعن ابن عباس انهم نساء النبي صلى الله عليه وسلم
لانهم في بيته وتلاقوه تعالى واذكرن ما تيلي في يوتكن من آيات الله وعن أم سلمة رضى الله تعالى
عنها قالت في بيتي أنزل انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت قالت فارسل رسول الله صلى
الله عليه وسلم الى فاطمة وعلى والحسن والحسين فقال هؤلاء أهل بيتي فقلت يا رسول الله اما أنا
من أهل البيت فقال بلى ان شاء الله وقال زيد بن أرقم أهل بيته من حرم الصدقة بعده آل على
وآل عتبيل وآل جعفر وآل عباس قال الرازى والاولى أن يقال هم اولاده وأزواجه والحسن
والحسين وعلى منهم لانه كان من أهل بيته معاشرته بنت النبي صلى الله عليه وسلم ولما زمت له
ولما استعار للمعصية الرجس استعار للطاعة الطهر ترغيبا للاصحاب الطبايع السليمة والعقول
المستقيمة في الطاعة وتنفير الهم عن المعصية بقوله تعالى (ويطهركم) أى يفعل في طهركم
الصيانة عن جميع التاذورات الحسية والمعنوية فعمل المدافع فيه وزاد ذلك عظما بالمصدر بقوله
تعالى (تطهيرا) وعن ابن عباس قال شهدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم تسعة أشهر بآنى
كل يوم باب على بن أبى طالب عند وقت كل صلاة فيقول السلام عليكم ورحمة الله وبركاته
انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا الصلاة رحمة الله كل يوم خمس
مرات ثم ين تعالى ما أنعم الله به عليكم من أن يوتهم مهابط الوحى بقوله تعالى (واذكرن)
أى فى أنفسكن ذكرنا دائما واذكرنه لغيركن على جهة الوعظ والتعليم (ما تلي) أى يتابع
ويؤلى ذكره (فى يوتكن) أى بواسطة النبي صلى الله عليه وسلم الذى خيركن وقوله تعالى
(من آيات الله) أى القرآن بيان للموصول فيعلق بأعنى ويجوز أن يكون حالا امامن
الموصول وامامن عائده المقدر فيعلق بمحذوف أيضا واختلف في قوله تعالى (والحكمة)
فقال قتادة يعنى السنة وقال مقاتل أحكام القرآن ومواعظه (ان الله) أى الذى له جميع
العظمة (كان) أى ولم يزل (أطيقا) أى يوصل الى المقاصد بطائفة الاضداد
(خبيرا) أى بجميع خلقه بعلم ما يستر ومن وما يعلنون لا تخفى عليه خافية فيعلم من يصلح لبيت
النبي صلى الله عليه وسلم ومن لا وما يصلح الناس دينا ودينا وما لا يصلحهم والطارق الموصلة

لكل ما فضله وقدره وان كانت على غير ما يافيه الناس من انقطع الى الله كفاء الله تعالى
كل مؤنة ورزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكاه الله اليها ولقد صدق الله
تعالى وعده في لطفه وحقيق بره في خبره بان فتح على نبيه صلى الله عليه وسلم خيمه فأفاض بها
من رزقه الواسع ولما توفي نبيه صلى الله عليه وسلم ليحمله من زهرة الحياة الدنيا فتح الفتوحات
الكبار من بلاد فارس والروم ومصر وما بقي من ايمان فتم الفتح جميع الانطار والشرق
والغرب والجنوب والشمال ومكن أصحاب نبيه صلى الله عليه وسلم من كهوز تلك
البلاد وذخائر أولئك الملوك حتى صاروا نصيبا لرضوان الله تعالى عليهم يكملون المال كيلا
وزاد الامر حتى دون عمر رضى الله تعالى عنه الدواوين وفرض للناس عامة أرزاقهم
حتى للرضعاء وكان أولها ليعرض للمولود حتى يقطم فكانوا يستجلبون بالقطام فنادى مناديه
لا تعجلوا أولادكم بالقطام فانما تقرر لكل مولود في الاسلام وفاوت بين الناس في
العطاء بحسب القرب من النبي صلى الله عليه وسلم والبعده منه وبحسب السابقة في الاسلام
والهجرة ونزل الناس منازلهم بحيث أرضى جميع الناس حتى قدم عليه خالد بن عرفة
فسأله عما رواه فقال تركتمهم يسألون الله تعالى أن يزني بذي عرك من أعمارهم قال عمر انما هو
حقهم وأنا أسعى بأدائه اليهم وانى لاعم ينصحتي كل من طوقني الله أمره فان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال من مات عاشا الرعية لم يرج الجنة فكان فرضه لازواج النبي صلى الله عليه
وسلم اثني عشر ألفا لكل واحدة وهي نحو ألف دينار في كل سنة وأعطى عائشة خمسة وعشرين
ألفا لحب رسول الله صلى الله عليه وسلم اياها فأبأت أن تأخذ الا ما تأخذ مصواحياتها وروى
عن برزة بنت رافع قالت لما خرج العطاء أرسل عمر الى زينب بنت جحش بالذي لها فلما أدخل
اليها قالت غفر الله لعمري من اخواني أقوى على قسم هذا مني قالوا هذا كله لك قالت
سبحان الله ثم قالت صبوه واطرحوا عليه ثوبا ثم قالت لي ادخلي يدك واقبضي منه قبضة فاذهبي
به الى بنى فلان وبنى فلان من ذوى رحمتي وأيتامها فقسمة حتى بقيت منه بقية تحت الثوب
قالت برزة بنت رافع غفر الله ليا أم المؤمنين والله لقد كان لنا في هذا المال حق قالت فلكن
ما تحت الثوب قالت فوجدنا تحتها خمس مائة وثمانين درهما ثم رفعت يديها الى السماء وقالت
اللهم لا يدركني عطاء عمر بعد عاى هذا فمات قال البقاعي ذكر ذلك البلاذري في كتاب فتوح
البلاد انتهى وعن مقاتل قال قالت أم سلمة بنت أبي أمية ونسبية بنت كعب الانصارية للنبي صلى
الله عليه وسلم ما بال ربي لا يذكر الرجال ولا يذكر النساء في شيء من كتابه فخشيت أن لا يكون فيهن خير
فأنزل الله تعالى (ان المسلمين والمسلمات) أى الداخلين في الاسلام المتفادين لحسبكم الله
في القول والعمل ولما كان الاسلام مع كونه أكمل الاوصاف وأعلىها يمكن أن يكون
بالظاهر فقط اتبعه المحقق له وهو اسلام الباطن بالتصديق التام بقاياه الاذعان فقال عاطفاه
ولما بعده من الاوصاف التي يمكن اجتماعها بالاول والدلالة على تمكن الجامعين لهذه الاوصاف
في كل وصف منها (والمؤمنين والمؤمنات) أى المصدقين بما يجب أن يصدق به ولما كان

المؤمن المسلم قد لا يكون في أعماله مخلصا قال (والقائتين والقاتلتين) أى المخلصين في إيمانهم
 وإسلامهم المداومين على الطاعة * ولما كان القنوت قد يطلق على الإخلاص المقضي
 للمداومة وقد يطلق على طلق الطاعة قال (والصادقين والصادقات) أى في ذلك كله من
 قول وعمل * ولما كان الصدق وهو إخلاص القول والعمل عن شوب يلحقه أو شئ يندسه قد
 لا يكون دائما قال مشير إلى أن مالا يـ~~كون~~ دائما لا يكون صدقا في الواقع (والصابرين
 والصابرات) أى على الطاعات وعن المعاصي * ولما كان الصبر قد يكون مجببة دل على صرفه
 إلى الله بقوله تعالى (والخاشعين والخاشعات) أى المتواضعين لله تعالى بقلوبهم وجوارحهم
 * ولما كان الخشوع والخضوع والاختبات والسكون لا يصح مع توفير المال فإنه سيكون إليه
 قال معلما أنه إذا ذلك لا يكون على حقيقته (والمصدقين والمتصدقات) بما وجب في أموالهم
 وبما استحب سرا وعلاية تصد بقلوبهم * ولما كان بذل المال قد لا يكون مع الإيثار
 اتبعه ما يعين عليه بقوله تعالى (والصائمين والصائمات) أى فرضا ونفلا للإيثار بالقنوت
 وغير ذلك * ولما كان الصوم بكسر شهوة الفرج وقد يشيرها قال تعالى (والحافظين فروجهم
 والحافظات) أى عما لا يحل لهم وحذف مفعول الحافظات لتقدم ما بدله عليه والتقدير
 والحافظات ما وكذلك والذاكرات وحسن الحذف رؤس القواصل * ولما كان حفظ الفرج
 وسائر الأعمال لا يكاد يوجد إلا بالذكر وهو الذي يكون عنده المراقبة الموصلة إلى المحاضرة
 المحقة للمشاهدة المحبسة للنساء قال تعالى (والذاكرين الله كثيرا والذاكرات)
 أى بقلوبهم وألسنتهم في كل حالة ومن علامات الاكثار من الذكر للهج به عند الاستيقاظ
 من النوم وقال مجاهد لا يكون العبد من الذاكرين الله كثيرا حتى يذكر الله تعالى قائما وقاعدا
 ومضطجعا روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال سبق المفردون قالوا وما المفردون قال
 الذاكرون الله تعالى كثيرا والذاكرات قال عطاء بن أبي رباح من فوض أمره إلى الله عز وجل
 فهو داخل في قوله تعالى أن المسلمين والمسلمات ومن أقر بأن الله تعالى ربه ومحمد صلى الله عليه
 وسلم رسوله ولم يخاف قلبه لسانه فهو داخل في قوله تعالى والمؤمنين والمؤمنات ومن أطاع
 الله تعالى في الفرض والرسول صلى الله عليه وسلم في السنة فهو داخل في قوله تعالى والقائتين
 والقاتلتين ومن صان قوله عن الكذب فهو داخل في قوله تعالى والصادقين والصادقات ومن
 صبر على الطاعات وعن المعصية وعلى الرزية فهو داخل في قوله تعالى والصابرين والصابرات
 ومن صلى ولم يعرف من عن يمينه وعن يساره فهو داخل في قوله تعالى والخاشعين والخاشعات
 ومن تصدق في كل أسبوع ب درهم فهو داخل في قوله تعالى والمتصدقين والمتصدقات ومن
 صام في كل شهر أيام البيض الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر فهو داخل في قوله
 تعالى والصائمين والصائمات ومن حفظ فرجه عن الحرام فهو داخل في قوله تعالى والحافظين
 فروجهم والحافظات ومن صلى الصلوات الخمس بحقوقها فهو داخل في قوله تعالى والذاكرين
 الله كثيرا والذاكرات (آعد الله) أى الذي لا يقدر أحد أن يتدبره حق قدره مع أنه لا يعاظمه

شيء لهم مغفرة) أي لما اقترهوه من الصغائر لأنهم مكفرات بفعل الطاعات والآية عامة وفضل الله تعالى واسع * ولما ذكر تعالى الفضل بالتجاوز أتبعه الفضل بالكرم والرحمة بقوله تعالى (وأجراً عظيماً) أي على طاعتهم والآية وعدلهن ولا مثلهن بالإنابة على الطاعة والتدبر هذه الخصال وروى أن سبب نزول هذه الآية أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم قلن يا رسول الله ذكر الله الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخير فافينا خيرنا ذكر به أن نخاف أن لا تقبل منا طاعة فأُنزل الله تعالى هذه الآية وروى أن أسماء بنت عميس رجعت من الحبشة مع زوجها جعفر بن أبي طالب فدخلت على نساء النبي صلى الله عليه وسلم فقالت هل نزل فينا شيء من القرآن قلن لا فأنت النبي صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله إن النساء لفي خيبة وخسار قال وممذا قالت لأنهن لا يذكرن بخير كما تذكر الرجال فأُنزل الله عز وجل هذه الآية وقيل لما نزل في نساء النبي صلى الله عليه وسلم منازل قال نساء المسلمين فما نزل فينا شيء ففتلت * (تنبيه) * عطف الإناث على الذكور لاختلاف جنسهما والعطف فيه ضروري لاختلافهما إذا عطف الزوجين وهو مجموع المؤمنين والمؤمنات على الزوجين وهو مجموع المسلمين والمسلمات لتغاير وصفيهما وليس العطف فيه بضروري بخلافه في الأول لأن اختلاف الجنس أشد من اختلاف الصفة وفائدة العطف عند تغاير الأوصاف الدلالة على أن أعداد المعتد من المغفرة والأجر العظيم أي تهيتته لهذا كورين للجمع بين هذه الصفات فصار المعنى أن الجامعين والجامعات لهذه الطاعات العشر أعد الله تعالى لهم مغفرة وأجر عظيم وقوله تعالى (وما كان) أي وما صاع (للمؤمن وللا مؤمنة) إذا قضى الله ورسوله أمراً أي إذا قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم وذكر الله تعالى أن عظيم أمره والأشعار بأنه قضاء الله تعالى نزلت في زينب بنت جحش الأسدية وأخيها عبد الله بن جحش وأمه أمة بنت عبد المطلب عممة النبي صلى الله عليه وسلم لما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب على مولاه زيد بن حارثة وكان اشترى زيداً في الجاهلية بعكاظ فأعتقه وتبناه فلما خطب النبي صلى الله عليه وسلم زينب رضيت وظنت أنه يخطبها لنفسه فلما علمت أنه يخطبها لزيد بن حارثة أثبت وقالت أنا إنابة عمك يا رسول الله فلا أرضاه لنفسى وكانت أيضاً جميلة فيها حدة وكذلك كره أخوها ذلك رواه الدارقطني بسند ضعيف وقيل في أم كلثوم بنت عقبة وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم فزوجها من زيد (أن تكون لهم الخيرة من أمرهم) أي أن يختاروا من أمرهم شيئاً بل يجب عليهم أن يجعلوا اختيارهم تبعاً لاختيار الله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * الخيرة مصدر من تخير كالطيرة من تطير على غير قياس وجع الضمير في قوله تعالى لهم وفي قوله تعالى من أمرهم لعموم مؤمن ومؤمنة من حيث إنها في سياق النفي ويجوز أن يكون الضمير في من أمرهم لله تعالى ولرسوله صلى الله عليه وسلم وجع للتعظيم كما جرى عليه البضاوى وقرأ أن يكون الكوفيون وهشام بالياء التخيبة والباقون بالفوقية ولأنه صلى الله عليه وسلم لا ينطق عن الهوى ومن عصاه فقد عصى الله تعالى كما قال تعالى (ومن يعص الله) أي الذي لأمر لا حدمعه (ورسوله) أي الذي معصيته معصية الله تعالى لكونه بينه وبين الخلق في بيان ما أرسل به إليهم

وقوله تعالى (فقد ضل) قرأه قالون وابن كثير وعاصم بالاطهار والباقون بالادغام وزاد ذلك بقوله تعالى (ضلالا مبينا) أى فقد أخطأ خطأ ظاهرا لا خفاء فيه فالواجب على كل أحد أن يكون معه صلى الله عليه وسلم في كل ما يختاره وان كان فيه أعظم المشقات عليه تخلفا بقول الشاعر

وقف الهوى بي حيث أنت فليس لي * متأخر عنه ولا متقدم

وأهتني فأهنت نفسي عامدا * ما من يهون عليك من يكرم

فلما نزلت هذه الآية رضيت زينب بذلك وجعلت أمرها بيد النبي صلى الله عليه وسلم وكذلك أخوها فأنكحها صلى الله عليه وسلم زيدا فدخل بها وساق اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم عشرة دنانير وستين درهما وخيارا ودرعا وازارا وحلقة وخمسين مداما من الطعام وثلاثين صاعا من تمر ومكنت عنده حينئذ أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى زيدا ذات يوم لحاجة فأبصر زينب قائمة في درع وخيار وكانت بيضاء جميلة ذات خلق من أتم نساء قريش فوقعت في نفسه وأعجبه حسنهما فقال سبحانه الله مقلب القلوب وانصرف فلما جاء زيد ذكرت ذلك له فظن زيد فألقى في نفس زيد كراهته في الوقت فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني أريد أن أفارق صاحبتي قال مالك أراك منها شي قال لا والله يا رسول الله ما رأيت منها الا خيرا ولكنها تهاطظ علي لشرفها وتودني باسمها فقال له النبي صلى الله عليه وسلم أمسك عليك زوجك يعني زينب بنت جحش واتق الله في أمرها فأنزل الله تعالى (واذ تقول للذي أنعم الله) أى الملك الذي له كل السلال (عليه) وولوى نبيه عليه الصلاة والسلام اياه وقرأنا نفع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم بالاطهار والباقون بالادغام * ثم بين تعالى منزلته من النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وأنعمت عليه) أى بالعتق والتبني حيث استشارك في فراق زوجته التي أخبرك الله تعالى أنه يفارقها وتبصر زوجتك (أمسك عليك زوجك) أى زينب رضي الله عنها (واتق الله) الذي له جميع العظمة في جميع أمرك (وتحفظ) أى والحال انك تحفظ أى تقول قولاً مخفيا (ما في نفسك) أى ما أخبرك الله من أنها ستصير إحدى زوجاتك عند طلاق زيد (ما الله مبديه) أى ظهره بحمل زيد على نطفة لها وان أمرته بامساكها وتزويجك بها وأمرك بال دخول عليها وهذا دليل على أنه أختي غير ما أعلمه الله تعالى من أنها ستصير زوجته عند طلاق زيد لان الله تعالى ما أبدى غير ذلك ولو أختي غيره لا بد أنه سبحانه لانه لا يدل قوله وقول ابن عباس كان في قلبه جهايم يد وكذا قول قتادة ودلوا أنه لو طلقها زيد وكذا قول غيره ما كان في قلبه لو فارقتها زيد تزوجها * وما ذكر تعالى اخفاء ذلك ذكره بقله تعالى عاظا على تحفي (وتحشى الناس) أى من ان تخبر بها أخبر الله تعالى به فيصوبوا اليك مرجات الظنون لاسباب اليهود والمنافقون وقال ابن عباس والحسن نستعجمهم وقيل تخاف لائمة الاس أن يقولوا أمر رجلا بطلاق امرأته ثم تنكحها (والله) أى والحال ان الذي لا شيء أعظم منه (أحق ان تحشاه) أى وحده ولا تجمع خشية الناس مع خشيته في أن تؤخر شيئا أخبرك به حتى يأتبك فيه أمر قال عمر وابن

مسعود وعائشة ما زلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم آية هي أشد عليه من هذه وروى
عن مسروق قال قالت عائشة لو كنتم النبي صلى الله عليه وسلم شيئا مما أوحى اليه لكنتم هذه الآية
وتحفي في نفسك ما الله مبديه ويؤيد ما أمر ما روى سفيان بن عيينة عن علي بن زيد بن جدعان
قال سألتني علي بن الحسين زين العابدين ما يقول الحسن في قوله تعالى وتحفي في نفسك ما الله
مبديه وتحفي الناس والله أحق أن تخشاه قال قلت يقول لما جاء زيد إلى النبي صلى الله عليه
وسلم قال يا رسول الله اني أريد أن أطلقها فقال له امسك عليك زوجك فقال علي بن الحسين
ليس كذلك لأن الله تعالى قد أعلمه أنها ستكون من أزواجه وإن زيد أسقطها فلما جاء زيد
وقال اني أريد أن أطلقها قال له امسك عليك زوجك فعائنه الله تعالى وقال لم قلت امسك
عليك زوجك وقد علمت أنها ستكون من أزواجك وهذا هو اللائق واللايق بحال الانبياء
عليهم السلام وهو مطابق للتلاوة لأن الله تعالى أعلم أنه يبدى ويظهر ما أخفاه ولم يظهر غير
زواجهما منه فقال تعالى (فلما قضى زيد منها وطرا) أي حاجة من زواجهما والدخول بها
وذلك بانقضاء عدتها منه لأن به يعرف أنه لا حاجة له فيها وأنه قد تقصرت عنها حاجته
والاراجعها (زوجنا كلها) أي ولم نخوجك إلى ولي من الخلق بعقدك عليها تشر يثالك ولها
بما لنا من العظمة التي خرقتهم أعوان الخلق حتى اذعن لذلك كل من علم به وسرت به جميع
النفوس ولم يقدر منافق ولا غيره على الخوض في ذلك بينت شفة بما يوشيه ويؤثر فيه فلو كان
الذي أضمره رسول الله صلى الله عليه وسلم محبة أو أراد طلاقها لكان يظهر ذلك لأنه لا يوزر
أن يخبر أنه يظهر ثم بكته فلا يظهره فدل على أنه انما على اخفاء ما أعلمه الله تعالى
من أنها ستكون زوجة له وانما أخفاه استحياء أن يقول زيدان التي تحفل وفي نكاحك
ستكون امرأتى قال البغوي وهذا هو الاولى واللايق وإن كان الآخر هو انه أخفى
محبتها أو نكاحها لوطا لطلبه لا يتدح في حال الانبياء عليهم السلام لأن العبد غير معلوم على ما يقع
في قلبه من مثل هذه الاشياء ما لم يقصد فيه المأثم لأن الود وميل النفس من طبع البشر وقوله
امسك عليك زوجك وانق الله أمر بالمعروف وهو خشية الاثم فيه وقوله والله أحق أن تخشاه
لم يرده انه لم يكن يخشى الله فيه سابق فانه عليه الصلاة والسلام قال أنا أخشاكم لله وانما تكلم له
ولكن المعنى الله أحق أن تخشاه وحده ولا تخشى أحدا معه فأنت تخشاه وتخشى الناس أيضا
ولكنه لما ذكر الخشية من الناس ذكر أن الله أحق بالخشية في عموم الاحوال وفي جميع الاشياء
انتهى وذكر قضاء الوطر ليعلم أن زوجة المتبني تحمل بعد الدخول بها اذا طلق وانقضت عدتها
روى مسلم في صحيحه عن أنس رضي الله عنه قال لما انقضت عدة زينب قال رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم زيد اذهب فاذا كرهنا على قال فانطلق زيد حتى أتانا وهي تخمر عينيها قال فلما رأيتها
عظمت في صدري حتى ما استطيع أن أنظر اليها لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم ذكرها فويلنا
ظهورى ونكمت على عقي فقلت يا زينب ارسل رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك قالت ما أنا
بصانعة شيئا حتى أتوا مربى فقامت إلى مسجد ها ونزل القرآن وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم

فقال علي بن الحسين
الح غير مستقيم اه

فدخل عليها بغير إذن قال ولقد رأيتنا أن رسول الله صلى الله وسلم أطمعنا الخبز والمهم حتى
امتد التمار فخرج الناس وبقي رجال يتحدثون في البيت بعد الطعام فخرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم واتبعته فجعل يتبع حجر نساؤه يسلم عليهن ويقبلن يارسول الله كيف وجدت أهلك
قال نعم أدري أنا أخبرته أن القوم خرجوا أو أخبرني قال فانطلق حتى دخل البيت فذهبت
أدخل معه فألقى الستر بيني وبينه ونزل الحجاب وعن أنس رضي الله عنه قال ما أولم النبي صلى
الله عليه وسلم على شيء من نساؤه ما أولم على زينب أولم بشاة وفي رواية أصغر وأفضل ما أولم
على زينب قال نابت فخا أولم قال أطمعهم خبزاً ولحماً حتى تركوه قال أنس رضي الله عنه
كانت زينب تنفخ على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم تقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من
فوق سبع سموات وقال الشعبي كانت زينب تقول للنبي صلى الله عليه وسلم اني لا دل عليك
بثلاث ما من نساك امرأة تدل بين جدي وجدك واحد وأنك تحبنيك الله في السماء وان
السفير جبريل عليه السلام وأخرج ابن سعد والحاكم عن محمد بن يحيى بن حبان قال جاء
رسول الله صلى الله عليه وسلم بيت زيد بن حارثة يطلبه وكان زيد يقال له زيد بن محمد فربما
فقدته رسول الله صلى الله عليه وسلم الساعة فيقول أين زيد فجاءه منزله يطلبه فلم يجده وتقوم اليه
زينب بنت جحش زوجته فاضلا فأعرض رسول الله صلى الله عليه وسلم عنها فقالت ليس هو ههنا
يارسول الله فادخل فأبى أن يدخل فأعجبت رسول الله صلى الله عليه وسلم فولى وهو يومهم
بشيء لا يكاد يفهم منه الا ربما أعلن بسبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد الى منزله
فأخبرته امرأته ان رسول الله صلى الله عليه وسلم أتى منزله فقال زيد ألا قلت له ان يدخل قالت
قد عرضت ذلك عليه فأبى قال فسمعت شيئا منه قالت سمعته حين ولي تكلم بكلام لا أفهمه وسمعته
يقول سبحان الله العظيم سبحان مصرف القلوب فجاء زيد حتى أتى رسول الله صلى الله عليه
وسلم فقال يارسول الله بلغني أنك جئت مستزلي فهل ادخلت يارسول الله لعل زينب أعجبتك
فأفارقها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم امسك عليك زوجك فما استطاع زيد اليها
سيلا بعد ذلك اليوم فأتى الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فيخبره فيقول امسك عليك
زوجك ففارقها زيد واعتزلها وانقضت عدتها فينما رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس
يتحدث مع عائشة اذا أخذته غشية فسرى عنه وهو يتبسم ويقول من يذهب الى زينب
يشهرها ان الله زوجنيها من السماء وقرأوا ذقن قول للذي الآية قالت عائشة فأخذني ما قرب
وما بعد لما ليغنا من جمالها وأخرى هي أعظم الامور وأشرفها زوجها الله من السماء وقالت
هي تنفخ علينا بهذا * ولما ذكر تعالى التزويج على ماله من العظمة ذكر علة بقوله تعالى (لكي
لا يكون على المؤمنين حرج) أي ضيق واثم (في أزواج أديعائهم) أي الذين يتنوبهم
وأجر وهم في محرم أزواجهم مجرى أزواج البنين على الحقيقة (اذ اقضوا منهن وطرا)
أي ساجدة بالدخول بين ثم الطلاق وانقضاء العدة * (فائدة) * لاقطوعة في الرسم من لكي
* (تنبيه) * الادعياء جمع دعى وهو المتبني أي زوجناك زينب وهي امرأة زيد الذي تبنته

ليعلم ان زوجة المتبني حلال للمتبني وان كان قد دخل به المتبني بخلاف امرأة ابن الصليب
لا تحل للاب (وكان أمر الله) من الحكم بتزويجها وان كرهت وتركت اظهارها ما أخبرك الله
تعالى به كراهية لسوء المقالة واستحياء من ذلك وكذا كل أمر يريد به سبحانه (مفعولا) أى قضاء
الله تعالى ما ضاير حكمه نافذا فى كل ما أراد له لامعقب لحكمه (ما كان على النبي) أى الذى
منزله من الله تعالى الاطلاع على ما لا يطلع عليه غيره من الخلق (من حرج فيما فرض) أى قدر
(الله) بما له من صفات الكمال وأوجبه (له) لانه لم يكن على المؤمنين مطلقا حرج فى ذلك فكيف
برأس المؤمنين وقوله تعالى (سنة الله) منه وببزغ الخافض أى كسنة الله (فى الذين خلوا من
قبل) من الانبياء عليهم السلام أنه لا حرج عليهم فيما أباح لهم قال الكلبى ومقاتل أرادوا وعليه
السلام حين جمع بينه وبين المرأة التى هو بها فكذلك جمع بين محمد وبين زينب فقبل أراد بالسنة
النكاح فانه من سنة الانبياء عليهم السلام فكان من كان من الانبياء عليهم السلام هذا سنتهم
فقد كان سليمان بن داود وعليه ما السلام ألف امرأة وكان داود مائة امرأة (وكان أمر
الله) أى قضاء الملك الاعظم فى ذلك وغيره (قدرا) وأكده بقوله تعالى (مقدورا) أى لا خلف
فيه ولا بد من وقوعه فى حينه الذى حكم بكونه فيه وقوله تعالى (الذين) نعت للذين قبله
(يبلغون) أى الى أمهم (رسالات الله) أى الملك الاعظم سواء كانت فى نكاح أم غيره (ويحشونه)
أى فيخبرون بكل ما أخبرهم به (ولا يحشون أحدا) قل أو جل (الا الله) فلا يحشون قالة
الناس فيما أحل الله لهم (وكفى بالله) أى المحيط بجميع صفات الكمال (حسيبا) أى حافظا
لاعمال خلقه ومحاسبهم * ولما أفاده هذا كله ان الذى ليس ابنا وكافوا قد قالوا الماتزوج زينب
كما رواه الترمذى عن عائشة تزوج حليمة ابنة قال تعالى (ما كان) أى بوجه من الوجوه
(محمد) أى على كثرة نسائه وأولاده (أبنا أحد من رجالكم) لا بحجاز بالمتبني ولا حقيقة بالولادة
فثبت بذلك انه يحرم عليه زوجة الابن ولم يقل تعالى من بنيكم لانه لم يكن له فى ذلك الوقت
سنة خمس وما داناها ابن ذكر لعلمه تعالى انه سيمولده ابنة ابراهيم عليه السلام مع ما كان
له قبله من البنين الطاهر والطيب والقياس وانه لم يبلغ أحد منهم الحلم عليه السلام قال
البيهضاوى ولو بلغوا الكاflu ارجاله لارجالهم انتهى وهذا انما أتى على ان المراد التبنى وقال
البغوى والصحيح انه أراد بأحد من رجالكم الذين لم يلدهم انتهى ومع هذا الاول أوجه
كما جرى عليه البقاعى * ثم لما أتى تعالى أبونه عنهم قال (ولكن) كان فى علم الله غيبا وشهادة
(رسول الله) أى الملك الاعظم الذى كل من سواه عبده (وخاتم النبيين) أى آخرهم الذى
ختمهم لان رسالته عامة ومعها اعجاز القرآن فلا حاجة مع ذلك الى استنباء ولا ارسال وذلك
مفوض لئلا يبلغ له ولدا ولو بلغ له ولد لاق بعنصه ان يكون نبيا كما له لانه أعلى النبيين
رتبة وأعظمهم شرفا وليس لاحد من الانبياء كرامة الاولة مثلها وأعظم منها ولو صار أحد من
ولده رجلا لكان نبيا به مدظهور نبوته وقد قضى الله تعالى ان لا يكون بعده نبى كما له
روى أحمد وابن ماجه عن أنس وعن ابن عباس رضى الله عنهما ان النبى صلى الله عليه وسلم

قال في ابنه ابراهيم عليه السلام لو عاش لكان صديقاً نبياً وللنجارى نحوه عن البراء بن عازب
 وللنجارى من حديث بن أبي أوفى لو قضى أن يكون بعد محمد صلى الله عليه وسلم نبي لعاش ابنه
 ولكن لا نبي بعده وقال ابن عباس رضي الله عنه لم يحكم الله لاني بعده لم يوطئه ولد اذ كرا
 يصبر رجلاً وقيل من لاني بعده يـكون أشفق على أمته وأهدى لهم اذ هو كالمولود ليس له
 غيره والحاصل أنه لا يأتي بعده نبي مطلقاً بشرع جديد ولا يتجدد بعده مطلقاً استقباه وهذا
 الآية مثبتة لكونه خاتماً على أبلغ وجه وأعظمه وذلك أنه في سياق الإنكار بأن يكون بينه
 وبين أحد من رجالهم نبوة حقيقية أو مجازية ولو كانت بعده لاحد لم يكن ذلك الاولاد ولان
 فائدة اثبات النبي تنهيه عن شيء لم يأت به من قبله وقد حصل به صلى الله عليه وسلم التمام فلم يبق بعد
 ذلك مراد بعثت لانهم مكارم الاخلاق وأما تجديدها وهي مما أحدث بعض الفسقة فالعلماء
 كفون فيه لوجود ما خص به صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن المعجز الذي من سمعه فكأنما
 سمعه من الله عز وجل لوقوع التحقق والقطع بأنه لا يقدر غيره أن يقول شيئاً منه فهو حاصل
 ذهول عن ذلك قرره من يريد الله تعالى من العلماء في عود الاستبصار كما روى في بعض الآثار علماء
 امتي كانبيا بن اسرائيل وأما تبيان عيسى عليه السلام بعد تجديده الهدى لجميع ما وهي
 من أركان المكارم فلاجل قننة الدجال ثم طامة بأجوج وما أجوج ونحو ذلك مما لا يستقل
 بأعبائه غيرني وما أحسن قول حسان بن ثابت في مربة لابراهيم بن النبي صلى الله عليه وسلم
 مضى ابنك محمود العواقب لم يشب * بعيب ولم يذم بقول ولا فعل
 رأى أنه ان عاش ساوياً في العلا * فأترا نبقى وحيداً بالامثل

وقال الغزالي في آخر كتابه الاقتصاد ان الامة فهمت من هذا اللغظ ومن قرائن أحواله صلى
 الله عليه وسلم انه أفهم عدم نبي بعده أبداً وعدم رسول بعده أبداً وان ليس فيه تأويل
 ولا تخصيص وقال ان من أوله بتخصيص النبيين بأولى العزم من الرسل ونحو هذا فكلامه من
 أنواع الهديان لا يمنع الحكم بكفيرة لانه مكذب لهذا النص الذي أجمعت الامة على أنه غير
 مؤول ولا مخصوص انتهى وقد بان بهذا ان اتيان عيسى عليه السلام غير قاذح في هذا النص
 فانه من أمته صلى الله عليه وسلم المقررين لشريعته وهو قد كان نبياً قبله لم يسجد له شيء لم يكن فلم
 يكن ذلك قاذحاً في الختم وهو مثبت لشرف نبينا صلى الله عليه وسلم اذ لولاهما وحده ذلك
 انه لم يكن نبي من الانبياء شرف الاولاد صلى الله عليه وسلم مثله أو أعلى منه وقد كانت الانبياء
 تأتي مقررة لشريعة موسى عليه السلام مجتدة لها فكان المقر لشريعة نبينا صلى الله عليه وسلم
 وسلم المتبع لملكه من كان ناسخاً للشريعة موسى صلى الله عليه وسلم وقرأ عاصم بفتح التاء
 والباقون بكسرهما فالفتح اسم لآلة التي يختم بها كالتابع والقال لما يطبع به ويتلب
 فيه يقلب فيه والكسر على انه اسم فاعل وقال بعضهم هو بمعنى المفتوح يعنى آخرهم
 لانه ختم النبيين فهو خاتمهم (وكان الله) أى الذى له كل صفة كمال الزلا وأبداً (بكل شيء) من

ذلك وغيره (علما) فيعلم من يليق بالحق ومن يليق بالبدع قال الاستاذ ولي الدين الملو
في كتابه حصن النفوس في سؤال القبر واختصاصه صلى الله عليه وسلم بالاحدية والمجدية على
وصفة برهان على ختمه اذ الحمد مقرون بالثناء الامور مشروعة عنده وآخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وروى أبو هريرة رضي الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال
مثلي ومثلي الانبياء كمثل قصر أحكم بنيانه ترك منه موضع لبنه فطاف به النظار يتعجبون
من حسن بنيانه الاموضع تلك اللبنة لا يعيبون بسواها فكنت انا موضع تلك اللبنة ختم بي
البيان وختم بي الرسل وقال عليه الصلاة والسلام ان لي اسماء انا محمد وانا أحمد
وانا الماسي يحمو الله تعالى بي الكفر وانا الحاشي الذي يحشر الله تعالى الناس على
قدمي وانا العاقب والعاقب الذي ليس بعده نبي * ولما كان ما أتبعه لنفسه سبحانه وتعالى
من احاطة العلم مستلزما للاحاطة بأوصاف الكمال قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا
ذلك بالسننهم (اذكروا الله) الذي هو أعظم من كل شيء تصدقوا دعواكم ذلك (ذكر اكثرا)
قال ابن عباس لم يقرض الله تعالى على عباده فريضة الا جعل لها احدا معلوما ثم عذرا أهله
في حال العذر غير الذكر فانه لم يجعل له حدا ينتهي اليه ولم يعذر أهله في تركه الا مغلوا على عقله
وأمرهم به في الاحوال فقال تعالى فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم وقال تعالى اذكروا
الله ذكرا كثيرا أي بالليل والنهار والبر والبحر والصحة والسقم في السر والعلانية وقال مجاهد
الذكر اكثر من أن لا ينساه أبدا فبمع ذلك سائر الاوقات وسائر ما هو أهله من التقدير والتلبلل
والتعجيد (وسجود بكرة وأصيل) أي أول النهار وآخره خصوصاً وتخصيصه ما بالذلل للدلالة
على فضلها على سائر الاوقات لتكون مأمومة ودين كافر اذ التسبيح من جملة الاذكار لانه العمدة
فيها وقال البغوي وسجود أي صلوة البكرة أي صلاة الصبح وأصيل يعني صلاة العصر وقال الكلبي
وأصيل يعني صلاة الظهر والعصر والعشاءين وقال مجاهد معناه قولوا سبحان الله والحمد لله
ولا اله الا الله والله أكبر ولا حول ولا قوة الا بالله فعبر بالتسبيح عن اخوانه وقيل المراد من قوله
تعالى ذكر اكثرا هذه الكلمات يقولها الطاهر والجنب والمحدث * وعن أنس لما نزل قوله تعالى
ان الله وملائكته يصلون على النبي وقال أبو بكر رضي الله عنه يا رسول الله ما أنزل الله تعالى
عليك خيرا الا أمر كان به أنزل الله تعالى (هو الذي يصلي عليكم) أي برحمتكم (وملائكته) أي
بستغفرون لكم فالصلوة من الله تعالى رحمة ومن الملائكة استغفار للمؤمنين فذكر صلواته
تحريرا للمؤمنين على الذكر والتسبيح قال السدي قالت بنو اسرائيل لموسى عليه السلام
أبصلي ربنا فكبر هذا الكلام على موسى فأوحى الله تعالى اليه قل لهم اني أصلي وان صلاتي
رحمتي وقد وسعت رحمتي كل شيء وقيل الصلاة من الله هي اشاعة الذكر الجميل له في عباده وقيل
النساء عليه واستغفار الملائكة ودعائهم لله ومنين ترحم عليهم وهو سبب للرحمة من حيث انهم
مجاوبو الدعوة فقد اشتركت الصلاتان واللفظ المشترك يجوز استعماله في معنيين معا وكذلك
الجمع بين الحقيقة والمجاز في لفظ جائز قال الرازي وينسب هذا القول للشافعي رحمه الله تعالى

وهو غريب بعيد وذلك لان الرحمة والاستغفار مشتركان في العناية بجمال المرحوم والمستغفوله والمراد هو القدر المشترك فتكون الدلالة تضمنية * ولما كان فعل الملائكة منسوبا اليه قال تعالى (ليخرجكم) أى ليدبر اخراجه اياكم بذلك (من الظلمات) أى الكفر والمعصية (الى النور) الى الايمان والطاعة وليخرجكم من الجهل الموجب للضلال الى العلم المنير للهدى (وكان) أى أزلا وأبداً (بالمؤمنين) أى الذين صاروا الايمان وصفاهم (رحيماً) أى بليغ الرحمة بتوفيقهم حيث اعتنى بصلاح أمرهم واستعمل في ذلك ملائكة المقرئين فحملهم ذلك على الاخلاص في الطاعات فرفع لهم الدرجات في روضات الجنات (تحتهم) أى المؤمنين (يوم يلقون) أى يرون الله تعالى (سلام) أى يسلم الله تعالى عليهم ويسلمهم من جميع الآفات وروى عن البراء بن عازب قال نحيتم يوم يلقونه سلام يعنى يلقون ملك الموت فلا يقبض روح مؤمن الا يسلم عليه وعن ابن مسعود قال اذا جاء ملك الموت ليقبض روح المؤمن قال ربك بقرتك السلام وقيل تسلم عليهم الملائكة وتبشرهم حين يخرجون من قبورهم (وأعد) أى والحال انه أعد (لهم) أى بعد السلامة الدائمة (أجراً كريماً) هو الجنة وتقدم ذكر الكرم في الرزق (فان قيل) الاعداد انما يكون من لا يقدر عند الحاجة الى الشيء عليه واما الله تعالى فغير محتاج ولا عاجز فثبت بيلانه بؤيته ما برئى به وزيادة فنامعنى الاعداد من قبل (أجيب) بان الاعداد للأكرام لا للعاجزة قال البيضاوى ولعل اختلاف النظم لمحافظة الفواصل والمبالغة فيما هو أهم (يا أيها النبي) أى الذى نخبره بما لا يطاع عليه غيره (انا أرسلناك) أى بعظمته الى سائر خلقنا (شاهداً) أى عليهم تصديقهم وتكذيبهم ولحجاتهم وضلالهم وشاهد الرسل بالبلغ وهو حال مقدرة أو مقارنة لقرب الزمان (وبشراً) أى لمن آمن بالجنة (ونذيراً) أى لمن كذب بالنار (وداعياً لله) أى الى توحده وطاعته وقوله تعالى (بآذنه) حال أى متلبساً بتسليمه ولا يريد حقيقة الاذن لانه مستفاد من أرسلناك (وسراجاً) أى مثله في الاهداء به بعد البصائر فيجلى ظلمات الجهل بالعلم للعصير لمواقع الزوال كما بعد النور الحسى نور الابصار (منيراً) أى نيراً على من اتبعه فيصير في أعظم ضياء ومن تخلف عنه كان في أشد ظلام وعبر به دون الشمس مع أن الشمس أشد اضاءة من السراج لان نور الشمس لا يؤخذ منه شئ والسراج يؤخذ منه أنوار كثيرة اذا انطفأ الاول يبقى الذى أخذ منه وكذلك ان غاب النبي صلى الله عليه وسلم كان كل صحابي سراجاً يؤخذ منه نور الهداية كما قال صلى الله عليه وسلم أصحابي كالنجوم بأهم أقديمت اهديتهم قال ابن عابد وفي هذا الخبر لطيفة وهي أن النبي صلى الله عليه وسلم لم يجعل أصحابه كالسراج وجعلهم كالنجوم لان النجم لا يؤخذ منه نور بل له في نفسه نور اذا غرب لا يتقوى نور يستفاد منه فكذلك الصحابي اذا مات فالتابع يستنير بنور النبي صلى الله عليه وسلم فلا يؤخذ الا قول النبي صلى الله عليه وسلم وفعله فأقوا المجتهدين كلهم من النبي صلى الله عليه وسلم ولوجعاهم كالسراج والنبي صلى الله عليه وسلم كان سراجاً كان للجهتدان يستنير عن أرا د منهم ويأخذ النور عن اختار وليس كذلك فان نص النبي صلى الله عليه وسلم لا يعمل بقول الصحابي بل يؤخذ

النور من النبي صلى الله عليه وسلم ولا يؤخذ من الصحابي فلم يجعله سراجا * (تنبيه) * جوز
 الفراء أن يكون الاصل وتاليا سراجا ويعنى بالسراج القرآن وعلى هذا فيكون من عطف
 الصفات وهى الذات واحدة لأن التالى هو المرسل وقوله تعالى (وبشر المؤمنين) عطف على
 محذوف مثل فراقب أحوال أمك ولم يقل انذر المعرضين اشارة للكرم وقوله تعالى (بأن لهم
 من الله فضلا كبيرا) كقوله تعالى أعد لهم أجرا عظيما والعظيم والكبير متقاربان * ولما أمره
 سبحانه وتعالى بما يسرهنما عما يضر بهما بقوله تعالى (ولا تطع الكافرين والمنافقين) أى لا تترك
 البلاغ شئ مما أنزلت اليك من الانذار وغيره كراهة لشي من مقامهم واقفالهم فى أمر زينب
 وغيرها فانك نذير لهم وزاد على ما فى أول السورة محط الفائدة فى قوله مصرحاً بما اقتضاه ما قبله
 (ودع) أى اترك على حالة حسنة لك وأمر جيل بك (أذا هم) فلا تحسب له حساباً أصلاً واصبر
 عليه فان الله تعالى دافع عنك لانك داع باذنه (وتوكل على الله) أى الملك الاعلى (وكن بالله)
 أى الذى له الاحاطة الكاملة (وكيلاً) أى حافظاً قال البغوى وهذا منسوخ بآية القتال ولما بدأ
 الله تعالى بتأديب النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر ما يعلق بجانب الله تعالى بقوله تعالى يا أيها
 النبي اتق الله وثنى بما يعلق بجانب من هو تحت يده من أزواجه الشريقات بقوله تعالى بعده
 يا أيها النبي قل لازواجهك وثلى بما يعلق بذكر العامة بقوله تعالى يا أيها النبي انا أرسلناك
 شاهداً وكن تعالى كلما ذكر لنبىه مكرمة وعلمه أدياناً ذكر للمؤمنين ما يناسبه فلذلك بدأ فى ارشاد
 المؤمنين بجانب الله تعالى فقال يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكراً كثيراً ثم نعى بما يعلق
 بجانب من تحت أيديهم بقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا اذا كنتم فى الموصفات) أى عقدتم
 على الموصفات بهذا الوصف الشريف المقتضى لغاية الرغبة فيها وأتم الوصلة بينكم
 وبينهن ثم كمالث فى تأديب النبي صلى الله عليه وسلم بجانب الامه ثلث فى حق المؤمنين بما
 يعلق بهم فقال بعد هذا يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه
 وسلموا تسليماً (فان قيل) اذا كان هذا ارشاداً بما يعلق بجانب من هو من خواص المرأه فلم
 خص المطلقات اللاتي طلقن قبل المسيس بقوله تعالى (ثم طلقتهن من قبل أن تمسوهن)
 أى تجامعهن أطلق المس على الجماع لانه طريق له كماسمى النحر انما لانها سببه (أجيب)
 بأن هذا ارشاد الى اعلى درجات المكرمات ليعلم منها ما دونها ويأمنه ان المرأة اذا طلقت قبل
 المسيس لم يحصل بينها ما تأكد العهد ولهذا قال تعالى فى حق المسوسة وكيف تأخذونه وقد
 أفضى بعضهم الى بعض وأخذن منكم ميثاقاً غليظاً فاذا أمر الله تعالى بالانفصال والاحسان
 مع من لا مودة بينه وبينها فما ظنك بما حصلت المودة بالنسبة اليها بالافضاء وأحصل تأكدها
 بحصول الولد بينهما وهذا كقوله تعالى فلا تقل لهما أف ولولا قال لانصرف بهما ولا تشتمهما
 ظن انه حرام لمعنى يتحسب بالضرب أو الشتم لهما فأما اذا قال لا تقل لهما أف علم منه معان
 كثيرة فكذلك عمنها أمر بالاحسان مع من لا مودة معها فعلم منه الاحسان الى المسوسة ومن لم
 تطلق بعد ومن ولدت عنده منه وقرأ حزة والكسائي بضم التاء وألف بعد الميم والباقون بفتح

التام ولا أتبع الميم • ولما كانت العدة قال الرجال وإن كانت لا تنقط باسقاطهم لما فيها من
 حق الله تعالى قال تعالى (فإنكم عليهن من عدة) أي أياما يبرصن فيها بأنفسهن (تعدنهن) أي
 أي تحصونها وتسوفونهم بالاقرار وغيرها فتعدنهن اضافة لعدة وتعديهن الامن العدد
 وامامن الاعتماد أي تحسبونها أو تسوفون عددها من قولك عد الدراهم فأعدتها أي
 استوفى عددها فحوكلته فأكل ووزته فآثرن (فان قيل) ما الله بئذ في الايمان بتم وحكم من
 طلق على الفور بعد العقد كذلك (أجيب) بأن ذلك اراحة لما ديتوه من ان تراخي الطلاق
 ريثما تمكن الإصابة كما يؤثر في النسب فيؤثر في العدة وظاهره يقتضي عدم وجوب العدة بمجرد
 الخلوة وتخصيص المؤمنات والحكم عام للتنبيه على ان ثبوت المؤمن ان لا ينكح الا مؤمنة بخبر
 لطيفة المؤمن وفي هذه الآية دليل على ان تعليق الطلاق قبل النكاح لا يصح لان الله تعالى
 رتب الطلاق بكلمة ثم وهي للتراخي حتى لو قال لا جنسية اذا نكحت فانت طالق أو كل امرأة
 أتزوجها فهي طالق فكيف لا يقع الطلاق وهو قول علي وابن مسعود وجابر ومعاذ وعائشة
 رضي الله تعالى عنهم وبه قال أهل العلم منهم الشافعي وأحمد رضي الله تعالى عنهم ما وروى
 عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه أن قال يقع الطلاق وهو قول ابراهيم الضبي وأصحاب
 الرأي وقال ربيعة ومالك والشافعي ان عينا امرأة يقع وان عم فلا يقع وروى عكرمة
 عن ابن عباس رضي الله تعالى عنه أنه قال كذبوا على ابن مسعود رضي الله تعالى عنه ان كان قالها فزلة
 من عالم في الرجل يقول ان تزوجت فلا نفق طالق يقول الله تعالى اذا نكحت المؤمنات ثم
 طلققوهن ولم يقبل اذا طلققوهن ثم نكحتموهن وروى عطاء عن جابر لاطلاق قبل النكاح
 وقوله تعالى (فتعوهن) أي أعطوهن ما يستمتعن به مثله كما قال ابن عباس رضي الله تعالى عنه
 اذا لم يكن سعي لها صداقا الا فلها نصف الصداق ولا تمتعهن بها وقال قتادة هذه الآية منسوخة
 بقوله تعالى فأنصف ما فرضتم أي فلا تمتعهن لها مع وجوب نصف الفرض واختلف في المتعة
 هل هي واجبة أو مندوبة وهي عندنا واجبة بشروط وقد تقدم الكلام عليها عند قوله تعالى
 فتعالين أمتعن وعنده بعض الأئمة انها مندوبة وقال بعضهم هي مندوبة عند استحقاتها
 نصف المهر واجبة عند عدمه وذهب بعضهم الى انها تستحق المتعة بكل حال اظها الآية
 (وسر حوثر سراجا جلا) أي خلوا سيماهن بالمعروف من غير ضرار وليس لكم عليهن
 عدة (وقيل) السراج الجليل أن لا يطالب بعادته اليها بأن يخلى لها جميع المهر وقوله تعالى
 (يا أيها النبي إنا أحللنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) أي مهرهن لان المهر أجر على
 البضع بان لا يثار الا فضل لانه لا توقف الحل عليه وليفيد احوال المملوك بكونها ميسية بقوله
 تعالى (وما ملكت يمينك مما أفاء الله) أي الذي له الأمر كله (عليك) مثل صفة بنت حيي
 النصيرية وريحانة القرظية وجويرية بنت الحرث الخزاعية مما كان في ايدي الكفار وتقسيد
 الاقارب بكونهن مهاجرات معه في قوله تعالى (وبنات عمك) أي الشقيق وغيره (وبنات
 عماتك) أي نساء عقرش ولما بدأ بالعمومة لشرفها آتيتها قوله تعالى (وبنات خالك) جابيا

في الافراد والجمع على ذلك النحو (وَبَنَاتُ خَالَكَ) من نساء بني زهرة وقال البقاعي ويمكن في ذلك احتباك عجيب وهو بنات عمك وبنات أعمامك وبنات عماتك وبنات عمتك وبنات خالك وبنات أخوالك وبنات خالاتك وبنات خالاتك انتهى وقوله تعالى (لَا تَأْكُلْ أَمْوَالَكُم مِّنْ أَمْوَالِكُمْ) يحتمل تقييد الحبل بذلك في حقه خاصة وبعضه ما روى الترمذي والحاكم عن أم هانئ بنت أبي طالب أنها قالت في خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم فاعتذرت إليه فعذرني ثم أنزل الله تعالى أنا أحللتنا لك أنزاجك الآية فلم أكن لاحل له لأنني لم أهاجر كنت من الطلقاء أي الاسراء الذين أطلقوا من الاسر وخلي سبيلهم قال ابن عادل ثم نسخ شرط الهجرة في التخصيل انتهى ثم إن الله تعالى ذكر ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وَأَمْرًا) أي حرة (وَمُؤْنَةً) ان وهبت نفسها للنبي ان أراد النبي) أي الذي أعلننا قدره بما خصه مناه به (أَنْ يَسْتَكْفِهَ) أي يوجد نكاحه له بما جعلها من نكح وحاله فتصير له عجز ذلك بلامه واولى ولا شهود وخرج بأؤمنة النكاح فلا تحل له لانها تذكره بحسبه ولانه أشرف من أن يضع ماله في رحم كافرة ولقوله تعالى وأزواجه أمهاتهم ولا يجوز أن تكون المشركة أم المؤمنين ولغيره قالت ربي أن لا تزوج الا من كان معي في الجنة فأعطاني رواه الحاكم وصححه اسناده وأما التسري بالنكاح فلا يحرم عليه قال الماوردي لانه صلى الله عليه وسلم تسرى برجمانه وكانت يهودية من بني قريظة واشتغل به هذا قبلهم السابق بأنه أشرف من أن يضع ماله في رحم كافرة وأجيب بأن القصد بالنكاح أصالة التوافق فاحتيط له وبأنه يلزم فيه أن تكون الزوجة المشركة أم المؤمنين بخلاف الملك فيها وخرج بالحرّة الرقيقة وان كانت مؤمنة لان نكاحها معتبر بخوف الغت وهو معصوم وبفقدها مهر حرة ونكاحه غنى عن المهر ابتداء وانتهاء وبرق الولد ومنصبه صلى الله عليه وسلم منزعه عنه (تنبيه) في نصب امرأه وجهان أحدهما أنه عطف على مفعول أحللتنا أي وأحللتنا للأمراة موصوفة بهذين الشرطين قال أبو البقاء وقد ردّه هذا أقوم وقالوا أحللتنا ماض وان وهبت وهو وصفة المرأة مستقبل فأحللتنا في موضع جوابه وجواب الشرط لا يكون ماضيا في المعنى قال وهذا اليسر يصح لان معنى الاحلال ههنا الاعلام بالحلل اذا وقع الفعل على ذلك كما تقول أجهت لك أنة كلام فلان ان سلم عليك والثاني أنه نصب بقدر تقديره ونحل لك امرأة وفي قول الله تعالى ان وهبت ان أراد اعتراض الشرط على الشرط والثاني هو قيد في الاول ولذلك نعره حالا لان الحال قيد ولهذا اشترط الفقهاء أن يتقدم الثاني على الاول في الوجود فلو قال لزوجه ان اكلت ان ركبت فأنت طالق فلا بد أن يتقدم الركوب على الاكل وهذا التحقيق الحالية والتقييد كما ذكر اذ لو لم يتقدم خلاجه من الاكل غير مقيد بركوب فلماذا اشترط تقدم الثاني ولكن يشترط أن لا يكون ثم قرينة تمنع من تقدم الثاني على الاول كقوله لامرأة ان تزوجتك ان طلقتك فبعدى حر لا يتصور ههنا تقدم الطلاق على التزويج قال بعض المفسرين وقد عرض لي اشكال على ما قاله الفقهاء بهذه الآية وذلك أن الشرط الثاني ههنا لا يمكن تقدمه في الوجود بالنسبة الى الحكم بالنبي صلى الله عليه وسلم لأن لا يمكن عقلا وذلك أن المفسرين

فسروا قوله تعالى ان ارباعا قبل الهبة لان القبول منه صلى الله عليه وسلم يتم بكاحه وهذا لا يتصور تقدمه على الهبة اذ القبول متأخر فان العصمة كانت في تأخر ارادته عن هبتها ولما جاء أبو حيان الى هنا جعل الشرط الثاني مقدما على الاول على القاعدة العامة ولم يستثن كل شيئا مما ذكر قال ذلك البعض وقد عرّضت هذا الاشكال على جماعة من أعيان زماننا فاعترفوا به ولم يظهر عنه جواب الا ما قدمته من أنه ثم قرينة مانعة من ذلك كما مثلته آفاه ولما كان ربما فهم أن غير النبي صلى الله عليه وسلم يشارك في هذا المعنى قال الله منها للخصومة (خاصة لك) وزاد المعنى بيانا بقوله تعالى (من دون المؤمنين) أي من الانبياء وغيرهم * (تنبيهات) * الاول في اعراب خالصة وفيه أوجه أحدها أنه منصوب على الحال من فاعل وهبت أي حالة كونها خالصة لك دون غيرك ثانياً لأنه نف مصدر مقدر رأى هبة خالصة فصبه بهوت ثالثاً أنه حال من امرأة لأنها وصفت فخصصت وهو معنى الاول والهبة ذهب الزاج وقيل غير ذلك والمعنى انا أولئك امرأتهم مؤمنة وهبت نفسها لك بغير صداق * (التنبيه الثاني) * في انعقاد النكاح بلفظ الهبة في حق الامة وفيه خلاف فقال سعيد بن المسيب والزهرى ومجاهد وعطاء لا انعقد الا بلفظ الانكاح أو التزويج وبه قال مالك وربيعة والشافعي ومعه في الآية ان اباحه الوطء بالهبة وحصول التزويج بل نظرهما من خواصه صلى الله عليه وسلم وقال النخعي وأبو حنيفة وأهل الكوفة لا انعقد بلفظ الهبة والتبليك وان معنى الآية ان تلك المرأة صارت خالصة لك فترجى من أتهات المؤمنين لا تحل لغيرك تبدأ بالتزويج (وأجيب) بأن هذا التخصيص بالواهبية لا نافذة فيه فان أزواجه صلى الله عليه وسلم كهن خالصات له وامرأته تلتخصيص فائدة * (التنبيه الثالث) * في التي وهبت نفسها للنبي صلى الله عليه وسلم هل كانت عنده امرأة ممن قال عبد الله بن عباس ومجاهد لم يكن عند النبي صلى الله عليه وسلم امرأة وهبت نفسها منه ولم يكن عنده امرأة الا بعد نكاح أو ملك عين وقوله تعالى وهبت نفسها على طريق الشرط والجزاء وقال غيره ما بد كانت وهوبة وهو ظاهر الآية واختلفوا فيها فقال الشعبي هي زينب بنت خزيمة الهالابية يقال لها أم المساكين وقال قتادة هي ميمونة بنت الحارث وقال علي بن الحسين والفضل ومقاتل هي أم شريك بنت جابر بن أبي أسد وقال عروة بن الزبير هي خولة بنت حكيم من بني سليم * (التنبيه الرابع) * في ذكر شي من خصائصه صلى الله عليه وسلم وقد ذكرت منها أشياء كثيرة ينشرح الصدور بها في شرح التنبيه فلا أطيل بذكرها هنا ولكن أذكر منها طرأ فإسبراً قبر كأكبركة صاحبها عليه أفضل الصلاة والسلام فان ذكرها مستحب قال النووي في روضته ولا يبعد القول بوجودها لئلا يرى الجاهل بعض الخصائص في الخبر الصحيح فيعمل به أخذاً بأصل النامى فوجب بيانها التعرف وهي أربعة أنواع * أحدها الواجبات وهي أشياء كثيرة منها النخعي والوزر والاضحية وفي الحديث ما يدل على أن الواجب أقل النخعي وقبائسه أن الوتر كذلك * ومنها السؤال لكل صلاة والمشاركة لذوى الاحلام في الامر وتخيير نسائه بين مفارقتها طلباً للدنيا واختياره طلباً للآخرة ولا يشترط الجواب له ممن

فورا فلواختارونه واحدة لم يحرم عليه طلاقها أو كرهته توقفت الفرقة على الطلاق وليس
 قولها اخترت لنفسى بطلاق كما مرّت الإشارة اليه وله تزوجها بعد الافراق النوع الثاني الهرمات
 وهي أشياء كثيرة منها الزكاة والصدقة وتعلم الخط والشعر ومدّ العين الى متاع الدنيا وخالقة
 العين وهي الائمة بما يظهر خلافه دون الخديعة في الحرب وامساك من كرهت نكاحه ومنها
 نكاح كاذبة للالتسرى بها كما لا يحرم عليه أكل النوم ونحوه ولا الاكل متكناه النوع
 الثالث الخفقات والمباحات وهي كثيرة جدا منها تزويج من شاء من النساء لمن شاء ولولنفسه
 بغير إذن من المرأة ولوليها متوليا للطرفين وزوجه الله تعالى وأبى له الوصال وصنى المغنم ويحكم
 ويشهد لولده ولولنفسه وأبى له نكاح تسع وقد تزوج صلى الله عليه وسلم بضع عشرة ومات
 عن تسع قال الائمة وكثرة الزوجات في حقه صلى الله عليه وسلم للتوسعة في تليغ الاحكام
 عنه الواقعة سرعا لا يطلع عليه الرجال ونقل بحاسنه الباطنة فانه صلى الله عليه وسلم
 تكمل له الظاهر والباطن وحرم عليه الزيادة عليهن ثم نسخ سبحانه ذلك ان شاء الله تعالى
 وينقذ نكاحه محرما بلفظ الهبة ايجابا لا قبولا بل يجب لفظ النكاح أو التزويج لظاهر قوله
 تعالى ان أراد النسي أن يستنكحها ولا مهر للواحدة له وان دخل بها وتجب اجابته على
 امرأه وزوج فيها ويجب على زوجها طلاقها لينكحها النوع الرابع الفضائل وهي كثيرة
 لا تدخل تحت الحصر منها تحريم منكوحاته على غيره سواء كن موطوات أم لامطلقات
 باختبارهن أم لا وتحريم سراريه وهن اماؤه الموطوات بخلاف غير الموطوات وتقدم ان
 نساء امهات المؤمنين لا المؤمنات بخلافه صلى الله عليه وسلم فانه أبو الرجال والنساء وتقدم
 الكلام على قوله تعالى ما كان محمد أبنا أحد من رجالكم وان نوابهن وعقابهن مضاعف
 ومنها انه يحرم سواهن الامن وراعيه وأفضلهن خديجة ثم عائشة وأفضل نساء العالمين
 مريم بنت عمران اذ قيل بآبوتها ثم فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم خديجة ثم عائشة
 ثم أسية امرأة فرعون وأما خبر الطبراني خبير نساء العالمين مريم بنت عمران ثم خديجة
 بنت خويلد ثم فاطمة بنت محمد صلى الله عليه وسلم ثم أسية امرأة فرعون فأجيب عنه بان
 خديجة انما فضلت فاطمة باعتبار الامومة لا باعتبار السيادة وتقدم أنه صلى الله عليه وسلم
 خاتم النبيين ومنها أنه أول النبيين خلقا وأفضل الخلق على الاطلاق وخص بتقديم نبوته فكان
 نبيا و آدم منجدل في طينته وتقديم أخذ الميثاق عليه وبأنه أول من قال بلى وقت الست بربكم
 ويخلق آدم وجميع المخلوقات من أجله وكأية اسمه الشريف على العرش والسموات والجنات
 وسائر ما في السموات والارض وبقدر الشرف ويجهل خاتم النبوة بظهوره بازاء قلبه وبحراسة
 السماء من استراق السمع والريح بالشهب وباجابه أبويه حتى آمنابه وبأنه أول من نشق عنه
 الارض يوم القيامة وأول من يقرع باب الجنة وأول شافع وأول مشفع وأكرم بالشفاعات
 الحس يوم القيامة وأولها العظمى في الفصل بين أهل الموقف حين يفرعون اليه بعبد الانبياء
 النارية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله وأحبناهم ثم النارية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله وأحبناهم ثم النارية في ادخال خلق الجنة بغير حساب جعلنا الله وأحبناهم

دخول النار فلا يدخلوها * الرابعة في ناس دخلوا النار فيخربون منها * الخامسة في رفع
 درجات ناس في الجنة وكلها ثبتت بالاثبات وخص منها بالعظمى ودخول خلق من أمته الجنة بغير
 حساب وهي الثانية قال النووي في روضته ويجوز أن يكون خص بالثالثة والخامسة أيضا
 ونصير بالرب مبررة شهر وجعل له الأرض مسجدا وتراهم اظهروا وأحل له العناثم أرسل
 الى المكافاة برسالة غيره خاصة وأما عموم رسالة نوح عليه السلام بعد الطوفان لا يختص
 الباقيين فممن كان معه في السفينة وهو أكثر الانبياء أتباعا وأمه خير الامم وأفضلها أصحابه
 وأفضلهم الخلفاء الاربعة على ترتيبهم في الخلافة ثم باقي العشرة وهي معصومة لا تجتمع على
 ضلالة وصفوفهم كصفوف الملائكة ولها افضال كثيرة على سائر الامم * منها أنهم أول من يدخل
 الجنة بعد الانبياء عليهم السلام * ومنها وضع الاصر واولية القدر والجمعة ورمضان على أحد
 قولين ونظر الله تعالى اليهم ومغفرته لهم أول ليلة منه وطيب خلوف فم صائمه عنده تعالى
 واستغفار الملائكة عليهم السلام في ليلة ونهاره وأمر الله تعالى الجنة أن تترين لهم ورد صدقاتهم
 الى فقرائهم والغرة والتعجيل من أثر الوضوء وسلسلة الاسناد والحفظ عن ظهر قلب وأخذ العلم
 عن الاحداث والمشايخ وكتابه صلى الله عليه وسلم مهيض محفوظ من التغيير والتبديل وقيم بعده
 حجة على الناس ومجيزات سائر الانبياء انقضت وشريعته موقدة ناهضة لغيرها من الشرائع
 ونطقه قاعدا كقائم ويجرم رفع الصوت فوق صوته قال القرطبي وذكره بعضهم رفعه عند قبره
 صلى الله عليه وسلم ولا تبطل صلاة من خاطبه بالسلام وتجب اجابته في الصلاة ولو بال فعل ولا تبطل
 ويجرم نداؤه من وراء الحجاب ويجرم نداؤه باسمه كما محمد صلى الله عليه وسلم لا بكنيته كما أبا القاسم
 ويجرم التكني بكنيته مطلقا وقيل مختص بزمه وقيل على من اسمه محمد وكان يتبرك ويستشف
 بيوله ودمه وفضلانه المنازل من الدبر لا ترى بخلافها من القبيل والذي صوبه بعض المتأخرين
 طهارتهم وهو الصواب وأولادنا به ينسبون اليه وأعطى جوامع الكلم وكان يؤخذ عن الدنيا
 عند تلقى الوحي ولا يقطع عنه التكليف ورويته في النوم حق ولا يعمل بها فيما يتعلق بالاحكام
 لعدم ضبط النائم والكذب عمد اعليه كبيرة ولا يجوز الجنون على الانبياء ولا الاحتلام ولا تأكل
 الأرض لحومهم وفي هذا القدر كفاية ومن أراد الزيادة على ذلك فعليه بكتب الخصائص فان
 العلماء قد صنفوا في ذلك تصانيف وأنا سأل الله تعالى من فضله وكرمه أن يشفعه فينا ويدخلنا معه
 الجنة و يفعل ذلك بأهلينا ومشايخنا واخواننا ومحبينا ولا يجوز منا زيارته ولا رويته قبل الممات
 * ولما كان التخصيص لا يصح ولا يتصور الا من محيط العلم بأن هذا الامر ما كان لغیر المخصوص
 تام القدرة لمنع غيره من ذلك قال تعالى (قد) أي أخبرناك بأن هذا امر يخصك غيرهم لا ناقد
 (علما فرضنا) أي قدرنا بعظمتنا (عليهم) أي على المؤمنين (في أزواجهم) أي من شرائط
 العقد وأنهم لا تصل لهم امرأ بلفظ الهبة منها ولا بدون مهر ولا بدون ولي وشهود وهذا عام
 لجميع المؤمنين المتقدمين والمتأخرين (و) في (مما كنت أيعاينهم) من الامام بشراء وغيره بأن
 تكون الامة ممن تحمل لما لكها كلكاية بخلاف المجوسية والوثنية وان تستبرأ قبل الوطء وقيل

المراد أن أحدا غيرك لا يملك رغبة بهميتها لنفسها منه فيكون أحق من سيدها * ولما فرغ من تعليل
الدونية علل التخصيص لغاؤه ونشر امتثاله بقوله تعالى (لكي لا يكون عليك حرج) أي ضيق
في شيء من أمر النساء حيث أحل لك أنواع المنكوحات وزدناك الواهبة فلكي لا تلامع
بخالصة وما بينهما ما عترض ومن دون متعلق بخالصة كما تقول خاص من كذا (وكان الله)
أي المتصف بصفات الكمال أزلا وأبدا (غفور رحيم) أي يبلغ السر إلى عباده * ولما ذكر
تعالى ما فرض في الأزواج والاماء الشامل لأعدل في عشرتهن وكان صلى الله عليه وسلم أعدل
الناس فيهما وأشد هم لله خشية وكان يعدل بينهن ويعتذر مع ذلك عن ميل القلب الذي هو
خارج عن طوق البشر بقوله اللهم هذا قسمي فيما أملك فلا تني فيما لا أملك خفف عنه سبحانه
وتعالى بقوله (ترجي) أي تؤخر وتترك مصاحبته (من تشاء منهن وتؤوي) أي تنضم (إليك
من تشاء) ونصاحته ما قرأ نافع وحفص وحزرة والكسائي ياء ساكنة بعد الجيم من الأرجاء أي
تؤخرها مع أفعال تكون بها راجية لعطفك والباقيون بهم مضمومة وهو مطلق التاخير
(ومن اجتمع) أي طلبت (عن عزت) أي من القسمة (فلا جناح عليك) أي في وطنها وضماها
إليك * (تنبيه) * اختلف المفسرون في معنى هذه الآية فاشهر الأقوال أنهم في القسم بينهن
وذلك أن التسوية بينهن في القسم كانت واجبة عليه فلما نزلت هذه الآية سقط عنه وصار
الاختيار إليه فيهن وقال ابن زيد نزلت هذه الآية حين غار بعض أمهات المؤمنين على النبي
صلى الله عليه وسلم وطلب بعضهن زيادة في النفقة فبهجن النبي صلى الله عليه وسلم شهرا
حتى نزلت آية التخيير فأمره الله عز وجل أن يخبرهن بين الدنيا والآخرة وأن يخفى بيل من
اختارت الدنيا ويمسك من اختارت الله ورسوله على أمن أمهات المؤمنين وأن لا ينكهن أبدا
وعلى أن يؤوي إليه من يشاء ويرجي من يشاء فبرضين قسم لهن أولم يقسم قسم لبعضهن دون
بعض أو فصل بعضهن في النفقة والقسمة فيكون الأمر وذلك إليه بذل كيف يشاء وكان لك
من خصائصه فرضه بذلك واختاره على هذا الشرط وذلك لأن النبي صلى الله عليه وسلم بالقسمة
إلى أئمة نسبة السيد المطاع والرجل وإن لم يكن نبيا فالزوجة في ملك نكاحه والنكاح عليها
رق فكيف زوجات النبي صلى الله عليه وسلم بالنسبة إليه فاذا هن كالمملوكات له ولا يجب لقسم
بين المملوكات واختلفوا هل أخرج أحدا منهن عن القسم فقال بعضهم لم يخرج أحدا منهن
عن القسم بل كان رسول الله صلى الله عليه وسلم مع ما جعل الله له من ذلك يسوي بينهن في القسم
الأسود فأنها رضيت بترك حقها من القسم وجعلت يومها عائشة وقيل أخرج بعضهن
روى جرير عن منصور عن أبي رزين قال لما نزلت آية التخيير أشدقن أن يطلقن فقال يا رسول
الله اجعل لنا من مالك ونفسك ما شئت ودعنا على حالنا فنزلت هذه الآية فأرجأ رسول الله صلى
الله عليه وسلم بعضهن وآوى إليه بعضهن فكان من آوى عائشة وحفصة وزينب وأم سلمة
وكان يقسم بينهن سواهم أرجأ منهن خنساء أم حبيبة وميمونة وسودة وصفية وجويرية فكان
لا يقسم لهن ما شاء وقال مجاهد ترجى من تشاء منهن أي تعزل من تشاء منهن بغير طلاق وترد

اليك من نساء بعد العزل بلا تجديد عقد و ل ابن عباس تطلق من نساء منهن وتعتك من نساء
 وقال الحسن تترك نكاح من شئت من نساء أمتك قال وكان النبي صلى الله عليه وسلم اذا خطب
 امرأة لم يكن له غيره خطبتهما حتى يتركها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل تقبل من نساء من
 المؤمنات اللاتي يهن أنفسهن لك فتزويا اليك وتترك من نساء فلا تقبلها وروى هشام عن
 أبيه قال كانت خولة بنت حكيم من اللاتي وهبن أنفسهن للنبي صلى الله عليه وسلم فقالت عائشة
 أما تستحي المرأة أن تهب نفسها للرجل فلما نزلت ترجى من نساء منهن قلت يا رسول الله ما أرى
 ربك الا يسارع في هؤلاء (ذلك) أي التزويض الى مسيئتك (أدنى) أي أقرب (أن) أي
 الى أن (تقرأ آيتين) أي بما حصل له من عشرتك الكريمة وهو كناية عن السرور والطمأنينة
 يلوغ المراد لان من كان كذلك كانت عينه قارة ومن كان مهموما كانت عينه كثيرة التقلب
 هذا اذا كان من القراء بعنى السكون ويجوز أن يكون من القراء الذى هو ضد الحر لان
 المسرور تكون عينه باردة والمهموم تكون عينه حارة فذلك يقال للصدق أقز الله تعالى عينك
 وللعقد نفس الله عينك (ولا يحزن) أي بالندراق وغيره مما يحزن من ذلك (ويرضى) لعلهم ان
 ذلك من الله تعالى (بما آتين) أي من الاجور ونحوها من نفقة وقسم وايشار وغيره
 أ كذلك بقوله تعالى (كلهم) أي ليس منهن واحدة لاهى كذلك لان حكم كلهم فيه سواء
 ان سويت بينهن وجدن ذلك تنضلامك وان رجحت بعضهن على أنه يحكم الله تعالى فتنظم
 نفوسهن وزا ذلك تأكيدها لذلك من الغرابة بقوله تعالى (والله) أي بما له من الاحاطة
 بصفت الكمال (يعلم ما فى قلوبكم) أي الخلاقين كلهم فلا بدع أن يعلم ما فى قلوب هؤلاء
 (وكان الله) أي أزل وأبدا (علما) أي بكل شئ من بطيعة ومن رضى صبه (حليما) لا يعاجل من
 عساه بل يديم احسانه اليه فى الدنيا فيجب أن يتقى لعله وحلمه فعلمه موجب للخوف منه وحلمه
 مقتضى للاستحياء منه وأخذ الحليم شديد في لعبد المحب له ان يحلم عن يعلم تقصيره فى حقه
 فانه سبحانه بأجره على ذلك بأن يحلم عنه فيما علمه منه ويرفع قدره ويعلى ذكره وروى
 البخارى فى التفسير عن معاذ بن عتبة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يستأذن فى يوم
 المرأة من بعده أن تنزل هذه الآية ترجى من نساء الآية قالت لهما ما كنت تقولين قالت كنت
 أقول له ان كان ذلك الى فاقى لا أريد يا رسول الله أن أوتر عليك أحدا * ولما أمره الله تعالى
 بالتخيم وخبرهن واخترن الله ورسوله زاد الله تعالى سرورهن بقوله تعالى (لا تحل لك النساء
 من بعد) أي بعد من معك من هؤلاء التسع اللاتي اخترنك لشكرامن الله لهن لكونهن لما
 نزلت آية التخيير اخترن الله ورسوله فخرم عليه النساء سواهن ونهاهن عن تطليقهن وعن
 الاستبدال بهن بقوله تعالى (ولأن تبدل بهن) أي هؤلاء التسع وأعرق فى التقي بقوله تعالى
 (من) أي شيأ من (أزواج) أي بأن تطلقهن أي هؤلاء المعينات أو بعضهن وتأخذ بهن لهما من
 غيرهن (ولو أعجب حسنهن) أي النساء المغارات ان معك قال ابن عباس يعنى أسماء بنت
 عبيس الخنسية امرأت جعفر بن أبي طالب فلما استشهد أراد رسول الله صلى الله عليه وسلم أن

يخطبهم فنهى عن ذلك وقرأ أبو عمرو لا تحل لك بالنساء الموقية والساقون بالبلاء النخبة وشدة
 البرى التام من أن تبدل * (تنبيه) * في الآية دليل على إباحة النظر إلى من يرتد نكاحها لكن
 من غير العورة في الصلاة فينظر الرجل من الحرة الوجه والكفين ومن الأمة ما عدا ما بين السرة
 والركبة واحتج لذلك بقوله صلى الله عليه وسلم للمغيرة وقد خطب امرأته انظر إلي ما فاتته أخرى
 أن يؤدب بينكما أي تدوم المودة واللفة رواء الحماكم وصححه وقوله تعالى (الامم ملكيت بينك)
 استغناء من النساء لانه يتناول الأزواج والاماء أي فحل لك وقد ملك بعدهن مارية وولدت
 له ابراهيم ومات واختلنوا هل أبيع له النساء من بعد قالت عائشة ما مات رسول الله صلى الله
 عليه وسلم حتى أحل الله النساء أي ففسخ ذلك وأبيع له أن يسلخ أكثر منهن بآية أنا أحللنا لك
 أزواجك (فان قيل) هذه الآية متقدمة وشرط الفاسخ أن يكون متأخرا (اجيب) بأنهم مؤخرون
 في النزول متقدمة في التلاوة وهذا أصح الأقوال وقال أنس مات على التحريم وقال عكرمة
 والضحاك معنى الآية لا تحل لك النساء بعد التي أحللنا لك بالصفة التي تقدم ذكرها وقيل لابي
 ابن كعب لو مات نساء النبي صلى الله عليه وسلم كان يحل له أن يتزوج فقال وما يمنع من ذلك قيل
 قوله تعالى لا تحل لك النساء من بعد قال إنما أحل الله تعالى له من النساء فقال يا أيها
 النبي أنا أحللنا لك أزواجك ثم قال لا تحل لك النساء من بعد قال أبو صالح أمر أن لا يتزوج
 أعرابية ولا غريبة ويتزوج من نساء قومه من بنات العم والعمة والخال والخالة إن شاء ثمانية
 وقال مجاهد معناه لا تحل لك اليهوديات ولا النصرانيات بعد المسلمات ولا أن تبدل بهن يقول
 ولأن تبدل بالمسلمات غيرهن من اليهود والنصارى وقال ابن زيد في قوله تعالى ولأن تبدل
 بهن من أزواج كانت العرب في الجاهلية يتبادلون بأزواجهم يقول الرجل للرجل بادلني
 بأمرئك وأبادلك بأمرأتي تنزلني عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتي فأنزل الله تعالى ولأن
 تبدل بهن من أزواج يعني تبادل بأزواجك غيرك بأن تعطيه زوجتك وتأخذ زوجته الامام مكت
 عبيد فلا بأس أن تبادل بجاريته من شئت فأما الحر امرؤ فلا روى عطاء بن يسار عن أبي هريرة
 قال دخل عبيدة بن حصن على النبي صلى الله عليه وسلم فغيرا دن ومعه عائشة فقال له النبي
 صلى الله عليه وسلم يا عبيدة أين الاستئذان قال يا رسول الله ما الاستئذان قلت على رجل من مضر
 مدأدركت ثم قال من هذه الجيرة إلى جنبك فقال هذه عائشة أم المؤمنين فقال عبيدة أفلا
 أنزل لك عن أحسن الخلق فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله قد حرم ذلك فلما خرج
 قالت عائشة من هذا يا رسول الله قال هذا أحق مطاع وإنه على ما ترين لسيد قومه * ولما
 أمر تعالى في هذه الآيات بأشياء ونهى عن أشياء وحدد حدودا حذر من التهاون بشئ منها
 ولو بنوع ثان أو بل بقوله تعالى (وكان الله) أي الذي لا شئ أعظم منه وهو المحيط بجميع صفات
 الكمال (على كل شئ رقيباً) أي حافظاً عالماً بكل شئ قادر عليه فحفظوا أمرهم ولا تخطوا ما حذر
 إياكم وهذا من أشد الانبياء وعياداً ولما ذكر حالة النبي صلى الله عليه وسلم مع أمته في قوله
 تعالى يا أيها النبي أنا أرسلناك شاهداً ذكر حالهم معه من الاحترام له صلى الله عليه وسلم وقوله

تعالى (يا أيها الذين آمنوا) أي ادعوا الايمان صدقوا دعواكم فيه بأن (لا تدخلوا بيوت النبي)
أي الذي تأتته الانبياء من علام القيوب مما فيه رفعته في حال من الاحوال أصلا (الا في حال
(ان يؤذن لكم) أي من له الاذن في بيوتهم صلى الله عليه وسلم منه أو ممن يأذن له في الدخول
بالدعاء (الى طعام) أي أكله حال كونكم (غير ناظرين) أي منتظرين (انه) أي نصحه وهو
مصدر أنى يأتي وقرأ هشام وجزة والكسائي بالامالة وورث بالفتح وبين اللفظين والباقون
بالفتح * ولما كان هذا الدخول بالاذن مطلقا وكان يراد تقييده قال تعالى (ولكن اذا دعيتم)
أي عن له الدعوة (فادخلوا) أي لاجل مادعاكم له ثم تسبب عنه قوله تعالى (فاذا طعمتم)
أي أكلتم طعماماً وشربتم شراباً (فانشروا) أي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تكتبوا بعد
الاكل والشرب لاسترجع لقرار الطعام (ولا متأنسين لحديث) أي طالبيين الانس لاجله
* (فائدة) قال الحسن حسبك بالثقلاء أن الله لم يجوز في أمورهم وعن عائشة رضي الله تعالى
عنها أنها قالت حسبك بالثقلاء أن الله تعالى لم يحتملهم ثم علل ذلك بقوله تعالى مصوبا الخطاب
الى جميعهم معظماله بأداة البعد (ان ذلكم) أي الامر الشديد وهو المكث بعد الفراغ
(كان يؤذي النبي) أي الذي هيأناه لسمع ما ننبه به مما يكون سبب شرفكم وعلوكم في الدارين
فاخذروا أن تشغلوا عن شيء منه ثم تسبب عن ذلك المانع له من مواجهتهم له بما يزيد اذاه
بقوله تعالى (فيستحي منكم) أي بأن يأمركم بالانصراف (والله) أي الذي له جميع الامر
(لا يستحي من الحق) أي لا يفعل فعل المستحي فيؤديه ذلك الى ترك الامر به * (نبية) *
قال أكثر المفسرين نزلت هذه الآية في شأن ولية زينب حين نبيها رسول الله صلى الله عليه
وسلم لما روى ابن شهاب قال أخبرني أنس بن مالك أنه كان ابن عشرين سنة حين قدم رسول الله
صلى الله عليه وسلم المدينة قال فكانت أمهاتى توطئني على خدمة النبي صلى الله عليه وسلم
تخدمته عشرين سنة ووفى وأنا ابن عشرين سنة فكنت أعلم الناس بشأن الحجاب حين أنزل
وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش أصحب النبي صلى
الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم وأصابوا من الطعام ثم خرجوا وبقي رهط منهم عند النبي
صلى الله عليه وسلم فأطالوا المكث فقام النبي صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه الى
يخرجوا فشي النبي صلى الله عليه وسلم ومثبت حتى جاء عتبة حجرة عائشة رضي الله تعالى عنها
ثم طن أنهم قد خرجوا فارجع ورجعت معه حتى اذا دخل على زينب فاذا هم جلوس لم يخرجوا
فارجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت معه حتى اذا بلغ حجرة عائشة فظن أنهم قد خرجوا فارجع
ورجعت معه فاذا هم قد خرجوا فاضرب النبي صلى الله عليه وسلم بين يديه وبينه وبينهم
آية الحجاب وقال أبو عثمان واسمه الجعد عن أنس قال فدخل يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم
البيت وأرخى السترواني لي الحجرة وهو يقول يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن
يؤذن لكم الى قوله تعالى والله لا يستحي من الحق وروى عن ابن عباس أنها نزلت في ناس
من المسلمين كانوا يصنعون طعام رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدخلون عليه قبل الطعام الى

أن يدرك ثم يأكلون ولا يخرجون وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأذى بهم فنزلت الآية
 يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الآية وروى أبو يعلى الموصلي عن أنس قال
 بعثني أم سليم برطب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوضعت بين يديه فأصاب منه ثم أخذ
 بيدي فخرجنا وكان حديث عهد بعرس زينب بنت جحش قال فزينا من نسائه وعندهن رجال
 يتحدثون فنهينه وهناه الناس فقالوا الحمد لله فزينا رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أتى عائشة
 فإذا عندها رجال قال فذكره ذلك وكان إذا ذكره النبي عرف في وجهه قال فأتيت
 أم سليم فأخبرتها فقال أبو ظهة لئن كان كما قال ابنك ليحدثن أمر قال فلما كان من العشي خرج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم فصعد المنبر ثم تلا هذه الآية يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا
 الآية وروى البخاري وغيره عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عروسا بين نساء فأتت إلى
 أم سليم لوأهدت للنبي صلى الله عليه وسلم هدية فقالت لها افعلي فعمدت إلى تمر وأقط وسمن
 فأتته فحسبه في برمة وأرسلت بهما معي إليه فقال لي ضعها ثم أمرني فقال ادع لي رجلا
 سماهم وادع لي من أقيمت ففعلت الذي أمرني فوجعت فإذا البيت غاص بأهله وفي رواية
 الترمذي أن الراوي قال قلت لأنس كم كانوا قال زهاء ثلثمائة فرأيت النبي صلى الله
 عليه وسلم وضع يده على تلك الحية وتكلم بما شاء الله تعالى ثم يدع عشرة عشرية يأكلون منه
 ويقول لهم اذكروا اسم الله تعالى ولما كل كل رجلا مما يليه حتى تصدعوا كاهم عنها قال
 الترمذي فقال لي يا أنس ارفع فرفعت فأت دري حين وضعت كانت أكثرا حين رفعت فخرج
 معي من خرج وبقي قوم يهدون فنزلت * ولما كان البيت يطلق على المرأة المأزومة له عادة أعاد
 الضمير إليه مراد به النساء استخدا ما فقال تعالى (وإذا سألهن) أي الأزواج (مما عا)
 أي شيئا من آيات البيت (فأسألهن) أي ذلك المانع كائين ركبات (من وراء حجاب)
 أي ستير بستر كمنهن وبسترهن عنكم وقرأ ابن كثير واليكسائي بفتح السين ولا همز بعدهما
 والباقيون يسكون السين وهمزة مفتوحة بعدهما (ذلكم) أي الأمر العالي الرتبة (أطهر
 لقلوبكم وقلوبهم) أي من وسواس الشيطان والريب لأن العين وزيرة القلب فإذا لم تر
 العين لم يشته القلب فإذا رأت العين فقد يشتهى القلب وقد لا يشتهى فالقلب عند عدم الرؤية
 أطهر وعدم الفسة حينئذ أظهر روى ابن شهاب عن عروة عن عائشة أن أزواج النبي صلى
 الله عليه وسلم كن يخرجن بالليل إذا تبرزن إلى المناجع وهو صعيد أفيج فكان عمر رضي
 الله تعالى عنه يقول للنبي صلى الله عليه وسلم احجب نساءك فلم يكن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم يفعل فخرجت سودة بنت زمعة زوج النبي صلى الله عليه وسلم إليه من اللبا إلى عشاء وكانت
 امرأة طويلة فناداها عمر ألا قد عرفناك يا سودة حرصا على أن ينزل الحجاب فأمر الله عز وجل
 الحجاب وعن أنس قال قال عمر وافقت ربي في ثلاثة قلت يا رسول الله لو اتخذت من مقام إبراهيم
 مصلى فأمر الله تعالى واتخذوا من مقام إبراهيم مصلى وقلت يا رسول الله يدخل عليك البر
 والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فأمر الله تعالى آية الحجاب قال وبلغني ما آذنين

رسول الله صلى الله عليه وسلم نسأوه قال فدخلت عليهن فجعلت اسئلهن واحدة واحدة
 فقلت والله لئن تنهن أو يبدله الله تعالى أزواجا خير منكن حتى أتيت علي زينب فقالت يا عمر
 اما كان في رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يعطى نساءه حتى تعظهن أنت قال فخرجت فأمر الله
 تعالى عسى ربه ان طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن الآية * ولما بين تعالى للمؤمنين
 الادب أ كده بتايحملهم على ملاطفة نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (وما كان) أى وما يصح
 وما يستقام (لكم) فى حال من الاحوال (ان تؤذوا رسول الله) فله اليكم من الاحسان
 ما يستوجب به منكم غاية الاحرام والاجلال فضلا عن الكف عن الاذى فلا تؤذوه بالدخول
 الى شئ من بيوته بغير اذنه أو المصكت بعد فراغ الحاجة ولا بغير ذلك * ولما كان قد قصر
 صلى الله عليه وسلم عليهن أحله غيرهن وقصرهن الله عليه بقوله تعالى (ولان تفكحوا)
 أى فيما يستقبل من الزمان (أزواجه من بعده) أى فراقه بموت أو طلاق سواء أدل بها
 أم لا (أبدا) زياد للشرفه واظهارا لمزيتيه ولانهن أتهات المؤمنين ولانهن أزواجه الجنة
 ولان المرأة فى الجنة مع آخر أزواجه كما قاله ابن القشيري روى أن هذ الآية نزلت فى رجل
 من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم قال انى قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم لانكح
 عائشة قال مقاتل بن سليمان هو طلحة بن عبيد الله فأخبر الله تعالى ان ذلك محترم وقال (ان
 ذلكم) أى الايذاء بالنكاح وغيره (كان عند الله) أى القادر على كل شئ (عظيما) أى
 ذنبا عظيما (فان قيل) روى دهم عن الزهري أن العالمة بنت ظبيان التى طلقها النبي صلى
 الله عليه وسلم تزوجت رجلا وولدت له (أجيب) بأن ذلك كان قبل تحريم أزواج النبي صلى الله
 عليه وسلم على الناس وقبل لا تحرم غير الموطوءة لما روى ان أشعث بن قيس تزوج المستعينة فى
 أيام عمر فهم برجهما فأخبر بأنه صلى الله عليه وسلم فارقه قبل أن يسمها فترك من غير تكبير فأما
 ما روه صلى الله عليه وسلم فيحرم نهن الموطوءات على غيره اكرامه بخلاف غير الموطوءات وقيل
 لا تحرم الموطوءات أيضا ونزل فيمن أضر نكاحه نشة بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 تبدوا) أى بالنسكهم وغيرها (ثينا) أى من اللثا وغيره (أو تحنوه) فى صدوركم (فان
 الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (كان) أى أزلا وأبدا به هكذا كان الامر ولا يكتنه
 أى بما يعمله وغيره فقال (بكل شئ) أى من ذلك وغيره (عليما) فهو يعلم ما أسررت وما أعلنت
 وان بالغتم فى كنهه فيجازى عليه من ثواب وعقاب وفى هذا التعميم مع البرهان على المقصود
 مزيد تهويل ومبالغة فى الوعيد * ولم نزل آية الحجاب قال الآباء والانباء والاقراب ونحن
 أبنا نسكلمهن من وراء حجاب فنزل قوله تعالى (لا جناح) أى لا اثم (عليهن فى آبائهن)
 دخولا ودخولة من غير حجاب سواء كان الاب من النسب أو من الرضاع (ولا آبائهن) أى
 من البطل أو الرضاة (ولا أخوانهن) لان عارهن عارهم فلا فرق أن يكونوا من النسب
 أو الرضاع (ولا آبائهن) فانه بمنزلة آبائهم (ولا أخواتهن) فانه بمنزلة
 أمهاتهم وقرأنا فى ابن كثير وأبو عمر وبإدال المهمة الثانية بما خلاصة فى الوصل وحققها

الباقون وفي الاستدلال الثانية الجميع بالتحقيق (ولانسائهم) أى المسلمات القري منهم
 والبعدي بمنزلة واحدة وأما الكافرات فهن بمنزلة الاجانب من الرجال لكن ربح النوروى انه
 يجوز أن تنظر منها ما يبدو وعند المهنة (ولاماملكت أيمانهم) من العبيد لانهم لما ألحق عليهم
 من السلطان يعدم منهم الرية هيبه ألحق مع مشقة الاحتجاب عنهم * (تنبيه) * قدم تعالى الآباء
 لأن اطلاعهم على بنائهم أكثر وكيف وهم قد رأوا جميع بدن البنات في حال صغرهن ثم البنات
 ثم الاخوة وذلك ظاهر وانما الكلام في بنى الاخوة حيث قدمهم الله تعالى على بنى الاخوات
 لأن بنى الاخوات آباؤهم ليسوا بمعزوم خالات أبنائهم وبنى الاخوة آباؤهم محسوم ففى بنى
 الاخوات مفسدة ما وهى ان الابن ربما يحكى خالته عند أبيه وهو ليس بمعزوم ولا كذلك فى بنى
 الاخوة (فان قيل) لم يذكر الله تعالى من المحسوم الاعمام والاخوال فلم يقل ولا أعمامهن
 ولا أخوالهن (أجيب) عن ذلك بوجهين أحدهما ان ذلك معلوم من بنى الاخوة وبنى الاخوات
 لأن من علم ان بنى الاخ للعمات محسوم علم ان بنات الاخ للاعمام محسوم وكذلك الحال فى أمر
 الخالة وثانيهما ان الاعمام ربما يذكر بنات الاخ عند أبنائهم وهم غير محسوم وكذلك الحال
 فى ابن الخال وذكر ملك البين بعد هذا كله لأن المنسدة فى التكشف لهم ظاهرة وقوله تعالى
 (واتقين) عطف على محذوف أى امتثلن ما أمرت به واتقوا (الله) أى الذى لا شئ أعظم
 منه فلا تقربن شيئا مما بكرهه وانما أمرهن لأن الرية من جهة النساء أكثر لانه لا يكاد الرجل
 يعرض الا لمن ظن بهم الاجابة لما يرى من مخايلها رجايل أشكالها * ولما كان الخوف لا يعظم
 الا لمن كان حاضرا مطلقا قال (ان الله) أى العظيم الشأن (كان) أى أزلا وأبدا (على
 كل شئ) من أفعال الكثر وغيرها (شبهدا) أى لا يغيب عنه شئ وان دق فهو مطلع عليك
 حال الخلو فلا تخفى عليه خافية * ولما أمرتعالى بالاستئذان وعدم النظر الى نساءه احترامه
 كل بيان حرمة بقوله تعالى (ان الله وملائكته يصلون على النبي) أى محمد صلى الله عليه وسلم
 قال ابن عباس أراد ان الله تعالى يرحم النبي والملائكة يدعون له وعن ابن عباس أيضا يصلون
 ببركون والصلاة من الله الرحمة ومن الملائكة الاستغفار وقال أبو العالية صلاة الله تعالى ثنائه
 عليه عند الملائكة وصلاة الملائكة الدعاء * (تنبيه) * بيان كمال حرمة فى ذلك ان حاله
 منحصرة فى حالتين حالة خلوة فذكر ما يدل على احترامه فى تلك الحالة بقوله تعالى لا تدخلوا
 بيوت النبي وحالة تكون فى ملا والملا اما الملا الاعلى واما الملا الادنى اما احترامه فى الملا
 الاعلى فان الله وملائكته يصلون عليه وأما احترامه فى الملا الادنى فقوله تعالى (يا أيها الذين
 آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا بالرحمة (وسلموا تسليما) أى حيود بضميمة الاسلام وأظهر واشرفه
 بكل ما يصل قدر تكم اليه من حسن متابعتة وكثرة الثناء الحسن عليه والافتقار له امره فى كل
 ما يأمر به ومنه الصلاة والسلام عليه بالسفكم روى عبد الرحمن بن أبي ليلى لقيني كعب بن عجرة
 فقال الأهدى لك هدية جمعتهما من رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت بلى فأهدىنى قال قلنا
 يا رسول الله قد علمنا كيف نسلم عليك فكيف نصلى عليك قال قولوا اللهم صل على محمد وعلى آل

محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جمد مجيد وروى ابو جمد الساعدي انهم
 قالوا يا رسول الله كيف نصلي عليك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا اللهم صل على محمد
 وأزواجه وذريته كما صليت على ابراهيم وبارك على محمد وأزواجه وذريته كما باركت على ابراهيم
 وعلى آل ابراهيم انك جمد مجيد وروى ابن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان
 أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم على صلاة وروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرة وروى عبد الله بن أبي طلحة عن أبيه عن
 رسول الله صلى الله عليه وسلم انه جاء ذات يوم والبشرى ترى في وجهه فقلنا ان البشري
 في وجهك فقال جاءني جبريل فقال يا محمد ان ربك يقرئك السلام ويقول أما يرؤيك أن لا يصلي
 عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرة ولا يصلي عليك أحد من أمتك الا صليت عليه عشرة
 وروى عامر بن ربيعة انه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول من صلى على صلاة صلت عليه
 الملائكة ما صلى على فليقل العبد من ذلك أو ليكثر وروى أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال
 من صلى على صلاة واحدة صلى الله عليه عشرة صلوات وحطت عنه عشر خطيئات ورفعت له
 عشر درجات وروى عبد الله بن مسعود قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لله ملائكة
 سياحين في الارض يلغون عن أمتي السلام (تنبيه) * دلت الآية على وجوب الصلاة على
 النبي صلى الله عليه وسلم لان الامر للوجوب قالوا وقد أجمع العلماء أنهم لا تجب في غير الصلاة
 فتعين وجوبها فيها والمناسبات التي من الصلاة تشهد آخرها فتجب في تشهد آخر الصلاة أي بعده
 وهو مذهب الشافعي واحدى الروايتين عن أحمد قالوا بل وجوبها في العمر مرة في غيرها محجوب
 بإجماع من قبله وحديث كيف نصلي عليك اذا نحن صلينا عليك في صلاتنا فقال قولوا اللهم
 صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم الى آخره وقيل تجب كلما ذكر واختاره
 الطحاوى من الحنفية والخلعي من الشافعية لقول جابر ان النبي صلى الله عليه وسلم رقى المنبر
 فلما رقى الدرجة الاولى قال آمين ثم رقى الثانية فقال آمين ثم رقى الثالثة فقال آمين فقالوا
 يا رسول الله معك تقول آمين ثلاث مرات فقال لما رقيت الدرجة الاولى جاءني جبريل فقال
 شق عبيد أدرك رمضان فأنزل من منى ولم يغفر له فقلت آمين ثم قال شق عبيد أدرك والديه أو
 أحدهما فلم يدخله الجنة فقلت آمين ثم قال شق عبيد كرت عنده ولم يصل عليك فقلت آمين وفي
 رواية رقى المنبر فقال آمين آمين آمين قبل يا رسول الله ما كنت تصنع هذا فقال قال لي جبريل رغم
 أنت رجلى أدرك والديه أو أحدهما لم يدخله الجنة فقلت آمين ثم قال رغم أنت عبيد دخل عليه
 رمضان لم يغفر له فقلت آمين ثم قال رغم أنت امرئ ذكرت عنده فلم يصل عليك فقلت آمين وكذلك
 قوله وسلموا أمر فيجب السلام ولم يجب في غير الصلاة فيجب فيها وهو قولنا في تشهد سلام عليك
 أيها النبي الخ وذكر في السلام المصدر لأننا كيد ولم يذكره في الصلاة لأنها كانت مؤكدة بقوله
 تعالى ان الله وملائكته يصلون على النبي وأقول الصلاة عليه اللهم صل على محمد وأكملها اللهم
 صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد

كما بركت على ابراهيم وعلى آل ابراهيم انك جيد مجيد آل ابراهيم اصيل واسحق وأولادهما
 * (فائدة) * كل الانبياء من بعد ابراهيم عليه السلام من ولده اسحق لانبياء محمد صلى الله عليه
 وسلم فانه من نسل اسمعيل ولم يكن من نسله نبي غيره وخص ابراهيم عليه السلام بالذكر لان الرحمة
 والبركة لم يجتمع للنبي غيره فقال الله تعالى رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت (فان قيل) اذا صلى
 الله وملائكته عليه فأى حاجة به الى صلاتنا (أجيب) بأن الصلاة عليه ليست لحاجة اليها الا فلا
 حاجة الى صلاة الملائكة مع صلاة الله تعالى عليه وانما هو اظهاره وتعظيمه مناشقة عليه ليثيبنا
 عليه ولهذا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من صلى على واحدة صلى الله عليه عشرا وفي رواية
 أخرى وملائكته سبعين وتجوز الصلاة على غيره تعالىه وتكره استقلالا لانه في العرف صار شعارا
 لذكر الرسل ولذلك كره أن يقال لمحمد عز وجل وان كان عزيزا جليلا * ولما أمر الله تعالى
 باحترام نبيه محمد صلى الله عليه وسلم نهى عن ايداء نفسه وايداء رسوله بقوله تعالى (ان الذين
 يؤذون الله) أى الذى لأعظم منه ولا نعمة عندهم الا من فضله (ورسوله) أى الذى استحق
 عليهم بما يجزىهم به عن الله تعالى ما لا يقدرون على القيام بشكره (لعنهم الله) أى أبعدهم
 وأبعدهم (في الدنيا) بالحل على ما يوجب الخطأ (والآخرة) بادخال دار الاهانة كما قال تعالى
 (وأعد لهم عذابا مهينا) أى ذاهانة وهو النار ومعنى يؤذون الله يقولون فيه ما صورته اذى
 وان كان تعالى لا يلحقه ضرر ذلك حيث وصفوه بما لا يليق بجلاله من اتخاذ الانداد ونسبة
 الولد والزوج اليه قال ابن عباس هم اليهود والنصارى والمشركون فأما اليهود فقالوا عزير
 ابن الله وقالوا الله مغلوله وقالوا ان الله فقير ونحن أغنياء وأما النصارى فقالوا المسيح ابن الله
 وثالث ثلاثة وأما المشركون فقالوا الملائكة بنات الله والاصنام شركاؤه وعن أبي هريرة قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول الله عز وجل كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك وشقني ولم
 يكن له ذلك فأما بكذبه اياى فقولوا ان يعبدني كما بدأني وليس أول الخلق باهون على من اعادته
 وأما شقته اياى فقولوا اتخذ الله ولدا وأنا الاحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد
 وعن أبي هريرة أيضا عن النبي صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى يؤذني ابن آدم بسب
 الدهر وأنا الدهر يدي الدهر أنلب الليل والنهار معنى الحديث ان مكان من عادة العرب
 في الجاهلية أن يسبوا الدهر ويذموه عند النوازل لاعتقادهم ان الذى يصيهم من أفعال الدهر
 فقال تعالى انا الدهر أى انا الذى أحل بهم النوازل وانا فاعل لذلك الذى تنسبونه للدهر
 في زعمكم وقيل معنى يؤذون الله يلمدون في أسمائه وصفاته وقيل هم أصحاب التصاير وعن
 أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول قال الله عز وجل ومن أعظم من ذهب
 بخلق كعنتي فيخلقوا ذرة ويخلقوا حبة أو شعيرة ويحتمل أن يكون ذلك على حذف مضاف أى
 أولياء الله كقولته تعالى واسأل القرية قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى من عادى لي وليا
 فقدأذنته بالحرب وقال من أذان لي وليا فقد أذنتي بالمحاربة ومعنى الاذى هو مخالفة أمر الله
 وارتيكاب معاصيه ذكره على ما عايناه الناس بينهم والله عز وجل منزّه عن أن يلحقه اذى من

أحد وقال بعضهم في الجلالة تعظيم المراتب يؤذون رسول الله صلى الله عليه وسلم كقوله تعالى
 انما يابعون الله وأما إذا الرسول صلى الله عليه وسلم فقال ابن عباس انه شج في وجهه وكسرت
 ربا عينه وقيل ساحر شاعر مجنون * ولما كان من أعظم اذاه أذى من تابعه وكان الاتباع لكونهم
 غير معصومين تصور أن يؤذوا على الحق قال تعالى مقيد الكلام (والذين يؤذون المؤمنين
 والمؤمنات) أي الراسخين في صفة الايمان (بغير ما كتبوا) أي بغير شيء واقعوه
 متعمدين له حتى أباح أذاهم (فقد احتملوا) أي كلفوا أنفسهم ان يحملوا (بهمانا) أي كذا
 وفجور رازنا على الخدم موجبا للجزاء في الدنيا والآخرة (وانما بيننا) أي نبينا ظاهرا جادا
 موجبا للعقاب في الآخرة * (تنبيه) * اختلفوا في سبب نزول هذه الآية فقال مقاتل نزلت
 في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه وقيل نزلت في شأن عائشة وقال الغدال والكلبي
 نزلت في الزناة الذين كانوا يعيشون في طريق المدينة يتبعون النساء اذا برزن بالليل لقضاء
 حوائجهم فيعبرون المرأة فان سكنت اتبعوها وان زحرتهم انهم واعداءها ولم يكونوا يطلبون الا
 الاماء ولما كان لا يعرفون الحرة من الامه لان زنى الكل كان واحدا يخرج في درع
 ونجار الحرة والامة فشكروا ذلك الى أزواجهم فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 فنزلت هذه الآية والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات الآية ثم نهى الحر ان يشبه
 بالامة بقوله تعالى (يا أيها النبي) ذكره بالوصف الذي هو منبع المنة والحكمة
 (قل لا زواجك) بدأهم لما ألهم به من الوصلة بالنسكاح (وبناتك) نهيهن لما ألهم من
 الوصلة ولهن في القسمين من الشرف وأخرهن عن الأزواج لان أزواجه يكفونه أمرهن
 (ونسائهم) أي يقربن (عليهن) أي على وجوههن وجميع أبدانهن فلا يدعن شيئا
 منها مكشوف (من جلايتهن) ولا يشبهن بالامة في لباسهن اذا خرجن لحاجتهن يكشف
 الشعور ونحوها ظان ان ذلك اخي لهن وأستر الجلباب القميص وثوب واسع دون المخففة
 تلبسه المرأة والمخففة ماستر اللباس والخمار وهو كل ما غطى الرأس وقال البغوي الجلباب
 الملاء التي تشتمل به المرأة فوق الدرع والخمار وقال حمزة الكرماني قال الخليل كل ما يستر به
 من دنار وشعار وكساء فهو جلباب والكل تصح ارادته هنا فان كان المراد القميص
 فادناؤه اسباغه حتى يغطي بدنها ورجلها وان كان ما يغطي الرأس فادناؤه ستر وجهها وعنتها
 وان كان المراد ما يغطي الثياب فادناؤه تطويله وتوسيعه بحيث يستر جميع بدنها وثيابها وان كان
 المراد ما دون المخففة فالمراد ستر الوجه واليدين وقيل ابن عباس وعبيدة أمر نساء المؤمنين أن
 يغطين رؤسهن ووجوههن بالجلايب الاعيان واحدة ليعلم أنهن حرائر * ولما أمرتعالى بذلك
 علله بقوله تعالى (ذلك) أي الستر (أدنى) أي أقرب من تركه في (أن يعرفن) انهن حرائر
 بما يميزهن عن الاماء (فلا) أي فتسب عن معرفتهن أن لا (يؤذبن) ممن يعرضن للامة
 فلا يشغل قلبك عن تلقى ما يرعد عليك من الانباء الالهية قال ابن عادل ويمكن أن يقال المراد
 يعرفن انهن لا يزينن لان من تستر وجهها مع أنه ليس بعورة أي في الصلاة لا يطمع فيها انها

فكشف عورتها فبفرض انهن مستورات لا يمكن طلب الزنا منهن انتهى * ولما رآهن تعالى
 لهذا الامر خفف عقابه ما كن فيه من التشبيه بالاماء فآخبرهن تعالى بوسع كرمه وجوده بقوله
 تعالى (وكان الله) أى الذى له الكمال المطلق أزلا وأبداً (عفوراً) أى لماسلف منهن من
 ترك السترة فهو محجاء للذنوب عينا وأثراً (رحيماً) بهن إذسترهن وبعن بمثل أو امرء ويجب
 نواهيته قال البغوى قال أنس مرتب به - مرجارية متشعبة فعلاها بالدرة وقال بالكعاق أتشبهين
 بالحرأثرأنى القناع وبظهر أن عمر انما فعل ذلك خوفاً من أن تلبس الاماء بالحرأثر فلا يعرف
 الحرأثر فيعود الامر كما كان * ولما كان المأذون بما مضى وغيره أهل النفاق ومن دأبهم
 حذرهم بقوله تعالى مؤكداً فدفعنا عنهم دوام الحلم عليهم (لئن لم ينته) عن الذى (النافقون)
 أى الذين يظنون الكفر ويظهرون الاسلام (والذين فى قلوبهم مرض) أى غل - قرب من
 النفاق حامل على المعاصى (والمرحفون فى المدينة) المؤمنين أى بالكذب وذلك ان ناسا
 منهم كانوا اذا خرجت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم يذيعون فى الناس أنهم قد قتلوا
 أو هزموا ويقولون قد أتاكم العدو ونحو ذلك وأصل الرجفة التحريك من الرجفة وهى الزلزلة
 سمى به الاخبار الكاذبة لكونهم اختزلوا غير ثابتة (لنغيرنكهم) أى لنسلطنك عليهم
 بالقتل والجلأ وبما يضطرونهم الى طلب الجلاء وقوله تعالى (ثم لا يجاورونك) أى يساكنونك
 (فيها) أى المدينة عطف على لنغيرنك وشم للذلة على ان الجلاء ومغارقة رسول الله صلى الله
 عليه وسلم أعظم ما يصيبهم (اد قليلاً) أى زماناً وجواراً قليلاً ثم يحرجون منها وقيل لنسلطنك
 عليهم حتى تقتلهم وتخل منهم المدينة وقوله تعالى (لمعونين) أى مبعودين عن الرجعة حل
 من فاعل يجاورونك قاله ابن عطية والزحخشري وأبو البقاء (أيما تفتقروا) أى وجدوا (أخذوا
 وقتلوا) ثم أكرمهم بالمصدر بغضافهم وارهبا لهم بقوله تعالى (فتنبأ) أى الحكم فيهم هذا
 على وجه الامر به وقوله تعالى (سنة الله) أى المحيط بجميع العظمة مصدر مؤكداً أى سن
 الله ذلك (فى الذين خلوا من قبلى) أى فى الامم الماضية وهو أن يقتل الذين نافقوا الانبياء
 وسعوا فى وهنهم بالارجاف ونحوه أيما تفتقروا (ولن تجد لسنة الله) أى طريقة الملك الاعظم
 (تديلاً) أى ليست هذه السنة مثل الحكم الذى يتبدل وينسخ فإن النسخ يكون فى الاقوال
 اما الافعال اذا وقعت والاخبار فلا تنسخ * ولما بين تعالى حالهم فى الدنيا انهم لم يعونون
 ومهانون ويقتلون أراد أن يبين حالهم فى الآخرة فذكرهم بالقيامة وذكر ما يكون لهم فيها
 بقوله (يسألك) يا أشرف الخلق (الناس) أى المشركون استهزاء منهم وتعنأ وامتحاناً
 (عن الساعة) أى متى تكون فى أى وقت (قل) أى لهم فى جوابهم (انما علمها عند الله)
 الذى أحاط علمه بجميع الاشياء (وما يدريك) أى أى شئ يعلمك أمر الساعة ومتى يكون قيامها
 أنت لا تعرفه (أهل الساعة) أى التى لاساعة فى الحقيقة غير المالمالها من الجحائب (تكون)
 أى توجد وتحدث على وجه مهول عجيب (قريباً) أى فى زمن قريب قال البقاعى ويجوز
 أن يكون التدكير لاجل الوقت لأن السؤال عنها انما هو عن تعيين وقتها قال البخارى

في الصحيح اذا وصفت صفه الموت قلت قرية واذا جعلته ظرفاً أو بدلاً لم ترد الصفه نزع الهاء
 من الموت وكذلك لفظه في الاثنين والجمع للذكر والانثى * ثم استأنف الاخبار بحال الساتلين
 عنها بقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ) أي الملك الاعلى (أَعْلَى) أي أبعداً بعدا عظيماً من رحمة
 (الكافرين) أي الساترين لما من شأنه أن يظهر محادلات عليه العقول السلية من أمرها
 (وأعدّ) أي أوجد وهياً (لهم) من الآن (سعيّاً) أي ناراً شديدة الاضطرام والتوقد
 لتكذيبهم بها وبغيرها مما أودع لهم أدلته (خالدين) أي مقدر اخلودهم (فيها) أي السعير
 وأعاد عليها الضمير مؤشراً لانها مؤشئة أولانه في معنى جهنم وقوله تعالى (أبدًا) بيان لارادة
 الحقيقة ثلاثية وهم بالخلود المكث الطويل (لا يجردون ولياً) أي تولى أمراً بما يصيهم
 بشفاعه أو غيرها (ولانصيراً) ينصرهم وقوله تعالى (يوم) معمول لخالدين أي مقدر ا
 خلودهم فيها على تلك الحال يوم (تقلب) أي تقلباً كثيراً (وجوههم في النار) أي ظهرها
 لبطن كاللحم يشوى بالنار حالة كونهم (يقولون) وهم في محل الجزاء وقدرات المحل القابل
 للعمل متقين بقولهم (بآلئنا أطمعنا) أي في الدنيا (الله) أي الذي لا أمر لاحد معه ما
 لا يدركون تلافيه لانهم لا يجردون ما يقدر أنه يرد غلتهم من ولى ولانصير ولا غيرهم ما سوى
 هذا التنى * ولما كان المقام للمبالغة في الاذعان والخضوع أعادوا العادل بقولهم (وأطعنا
 الرسول) أي الذي بلغنا عنه حتى لا نبغى بهذا العذاب * (تنبيه) * تقدم الكلام على
 القراءة في الرسول والسبيل أول السورة عند الظنونا (وقالوا) أي الاتساع منهم لما يتقنعهم
 شيء متبرئين بالدعاء على من أضلهم بما لا يرى عليلاً ولا يشفي غليلاً (ربنا) أي أيها المحسن الينا
 وأسقطوا أداة الداء على عادة أهل الخصوص بالحضور زيادة في التوسيق باظهار أنه لا واسطة
 لهم الاذلهم وانكسارهم (أنا أطمعنا ساداتنا وكبراءنا) يعنون قاداتهم الذين اتقنوههم الكفر
 وقرأ ابن عاصم بألف بعد الدال وكسر التاء على جمع الجمع للدلالة على الكثرة والباقيون بغير
 ألف بعد الدال وفتح التاء على أنه جمع تكسير غير مجموع بألف وتاء (فأضلونا) أي فتسبب
 عن ذلك أنهم أضلونا بما كان لهم من نفوذ الكلمة (السبيل) أي طريق الهدى فأحالوا ذلك
 على غيرهم كما هي عادة المخطئ من الاحالة على غيره مما لا ينفعه ثم كأنه قيل فيما يريدون لهم فتالوا
 مبالغين في الرقة للاستعفاف باعادة الرب (ربنا) أي المحسن الينا (آتهم ضعفين من العذاب)
 أي مثلي عذابنا لانهم ضلوا وأضلوا (والعنفم لعنا كثيراً) أي أطردهم عن محال الرحمة طرداً
 متناهياً وقرأ اعاصم بالباء الموحدة أي لعنا هو أشد اللعن وأعظمه والباقيون بالتاء المثناة أي
 كثيراً العدد * ولما بين أنه الى أن يؤذى الله ورسوله يلعن ويعذب أرشد المؤمنين الى الامتناع
 من الاذياء بقوله تعالى (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا) أي صدقوا بما يتلى عليهم (لَا تَكُونُوا)
 بآذاكم رسول الله صلى الله عليه وسلم بأمر زيب وغيره كونهوا كما طبع لكم (كالذين آذوا
 موسى) من قومه بنى اسرائيل آذوه بأنواع الاذى كما قال نبينا صلى الله عليه وسلم حين قسم قمحا
 فتكلم فيه بعضهم فقال لقد آذى موسى بأكثر من هذا فصبر واختلفوا فيما آذى به موسى

فروى أبو هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن موسى كان رجلاً حياً استبرأ ليرى
من جلده شيء استحياء منه فإذا من إذاه من بني إسرائيل فقالوا ما تستر هذا السر إلا من عيب
بجلده ما برص وما أدره وأما آفة وإن الله تعالى أراد أن يبرئه مما قالوا كما قال تعالى (فبرأه)
أي فتسبب عن إذاهم أن برأه (الله) الذي له صفات الجلال والإكمال (مما قالوا) فخلوا بما وحده
ليغتسل فوضع ثيابه على حجر ثم اغتسل فلما فرغ أقبل إلى نياحه ليأخذها فنزلاً الحجر شبهه فجمع
موسى عليه السلام وأخذ عصاه وطلب الحجر فجعل يقول ثوبى حجر ثوبى حجر حتى انتهى إلى
ملا من بني إسرائيل فرأوه عرياناً أحسن ما خلق الله وأبرأ مما يقولون وقام الحجر فأخذ ثوبه
واستتر به وطفق بالحجر بضربه بعصاه فوالله إن بالحجر لاندبام أن تضربه ثلاثاً وأربعاً أو خمساً
والأدرة عظم الخصية المنفجة فيها وقوله فجمع أي أسرع وقوله نديا هو يفتح النون والداً وأصله
أثر الجرح إذا لم يرتفع عن الجلد فشبّه به الضرب بالحجر وقال قوم إذاؤهم أياءه لمسامات هرون في
التيه ادعوا على موسى أنه قتلها فأمر الله الملائكة عليهم السلام حتى مروا به على بني إسرائيل
فعرّفوا أنه لم يقتله فبرأ الله مما قالوا وقال أبو العالمة هو أن فارون استأجر موسى أي زانية
لتتذف موسى بنفسها على رأس الملائكة فعهما الله تعالى وبرأ موسى من ذلك وكان ذلك سبب
الخصف بقارون ومن معه وقال عبد الله بن مسعود لما كان يوم حنين أثر رسول الله صلى الله عليه
وسلم ناساً في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الإبل وأعطى فلاناً كذا الناس من العرب
وأثرهم في القسمة فقتل رجل هذه قسمة والله ما عدل فيها وما يريد بها وجهه الله فقلت والله لا أخبرن
به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال فأتيته فأخبرته بما قال فغضب وجهه حتى كان كالصفر ثم قال
فمن يعدل إذا لم يعدل الله ورسوله ثم قال برحم الله موسى قد أذى بأكثر من هذا فصبر والصرف
بكسر الصاد صبغ أحر يصبغ به الأديم * ولما كان قصد هم هذا الذي استقاط وجهته قال
تعالى (وكان) أي موسى عليه السلام كونا واسخا (عند الله) أي الذي لا يذل من والاه
(وجهاً) أي معظماً رفيع القدر ذوا جهة يقال وجه الرجل وجهه فهو وجهه إذا كان ذاجاه
وقدر قال ابن عباس كان عظيماً عند الله تعالى لا يسأله شيئاً إلا أعطاه وقال الحسن كان مجاب
الدعوة وقيل كان محبوباً مقبولاً * ولما نهاهم عن الأذى أمرهم بالرفع ليصبروا وذوى
وجهة عنده ~~مكرر~~ النداء استعطافاً واطهاراً للاهتمام بقوله تعالى (يا أيها الذين
آمنوا) أي ادعوا ذلك (اتقوا الله) أي صدقوا ودعواكم بمخافة من له جميع العظمة
فاجعلوا لكم وقاية من يحظه بأن تبذلوا له جميع ما أودعكم من الأمانة (وقولوا)
في حق النبي صلى الله عليه وسلم في أمر زينب وغيرها وفي حق نساته ونسائه وفي حق المؤمنين
ونسائهم وغير ذلك (قولاً سيدياً) قال ابن عباس صواباً وقال قتادة عدلاً وقال الحسن
صدقاً وقال عكرمة هو قول لا اله إلا الله * وقيل من تقبلاً (يصلح لكم أعمالكم) قال ابن
عباس يتقبل حسناتكم وقال مقاتل يزكي أعمالكم (ويغفر لكم ذنوبكم) أي يعفوها
عينا وأثراً فلا يعاقب عليها ولا يعاتب (ومن يطع الله) أي الذي لا أعظم منه (ووسوله)

أى الذى عظمته من عظمته فى الاوامر والنواهي (فقد فاز) وأكذلك بقوله تعالى
 (فوزاً عظيماً) أى ظفر بجميع مرادائه يعيش فى الدنيا سعيداً وفى الآخرة سعيداً * ولما
 أرشد الله تعالى المؤمنين الى مكارم الاخلاق وأدب النبي صلى الله عليه وسلم بأحسن
 الآداب بين أن التكليف الذى وجهه الله تعالى الى الإنسان أمر عظيم بقوله تعالى (أنا عرضنا
 الامانة) واختلف فى هذه الامانة المعروضة فقال ابن عباس أراد بالامانة الطاعة من القرائن
 التى فرضها الله تعالى على عباده عرضها (على السموات والارض والجبال) على أنهم ان
 أدوها أثبتهم وإن ضيعوها عذبهم وقال ابن مسعود الامانة أداء الصلوات وإيتاء الزكوات
 وصوم رمضان وحج البيت وصدق الحديث وقضاء الدين والعدل فى الميكال والميزان وأشد
 من هذا كله الودائع وقال مجاهد الامانة القرائن وحدود الدين وقال ابو العباس
 ما امروا به ونهوا عنه وقال زيد بن أسلم هو الصوم والغسل من الجنابة وما يخفى من الشرائع
 وقال عبد الله بن عمرو بن العاص أول ما خلق الله تعالى من الانسان فرجه وقال هذه أمانتى
 استودعكموها فالفرج أمانة والعين أمانة واليد أمانة والرجل أمانة ولا ايمان لمن لا أمانة له وقال
 بعضهم هى أمانات الناس والوفاء بالعهود فحق على كل مؤمن أن لا يغش مؤمناً ولا معاهداً
 فى شئ قليل ولا كثير وهى رواية النخلك عن ابن عباس وجاعة من التابعين وأكثر السلف
 أن الله تعالى عرض هذه الامانة على السموات والارض والجبال فقال لهن أتحملن هذه الامانة
 بما فيها قلن وما فيها فقال ان أحسنن جزويتن وإن عصيتن عوقبتن (فأبين) على عظم
 اجرامها وقوة أركانها وسعة أرجائها (أن يحملنها) أى قلن لا يارب نحن مسخرات لامرك
 لا نريد ثواباً ولا عقاباً (وأشفقن منها) أى قلن ذلك خوفاً وخشية ونعظيم الله تعالى
 أن لا يقوموا بها لضعفها ومخالفة وكان العرض عليهم تخييراً لا إلزاماً ولو أئزمن لم يمنعن من
 حملها فالجادات كلها خاضعة لله عز وجل مطيعة ساجدة له كما قال تعالى للسموات والارض اثنيان
 طوعاً أو كرهاً قالنا اثنيان ثلثين وقال فى الحجارة وإن منها ما بهبطن خشية الله وقال تعالى
 ألم تر أن الله يسجد له من فى السموات ومن فى الارض والشمس والقمر والنجوم والجبال الآية
 وقال بعض أهل العلم ركب الله فيهن العقل والهمم حين عرض عليهن الامانة حتى عقلن
 الخطاب وأجبن بما أجبن وقال بعضهم المراد بالعرض على السموات والارض هو العرض على
 أهل السموات والارض عرضها على من فيها من الملائكة كقوله تعالى وأسأل القرية أى أهلها
 وقيل المراد المقابلة أى قابلنا الامانة مع السموات والارض والجبال فرجحت الامانة قال
 البغوى والاول أصح وهو قول أكثر العلماء * (تنبيه) * قوله تعالى فأبين أى بضمير هذه كضمير
 الاناث لان جمع تكسير غير العاقل يجوز فيه ذلك وانما ذكر ذلك لثلاثيه وهم أنه قد غلب المؤنث
 وهو السموات على المذكور وهو الجبال (فان قيل) ما الفرق بين ابائهن واباء ابليس فى قوله تعالى أبى
 أن يكون مع الساجدين (أجيب) بأن الاباء هناك كان استكباراً لان السجود كان فرضاً وهاهنا
 استصغاراً لان الامانة كانت عرضاً وانما امتنعن خوفاً كما قال تعالى وأشفقن منها أى خفن من

الامانة أن لا يؤذنها فيلحقهن العقاب (وجملها الانسان) أى آدم قال الله تعالى لا آدم
انى عرضت الامانة على السموات والارض والجبال فلم تقبلها فهل أنت آخذها بما فيها قال
يارب وما فيها قال ان أحسنت جزوت وان أسأت عوقبت فحملها آدم عليه السلام وقال بين
اذنى وعاتنى فقال الله تعالى اما اذا تحملت فسا عينك اجعل لبصرك جبابا فاذا خشيت ان تنظر
لما لا يحل فأرخ عليه حجابا وأجعل للسالكين ولعلاء فاذا خشيت فأغلق وأجعل لشرجك
سترا فاذا خشيت فلا تنكشفه على ما حرمت عليك قال مجاهد فإما كان بين ان تحملها وبين ان
أخرج من الجنة الامتداد ما بين الظهر والعصر وحكى النقاش باسناده عن ابن مسعود انه قال
مثلت الامانة ببخورة ملقاة ودعيت السموات والارض والجبال اليها فلم يقربوا منها وقالوا
لا نطبق جملها وجاء آدم عليه السلام من غير ان يدعى وحرك العنزة وقال لو أمرت بحملها
لحملتها فقلن اجل فحملها الى ركبته ثم وضعها وقال والله لو أردت ان أزداد لا زددت
فقلن له اجل فحملها الى حقويه وقال والله لو أردت ان أزداد لا زددت فقلن له اجل فحملها
حتى وضعها على عاتقه فأراد ان يضعها فقال له الله تعالى مكانك فانهم ما في عنقك وعنق
ذريتك الى يوم القيامة (انه كان ظلوما جهولا) قال ابن عباس ظلوما لنفسه جهولا
بأمر الله تعالى وما احتمل من الامانة وقال الكبي ظلوما حين عصى ربه جهولا لا يدري
ما العتاب في ترك الامانة وقال مقاتل ظلوما لنفسه جهولا بما قامة لم تحمل وذكر الزجاج وغيره
من أهل المعاني في قوله تعالى وجملها الانسان قولا آخر فقالوا ان الله تعالى اثنى آدم واولاده
على شئ واثنى السموات والارض والجبال على شئ فالامانة في حوزة آدم ما ذكرنا من الطاعة
والقيام بالقرائن والامانة في حق السموات والارض والجبال هي الخضوع والطاعة لما خلقن
له وقوله تعالى فابن ان يحملها أى أبين الامانة يقال فلان حمل الامانة أى اتم فيها بالحيانة
قال تعالى ولحملن أثقالهم انه كان ظلوما جهولا حكى عن الحسن على هذا التأويل انه قال
وجملها الانسان يعنى الكافر والمنافق حلالا الامانة أى خائفا فيها والاول قول السلف وهو
الاولى وقيل المراد بالامانة العقل والتكليف وبعرضها عليهم باعتبارها بالاضافة الى
استعدادهم وبابائهم الاباء الطبيعي الذي هو عدم البقاة والاستعداد وتحمل الانسان
قابليته واستعدادها لها وكونه ظلوما جهولا لما غلب عليه من القوة الغضبية والشهوية وعلى
هذا يحسن أن يكون علة للعمل عليه فان من فوائد العقل أن يكون مهيمنا على القوتين حافظا
لهما عن التعدي ومجازاة الحد ومعظم مقصود التكليف تعديلهما وكسر سورتهما وعن أبي
هريرة قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم في مجلس يحدث القوم فجاء عرابي فقال ستى
الساعة فخصى رسول الله صلى الله عليه وسلم يحدث فقال بعض القوم سمع ما قال فكره ما قال
وقال بعضهم بل لم يسمع حتى اذا قضى حديثه قال أين السائل عن الساعة قال ها أنا يا رسول الله
قال اذا وضعت الامانة فانظر الساعة وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا الامانة
الى من ائتمنك ولا تخن من خائن وعن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم

ان من أعظم الامانة عند الله يوم القسامة الرجل يقضى الى امرأته وتفضى اليه ثم ينشر سرها
وقوله تعالى (ليعذب الله) أى الملك الأعظم متعلق بعرضنا المترتب عليه جل الانسان (المنافقين
والمنافقات والمشركن والمشركات) أى المضيعين الامانة * (تنبيه) * لم يعد اسم تعالى فلم
يقول ويعذب الله المشركين وأعادته في قوله تعالى (ويتوب الله) أى جماله من العظمة (على
المؤمنين والمؤمنات) أى المؤذين للامانة ولو قال تعالى ويتوب على المؤمنين والمؤمنات
كان المعنى حاصلًا ولكنه أراد تفضيل المؤمن على المنافق فجعله كالكلام المستأنف * ولما
ذكر تعالى في الانسان وصفين الظلوم والجهول ذكر تعالى من أوصافه وصفين بقوله تعالى
(وكان الله) أى على ماله من الكبرياء والعظمة (غفوراً) للمؤمنين حيث عفا عن
قرطاتهم (رحيماً) بهم حيث أنابهم بالعفو على طاعتهم مكرمالهم بأنواع الكرم * وما رواه
البيضاوى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الاحزاب وعلمها أهلها ومالكت يمينه
أعطى الامان من عذاب القبر حديث موضوع رواه الثعلبي

❖ (سورة سبأ مكية) ❖

الاورى الذين أتوا العلم الآية وهى أربعة وأخمس وخمسون آية ونعمائة وثلاث وثلاثون
كلمة واربعة آلاف وخمسمائة واثنا عشر حرفاً (بسم الله) أى الذى من شمول قدرته اقامة
الحساب (الرحمن) أى الذى من عوم رحمة ترتيب الثواب والعقاب (الرحيم) أى
الذى يمن على أهل كرامته بطاعته حتى لا عقاب يلحقهم ولا عتاب * ولما ختم السورة التى قبل
هذه بصفتى المغفرة والرحمة بدأ هذه بقوله (الحمد لله) أى ذى الجلال والجمال على هذه النعمة
(فائدة) السور المفتحة بالحمد خمس سورتان فى النصف الاول وهما الانعام والكهف وسورتان
فى النصف الاخير وهما هذه السورة وسورة الملائكة والخامسة هى فاتحة الكتاب وتقرأ مع
النصف الاول ومع النصف الثانى الاخير والحكمة فيها أن نعم الله مع كثرتها وعدم قدرتها على
احصائها منحصرة فى قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فان الله تعالى خلقنا أولاً برحمته وخلق
لنا ما نقوم به وهذه النعمة توجد مرة أخرى بالاعادة فانه يخلقنا مرة أخرى ويخلق لنا ما ندوم به
قلنا حالتان الابداء والاعادة وفى كل حالة له تعالى نعمتان نعمة اليجاد ونعمة الابقاء فقال فى
النصف الاول الحمد لله الذى خلق السموات والارض وجعل الظلمات والنور اشارة الى الشكر
على نعمة اليجاد وبذل عليه قوله تعالى هو الذى خلقكم من طين فأشار الى اليجاد الاول
وقال فى السورة الثانية الحمد لله الذى أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً قيماً فأشار الى
الشكر على نعمة الابقاء فان الشرائع بها البقاء ولولا شرع تنقاده لخلق لاتب مع كل واحد هواه
ووقعت المنازعات وأدت الى التقابل والنفاق وقال ههنا الحمد لله (الذى له ما فى السموات
وما فى الارض) ملكا وخلقاً اشارة الى نعمة اليجاد الثانى بدليل قوله تعالى (وله) أى وحده
(الحمد) أى الاحاطة بالكمال (فى الآخرة) أى ظاهر الكل من يجمعه الحشر وله كل ما فيه الا بدعى

أحد ذلك في شيء منه ظاهراً ولا بائناً وقال في سورة الملائكة الحمد لله فاطر السموات والارض
 اشارة الى نعمة الابقاء بدليل قوله تعالى جاعل الملائكة رسلاى يوم القيامة يرسلهم الله تعالى
 مسليين على المسلمين كما قال تعالى وتلقاهم الملائكة وقال تعالى عنهم سلام عليكم طبعتم فادخلوها
 خالدن وفاقحة الكتاب لما اشتملت على ذكر نعمتين أشار بقوله تعالى الحمد لله رب العالمين الى
 النعمة العاجلة وأشار بقوله تعالى مالك يوم الدين الى النعمة الآجلة فرتب الافتتاح
 والاختتام عليهما (فان قيل) قد ذكرتم أن الحمد ههنا اشارة الى النعم التي في الآخرة فلم ذكر
 الله تعالى السموات والارض (أجيب) بأن نعم الآخرة غير مرئية فذكر الله تعالى النعم
 المرئية وهي ما في السموات وما في الارض ثم قال وله الحمد في الآخرة ليقابل نعم الآخرة بنعم
 الدنيا ويعلم فضلها بدوامها وقيل الحمد في الآخرة هو جند أهل الجنة كما قال تعالى وقالوا
 الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن والحمد لله الذي صدقنا وعده وتقدم الكلام على الحمد لغة
 واصطلاحاً والشكر كذلك في أول الفاتحة فتح الله علينا بكل خير وفعل ذلك بأحبنا * ولما
 تنقروا أن الحكمة لا تتم الا بالاجاد الآخرة قال تعالى (وهو الحكيم) أى الذى بلغت حكمته
 النهاية التى لا مزيد عليها والحكمة هى العلم بالامور على وجه النواب متصلاً بالعمل على وفقه
 (الخبير) أى البليغ الخبر وهو العلم بظواهر الامور وبواطنها حالوماً لا تخمين بكل خبره بقوله
 تعالى (يعلم ما بين) أى يدخل (فى الارش) أى هذا الجنس من المياه والاموال والاموات
 وغيرها (وما يخرج منها) من المياه والمعادن والنبات وغيرها (وما ينزل من السماء) أى من هذا
 الجنس من قرآن وملائكة وماء وحرارة وبرودة وغير ذلك (وما يعرج فيها) من الكلام الطيب
 قال تعالى اليه يصعد الكلم الطيب والملائكة والاعمال الصالحة قال تعالى والعمل الصالح
 يرفعه * (تنبيه) * قدم ما بين فى الارض على ما ينزل من السماء لان الحبة تـ ذراً ولا تخمسق
 ثانياً وقال تعالى ما يعرج فيها ولم يقل ما يعرج اليها اشارة الى قبول الاعمال الصالحة لان كلمة
 الى للغاية فلو قال وما يعرج اليها لفهم الوقوف عند السموات فقال وما يعرج فيها ليفهم نفوذه
 فيها وصعوده وتكثفه فيها ولهذا قال فى الكلام الطيب اليه يصعد الكلم الطيب لان الله تعالى
 هو المنتهى ولا مرتبة فوق الوصول اليه (وهو) أى والحال أنه وحده مع كثرة نعمه المقيمة
 للابدان (الرحيم) أى المنعم بانزال الكتب وارسال الرسل لاقامة الاديان وغير ذلك
 (الغفور) أى المحاء للذنوب لانه نطرين فى شكر نعمته مع كثرتها أوفى الآخرة مع ماله من
 سوابق هذه النعم الفاتحة للعصر * (تنبيه) * قدم تعالى صفة الرجعة على صفة الغفور ليعلم
 أن رجته سبقت غضبه * ثم بين تعالى أن هذه النعمة التى يستحق الله تعالى بها الحد وهى نعمة
 الآخرة أنكروها قوم فقال (وقال الذين كفروا) اى ستروا ما دلهم عليه عقولهم من براهينها
 الظاهرة (لاتأيتنا الساعة) أى أنكروا مجيئها أو استظهارها استنزاً بالوعده وقوله تعالى
 لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهم (بلى) رد ذلك كلامهم وإشاراً لنفوذ (وربى)
 أى المحسن الى جماعنى بدمعكم وبما خصنى من تبيينى وارسالى اليكم الى غير ذلك من أمور

لا يخصصها الا هو (لأننا نعلمكم) أى الساعة لتظهر فيها طهوراتنا بالحكمة بالعدل والفصل
 وغير ذلك من عجائب الحكم والفضل وقوله تعالى (عالم الغيب) قرأه نافع وابن عامر برفع الميم
 على هو عالم الغيب أو مبتدأ وخبر ما بعده وابن كثير وأبو عمرو وعاصم بجره فاعتلجوا وقرأ أجزءة
 والكسائي بعد العين بلام أف مستددة وخفض الميم (لا يعزب) أى لا يغيب (عنه من قال)
 أى وزن (ذرة) أى من ذات ولا معنى والذرة الفلة الجراء الصغيرة جداً صارت مثلاً فى أقل
 القليل فهي كناية عنه * وقرأ الكسائي بكسر الزاى والباء قون بضمها وقوله تعالى
 (فى السموات ولا فى الارض) فيه لطيفة وهي أن الانسان له جسم وروح فالاجسام
 أجزاؤها فى الارض والارواح فى السماء فتقوله تعالى فى السموات اشارة الى علمه بالارواح
 وما فيها من الملائكة وغيرهم وقوله تعالى ولا فى الارض اشارة الى علمه بالاجسام وما
 فى الارض من غيرها فاذا علم الارواح والاجسام قدر على جمعهما فلا استبعاد فى الاعداد
 وقوله تعالى (ولا أصغر) أى ولا يكون شئ أصغر (من ذلك) أى المثلث (ولأكبر)
 أى منه (الافى كتابين) أى بين هو اللوح المحفوظ جله مؤكدة لثبوت العزوب (فان
 قيل) فأى حاجة الى ذكر الاكبر فان من علم الاصغر من الذرة لا بد وأن يعلم الاكبر
 (أجيب) بأنه تعالى أراد بيان اثبات الامور فى الكتاب فلو اقتصر على الاصغر لنفهم
 متوهم أنه ثبت الصغار لكونها محل التسام وأما الاكبر فلا ينسى فلا حاجة الى اثباته فقال
 الاثبات فى الكتاب ليس كذلك فان الاكبر أيضاً مكتوب * ثم بين علته ذلك كله بقوله (ليجزى
 الذين آمنوا وعملوا) تصديقاً لايامهم (الصالحات) أى وانه ما خلق الا كوان الالابل
 الانسان فلا يديعه بغير جزاء ثم بين جزاءهم بقوله تعالى (أولئك) أى العالو الرتبة (لهم مغفرة)
 أى لزلاتهم وهفواتهم لان الانسان المبني على نقصان لا يتدبر أن يتدبر العظم السلطان حق
 قدره (ورزق كريم) أى جليل عزيز دائم لذى نافع شهي لا كدرفيه وهور رزق الجنة
 * (تنبيه) ذكر تعالى فى الذين آمنوا وعملوا الصالحات أمرين الايمان والعمل الصالح وذكر
 لهم أمرين المغفرة والرزق الكريم فالمغفرة جزاء الايمان فكل مؤمن مغفور له لقوله تعالى ان الله
 لا يغفر أن يشركه ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وقوله صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من قال
 لا اله الا الله ومن فى قلبه وزن ذرة من ايمان والرزق الكريم على العمل الصالح وهذا مناسب
 فان من عمل لسيد كريم علفا فعند فراغه لا بد وأن ينعم عليه وقوله تعالى كريم يعنى ذى كرم
 أو مكرم أو لانه يأتي من غير طلب بخلاف رزق الدنيا فانه ان لم يطلب وتسبب فيه لا يأتي غالباً
 (فان قيل) ما الحكمة فى تميز الرزق بأنه كريم ولم يصف المغفرة (أجيب) بأن المغفرة واحدة
 وهي للمؤمنين وأما الرزق فثمة شجرة الرقوم والحليم ومنه الفواكه والشرب الطهور ويزيد الرزق
 للحصول الانقسام فيه ولم يميز المغفرة لعدم الانقسام فيها * ولما بين تعالى حال المؤمنين يوم
 القيامة بين حال الكافرين فى ذلك اليوم بقوله سبحانه (والذين سعوا) أى فعلوا نفع السامح
 (فى آياتنا) أى القرآن بالابطال وترهيد الناس فيها وقوله تعالى (مجزين) قرأه ابن كثير وأبو عمرو

بغير ألف بعد العين وتشديد الجيم أى مبطلين عن الإيمان من اراده والباقون بألف بعد العين
وتخفيف الجيم وكذا فى آخر السورة أى مسابقين كى يفوتوا (أو تلك) الحقيرين عن أن يبلغوا
مراد أجمع جزئهم (لهم عذاب) وأى عذاب (من ربح) أى سبى العذاب (أليم) أى مؤلم وقرأ ابن
كثير وحفص أليم بالرفع على أنه صفة لعذاب والباقون بالجر على أنه صفة لربح قال الرازى قال
هناك لهم رزق كريم ولم يقل عن التبعية فلم يقل لهم نصيب من رزق ولا رزق من جنس كريم
وقال ههنا لهم عذاب من ربح أليم باقظة صالحة للتبعض وذلك إشارة الى سعة الرحمة وقلة
الغضب وقوله (ويرى الذين أوتوا العلم) أى الذى قد فقه الله تعالى فى قلوبهم سواء كانوا من أسلم
من العرب أو أهل الكتاب وقيل مؤمنوا أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه وقيل الصحابة
ومن شابههم فيه وجهان أحدهما أنه عطف على ليجزى أى ولما علم الذين أوتوا العلم والثانى أنه
مستأنف أخبر عنهم بذلك (الذى أنزل اليك من ربك) أى المحسن اليك بالزلة (هو الحق) أى أنه
من عند الله تعالى * (تنبيه) * الذى أنزل هو المنعول الاول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان
لان الرؤية عملية وقوله تعالى (وبه دى الى صراط) أى طريق (العزير الحيد) فى فاعله وجهان
أظهرهما أنه ضمير الذى أنزل وهو القرآن والثانى ضمير اسم الله تعالى وهاتان الصفتان يفيدان
الرهبة والرغبة العزير يفيد التخويف والانتقام من المكذب والحيد يفيد الترغيب فى الرحمة
للمصدق (وقال الذين كفروا) أى قال بعضهم على وجه التعجب لبعض (هل ندلكم على رجل)
يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم (ينبئكم) أى يخبركم اخبارا لا أعظم منه بما حواه من العجب
الخارج عما تفعله أنكم (إذا مررتم) أى قطعتم وفرقتم بعد موتكم وقوله تعالى (كل منقر)
يحتل أن يكون اسم مفعول أى كل عزيز فلم يبق شئ من أجسادكم مع شئ بل صار الكل بحيث
لا يميز بين ترابه وزاب الارض ويحتل أن يكون ظرف مكان أى فى إذا مررتم وذهب بكم الرياح
والسيمول كل مذهب (أنكم لى خلق جديد) أى تشؤون خلقا جديدا بعد ان تكونوا
وفاتوا ورايا والهمزة فى قوله (أفترى) أى نعمد (على الله) أى الذى لا أعلم منه (كذبا)
أى بالاخبار بخلاف الواقع وهو عاقل صحيح القصد همزة استفهام فالقراء الجميع
يحققونها واستغنى بها عن همزة الوصل فانهم اتحدوا لاجلها فلذلك ثبتت هذه الهمزة ابتداء
ووصلا قال البغوى هذه ألف استفهام دخلت على ألف الوصل فلذلك نصبت (أم به جنة)
أى جنون يحكى به ذلك واستدل الجاحظ بهذه الآية على ان الكلام ثلاثة أقسام صدق وكذب
ولا صدق ولا كذب ووجه الدلالة منه على القسم الثالث ان قولهم أم به جنة لاجزأ أن يكون
كذبا لانه قسم الكذب وقسم الشئ غيره ولا جزأ أن يكون صدقا لانهم لم يعتقدوه فثبت قسم
ثالث (وأجيب) عنه بأن المعنى أى لم يفتر ولكن عبر عن هذا بقولهم أم به جنة لان المجنون لا
اقتراه * (تنبيه) * قوله أفترى يحتل أن يكون من تمام قول الكافر بن أو لا أى من كلام
القائلين هل ندلكم ويحتل أن يكون من كلام السامع المجيب للقائل هل ندلكم كان القائل لما
قال له هل ندلكم على رجل قال له هل افترى على الله كذبا ان كان يعتقد خلافه أم به جنة أى جنون

ان كان لا يعتقد خلافه • ولما كان الجواب ليس به شئ من ذلك عطف عليه قوله تعالى (بل
 الذين لا يؤمنون) أى لا يوجدون الايمان لانهم طبعوا على الكفر (بالآخرة) أى المشتعلة على
 البعث والعذاب (فى العذاب) أى فى الآخرة (والضلال البعيد) أى عن الصواب فى
 الدين افرده الله تعالى عليهم ترديدهم وأثبت لهم سبحانه ما هو أقطع من القسمن فقوله تعالى بل
 الذين كفروا فى العذاب فى مقابلة قولهم أفترى على الله كذبا وقوله تعالى والضلال البعيد
 فى مقابلة قولهم أم به جنة وكلاهما مناسب أما العذاب فلان نسبة الكذب الى الصادق مؤذالى
 أنه شهادة عليه بأنه يستحق العذاب فجعل العذاب عليهم حيث نسبوا الكذب الى البرى وأما
 الضلال فلان نسبة الجنون الى العاقل دونه فى الابداء فإنه لا يشهد عليه بأنه يعذب وانما ينسبه
 الى عدم الهداية فبين تعالى انهم هم الضالون ثم وصف ضلالهم بالبعد ووصف الضلال به
 للاسناد المجازى لأن من يسمى المهدي ضالا يكون أضل والنبي صلى الله عليه وسلم هادى كل
 مهتد • ولما ذكر تعالى الدليل على كونه عالم الغيب وكونه مجازيا على السبب والحسنات
 ذكر دليلا آخر فيه التهديد والتوحيد بقوله تعالى (أفلم يروا) أى ينظروا (الى ما بين أيديهم)
 أى امامهم (وما خلفهم) وذلك اشارة الى جميع الجواب من كلا الخافقين فقوله تعالى
 (من السماء والارض) دليل التوحيد فانهم ما يدلان على الوحدةانية ويدلان على الحشر
 والاعادة لانهم ما يدلان على كمال القدرة لقوله تعالى أوليس الذى خلق السموات والارض
 بقادر على أن يخلق مثلهم وأما دليل التهديد فقوله تعالى (ان نشأ) أى بما لنا من العظمة
 (نخسف بهم الارض) أى كما فعلنا بقارون وذويه لانه ليس نفوذ بعض أفعالنا فيه بأولى من
 غيره (أو نسقط عليهم كسفا) أى قطعنا (من السماء) فنهلكهم بها وقرأ حفص بفتح السين
 والباقون بسكونها • (تنبيه) • فى قوله تعالى أفلم يروا الرأيان المشهوران قدره الزمخشرى
 أفعصوا أفلم يروا وغيره يدعى أن الهمزة مقدمة على حرف العطف وقوله من السماء بيان
 الموصول فيعلق بمحذوف ويجوز أن يكون حالا فيعلق به أيضا قبله وشم حال محذوف تقديره
 أفلم يروا الى كذا مذهبهم ورائدنا ومحيطا بهم ففعلوا انهم حيث كانوا فان أرضى وسمانى
 محيطة بهم لا يخرجون من أقطارها وأنا القادر عليهم وقرأ جزة والكسافى ان يث يخسف
 بهم الارض أو يسقط بالياء فى الثلاثة كقوله تعالى افترى على الله كذبا والباقون بالنون وأدغم
 الكسافى الفاء فى الباء وأظهرها الباقيون (ان فى ذلك) أى فيما ترون من السماء والارض
 (آية) أى علامة بينة تدل على قدرتنا على البعث (لكل عبد) أى متحقق انه مرئوب ضعيف
 مسخر لما يرد منه (منيب) أى فيه قابلية الرجوع الى ربه بقلبه • ولما ذكر تعالى من ينسب
 من عباده وكان من جملتهم داود عليه السلام كما قال ربه فاستغفر ربه وخزرا كما وأتاب ذكره
 بقوله تعالى (ولقد آتينا) أى أعطينا اعطاء عظيما دالا على نهاية المصنعة بما لنا من العظمة
 (داود من فضلا) أى النبوة والكتاب والملأ أوجيع ما أوفى من حسن الصوت وتلين الحديد
 وغير ذلك مما خص به وهذا الاخير أولى • (تنبيه) • قوله تعالى منافيه اشارة الى بيان

فضل داود عليه السلام لان قوله تعالى ولقد آتينا داود مننا فضلا مستقل بالمفهوم وناتم كما
 يقول القائل آتى الملك زيدا خلعة فاذا قال القائل آتاه منه خلعة بفسدانه كان من خاص ما
 يكون له فكذلك آتاه الله تعالى الفضل عام لكن التوبة من عنده خاص بالبعض وتطهيره
 قوله تعالى يبشرهم ربهم برحمة منه ورضوان فان رحمة الله تعالى واسعة تصل الى كل أحد
 لكن رحمة في الآخرة على المؤمنين رحمة من عنده تلواصه وقوله تعالى (يا جبال)
 محكي بقول مضمون ثم ان شئت قدرته مصدرا ويكون بدلا من فضل على جهة تفسيره به كأنه
 قيل آتياه فضلا قولنا يا جبال وان شئت قدرته فعلا وحينئذ ذلك وجهان ان شئت جعلته
 بدلا من آتيناه معناه آتينا قلنا يا جبال وان شئت جعلته مستأنفا (أوبى) أى رجعى (معه)
 بالتسبيح اذا سجع أمر من التأويب وهو الترجيع وقيل التسبيح باللغة الحبشة وقال العيني
 أصله من التأويب فى السير وهو أن يسير النهار كله وينزل ليللا كأنه يقول أوبى النهار
 كله بالتسبيح معه وقال وهب نوحى معه وقيل سبى معه وقوله تعالى (والطير) منصوب
 بإجماع القراء السبعة واختلف فى وجه نصبه على أوجه أحدها أنه عطف على محل جبال لانه
 منصوب تقديره لان كل منادى فى موضع نصب الثانى أنه عطف على فضلا قاله الكسافى
 ولا بد من حذف مضاف تقديره آتيناه فضلا وتسبيح الطير الثالث انه منصوب باضمار فعل أى
 وسهر ناله الطير قاله أبو عمرو (تنبيه) لم يكن الموافق له فى التأويب منحصرا فى الطير والجبال
 ولكن ذكر الجبال لان الصغور للعمود والطير للنفور وكلاهما تستبعد منه الموافقة فاذا
 وافقته هذه الاشياء فغيرها أولى ثم من الناس من لم يوافقهم القاسية قلوبهم التى هى أشد
 فسوة قال المفسرون كان داود عليه الصلاة والسلام اذا نادى بالياحة اجابته الجبال بصداها
 وعكفت الطير عليه من فوقه فصدى الجبال الذى يسمعه الناس اليوم من ذلك وقيل كان داود
 اذا تخلى الجبال فسبح الله جعلت الجبال تجاوبه بالتسبيح نحو ما يسبح وقيل كان داود اذا لحقه
 فتوراسمعه الله تسبيح الجبال تشيطاله وقال وهب بن منبه كان يقول للبعال سبى وللطير أجيبى
 ثم يأخذ فى تلاوة الزبورين تلك بصوته الحسن فلا يرى الناس منظر أحسن من ذلك ولا يسمعون
 شيئا أطيب منه وذلك كما كان الحصى يسبح فى كف نبينا صلى الله عليه وسلم وكف أبى بكر وعمر
 رضى الله عنهم وكما كان الطعام يسبح فى حضرة الشريفة وهو يؤكل وكما كان الحجر يسلم عليه
 وأسكفة الباب وحوائط البيت تؤمن على دعائه وحنين الجذع مشهور وكما كان الضب يشهد
 له والجل يشكو اليه ويسجد بين يديه ونحو ذلك وكما جاء الطائر الذى يسمى الحرة تشكو الذى
 أخذ يضيها فأمره النبي صلى الله عليه وسلم برده رحمة لها ولما ذكر تعالى طاعة أكنف الارض
 وأطاف الحيوان الذى أنشأه الله تعالى منها ذكروا كسبهاته وتعالى ما أنشأه من ذلك الا كنف وهو
 أصلب الاشياء بقوله تعالى (وأناله الحديد) أى الذى ولداه من الجبال جعلناه فى يده كالشمع
 والعجين يعمل منه ما يشاء من غير نار ولا ضرب مطرقة وذلك فى قدرة الله تعالى يسير وكان
 سبب ذلك ما روى فى الاخبار أن داود عليه السلام لما ملك بنى اسرائيل كان من عادته أن يخرج

للناس مشكور اذا رأى رجلاً لا يعرفه تقدم اليه يسأله عن داود ويقول له ما تقول في داود
 واليكم هذا أي رجل هو فيثنون عليه ويقولون خير افيض الله تعالى له ملكاً في صورة آدمي
 فلما رآه داود تقدم اليه على عادته يسأله فقال الملك نعم الرجل هو لولا خصله فيه فراع داود ذلك
 وقال ماهي يا عبد الله فقال انه يأكل ويطعم عياله من بيت المال قال تقببه لذلك وسأل الله تعالى
 أن يسبب له سبباً يستغني به عن بيت المال بتقوت منه ويطعم عياله قالن الله الحديد وعلمه صنعة
 الدروع وانه أول من اتخذها يقال انه كان يبيع كل درع بأربعة آلاف درهم فبأكل ويطعم منها
 عياله ويتصدق منها على الفقراء والمساكين ويقال انه كان يعمل كل يوم درعاً يبيعه بستة
 آلاف درهم فينتقي منها ألفين على نفسه وبياله ويتصدق بأربعة آلاف درهم على فقراء بني
 اسرائيل واذا اختار الله تعالى لذلك لانه وقاية للروح التي هي من أمره ويحفظ الادمي المكترم
 عند الله تعالى من القتل فالزناد خير من القواس والسيف وغيرهما لان القوس والسيف
 وغيرهما من السلاح ربما يستعمل في قتل النفس المحرمة بخلاف الدرع قال صلى الله عليه وسلم
 كان داود عليه السلام لا يأكل الا من عمل يده ثم ذكر سبحانه وتعالى علة الالانة بصيغة الامر
 اشارة الى أن عمله كان لله تعالى بقوله عز من قائل (أن اعمل سابقات) أي دور وعاطو والواسعات
 يجرها لا بسها على الارض وذكر الصفة يعلم منها الموصوف واختلف في معنى قوله سبحانه وتعالى
 (وقدر في السرد) أي نسج الدروع يقال لصانعه الزراد والسراد فصيل قدر المسامير في حلق
 الدروع أي لا تجعل المسامير غلاظاً فتكسر الحلق ولادفاً فتثقل فيها ويقال السرد المسامير
 في الحلقة يقال درع مسرودة أي مسهورة الحلق وقدر في السرد اجعله على القصد وقدر
 الحاجة وقيل اجعل كل حلقة مساوية لاختراع كونها ضيقة ثلاثاً تقدمها سهم ولتكن
 في ثمتها بحيث لا يقطعها سيف ولا تنقل على الدراع فتعجز خفة التصرف وسرعة الانتقال
 في الكثر والفر والطعن والضرب في البرد والحر والظاهر كما قال البقاعي انه لم يكن في حلقتها
 مسامير لعدم الحاجة بالانة الحديد اليها والالم يكن بينه وبين غيره فرق ولا كان للالانة كبير فائدة
 وقد أخبر بعض من رأى مانسب اليه بغير مسامير وقال الرازي يحتمل أن يقال السرد هو عمل
 الزرد وقوله تعالى وقدر في السرد أي انك غير مأمور به أمر ايجاب انما هو اكتساب والكسب
 يكون بقدر الحاجة وباقي الايام والليالي للعبادة فقد در في ذلك العمل ولا تشتغل بجميع أرفائك
 بالاكسب بل حصل به القوت فحسب ويدل عليه قوله تعالى (واعملوا الصالحات) أي اسلم مخلوقين
 الالعمل الصالح فاعلوا ذلك واكثروا منه وأما الكسب فقد رافيه ثم أكد طلب الفعل الصالح
 بقوله تعالى (أني بما تعملون بصير) أي مبصر فأجاز بكم به يريد بهذا داود وآله (تبيينه)
 كما أن الله تعالى لداود عليه السلام الحديد لأن لبيبا صلى الله عليه وسلم في الخندق تلك
 السكينة وذلك بعد ان لم تكن المعاول تعمل فيها وبلغت غاية الجهد منهم فضر بها رسول الله
 صلى الله عليه وسلم ضربة واحدة وفي رواية رث عليها ما فعدت كتيبا أهبل لا ترد فأسا وتلك
 العضة التي أخبره سلمان عنها أنها كسرت فوسهم ومعاولهم وعجزوا عنها فضر بها أصلى الله

عليه وسلم ثلاث ضربات كسرى كل ضربة ثلاثمائة و برقت مع كل ضربة برقة كبره معها تكبيرة
وأضأت للصحابة رضى الله تعالى عنهم ما بين لابقى المدينة بحيث كانت في النهار كأنها مصباح
في جوف بيت مظلم فسألوه عن ذلك فأخبرهم صلى الله عليه وسلم أن إحدى الضربات أضأت له
صنعاء من أرض اليمن حتى رأى أبوابها من مكانه ذلك وأخبره جبريل عليه السلام أنها ستفتح على
أمته وأضأت له الأخرى قصور الحيرة البيض كأنها أبواب الكلاب وأخبر أنها مفتوحة لهم
وأضأت له الأخرى قصور الشام الحمر كأنها أبواب الكلاب وأخبر بفتحها عليهم فصدق الله تعالى
في جميع ما قال وأعظم من ذلك تصلب الخشب له عليه السلام حتى صار سيفاً أقوى من الحديد
الحديدية وذلك أن سيف عبد الله بن جحش انقطع يوم أحد فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم
عرجونا فصارت يده سميماً فأعماه منه فقاتل به فكان يسمى العرجون ثم لم يزل عنده يشهد به
المشاهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعده حتى قتل وهو عنده وعن الواقدي أنه انكسر
سيف سلمة بن أسلم يوم بدر فأعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم قضيباً كان في يده من عراجين
وطاب فقال اضرب به فإذا هو سيف جيد فلم يزل عنده حتى قتل والحام داود اللخمي ليس بأعجب
من الحام النبي صلى الله عليه وسلم ليد معوذتين عفر لما قطعها أبو جهل يوم بدر فأتى بها يحملها
في يده الأخرى فصق عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم وألقها فاصقت وصحمت مثل أختها كما
نقله البيهقي وغيره ومجربته صلى الله عليه وسلم لا تنحصر وإنما ذكر بعضنا بركاب ذكره صلى الله عليه
وسلم وأسأل الله تعالى أن يحشرنا في زمرة من يفعل ذلك بأهلينا ومحبينا * ولما أتم الله تعالى
المراد من آيات داود عليه السلام أتبعها بعض آيات ابنه سليمان عليه الصلاة والسلام لمشاركته
في الأنابة بقوله تعالى (ولسليمان) أي عوضاً عن الخليل التي عقرها الله تعالى (الريح) قرأ شعبة
الريح بالرفع على الاستثناء والخبر في الجار قبله ومحذوف والباقي بالنصب باضمار فصل أي
وتخبرنا (غدتوها) أي سيرها من الغدوة بمعنى الصباح إلى الزوال (شهر) أي تحمله وتذهب به
وبجميع عسكره من الصباح إلى نصف النهار مسيرة شهر (ورواحها) أي من الزوال إلى الغروب
(شهر) أي مسيرته فكانت تسير به في يوم واحد مسيرة شهرين قال الحسن كان يغدو من دمشق
فيقتبل باصطخر وينتهي مسيرة شهر للراكب المسرع وهذا كما حضّر الله تعالى الريح لنبينا صلى
الله عليه وسلم في غزوة الأحزاب فكانت تهديهم وتضرب وجوههم بالتراب والحجارة وهي
لا تجاوز عسكرهم إلى أن هزمهم الله تعالى بها وكما حلت شخصين من الصحابة رضى الله تعالى
عنهم في غزوة تبوك فآلةتهما يجيئ طهي وتحمّل من أراد الله تعالى من أولياء أمته كما هو في غاية
الشهرة ونهاية الكثرة وأما أمر الأسراء والمعراج فهو من الجلالة والعظم بحيث لا يعلمه إلا الله
تعالى مع أن الله تعالى صرفه في آيات السماء بحسب المطر نارة وإرساله أخرى * ولما ذكر تعالى
الريح أتبعها ما هو من أسباب تكوينه بقوله تعالى (وأرسلنا) أي أذننا بالثامن العظيمة
(له عين القطر) أي الحام حتى صار كأنه عين ماء فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن بخرى الماء
وعمل الناس إلى اليوم مما أعطى سليمان (ومن الجن) أي الذي سترناهم عن العيون من

الشياطين وغيرهم عطف على الريح أى وسخر ناله من الجن (من يعمل بين يديه) أى قد أمكنه الله
 تعالى منهم غاية الامكان في غيبته وحضوره (بأذن) أى بأمر (ربه) أى بمكين المحسن اليه
 (ومن ريغ) أى عيل (منهم عن أمرنا) أى عن أمره الذى هو من أمرنا (نذقه من عذاب السعير)
 أى النار أى في الآخرة وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منها ضربة يحرقه وهذا كما أمكن
 نبينا صلى الله عليه وسلم من ذلك العفريت الخنقة وهم تربطه حتى تلعب به صبيان المدينة ثم تركه
 تأذ بامع أخيه سليمان عليه السلام فيما سأل الله تعالى فيه وأما الأعمال التى يدور عليها إقامة
 الدين فأغناه الله تعالى فيها عن الجن بالملائكة الكرام عليهم السلام وسلط جمعاً من جهائمه على
 جماعة من هرمة الجن منهم أبو هريرة رضى الله تعالى عنه لما وكاه النبي صلى الله عليه وسلم يحفظ
 زكاة رمضان ومنهم أبي بن كعب قبض على شخص منهم كان يسرق من غره وقال لقد علمت الجن
 ما فيهم من هو أشد مني ومنهم معاذ بن جبل لما جعله النبي صلى الله عليه وسلم على صدقة المسلمين
 فأناه شيطان يسرق وتصور له صور منها صورة قبل فضبطه والتفت يده عليه وقال له يا عدو
 الله فشككنا لافتر وأخبر أنه من جن نصيبين وانهم كانت لهم المدينة فلما بعث النبي صلى الله
 عليه وسلم أخرجهم منها وسأله أن يحلى عنه على أن لا يعود ومنهم بريدة ومنهم أبو أيوب الانصارى
 رضى الله تعالى عنه ومنهم زيد بن ثابت رضى الله تعالى عنه ومنهم عمر بن الخطاب رضى الله
 تعالى عنه صارع الشيطان فصصره عمر ومنهم عمار بن ياسر قاتل الشيطان فصصره عمار
 وأدعى أنف الشيطان بجحرد كذلك البيهقي في الدلائل وأما عين القطر فهى مما تضمنه قول
 النبي صلى الله عليه وسلم أعطيت مفاتيح خزائن الأرض والملك في الدنيا والخلد فيها ثم الجنة
 فاخترت أن أكون نبيا عبدا أجوع يوما وأشبع يوما الحديث فشمل ذلك اللؤلؤ الرطب الى عين
 الذهب المصنى الى مادون ذلك وروى الترمذى وقال حسن عن أبي أمامة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم قال عرض على ربى ليجعل لى بطحما مكة ذهبا قلت لا يا رب ولكن أجوع يوما وأشبع
 يوما فاذا جعت تضربت اليك وشكرتك واذا شبعت شكرتك وجدتك وللطبراني بإسناد
 حسن عن ابن عباس ان اسرافيل أتى النبي صلى الله عليه وسلم بمفاتيح خزائن الأرض وقال
 ان الله أمرنى ان أعرض عليك ان تسير معك جبال تهامة زمرذا وياقوتا وذهبا وفضة فان
 شئت نياملكا وان شئت نبيا عبدا فأومأ الى جبريل عليه السلام أن تواضع فقال نبيا عبدا
 ورواه ابن حبان في صحيحه مختصرا من حديث أبي هريرة وفي الصحيح عن جابر بن عبد الله قال
 قال رسول الله صلى الله عليه وسلم أتيت بقاليد الدنيا على فرس أبلق على قطيفة من سندس
 وفي البخارى في غزوة أحد عن عتبة بن عامر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال أعطيت مفاتيح
 خزائن الأرض وأمفاتيح الأرض هذا ما يتعلق بالأرض وقد زيد صلى الله عليه وسلم على ذلك بأن
 أيده ربه سبحانه بالتصرف في خزائن السماء نارة يشق القمر ونارة برجم النجوم ونارة باختر اق
 السموات ونارة بجبس المطر ونارة بارسالة الى غير ذلك مما قد أكرم الله تعالى به محمدا لا يحيط به الا الله
 عز وجل صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأزواجه وذريته وأصحابه وحشرونا ومحبينا بهم في دار

كرامته • ولما أخبر تعالى أنه سخر لسليمان الجن ذكر حالهم في أعمالهم بقوله تعالى (يعملون له) أي في أي وقت شاء (ما يشاء) أي عمله (من محارب) أي أبنية من نفعه غير مساجد جديدة عليها بدرج سميت بذلك لأنها يذب عنها ويحارب عليها ومساجد والحراب مقدم كل مسجد ومجلس وبيت وكان مما عملوه له بيت المقدس ابتداء داود عليه السلام ورفعاه قامة رجل فأوحى الله تعالى إليه أني لم أقض ذلك على يديك ولكن ابن لك اسمه سليمان عليه السلام أقضى تمامه على يديه فلما توفاه الله تعالى استخلف سليمان عليه السلام فأحب أن يقيم بيت المقدس فجمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فخص كل طائفة منهم بعمل يستصلحه له فأرسل الجن والشياطين في تحصيل الرخام والمها الأبيض من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصفائح وجعلها اثني عشر ريبضاً وأرسل على كل ريبض سبطاً من الأسباط وكانوا اثني عشر سبطاً فلما فرغ من بناء المدينة ابتداء في بناء المسجد فوجه الشياطين فرقا يستخرجون الذهب والفضة والياقوت من معادنها والدر الصافي من البحر وفرقا يقتلعون الجواهر من الحجارة من أماكنها وفرقا يأتونه بالمسك والعود وسائر الطيب من أماكنها فأتى من ذلك بشي لا يحصىه إلا الله تعالى ثم أحضر الصناع وأمرهم بنصب تلك الحجارة المرفوعة وتصويرها ألواناً واصلاح تلك الجواهر وثقب الياقوت واللاكي فبنى المسجد بالرخام الأبيض والاصفر والاحضر وعمده بأساطين المها الصافي وسقفه بالوانح الجواهر الثمينة وفصص سقفه وحيطانه باللاكي والياقوت وسائر الجواهر وبسط أرضه بالوانح الفير وزج فلم يكن يومئذ في الأرض بيت أبهى ولا أنور من ذلك المسجد وكان بضئ في الظلمة كالنجم ليلة البدر فلما فرغ منه جمع أخبار بني اسرائيل فأعلمهم أنه يشاء الله تعالى وإن كل شيء فيه خالص لله تعالى واتخذ ذلك اليوم الذي فرغ منه عيداً لله تعالى روى عبد الله بن عمرو بن العاص عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لما فرغ سليمان من بناء بيت المقدس سال ربه ثلاثاً فأعطاه اثنتين وأنا أرجو أن يكون أعطاه الثالثة سأله حكماً يصادف حكمه فأعطاه إياه وسأله مالا لا ينبغي لأحد من بعده فأعطاه إياه وسأله أن لا يأتى هذا البيت أحد يصلي فيه ركعتين إلا خرج من ذنوبه كيوم ولدته أمته وأنا أرجو أن يكون قد أعطاه ذلك قالوا فلم يزل بيت المقدس على ما بناه سليمان حتى غزا مجتصر فخر المدينة وهدمها وانتقض المسجد وأخذ ما كان في سقوفه وحيطانه من الذهب والفضة والدر والياقوت وسائر الجواهر إلى دار ملكه من أرض العراق وبني الساطين باليمن لسليمان حصونا كثيرة عجيبة من الصخر (ونماثل) جمع تماثيل وهو كل شيء مثله بشي أي كانوا يعملون له تماثيل أي صوراً من نحاس وزجاج ورخام ونحو ذلك (فان قيل) كيف استجاز سليمان عليه السلام عمل التصاوير * (أجيب) • بأن هذا مما يجوز أن تختلف فيه الشرائع لأنه ليس من مقبحات العقل كالظلم والكذب وعن أبي العالية لم يكن اتخاذ التصاوير إذا ذك محرمًا ويجوز أن تكون غير صور الحيوان كصور الانبياء ونحوها لأن التمثال كل ما صور على مثل صورة غيره من حيوان وغير حيوان أو بصور محدوفة الرؤس روى أنهم عملوا له أسدين في أسفل كرسيه ونسرين في أعلاه

فإذا أراد أن يصعد بسط الاسدان له ذراعيهما وإذا قعد أظله التمران بأجنحتهما وقيل كانوا
 يتخذون صور الانبياء والملائكة والصالحين في المساجد ليراها الناس فيزدادوا عبادة قيل ان
 هذا كان أول الامر فلما تقدم الزمن قال لهم ابليس ان اياهكم كانوا يعبدون هذه الصور فعبدوا
 الاصنام ولم تكن التصاور ممنوعة في شرعهم كما أن عيسى عليه السلام كان يتخذ صوراً من
 الطين فينفخ فيها فتكون طيراً (وجفان) أى قصاع وصحاف يؤكل فيها واحدة بها جفنة
 (كالحواشي) جمع جابية وهي الحوض الكبير يجي إليه الماء أى يجتمع يقال كان يجلس على
 الجفنة الواحدة ألف رجل يأكلون منها وقرأ ورش وأبو عمرو بابيات الباء بعد الباء الموحدة
 في الوصل دون الوقف وابن كثير بابياتها وقفاً ووصلاً والباون بالحدف وقفاً ووصلاً * ولما
 ذكر القصاع على وجهه يتعجب منه ذكر ما يطبخ فيه طعام تلك الجفان بقوله تعالى (وقدور
 راسيات) أى نباتات نباتاً عظيماً لانهم الكبرها كالجبال لها قوائم لا يحرك عن أماكنها العظمهن
 ولا يدان ولا يعطن وكان يصعد عليهن بالسلام وكانت بالين * ولما ذكر المساكن وما يتبعها أتبعها
 الامر بالعمل بقوله تعالى (اعملوا) أى وقلنا لهم اعملوا أى تمتعوا واعملوا ودل على مزيد قهرهم
 بحذف أداة النداء وعلى شرفهم بالتعير بالآل بقوله تعالى (آل داود) وقوله تعالى (شكراً)
 يجوز فيه أوجه أحدها أنه مفعول به أى اعملوا الطاعة بحسب الصلاة ونحوها شكر السادة
 مسته ثانياً أنه مصدر من معنى اعملوا كأنه قال اشكروا واشكروا بعمليكم أو اعملوا عمل شكر
 ثالثاً أنه مفعول من أجله أى لأجل الشكروا وتصبر على هذا البقاع رابعاً أنه مصدر واقع
 موقع الحال أى شاكرين خامساً أنه منصوب بفعل مقدر من لفظه تقديره واشكروا واشكروا
 سادساً أنه صفة لمصدر اعملوا تقديره اعملوا اعلوا شكرى أى ذا شكر * (تنبيه) * كما قال تعالى
 عقب قوله سبحانه أن اعملوا الصالحات قال عقب ما تامله الخ لعلوا آل داود شكر
 إشارة إلى أنه لا ينبغي أن يجعل الانسان نفسه مستغرقة في هذه الاشياء وانما الاكثار من العمل
 الصالح الذي يكون شكراً وقوله تعالى (وقليل) خبر مقدم وقوله تعالى (من عبادة) صفة له
 وقوله تعالى (الشكور) مبتدأ والمعنى ان العامل بطاعتي المتوفرا الدواعي بظاهره وباطنه من
 قلبه ولسانه ويديه على الشكر بان يصرف جميع ما أنعم الله تعالى به عليه فيما رضى به قليل ومع ذلك
 لا يوفي حقه لأن توفيقه للشكر نعمة تستدعي شكراً آخر لا إلى نهاية ولذلك قيل الشكور من يرى
 عجزه عن الشكر وعجز بصيغته فقول إشارة إلى أن من يقع منه مطلق الشكر كثير وأقل ذلك حال
 الاضطراب وقيل المراد من آل داود عليه السلام هو داود نفسه وقيل داود وسليمان وأهل بيتهما
 عليهم السلام قال جعفر بن سليمان سمعت ثابتاً يقول كان داود عليه السلام نبي الله صلى الله عليه
 وسلم قد جزأ ساعات الليل والنهار على أهل فلم تأتى ساعة من ساعات الليل والنهار الا وانسان
 من آل داود عليه السلام قائم يصلي وقال صلى الله عليه وسلم في صلاة النافلة أفضل الصلاة
 صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقال في صوم التطوع أفضل الصيام
 صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وروى عن عمر رضى الله عنه أنه سمع رجلاً يقول اللهم

اجعلني من القليل فقال عمر ما هذا الدعاء فقال اني سمعت الله يقول وقليل من عبادي الشكور
فانا ادعوه ان يجعلني من ذلك القليل فقال عمر كل الناس اعلم من عمر * ولما كان الموت مكتوبا
على كل أحد قال تعالى (قلنا قضيها) وحقق صفة القدرة بأداة الاستعلاء بقوله تعالى (عليه)
أي سليمان عليه السلام (الموت) قال أهل العلم كان سليمان يتحدث في بيت المقدس السنة
والسنتين والشهر والشهرين وأقل من ذلك وأكثر فدخل فيه ومعه طعامه وشربه فلما دنا
أجله لم يصبج الارأى في محرابه شجرة نابتة قد أنطقها الله تعالى فساء لها ما اسمك ففقول كذا
وكذا فيقول لاى تى خلقت ففقول لكذا وكذا فيؤمر بها فتتلع فان كانت تثبت لغرس
غرسها وان كانت تثبت لدواء كتب ذلك حتى نبت الخروبة فقال لها ما أنت قالت الخروبة قال
لاى شى تثبت قالت لخراب مسجدك قال عليه السلام ما كان الله ليخر به وأنا شى أنت التى
على وجهك هلاكى وخراب بيت المقدس فترعها وغرسها فى حائطه ثم قال اللهم عم على الجن موى
حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب لانهم كانوا يسترقون السمع ويعوّهون على الناس
أنهم يعلمون الغيب وقال ملك الموت اذا أمرت بي فأعلمني فقال أمرت بك وقد بقيت من عمرك
ساعة فدعا الشياطين فبنوا عليه صرحا من قوارير ليس له باب فقام يصلى متكئا على عصاه
فتقبض الله روحه وهو متكئ عليها وكانت الشياطين تجتمع حول محرابه أينما صلى وكان
للمعرب كوى بين يديه وخلفه فكانت الجن تعمل الاعمال الشاقة التى كانوا يعملونها فى حياته
وينظرون الى سليمان عليه السلام فيرونه قائما متكئا على عصاه فيحسبون به حيا فلا ينكرون خروجه
الى الناس لطول صلاته فكثروا يدأبون له بعد موته حولا كاملا حتى أكلت الارضة عصا سليمان
فخرميتا ففعلوا عنه حينئذ كما قال تعالى (ماد لهم على موته الادابة الارض) أى الارضة لانا جعلنا
لهن سعة العلم وفورا الهبة ونفوذ الامر ما تمكن به من اخفاء و عنهم (تا كل منسأته)
قال البخارى يعنى عصاه فالتسأه العصا اسم آله من تسأه آخره كالكمسة والمكسة من تسأت
الغنم أى زجرتها وسقتها ومنه تسأ الله فى أجله أى أخره وقرأ نافع وابو عمرو وبعد السنين
بالف وابن ذكوان بعد السنين بهمزة ساكنة والباقون بهمزة مفتوحة بعد السنين فاذا
وقف حمزة سهل الهمزة وقيل لم يكن شيطان ينظر اليه فى صلاته الا حرق فتر به شيطان فلم
يسمع صوته ثم رجع فلم يسمع فنظر فاذا سليمان قد خر ميتا ففعلوا عنه فاذا العصا قد أكلتها الارضة
(فما خر) أى سقط على الارض بعد أن قصت الارضة عصاه (تيفت الجن) أى علمت علما
بيننا لا يقدرون معه على تدبير وتليبس وانفضح أمرهم وظهر ظهورا تاما (ان) أى أنهم
(لو كانوا) أى الجن (يعلمون الغيب) أى علمه (مالبتوا) أى أقاموا حولا (فى العذاب
المهين) من ذلك العمل الذى كانوا يصنرون فيه ويجوز أن تكون أن تعليمة ويكون التقدير
بين حال الجن فيما يقن بهم من أنهم يعلمون الغيب لانهم الخ وسبب علمهم مدة كونه ميتا قبل ذلك
أنهم وضعوا الارضة على موضع من العصا فاكلتها ما وليلة مقدار وحسبوا على ذلك
النحو فوجدوا المدة تسة قال ابن عباس فشكر الجن الارضة فهم بأوتهم بالمال والطين فى جوف

الخشب * (تنبيه) * قد تقدم أن كل شيء أثبت لمن قبل نبينا صلى الله عليه وسلم من الانبياء عليهم السلام من الخوارق ثبت له مثله أو أعظم منه أماله نفسه أو لأحد من أمته وهذا الذي ذكر سليمان عليه السلام من حفظه بعد موته سنة لا يعلم قد ثبت مثله لشخص من هذه الامة من غير شيء يعتمد عليه قال القشيري في رسالته في باب أحوالهم عند الخروج من الدنيا وقال أبو عمران الاضطخري رأيت أبا زب في البادية قائما ميتا لا يمسه شيء انتهى * (فائدة) * روى ان سليمان عليه السلام كان عمره ثلاثا وخسين سنة ومدة ملكه أربعون سنة وملك يوم ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة وابتدأ في بناء بيت المقدس لاربعة سنين مضين من ملكه وروى ان داود عليه السلام أسس بناء بيت المقدس في موضع فسطاط موسى عليه السلام فبات قبل أن يتم فوصى به الى سليمان عليه السلام فأمر الشياطين بإتمامه * ولما بقي من عمله سنة سأل الله تعالى أن يعمر عليهم موته حتى يفرغوا منه وليبطل دعواهم علم القيب وروى ان افرديون جاء ليصعد كرسيه فلما دنا منه ضرب الاسدان ساقه فكسرها فلم يجسر أحد بعد يدينونه * ولما بين تعالى حال الشاكرين لنعمة بذكر داود وسليمان عليهما السلام بين حال الكافرين لانعمه بحكمة أهل سبأ فقال تعالى (أتدكان لسبأ) أي القبيلة المشهورة روى أبو سبرة النخعي عن أبي قرة بن مسيك القطيعي قال قال رجل يارسل الله اخبرني عن سبأ كان رجلا أو امرأة أو أرضا قال كان رجلا من العرب وله عشرة من الولد تسام منهم ستة وتسام منهم أربعة فأما الذين تيامنوا فكندة والاشعريون والازد ومذحج وانمار وجير فقال رجل وما انمار قال الذين منهم خشم وبجيلة وأما الذين تشاء موافقهم وجدادهم وعسان وسبأ يجمع هذه القبائل كلها والجهور على أن جميع العرب ينقسمون الى قسمين خطاينة وعدناينة فالخطاينة شعبان وسبأ وحضر موت والعدناينة شعبان ربيعة ومضر وأما قضاة فختلف فيها فبعضهم نسبها الى قحطان وبعضهم الى عدنان قيل ان قحطان أول من قيل له أنم صباحا وأبى اللعن قال بعضهم وجميع العرب منسوب الى اسمعيل بن ابراهيم وليس بصحيح فان اسمعيل عليه السلام نشأ بين جرهم بمكة وكانوا عربا والصحيح ان العرب العاربة كانوا قبل اسمعيل عليه السلام منهم عاد وثمود وطسم وجديس وأهم وجرهم والعماليق يقال ان أحما كان ملكا ويقال انه أول من سقف البيوت بالخشب المنشور وكانت الفرس تسماه آدم الاصفر وبنوه قبيلة يقال لها وباركوا بآرام أسأله الله عليهم فأهلكهم وطعم منها لهم وفي ذلك يقول بعض الشعراء

وكردهر على وبار * فهلكت عنوة وبار

واسم سبأ عبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان وسمي سبأ قيل لانه أول من سبأ في العرب قاله السهيلي ويقال انه أول من تتوج وذ كره بعضهم انه كان مسلما وله شعر يشير فيه بوجود النبي صلى الله عليه وسلم وقال في سليمان عليه السلام

سملك بعد ناملك عظيم * نبي لا يرخص في الحرام

وملك بعد منهم ملوك * يدينوه القياذيل كل دامي

ويملك بعدهم منامولك * يصير الملك فينا بانقسام
ويملك بعده قطان نبي * تقي تحبب خير الانام
يسمى أحدا باليت اني * أعمر بعد مبعثه بعام
فأعضده وأحبوه بنصري * بكل مدح وبكل راحي
متى يظهر فكونوا نصريه * ومن يلقاه يبلغه سلامي

وقرأ البري وأبو عمر وبعد الموحدة بهم حزمة مفتوحة من غير تنوين لانه صار اسم قبيلة وقبيل
بهمزة قسامة والباقون بهمزة مكسورة ممنونة واذا وقف جزوهشام أبد لا الهزمة الفاولهما
أيضا الروم مع التسهيل وقرأ (في مساكنهم) أي التي هي في غاية الكثرة حزمة وحنص بسكون
السين وفتح الكاف ولأنف بينهما اشارة الى انه الشدة اتصال المنافع والمراق كالسكن
الواحد وقرأ الكسائي كذلك لأنه يكسر الكاف والباقون بفتح السين وألف بعدهما وكسر
الكاف اشارة الى أنها في غاية الملايعة لهم واللين وكانت بأرض مأرب من بلاد اليمن
قال جزء الكرمانى قال ابن عباس على ثلاثة فرائخ من صنعاء (آية) أى علامة
ظاهرة على قدرتنا ثم فسر الآية بقوله تعالى (جنات عن يمين وشمال) أى عن يمين الوادى
وشماله قد أحاطت الجنات بذلك الوادى وقيل عن يمين من أناهما وشماله (فان قيل) كيف
عظم الله تعالى جنتي أهل سببا وجعلهما آية ورب قرية من قرى العراق يحف بها من الجنات
ماشت (أجيب) بأنه لم يرد بستانين اثنين فحسب وانما أراد جمعيتين من البساتين جماعة
عن يمين بلدتهم وأخرى عن شمالها وكل واحدة من الجمعيتين في تقاربها ونضامتها كأنها
جنة واحدة كما تكون بلاد الريف العامرة وبساتينها أو أراد بستانى كل رجل منهم عن يمين
مسكنه وشماله كما قال تعالى جعلنا لآحدهما جنتين من أعناب فكانت أخصب البلاد
وأطيبها وأكثرها ثم أراح حتى كانت المرأة تضع على رأسها مكملة لآفة طوف به بين الاشجار
فيعلى المكل من جميع أنواع الفواكه من غير أن تمس شيئا بيدها مما يساقط فيه من الثمر
وقوله تعالى (كلوا من رزق ربكم) أى المحسن اليكم الذى أخرج لكم منهما ما تشتهون
(واشكروا له) أى خصوه بالشكر بالعمل في كل ما رضى به ليدم لكم النعمة حكاية لما قال
لهم فيهم أولسان الحال أو دلالة بأنهم كانوا أحقاء بأن يقال لهم ذلك ثم استأنف تعظيم ذلك
بقوله (بلادة طيبة) أى حسنة التربة ليس بها سباح حسنة الهواء سليمة من الهوام ليس فيها
بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية عير الغريب بها وفي ثيابه القمل فيوت من
طيب هوائها وأشار الى انه لا يقدر أحد أن يقدره حق قدره بقوله تعالى (ورب غفور) أى لذنب
من شكره وتقديره فلا يعاقب عليه ولا يعاتب قال البقاعى وأخبرني بعض أهل اليمن أنها اليوم
مفازة قرب صنعاء قال وفي بعضها عنب يعمل منه زبيب كبار جدا في مقدار دريبل بلاد الشام
وهو في غاية الصفاء كانه قطع المصطكى وليس له نوى أصلا انتهى * ولما نسب عن هذا الانعام

بطهرهم الموجب لاعراضهم عن الشكر دل على ذلك بقوله تعالى (فأعرضوا) أى عن الشكر
 فكفروا قال وهب أرسل الله تعالى الى سبأ ثلاثة عشر نبيا فدعوهم الى امة تعالى وذكروهم نعم الله
 تعالى عليهم وأنذروهم عقابه فكذبوههم وقالوا ما نعرف الله تعالى علينا من نعمة فقولوا لربكم
 فليحبس هذه النعمة عنا ان استطاع * ولما تسبب عن اعراضهم مقتهم بينه بقوله تعالى (فأرسلنا
 عليهم سيل العرم) جمع عرمة وهو ما عسك الماء من بناء وغيره الى وقت حاجته أى سيل واديهم
 فأغرق جنتهم وأموالهم * قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب وغيرهما كان ذلك السد بينه
 بقميس وذلك انهم كانوا يقتتلون على ماء واديهم فأمرت بواديهم فسد بالعرم وهو المسخاة بلغة
 حير فسدت ما بين الجبلين وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض وبنت منه دونهما بركة ضخمة
 وجعلت فيها اثني عشر نخرا على عدة انهم بهم يفتخونها اذا احتاجوا الى الماء واذا استغفوا
 سدوها فاذا جاء المطر اجتمع اليه ماء أودية الين فاحتبس السيل من وراء السد فأمرت بالباب
 الاعلى ففتح فجري ماؤه في البركة فكانوا يسقون من الباب الاعلى ثم من الثانى ثم من الثالث
 الاسفل فلا يشد الماء حتى يوب الماء من السنة المقبلة فكانت تقسمه بينهم على ذلك فبقوا على
 ذلك بعدها مدة فلما طغوا وكثروا سلط الله تعالى عليهم جرذا يسمى الخلد فقتب السد من أسفله
 فأغرق الماء جنتهم وأموالهم * وخرب أرضهم قال وهب وكانوا فيما يزعمون ويحسدون
 في عملهم * وكهانهم أنه يخرب سدهم فأرته فلم يتركوا فرجة بين حجرين الاربطوا عندها هزة فلما
 جاء زمانه وما أراد الله تعالى بهم من التعريق أقبلت فيما يذكرون فأرته حجرا كبيرة الى هزة
 من تلك الهز فساوتها حتى استأخرت عنها الهزة فدخلت في الفرجة التي كانت عندها
 فتغلغت في السد فقتبت وحفرت حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون ذلك فلما جاء السيل وجد
 خلا فدخل فيه حتى اقتلع السد فاض على أموالهم فغرقها ودفن بيوتهم الربل فغرقوا
 ومن قوا كل غرق حتى صاروا مثلا عند العرب يقولون صار بنو فلان ايدي سبأ وتفرقوا ابادي
 سبأ أى تفرقوا وتبدوا وقيل والارض والخروج منهم قال البقاعي وكان ذلك في الفترة التي
 كانت بين عيسى ونبينا صلى الله عليه وسلم * (تنبيه) * في العرم اقوال غير ما ذكرنا أحدها أنه
 من باب اضافة الموصوف لصفته في الاصل اذا اصل السيل العرم والعرم الشديد وأصله من
 العرامة وهي الشراسة والصعوبة الثاني أنه من باب حذف الموصوف واقامة صفته مقامه
 تقديره فأرسلنا عليهم سيل المطر العرم أى الشديد الكثير الثالث ان العرم اسم للوادي الذي
 كان فيه الماء نفسه قال ابن الاعرابي العرم السيل الذي لا يطاق وقيل كان ماء أحمر أرسله
 الله تعالى عليهم من حيث شاء الرابع أنه اسم للجرذ وهو القارذ وقيل هو الخلد وانما أضيف اليه
 لانه تسبب عنه كما مر (وبدلناهم بجنتهم) أى جعلنا لهم بدلها (جنتين) هما في غاية ما يكون
 من مضادة جنتهم ولذلك فسرهما بقوله تعالى اعلاما بأن اطلاق الجنتين عليهما مشاكلة
 لفظية للتركيب بهم (ذوائى أكل خطا) أى غريشع والخط الاراك وغمره يقال له البربر هذا قول
 أكثر المفسرين وقال المبرد والزجاج كل بيت قد أخذ طعما من المرارة حتى لا يمكن أكله فهو

خط وقال ابن الاعرابي الخط غرس شجر يسأل له فسوة الضبع على صورة الشخصا ش لا ينتفع به
وعن أبي عبيدة كل شجر ذى شوك وقرأ أبو عمرو كل بغية تنوين والباقون بالتنوين وسكن
الكاف نافع وابن كثير وضعها الباقيون قال البغوي في جعل الخط اسماً للما كول بالتنوين
في أكل أحسن ومن جعله أصلاً وجعل الأكل ثمرة فالإضافة فيه ظاهرة والتنوين سائغ تقول
العرب في بستان فلان أعناب كرم وأعناب كرم قمه صف الأعناب بالكرم لأنها منه وقوله تعالى
(وأثل) أى وذواتى أثل (وشئى من سدر قليل) معطوفان على أكل لاعلى خط فان الأثل هو
الطرفاء ولا ثمرة رقيق هو شجر يشبه الطرفاء أعظم منه وأجود عوداً وقيل هو نوع من الطرفاء
ولا يكون عليه ثمرة إلا في بعض الاوقات يكون عليه شئ كالغصن أخضر في طعمه وطبعه والسدر
شجر معمر وف وهو شجر النبق وينتفع بورقه لغسل اليد ويغرس في البساتين ولم يكن هذا من ذلك
بل كان سدر ابريا لا ينتفع به ولا يصلح رقه لشيء ولهذا قال بعضهم السدر سدران سدر له ثمرة غضة
لا تؤكل ولا ينتفع بورقه في الاغسال وهو الضال وسدر له ثمرة تؤكل وهى النبق ويغسل بورقه
والمراد في الآية الاول وقال قتادة كان شجرهم خيراً من الشجر غيره الله تعالى من شرا الشجر
بأعمالهم * (تنبيه) قد نبهت في شرح المنهاج على ان الباء في الابدال والتبديل والتبدل
والاستبدال هل تدخل على المتروك أو على المأخوذ عند قول المنهاج ولو أبطل ضد البقاء (ذلك)
أى الجزاء العظيم بالتبديل (جزئناهم) بما لنا من العظمة (بما كفروا) أى غطوا الدليل الواضح
وهو ما جاء به الرسل اذ روى أنه بعث اليهم ثلاثة عشر نبياً فكذبوهم وقيل بكفرانهم سم النعمة
(وهل يجازى) أى مثل هذا الجزاء الذى هو على وجه العقاب (الالكفور) أى الالبليغ
في الكفر وقال مجاهد يجازى أى يعاقب ويقال في العقوبة يجازى وفي المثوبة يجزى قال الفراء
المؤمن يجزى ولا يجازى أى يجزى الثواب بعمله ولا يكافأ بسيئاته وقال بعضهم المجازاة تقال في
النعمة والجزاء في النعمة لكن قوله تعالى ذلك جزئناهم يدل على أن يجزى في النعمة أيضاً قال
ابن عادل ولعل من قال ذلك أخذ من أن المجازاة مفاعلة وهى في أكثر الامر تكون ما بين اثنين
يوجد من كل واحد جزء في حق الآخر وفي النعمة لا تكون مجازاة لأن الله تعالى مبتدئ
بالنعم (وقيل) المؤمن تكفر سيئاته بحسناته والكافر يحبط عمله فيجازى بجميع ما يفعله من
السوء وليس لقائل أن يقول لم قيل وهل يجازى الا الكفور على اختصاص الكفر بالجزاء
والجزاء عام للمؤمن والكافر لانه لم يرد الجزاء العام انما أراد الخاص وهو العقاب بل لا يجوز
أن يراد العموم وليس بموضع الا ترى أنك لو قلت جزئناهم بما كفروا وهل يجازى الا الكافر
والمؤمن لم يصح ولم يعد كلاماً مقينين انما يتخيل من السؤال مضاعف وان الصحيح الذى لا يجوز
غيره ما جاء عليه كلام الله تعالى الذى لا يأتى به الباطل من بين يديه ولا من خلفه وقرأ آجرة
والكسائي وحفص بالنون مضعومة وكسر الزاى الكفور بالنصب والباقون بالياء المضعومة
ونصب الزاى الكفور بالرفع * ولما تم الخبر عن الجنان التى بها القوام نعمة ونقمة اتبعه
مواضع السكان بقوله تعالى (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة (بينهم) أى بين سبائهم بالين

(وبين القرى التي باركنا فيها) أي بالتوسعة على أهلها بالماء والشجر وغيرهما وهي قرى الشام التي يسبرون إليها للتجارة (قرى ظاهرة) أي متواصلة من اليمن إلى الشام (وقد رنا فيها السير) أي بحيث يقبلون في واحدة ويبيتون في أخرى إلى أنتم أسفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وما من سببا إلى الشام وقيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبع مائة قرية متصلة من سببا إلى الشام فلا يحملون شيئا مما جرت به عوائد السفار فكان سيرهم في القدر والرواح على قدر نصف يوم فإذا ساروا نصف يوم وصلوا إلى قرية ذات مياه وأشجار وقال قتادة كانت المرأة تخرج ومعها مغزلهما وعلى رأسها مكلها فتمتن بغزلهما فلا تأق يمتها حتى يمتلي مكلها من الثمار فكان ما بين اليمن والشام كذلك فهي حقيقة بأن يقال لأهلها والنازلين بها على سبيل الامتنان بلسان القائل أو الحال (سبروا) ودل على تقاربها جذا قوله تعالى (فيها) ودل على كثرتها وطول مسافتها وصلاحيتها للسير أي وقت أريد مقتدما لها هو أدل على الأمن وأعدل للسير في البلاد الحارة بقوله تعالى (ليالي) وأشار إلى كثرة الظلال والرطوبة والاعتدال الذي يمكن معه السير في جميع النهار بقوله تعالى (وأياما) أي في أي وقت شئت والى عظيم أمانها في كل وقت بالنسبة إلى كل مسلم بقوله (أمين) أي لا تخافون في ليل أو نهار وإن طالت مدة سفركم فيها أو سبروا فيها إلى أعماركم وأيامها لا تلهون فيها إلا الأمن فلا تخافون عدوا ولا جوعا ولا عطشا وقيل تسبرون فيها إن شئت ليالي وإن شئت أياما لعدم الخوف بخلاف المواضع المخوفة فإن بعضها يسلك ليلا لعدم علم العدو بسيرهم وبعضها يسلك نهارا لئلا يقصدهم العدو وإذا كان العدو غير مجاهر بالقصد والعداوة * ولما انقضى الخبر عن هذه الأوصاف التي تستدعي غاية الشكر لما فيها من اللطاف دل على بطرهم للنعمة بها بأنهم جعلوها سببا للضجر والمال بقوله تعالى (فقالوا) أي على وجه الدعاء (ربنا بعدد أسفارنا) أي إلى الشام أي اجعلها مغاورا لسطا ولو فيها على الفقراء بركوب الرواحل وزرود الأزواد والماء فيطروا النعمة وملوا العاقبة كبنى امراة لم يطلبوا النوم والبصل فأجابهم الله تعالى بتخريب القرى المتوسطة وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وهشام بتشديد العين ولا ألف قبلها فعل طلب والباقيون بألف قبل العين وتخفيف العين وقرئ بلفظ الخبر على أنه شكوى منهم بعد سفرهم أفراطا في الترفه وعدم الاعتماد بما أنعم الله عليهم فيه (وظلوا) حيث عدوا النعمة نقمة والاحسان اساءة (أنفسهم) بالكفر (لجعلناهم) أي بالثامن العظيمة (أحاديث) أي عبرة لمن بعدهم يتحدث الناس بهم نجيحا وشربا مثل فقولون ذهبوا أيدي سبا ونسرقوا أيادي سبا قال كثير

أيادي سبا أعزما كنت بعدكم * فلم يحل للعين بعدك منظر

(ومزقناهم كل عزق) أي فرقناهم في كل جهة من البلاد كل الفريق قال الشعبي لما غرقت قراهم فنسرقوا في البلاد أمانا غسانا فلحقوا بالشام ومز الأزد إلى عمان وخزاعة إلى تهامة ومز خزيمة إلى العسراق والأوس والخزرج إلى يثرب وكان الذي قدم منهم المدينة عمرو بن عامر وهو جد الأوس والخزرج (ان في ذلك) أي المذكور (آيات) أي عبرا ودلالات بينة

جدا على قدرة الله تعالى على التصرف فيما بين أيديهم وما خلقهم من السماء والارض بالاجداد
والاعدام للذوات والصفات والخسف والمسخ فانه لا فرق بين خارق وخارق وعلى ان يظروهم لتلك
النعمة حتى ملوها ودعوا بازالتدليل على ان الانسان مادام حيانه في نعمة يجب عليه
شكرها كائن ما كانت وان كان يراها بلية لانه لما طبع عليه من القلق كثير اما يرى النعم
نقما واللذة ألما ولذلك ختم الآية بالصبر بصيغة المبالغة بقوله تعالى (لكل صبار) على طاعة
الله وعن معصيته (شكور) لنعمة قال مقاتل يعنى المؤمن من هذه الامة صبور على البلاء
شكور على النعماء قال مطرف هو المؤمن اذا أعطى شكر واذا ابتلى صبر وقرأ قوله تعالى
(ولقد صدق عليهم ابليس) أى الذى هو من البلس وهو ما لا خير عنده والابلاس وهو اليأس
من كل خير لا يكون ذلك أبلغ فى التبكيت والتوبيخ (ظنه) قرأه الكوفيون بتشديد الدال بعد
الصاد أى ظن فيهم ظنا سحيث قال قبيزك لا غويتهم أجمعين الاعبادك ولا تجدد **أص** ثمرهم
شاكرين فصدق ظنه وحقته بفعله ذلك بهم واتباعهم اياه والباقون بالتخفيف أى صدق عليهم فى
ظنه بهم أى على أهل سبا كما قاله أكسر المفسرين حين رأى انهما كهم فى الشهوات وأول الناس
كلهم كما قاله مجاهد أى حين رأى أباهم آدم ضعيف العزم أو ما ركب فيهم من الشهوة والغضب
أو سمع من الملائكة أن تجعل فيهم ان يفسد فيها فقال لاضلهم ولا غويهم أو الكفار منهم سبا
كما قاله الجلال المحلى (فاتبعوه) أى بغاية الجهد بعل الطبع وقوله (الافريقان المؤمنين)
استثناء متصل على قول مجاهد ومنقطع على قول غيره وقال السدى عن ابن عباس رضى الله
عنه يعنى المؤمنين كلهم لان المؤمنين لم يتبعوه فى أصل الدين وتقليلهم بالاضافة الى الكفار
أو الافريقان فرق المؤمنين لم يتبعوه فى العصيان وهم المخلصون قال ابن قتيبة ان ابليس لعنه
الله تعالى لما سأل النظره فانظره الله تعالى وقال لا غويهم ولا ضلهم لم يكن مستبقنا وقت هذه
المقالة أن ما قاله فيهم يتم وانما قاله ظنا فلما اتبعوه وأطاعوه صدق عليهم ما ظنه فيهم * ولما
كان ذلك ربما وهم ان لا بليس امر ابن نفسه نفاه بقوله تعالى (وما) أى والحال أنه ما (كان)
أصلا (له عليهم) أى الذين اتبعوه ولا غيرهم وأغرق فيها هو الحق من النبي بقوله تعالى (من
سلطان) أى تسلط فاهر شئ من الاشياء بوجه من الوجوه لانه مثلهم فى كونه عبدا عاجزا
مقهورا ذليلا خائفا محورا قال القشيري هو مسلط ولو أمكنه أن يضل غيره أمكنه أن يمسك
على الهداية نفسه والمعنى ان الامر لله وحده (الآ) أى لكن نحن سلطناهم عليهم بسلطاننا وملكناهم
بقادهم بقهرنا وعبر عن التمييز الذى هو سبب العلم بالعلم فقال (لنعلم) أى بما لنا من العظمة (من
يؤمن) أى يوجد الايمان لله (بالآخرة) أى يتعلق علمنا بذلك فى عالم الشهادة فى حال تميزه تعلقا
تقوم به الحجة فى مجارى عادات البشر كما كان متعلقا به فى عالم الغيب (بمن هو منها) أى الآخرة
(فى شك) فهو لا يجتهد لها ايمانا أصلا لان الشك طرف له محيط به وانما استعار الاموضع لكن إشارة
الى أنه ممكنه تمسكنا تاما صاربه كنه له سلطان حقيقى * (تنبيه) * قال الرازى ان علم الله تعالى
من الازل الى الابد محيط بكل معلوم وعله لا يتغير وهو فى كونه عالما لا يتغير ولكن يتغير تعلق

علمه فان العلم صفة كاشفة يظهر فيها كل ما في نفس الامر فعلم الله تعالى في الازل أن العالم
سيوجد فاذا وجد علمه موجودا بذلك العلم واذا عدم علمه معدوما كذلك المرأة المصقولة
الصابية يظهر فيها صورة زيدان قابلهما ثم اذا قابلهما عمر وتظهر فيها صورته والمرأة لم تتغير
في ذاتها ولا تبدلت في صفاتها وانما التغيير في الخارجيات وكذا هنا قوله الا لعلم أى يقع في العلم
صدور الكفر من الكافر والايان من المؤمن وكان علم الله تعالى أنه سيكفر زيد ويؤمن عمرو
وقال البغوى المعنى الالتميز المؤمن من الكافر وأراد علم الوقوع والظهور وقد كان معلوما
عنده بالغيب وقوله تعالى (وربك) أى المحسن اليك باخزاء الشيطان بنيتك واجتنابه عن
أمتك (على كل شئ) من المكافين وغيرهم (حفيظ) أى حافظ أتم حفظ تحقيق ذلك ان الله تعالى
قادر على منع ابليس عنهم عالمه. اسبقه فالحفظ يدخل في مفهومه العلم والقدرة اذا الجاهل
بالشئ لا يمكنه حفظه ولا العاجز * ولما بين تعالى حال الشاكرين وحال الكافرين وذكرهم
بمن مضى عاد الى خطابهم فقال تعالى لرسوله صلى الله عليه وسلم (قل) أى يا أعلم الخلق باقامة
الادلة لهؤلاء الذين أشركوا من لا يشك في حقارته من له أدنى مسكة (ادعوا الذين زعمتم)
أى أنهم الهة كما تدعون الله تعالى لاسمى في وقت الشدائد وحذف مفعولى زعم وهو ما ضميرهم
وألهة بتنبه على استهجان ذلك واستبشاعه وليس المذكور في الآية منقول زعم ولا قائما
مقام المفعول لفساد المعنى وبين حقارتهم بقوله تعالى (من دون الله) أى الذى خارج جميع العظمة
والمعنى ادعوهم فيما هم محكم من جلب نفع أو دفع ضرر لعلهم يستجيبيون لكم ان صحت دعواكم ثم
أجاب عنهم اشعارا بتعين الجواب وأنه لا يقبل المكابرة فقال (لا يملكون مثقال ذرة) من خيرا وشرا
(في السموات ولا في الارض) أى فى أمر ما وذكروهما للعموم العرفى أولان الهتهم بعضها
سماوية كالملائكة والكواكب وبعضها أرضية كالاصنام أولان الاسباب القريبة للخير
والشر سماوية وأرضية والجملة استئناف لبيان حالهم * ولما كان هذا ظاهرا فى نبي الملك
الخاص عن ثبوت المشاركة نفي المشاركة أيضا بقوله تعالى مؤكدا تكذيب الههم فيما يدعون (وما لهم)
أى الالهة (فيهما) أى فى السموات والارض ولا في غيرهما ولا في فيما في ما وأغرف في النفي بقوله
تعالى (من شرك) أى شركة لا خلقا ولا ملكا (وماله) أى الله (منهم) وأى كذا النفي باثبات الجار
فقال (من ظهير) أى معين على شئ مما يريد من تدبير أمرهما وغيرهما فكيف يصح مع هذا
العجز أن يدعوا كما يدعى ويرجوا كما يرجى ويعبدوا كما يعبد * ولما كان قد نفي من اقسام النفع
الشفاعة وكان المقصود منها أثرها لا عينها فبأنه بقوله تعالى (ولا تنفع الشفاعة عنده) أى فلا
تنفعهم شفاعة كما يرجعون اذا لاتنفع الشفاعة عند الله (الامن أذن له) أى وقع منه اذن له على
اسان من شام من جنوده بواسطة واحدة أو أكثرى أن يشفع في غيره وفى أن يشفع فيه غيره
وقرأ أبو عمر ووحدة والكسائي بضم الهمزة والباقون بفتحها وقوله تعالى (حتى اذا فرغ
عن قلوبهم) غاية لمفهوم الكلام من أن ثم انتظارا للاذن وتوقعا وتعملا وفرعا من الراجين
للشفاعة والشفعاء هل يؤذن لهم أو لا يؤذن وأنه لا يطلق الاذن الا بعد ملى من الزمان

وطول من التبرص ومثل هذه الحال دل عليها قوله عز من قائل رب السموات والارض وما بينهما الرحمن لا يملكنه كون منه خطايا يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون الا من اذن له الرحمن وقال صوابا كأنه قيل يتوقعون ويتبرصون مليا فزعين ذاهلين حتى اذا فزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوبهم أى كشف الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بهارب العزة في اطلاق الاذن (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (ماذا قال ربكم) أى فى الشفاعة ذاكرين صفة الاحسان ليرجع اليهم رجاء وهم فتسكن بذلك قلوبهم (قالوا) قال القول (الحق) أى الثابت الذى لا يمكن ان يبدل بل يطابق الواقع فلا يكون شئ يخالفه وهو الاذن فى الشفاعة لمن ارتضى منهم وهم المؤمنون (وهو العلى الكبير) أى ذو العلو فلا رتبة الا دون رتبة والكبرياء فليس الملك ولا نبي أن يتكلم ذلك اليوم الا باذنه روى البخارى فى التفسير عن أبى هريرة رضى الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا قضى الله الامر فى السماء صفت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله كأنه سلسلة على صفوان فاذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلى الكبير فيسمعها مسترق السمع ويسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان بكفه فخرها وتدين أصابعه فيسمع الكلمة ويلقيها الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته ثم يلقيها الاخر الى من تحته حتى يلقيها على لسان الساحر والكاهن فرمى أدركه الشهاب قبل أن يلقيها ورمى ألقاها قبل ان يدركه فكذب معها مائة كذبة فيقال أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا فنصدق بذلك الكلمة التى من السماء وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله أن يوحى بالامر وتكلم بالوحى أخذت السماء رجفة أو قال رجعة شديدة خوفا من الله تعالى فاذا سمع بذلك أهل السموات صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل عليه السلام فيكلمه الله تعالى من حبه بما أراد ثم يجبريل عليه السلام على الملائكة كلما مر بسماسا له ملائكتها ماذا قال ربنا جبريل فيقول جبريل عليه السلام قال الحق وهو العلى الكبير فيقولون كلهم مثل ما يقول جبريل عليه السلام فينتهى جبريل عليه السلام بالوحى حيث أمره الله تعالى وقال مقاتل والكلبي والسدي كانت الفترة بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام خمسمائة وخمسين سنة وقيل ستمائة سنة لم تسمع الملائكة فيها وحيا فلما بعث الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم كلم جبريل عليه السلام بالرسالة الى محمد صلى الله عليه وسلم فلما سمعت الملائكة ظنوا أنها الساعة لان محمدا صلى الله عليه وسلم عند أهل السموات من أشراط الساعة فنعقوا بمحارهم واخوفوا من قيام الساعة فلما انحدر جبريل عليه السلام جعل يمر بكل سما فيكشف عنهم فيرفعون رؤسهم ويقول بعضهم لبعض ماذا قال ربكم قالوا الحق يعنى الوحى وهو العلى الكبير وقال الحسن وابن زيد حتى اذا كشف الفزع عن قلوب المشركين عند نزول الموت اقامة العجوة عليهم قالت لهم الملائكة عليهم السلام ماذا قال ربكم فى الدعاء قالوا الحق فأقرؤا به حيث لم ينفعهم الاقرار ولماسب تعالى عن شركائهم

أن يملكوا شيئاً من الأكوان وأثبت جميع الملك له وحده وأمر نبيه محمداً صلى الله عليه وسلم
 أن يقرهم بما يلزم منه ذلك بقوله تعالى (قل من يرزقكم من السموات) أي بالمطر (والارض)
 أي بالنبات وأفرد الارض لانهم لا يعلمون غيرها ثم أمره تعالى أن يتولى الاجابة بقوله تعالى
 (قل الله) أي أن لم يقولوا رزقنا الله تعالى فقل أنت أن رزقكم الله وذلك للاشعار بأنهم يقولون
 به بقلوبهم الا أنهم ربما أبوا أن يتكلموا به لأن الذي تمكن من صدورهم من العناد وحسب
 الشرك قد ألجم أفواههم عن النطق بالحق مع علمهم بصحته ولأنهم ان نفقوا بآيات الله تعالى
 رزقهم لمنهم أن يقال لهم فالحكم لا تعبدون من يرزقكم ونفثون عليه من لا يقدر على
 الرزق ألا ترى الى قوله تعالى قل من يرزقكم من السماء والارض أم من علك السمع والابصار
 حتى قال فسبحوا يقولون الله ثم قال تعالى فماذا بعد الحق الا الضلال فكانهم كانوا يقولون
 بالسنتهم مرة ومرة يتلعثون عناداً وفراوا وحذراً من الزام الحجّة ونحوه قوله عز وجل قل
 من رب السموات والارض قل الله قل أفخذتم من دونه أولياء لا يملكون لانفسهم نفعا
 ولا ضرراً وأمر بان يقول لهم بعد الالزام والالهام الذي ان لم يرزقوا على اقرارهم بالسنتهم لم يقاسر
 عنه (وأنأواياكم) أي أحد الفريقين من الذين يوحدون الرزق من السموات والارض
 بالعبادة ومن الذين يشركون به الجباد الذي لا يوصف بالقدرة (أعلى هدى) أي في متابعة
 ما ينبغي ان يعمل مستعين عليه (أو في ضلال) عن الحق (مبين) أي بين في نفسه داع لكل
 أحد الى معرفة أنه ضلال وهذا ليس على طريق الشك لانه صلى الله عليه وسلم لم يشك أنه على
 هدى ويقين وان الكفار على ضلال مبين وانما هذا الكلام جار على ما تخاطب به العرب من
 استعمال الانصاف في محاوراتهم على سبيل القرض والتقدير ويسميه أهل البيان الاستدراج
 وهو أن يذكر مخاطبه أمر ايسره وان كان بخلاف ما يدكر حتى يصفي الى ما ياقبه اليه اذ لو بداه
 بما يكره لم يصغ وتطيره قوله ثم أخرى الله الكاذب متى ومنك ومنه قول حسان رضي الله
 تعالى عنه يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبأسفمان

أفهم جهوه ولست له بكف * فشر كما خيركم كالفداء

فان أبي ووالدتي وعرضي * لعرض محمد منكم وقاه

مع العلم لكل أحد انه صلى الله عليه وسلم خير خاق الله كلهم * (تنبيه) ذكر تعالى في الهدى
 كلمة على وفي الضلال كلمة في لأن المهتدى كأنه مرتفع مطلع فذكر بكلمة تعالى في مكانه مستعمل
 على فرس جوادير كضه حيث شاء والضال منغمس في الظلمة غريق في فناء بكلمة في مكانه
 منغمس في ظلام مرتبك فيه لا يدري أين يتوجه قال البغوي وقال بعضهم أوبعنى الواو والالف
 فيه صلة كأنه يقول وأنا وأياكم على هدى وفي ضلال مبين يعنى نحن على الهدى وأنتم في الضلال
 (قل) أي لهم (لا تسئلون) أي من سائل ما (عما أجرنا) أي لا تؤاخذون به (ولانتمل) أي في
 وقت من الاوقات من سائل ما (عما تعملون) أي من الكفر والتكذيب وهذا ادخل في الانصاف
 وأبلغ في التواضع حيث أسندوا الاجرام الى أنفسهم والعمل الى المخطئين (وقيل) المراد

بالاجرام الصغار والزلزلات التي لا يخلو منها مؤمن وبالعمل الكفر والمعاصي العظام (قل) أى
 لهم (يجمع بينا ربنا) أى يوم القيامة (ثم يفتح) أى يحكمكم (بيننا بالحق) أى الامر الثابت الذي
 لا يقدر أحد منا ولا منكم على التخلف عنه وهو العدل والفضل من غير ظلم ولا ميل فبدخل المحققين
 الجنة والمبطلين النار (وهو الفتح) أى الحاكم الفاصل في القضايا المغلفة بالبلغ الفتح لما
 انقلب فلا يقدر أحد على قصه (العليم) أى البليغ العلم بكل دقيق وجليل لا تخفى عليه خافية
 (قل) أى لهم (أروني) أى أعلموني (الذين ألحقتم به) أى بالله (شركاء) أى في العبادة هل
 يحلقون وهل يرزقون وقوله تعالى (كلا) أى لا يخلقون ولا يرزقون ردع لهم عن مذهبهم بعد
 ما كسره بإبطال المقايسة كما قال ابراهيم عليه السلام اف لكم ولما تعبدون من دون الله
 بعد ما جههم وقد نبه على تفاخر غلطهم بقوله تعالى (بل هو الله العزيز) أى الغالب على أمره
 الذي لا مثل له وكل شيء يحتاج اليه (الحكيم) أى المحكم لكل ما يفعله فلا يستطيع أحد نقض
 شيء منه فكيف يكون له شريك وأنه ترون ما ترون له من هاتين الصفتين المناقتين لذلك
 * (تنبيه) * في هذا الضمير وهو هو قولان أحدهما أنه عائد الى الله تعالى أى ذلك الذي ألحقتم
 به شركاء هو الله والعزيز الحكيم صفتان والثاني انه ضمير الامر والشأن والله مبتدأ والعزير
 الحكيم خبران والجملة خبر هو (فان قيل) ما معنى قوله أروني وكان يراهم ويهرفهم (أجيب)
 بأنه أراد بذلك أن يريهم الخطأ العظيم في الحاق الشركاء بالله تعالى وأن يقاس على أعينهم
 بينه وبين أصنامهم ليطلعهم على حالة القياس السه والاشراك به * ولما بين تعالى مسئلة
 التوحيد شرع في الرسالة بقوله سبحانه وتعالى (وما أرسلناك) أى بعظمتنا (الا كافة للناس)
 أى ارسلنا عاما شاملا لكل ما شمله ایجادنا فكانه حال من الناس قدم للاهتمام وقول البيضاوي
 ولا يجوز جعلها حالا من الناس أى لان تقديم حال المجرور عليه كتقديم المجرور على الجار
 رده أبو حيان بقوله هذا مذهب اليه الجمهور ومذهب أبو علي وابن كيسان وابن برهان وابن
 ملكون الى جوازه وهو الصحيح انتهى وهذا هو الذي ينبغي اعتقاده ويؤيده قوله صلى الله
 عليه وسلم كان النبي يبعث الى قومه خاصة وبعثت الى الناس عامة ومن أمثله أبي علي زيد
 خير ما يكون خير منك والتقدير زيد خير منك خير ما يكون وأنشد
 اذا المرء أعينه المطالب ناشئا * فغلطها كهلا عليه شديد

أى فغلطها عليه كهلا وأنشد أيضا

نسبت طرا عنكم بعد دينكم * بذكركم حتى كانتكم عندي

أى عنكم طرا (وقيل) انه حال من كاف أرسلناك والمعنى الاجامع للناس في الابلاغ
 والكافة بمعنى الجامع والهام فيه للمبالغة كهي في علامة ورواية قاله الزجاج وقيل ان كافة
 صفة لمصدر محذوف تقديره الارسله كافة قال الزحشري الارسله عامة لهم بمعنى يهيم
 لانها اذا ملتهم فقد كفتهم أن يخرج منها أحد منهم قال أبو حيان أما كافة بمعنى عامة
 فالقول عن النحويين أنهم الاتكون الاحال ولم ينصرف فيها بقيد ذلك فجعلها صفة لمصدر

محذوف خروج عما نقول ولا يحفظ أيضا استعمالها صفة لموصوف محذوف قال القاعى وأما
 الجن فخالهم مشهور رأى أنه أرسل اليهم وأما الملائكة فالدلائل على الارسل اليهم في غاية الظهور
 انتهى وهذا هو اللاتق بعموم رسالته وان خالف في ذلك الجلال المحل في شرحه على جمع
 الجوامع وفي عموم رسالته صلى الله عليه وسلم فضيلة على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام
 فلتكن كان داود عليه السلام فضل بطاعة الجبال له والطير والانه الحديدي سليمان عليه السلام
 بما ذكره فقد فضل محمد صلى الله عليه وسلم نبينا برسالة الى الناس كافة والخصاص في كفه
 والجبال أمرت بالسيرة معه ذهابا وقضة والحجرة شكت اليه أخذ فرأىها أو يضيها وانضب
 شهده بالرسالة والجبل شكا اليه وسجد له والاشجار أطاعته والاحجار سلمت عليه واتفرت
 بأمره وغير ذلك مما لا يدخل تحت الحصر وانما ذكرت ذلك تبركا بذكره صلى الله عليه وسلم
 وأنا أسأل الله تعالى ان يشفع في وفي والذى وجميع أحبائي وبقية المسلمين أجمعين * ولما
 كانت البشارة هي الخبر الاول الصدق الساتر وكان في ذكره هاردا لقولهم في الكذب والجنون
 قال تعالى (بشيرا) أى مبشر للمؤمنين بالجنة (ونذيرا) أى منذرا للكافرين بالعذاب (ولكن
 أكثر الناس) أى كفار مكة (لا يعلمون) فيحملهم جهلهم على مخالفتك * ولما سلب عنهم العلم
 اتبعه دليله كقوله تعالى معبرا بصيغة المضارع الدال على ملازمة التكرير للاعلام بأنه على
 سبيل الاستهزاء لا الاسترشاد (ويقولون) من فرط جهلهم بعاقبة ما يوعدونه (مقى هذا الوعد)
 أى البشارة والنذارة في يوم الجمع وغيره فسموه وعدا زيادة في الاستهزاء * ولما كان قول
 الجماعة أجدر بالقبول وأبعد عن الرمد من قول الواحد اشار الى زيادة جهلهم بقوله تعالى
 (أن كنتم) أى أيها النبي وآتباعه (صادقين) أى متمكنين في الصدق (قل لكم) أى أيها
 المخادعون الاجلاف الذين لا يجوزون الممكآت ولا يتدبرون ما أوضحه من الدلالات (مبعاد
 يوم) أى لا يحتمل القول وصف عظمه لما يأتى فيه لكم من العقاب سواء كان يوم الموت كما قاله
 الضحاك أو البعث كما قاله أكثر المفسرين (لأنستأخرون) أى لا يوجب تأخيركم (عنه ساعة)
 لأن الآتى به عظيم القدرة محيط العلم ولذلك قال (ولأنستقدمون) أى لا يوجد تقدمكم
 لحظة فملاذونها ولا يتمكنون من طلب ذلك (فان قيل) كيف انطبق هذا جوابا عن سؤالهم
 (أجيب) بانهم مأساؤا عن ذلك وهم منكرون له الاتعنا لا استرشاد الجاهل الجواب على طريق
 التهديد مطابقي لجهى السؤال على سبيل الانكار والتعنت وأنهم مرصدون يوم يقابحهم
 فلا يستطيعون تأخر اعنه ولا تقدماعليه (وقال الذين كفروا) مؤكدين قطعاً للاطماع
 عن دعائهم (لأن نؤمن) أى نصدق أبدا وصرحوا بالنزل عليه صلى الله عليه وسلم بالاشارة فقالوا
 (بهذا القرآن) أى وان جمع جميع الحكم والمقاصد المتضمنة لبقية الكتب (ولا بالذى
 بين يديه) أى قبله من الكتب التوراة والانجيل وغيرهما بل نحن قائلون بما وجدنا عليه آباءنا
 وذلك لما روى أن كفار مكة سألو بعض أهل الكتاب فأخبروهم ان صفة هذا النبي عندهم
 في كتبهم فأغضبهم ذلك وقرنوا الى القرآن جميع ما تقدمه من كتب الله في الكفر بها فكفروا بها

جميعا وقبل الذي بين يديه يوم القيامة والمعنى أنهم يحدوا أن يكون القرآن من الله وأن يكون ما دل عليه من الاعادة للبرهان حقيقته * ثم أخبر عن عاقبة أمرهم وما آلهم في الآخرة فقال تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أو للخطاب (ولو) أى والحال انك لو (ترى) أى يوجد منك رؤية لحالهم (اذ انظروا) أى الذين يضعون الاشياء في غير محالها فيصدقون آياتهم لاحسان يسيرهم * قدر من غير دليل ولا يصدقون ربهم الذى لانعمة عندهم ولا عند آياتهم الا منه (موقوفون) أى بعد البعث بايدي جنوده أو غيرها بأيسر أمر منه (عند ربهم) أى في موضع الحساب (يرجع بعضهم) أى على وجه الخصام عداوة كان سببها مواددة في الدنيا بطاعة بعضهم لبعض في معاصي الله تعالى (الى بعض القول) أى باللامدة والمباكثة والمخاصمة * (تنبيه) * مفعول ترى وجواب لو محذوفان لفهم أى لو ترى حال الظالمين وقت وقوفهم راجعا بعضهم الى بعض القول رأيت حالا فظمعة وأمر انك راجع حال من ضمير موقوفون والقول مفعول يرجع لانه يتعدى قال تعالى فان رجعت الله وقوله تعالى (يقول الذين استضعفوا) أى وقع استضعافهم عن هو فوقهم في الدنيا وهم الانبياء في تلك الحال على سبيل اللوم (للذين استكبروا) أى أوجدوا الكبر وطلبوه بما وجدوا من أسبابه التي أدت الى استضعافهم للآخرين وهم الرؤس المتبوعون (لولا أنتم) أى لولا ضلالكم وصدكم يا ابا ناعن الايمان (لكنكم مؤمنين) أى باتباع الرسول تفسير لقوله تعالى يرجع فلا يحمل له قال ابن عادل وأنتم بعد لولا مبتدأ على أضغ المذهب وهذا هو الانصاع أعنى وقوع ضمائر الرفع بعد لولا أى وغيره فصيح خلافا للمبرد حيث جعل خلاف هذا الحنا وأنه لم يرد الا في قول زياد وكم موطن لولاي والاقيس جعل الياء ضمير نصب أو جر قام مقام ضمير الرفع وسيبويه جعله ضمير جر * ولما يتضمن كلامهم سوى قضية واحدة ذكر الجواب عنها بقوله تعالى (قال الذين استكبروا) على طريق الاستئناف (للذين استضعفوا) ردا عليهم وانكار القول لهم انهم هم الذين صدوهم (أنحن) خاصة (صددناكم) أى منعناكم عن الهدى بعد اذ جاءكم) أى على أئمة الرسل عليهم الصلاة والسلام لم تفعل ذلك لان المنافع ينبغي أن يكون أرحم من المقتضى حتى يعمل عمله والذي جاءه الرسل هو الهدى والذي صدر من المستكبرين لم يكن شيئا يوجب الامتناع من قبول ما جاؤ به فلم يصح تعلقكم بالمنافع وقرأنا بافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذا ل عند الجيم والباقون بالادغام وأمال الالف بعد الجيم جزء وابن ذكوان وقفها الباقون وكذا الاظهار والادغام في اذ تأمر وتساوا واذ وقف جزء على جاءكم سهل الهمزة مع المذ والقصر ولذا أيضا ابدالها القامع المذ والقصر (بل كنتم) أى جعله وخلقها (مجرمين) أى كافرين لا تخدركم لا لقولنا ونسويانا (فان قيل) اذ واذ امن الظروف الملازمة للظرفية فلم وقعت انتم انما اياها (أعجب) بأنه قد انسع في الزمان ما لم ينسع في غيره فأضيف اليها الزمان كما أضيف الى الجمل في قولك حدثك بعد اذ جاء زيد وحينئذ ونومئذ * ولما أنكر المستكبرون بقولهم نحن صددناكم أن يكونوا هم السبب في كفر المستضعفين وانتوا بقولهم بل كنتم مجرمين أن

ذلك بكسبهم واختيارهم كرت عليهم المستضعفون كما قال تعالى (وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا) ردا لانكارهم صدهم (بل) أى الصادق لنا (مكر الليل والنهار) أى الواقع فيهم ما من مكرهم فأبطلوا اضرابهم باضرابهم كأنهم قالوا ما كان الاجرام من جهتنا بل من جهة مكرهم بنا ليسلوا منهم ارا (اذن امر وثنان نكفر بالله) أى الملك الاعظم بالاستمرار على ما كآ عليه قبل اتيان الرسل (وتجعل له أندادا) أى شركاء يعبدونهم من دونه (فان قيل) لم قيل قال الذين استكبروا وبغير عاطف وقيل وقال الذين استضعفوا (أجيب) بان الذين استضعفوا امرأؤولا كلامهم في مبالغوب محذوف العاطف على طريق الاستئناف ثم جى بكلام آخر للمستضعفين فحذف على كلامهم الاول * (تنبيه) * يجوز رفع مكر من ثلاثة أوجه أحدها الفاعلية تقديره بل صدنا مكرهم في هذين الوقتين كما مر الثاني أن يكون مبتدأ خبره محذوف أى مكر الليل صدنا الثالث العكس أى سبب كفرنا مكرهم واطافة المكر الى الليل والنهار ما على الاسناد المجازى كقولهم ليل ما كر والعرب تضيف الفعل الى الليل والنهار على توسع الكلام كقول الشاعر * وغت وما ليل الملى بنائم * فيكون مصدرا مضافا لمرفوعه وأما على الانساع في الطرف فجعل كالمفعول به فيكون مصدرا مضافا للمفعول قال ابن عادل وهذا أحسن من قول من قال ان الاضافة بمعنى في أى مكر في الليل لان ذلك لم يثبت في محل النزاع وقيل مكر الليل والنهار طول السلامة وطول الامل فيهما كقوله تعالى فطال عليهم الامد فقت قلوبهم * (تنبيه) * قوله تعالى أولاي رجع بعضهم الى بعض القول بقول الذين استضعفوا بلفظ المستقبل وقوله تعالى في الآيتين الأخيرتين وقال الذين استكبروا وقال الذين استضعفوا بلفظ الماضي مع أن السؤال والمراجعة في القول لم يقع أشار به الى أن ذلك لا بد من وقوعه فان الامر الواجب الوقوع كأنه وقع كقوله تعالى انك ميت وانهم ميتون وأما الاستقبال فعلى الاصل (وأسرؤا) أى الفريقان (الندامة) من المستكبرين والمستضعفين وهم الظالمون في قوله تعالى اذ الظالمون موقوفون بندم المستكبرون على ضلالهم واطلالهم والمستضعفون على ضلالهم واتساعهم المضلين (لما) أى حين (وأو العذاب) أى حين رؤية العذاب أخنأها كل عن رقبته مخافة التعير وقيل معنى الاسرار الاظهار وهو من الاضداد أى أظهر والندامة قال ابن عادل ويحتمل أن يقال انهم لما راجعوا في القول رجعوا الى الله تعالى بقولهم أبصرنا وسعنا فارجعنا نعمل صالحا وأجيبوا بان الامر ذلكم فأسر وأذلك القول وقوله تعالى (وجعلنا الاغلال) أى الجوامع التي تغل البى الى العنق (في أعناق الذين كفروا) يم الاتباع والمتبوعين جميعا وكان الاصل في أعناقهم ولكن جاء بالظاهر تنويه باذمهم وللدلالة على ما استحقوا به الاغلال وهذا الاشارة الى كيفية عذابهم (هل يجزون) أى بهذه الاغلال (الاما) أى الاجراما (كلوا يعملون) أى على سبيل التجديد والاستمرار * ولما كان في هذا تسلية أخرى للنبي صلى الله عليه وسلم اتبعه التسلية الدنياوية بقوله تعالى (وما أرسلنا) أى بظلمتنا (في قرية) وأكده النبي بقوله تعالى (من نذير الاقال مترفوها) رؤساؤها

الذين لا شغل لهم الا التسم بالفاى حتى اكسبهم البغى والطغيان ولذلك قالوا الرسولهم (انابى
 ارسلتم به) أى أيهم المندرون (كافرون) أى واذا قال المستغمون ذلك تنعمهم المستضعفون
 (وقالوا) أى المترفون ايضا متفاخرين (نحن أكرأموالا واولادا) أى فى هذه الدنيا
 ولولم يرض منا ما نحن عليه مارزقنا ذلك فاعتقدوا أنهم لو لم يكرموا على الله لما رزقهم ولولا
 أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم فعلى قياسهم ذلك قالوا (وما نحن بعذبين) أى ان الله
 تعالى قد أحسن النيا فى الدنيا بالمال والولد فلا يعذبنا فى الآخرة ثم ان الله سبحانه وتعالى
 بين خطاهم بقوله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهم (ان ربى) أى المحسن الى
 بالانعام بالعادة الباقية (يسسط الرزق) أى يوسع فى كل وقت أراد بالاموال والاولاد
 وغيرها (لن يشاء) امتحانا (ويقدر) أى يضيقه على من يشاء ابتلاء بدليل مقابلة ببسط
 وهذا هو الطباق البديعى فالرزق فى الدنيا لا تدل سعة على رضا الله تعالى ولا ضيقة على
 سخطة فروع اوسع على العاصى وضيق على المطيع وربما عكس وربما وسع عليهما وضيق عليهما
 وكم من موثر شقى وكم من معسر تقي (ولكن أكثر الناس) أى كفار مرككة (لا يعلمون) أى
 ليس لهم علم فيقدر وابه ما ذكرنا من الامر فيعلمون أنه ليس كل موسع عليه فى دنياه سعيدا
 فى عقباه ولا كل مضيق عليه فى دنياه شقيبا * ثم بين تعالى فساد استدلالهم بقوله سبحانه وتعالى
 (وما أموالكم) أى أيها الخلق الذى أنتم من جلتهم وان كثرت وكررت النافى تصرح بإبطال
 كل على حيلة فقال (ولأولادكم) كذلك (بالتى) أى بالاموال والاولاد التى (تقر بكم
 عندنا) أى على ما لنا من العظمة (زلقى) أى درجة عليه وقربة مكينة * (تنبيه) * قوله
 تعالى بالتى تقر بكم صفة لا مال والاولاد كما تقرر لان جمع التكسير غير العاقل يعامل بهالة
 المؤنثة الواحدة وقال الفراء والزجاج انه حذف من الاول دلالة الثانى عليه فالاول والتقدير وما
 أموالكم بالتى تقر بكم عندنا زانى ولأولادكم بالتى تقر بكم ولا حاجة الى هذا وقيل عن الفراء
 ما تقدم من أن التى صفة للاموال والاولاد معا وهو الصحيح وجعل الزخشرى التى صفة
 لموصوف محذوف قال ويجوز أن تكون التى هى التقوى وهى المقربة عند الله تعالى زانى
 وحدها أى ليست أموالكم ولا أولادكم بتلك الموصوفة عند الله بالتقريب قال أبو حيان
 ولا حاجة الى هذا الموصوف انتهى وزانى مصدر من معنى الاول اذ التقدير تقر بكم قربى وقال
 الاخفش زانى اسم مصدر كانه قال بالتى تقر بكم عندنا تقرىا وأما الهاجرة والكسافى محضة
 وأبو عمرو وبين بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وقوله تعالى (الامن آمن وعمل
 صالحا) أى تصديقا لآيمانه على ذلك الاساس استثناء من مفعول تقر بكم أى الاموال
 والاولاد لا تقرب أحدا الا المؤمن الصالح الذى يتفق ماله فى سبيل الله ويعلم ولده الخير ويريه
 على الصلاح أو من أموالكم وأولادكم على حذف المضاف أى الأموال وأولاد من آمن
 وعمل صالحا (فأولئك) أى العالو الزينة (لهم جزاء الضعف) أى أن يأخذوا جزاءهم
 مضاعفا فى نفسه من عشرة أمثاله الى ما لا نهاية له (بما عملوا) فان أعمالهم ثابتة محفوظة

بأساس الإيمان ثم زاد وقال تعالى (وهم في الغرفات) أي العدا إلى المبنية فوق البيوت
 في الجنات زيادة على ذلك (آمنون) أي ثابث أمانهم دائماً لا خوف عليهم من شيء من الأشياء
 أصلاً وما غيرهم وهم المرادون بما بعده فأموالهم وأولادهم وبال عليهم وقرأ حزة يسكون الرأ
 ولا أنف بعد الفاء على التوحيد على إرادة الخنس وعدم اللبس لأنه معلوم أن لكل أحد غرفة
 تخصه وقد أجمع على التوحيد في قوله تعالى يجوزون الغرفة ولأن لفظ الواحد أخف فوضع
 موضع الجمع مع أمن اللبس والباقون بضم الراء وألف بعد الفاء على الجمع جمع سلامة وقد أجمع
 على الجمع في قوله تعالى لنبوأنهم من الجنة غرافاً ثم بين حال المسى وهو من يبعده ماله وولده من
 الله تعالى بقوله سبحانه وتعالى (والذين يسعون) أي يجددون السعي من غير توبة بأموالهم
 وأولادهم (في) ابطال (آياتنا) أي جنتنا على ماله من عظمة الانتساب إليها (مجهزين) أي
 طالين تعجزها أي تعجز الآتين بها عن انقضاء مرادهم بها بما يلحقون من الشبهة فيضلون غيرهم
 بما أوسعنا عليهم وأعزهم به من الأموال والأولاد (أو لئنك) أي هؤلاء البعداء البغضاء
 (في العذاب) أي المزيل للعدو (محضرون) أي يحضرونهم فيه الموكلون بهم من جندنا
 على أهون وجه وأسهل (قل) أي يا أشرف الخلق لجميع الخلق ومنهم هؤلاء (إن ربّي) أي
 المحسن إلى هذا البيان وغيره (يسيطر الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) متى شاء (من عباده)
 امتحاناً (ويقدر) أي يضيقة (له) بعد البسط ابتلاء قال البيضاوي فهذا في شخص واحد
 باعتبار وقتين وماسبق في شخصين فلا تكرار * ولما بين هذا البسط أن فعله بالاختيار بعد
 أن بين بالأول كذبهم في أنه سبب السلامة من الفار دل على أنه الفاعل لا غيره بقوله تعالى
 (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه) أي فهو يعوضه لا معقوض سواء أعاجل بالمال أو بالقاء
 التي هي كثر لا تقدر وأما أجلاً بالثواب الذي كل خلف دونه وعن سعيد بن جبير ما كان في غير
 اسراف ولا تقصير فهو يخلفه وعن الكلبي ما تصدقتم من صدقة وأنفقتم في خير من نفقة فهو
 يخلفه على المنفق ما أن يجعل له في الدنيا وأما أن يدخله في الآخرة وعن مجاهد من كان
 عنده من هذا المال ما يقيه فليقتصد فان الرزق مقسوم ولعل ما قسم له قليل وهو ينفق نفقة
 الموسع عليه فينفق جميع ما في يده ثم يبقى طول عمره في فقر ولا يتأول وما أنفقتم من شيء فهو
 يخلفه فان هذا في الآخرة ومعنى الآية وما كان من خلف فهو منه فدل ذلك على أنه يخص
 بالاختلاف لأنه ضمن الاختلاف لكل ما ينفق على أي وجه كان وعن أبي هريرة أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال قال الله تبارك وتعالى أنفق ينفق عليك وسلم يا ابن آدم أنفق أنفق عليك
 وعن أبي هريرة أيضاً أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملأ مكان
 بنزلان يقول أحدهما اللهم أعط منة فاخلقها ويقول الآخر اللهم أعط مسكاً فلنا وعنه أيضاً
 أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما نفقت أحد صدقة من مال وما زاد الله رجلاً يعفو
 الاعز أو ما فاضع أحد لله الارزعه الله عز وجل وعن عبد الحميد بن الحسن الهلالي قال أنبأنا
 محمد بن المنكدر عن جابر بن عبد الله قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كل معروف صدقة

وكل ما أنفق الرجل على نفسه وأهله كتب له صدقة وما وقي الرجل به عرضه كتب له بها صدقة
قلت ما معنى وقي به عرضه قال ما أعطى الشاعر وهذا اللسان المتقي وما أنفق المؤمن من نفقة
فعلى الله خلفها ضامننا الا ما كان من نفقة في بنيان أو معصية الله عز وجل قوله قلت ما معنى
مقول عبد الحميد لمحمد بن المنكدر (وهو خير الرازقين) فان قيل قوله تعالى خير الرازقين بنى عن
كثرة الرازقين ولا رازق الا الله تعالى (أجيب) بأن الله تعالى هو خير الرازقين الذين يغدوهم
هذا الغداء بمن يقيمهم الله تعالى فيضيئون الرزق اليهم لان كل من يرزق غيره من سلطان
يرزق جنده أو سيد يرزق عبده أو رجل يرزق عياله فهو واسطة لا يقدر الا على ما قدره الله وأما
هو سبحانه فهو يوجود المعدوم ويرزق من يطيعه ومن يعصيه ولا يضيق رزقه بأحد ولا يشغله
فيه أحد عن أحد وعن بعضهم الحمد لله الذي أوجدني وجعلني بمن يشتهي فيجد فكم من مشته
لا يجد وواحد لا يشتهي وقرأ أبو عمر ووفالون والكسائي فهو يخلفه بسكون الهاء والباقون
بالضم * ولما بين تعالى ان حال النبي صلى الله عليه وسلم كحال من تقدمه من الانبياء وحال قومه
كحال من تقدمه من الكفار وبين بطلان استدلالهم بكثرة أموالهم وأولادهم بين ما يكون عاقبة
حالههم بقوله تعالى (ويوم نحمرهم جميعا يكره بعد البعث وعم التابع والمتبوع
بقوله تعالى (جميعا) فلم تغادر منهم أحدا وقرأ حفص يحمرهم ثم يقول بالياء والباقون
بالنون * ولما كانت مواقف الحشر طويلة وزلازله مهولة قال تعالى (ثم نقول للملائكة)
أى تؤيها للكافرين واقناطها مارجون منهم من الشفاعة (أهلؤا) أى الضالون وأشار
الى أنه لا ينفع من العبادة الا ما كان خالصا بقوله تعالى (اياكم) أى خاصة (كلوا يعبدون)
فهذا الكلام خطاب للملائكة وتقريع للكفار ووارد على المثل السائر
* اياك أعنى واسمعى يا جاره * ونحوه قوله عز وجل أنت قلت للناس اتخذوني وأسمى الهين من دون
الله وقد علم سبحانه كون الملائكة وعيسى منزهين برآء عما وجه عليهم من السؤال الوارد على
طريق التقرير والغرض أن يقول ويقولوا ويسأل ويجيبوا فيكون تقريرهم أشد وتعيمهم
أبلغ ونجاءهم أعظم ولذلك (قالوا) أى الملائكة متبرئين منهم ممتنعين بالترتيب تخضع عين يدي
البراءة خوفا (سبحانك) أى تنزهك تنزهها يلقى بجلال عن أن يستحق أحد غيرك أن يعبد (أنت
وآبنا) أى معبودنا الذى لا وصلة ينشأ بين أحد الاباء و (من دونهم) أى ليس ينشأ بينهم
ولا يهبل عداوة وكذا كل من تقرب الى شخص بعصية الله تعالى فانه يقضى الله تعالى قلبه عليه
ويسغسه فيه فيجانبه ويعاديه * ثم أضربوا عن ذلك ونفوا عنهم عبدوهم على الحقيقة بقولهم (بل
كلوا يعبدون الجن) أى ابليس وذريته الذين زينوا لهم عبادتنا من غير رضا بذلك وكانوا
يدخلون فى أجواف الاصنام ويخاطبونهم ويستجيبونهم فى الاماكن المخوفة ومن هذا نفس
عبد الديار وعبد الدرهم وعبد القطيفة وقبل صورت الشياطين لهم صور قوم من الجن وقالوا
هذه صور الجن فاعبدوها ثم استأنفوا قولهم (أكرههم) أى الانس (بهم) أى الجن
(مؤمنون) أى واسخون فى الاشرار لا يقصدون بعبادتهم غيرهم وقبل الضمير الاقل

للمشركين والاكثريين الكفر وقيل منهم من قصد بعبادته بتزيين الحق غيرهم وهم مع ذلك
يصدقون ما يردد عليهم من اخبارات الحق على السنة الصالحة وغيرهم مع ما يرون فيها من
الكذب في كثير من الاوقات * ولما بطلت تمسكهم وانقطعت تعلقاتهم تسبب عن ذلك
تقريبهم للناس عن تدعيم بقوله تعالى بلسان العظمة (فاليوم) أي يوم مخاطبتهم بهذا
التبكي وهو يوم الحشر (لا يملك) أي شيئاً من الملك (بعضكم لبعض) أي من المقربين
والمبعدين (نفعا ولا ضررا) بل تنقطع الاسباب التي كانت في دار التكليف من دار الجزاء التي
المقصود فيها تمام اظهار العظمة لله وحده على أتم الوجوه (فان قيل) قوله تعالى نفعا مفيد
للمعسر فما فائدة ذكر الضرر مع انهم لو كانوا يملكون الضر لما نفع الكافرين ذلك (أجيب)
بأن العباد لما كانت تقع لدفع ضرر المعبود كما يعبد الجبار ويخضع مخافة شره بين انه ليس فيه
ذلك الوجه الذي تحسن لاجله عبادتهم وقوله تعالى (ونقول) أي في ذلك الحال من غير
امهال (لذين ظلموا) أي بوضع العباد في غير موضعها عند ادخالهم النار (ذوقوا عذاب
النار التي كنتم) أي جبلة وطبعاً (بها تكذبون) عطف على لا يملك فين المقصود من تعذيبه
(فان قيل) قوله ههنا التي كنتم بها صفة للنار وفي السجدة وصف العذاب فجعل المكذب ههنا
النار وجعل المكذب في السجدة العذاب وهم كانوا يكذبون بالكل فيما فادته (أجيب) بأنهم
كانوا متلبسين بالعذاب مترددين فيه بدليل قوله تعالى كلما أرادوا أن يخرجوا منها أعبدها فيها
وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون فوصف لهم ما لا يسووه وهنالك يلبسوه بعد
لانه عقب حشرهم وسؤالهم فهو أول مارا النار فقل لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون
(وإذا تنبأ عليهم) أي في وقت من الاوقات من أي نال كان (آياتنا) أي من القرآن حال كونها
(بينات) أي واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (فألوامهاذا) يعنون محمد صلى
الله عليه وسلم (الارجل) أي مع كونه واحدا هو مثل واحد من رجالكم وتريدون أنتم عليه
بالكثرة (يريد أن يصدقكم) بهذا الذي يتلوه (عما كان يعبد آباؤكم) من الاصنام أي لا قصد
له الا ذلك لتكونوا له اتباعا فعارضوا البرهان بالتقليد (وقالوا ما هذا) أي القرآن وقيل القول
بالوحدانية (الافك) أي كذب مصروف عن وجهه (مفتري) باضافته الى الله تعالى
كقوله تعالى في حقهم أفكوا آلهة دون الله تريدون وكقولهم للرسول أجتئتكم بالتأفك عن آلهتنا
(وقال الذين كفروا) أي ستروا ما دلت عليه العقول من جهة القرآن (الحق) أي الهدى الذي
لا أثبت منه باعتبار كمال الحقيقة فيه (لما جاءهم) من غير نظر ولا تأمل (ان) أي ما (هذا) أي
الثابت الذي لا شيء أثبت منه (الاحمر) أي خيال لا حقيقة له (صين) أي ظاهر قال ابن عادل
وهذا انكار للتوحيد وكان مختصا بالمشركون وأما انكار القرآن والمجزة فكان متفقا عليه بين
المشركين وأهل الكتاب فقال تعالى وقال الذين كفروا على العموم انتهى ولم يحملهم على ذلك
الا لخطوط النفسانية والعلق الشهوانية قال الطفيل بن عمرو الدوسي ذوالنور اعدوا
على في أمره صلى الله عليه وسلم حتى حشوت في أذني ما الكفر فسوخا من أن يخلص الى

شيء من كلامهم فيفتني ثم أراد الله تعالى لي الخير فقلت واسأل أُمِّي والله اللبيب عاقل شاعر
 ولي معرفة بغث الكلام من سمينه فما لي لأسمع منه فإن كان حقا تبعته وإن كان باطلا كنت
 منه على بصيرة أو كما قال قال فقصدت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت أعرض علي ما جئت به فلما
 عرضه علي قلت بأبي وأُمِّي ما سمعت قولاً قط هو أحسن منه ولا أمر أعدل منه فما توقفت في أن
 أسألت ثم سألت النبي صلى الله عليه وسلم في أن يدعو له الله تعالى أن يعطيه آية يعينه بها على
 قومه فلما أشرف علي حاضرة قومه كان له نور في جبهته فخشيت أن يظنوا انه سائله فدعا الله تعالى
 بتحويله فتحول في طرف سوطه فأعانه الله تعالى علي قومه فأسلموا * (تنبيه) * في تكرير الفعل
 وهو قال والتصريح بذكر الكفرة وما في لامي الذين والحق من الإشارة إلى القائلين والمقول
 فيه وما في لامي من المفاجأة إلى البت بهذا القول انكار عظيم للقول ونعجب ببلغ منه * ولما
 بارزوا بهذا القول من غير إثارة من علم ولا خبر من سمع بين ذلك بقوله تعالى (وما) أي قالوا
 ذلك والحال أنما (آتيناهم) أي هؤلاء العرب (من كتب) أصلاً لانهم لم ينزل عليهم قط قبل
 القرآن كتاب وأتى بصيغة الجمع مع تأكيد النفي قبل كآبك الجامع (يدرسونها) أي يجتهدون
 دراستها كل حين فيها دليل على صحة الاشارة (وما أرسلنا) أي ارسالاً لاشبهه فيه لمناسبتها لما
 لنا من العظمة (اليهم) أي خاصة بمعنى أن ذلك الرسول مأمور بهم بأعيانهم فهم مقصودون
 بالذات لأنهم داخلون في عموم أو مقصودون من باب الامر بالمعروف في جميع الزمان الذي
 (قبلك) أي قبل رسالتك الجامعة لكل رسالة (من نذير) أي ليكون عندهم قول منه يدعوهم
 إلى الاشارة أو ينذرهم على تركه وهذا في غاية التجهيل لهم والتسفيه لرأيهم ثم هددهم بقوله
 تعالى (وكذب الذين من قبلهم) أي من قوم نوح ومن بعدهم بادروا إلى ما بادرا إليه هؤلاء من
 التكذيب لأن التكذيب كان في طباعهم لما عندهم من الخلافة والكبر (وما بلغوا) أي هؤلاء
 (معشار ما آتيناهم) أي عشر اصغرها مما آتيناهم أولئك من القوة في الابدان والاموال والمكينة
 في كل شيء من العقول وطول الاعمار والخلو من الشواغل (فكذبوا) أي بسبب ما طبعوا
 عليه من العناد (رسلي اليهم) فكيف كان تكبر أي انكارى على المكذبين لرسلي بالعقوبة
 والاهلاك أي هو واقع موقعه فليحذر هؤلاء من مثله ولا تكرروا في كذب لأن الاول للتكثير
 أي فعلوا التكذيب كثيراً فكان سبباً لتكذيب الرسل والثاني للتكذيب أو الاول مطلق
 والثاني مقيد ولذلك عطف عليه (قل انما أعظكم) أي أرشدكم وأنصح لكم (بواحدة) أي
 بمصلحة واحدة هي (أن تقوموا) أي توجهوا ونفوسكم إلى تعزف الحق وعبر بالقيام إشارة إلى
 الاجتهاد (لله) أي الذي لا أعظم منه على وجه الاخلاص واستحضار ماله من العظمة بماله
 لديكم من الاحسان لا لارادة المغالبة حال كونكم (مثنى) أي اثنين اثنين قال البقاعي
 وقدمه إشارة إلى أن أغلب الناس ناقص العقل (وفرادى) أي واحد واحداً من وثق بنفسه
 في رصانة عقله واصابة رأيه قام وحده ليكون أصنى لسرته واهون على خلوص فكره ومن خاف
 عليها ضم اليه آخر ليدكره اذ انسى وبقومه اذ ازاغ ولم يذكّر غيرهما من الاقسام لأن الازدحام

يشتمون الخواطر ويخطئ القول * ولما كان ما طلب منهم هذا لا جله عظيم جديراً بأن يهتم له
 هذا الاهتمام أشار إليه بأداة التراخي بقوله تعالى (ثم تفكروا) أى فى أمر محمد صلى الله عليه
 وسلم وما جاء به لتعلموا حقيقته (مابصاحبكم) أى رسوا لكم الذى أرسل اليكم وهو محمد صلى
 الله عليه وسلم (من جنه) أى جنون يحمله على ذلك (ان) أى ما (هو) أى المحدث عنه
 بعينه (الانذير) أى خالص انذاره (لكم بين يدي) أى قبل حلول (عذاب شديد) أى فى الآخرة
 ان عصيتموه روى البخارى عن ابن عباس انه قال معذر رسول الله صلى الله عليه وسلم الصفا
 ذات يوم فقال يا صباها فاجعت اليه قريش فقالوا مالك فقال أرايتم لو أخبرتكم أن العدو
 يصحبكم أو يمسكم أما كنتم تصدقوني قالوا بلى قال فأتى نذر لكم بين يدي عذاب شديد فقال
 أبو لهب تبأله الله ألهذا جئنا فأنزل الله تعالى تبأى أبى لهب وتب * ولما اتقى عنه بهذا
 ما تخيلوا به بقي امكان أن يكون لغرض أمر دينوى ففناه بقوله تعالى (قل) أى لهم يا أشرف
 الخلق (ما) أى مهما (سألتكم من أمر) أى على دعائى لكم من الانذار والتبليغ (فهو
 لكم) أى لا أريد منه شيئاً وهو كناية عن انى لا أسألكم على دعائى لكم الى الله تعالى أجراً
 أصلاً بوجه من الوجوه فاذا ثبت أن الدعاء ليس لغرض دينوى وان الداعي أرجح الناس عقلاً
 ثبت أن الذى جله على قهر يرض نفسه لتلك الاخطار العظيمة انما هو أمر الله تعالى الذى له الأمر
 كله (ان) أى ما (أجرى) أى نوابى (الاعلى الله) أى الذى لا أعظم منه فلا ينبغي لذى همه
 أن يطلب شيئاً الا من عنده (وهو) أى والحال انه (على كل شئ شهيد) أى حفيظ مهين بليغ
 العلم بأحوالى قبيح صدق وخلوص نيتى وقرآنافع وأبوعرو وابن عامر وحنص أجرى
 فى الوصل بفتح الباء والباقون بالسكون (قل) أى لمن أنكر التوحيد والرسالة والخسر
 (ان ربي) أى المحسن الى أنواع الاحسان (يقذف بالحق) أى يلقيه الى أيمنه أو يرى
 به الباطل الى أقطار الآفاق فيكون وعداً باظهار الاسلام وافشائه (علام الغيوب) أى
 ما غاب عن خلقه فى السموات والارض * (تنبيه) * فى رفع علام أوجه أظهارها انه خبر ثان
 لأن أو خبر مبتدأ ماضى أو بدل من الضمير فى يقذف وقال الزخشرى رفع محمول على محل ان
 واسمها أو على المستكن فى يقذف بمعنى بقوله محمول على محل ان واسمها التعت الآن ذلك
 ليس مذهب البصريين لانهم لم يعتبروا المحل الا فى العطف بالحرف بشرط عند بعضهم ويريد
 بالحل على الضمير فى يقذف أنه بدل منه لأنه نعت له لأن ذلك انفرده الكسائى وقرأه
 وشعبة بكسر الغين والباقون بالضم (قل) لهؤلاء (جاء الحق) أى الاسلام وقيل القرآن
 وقيل كل ما ظهر على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وقيل المعجزات الدالة على نبوة محمد صلى الله
 عليه وسلم وقيل المراد من جاء الحق أى ظهر الحق لأن كل ما جاء فقد ظهر وأكذلك يالهيم
 فى ظنهم انهم يغلبون بقوله تعالى (وما) أى والحال أنه ما (يبدئ الباطل) أى الذى أنتم عليه
 من الكفر (وما يعيد) أى ذهب فلم يبق منه بقية مأخوذ من هلاك الحى فانه اذا هلك لم يبق له
 أبداء ولا إعادة فجعلوا قولهم لا يبدئ ولا يعيد مثلاً فى الهلاك ومنه قول عبيد

أقفر من أهله عبید * أصبح لا يبدى ولا يعبد

والمعنى جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى جاء الحق وزهق الباطل وعن ابن مسعود دخل النبي صلى الله عليه وسلم مكة وحول البيت ثلثمائة وستون صنما فجعل يطعنهم بعود ويقول جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا جاء الحق وما يبدى الباطل وما يعبد وقيل الباطل البليس أى ما ينشئ خلقا ولا يعبد والمثنى والباعث هو الله تعالى وعن الحسن لا يبدى لأهله خيرا ولا يعبد أى لا ينفعهم فى الدنيا والآخرة وقال الزجاج أى نئى ينشئه البليس ويعبده فجعله للاستفهام وقيل للشيطان الباطل لانه صاحب الباطل ولانه هالك كما قيل له الشيطان من شأط اذا هلك وحيفه لا يكون غير منصرف وان جعلته من شطن كان منصرفا * ولما لم يبق بعده هذا الآن يقولوا عنادا أنت ضال ليس بك جنون ولا كذب وامكنك قد عرض لك ما أضلك عن المحجة قال تعالى (قل) أى لهؤلاء المعاندين على سبيل الاستعفاف بما فى قولك من الانصاف وتعليم الأدب (ان ضللت) أى عن الطريق على سبيل القرض (فأنا أضل على نفسى) أى اثم اضلالى علما (وان اهديت فبما) أى فاهدانى انما هو بما (يوسى الى ربى) أى المحسن الى من القرآن والحكمة لا بغيره فلا يكون فيه ضلال لانه لاحظ للنفس فيه أصلا (فان قيل) أين التقابل بين قوله تعالى فأنما أضل على نفسى وقوله تعالى فبما يوسى الى ربى وانما كان يقال فأنما أضل على نفسى وان اهديت فأنما اهدى لها كقوله تعالى من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعلىها وقوله تعالى فم اهدى فلنفسه ومن ضل فأنما يضل عليها ويقال فأنما أضل نفسى (أجيب) بأنهم مامتنق بلان من جهة المعنى لان النفس كل ما عليها فهو وبسببها لانهم الامارة بالسوء وما لها عما ينفعها فهداية ربه ونوفيقه وهذا حكم عام لكل مكلف وانما أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يسنده الى نفسه لان الرسول اذا دخل تحتهم مع جلالة محله وسداد طريقته كان غيره أولى به وفتح الياء من ربى عند الوصل نافع وأبو عمرو والباقون بالسكون وهم على مراتبهم فى المد ثم عمل الضلال والهداية بقوله تعالى (انه) أى ربى (سمع) أى لكل ما يقال (قريب) أى يدرك قول كل ضال زهده وفعله وان أخفاه * ولما أبطل تعالى شبههم ونخم من صفاته بما يقتضى البطش عن خالفه عطف على ولورى اذا الظالمون (ولورى) أى تبصر بأشرف الخلق (آذفزعوا) أى عند الموت أو البعث أو يوم يدرى جواب لو محذوف نحو رأيت أمرا عظيما (فلا) أى فتسبب عن ذلك الفرع أنه لا (قوت) أى لهم منا لانهم فى قبضتنا ثم حقر أمرهم بالإناء لانه قول بقوله تعالى (وأخذوا) أى عند الفرع من كل من تأمره بأخذهم سواء كان قبل الموت أم بعده (من مكان قريب) أى القبور أو من الموقف الى النار أو من صحرابدر الى التليب وقال الكاظم من تحت أقدامهم * وقيل أخذوا من ظهر الارض الى بطنها وحيثما كانوا فهم من الله تعالى قريب لا يقربونه والعطف على فزعوا أو لافوت (وقالوا) أى عند الاخذ ومعانية الثواب والعقاب (أمانابه) أى القرآن الذى قالوا انه افك

مفتري أو محمد صلى الله عليه وسلم الذي قالوا انه ساحر (واني) أى وكيف ومن أين (لهم
التناوش) أى تناول الايمان تناولاً سهلاً (من مكان بعيد) أى عن محله اذهب في الآخرة
ومحله في الدنيا ولا يمكن الا برجوعهم الى الدنيا التي هي دار العمل وهذا تمثيل لحالهم في طلبهم
أن ينفعهم ايمانهم في ذلك الوقت كما ينفع المؤمنين ايمانهم في الدنيا بحال من أراد أن يتناول شيئاً
من علوه كما يتناوله الآخر من قدر ذراع تناولاً سهلاً لا تعب فيه (فان قيل) كيف قال تعالى من
مكان بعيد وقد قال تعالى في كثير من المواضع ان الآخرة من الدنيا قريب وسمى الله تعالى
الساعة قرية فقال اقربت الساعة اقرب للناس حسابهم لعل الساعة قريب (أجيب) بأن
الماضى كالماض الدابر وهو من أبعد ما يكون اذ لا وصول اليه والمستقبل وان كان بينه وبين
الحاضر سمنون فانه أت في يوم القيامة الدنيا بعيدة منه لمضيها ويوم القيامة في الدنيا قريب لآتيانه
وقرأ أبو عمر وروى بكر وجزء والكسائي بعد الالف بهمزة مضمومة والباقون بعد الالف بواو
مضمومة فعناه على هذا كيف لهم تناول ما بعد عنهم وهو الايمان والتوبة وقد كان قريباً
في الدنيا فضيعوه وأما من هم فقيل معناه هذا أيضاً وقيل التناوش بالهمزة من التناوش الذي
هو حركة في ابطاء يقال حامئماً أى مبطئاً متأخراً والمعنى من أين لهم الحركة فيما لا حيلة لهم
فيه قال ابن عباس يسألون الرديق قال وأنى لهم الرذالى الدنيا من مكان بعيد أى من الآخرة
الى الدنيا وأما الى محضة جزء والكسائي وأبو عمرو وبين بن وورش بالفتح وبين اللقطين
والباقون بالفتح (وقد) أى كيف لهم ذلك والحال أنهم قد (كفروا به) أى بالذى طلب منهم
أن يؤمنوا به محمد صلى الله عليه وسلم أو اقرن أو البعث (من قبل) أى في دار العمل
(و) الحال أنهم حال كفرهم (يتذفون) أى يرمون (بالغيب) ويتكلمون بما يظنهم في
الرسول صلى الله عليه وسلم من المطاعن وهو قولهم ساحر وشاعر وكاهن وفي القرآن صخر شعر
كهمابة وقال قتادة يعنى يرجون بالظن يقولون لا بعت ولاجنة ولا نار (من مكان بعيد) أى ما غاب
علمهم غيبة بعيدة وهذا تمثيل لحالهم في ذلك بحال من يرى شيئاً ولا يراه من مكان بعيد لا بحال
للظن في لحوقه (وحمل بينهم وبين ما يشتهون) أى من نفع الايمان يومئذ والنجاة من النار
والقوز بالجفنة أو من الرذالى الدنيا كما حكى عنهم ارجعنا فاعمل صالحاً * وقرأ ابن عامر
والكسائي بضم الحاء وهو المسمى بالاشهام والباقون بكسر هاء (كافعل) أى بأدبر وجهه
(بأشياءهم) أى أشباههم من كفره الامم ومن كان مذهبه مذهبهم (من قبل) أى قبل زمانهم فان
حالهم كان كحالهم ولم يتخلل أمر نافي أمة من الامم بل كان كلما كذبت أمة رسوا لها أخذناها
فاذا أذقناها بأسنا أذعنوا وخضعوا فلم يقبل منهم ذلك ولا نفعهم شيئاً لا بالاصف عن
اهلاكهم ولا لادراكهم شيئاً من الخير بعد اهلاكهم ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى
السمع وهو شديد على عدم الوصول الى قصدهم بقوله تعالى مؤكداً لانكارهم أن يكون
عندهم شئ من شك في شئ من أمرهم (انهم كانوا) أى في دار القبول (في شك) أى في جميع
ما تخبرهم به رسلانا عن الجزاء والبعث وغير ذلك (مرئب) أى موقع في الرية فهو بليغ

في بابه كما يقال عجب عجب أو هو واقع في الريب كما يقال شعر شاعر أي ذو شعر فهو اسم فاعل من
أراب أي أتى بالريب أو دخل فيه وأرسته أي أوقعته في الريب ونسبة الاربابة الى الشئ مجاز
قال الزمخشري الأتأت بينهما فرقا وهو أن المريب من المتعدى منقول عن يصح أن يكون
مرييا من الاعيان الى المعنى ومن اللازم منقول من صاحب الشك الى الشك كما تقول شعر
شاعر انتهى وقول البضاوى تبعاً للزمخشري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة
سبأ لم يبق نبي ولا رسول الا كان له يوم القيامة رفيقا ومصاحفا حديث موضوع

﴿سورة فاطر مكية﴾

وهي ست وأربعون آية ومائة وسبعة وتسعون كلمة وثلاثة آلاف ومائة وثلاثون حرفا وهي
ختم السور المفتحة باسم الحمد التي فصلت فيها النعم الاربعة التي هي أمهات النعم المجموعة في
الفاتحة وهي الابداد الاول ثم البقاء الاول ثم الابداد الثاني المشار اليه بسورة سبأ ثم البقاء
الثاني الذي هو أنهاها وأحكامها وهو الختام المشار اليه بهذه السورة المفتحة بالابتداء
الدال عليه بانها القدرة وأحكامها المفصل أمره فيها في فريق السعادة والشقاوة تفصيلا
شافعا على أنه استوفى في هذه السورة النعم الاربعة كما يأتي بيانه في محمله (بسم الله) الذي
أحاط دائرة قدرته بالممكن (الرحمن) الذي عم الخلق بعوم الرحمة (الرحيم) الذي شرف
أهل الكرامة بدوام المراقبة * ولما أثبت سبحانه في التي قبلها الحشر الذي هو الابداد الثاني
وكان الحمد يكون بالذبح والاعدام كما يكون بالاعطاء والانعام قال تعالى ما هو نتيجة ذلك
(الحمد) أي الاحاطة بأوصاف الكمال اعداما وابدادا (الله) أي وحده * ولما كان
الابداد من العدم أدل دليل على ذلك قال تعالى دال على استحقاقه للعباد (فاطر السموات
والارض) أي خالقه ما وبعدهما على غير مثال سبق قاله ابن عباس أو شاقهما التزول الارواح
من السماء وخروج الاجساد من الارض وعن مجاهد عن ابن عباس ما كنت أدرى ما فاطر
السموات والارض حتى اختصم الى أعرايين في بئر فقال أحدهما أنا فطرتهما أي ابتدأتهما
* (تنبه) ان جعلت اضافة فاطر محضة كان نعمنا وان جعلتم غير محضة كان بدلا وهو قليل من
حدث أنه مشتق * ولما كانت الملائكة عليهم السلام مثل الخفافين في أن كل منهم مبدع من
العدم على غير مثال سبق من غير مادة وكان لا طريق لعامة الناس الى معرفتهم الا بالخبر أخبر
عنهم بعدما أخبر عا طريفة المشاهدة بقوله تعالى (جاعل الملائكة رسلا) أي وساططين الله
وبين أنبيائه والصالحين من عباده يبلغون رسالته بالوحي والالهام والرؤية الصادقة وبينه وبين
خلقه بوصول اليهم آثار صنعهم (أولى) أي أصحاب (أجحة) أي رؤسهم لما يراد منهم ثم وصفها بقوله
تعالى (مثنى) أي جناحين لكل واحد من صنف منهم (وثلاث) أي ثلاثة ثلاثة لصف
آخر منهم (ورباع) أي أربعة أربعة لصف آخر منهم فهم متفاوتون بتفاوت مالهم من
المراتب يزلون بها ويعرجون ويسرعون بها نحو ما وكلهم الله تعالى عليه فيستصرفون فيه على
ما أمرهم به وانما التصرف هذه الصفات لتكبر العدل فيها وذلك أنها عدلت عن ألقاظ

الاعداد من صبيغ الى صبيغ آخر كما عدل عمر عن عامر وحذام عن حاذمة (يزيد في الخلق ما يشاء)
 أي يزيد في خلق الاجنحة وفي غيره ما تقتضيه مشيئته وحكمته والاصل الجناحان لانهم ما بمنزلة
 اليدين ثم الثالث والرابع زيادة على الاصل وذلك اقوى للطيران وأعون عليه (فان قيل) قياس
 الشفع من الاجنحة أن يكون في كل شق نصفه فمصورة الثلاثة (أجيب) بأن الثالث لعله
 يكون في وسط الظهر بين الجناحين عتدهما بقوة أوله لغير الطيران قال الزمخشري فقد مر بي
 في بعض الكتب ان صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلفون بهما أجسادهم
 وجناحان يطيران بهما في الامر من أمور الله تعالى وجناحان مخرجان على وجوههم حياة
 من الله تعالى انتهى وروى ابن ماجه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال رأيت جبريل عند
 سدرة المنتهى وله ستائة جناح ينثر من رأسه الدر والياقوت وروى انه عليه السلام آل جبريل
 أن يتراعى في صورته فقال انك ان تطبق ذلك فقال اني أحب أن تفعل فخرج رسول الله صلى
 الله عليه وسلم في ليلة مغمرة فأتاه جبريل في صورته فعشى على رسول الله صلى الله عليه وسلم
 ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده واحدى يديه على صدره والاخرى بين كتفيه فقال سبحان
 الله ما كنت أرى أن شيئا من الخلق هكذا فقال جبريل فكيف لو رأيت اسرافيل عليه السلام له
 اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالشرق وجناح بالمغرب وأن العرش على كاهله وان ليعزال
 الاحابيل لعظمة الله تعالى حتى يعود مثل الوضع وهو العصفور الصغير وروى عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى يزيد في الخلق ما يشاء وهو الوجه الحسن والصوت الحسن
 والشعر الحسن وقيل هو الخط الحسن وعن قتادة الملاحية في العينين والآية كما قال الزمخشري
 مطلقة تتناول كل زيادة في الخلق من طول قامة واعتدال صورة وتعام في الاعضاء وقوة
 في البطش ومثانة في العقل وجزالة في الرأي وبراعة في القلب وسماحة في النفس وذلاقة
 في اللسان ولباقة في التكلم وحسن تأن في مزاوله الامور وما أشبه ذلك مما لا يحيط به
 الوصف ثم علل تعالى ذلك كله بقوله وقد كذبوا عنك الانكار هم البعث (ان الله) أي الجامع
 لجميع أوصاف الكمال (على كل شيء قدير) وتخصيص بعض الاشياء دون بعض انما هو
 من جهة الارادة قال أبو جعفر بن الزبير لما أوضحت سورة سبأ انه سبحانه مالك السموات
 والارض ومستحق الحمد في الدنيا والاخرة أوضحت هذه السورة ان ذلك خلقه كما هو ملكه
 وأنه الاهل للحمد والمستحق اذا لكل خلقه وملكه وتجزت سورة سبأ لتعريف العباد بعظيم
 ملكه سبحانه وتجزت هذه لتعريف بالاختراع والخلق • ولما وصف سبحانه نفسه المقدسة
 بالقدرة الكاملة دل على ذلك بما يشاهد كل أحد في نفسه من السعة والضيق مع العجز عن دفع
 شيء من ذلك أو اقتناصه وقال مستأنفا ومعللا مستنجبا (ما) أي مهمافهي شريفة (يفض
 الله) أي الذي لا يماثفه شيء (للناس) لأن كل ما في الوجود لاجلهم (من رحمة) أي من
 الارزاق الحسية والمعنوية من اللطائف والمعارف التي لا تدخل تحت حصر قلت أو كثرت
 فبرسلها (فلانك لها) أي الرحمة بعد فتحه كما يعلم كل أحد في نفسه من أنه اذا حصل له خير

لا بعده من يودّانه لم يحصل ولو قدر على ازالته لازاله ولا يقدر على تأثير ما فيه (وما عسك فلا
مرسل له) بطلته واختلاف الضميرين لأن الموصول الاول مفسر بالرجة والثاني مطلق
يتناولها والغضب وفي ذلك اشعار بأن رجته سبقت غضبه * ولما كان ربما دعى أحد فجورا
حال امساك الرجة أو النعمة انه هو الممسك قال تعالى (من بعده) أى امساكه وارساله
(وهو) أى هو فاعل ذلك والحال انه هو وحده (العزير) أى القادر على الامساك
والارسال الغالب على كل شئ ولا غالب له (الحكيم) أى الذى يفعل فى كل من الامساك
والارسال وغيرهما ما يقتضيه علمه به ويتقن ما اراده على قوائن الحكمة فلا يستطيع نقض
شئ منه * ولما بين بما يشاهده كل أحد فى نفسه انه المنعم وحده أمر به بذكر نعمته بالاعتراف بأنها
منه فان الذكر يعود الى الشكر وهو قيد الموجود وصيد المعدوم المقفود قال (تأيتها
الناس) أى الجميع لأن جميعهم مغمورون فى نعمة الله تعالى وعن ابن عباس يريد بأهل
مكة (اذكروا) بالقلب واللسان (نعمت الله) أى الذى لا منعم فى الحقيقة سواء (عليكم)
أى فى دفع ما دفع عنهم من المحن وصنع ما صنع لكم من المن لتشكروه ولا تنكروه
* (تنبيه) نعمت هنا مجرورة فى الرسم وقف عليها الن كثير وأبو عمر والكسائي بالهاء
والباقون بالتاء واذا وقف الكسائي أمال الهاء * ولما أمر به بذكر نعمته أكد التعريف بأنها
منه وحده على وجه بين عزته وحكمته بقوله تعالى منها لمن غفل ومنها لمن حمد واداء على أهل
القدر الذين يدعون أنهم يخلقون أفعالهم ومنها على نعمة اليجاد الاول (هل من خالق)
أى للنعم وغيرها (غير الله) أى فليس لغيره فى ذلك مدخل يستحق أن يشرك به * وقرأ
جزء والكسائي بكسر الراء نعمت الخالق على اللفظ ومن خالق مبتدأ من ادفيه من والباقون
بالرفع وفيه ثلاثة أوجه أحدها انه خبر المبتدأ والثانى أنه مفعلة لخالق على الموضع والخبر اما
محذوف واما يرزقكم والثالث انه مرفوع باسم الفاعل على جهة الفاعلية لأن اسم الفاعل
قد اعتمد على أداة الاستفهام * ولما كان جواب الاستفهام قطعاً لا بل هو الخالق وحده قال
منها على نعمة الابقاء الاول بقوله تعالى (يرزقكم) أى وحده فنعمة الله تعالى مع كثرتها
منصورة فى قسمين نعمة اليجاد ونعمة الابقاء * ولما كانت كثرة الرزق كما هو شاهد مع
وحدة المنسج أدل على العظمة قال (من السماء) أى بالمطر وغيره (والارض) أى بالنبات
وغيره * ولما بين تعالى انه الرازق وحده قال (لا اله الا هو فأتى توفكون) أى من أين تصرفون
عن توحيد مع اقراركم بأنه الخالق الرازق وتشركون النعوت بمن له الملكوت * ولما بين
تعالى الاصل الاول وهو التوحيد ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله تعالى (وان
يكذبوك) أى بأشرف الخلق فى مجيئك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب وغير ذلك (فقد
كذبت رسل من قبلك) فى ذلك (فان قيل) فواجه بحجة جزاء الشرط ومن حق الجزاء أن
يعقب الشرط وهذا سابق له (أجيب) بأن معناه وان يكذبوك فتأس بنكذب الرسل من
قبلك فوضع فقد كذبت رسل من قبلك موضع فتأس استغناء بالسبب عن المسبب أعنى

بالكذب عن التائب (فان قيل) ماء معنى التنكير في رسل (أجيب) بأن معناه فقد كذبت
 رسل أى رسل ذوو عدد كثير وأولوايات ونذرو أهل أعمار طوال وأصحاب صبر وعزم وما
 أشبه ذلك وهذا أسلى له وأحث على المصابرة قال القشيري وفي هذا إشارة للعلماء وأرباب
 القلوب مع العوام والاجانب من هذه الطريقة فانهم لا يقبلون منهم الا القليل وأهل الحقائق
 أبدا منهم في مقاساة الآذية والعوام أقرب الى هذه الطريقة من القراء المتعنتين ثم بين من
 حيث الاجمال ان المكذب في العذاب وان المكذب له الثواب بقوله تعالى (والى الله) أى
 وحده لأن له الاسور كلها (ترجع الامور) أى فى الآخرة فيجازيكم وياهم على الصبر
 والتكذيب ثم بين تعالى الاصل الثالث وهو الحشر بقوله تعالى (يا أيها الناس) * ولما
 كانوا ينكرون البعث أكد قوله تعالى (ان وعد الله) أى الذى له صفات الكمال بكل
 ما وعد به من البعث وغيره (حق) أى ثابت لا خلاف فيه وقد وعدكم الله فى يوم تنقطع
 فيه الاسباب ويعرض عن الاحساب والانساب (فلا تغرنكم) أى بأنواع الخداع من اللهو
 والزينة (الحياة الدنيا) فانه لا يلبق بذى همة علية اتباع الدنى والرضا بالدون الزائل عن
 العالى الدائم (ولا يغرنكم بالله) أى الذى لا يخلف الميعاد وهو الكبير المتعال (الفرور) أى
 الذى لا يصدق فى شئ وهو الشيطان العدو ولذلك استأنف قوله تعالى مظهر فى موضع الاضمار
 (ان الشيطان) أى المحترق بالغضب البعيد عن الخير (لكم) أى خاصة (عدو) فهو
 فى غاية الفراغ لاذاكم يتوب مكايد كلها اليكم ويعلس بقلوبكم آدم عليكم عليه السلام بما
 وصل آذاه اليكم وأيضاً من عادى أبالك فقد عاداك فاجتهدوا فى الهرب منه ولا تولوا له كما قال
 تعالى (فاتخذوه) أى بغاية جهنكم (عدوا) أى فى عقائدكم وأفعالكم ولا يوجدن منكم
 الا ما يدل على معاداة ومناصبته فى سرركم وجهركم قال القشيري ولا تقوى على عداوته
 الا بدوام الاستعانة بالرب فانه لا يغفل عن عداوتك فلا تغفل أنت عن مولاك لحظة ثم علل
 عداوته بقوله (انما يدعو حزبه) أى الذين يوسوس لهم فيعرضهم لاتباعه والاعراض عن
 الله تعالى (ليكونوا) باتباعه كوناً راسخاً (من أصحاب السعير) وهذا غرضه لا غرض له
 سواء ولكنه يجتهد فى تعمية ذلك عنهم بأن يقرّر فى نفوسهم جانب الرجاء وينسبهم جانب الخوف
 ويريههم أن التوبة فى أيديهم ويسوف لهم بها بالنسحة فى الامل والابعاد فى الاجل للافساد
 فى العمل والرحن انما يدعو عباده ليكونوا من اهل النعيم كما قال تعالى والله يدعو الى دار
 السلام * ثم بين تعالى ما حال حزب الشيطان بقوله تعالى (الذين كفروا لهم عذاب شديد)
 أى فى الدنيا بذوات ما يملكونه مع تفرقة قلوبهم وانسداد بصائرهم وسنالة همهم حتى انهم رضوا
 أن يكون الههم حجرا وفى الآخرة بالسعير التى دعاهم الى محبتها ثم بين حزبه تعالى بقوله
 سبحانه (والذين آمنوا وعملوا) أى تصديقاً لايمانهم (الصالحات) من صلاة وزكاة وصوم
 وغير ذلك من المأمورات (الهمم مغفرة) أى ستر لنفوسهم فى الدنيا ولولا ذلك لا فتخوا وفى الآخرة
 بحيث لا عتاب ولا عقاب ولولا ذلك لهلكوا (وأجر كبير) هو الجنة والنظر الى وجهه

الكريم فالمغفرة في مقابلة الايمان فلا يؤيد مؤمن في النار والاجر الكبير في مقابلة العمل
 الصالح ونزل كما قال ابن عباس في أي جهل ومشركي العرب (أف زين لم سوء عمله) أي قبحه
 الذي من شأنه أن يسوء صاحبه حالاً وأما لا بان غلب وهمه وهو اه على عقله (فراه) أي السيئ
 بسبب التزين (حسناً) أي عملاً صالحاً (فان) أي السبب في رؤية الاشياء على غير ما هي
 عليه ان (الله) أي الذي له الامر كله (يضل من يشاء) فلا يرى شيئاً على ما هو به فيقدم على
 الهلاك البين وهو يراه عين النجاة (ويهدي من يشاء) فلا يشك كل عليه أمر ولا يفعل الا حسناً
 * (تنبيه) * من موصول مبتدأ وما بعده صلته والخبر محذوف واختلف في تقديره فقد دره
 الكسائي نذهب نفسك عليهم حسرات لدلالة قوله تعالى تسلياً لرسوله صلى الله عليه وسلم حيث
 حزن على اصرارهم بعد آياته بكل آية ظاهرة وحجة فاهرة (فلا تذهب نفسك عليهم) أي
 المزين لهم (حسرات) أي لأجل حسراتك المترادفة لأجل اعراضهم جمع حسرة وهي شدة
 الحزن على ما فات من الامر وقدره الزجاج وأضله الله كن هداة وقدره غيرهما كن لم يزين له
 وهو أحسن لموافقته لفظاً ومعنى وتطيره أفن كان على يفته من ربه أي كن هو أعمى أفن يعلم انما
 أنزل اليك من ربه الحق كن هو أعمى وقال سعيد بن جبيرة زلت هذه الآية في أصحاب الاهواء
 والبدع قال قيادة منهم الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم فأما أهل الكتاب
 فليس وامنهم لانهم لا يستحلون الكفار (ان الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال (عليم) أي بالغ
 العلم (عابضعون) فيجازيهم عليه ثم عاد تعالى الى البيان بقوله سبحانه (والله) أي الذي له صفات
 الكمال لا شيء غيره من طبيعة ولا غيرها (الذي أرسل الرياح) أي أوجدها من العدم فهو بهادليل
 على الفاعل المختار لان الهواء قد يسكن وقد يتحرك وعند حركته قد يتحرك الى اليمين وقد يتحرك
 الى الشمال وفي حركانه المختلفة قد ينشئ السحاب وقد لا ينشئ فهذه الاختلافات دليل على
 مسخر مدبر مؤثر مقدر وقوله تعالى (فتسير سحاباً) عطف على أرسل لان أرسل بمعنى المستقبل
 فمذلك عطف عليه وأتى بأرسل لتحقيق وقوعه وتشير لتصور الحال واستحضار الصورة البدئية
 الدالة على كمال الحكمة كقوله تعالى أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة ولما أسند فعل
 الارسال اليه تعالى وما يفعل به يكون بقوله تعالى كن فلا يبقى في العدم لازماً ولا جراً من الزمان
 فلم يقل بلفظ المستقبل لوجوب وقوعه وسرعة تكوينه فكانه كان ولانه فرغ عن كل شيء فهو
 قدر الارسال في الاوقات المعلومة الى المواضع المعينة * ولما أسند فعل الانارة الى الريح وهي
 تواف في زمان فقال تسير أي على هيئتها وقرأ ابن كثير وجزة والكسائي بالتوحيد والباقون
 بالجمع وقوله تعالى (فسقناه) فيه التفات عن الغيبة (الى بلد مبيت) أي لا نبات بها وقرأ
 نافع وحفص وجزة والكسائي بتشديد الباء والباقون بالتخفيف (فأحييناه) أي بالمطر
 النازل منه وذكر السحاب كذكر المطر حيث أقيم مقامه أو بالسحاب فانه سبب السبب
 أو الصائر مطراً (الارض) بالنبات والكلأ (بعد موتها) أي يسها * (تنبيه) *
 العدول في سقنا وأحيينا من الغيبة في قوله تعالى والله الذي أرسل الرياح الى ما هو أدخل

في الاختصاص وهو التكميل فهمه المفاهيم من مزيد الصنع والكاف في قوله تعالى (كذلك)
 في محل رفع أي مثل احياء الموات (النشور) للاموات وجه الشبه من وجوه أولها أن
 الارض الميتة قبلت الحياة كذلك الاعضاء تقبل الحياة ثانياً كما أن الريح يجمع السحاب
 المقطوع كذلك تجتمع الاعضاء المتفرقة ثالثاً كما أن نسوق الريح والسحاب الى البلاد الميتة
 كذلك نسوق الروح الى الجسد الميت (فان قيل) ما الحكمة في اختيار هذه الآية من بين
 الآيات مع أن الله تعالى له في كل شيء آية تدل على أنه واحد (اجيب) بأنه تعالى لما ذكر كونه
 فاطر السموات والارض وذكر من الامور السماوية والارواح وارسلها بقوله تعالى جاء عمل
 الملائكة رسلاً ذكر من الامور الارضية الرياح وروى أنه قيل لرسول الله صلى الله عليه وسلم
 كيف يحيي الله الموتى وما آية ذلك في خلقه فقال هل مررت بواد هلك محلائهم مررت به يم-
 فقال نعم فقال فكذلك يحيي الله الموتى وتلك آيته في خلقه وقيل يحيي الله الخلق عما يرسله من
 تحت العرش كمنى الرجال تبث منه أجساد الخلق * ولما كان الكافرون يعززون بالاصنام
 كما قال تعالى واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزا والذين آمنوا بألسنتهم غير موافقة
 قلوبهم كانوا يعززون بالمشركن كما قال تعالى الذين يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين
 أيتبعون عندهم العزة فان العزة لله جميعا بين تعالى ان لاعزة الله بقوله سبحانه (من كان)
 أي في وقت من الاوقات (يريد العزة) أي الشرف والمنعة (فله العزة جميعاً) أي في الدنيا
 والاخرة والمعنى فليطلبها عند الله فوضع قوله تعالى فله العزة جميعاً موضع استغناء عنه
 لدلالته عليه لان الشيء لا يطلب الا من عند صاحبه وما لك ونظيره قوله من أراد النصيحة فلي
 عند البرار يريد فليطلبها عندهم الا انك أقت ما يدل عليه مقامه وقال قتادة من كان يريد العزة
 فليعز ببطاعة الله تعالى ومعناه الدعاء الى طاعة من له العزة أي فليطلب العزة من عند الله
 بطاعته كما يقال من كان يريد المال فالمال لفلان أي فليطلبه من عنده * ثم عرف أن ما تطلب به
 العزة هو الايمان والعمل الصالح بقوله تعالى (اليه) أي لا الى غيره (يصعد الكلم الطيب) قال
 المفسرون هو قول لا اله الا الله وقيل هو قول الرجل سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
 والله أكبر وعن ابن مسعود قال اذا حدثتكم حديثاً أنبأكم بمصداق من كتاب الله عز وجل
 ما من عبد مسلم يقول خمس كلمات سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله أكبر وتبارك الله
 الا أخذته ملك فجعلهن تحت جناحه ثم يصعد بهن فلا يتر على جمع من الملائكة الا استغثوا
 لقائلهم حتى يحييهم وجه رب العالمين ومصداق من كتاب الله عز وجل قوله تعالى اليه يصعد
 الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب ذكر الله وعن قتادة اليه يصعد الكلم الطيب أي يقبل الله
 الكلم الطيب وقيل الكلم الطيب يتناول الذكروالدعاء وقراءة القرآن وعن الحاكم موقوفاً
 وعن الثعلبي مرفوعاً أنه صلى الله عليه وسلم قال هو سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
 والله أكبر اذا قالها العبد عرج به الملك الى السماء فحيها بوجه الرحمن فاذا لم يكن عمل صالح
 لم يقبل (والعمل الصالح يرفعه) أي يقبله فصعد الكلم الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله

تعالى اياهما أو صعدا الكعبة بصفتهم أو المستكن في رفعه لله تعالى وتخصيص العمل به هذا الشرف لمافيه من الكلفة وقال سفيان بن عيينة العمل الصالح هو الخالص يعني الاخلاص سبب قبول الخبرات من الاقوال والافعال لقوله تعالى فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا فجعل تقيض الصالح الشرك والرياء * (تنبيه) * صعود الكعب الطيب والعمل الصالح مجاز عن قبوله تعالى اياهما أو صعدا الكعبة بصفتهم والمستكن في رفعه لله تعالى وتخصيص العمل بهذا الشرف لمافيه من الكلفة أو لا لم لم فأن العمل لا يقبل الا بالتوحيد أو لا لعمل فانه يحقق الايمان ويقويه قال الرازي في اللوامع العلم لا يتم الا بالعمل كما قيل العلم بهتف بالعمل فان أجاب والا رنجل انتهى وقد قيل

لاترض من رجل حلاوة قوله * حتى يصدق ما يقول فعاله

فاذا وزنت مقاله بفعاله * فتوازنا فافاء ذلك جماله

وقال الحسن الكلب الطيب ذكر الله تعالى والعمل الصالح أداء فرائضه في ذكر الله تعالى ولم يؤد فرائضه رد كلامه على عمله وليس الايمان بالتني والبالخل ولكن ما وقرى القلوب وصدقته الاعمال فمن قال حسنا وعمل غير صالح رد الله تعالى عليه قوله ومن قال حسنا وعمل صالحا رفعه الله * ولما بين ما يحصل العزة من على الالهة بين ما يكسب المذلة ويوجب النقمة من ردى الهمة بقوله تعالى (والذين يذكرون) أى يعملون على وجه المكراى الستر المكرات (السيات) أى مكرات قريبش بالنبي صلى الله عليه وسلم في دار الندوة وتدورهم الراى في احدى ثلاث حبسه وقتله واجلاؤه كما قال تعالى واذ يذكرك الذين كفروا النبي تلك الآية وقال الكلبي معناه يعملون السيآت وقال مقاتل يعني الشرك وقال مجاهد هم أصحاب الرياء (لهم عذاب شديد) أى لا توبة دونهم بما يذكرون (ومكروا وائسك) أى البعداء من الفلاح (هو) أى وحده دون مكروم من يريد بمكروه الخير فان الله ينقذه ويعلى أمره (يؤور) أى يفسد ولا يتفادى الامور مقدرة فلا تغير بسبب مكروهم كما دل عليه بقوله تعالى (والله خلقكم من تراب) أى يتكون ابيكم آدم منه فزجه من جلا يمكن لغيره تميز ثم أحاله عن ذلك الجوهر أصلا وأساسا اليه الاشارة بقوله تعالى (ثم) أى بعد ذلك في الزمان والرتبة خلقكم (من نطفة) أى جعلها أصلا ثانيا من ذلك الاصل الترابي أشد امتزاجا منه (ثم) بعد أن أنهى التدبير زمانا ورتبة الى النطفة التى لا مناسبة بينها وبين التراب دلالة على كمال القدرة والفعل بالاختيار (جعلكم أزواجا) أى بين ذكور واناك دلالة على أظهر مما قبلها على الاختيار وعن قتادة زوج بعضهم بعضا * (تنبيه) * يصح أن يقال كما قال ابن عادل خلقكم خطاب مع الناس وهم أولاد آدم عليه السلام وكلهم من تراب ومن نطفة لان كلهم من نطفة والنطفة من غذاء والغذاء ينتهى بالآخرة الى الماء والتراب فهم من تراب صار نطفة * ولما بين تعالى بشو له سبحانه خلقكم من تراب كمال قدرته بين بقوله سبحانه (وما تحمل من اثنى ولا تضع) أى حملا (الا) أى مصوبا (بعلمه) أى في وقته ونوعه وشكله

وغير ذلك من شأنه مختصاً بذلك كله حتى عن أمته التي هي أقرب إليه فلا يكون إلا بقدرته فما شاء أمته وما شاء أخرجه كمال علمه ثم بين تفوذا رادته بقوله تعالى (وما يعمر من معمر) أي وما يعد في عمره من مضغره إلى كبر وانما سماه معمر بما هو صائر إليه فغناه وما يعمر من أحد وفي عود ضمير قوله تعالى (ولا ينقص من عمره) قولان أحدهما أنه يعود على معمر آخر لأن المراد بقوله تعالى من معمر الجنس فهو يعود عليه لفظاً لا معنى لأنه بعد أن فرض كونه معمر الاستحالة أن ينقص من عمره نفسه كما يقال لفلان عندي درهم ونصفه أي نصف درهم آخر والثاني أنه يعود على المعمر نفسه لفظاً ومعنى والمعنى أنه إذا ذهب من عمره حول أحصى وكتب ثم حول آخر كذلك فهذا هو النقص وإليه ذهب ابن عباس وابن جرير وأبو مالك ومنه قول الشاعر

حياتك أنفاس تعدفك كما * مضى نفس منك أنت قصت به جزاً

وقال الزمخشري هذا من الكلام المتسارع فيه ثقة في تأويله بإفهام السامعين وانكساراً على تسديدهم معناه يعقوا لهم وأنه لا يلتبس عليهم حالة الطول والتقصير في عمر واحد وعليه كلام الناس المستفيض يقولون لا يئيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحق قال وفيه تأويل آخر وهو أنه لا يطول عمر إنسان ولا يقصر إلا في كتاب وصورته أن يكتب في اللوح أن حج فلان أو غزا فعمره أربعون سنة وان حج وغزا فعمره ستون سنة فإذا جمع بينهما بلغ الستين فقد عمر وإذا فرد أحدهما فلم يتجاوز به الأربعون فقد نقص عن عمره الذي هو الغاية وهو الستون وإليه أشار رسول الله صلى الله عليه وسلم في قوله إن الصدقة والصله تعمران الديار وتزيديان في الأعمار وعن كعب أنه قال حين طعن عمر رضي الله تعالى عنه لو أن عمر دعا الله لا تخرني لأجله فتقبل لكعب أليس قد قال الله تعالى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون فقال هذا إذا حضر الأجل فأما قبل ذلك فيجوز أن يزداد وينقص وقرأ هذه الآية وقد استفاض على الائمة أطال الله تعالى بقاء المؤمن في مدته وما أشبهه وعن سعيد بن جبير يكتب في الصحيفة عمره كذا وكذا سنة ثم يكتب في أسفل ذلك ذهب يوم ذهب يوماً من ذهب ثلاثة أيام حتى يأتي على آخره وعن قتادة المعمر من بلغ ستين سنة والمنقوص من عمره من يموت قبل ستين سنة والكتاب في قوله تعالى (الأنبياء) أي مكتوب فيه عمر فلان كذا وكذا وعمر فلان كذا وكذا ان عمل كذا وعمره كذا ان لم يعمل كذا هو اللوح المحفوظ قاله ابن عباس قال الزمخشري ويجوز أن يراد بكتاب الله علم الله تعالى أو صحيفة الإنسان * ولما كان ذلك أمر المحيط به العبد ولا يحصره الحد فكان في عداد ما ينكره الجهلة قال تعالى مؤكداً سهولته (أن ذلك) أي الأمر العظيم من كتب الآجال كلها وتقدرها (على الله) أي الذي له جميع العزة (يسير) أي هين وقوله تعالى (وما يستوى البحران هذاعذب) أي طيب حلولاً لئلا يملأ طبعه (قوات) أي راغ العذوبة (سائق شرابه) أي شربه مري سهل انخداره لما له من اللذة والملاحة للطبع (وهذا ملح أجاج) أي جمع إلى الملوحة المارة فلا يسوغ شرابه بل لو شرب لآلم الحلق وأبيح في البطن ما هو كالنار

ضرب مثلاً للمؤمن والكافر وقوله تعالى (ومن كل) أى الملح والعذب (تأكلون) أى من السمك المنوع الى أنواع نفوت الحصر (لحاطريا) أى شهى المطعم (وتستخرجون) أى من الملح دون العذب (حلية تلبسونها) أى نساؤكم من الجواهر الدر والمزجان وغيرهما ذكر استطراد فى صفة الجبرين وما فهم ما من النعم وتعام التمثيل والمعنى كما أنهم ما وإن اشتركا فى بعض القوائد لا يتساويان من حيث أنهم لا يتساويان فيما هو مقصود بالذات من الماء فإنه خالط أحدهما ما أفسده وغيره عن كمال فطرته فلا يتساوى المؤمن والكافر وإن اتفقوا فى بعض الصفات كالشجاعة والسخاوة لاختلافهما فيما هو الخاص العظمى وهى بقاء أحدهما على الفطرة الأصلية دون الآخر وقيل تخرج الحلية منهما كما هو ظاهر قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان قال البغوى لأنه قد يصح كون فى البحر الاجاج عيون عذبة تخرج بالملح فيكون اللؤلؤ من ذلك انتهى * (فائدة) : عاب المبرد وغيره قول الشافعى رضى الله تعالى عنه كل ماء من بحر عذب أو مالح قالته يظهر به جائز وقالوا أنه لمن وإنما يقال ملح كما قال تعالى وهذا ملح أجاج وهم مخطئون فى ذلك كما قيل

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وأفتى من الفهم السقيم

ولكن تأخذ الأذان منه * على قدر التريحة والفهوم

قال النووى وأجاب أصحابنا بأجوبة أصحها أن فيه أربع لغات ملح ومالح ومليج وملح بضم الميم وتخفيف اللام قال عربى أبى ربيعة

ولو تفلت فى البحر والبحر مالح * لاصبح ماء البحر من ريتها عذبا

وقال آخر

وللرزق أسباب تروح وتعتدى * وإنى منها غير عاد ورائع

ففتت بثوب العدم من حلة الغنى * ومن بارد عذب زلال بمالح

وقال محمد بن حازم

تلونت الزان على كثيرة * وخالط عذبا من خائلك مالح

وقال خالد بن يزيد بن معاوية فى رمله بنت الزبير

ولو وردت ماء وكانت قبيلة * مليها شربنا ماء بارد عذبا

وقال الخطابى يقال ماء ملاح كما يقال أجاج وزعاق وزلال قال وانما نزل الشافعى من اللغة

العالية الى التى هى أدنى للايضاح وحسما للاشكال والالتباس لئلا يتوهم متوهم أنه أراد

بالملاح المذاب فيظن ان الطهارة به جائزة وثانى الاجوبة أن الشافعى امام فى اللغة وقوله فيها حجة

وثالثها أن هذه اللفظة ليست من كلام الشافعى ولم يذكرها بل من كلام المزنى وهذا ليس بشئ

وكيف ينسب الخطأ الى المزنى وعنه مندوحة وقولهم لم يذكرها الشافعى غير صحيح وقد أنكره

البيهقى وقال بل سمي الشافعى البحر لمخافى كابين أمالى الملح والمناسك الكبير * (فائدة) :

أخرى وهى أن ابن عمر قال فى البحر التيمم أحب اليئامنه وقال جبرك هذا نار وتحت النار

بحر حتى عتسبعة أبحر وسبعة أنوار ولكن روى أبو هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من لم يطهره البحر فلا طهره الله ويؤول كلام ابن عمر بأنه سيمصير يوم القيامة ناراً أو بأنه مهلكة بهلك كما هلك النار ولما كان الاكل والاستخراج من المنافع العامة عم الخطاب ولما كان استقرار شيء في البحر دون غرق أمر اغريباً لكنه صار لشدّة الفقه لا يقوم بأنه من أكبر الآيات دلالة على القادر المختار الأهل البصائر خص بالخطاب فقال (وترى الفلك) أي السفن سمى فلكاً لدورانها وسفينته لقشره الماء وقدم الظرف في قوله تعالى (فيه) لانه أشد دلالة على ذلك (مواخر) أي جوارى مستدبرة الريح شاقة للماء يجريها هذه مقبله وهذه مدبرة وجهها الظاهر هذه ريح واحدة يقال مخرت السفينة الماء ويقال للسحاب نبات مخر لانها اغتر الهواء والسفن الذي اشتقت منه السفينة قريب من المخر لانها تنفس الماء كأنها تقشره كما تخمره ثم علق بالمخمر ملاً قوله تعالى (لتبتغوا) أي تطلبوا وطلباً شديداً (من فضله) أي الله بالتوصل بذلك الى البلاد الشاسعة للمتاجر وغيرها ولوجهها سلكه لم يترتب عليها ذلك ولم يجزه ذكر في الآية ولكن فيما قبلها ولولم يجز لم يشكّل لدلالة المعنى عليه (ولعلمكم تشكرون) أي وليكون حالكم بهذه الدالة على عظيم قدرة الله تعالى ولطفه حال من يرجي شكره * (تنبيه) * حرف الرجا مستعار للمعنى الارادة ألا ترى كيف سلك به مسلك لام التعليل كأنما قيل لتبتغوا ولتشكروا * ولما ذكر تعالى اختلاف الذوات الدالة على بديع صنعته أتبعه اختلاف الازمنة الدالة على بديع قدرته بقوله تعالى (يولج) أي يدخل الله (الليل في النهار) فيصير الظلام ضياء * ولما كان هذا الفعل في غاية الإعجاب وكان لكثرة تكراره قد صار مألوفاً فغفل عما فيه من الدلالة على تمام القدرة به عليه باعادة الفعل بقوله تعالى (ويولج النهار في الليل) فيصير ما كان ضياء ظلاماً وتارة يكون التوالج يتصر هذا وطول هذا فدل كل ذلك على أنه تعالى فاعل بالاختيار * ولما ذكر الليل والنهار ذكر ما ينشأ عنهما بقوله تعالى (ومن خرا الشمس والقمر) ثم استأنف قوله تعالى (كل) أي منها ما (يجرى) أي في فلكه (لأجل) أي لأجل أجل (مسمى) مضروب له لا يقدر أن يتعداه فإذا جاء ذلك لأجل غرب هكذا كل يوم إلى أن يأتي لأجل الأعظم فيتمثل هذا النظام باذن الملك العلام وتقوم الناس ليوم الزحام وتكون الامور العظام * ولما ذكر سبحانه أنه الفاعل المختار القادر على ما يريد بما يشاء هذه كل أحد في نفسه وفي غيره وختم بما تذكر ومشاهدة في كل يوم مرتين أن ينج ذلك قطعاً قوله تعالى معظم ابادة البعد وسيم الجمع (ذلكم) أي العالی المقدار الذي فعل هذه الافعال كلها (الله) الذي له سفة كل كمال ثم نههم على أنه لا مدبر لهم سواه بخبر آخر بقوله تعالى (ربكم) أي الموجد لكم من العدم المربي بجمع ميع النعم لارب لكم سواه ثم استأنف قوله تعالى (له) أي وحده (الملك) أي كله وهو مالك كل شيء (والذين تدعون) أي تعبدون (من دونه) أي غيره وهم الاصنام وغيرها وكل شيء دونه (ما يعلكون) في حال من الاحوال وأغرق في النفي بقوله تعالى (من قومي) وهو كاري عن ابن عباس لفافة النواة وهي القشرة الرقيقة الملتفة

عليها كناية عن أدنى الاشياء فكيف بما فوقه فليس لهم شيء من الملك والا يمين من الاحبال
ذكر الملك أو لا دليل على حذفه ثانياً والملك ثانياً دليل على حذفه أولاً وقيل القطمير هو القمع
وقيل ما بين القمع والنواة ففي النواة على الأول أربعة أشياء يضرب بها المثل في القلة الضئيل
وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللسافة والنقيير وهو ما في ظهر النواة والقرقوق وهو ما بين
القمع والنواة ثم بين ذلك بقوله تعالى (ان تدعوهن) أي المعبودات من دونه دعاء عبادة
أو استعانة (لا يستعوا دعاءكم) أي لانهم جاد (ولستمعوا) أي على سبيل القرض والتقدير
(ما استجابوا لكم) أي لعدم قدرتهم على الانتفاع * ولما بين عدم النفع فيهم في الدنيا بين
عدم النفع منهم في الآخرة ووجود الضرر منهم في الآخرة بقوله سبحانه (ويوم القيامة)
أي حين ينطقهم الله تعالى (يكفرون بشرككم) أي باشرأرككم فيذكرونه ويتبرؤن منه
بقولهم ما كنتم ايماناً تعبدون كما حكى الله تعالى ذلك عنهم في آية أخرى (ولا ينبتك) أي يخبرك
أي السامع بالامر مخبر هو (مثل خبير) أي عالم به أي أن الخبير بالامر وحده هو الذي
يخبرك بالحقيقة دون سائر المخبرين به لانه لا يمكن الطعن في شيء مما أخبر به بخلاف غيره والمعنى
ان هذا الذي أخبرتكم به من حال الاوثان هو الحق لاني خبير بما أخبرت به * ولما اختص
تعالى بالملك ونفى عن شركائهم النفع أنجز ذلك قوله تعالى (يا أيها الناس) أي كافة (أنتم)
أي خاصة (الفقراء) وقوله سبحانه (الى الله) اعلام بأنه لا افتقار الا اليه ولا اتكال الا عليه
وهذا يوجب عبادته لكونه مقتراً اليه وعدم عبادته غيره لعدم الافتقار الى غيره (فان قيل)
لم عرف الفقراء (أجيب) بأنه قصد بذلك أن يرثيهم أنهم لشدة افتقارهم اليه هم جنس الفقراء
وان كانت الخلائق كلهم مفتقرين اليه من الناس وغيرهم لان الفقر يتبع الضعف وكلما كان
الفقر أضعف كان أحقر وقد شهد الله تعالى على الانسان بالضعف في قوله تعالى وخلق
الانسان ضعيفاً وقال تعالى الله الذي خلقكم من ضعف ولونكر لكم المعنى أنهم بعض
الفقراء قال القشيري والفقر على ضربين فقر خلقه وفقر صفة فالاول عام فكل حادث مفتقر
الى خالقه في اول حال وجوده لبيدته وينشئه وفي ثانياً له لبيدته ويقيه وأما فقر الصفة فهو
التجرد وفقر العوام التجرد عن المال وفقر الخواص التجرد عن الاعلال فحقيقة الفقر التجرد
بجود السر عن العلوات * ولما ذكر العبد بوضعه الحقيقي أثبت به ذكر الخالق باسمه الاعظم
فقال (والله هو الغني) أي المستغنى على الاطلاق فلا يحتاج الى أحد ولا الى عبادة أحد من
خلقه وانما أمرهم بالعبادة لاشفاقه تعالى عليهم ففي هذا رد على المشركين حيث قالوا للنبي
صلى الله عليه وسلم ان الله له محتاج الى عبادتنا حتى أمرنا بها أمر بالاعاود وهددنا على تركها
مبالغا (فان قيل) قد قال الفقير بالغنى فما فائدة قوله تعالى (الحمد) أي التمجيد في صنعه
بخلقه (أجيب) بأنه لما ثبت فقرهم اليه وغناه عنهم وإس كل غنى تافعا بغناه الا اذا كان
الغنى منه اجوادا واجاد وانعم جده المنعم عليهم واستحق عليهم الحمد ذكر الحمد ليدل به
على أنه الغني الشافع بغناه خلقه الجواد المنعم عليهم المستحق بانعامه أن يحمدوه وقوله تعالى

(ان يشأني ذهبكم) أي جميعا بيان لغضائه وفيه بلاغة كالملة لأن قوله تعالى ان يشأني ذهبكم
 أي ليس اذهبكم موقوفا على مشيئته بخلاف الشيء المحتاج اليه فان المحتاج الى الشيء
 لا يقال فيه ان شاء فلان هدم داره وانما يقال لولا حاجة السكني الى الدار لم يهتم انه تعالى زاد
 على بيان الاستغناء بقوله تعالى (وبأت بخلق جديد) أي ان كان يتوهم متوهم أن بهذا الملك
 كماله وعظمته فلو أذهب من لزال ملكه وعظمته فهو قادر أن يخلق خلقا جديدا أحسن من هذا
 وأجل وعن ابن عباس يخلق بعدكم من بعده لا يشرك به شيئا (وما ذلك) أي الامر العظيم من
 الاذهاب والايان (على الله) أي المحيط بجميع صفات الكمال خاصة (يعزير) أي بمنع
 ولا شاق وهو محمود عند الاعداء كما هو محمود عند الایجاد (فان قيل) استعمل تعالى العزيز تارة
 في القائم بنفسه فقال تعالى في حق نفسه وكان الله قويا عزيزا وقال في هذه السورة عزيز
 غفور واستعمله تارة في القائم بغيره فقال تعالى وما ذلك على الله بعزيز وقال تعالى عزيز عليم
 ما عنتم فهل هما معني واحد أو بعنيين (أجيب) بأن العزيز في اللغة هو الغالب والفعل اذا
 كان لا بطبيعة شخص يقال هو مغلوب بالقسمة الى ذلك الفعل وقوله تعالى وما ذلك على الله بعزيز
 أي ذلك الفعل لا يغلبه بل هو عين على الله تعالى وقوله سبحانه عزيز عليه ما عنتم أي يحزنه
 ويؤذيه كالشغل الغالب وقوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر أخرى) فيه حذف الموصوف للعلم به
 أي ولا تحمل نفس آتمة انتم نفس أخرى (فان قيل) كيف التوفيق بين هذا وبين قوله تعالى
 وليحملن أثقالهم وأثقالهم وأثقالهم (أجيب) بأن تلك الآية في الضالين المضلين فانهم
 يحملون أثقال اضلالهم وكل ذلك أوزارهم وليس فيها شيء من أوزار غيرهم (وان تدع) أي
 نفس (منقلة) أي بالوزر (الى حملها) أي من الوزر أحد العمل بعضها (لا يحمل) أي من
 حامل ما (منه شيء) أي لا طواعية ولا كرها بل لكل امرئ شأن يغنيه (ولو كان) ذلك
 الداعي أو المدعو للعمل (ذا قربي) لمن دعاه (فان قيل) ما الفرق بين معنى قوله تعالى ولا تزر
 وازرة وزر أخرى ومعنى قوله تعالى وان تدع منقلة الى حملها لا يحمل منه شيء (أجيب) بأن
 الاول في الدلالة على عدل الله تعالى في حكمه وأنه لا يؤاخذ نفسه بغير ذنبها والثاني في أن
 لا غناث يومئذ بمن استغاث حتى ان نفسا قد أثقلتها الاوزار لودعت الى أن تخفف بعض
 وزرها لم تجب ولم تغث وان كان الداعي أو المدعو بعض قرابتها من أب أو ولد أو أخ قال ابن
 عباس يلقي الاب أو الام ابنه فيقول يا بني اعمل على بعض ذنوبي فيقول لأستطيع حسبى ما على
 * (تنبيه) * أضمر الداعي أو المدعو بدلالة ان تدع عليه * ولما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أجمعهم ذلك فلم ينفعهم نزل (انما تنذر) أي انذارا يفيد الرجوع عن الفتن (الذين يخشون
 ربهم) أي المحسن اليهم فيوقعون هذا الفعل في الحال ويواطئون عليه في الاستقبال
 ولما كان أولى الناس عقلا وأعلاهم هممة من كان غيبه مثل حضوره قال تعالى (بالغيب)
 وهو حال من الفاعل أي يخشونه غائبين عنه أو من المفعول أي غائب عنهم * ولما كانت الصلاة
 جامعة للغضوع والظاهر والباطن فكانت أشرف العبادات وكانت أقامتها بحسب حفظ جميع

حدودها في كل حال أدل الطاعات على الاخلاص قال تعالى معبر بالماضي لأن مواعيت
 الصلاة مضبوطة (وأقاموا) أي دبس على خشيتهم (الصلاة) في أوقاتها الخمسة وما يتبع
 ذلك من السنن (ومن تركي) أي تطهر أي بفعل الطاعات وترك المعاصي (فأنا يتزكى
 لنفسه) اذ نفعها (والى الله) أي الذي لا اله غيره (المصير) أي المرجع كما كان منه المبدأ
 فيجازى كلا على فعله * ثم ما بين تعالى الهدى والضلالة وهدى الله تعالى المؤمن ولم يهد الكافر
 ضربا لهما مثلا بقوله تعالى (وما يستوى الاغنى) أي عن الهدى (والبصير) بالهدى
 أي المؤمن والكافر وقيل الجاهل والعالم وقيل هما مثلا للصم والله تعالى (ولا الظلمات)
 أي الكفر (ولا النور) أي الايمان أو ولا الباطل ولا الحق (ولا الظل) أي الجنة (ولا
 الحرور) أي النار أو ولا الثواب ولا العقاب * (تنبيه) * قال ابن عباس الحرور الريح الحارة
 بالليل والسموم بالنهار وقيل الحرور تكون بالنهار مع الشمس وقيل السموم تكون بالنهار
 والحرور بالليل والنهار وقوله تعالى (وما يستوى الاحياء ولا الاموات) تمثيل آخر للمؤمن
 والكافر أبلغ من الاول ولذلك كرر الفعل وقيل للعلماء وللجهال * (تنبيه) * زيادة في الثلاثة
 لتأكيدني الاستواء وجاء ترتيب هذه المنزئات على أحسن الوجوه فانه تعالى لما ضرب
 الاغنى والبصير مثيل للمؤمن والكافر عقب بما كل منهما فيه والكافر في ظلة والمؤمن في نور
 لأن البصير وان كان حديد البصر لا بد له من ضوء يصرف فيه وقدم الاغنى لأن البصير فاصله
 نحن تأخيره ولما تقدم الاغنى في الذكرا نسب تقديم ما فيه فلذلك قدمت الظلمة على النور
 ولأن النور فاصله ثم ذكر ما سكني منهم ما للمؤمن الظل وللکافر الحرور وأخر الحرور لاجل
 الفاصله كما مر وقولنا لاجل الفاصله أولى من قول بعضهم لاجل السجع لأن القرآن فبو
 عن ذلك وقد منع الجمهور أن يقال في القرآن سجع وانما كرر الفعل في قوله تعالى وما يستوى
 الاحياء مبالغة في ذلك لأن المناقاة بين الحياة والموت أتم من المناقاة المتقدمة وقدم الاحياء
 لشرف الحياة ولم يعد لتأكيده في قوله تعالى الاغنى والبصير وكررها في غيره لأن مناقاة ما بعده
 أتم فان الشخص الواحد قد يكون بصيرا ثم يصير أعمى فلامناقاة الامن حيث الوصف بخلاف
 الظل والحرور والظلمات والنور فانها مناقاة أبد لا يجتمع اثنان منها في محل فلامناقاة بين الظل
 والحرور وبين الظلمة والنور دأمة (فان قيل) الحياة والموت بمنزلة العمى والبصير فان الجسم قد
 يكون متصفا بالحياة ثم يصف بالموت (أجيب) بأن المناقاة بينهما أتم من المناقاة بين الاغنى
 والبصير لأن الاغنى والبصير يشتركان في ادراك كثيرة ولا كذلك العمى والميت فلامناقاة
 بينهما أتم من المناقاة بين الاغنى والبصير لانه قابل الجنس بالجنس وقد يوجد في أفراد العميان
 من يساوي بعض افراد البصراء كما عي ذكر له بصيرة يساوي بصيرا بل يدا الفقاوت بين الجنسين
 مقطوع به لا بين الافراد وجمع الظلمات لانها عبارة عن الكفر والضلال وطرقهما كثيرة متشعبة
 ووجد النور لانه عبارة عن التوحيد وهو واحد فالتقاوت بين كل فرد من أفراد الظلمة وبين هذا
 الفرد الواحد والمعنى الظلمات كلها لا يوجد فيها ما يساوي هذا الواحد ثم نبه سبحانه بقوله تعالى

(ان الله) أى القادر على المفاوطة بين هذه الاشياء وعلى كل شئ بحاله من الاحاطة من صفات
الكمال (يسمع من يشاء) على ان الخشية والقسوة انما هما يده تعالى وان الانذار انما هو لمن قضى
بانقضاءه فيتعظ ويحجب (وما أنت) أى بنفسك من غير اقدار الله تعالى لك (يسمع) أى
بوجه من الوجوه (من فى القبور) أى الحسبية أو المعنوية اسماعا ينفعهم بل الله يسمعهم
ان شاء فلا تذهب نفسك عليهم حسرات (ان) أى ما (أنت الانذير) أى تنبيه القلوب المبينة
بقوارع الانذار ولست بوسيل تفهرهم على الايمان * ثم بين تعالى أنه ليس نذيرا من تلقاء
نفسه انما هو باذن الله تعالى وارساله بقوله تعالى (انا) أى بى الناس من العظمة (أرسلناك)
أى الى هذه الأمة (بالحق) أى الامر الكمال فى الثبات الذى يطابقه الواقع فان من نظر
الى كثرة ما أوتيه من الدلائل علم مطابقة الواقع لما يأمر به * (تنبيه) * يجوز فى قوله تعالى بالحق
أوجه أحدها أنه حال من الفاعل أى أرسلناك محققين وأمر من المفعول أى محققاً وأنعت لمصدر
محذوف أى ارسلناك بالحق ويجوز أن يكون صلة لقوله تعالى (بشيرا) أى لمن أطاع
(ونذيرا) أى لمن عصى (وان) أى وما (من أمة الا خلا) أى سلف (فيها نذير) أى نبي ينذرها
* (تنبيه) * الامة الجماعة الكثيرة قال تعالى وجدد عليه أمة من الناس يسقون ويقال
لكل أهل عصر أمة والمراد ههنا أهل العصر (فان قيل) ككم من أمة فى الفترة بين عيسى
ومحمد صلى الله عليه وسلم لم يحمل فيها نذير (أجيب) بان أمار النذارة اذا كانت باقية لم تحمل من
نذير الى أن تتدرس وحين اندرست آثار نذارة عيسى عليه السلام بعث الله تعالى محمداً صلى الله
عليه وسلم (فان قيل) كيف اكتفى بذكر النذير عن البشرى فى آخر الآية بعد ذكرهما (أجيب) بأنه
لما كانت النذارة مشفوعة من البشارة لا محالة دل ذكرها على ذكرها لاسيما وقد اشتملت
الآية على ذكرهما ولان الانذار هو المقصود والاهم من البعثة (وان يكذبوا) أى أهل مكة
(فقد كذب الذين من قبلهم) أى ما أنتم به رسلكم عن الله تعالى (جاءتهم) أى الامم الخالية
(رسلكم بالبينات) أى الآيات الواضحات والدلالة على صحة الرسالة من المعجزات وغيرها
(وبالزبر) أى الامور المكتوبة كصحف ابراهيم عليه السلام (وبالكتاب) أى جنس الكتاب
كالقرآن والانجيل (المنير) أى الواضح فى نفسه الموضح لطريق الخير والشر كما أن أئمت قومك
بمثل ذلك وان كانت طريقك أوضح وأظهر وكتابك أنور وأبهر وأظهر وأشهر وفى هذا تسلية
للنبي صلى الله عليه وسلم حيث علم ان غيره كان مثله فى تكذيبه وكان محتملاً لاذى القوم * (تنبيه) *
لما كانت هذه الاشياء فى جنسهم أسند الى جميعهم اسناداً مطلقاً وان كان بعضهم فى جميعهم
وهى البينات وبعضها فى بعضهم وهى الزبر والكتاب * ولما سلا الله تعالى هدم من خالفه وعصاه
بما فعل فى تلك الامم الماضية بقوله تعالى (ثم أخذت) أى بأنواع الاخذ (الذين كفروا) أى استروا
تلك الآيات المنيرة بعد طول صبر الرسل عليهم الصلاة والسلام عليهم (فكيف كان
تكبير) أى انكارى عليهم بالعقوبة والاهلال أى هو واقع موقعه * (تنبيه) * أئمت ورش
الباء بعد الراء فى الوصل دون الوقف والباقون بغيرها وقفاً ووصلاً * ولما ذكر تعالى الدلائل

ولم ينتفعوا قطع الكلام معهم والتفت الى غيرهم بقوله تعالى (المر) أى تعلم أى أيها المخاطب
 (إن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (أنزل من السماء ماء) كأن السبذ اذا نصبح بعض
 عبيده ولم ينزح يقول لغير ما سمع ولا تمكن مثل هذا ويكر رماذ كره الاول ويكون فيه اشعار
 بأن الاول فيه نقیصة لا يصلح للخطاب فينتبه له ويدفع عن نفسه تلك النقیصة وأضاف لا يخرج
 الى كلام أجنبى عن الاول بل باتى بما يقاربه للتلايمع الاول كلام الآخر فترك التفكير فيما
 كان وقوله تعالى (فآخر جننا) أى بما لنا من القدرة والعظمة (به) أى بالماء (غرات) أى متعددة
 الانواع فيه التفات من الغيبة الى السكام وانما كان ذلك لان المنه بالخراج أبلغ من انزال الماء
 وقوله تعالى (مختلفا) نعت لغرات وقوله تعالى (ألوانها) فاعل به ولولا ذلك لانت مختلفا ولكنه
 لما أسند الى جمع تكسير غير عاقل جازئ كبره ولوانت فقبل مختلفة كما تقول اختلفت ألوانها الجاز
 أى مختلفة الاجناس من الرمان والتفاح والعنب وغيرهما مما لا يحصر والهيأت من الحرارة
 والصفرة والخضرة ونحوها فالذى قدر على المساوئة بينها وهى من ماء واحد لا يستبعد عليه ان
 يجعل الدلائل بالسكاب وغيره نور الشخص وعى لا آخر * ولما ذكر تعالى تنوع ما من الماء وقدمه
 لانه الاصل فى التكوين أتبعه التكوين من التراب الذى هو أيضا شئ واحد بقوله تعالى ذاكرا
 ما هو أصلب الارض وأبعدها عن قابلية التكوين (ومن الجبال جدد) قال الجلال المحلى
 رحمه الله تعالى جمع جدد طريق فى الجبل وغيره وقال الزمخشري الجدد الخطوط والطرائق وقال
 ابو الفضل الجدد ما مختلف من الطرائق فون ما يليها ومنه جدد الجبال للغة السوداء على
 ظهره وقد يكون للظبي جدران مسكمتان تفصلان بين لوني ظهره وبطنه (بيض وحمرة) وصفه
 وقوله تعالى (مختلف) صفة لجدد وقوله تعالى (ألوانها) فاعل به كما رقى نظيره ويحتمل معنيين
 أحدهما أن البياض والحمرة يتفاوتان بالشدّة والضعف فرب أبيض أشد من أبيض وأحمر
 أشد من أحمر فنفس البياض مختلف وكذا الحمرة فلذلك جمع ألوانها فيكون من باب المشكك
 والثاني ان الجدد كلها على لونين بياض وحمرة والبياض والحمرة وان كانا لونين الا أنهم مجعما
 باعتبار محلها وقوله تعالى (وغرايب سود) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه معطوف على حمرة
 عطف ذى لون على ذى لون ثانيها أنه معطوف على بياض ثالثها واقتصر عليه الجلال المحلى
 أنه معطوف على جدد أى صفو وشديدة السواد قال الجلال المحلى يقال كثيرا أسود غريب
 وقليل غريب أسود وقال البغوي أى سود غرايب على التقديم والتأخير يقال أسود غريب
 أى شديدة السواد تشبها بلون الغراب أى طرائق سود وعن عكرمة من الجبال الطوال السود
 وقال الزمخشري الغريب تأكيد للسود ومن حق التوكيد أن يتبع المؤكد كقولك أصف
 فاقع ووجهه أن يضر المؤكد قبله فيكون الذى بعده مفسر لما ضم كقوله النابغة الجعدي

والمؤمن العائذات الطير تمصها * ركان مكة بين الغيل والسند

هما موضعان والمؤمن اسم الله وهو مجرور بالقسم والعائذات منصوب بالمؤمن والمراد بها
 الحمام لما عادت بمكة والتعأت اليها حرم التعرض لها والطير منصوب بالبدل أو بعطف البيان

ووجه الاستدلال بذلك أن الطير دال على المحذوف وهو مفعول المؤمنين والعائذات الطير قال
 أبو حيان وهذا لا يصح الأعلى مذهب من يجوز حذف المؤكد ومن التحوين من منعه وهو
 اختيار ابن مالك ورد عليه بأن هذا ليس هو التأكيدي المختلف في حذف مؤكده لأن هذا
 من باب الصفة والموصوف ومعنى تسمية الزنجشري له تو كيداً من حيث أنه لا يقدم معنى زائداً
 وإنما يقدم المبالغة والتوكيد في ذلك اللون والتحوين قد سموا الوصف إذا لم يقدم غير الأول
 تو كيداً فقالوا وقد يجيء مجرد التوكيد نحو قوله تعالى نفخة واحدة والهين اثنين والتوكيد
 المختلف في حذف مؤكده إنما هو في باب التوكيد الصناعي ومذهب سيبويه جوازها وقال ابن
 عادل والأولى فيه أن يسمى تو كيداً النظام إذا أصل سود غرايب سود * ولما ذكر تعالى
 ما الأغلب فيه الماء مما استحال إلى أمر آخر بعيد من الماء وتابعه التراب المصروف ختم
 بما الأغلب فيه التراب مما استحال إلى ما هو في غاية البعد من التراب فقال (ومن الناس
 والدواب) ولما كانت الدابة في الأصل اسم المادب على الأرض ثم غلب إطلاقه على ما يركب
 قال (والانعام) ليعم الكل صريحاً (مختلف ألوانه) أي ألوان ذلك البعض الذي أفهمته من
 (كذلك) أي مثل النمار والأرانب منه ما هو ذلون ومنه ما هو ذلونين أو أكثر * ولما قال
 تعالى ألم تر بعني ألم تعلم أن الله أنزل من السماء ماء وعداديات الله وأعلام قدرته وأمارضه وما
 خلق من الفطر المختلفة الاجناس وما يستدل به عليه وعلى صفاته من أنه فاعل بالخيار
 فهو يفعل ما يشاء قال تعالى (انما يخشى الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (من عباده
 العلماء) قال ابن عباس رضي الله عنه يريد انما يخافني من خلق من علم جبروتى وعزى
 وسلطاني فالتشبيه بقدره معرفة الخشى والعالم يعلم الله فيخافه ويرجوه وهذا دليل على ان
 العالم أعلى درجة من العابد لقوله تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم بين تعالى ان الكرامة
 بقدر التقوى والتقوى بقدر العلم لا بقدر العمل فمن ازداد منه علماً ازداد منه خشية وخوفاً
 ومن كان عليه أقل كانت خشيته أقل قال رسول الله عليه الصلاة والسلام انى لا أعلمكم بالله
 وأشدكم له خشية وقال صلى الله عليه وسلم لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم كثيراً وقال
 مسروق كفى بالمرء علماً أن يخشى وكفى بالمرء جهلاً أن يعجب بعمله وقال رجل للشعبي
 افشى أيها العالم فقال له العالم من خشى الله تعالى قال السرور ردى في الباب الثالث من
 معارفه فينتفى العلم عن لا يخشى الله تعالى كما إذا قال انما يدخل الدار بغدادى فينتفى دخول
 غير البغدادى الدار وقيل نزلت هذه الآية في أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه وقد
 ظهرت عليه الخشية حتى أثرت فيه (فان قيل) هل يختلف المعنى إذا قدم المفعول في هذا
 الكلام أو آخر (أجيب) بأنه يختلف فالتاكيد إذا قدمت اسم الله وأثرت العلماء كان
 المعنى ان الذين يخشون الله من بين عباده هم العلماء دون غيرهم فإذا علمت على العكس انقلب
 المعنى إلى أنهم لا يخشون الا الله كقوله تعالى ولا يخشون أحداً الا الله وهما معدان مختلفان
 * (تنبيه) * رسم العلماء بالواو وقوله تعالى (ان الله) أي المحيط بالجلال والاکرام (عزيز) أي

غالب على جميع أمره (غفور) أى لذنوب من أراد من عباده تعذيل لوجوب الخسبة لآلته على أنه معاقب للمصر على طغيانه غفور للتائب عن عصيانه والمعاقب والمثيب حقه أن يحشى • ولما بين سبحانه العلماء بالله وخشيتهم وكرامتهم بسبب خشيتهم ذكر العالمين بكتاب الله العالمين بما فيه بقوله تعالى (ان الذين يتلون كتاب الله) أى يداومون على تلاوته وهى شأنهم ودينهم وعن مطرف هى آية القراء وعن الكلبي يأخذون بما فيه وقيل يعلمون ما فيه ويعلمون به وعن السدى هم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن عطاءهم المؤمنون (وأقاموا الصلاة) أى أداموها (وأنفقوا مما رزقناهم) من زكاة وغيرها (سرا وعلانية) قبل السر في المسنون والعلانية في المفروض • (تنبيه) • أشار تعالى بقوله سبحانه وتعالى يتلون كتاب الله الى الذكر وبقوله تعالى وأقاموا الصلاة الى العمل البدنى وبقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم الى العمل المالى وفى هاتين الآيتين السر يفيد حكمه بالغة وهى أن قوله تعالى انما يحشى الله اشارة الى عمل القلب وقوله تعالى الذين يتلون اشارة الى عمل اللسان وتوله وأقاموا الصلاة اشارة الى عمل الجوارح ثم ان هذه الاشياء الثلاثة متعلقة بجانب تعظيم الله تعالى وقوله تعالى وأنفقوا مما رزقناهم يعنى الشفقة على خلقه وقوله تعالى سرا وعلانية حث على الاتفاق كيفما تهايم بأن تهايم سرا فذلك والافعالية ولا يمنع ظنه أن يكون رياء فان ترك الخير مخافة ذلك هو عين الرياء • ولما أحلّ تعالى هؤلاء بالمحل الاعلى بين حالهم بقوله تعالى (برجون) أى فى الدنيا والآخرة (تجارة) أى بما عملوا (لن تجور) أى تسكسدهم وتهلك بل هى باقية لانها رفعت الى من لا تضعيع اليه الودائع وهى رابحة رابحة لكونه تعالى تام القدرة شامل العلم له الغنى المطلق (ليوفيم أجورهم) أى جزاء أعمالهم بالثواب (ويزيدهم من فضله) قال ابن عباس رضى الله عنه يعنى سوى الثواب مالم ترعين ولم نسمع أذن ويحتمل أن يزيدهم النظر اليه تعالى كما جاء فى تفسير الزيادة وهذا هو النعمة العظمى (انه غفور شكور) قال ابن عباس رضى الله عنه يغفر الذنب العظيم من ذنوبهم ويشكر اليسير من أعمالهم وقيل غفور عند اعطاء الاجر شكور عند اعطاء الزيادة • (تنبيه) • فى خبران من قوله ان الذين يتلون كتاب الله وجهان أحدهما أنه الجملة من قوله تعالى برجون تجارة أى ان التالين برجون وان تجور صفة تجارة وليوفيم متعلق ببرجون أو تجور أو بعد ذوف أى فعلوا ذلك ليوفيم وعلى الوجهين الأولين يجوز أن تكون لام العاقبة والثانى ان الخبر انه غفور شكور وجوز هذا الزمخشري على حذف العائد أى غفور لهم وعلى هذا فيرجون حال من أنفقوا أى أنفقوا ذلك راجين • ولما بين تعالى الاصل الأول وهو وجود الله تعالى الواحد باللائل فى قوله تعالى الله الذى يرسل الرياح وقوله تعالى والله خلقكم وقوله تعالى ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء ذكر الاصل الثانى وهو الرسالة بقوله تعالى (والذى أوحينا) أى بما لنا من العظمة (اليك من الكتاب) أى الجامع خيرى الدارين • (تنبيه) • من الكتاب يجوز أن تكون ممن للبيان كما يقال أرسل الى فلان من الثياب حملة وأن تكون للجنس وأن تكون لابتداء الغاية كما يقال جاءنى كتاب من الأمير وعلى كل فالكتاب يمكن أن يراد به اللوح

المحفوظ يعني الذي أوحينا من اللوح المحفوظ (هو الحق) أي الكامل في الثبات ومطابقة الواقع ويمكن ان يراد به القرآن وهو ما اقتصر عليه الجلال المحلى يعني الارشاد والتبيين للذين أوحينا اليك من القرآن ويمكن أن تكون من للتبعض وهو فصل أو مبتدأ وقوله تعالى (مصدقاً لما بين يديه) أي لما تقدمه من الكتب حال مؤكدة لأن الحق لا ينقل عن هذا التصديق وهذا تقرير لا يكون وحيداً لأن النبي صلى الله عليه وسلم لم يكن قارئاً كاتباً وأتى ببيان ما في كتاب الله لا يكون ذلك إلا بوحى من الله تعالى (فان قيل) لم يجعل ما تقدم مصدقاً للقرآن (أجيب) بأن القرآن كونه معجزة يكفي في تصديقه بأنه وحى وأما ما تقدم فلا يفيده من معجزة تصدقه * (تنبيه) * قوله تعالى هو الحق أكد من قول القائل الذي أوحينا اليك حق من وجهين أحدهما أن التعريف للغير يدل على أن الامر في غاية الظهور لأن الخبر في الأكثر يكون نكرة الثاني أن الاخبار في الغالب تكون اعلاماً بثبوت أمر لا يعرفه السامع كقولنا زيد قام فان السامع ينبغي أن يكون عارفاً بزيد ولا يعلم قيامه فيخبر به فإذا كان الخبر معلوماً فتكون الاخبار للنسبة كقوله باللام كقولنا ان زيدا العالم في هذه المدينة اذا كان علمه مشهوراً (ان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (بعبادة تلخبر) أي عالم أدق العلم وأتقنه يواطن أحوالهم (بصر) أي بظواهر أمورهم وبواطنها أي فهو يسكن الخشية والعلم في القلوب على قدر ما أوتوا من الكتاب في علمه فانت أحقهم بالكمال لانك أخشاهم وأتقاهم فلذلك أتيناك هذا الكتاب المعجز الذي هو عيار على سائر الكتب وتقديم تلخبر للدلالة على أن العمدة في ذلك الامور الروحية وقوله تعالى (ثم أورثنا الكتاب) في معناه وجهان أحدهما اننا أوحينا اليك القرآن ثم أورثناه من بعدهك أي حكمنا بتوريثه أو قال تعالى أورثناه وهو يريد توريثه فعبر عنه بالماضى لتحققه وقال مجاهد أورثناه أعطينا لأن الميراث اعطاء واقتصر على هذا الجلال المحلى وقيل أورثناه أخرنا ومنه الميراث لانه تأخر عن الميت ومعناه أخرنا القرآن من الامم السالفة وأعطينا كونه وأهلنا كماله * (تنبيه) * أكثر المفسرين على أن المراد بالكتاب القرآن وقيل ان المراد بجنس الكتاب (الذين اصطفينا) أي اخترنا (من عبادنا) قال ابن عباس رضى الله عنه يريد بالعباد أمة محمد صلى الله عليه وسلم أي من العصابة والتابعين وتابعيهم ومن بعدهم الى يوم القيامة ونقل ابن الجوزى عن ابن عباس رضى الله عنه أن الله تعالى أورث أمة محمد صلى الله عليه وسلم كل كتاب أنزل أي لأن الله تعالى اصطفاهم على سائر الامم وجعلهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس وخصهم بكرامة الانتماء الى أفضل رسله تعالى وجل الكتاب الذي هو أفضل كتب الله تعالى ثم قسمهم بقوله تعالى (فهم ظالم لنفسه) أي في التقصير بالعمل به (ومنهم مقتصد) أي يعمل به في أغلب الاوقات (ومنهم سابق بالخيرات) وهو من يضم الى العمل به التعليم والارشاد الى العمل روى أسامة بن زيد في هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم كلهم من هذه الامة وروى أبو عثمان النهدي قال سمعت عمر بن الخطاب رضى الله عنه قرأ على المنبر ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية

فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سابقنا سابق ومقتصدنا ناج وظالمنا مغفور له وروى أبو
الدرداء قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية ثم أورشنا الكتاب الآية قال
أما السابق بالخيرات فيدخل الجنة بغير حساب وأما المقتصد فيحاسب حسابا يسيرا وأما الظالم
لنفسه فيحبس في المقام حتى يدخله الهيم ثم يدخل الجنة ثم قرأ قوله تعالى الحمد لله الذي أذهب
عنا الحزن الآية وقال عقبه بن صهبان سألت عائشة رضي الله عنها عن قول الله عز وجل
ثم أورشنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا الآية فقالت يابى كلهم في الجنة أما السابق
بالخيرات فمن مضى على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم
بالجنة وأما المقتصد فمن أتبع أثره من أصحابه حتى ملق بهم وأما الظالم فقتل ومثلكم فجعلت
نفسها معنا وقال مجاهد والحسن فنفهم ظالم لنفسه هم أصحاب المشأمة ومنهم مقتصد هم أصحاب
اليمين ومنهم سابق بالخيرات السابقون المقربون من الناس كلهم وعن ابن عباس رضي الله
عنه قال السابق المؤمن المخلص والمقتصد المراني والظالم الكافر نعمة الله تعالى غير الجاحد لها
لأنه تعالى حكم للثلاثة بدخول الجنة وقيل الظالم هو الراجح السيئات والمقتصد هو الذي تساوت
سيئاته وحسناته والسابق هو الذي رجحت حسناته وقيل الظالم هو الذي ظاهره خير من باطنه
والمقتصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقيل الظالم هو الموحد
بلسانه الذي تخالفه جوارحه والمقتصد هو الموحد الذي يجمع جوارحه من المخالفة بالتكليف
والسابق هو الموحد الذي ينسبه التوحيد غير التوحيد وقيل الظالم صاحب الكبيرة والمقتصد
صاحب الصغيرة والسابق المعصوم وقيل الظالم التالى للقرآن غير العالم به والعامل به والمقتصد
التالى العالم غير العامل والسابق التالى العالم العامل وقيل الظالم الجاهل والمقتصد المتعلم
والسابق العالم وقال جعفر الصادق بدأ بالظالم اخبارا بأنه لا يتقرب إليه الا بكرمه وان الظالم
لا يؤثر في الاصطفاء ثم نى بالمقتصدين لانهم بين الخوف والرجاء ثم ختم بالسابقين ثلاثا بمن أحد
مكره وكلمهم في الجنة وقال أبو بكر الوراق رتبهم هذا الترتيب على مقامات الناس لأن أحوال
العبد ثلاثة معصية وغفلة ثم توبة ثم توبة فاذا عصى دخل في حيار الظالمين فاذا تاب دخل
في جملة المقتصدين فاذا أصبحت التوبة وكثرت العبادات والمجاهدة دخل في عداد السابقين وقيل غير
ذلك والله أعلم * ولما كان هذا ليس في قوة العبد في مجارى العادات ولا يوجد بالكسب
والاجتهاد أشار الى عظمته بقوله تعالى (بإذن الله) أى بممكن من له القدرة التامة والعظمة
العامرة والفعل بالاخبار وجميع صفات الجمال والجلال والكمال وتسميه وتيسيره ولا
يأمن أحد مكره تعالى قال الرازى في اللوامع ثم من السابقين من يبلغ محل القرب فيستغرق
في وحدانيته تعالى (ذلك) أى ابراهيم الكتاب والسبق أو الاصطفاء (هو الفضل الكبير)
ولما ذكر الله سبحانه وتعالى أحوالهم بين جزاءهم وما لهم بقوله تعالى مستأفاجا جوابا لمن سأل
عن ذلك (جنات عدن) أى اقامة بلا رحيل لانه لا سبب للرحيل عنها وقوله تعالى (يدخلونها)
أى الثلاثة أصناف خبر جنات عدن ومن دخلها لم يخرج منها لانه لا شئ يخرج به ولا هو يريد

الخروج منها وقرأ أبو عمر وبضم الباء وفتح الخاء والمباقون بفتح الباء وضم الخاء * ولما كان
الداخل الى مكان أول ما ينظر الى ما فيه من النقائس قال تعالى (يحلون فيها) أى يلبسون على
سبيل التزين والتحلى (من أساور) أى بعض أساور (من ذهب) فمن الاولى للتبعض والثانية
للتبيين وقوله تعالى (ولؤلؤ) عطف على ذهب أى من ذهب مرصع باللؤلؤ أو من ذهب فى صفاة
اللؤلؤ وقرأ عاصم ونافع بالنصب عطفا على محمل من أساور والباقون بالجر * (تنبيه) *
أساور جمع أسورة وهى جمع سوار وذكر الأساور من بين سائر الحلى فى مواضع كثيرة كتبوله
تعالى وحلوا أساور من فضة يدل على كون المتحلى غير متمثل فى الاشغال لان كثرة الاعمال
باليد فاذا حليت بالاساور علم الفراغ من الاعمال ولما كانت هذه الزينة لتليق الاعلى
اللباس الفاخر قال تعالى (ولباسهم فيها حرير وقالوا) أى ويقولون عند دخولهم وعبر عنه
بالماضى تحقيقا له (الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن) قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما حزن
النار وقال قتادة حزن الموت وقال مقاتل لانهم كانوا لا يدرون ما يصنع بهم وقال عكرمة حزن
السيات والذنوب وخوف رد الطاعات وقال القاسم حزن زوال النعم وخوف العقاب وقيل
حزن أهوال القيامة وقال الكلبى ما كان يحزنهم فى الدنيا من أمر يوم القيامة وقال
سعيد بن جبير الحزن فى الدنيا وقيل هم المعيشة وقال الزجاج اذهب الله تعالى عن أهل
الجنة كل الاخران ما كان منها معاش أو معادى وهذا أولى الكل قال عليه الصلاة والسلام
ليس على أهل لاله الا الله وحشة فى قبورهم ولا فى منشرهم وكأنى بأهل لاله الا الله يتفوضون
التراب عن رؤسهم ويقولون الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن ثم قالوا (ان ربنا) أى المحسن
البنامع اساءتنا (لغفور) أى محاء الذنوب عنا وأثر المنفقين الأولين ولغيرهما من المذنبين
(شكور) للصف الثالث ولغيره من المطيعين * (تنبيه) * ذكر الله تعالى عن هذه الثلاثة ثلاثة
أمور ركها تفيد الكرامة الأول قولهم الحمد لله فان الحامديشاب الثانى قولهم ربنا فان الله
تعالى اذا نودى بهم هذا اللفظ استجاب للمنادى ما لم يكن يطلب ما لا يجوز الثالث قولهم غفور
شكور والغفور اشارة الى ما غفر لهم فى الآخرة بجمدهم فى الدنيا والشكور اشارة الى ما يعطيهم
الله ويريدهم بسبب جمدهم فى الآخرة وقولهم (الذى أحلنا دار المقامة) أى الإقامة اشارة
الى ان الدنيا منزلة ينزلها المكلف ويرتحل منها الى منزلة القبور ومن القبور الى منزلة العرصة
التي فيها الجمع ومنها التفريق الى دار البقاء اما الى الجنة واما الى النار أجازنا الله تعالى ومحبيها
منها وقولهم (من فضله) أى بلا عمل منافان حسناتنا انما كانت منامنا من الله تعالى اذ لا واجب
عليه متعلق بأحلتنا ومن ائماله واما لا ابتداء الغاية وقولهم (لا يسنا فيها) أى فى وقت
من الاوقات (نصب ولا يسنا فيها الغيوب) حال من مذعول أحلتنا الأول أو الثانى لان الجملة
مشتملة على ضمير كل منهما وان كان الحال من الاول أظهر والنصب التعب والمنشقة والغيوب
الفتور الناشئ عنه وعلى هذا فيقال اذا اتقى السبب اتقى المسبب فاذا قيل لم آكل فيعلم انتفاء
الشبع فلا حاجة الى قوله ثانيا فلم أشبع بخلاف العكس الا ترى انه يجوز لم أشبع ولم آكل والآية

الكرية على ما تقرر من نفي السبب ثم نفي المسبب فما فائدةه أجيب بأن النصب هو تعب
البدن والغوب هو تعب النفس وقبل الغوب الوجع وحينئذ فالسؤال زائل وأجاب
الرازي بجواب قال ابن عادل ليس بهذا فتركتهم * ولما بين تعالى ما هم فيه من النعمة في دار
السرور التي قال فيها القائل

علماء لا تنزل الا حزان ساحتها * لومها حرج مسته سراء

بين ما لاعدائهم من النعمة زيادة في سرورهم بما قالوا في الدنيا من تكبرهم عليهم ونفخارهم
بقوله تعالى (والذين كفروا) أي ستروا ما دلت عليه عقولهم من شمس الآيات وأنوار
الدلالات (لهم نار جهنم) أي بما تجهموا أولياء الله الدعاة إليه (لا يفتنى) أي يحكم
(عليهم) أي يموت نان (فيموتوا) أي فينسب عن القضاء موتهم فيستريحوا كقوله تعالى
ونادوا يا مالك لي قبض علينا ربك أي بالموت فنستريح بل العذاب دائم * (تنبيه) * نصب
فيموتوا بانهم امان * ولما كانت الشدائد في الدنيا تنفج وان طال أمدها قال تعالى
(ولا يخفف عنهم) وأعرق في النفي بقوله تعالى (من عذابها) أي جهنم * (تنبيه) * في الآية
الاولى أن العذاب في الدنيا ان دام قتل وان لم يقتل يعتاده البدن ويصير من اجاف اسدا
لا يحس به المعذب فقال عذاب نار الآخرة ليس كعذاب الدنيا اما أن يقتل واما أن يألفه
البدن بل هو في كل زمان شديد والمعذب فيه دائم الثانية وصف العذاب بأنه لا يفتقر
ولا ينقطع ولا بأقوى الاسباب وهو الموت حتى يتنوه ولا يجابون كما قال تعالى ونادوا يا مالك
لي قبض علينا ربك أي بالموت الثالثة ذكر في المعذبين الاشقياء أنه لا ينقضى عذابهم ولم يقل
تعالى يزيدهم عذابا وفي المنابين قال تعالى يزيدهم من فضله وقوله تعالى (كذلك)
امام رفوع المحل أي الامر كذلك واما منصوبه أي مثل ذلك الجزاء العظيم (نجزى
كل كفور) أي كافر بالله تعالى وبرسوله وقرأ أبو عمرو بياء مضمومة وفتح الزاي ورفع كل
والباقون جون مفتوحة وكسر الزاي ونصب كل (وهم) أي فعل ذلك بهم والحال انهم
(بصطرخون فيها) أي يوجدون الصراخ فيها بغاية ما يتسددون عليه من الجهد في
الصياح من البكاء والتوجع يقولون (ربنا) أي أيها المحسن اليانا (أخرجنا) أي من
النار (نعمل صالحا) ثم فسروه وبينوا بقولهم (غير الذي كنا نعمل) في الدنيا (فان قبل)
هلا كتنفي بقولهم نعمل صالحا كما كتنفي به في قولهم فارجعنا نعمل صالحا وما فائدة
زيادة غير الذي كنا نعمل على أنه يوهم انهم يعملون صالحا آخر غير الصالح الذي عملوه
(أجيب) بأن فائدة زيادة التحسن على ما عملوه من غير الصالح مع الاعتراف به وأما لوهم
فزائل بظهور حالهم في الكفر وظهور المعاصي ولانهم كانوا يحسبون أنهم على سيرة صالحة كما
قال تعالى وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فقالوا أخرجنا نعمل صالحا غير الذي كنا نعمله
صالحا فعمله فيقال لهم توينا وتسرعا (أو لم نعمركم) أي نطّل أعماركم مع إعطائناكم
العقول ولم نعاظلكم بالاخذ (ما) أي زمانا (يتذكر فيه من تذكر) قال عطاء وقتادة

والكبي ثاني عشرة سنة وقال الحسن أربعون سنة وقال ابن عباس ستون سنة وروى ذلك
عن علي وروى البزار أنه صلى الله عليه وسلم قال العمر الذي أعذر الله تعالى فيه إلى ابن آدم
ستون سنة وروى البخاري أنه صلى الله عليه وسلم قال من عمره الله ستين سنة فقد أعذر الله
في العمر وروى الترمذي وابن ماجه عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه صلى الله عليه وسلم قال
أعمار أمتي ما بين الستين إلى السبعين وأقلهم من يجوز ذلك وقوله تعالى (وجاءكم النذير) عطف
على أول نعمكم لأنه في معنى قد عمرناكم كقوله ألم نربك ثم قال ولبت وقال تعالى ألم نشرح لك
صدرك ثم قال تعالى ووضعنا عنك وزرك اذهما في معنى ربنا لنوشر حنا واختلاف في النذير
فقال الا كثرون هو محمد صلى الله عليه وسلم وقبل القرآن وقال عكرمة وسفيان بن عيينة
ووكيع هو الشيب والمعنى أول نعمكم ثم حتى شبتهم ويقال الشيب نذير الموت وفي الاثر ما من شجرة
تبيض الا فأت لا ختم الاستعداد قد قرب الموت * ولما نسب عن ذلك ان عذابهم لا ينفك قال
تعالى (قد وقوا) أي ما عدد ناداكم من العذاب دائماً أبداً (فلا الظالمين) أي الذين وضعوا
أعمالهم وأقوالهم في غير موضعها (من نصير) أي في وقت الحاجة حتى يرفع العذاب عنهم
قال البقاعي وهذا عام في كل ظالم * ولما كان تعالى عالماً بكل ما نفي وما أثبت قال تعالى (ان
الله) أي الذي أحاط بكل شيء بقدرته وعلماً (عالم غيب السموات والارض) لا يتحقق عليه خافية
فلا يخفى عليه تعالى أحوالهم وقوله تعالى (انه علم بذات الصدور) تعليل له لانه اذا علم
مضمرات الصدور قبل أن يعلمها أربابها حتى تكون غيباً محضاً كان أعلم بغيره ويعلم انكم
لومدت أعمالكم لم ترجعوا عن الكفر أبداً ولوردتم لعدتم لما نهيتم عنه وانه لا مطلق
في صلاحكم * ولما كان من انشأ شيئاً كان أعلم به قال تعالى (هو) أي وحده لا شريكاً
ولا غيرهم (الذي جعلكم) أي الناس (خلائف في الارض) أي يخلف بعضكم بعضاً وقيل
جعلكم أمة واحدة خلقت من قبلها ورأت فين قبلها ما ينبغي أن يعتبر به وقال التشبيري
أهل كل عصر خليفة عن قسمة مهم فمن قوم هم اسلفهم جمال ومن قوم هم أراذل وأسافل
* (تنبيه) * خلافت جمع خليفة وهو الذي يقوم بعد الانسان بما كان قائماً به والخلفاء جمع
خليفة قاله الاصمغاني (فن كفر فعلمه كفره) أي وبالكفره (ولا) أي والحال انه لا يزيد
(الكافرين) أي المغطين للحق (كفرهم) أي الذي هم متلبسون بخلافون أنه بسعدهم
وهم راخصون فيه غير متقين عنه (عند ربهم) أي المحسن اليهم (الامتنان) أي غضبان لان
الكافر السابق كان محقوقاً (ولا يزيد الكافرين) أي العريقتين في صفة التغطية للحق
(كفرهم الا خساراً) أي لا آخره لان العمر كراس مال من اشترى به رضا الله تعالى ربح
ومن اشترى به سخط الله تعالى خسر ولما بين أنه سبحانه هو الذي استخلفهم أكد بيان ذلك
عندهم بامرهم صلى الله عليه وسلم بما يضطرهم إلى الاعتراف بقوله تعالى (قل) أي لهم
(أرايتم) أي أخبروني (شركاءكم) أضافهم اليهم لانهم وان كانوا جعلوهم شركاء لم ينالوا
شيئاً من شركته لانهم ما نقصوه شيئاً من ملكه وانما شاركوا العابدين في أموالهم بالسواائب

وغيرها وفي أعمالهم فهم شركاؤهم بالحقيقة لا شركاؤه نمين المراد من عدتهم لهم شركاء بقوله تعالى (الذين تدعون) أي تعبدون (من دون الله) أي غيره وهم الاصنام الذين زعم أنهم شركاء لله تعالى (أروني) أي أخبرني (ماذا) أي الذي أو أي شيء (خلقوا من الارض) أي تصح لکم دعوى الشراكة فيهم والافادعواؤكم ذلك فيهم كذب محض وانكم تدعون أنكم أبعد الناس منه في الامور الهينة فكيف بمثل هذا (أم لهم شرك) أي شركة مع الله تعالى وان قلت (في السموات) أي أروني ماذا خلقوا لكم من السموات فالآية من الاحتمال حذف أولا الاستفهام عن الشراكة في الارض لدلالة مثله في السماء ثانيا عليه وحذف الامر بالاراء ثانيا للدلالة مثله أولا عليه (أم آيتناهم كتابا) ينطق على اننا اتخذنا شركاء (فهم) الاحسن في هذا الضمير ان يعود على الشركاء لتناسق الضمائر وقيل يعود على المشركين فاله مقارن فيكون الثنتان من خطاب الى غيبة (على بينة) أي حجة (منه) بأن لهم معي شركة ولما كان التدوير لاني لهم من ذلك قال تعالى منها على ذمهم احوالهم وسفه آرائهم وخسة همهم ونقصان عقولهم (ولان) أي ما (بعد الظالمون) أي الواضعون الاشياء في غير موضعها (بعضهم بعضا) أي الاتباع للمبتوعين بأن شركاءهم تفرجهم الى الله تعالى زانق وانما تشفع وتضرم وتنفذ (الاغورا) أي باطلا ولما بين تعالى حقارة الاصنام بين عظمتهم سبحانه بقوله تعالى (ان الله) أي الذي له جميع صفات الكمال (يسك السموات) أي على كبرها وعلوها (والارض) أي على سعتها وبعدها عن التماسك على ما تشاهدون وقوله تعالى (ان تزولا) أي بدرجة عظيمة وزلزلة كبيرة يجوز ان يكون مفعولا من أجله أي كراهة ان تزولا وقيل لا تزولا ويجوز ان يكون مفعولا ثانيا على اسقاط الناقض أي يمنعهم ما من ان تزولا ويجوز ان يكون بدل اشتمال أي يمنع زوالهما لان ثباتهما على ما هما عليه على غير القياس لولا شامخ قدرته وباهر عزته وعظمتهم فان ادعيت عنادا أن شركاءكم لا يقدر على الخلق لعله من العال فادعوه هم لازالة ما خلق الله تعالى * ولما كان في هذا دليل على أنهم ما حدثان زائلتان أعبعه ما هو أبين منه بقوله تعالى معبرا بأداة الامكان (ولئن) لام قسم (زائلا) أي بزلزلة خراب أو غير ذلك (ان) أي ما (أمسكهم من أحد من بعده) جواب القسم الموطالة بلام القسم وجواب الشرط محذوف يدل عليه جواب القسم ولذلك كان فعل الشرط ماضيا وقول البضاوى تعالى لمخشري والجملة سدت مسد الجوابين فيه تجوز فالمراد بسدتهما أنها تدل عليهما لأنها قائمة مقامهما اذ يلزم أن تكون معمولة وغير معمولة لأنها باعتبار جواب القسم لا محل لها من الاعراب وباعتبار جواب الشرط لا محل ومن في من أحد مزيدة تأكيدا للاستغراق وفي من بعده لا ابتداء الغاية والمعنى أحدهما أو من بعد الزوال (أنه كان) أي أزلا وأبدا (حليما) اذ أمسكهما وكتا جديرتين بأن تهذا كما قال تعالى نكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا لأنه لا يستعجل الامن يخاف القوت فينتز الفرصة (عقورا) أي محمل الذنوب من رجع اليه وأقبل

بالاعتراف عليه فلا يعاقبه ولا يعاتبه * ولما بلغ كفرهمكة أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم قالوا
 لعن الله اليهود والنصارى أنهم الرسل فكذبوهم (وأقسموا) أي كفرهمكة (بالله) أي الذي
 لا يقسم بغيره (جهداً بيمانهم) أي غاية اجتهادهم فيها (لأن جاءهم نذير) أي رسول (ليكون أهدى
 من إحدى الأمم) أي اليهود والنصارى وغيرهم أي آية واحدة منها الماراً ومن تكذيب بعضها
 بعضاً إذ قالت اليهود ليست النصارى على شيء وقالت النصارى ليست اليهود على شيء (فلما
 جاءهم نذير) أي على ما شرطوا وزيادة وهو محمد صلى الله عليه وسلم الذي كانوا يشهدون أنه
 خيرهم نفساً وأشرفهم نسباً وأكرمهم خلقاً (مما زادهم) أي بحججه شيئاً مما هم عليه من
 الأحوال (الأنفوس) أي تباعدوا عن الهدى لأنه كان سبباً في زيادتهم في الكفر كالآبل التي
 كانت نفرت من ربها فاضلت عن الطريق فدعاها فازدادت بسبب دعائه نفرة فصارت بحيث
 يتعذر أو يتعسر ردها فبين أنه لا عهد لهم مع ادعائهم أنهم أوفى الناس ولا صدق عندهم مع
 جزمهم بأنهم أصدق الخلق ثم علل نفورهم بقوله تعالى (استكباراً) أي طلباً للعبادة الكبير
 لأنفسهم (في الأرض) أي التي من شأنها السنبول والتواضع والحلول فلم يكن نفورهم لامر محمود
 ولا مباح ويجوز أن يكون استكباراً بدلاً من نفوراً وأن يكون حالاً أي حال كونهم مستكبرين
 قاله الاخفش وقوله تعالى (ومكر السيئ) فيه وجهان أظهرهما أنه عطف على استكبار
 والثاني أنه عطف على نفوراً وهذا من إضافة الموصوف إلى صفة في الأصل إذا الأصل والمكر
 السيئ والبصريون يؤولونه على حذف موصوف أي العمل السيئ أي الذي من شأنه أن يسوء
 صاحبه وغيره وهو أرادتهم لآلهة أمر النبي صلى الله عليه وسلم وأطاعوا نوره الله عز وجل وقال
 الكلبي هو اجتماعهم على الشرك وقتل النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ حجة في الوصل بهمزة
 ساكنة أي بنية الوقف إشارة إلى تدقيقهم المكر واتقانه وخفائه جهدهم والباقون بهمزة
 مكسورة وإذا وقف حجة أبدل الهمزة بياء وأدغم الباء الأولى في الباء الثانية ووقف الباقيون
 بهمزة ساكنة (ولاً) أي والحال أنه لا (يحيق) أي يحيط احاطة لازمة خسارة (المكر السيئ)
 أي الذي هو عريق في السوء (الآبأله) أي وإن أذى غير أهله لكنه لا يحيط بذلك الغير
 (فإن قيل) كثيراً ما نرى الماكر يكر ويفسده المكر ويغلب الخصم بالمكر والآية تدل على
 عدم ذلك (أجيب) بأجوبة أحدها أن المكر في الآية هو المكر الذي مكر ومع النبي صلى
 الله عليه وسلم من العزم على القتل والاخراج ولم يحق لأبهم حيث قتلوا يوم بدر وغيره ثنائها
 أنه عام وهو الأصح ويدل له قول الزهري بلغنا أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تمكروا ولا
 نهينوا ما كرا فإن الله تعالى يقول وقرأ هذه الآية ولا تغوا ولا تعينوا باغياً يقول الله تعالى إنما
 بغيتكم على أنفسكم ولا تتكفروا ولا تعينوا أنا كنا قال الله تعالى فمن تكفتم فأنما ينكت على نفسه
 ثنائها أن الأعمال بعواقبها ومن مكر بغيره ونفذ فيه المكر عاجلاً في الظاهر فهو في الحقيقة هو
 الفاتر والمالك هو الهالك كمثل راحة الكافر ومشفقة المسلم في الدنيا ويؤيد هذا المعنى قوله
 تعالى (فهل ينظرون) أي ينتظرون (الأسف الأولين) أي سنة الله تعالى فيهم من تعذيبهم

بتكذيبهم رسالهم والمعنى فهل ينتظرون الآن ينزل بهم العذاب كما نزل بمن مضى من الكفار
 ولما كان هذا النظر يحتاج الى صفاء في القلب وذكاء في النفس عدل عن ضميرهم الى خطاب
 أعلى الخلق بقوله تعالى (فلن تجد) أى في وقت من الاوقات (لست الله) أى طريقة الملك
 الاعظم التى شرعها وحكم بها وهى اهلاك العاصين وانجاء الطائعين (تبدلا) أى من أحديأتى
 بسنة غير هاتكون بدل الاله لان الله تعالى لا مكافئ له (ولن تجد لست الله) أى الذى لا أمر لاحد
 معه (تحويلا) أى من حالة الى أخف منها لانه لا مرد لقضائه * (فائدة) * ترسم سنت لست
 لست الثلاثة بالتاء المجرورة كما رأيت ووقف أبو عمرو وابن كثير والكسائى بالهاء والباقون
 بالتاء واذا وقف الكسائى أمال الهماء على أصله ولما ذكر الله تعالى الأولين وسنتهم فى اهلاكهم
 بينهم منذ كبر حال الأولين بقوله تعالى (أولم يسروا) أى فيما مضى من الزمان (فى الارض)
 أى التى ضربوا فى المتاجر بالسرايلها فى الشام واليمن والعراق (فينظروا) أى فينسب عن
 ذلك السير أنه يتجدد لهم نظروا باعتبار يوم من الايام فإن العاقل من اذا رأى شيئا نكسره حتى
 يعرف ما ينطق به لسان حاله ان خفى عليه ما جرى من مقاله وأشار بسوقه فى أسلوب الاستفهام
 الى أنه لعظمه خرج عن أمثاله فاستحق السؤال عن حاله (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر (الذين
 من قبلهم) أى على أى حالة كان آخر أمرهم ليعلموا أنهم ما أخذوا الابتكاز بالرسول عليهم
 السلام فيخافوا أن يفعلوا مثل أفعالهم فيكون حالهم كحالهم فأنهم كانوا يعززون على ديارهم ويرون
 آثارهم وأملهم كان فوق أملهم وعملهم كان دون عملهم وكانوا أطول منهم أعمارا وأشد اقتدارا
 ومع هذا لم يكذبوا مثل محمد صلى الله عليه وسلم وأنتم يا أهل مكة كفرتم بمحمد ومن قبله عليهم
 السلام (وكانوا) أى أهلكناهم لتكذيبهم برسالتنا والحال أنهم كانوا (أشد منهم) أى من هؤلاء
 (قوة وما كان الله) أى الذى له جميع العظمة وأكدا الاستغراق فى النقي بقوله تعالى (ليجزئه)
 أى مريدا لان يجزئه ولما اتفقت ارادة العجز فيه اتقى العجز بطريق الاولى وأبلغ فى التأكيد
 بقوله تعالى (من شئ) أى قل أو جل وعظم بما يصل اليه ادراكا بقوله تعالى (فى السموات) أى
 جهة العلو وأكده بقوله عز وجل (ولا فى الارض) أى جهة السفلى (ان كان) أى ألا وأبدا
 (علمها) أى بالانشاء كلها حقيرها وجليلها (قديرا) أى كامل القدرة أى فلا يريد شيئا
 الا كان ولما كانوا يستعجلون بالتوعد استهزاء كقولهم اللهم ان كان هذا هو الحق من عندك
 فامطر علينا بحجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم على ان التقدير ولو علمكم الله تعالى معاملة
 المؤاخذ ليجل اهلاككم عطف عليه قوله تعالى اظهارة الحكم مع العلم (ولو يؤاخذ الله)
 أى بما لهم من صفات العلو (الناس) أى المكلفين (بما كسبوا) أى من المعاصى (ما ترك)
 على ظهرها (أى الارض (من دابة) أى نسمة تدب عليها كما كان فى زمن نوح عليه السلام
 أهلك الله تعالى ما على ظهر الارض الا من كان فى السفينة مع نوح (فان قيل) اذا كان الله
 تعالى يؤاخذ الناس بما كسبوا والمحال الدواب (أجيب) بأن المطر انعم من الله فى حق
 العباد واذ لم يستحقوا الانعام قطعت الامطار عنهم فيظهر الجفاف على وجه الارض فيموت

جميع الحيوانات وبأن خلقة الحيوانات نعمة والمعاصي تزيل النعم وتجل النعم والدواب أقرب النعم لأن المفرد أو لآثم المركب والمركب إما أن يكون معدنا وإما أن يكون ناميا والنامي إما أن يكون حيوانا أو نباتا والحيوان إما إنسان أو غير إنسان فالدواب أعلى درجات المخلوقات في عالم العناصر للإنسان (فان قيل) كيف يقال للماعلة الخلق من الارض وجه الارض وظهور الارض مع أن الظهر مقابل وجهه فهو كالتضاد (أجيب) بأن الارض كالداية الحاملة للانقال والحمل يكون على الظهر وأما وجه الارض فلان الظاهر من باب والبطن والباطن من باب فوجه الارض ظهر لانه هو الظاهر وغيره باطن وبطن (ولكن) لم يعاملهم بمعاملة المؤاخذة المناقش بل يحلم عنهم فهو (يؤخرهم) أي في الحياة الدنيا ثم في البرزخ (إلى أجل مسمى) أي سماه في الازل لانتضاء أعمارهم ثم يبعثهم من قبورهم وهو تعالى لا يبدل القول لديه لما له من صفات الكمال (فإذا جاء أجلهم) أي القضاء الاعداء قبض كل واحد منهم عند أجله أو لايجاد الباقي بعث كل منهم فجازاه بعمله (فإن الله) أي الذي له الصفات العليا (كان) ولم يزل (بعاده) الذين أوجدهم ولا شريك له في ايجاد واحد منهم بجميع ذواتهم وأحوالهم (بصيرا) أي بانغ البصر والعلم عن يستحق العذاب ومن يستحق الثواب قال ابن عباس يريد أهل طاعته وأهل معصيته ومارواه البيضاوي تعالى لم يخشى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الملائكة دعته يوم القيامة ثمانية أبواب الجنة ان ادخل من أي الابواب شئت حديث موضوع

﴿سورة يس مكية﴾

وهي ثلاث وعشرون آية وسبع مائة وتسعة وعشرون كلمة وثلاثة آلاف حرف وتسمى أيضا التلب والدافعة والقاضية والمعجمة تعم صاحبها بخير الدارين وتدفع عنه كل سوء وتقضي له كل حاجة والبيضاوي ذكر هذه التسمية عن النبي صلى الله عليه وسلم قال شيخنا القاضي زكريا لم أره ولكن المثبت مقدم على الثاني (بسم الله) أي الذي جل ملكه عن أن يحاط بقداره (الرحمن) الذي جعل انذار يوم الجمع رحمة عامة (الرحيم) الذي أنار قلوب أوليائه بالاجتهاد ليوم لقائه وقوله تعالى (يس) كالم في المعنى والاعراب وقال ابن عباس يس قسم وروى عن شعبة أن معناه يا انسان بلغه طي على ان أصلها يئسين فاقصر على شطره لكثرة التدايه كما قيل م الله في أين الله وقال أكثر المفسرين يعني محمد صلى الله عليه وسلم قاله الحسن وسعيد بن جبير وجاعة وقال أبو العباس يارب رجل وقال أبو بكر الوراق يا سيد البشر قال ابن عادل في ذكر هذه الحروف أوائل السور أمور تدل على انها غير خالية من الحكمة لكن علم الانسان لا يصل اليها والذي يدل على أنها فيها حكمة هو أن الله عز وجل ذكر من الحروف نصفها وهي أربعة عشر حرفا نصف ثمانية وعشرين حرفا هي جميع الحروف التي في لسان العرب على قولنا الهمة ألف متحركة ثم ان الله تعالى قسم الحروف ثلاثة أقسام تسعة أحرف من الالف الى الذال والتسعة الاخيرة من الفاء الى الياء وعشرة في الوسط من الراء الى الغين وذكر من القسم الاول حرفين

الالف والحاء وترك سبعة وترك من القسم الاخير حرفين هما الالف واللام وذ كر سبعة ولم يترك
من القسم الاول من حروف الحلق والصاد والا واحد الم يذكره وهو الحاء ولم يذكر من القسم
الاخير من حروف الشفة الا واحد الم يتركه وهو الميم والعشر الاوسط ذكر منه حرفا وترك حرفا
فترك الزاي وذكر الراء وذكر السين وترك الشين وذكر الصاد وترك الضاد وذكر الطاء وترك الظاء
وذكر العين وترك الغين وليس لها امر يقع اتفاقا بل هو ترتيب مقصود فهو الحكمة لكنهم اغبر
معلومة وهب ان واحدا يدعي فيه شيئا فذا يقول في كون بعض السور مفتحة بحرف كسورة
ن وق وص وبعضها بحرفين كسورة حم ويس وطس وطه وبعضها بثلاثة أحرف كآلم
وطسم والر وبعضها بأربعة أحرف كسورة المر والمص وبعضها بخمسة أحرف كسورة
حم عسق وكهيعص وهب أن قائلا يقول ان هذه اشارة بأن الكلام اما حرف واما فاعل واما
اسم والحرف كثير اما جاء على حرف كواو والعطف وفاء والتعقيب وهمزة الاستفهام وكاف
التثنية وباء الاصلاق وغيرها وجاء على حرفين كين للتبعيض وأم للتخيير وأم للاستفهام المتوسط
وان للشرط وغيرها والفعل والاسم والحرف جاءت ثلاثة أحرف كالى وعلى في الحرف والى وعلى
في الاسم والآلوا بالواو وعلا بعلو في الفعل والاسم والفعل جاء على أربعة أحرف والاسم
خاصة جاء على ثلاثة أحرف وأربعة وخمسة كجمل ومسجد وبر دخل فلجاء في القرآن اشارة الى
أن تركيب العربية من هذه الحروف على هذه الوجوه فذا يقول هذا القائل في تخصيص
بعض السور بالحرف الواحد والبعض بأكثر فلا يعلم ما السر الا الله تعالى ومن أعلمه الله
تعالى به واذا علم هذا فالعبادة منها قلبية ومنها لسانية ومنها جارية وكل واحد منها قسمان
قسم عتلى معناه وحقيقته وقسم لم يعلم أما القلبية مع انها أبعد عن الشك والجهل فنها لم يعلم
دليله عقلا وانما وجب الايمان به والاعتقاد سماعا كالصراط الذى هو أدق من الشعر وأحد
من السيف ويعز عليه المؤمن كالبرق الخاطف والميزان الذى يوزن به الاعمال التى لا ثقل لها
فى نظر الناظر وكيفية الجنة والنار فان هذه الاشياء وجودها لم يعلم بدليل عتلى وانما المعلوم
بالعتلى امكانها ووقوعها معلوم مقطوع به بالسمع ومنها ما علم كالنوحيد والنبوة وقدرة الله
تعالى وصدق الرسل وكذلك فى العبادات الخارجية ما علم معناه وما لم يعلم كقادر النصب وعدد
الركعات والحكمة فى ذلك ان العبد اذا أتى بما أمر به من غير أن يعلم ما فيه من الفائدة فلا
يكون الاتيان بالاحض الفائدة بخلاف ما لم تعلم الفائدة فرعا بأى الفائدة وان لم يؤمر كالقول
السيد لعبده انقل هذه الحجارة من ههنا ولم يعلم بما فى النقل فنقلها ولو قال انقلها فان تحتها
كنزها لو ان فانه ينقلها وان لم يؤمر واذا علم هذا فكذلك فى العبادات اللسانية الذكورية يجب أن
يكون ما لم يفهم معناه اذا تكلم به العبد علم انه لا يعتل غير الاتقياد لامر المعبود الالهى فاذا
قال حم طس يس علم انه لا يدرك ذلك المعنى يفهمه بل يتلفظ به امتثالاً لمأمر به انتهى كلام ابن
عادل بحرفه وهو كلام دقيق وقرأ بس بالماله اليما شعبة وجزء والكسائى والباقون بالفتح
وأظهر النون من بس عند واو (والقرآن) قانون وابن كثير وأبو عمر ووحصن وحجرة

وأدغم الباقون وهي واو القسم أو العطفان جعل يس مقسما ثم وصف القرآن بقوله تعالى
 (الحكيم) أى المحكم بعظيم النظم وبديع المعاني وقوله تعالى (أنك لمن المرسلين) أى
 الذين حكمت عقولهم على دواعي نفوسهم فصاروا بما وهبهم الله من القوة النورية وبما
 تخلقوا به من أوامره ونواهيه كالملائكة الذين تقدم ذكرهم في السورة الماضية أنهم رسله
 جواب القسم وهو رد على الصفار حيث قالوا استمر سلا (فان قيل) المطلب يثبت
 بالدليل لا بالقسم فالحكمة بالاقسام (أجيب) بأوجه أولها أن العرب كانوا يتقنون الايمان
 الفاجرة وكانوا يقولون ان الايمان الفاجرة توجب خراب العالم وصحح النبي صلى الله عليه وسلم
 ذلك بقوله اليمين الكاذبة تدع الديار بلاقع ثم انهم كانوا يقولون ان النبي صلى الله عليه وسلم
 يصيبه من آلهتهم وهي الكواكب عذاب والنبي صلى الله عليه وسلم يحلف بأمر الله وانزال
 كلامه عليه بأشياء مختلفة وما كان يصيبه عذاب بل كان كل يوم أرفع شأنه وأرفع مكانه فكان
 ذلك يوجب اعتقاده أنه ليس بكاذب ثانياً أن المناظرين اذا وقع بينهما كلام وغلب أحدهما
 الآخر بتشبيه دليله وأسكنه يقول المغلوب انك قرت هذا بقوة جدك وأنت خير في نفسك
 بضعف مقالك وتعلم أن الامر ليس كما تقول وان أقت علمه الدليل صورة وعجزت أناعن القدح
 فيه وهذا كثير الوقوع بين المناظرين فعند هذا لا يجوز أن يأتي هو بدليل آخر لان السالك
 المنقطع يقول في الدليل الآخر ما قاله في الأول فلا يجد أمر الا اليمين فكذلك النبي صلى الله
 عليه وسلم أقام البراهين وقالت الكفرة ما هذا الا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم
 وقالوا ما هذا الا افك مبتدى وقال الذين كفروا للحق إما جاءهم ان هذا الا محرم بين فالتسك
 بالايمان لعدم فائدة الدليل ثالثاً ان هذا ليس بمجترد الحلف بل دليل خرج في صورة اليمين لان
 القرآن معجزة ودليل كونه مرسله هو المعجزة والقرآن كذلك (فان قيل) لم يذكر في صورة
 الدليل وما الحكمة في ذكر الدليل في صورة اليمين (أجيب) بأن الدليل اذا ذكر في صورة
 اليمين واليمين لا يقع ولا سيما من العظيم الاعلى أمر عظيم والامر العظيم تتوفر الدواعي على
 الاصغاء اليه فلصورة اليمين يقبل عليه السامع لكونه دليلاً شافياً يسره الشواذ فيقع في السمع
 وفي القلب وقوله تعالى (على سراط) أى طريق واسع واضح (مستقيم) أى هو التوحيد
 والاستقامة في الامر يجوز أن يكون متعلقاً بالمرسلين يقول أرسلت عليه كذا قال تعالى
 وأرسل عليهم طيرا أبابيل وأن يكون متعلقاً بمحمد وذو ف على أنه حال من الضمير المستكن في لمن
 المرسلين لوقوعه خبراً وأن يكون حالاً من المرسلين وأن يكون خبراً ثانياً لانك وقرأ قبل سراط
 باليمين عوضاً عن الصاد وخطب بالاشتماء وهو بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة
 * ولما كان كانه قيل ما هذا الذي أرسل به كان كانه قيل جواباً هو القرآن الذي وقع الاقسام به
 وهو (تنزيل) أو حال كونه تنزيل (العزيز) أى المتصف بجميع صفات الجلال
 (الرحيم) أى الحاوي لجميع صفات الاكرام الذي ينعم على من يشاء من عباده بعد الانعام
 بإيجادهم فهو الواحد المنفرد في ملكه وقرأ ابن عامر وحفص وحزرة والكسائي تنزيل بالنصب

على الحال كما مر أو باضمار أعني والباقون بالرفع على أنه خبر مبتدأ مضر كما مر * ولما ذكر تعالى المرسل وهو الله تعالى والمرسل وهو النبي صلى الله عليه وسلم والمرسل به وهو القرآن ذكر المرسل لهم بقوله تعالى (لتنذروا) أي ذوى بأس وقوة وذكاه وفطنة (مأذذراً) أي لم تنذروا أصلاً (أبائهم) أي لم ينذروا في زمن الفترة (فهم) أي بسبب زمان الفترة (غافلون) أي عن الإيمان والرشد وقوله تعالى (لقد حق القول على أكثرهم) فيه وجه أشهرها أن المراد بالقول هو قوله تعالى لقد حق القول معنى لاملأ أن جهنم منك ومن تبعك منهم أجمعين ثانيها أن معناه لقد سبق في علمه تعالى أن هذا يؤمن وهذا لا يؤمن فحق القول أي وجب وثبت بحيث لا يبدل بغيره كما قال تعالى ما يبدل القول لدي ثالثها المراد لقد حق القول الذي قاله الله تعالى على آسان الرسل من التوحيد وغيره (فهم) أي بسبب ذلك (لا يؤمنون) أي بما يليق اليهم من الانذار بل يزيدهم عى استكباراً في الأرض ومكر السيئ * ونزل في أبي جهل وصاحبه (انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً) أي بأن نضم اليها الايدي لأن الغل يجمع البدالي العنق وذلك أن أبا جهل كان قد خلف لئن رأى محمداً صلى الله عليه وسلم يصلي ليرخن رأسه فأتاه وهو يصلي ومعه حجر ليدمغه به فلما رفعه أثبت يده الى عنقه ولزق الحجر بيده الى عنقه فلما رجع الى أصحابه واخبرهم بما رأى سقط الحجر فقال رجل من بني مخزوم أنا قتلته بهذا الحجر فأتاه وهو يصلي ليرميه بالحجر فأعفى الله تعالى بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع الى أصحابه فلم يرمهم حتى نادوه فقالوا له ما صنعت فقال ما رأيته ولقد سمعت كلاماً وحال بيني وبينه كهشة الفعل يخطر بذهنه لودنوت منه لا كافي فأنزله تعالى هذه الآية ووجه المناسبة لما تقدم أنه لما قال تعالى لقد حق القول على أكثرهم وتقدم أن المراد به البرهان وقال بعد ذلك بل عاينوا وأبصروا وما يقرب من الضرورة حيث التزقت يده بعنقه ومنع من إرسال الحجر وهو مضطر الى الإيمان ولم يؤمن علم أنه لا يؤمن أصلاً وقال أهل المعاني هذا على طريق المثل ولم يكن هنالك غل أراد منعناهم عن الإيمان بوجوه ففعل الأغلال مثلاً لذلك فهو تقرير لتصميمهم على الكفر والطبع على قلوبهم بحيث لا تغنى عنهم الآيات والنذر بتمثيلهم بالذين غلت أيديهم وقال القراء معناه حبسناهم عن الانفاق في سبيل الله كقوله تعالى ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك معناه ولا تغسكها عن النفقة ومناسبة هذا لما تقدم أن قوله تعالى فهم لا يؤمنون يدخل فيه انهم لا يصلون لقوله تعالى وما كان الله ليضيع إيمانكم أي صلاتكم عند بعض المفسرين والزكاة مناسبة للصلاة فكأنه قال لا يصلون ولا يزكون واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (فهى الى الاذقان) على وجهين أشهرهما أنه عائذ على الاغلال لانها هي المحدث عنها ومعنى هذا الترتيب بالشاء أن الغل لغلظه وعرضه يصل الى الذقن لانه يلبس العنق جميعه قال الخشري والمعنى انا جعلنا في أعناقهم أغلالاً لا تسالاجيت تبلغ الى الاذقان فلم يتمكن المغلول معها من أن يطأ طئ رأسه ثانيهما أن الضمير يعود الى الايدي واليه ذهب الطبري وعليه جرى الجلال المحلى لأن الغل لا يكون الا في العنق واليدين ودل على الايدي وان لم تذكر

الملازمة المفهومة من هذه الآلة أعنى الغلّ وقرأ قالون وأبو عمرو والكسائي يسكون
 الهاء والباقون بكسرهما والاذقان جمع ذقن وهو جمع اللحيين (هم مقمعون) أى
 رافعون رؤسهم غاصون أبصارهم فى أنهم لا يلتفتون لقطة الى الحق ولا يعطفون أعناقهم نحوه
 ولا يباطون رؤسهم له والاقحاح رفع الرأس الى فوق كالاتعاض وهو من قمح البعير رأسه اذا
 رفعها بعد الشرب اما البرودة الماء واما الكراهة طعمه * ولما كان الرافع رأسه غير ممنوع من
 النظر أمامه قال تعالى (وجعلنا) أى بعظمتنا (من بين أيديهم) أى الوجه الذى يمكنهم علمه
 (سدا) فلا يسلكون طريق الاهتداء * ولما كان الانسان اذا انسدت عليه جهة مال الى أخرى
 قال تعالى (ومن خلفهم) أى الوجه الذى هو خفي عنهم (سدا) فلا يرجعون الى الهداية فصارت
 كل جهة يلتفتون اليها منسدة فصاروا لذلك لا يمكنهم النظر الى الحق ولا الخلوص اليه فلذلك
 قال تعالى (فأغشيناهم) أى جعلنا على أبصارهم بما لنا من العظمة غشاوة (فهم) أى بسبب
 ذلك (لا يبصرون) أى لا يتجدد لهم هذا الوصف من ابصار الحق وما يتفهمه بصر ظاهر ولا
 بصيرة باطنة وأيضاً الانسان مبدؤه من الله تعالى ومصيره اليه فعلمى الكافرين بان لا يبصروا
 ما بين أيديهم من المصير الى الله تعالى وما خلفهم من الدخول فى الوجود بخلق الله تعالى كن
 أحاط بهم سد فغطى أبصارهم بحيث لا يبصرون قدامهم ووراءهم فى أنهم محبوسون فى مطمورة
 الجهالة ممنوعون عن النظر فى الآيات والدلائل وإضافات السالك اذا لم يكن له بد من سلوك
 طريق فان انسدت الطريق الذى قدامه يفوته المقصد ولكنه يرجع فاذا انسدت الطريق من
 خلفه ومن قدامه والموضع الذى هو فيه لا يكون موضع إقامة هلك (فان قيل) ذكر السد من
 بين الايدي ومن الخلف ولم يذكر من اليمين والشمال فما الحكمة فى ذلك (أجيب) بأنهم اذا
 قصدوا السلوك الى جانب اليمين أو جانب الشمال صاروا متوجهين الى شئ ومولين عن شئ
 فصاروا اليه توجههم ما بين أيديهم فيجعل الله تعالى السد هناك فيمنعه من السلوك فكذلك
 توجه الكافر يجعل الله تعالى بين يديه سدا وقرأ أجزء والكسائي وحفص سدا بفتح السين
 فى الموضعين وهو لغة فيه والباقون بالضم * ولما منعوا بذلك حس البصر أخبر عن حس السمع
 بقوله تعالى (وسوا عليهم) أى مستو ومعتدل غاية الاعتدال (أأنذرتهم) أى بما أخبرناك
 به من الزواجر المانعة للكفر (ألم تذرهم لايؤمنون) لانهم عن علم الله تعالى أنهم لا يؤمنون
 وقد سبق أيضاً فى البقرة تفسيره والكلام على الهمزتين ثم بين الله تعالى الاقل التابى لانه
 المقصود بالذات بقوله تعالى (انما تذر) أى انذارا ينفع المنذر وقتاً أثر عنه النجاة (من
 اتبع الذكر) أى القرآن بالتأمل فيه والعمل به (وخشى الرحمن) أى خاف عقابه (بالغيب) أى
 قبل موته ومعانية أهواله أو فى سريره ولا يغتر برحمته فانه تعالى كما هو رحن رحيم منقسم جبار
 (فبشره) أى بسبب خشية بالغيب (بغفرة) أى الذنوب وان عظمت وتكررت * ولما حصل
 العلم بمحو الذنوب عينا وأثرها قال تعالى (وأجر كريم) أى هو الجنة فانها دار لا كدر فيها
 بوجه والمقصود منها هو النظر لوجهه الكريم اللهم متعنا ومحينا بالنظر الى وجهك الكريم

ولما ذكر تعالى خشية الرحمن بالغيب ذكر ما يؤكده وهو احياء الموتى بقوله تعالى (انا نحن) أى
 بما لنا من العظمة التى لاتضاهى (نحي الموتى) أى كلهم حسابا للبعث ومعنى بالانشاؤ اذا اردنا
 من ظلمة الجهل (ونكتب) أى جله عند نفع الروح وشيا فشيئا بعده فلا يتعدى التفصيل شيئا فى
 ذلك الاجال (ما قدموا) أى وآخروا من جميع أفعالهم وأقوالهم وأحوالهم من صالح وغيره
 فاكتفى بأحدهما للدلالة الآخر عليه كقوله تعالى سراييل تقيكم الحزأى والبرد وقيل المعنى
 ما أسلفوا من الاعمال سالحة كانت أو فاسدة كقوله تعالى بما قدمت أيديهم أى بما قدموا
 فى الوجوه وأوجدوه وقيل نكتب نياتهم فانها قبل الاعمال وقوله تعالى (وانا نارههم) فيه وجوه
 أحدها وهو مبنى على التفسير الاخير وهو كتب النيات المراد بالانار الاعمال ثانياها ما سنوا
 من سنة حسنة وسنة فاحسنة كالكتب المصنفة والقناطر المبنية والسيئة كالتظلمات
 المستقرة التى وضعها الظلمة والكتب المضلة قال صلى الله عليه وسلم من سن فى الاسلام سنة
 حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومن عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم
 شيئا ومن سن فى الاسلام سنة سيئة فعمل بها من بعده كان عليه وزرها ووزر من عمل بها من
 غير أن ينقص من أوزارهم شيئا ثالثها خطاهم الى المساجد لما روى أبو سعيد الخدرى قال
 شكت بنو سامة بعد منازلهم عن المسجد فأ نزل الله تعالى ونكتب ما قدمت أوتارهم فقال
 صلى الله عليه وسلم ان الله يكتب خطواتكم ومشيمكم وينيبكم عليها وقال صلى الله عليه وسلم
 أعظم الناس أجرا فى الصلاة أبعدهم مشيا والذى ينتظر الصلاة حتى يصليها مع الإمام أعظم
 أجرا من الذى يصلى ثم ينام (فان قيل) الكتابة قبل الاحياء فكيف أخر فى الذكر حيث قال تعالى
 نحي الموتى ونكتب ولم يقل نكتب ما قدموا ونحيهم (أجيب) بأن الكتابة معظمة لأمر الاحياء
 لأن الاحياء ان لم يكن للمساب لا يعظم والكتابة فى نفسها ان لم يكن هناك احياء ولا إعادة لايحيى
 لها أثر أصلا والاحياء هو المعتمد الكتابة مؤكدة معظمة لأمره فلها قدم الاحياء لانه تعالى
 قال انا نحن وذلك يفيد العظمة والجبروت والاحياء العظيم يختص بالله تعالى والكتابة دونه
 تقرير التعريف الأمر العظيم وذلك مما يعظم ذلك الأمر العظيم ولما كان ذلك الأمر ربما
 أوهم الاقتصار على ما ذكر من أحوال الآدميين دفع ذلك بقوله تعالى (وكل شئ) من أمور
 الدنيا والآخرة (أحصىناه) أى قبل ايجاده بعلمنا القديم احصاء وحفظا وكتبناه (فى امام)
 وهو اللوح المحفوظ (سين) أى لا ينجى فيه شئ من جميع الاحوال والاقوال فهو تعميم بعد
 تخصيص لانه تعالى يكتب ما قدموا وأثارهم وابست الكتابة مقتصرة عليه بل كل شئ يخصى
 فى امام مبين وهذا يفيد أن شيئا من الاقوال والافعال لا يعزب عن علم الله تعالى ولا يقونه
 كقوله تعالى وكل شئ فعلوه فى الزبر وكل صغير وكبير مستطر يعنى ليس ما فى الزبر منحصرا فيما
 فعلوه بل كل شئ مكتوب لا يبدل فان القلم جف بما هو كائن فلما قال تعالى نكتب ما قدموا بين
 ان قبل ذلك كتابة أخرى فان الله تعالى كتب عليهم انهم سيفعلون كذا وكذا ثم اذا فعلوا كتب
 عليهم أنهم فعلوه وقيل ان ذلك مؤكده على قوله تعالى ونكتب ما قدموا أى فى أوراق

ويرميها قد لا يجدها فكانت لم يكتب فقال تعالى نكتب وتحفظ ذلك في امام مبين وهو قوله
 تعالى علمها عند ربي في كتاب لا يضل ربي ولا ينسى وقوله سبحانه وتعالى (واضرب) بمعنى واجعل
 (لهم) وقوله تعالى (مثلا) معقول أول وقوله تعالى (أصحاب) مفعول ثان والاصل واضرب
 لهم مثلا مثل أصحاب (القرية) فترك المثل وأقيم الاصحاب مقامه في الاعراب كقوله تعالى
 واسأل القرية قال الزمخشري وقيل لاحاجة الى الانصار بل المعنى اجعل أصحاب القرية لهم
 مثلا أو مثل أصحاب القرية بهم قال المفسرون المراد بالقرية انطاكية وقوله تعالى (اذ جاءها)
 الخ يدل اشتمال من أصحاب القرية أي اذ جاء أهلها (المرسلون) أي رسل عيسى عليه السلام
 واصله الى نفسه في قوله تعالى (اذ أرسلنا اليهم اثنين) لانه فعل رسوله عليه السلام واذ
 أرسلنا الخ يدل من اذ الاولى وفي هذا الطيفة وهي أن في القصة أن الرسل كانوا مبعوثين من
 جهة عيسى عليه السلام أرسلهم الى انطاكية فقال تعالى ارسل عيسى عليه السلام هو
 ارسلنا ورسول رسول الله باذن الله رسول الله فلا تفهم يا محمد أن أولئك كانوا رسل الرسول
 وانما هم رسل الله تعالى فتكذيبهم كتكذيبك فتم التسليم بقوله تعالى اذ أرسلنا ويؤيد هذا
 مسئلة فقهية وهي ان كل وكيل للوكيل باذن الموكل عند الاطلاق وكيل الموكل لا وكيل
 الوكيل حتى لا ينزل بعزل الوكيل اياه وينزل اذا عزله الموكل الاول * (تنبيه) في بحث
 الاثنين حكمة بالغة وهي أنهما كانا مبعوثين من جهة عيسى عليه السلام باذن الله تعالى فكان
 عليهما انتهاء الامر اليه والاثبات بعلم الله تعالى والله سبحانه عالم بكل شئ لا يحتاج الى شاهد
 يشهد عنده وأما عيسى عليه السلام فبشر فأمر الله تعالى بإرسال اثنين ليكون قوله ماعلى
 قومه ماعند عيسى عليه السلام حجة تامة وقرأ أبو عمرو بكسر الهاء والميم في الوصل وحزة
 والكسائي بضمهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف فحزمة بضم الهاء والباقون
 بكسرها والجميع في الوقف بسكون الميم (فكذبوهما) أي مع ما لهما من الآيات لأن من
 المعلوم أناما أرسلنا رسولا الا كان معه من الآيات ما مثله آمن عليه البشر سواء أكل عنان
 غير واسطة أو كان بواسطة رسولنا كما كان للطفيل بن عمرو الدوسي ذى النورين لما ذهب
 الى قومه وسأل النبي صلى الله عليه وسلم أن تكون له آية فكانت نورا في جبهته ثم سأل أن تكون
 في غير وجهه فكانت في سوطه * ولما كان المتظافر على الشئ أقوى لشأنه وأعون على ما يراد
 منه تسبب عن ذلك قوله تعالى (فعززنا) أي قويتنا (بثالث) يقال عززنا المطر الارض أي قوتها
 ولبدها ويقال لتلك الارض العزاز وكذا كل أرض صلبة وتعزز لحم الناقة أي صلب وقوى
 والمنعول محذوف أي فقوتناهما بثالث أو فقلبناهما بثالث لأن المقصود من البعثة نصرته
 الحق لانصرتهما والكل كانوا مقوين للدين بالبرهان قال وهب اسم المرسلين يحيى ويونس
 واسم الثالث شمعون وقال كعب الرسولان صادق ومصدق والثالث سلوم وقرأ شعبة بخيف
 الزاى الاولى والباقون بتشديد هاو الزاى الثانية ساكنة بلاخلاف (فقالوا أنا اليكم مرسلون)
 وذلك أنهم كانوا عبيدة أصنام فأرسل اليهم عيسى عليه السلام اثنين فلما قربا من المدينة

رأيا حبيبنا التجار برعى نغما فسلمنا عليه فقال من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام يدعوك
 من عبادة الاوثان الى عبادة الرحمن فقال امعكما آية قالانعم نشفي المريض ونبرئ الائمة
 والابرص باذن الله تعالى فقال ان الى ابنا مرضيا منذ سنين قالافانطلق بنا ننظر حاله فأقيا بهما
 الى منزله فسجما فقام في الوقت باذن الله تعالى صحيفا ففشا الخبر في المدينة وآمن حبيب التجار
 وشفي الله تعالى على أيديهما كثيرا من المرضى وكان لهم ملك اسمه انطيمس وكان من ملوك الروم
 فانهى الخبر اليه فدعاهما فقال لهما من أنتما فقالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيهم جنتما
 قالاندعوك من عبادة ما لا يسمع ولا يبصر الى عبادة من يسمع ويبصر قال أولئنا له دون آلهمنا
 قالانعم من وجدك وألهتك فقال وما حتى أنظر في أمركما وأمر بحبسهما ووجد كل واحد منهما
 مائة جلدة فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شعون الصفار على أثرهما
 لينصرهما فدخل البلدة متكررا وجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسوا به وأوصوا خبره الى الملك
 فدعا مفرضى عشرته وأنس به وأكرمه ثم قال له ذات يوم أيها الملك بلغني أنك حبست رجلين
 في السجن وضربتتهما حين دعوا الى غير دينك فهل كلمتهما وسمعت قولهما فقال الملك حال
 الغضب بيني وبين ذلك قال فان رأى الملك دعاهما حتى نطلع على ما عندهما فدعاهما الملك فقال
 لهما اسمعونا من أرسلكا الى ههنا قالالا الله تعالى الذى خلق كل شئ وليس له شريك فقال
 لهما اسمعونا فصناه وأجزا قالايضعل ما يشاء ويحكمكم يريد قال لهما اسمعونا وما يتكنا قالاما يتنى
 الملك فدعا بقلام مطموس العينين موضع عينية كالجهة فجاز الابدعوان ربهما حتى انشق موضع
 البصر فأخذا بندقتين من الطين فوضعهما في حدقيه فصارا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك
 فقال شعونا لملك أرايت ان سألت الهك يصنع مثل هذا حتى يكون لك الشرف ولا الهتك
 فقال الملك ليس لي عنك سر ان الهنا الذى نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع وكان
 شعونا اذا دخل الملك على الصنم يدخل بدخوله ويصل كثيرا ويضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم
 ثم قال الملك لهما ان قدرا الهكما الذى تعبدانه على احياء ميت آمنابه وبكنا قالالهنا قادر على كل
 شئ فقال الملك ان هناميتامات منذ سبعة أيام ابن لدهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه
 وكان غابا فجاؤا باليت وقد تغير وأروح فجعل الابدعوان ربهما علانية وجعل شعونا يدعور به
 سرا فقام الميت وقال اني دخلت سبعة أودية من النار وأأخذركم ما أنتم فيه فأمثوا بالله تعالى
 ثم قال فتحت أبواب السماء فرأيت شابا حسنا يرفع لهؤلاء الثلاثة قال الملك ومن الثلاثة قال
 شعونا وهذا ان أشار الى صاحبيه فتعجب الملك لما علم فلما علم شعونا أن قوله أثر في الملك أخبره
 بالحال ودعا فآمن الملك وآمن قوم وكثر آخرون فمن لم يؤمن صاح عليهم جبريل فهلكوا وقيل
 ان ابنة الملك كانت قد توفيت ودفنت فقال شعونا للملك اطلب من هذين الرجلين أن يحييا ابنتك
 فطلب الملك منهم ذلك فقاما وصلا ودعوا الله تعالى وشعونا معهما فى السر فأحيا الله تعالى
 المرأة ثم انشق الصبر عنها فخرجت وقالت أسلموا فانهم ما صادفان قالت ولأظنكم تسلمون ثم طلبت
 من الرسولين أن يرداها الى مكانها فاذنوا رابعا على رأسها فعادت الى قبرها كما كانت وقال ابن

سحق عن كعب ووهب بل كفروا جتمع هو وقومه على قتل الرسل فبلغ ذلك حبيبا وهو على باب
 المدينة الاقصى فجاء يسعى اليهم يذكرهم ويدعوهم الى طاعة المرسلين (قالوا) أى أهل القرية
 للرسول (ما أنتم) أى وان زاد عددكم (الابشر مثلنا) لامنيت لكم علينا فواجهه الحصوصية
 لكم في كونكم رسلا دوننا فجعلوا كونهم بشرا مثلهم دليلا على عدم الارسال وهذا عام
 في المشركين قالوا في حق محمد صلى الله عليه وسلم أنزل عليه الذكر من بيننا وقد استوفينا
 في البشرية فلا يمكن الرجحان فرد الله عليهم بقوله سبحانه الله أعلم حيث يجعل رسالته وبقوله
 تعالى الله يجتبي اليه من يشاء الى غير ذلك * (تنبيه) * رفع بشر لا تقاض النفي المقتضى أعمال
 ما بالاثم قالوا (وما أنزل الرحمن) أى العام الرحمة فعموم رحمة مع استوائنا في عبوديته
 يقتضى أن يسوي بيننا في الرحمة فلا يخصكم بنبىء دوننا وأغرقوا في النفي بقولهم (من شئ) أى
 وحى ورسالة (ان) أى ما (أنتم الاتكذبون) أى في دعوى رسالة حالا وما لا (قالوا)
 أى الرسل (ربنا) أى الذى أحسن البنا (يعلم) أى ولهذا يظهر على أيدينا الآيات
 (انا اليكم مرسلون) استشهدوا بعلم الله تعالى وهو يجرى مجرى القسم وزاد واللام المؤكدة
 لانه جواب عن انكارهم (وما علينا) أى وجوبنا من قبل من ارسلنا (الابلاغ المبين)
 أى المؤيد بالادلة القطعية من الحجج القولية والفعلة بالمعجزات وهى ابراء الأئمة والارص
 واحياء الميت وغيره ما كان جوابهم بعد هذا الآن (قالوا انا نظيرنا) أى تشامنا (بكم)
 وذلك أن المطرح بس عنهم فقالوا أصابنا هذا بشؤمكم ولاستغرابهم ما ادعوه واستقبحاهم له
 ونفرتهم عنه قالوا (لئن لم تنتهوا) أى عن متالكتم هذه (لترجكنكم) أى لنقتلكم قال قتادة
 بالحجارة وقيل لنشتكنكم وقيل لنقتلكم شر قتله (وليسكنكم منا) أى لامن غيرنا (عذاب أليم)
 كأنهم قالوا لا تنكفى برجلكم بحجر وحجرين بل نديم ذلك عليكم الى الموت وهو العذاب الأليم
 أو يكون المراد وليسكنكم بسبب الرجم مناعذاب أليم أى مؤلم وان قلنا الرجم الشتم فكأنهم
 قالوا ولا يكفيننا الشتم بل شتم يؤدى الى الضرب والايلام الحسى واذا فسرنا أليم بمعنى مؤلم
 ففعل يعنى منعقل قليل ويحتمل أن يقال هو من باب قوله تعالى عيشة راضية أى ذات رضا
 أى عذاب ذوالم فيكون فعلا بمعنى فاعل وهو كثير ثم أجابهم المرسلون بأن (قالوا طائركم)
 أى شؤمكم الذى أحل بكم البلاء (معكم) وهو أعمالكم القبيحة التى منها تكذبكم وكفركم
 فأصابكم الشؤم من قبلكم وقال ابن عباس والفضائل خطكم من الخير والنشر والهزيمة
 في قوله تعالى (أتئن ذكركم) أى وعظمت وخوفتم هزيمة استفهام وجواب الشرط محذوف
 أى تطيرتم وكفرتم فهو محمل الاستفهام والمراد به التوبيخ وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وبسبيل
 الثانية وأدخل قالون وأبو عمرو بينهما ألفا ورش وابن كثير بغير ادخال والباقون بتحقيقهما
 مع عدم الادخال * ولما كان ذلك لا يوضح أن يكون سببا للتطير بوجه أضربوا عنه بقولهم
 (بل) أى ليس الامر كما زعمتم فى أن التذكير بسبب التطير بل (أنتم قوم) أى غزكم ما آتاكم الله
 من القوة على القيام فيما تريدون (مسرفون) أى عادتكم الخروج عن الحدود والطغيان

فوقبم لذات * ولما كان السباق لان الامر بيد الله تعالى فلا هادى لمن يضل ولا مضل لمن
هدى فهو يهدى البعيد في البقعة والنسب اذا اراد ويضل القريب فيها اذا اراد وكان بعدد
الدار ملزوما في الغالب بعد النسب قدم مكان المجى على فاعله بيانا لان الدعاء نفع الاقصى ولم
يقع الاذى فقال تعالى (وجا من أقصى) أى بعد بخلاف ما مر في القصص ولا أجل هذا
الغرض عدل عن التعبير بالقربة وقال (المدينة) لانهم اؤدل على الكبر المستلزم بعدد
الاطراف وجمع الاخلاط ولما بين الفاعل بقوله تعالى (رجل) بين اختتامه بالتهى عن
المنكر ومسايقته الى ازالته كما هو الواجب بقوله تعالى (يسعى) أى يسرع في مشيه فوق
المنى ودون العدو وحرصا على نصيحة قومه * (تنبيه) * في تنكير الرجل مع أنه كان معلوما
معروفا عند الله تعالى فيه فاندتان الاولى أن يكون تعظيما لشأنه أى رجل كامل في الرجولية
الثانية أن يكون مفيدا للظهور من جانب المرسلين أمر رجل من الرجال لا معرفة لهم به فلا يقال
انهم تواطؤوا والرجل هو حبيب التجار كان يهت الاضنام وقال السدى كان قصارا وقال وهب
كان يعمل الحرير وكان سقيما قد أسرع فيه الجذام وكان منزله عند أقصى باب في المدينة وكان
مؤمنا وآمن بحمد صلى الله عليه وسلم قبل وجوده حين صار من العلماء بكتاب الله تعالى ورأى
فيه نعت محمد صلى الله عليه وسلم وبعثته وقوله يسعى تبصير للمسلمين وهدايتهم ليلذوا جهدهم
في النصيح ولما تشوقت النفس الى الداعى الى اتيانه بينه بقوله تعالى (قال) واستعطفهم
بقوله تعالى (يا قوم) وأمرهم بمجاهدة النفوس بقوله (اتبعوا المرسلين) أى في عبادة الله تعالى
وحده فجمع بين اظهار دينه واظهار النصيحة فتدوله اتبعوا نصيحة وقوله المرسلين اظهار ايمانه
وقدم اظهار النصيحة على اظهار الايمان لانه كان ساعيا في النصيحة وأما الايمان فكان قد آمن
من قبل وقوله يسعى يدل على ارادته النصيح (فان قيل) ما الفرق بين مؤمن آل فرعون حيث قال
اتبعوني أهدكم وهذا قال اتبعوا المرسلين (أجيب) بأن هذا الرجل جاءهم وفي أول مجيئه نصيحهم
ولم يعلموا سيرته فقال اتبعوا هؤلاء الذين أظهروا لكم الدليل وأوضحوا لكم السبيل وأما مؤمن
آل فرعون فكان فيهم ونصحهم مرارا فقال اتبعوني في الايمان بموسى وهرون عليهما السلام
واعلموا أنه لو لم يكن خيرا لما اخترته لنفسى وأنتم تعلمون أنى اخترته ولم يكن الرجل الذى جاء من
أقصى المدينة يعلمون اتباعه لهم * ولما قال لهم اتبعوا المرسلين كانوا منعوا كونهم مرسلين
فتزل درجة وقال (اتبعوا من لايسا لكم أجرا) أى أجرة لان الخلق في الدنيا لا يكون طريق
الاستقامة والطريق اذا كان فيه دليل وجب اتباعه وعدم الاستماع من الدليل لا يحسن الا
عند أحد أمرين اما لطلب الدليل الاجرة واما لعدم الاعتماد على اهتدائه ومعرفة الطريق
لكن هؤلاء لا يطلبون أجرة (وهم مهتدون) عالمون بالطريق المستقيم الموصلة الى الحق
فهو أنهم ليسوا بمرسلين أليسوا بهتدين فاتبعوهم وقوله تعالى (وما لى لأعبد الذى فطرني)
أصله وما لكم لاتعبدون ولكنه صرف الكلام عنه ليكون الكلام أسرع قبول لاحت أراد
لهم ما أراد لنفسه والمراد تشريعهم على تركهم عبادة خالقهم الى عبادة غيره ولذلك قال (والله

ترجعون) دون واليه أرجع مبالغة في التهديد وفي العدول عن مخاصمة القوم الى حال نفسه مبالغة في الحكمة وهي أنه لو قال مالكم لاتعدون الذي فطركم لم يكن في البيان مثل قوله مالى لانه لما قال مالى فأخذ لا يخفى عليه حال نفسه علم كل واحد أنه لا يطلب العادة وييانم من أحد لانه أعلم بحال نفسه وقوله الذي فطرني أشار به الى وجود المقتضى فان قوله مالى اشارة الى عدم المانع وعند عدم المانع لا يوجد الفعل مالم يوجد المقتضى فقوله الذي فطرني دليل المقتضى فان الخالق ابتداء مالك والمالك يجب على المملوك اكرامه وتعظيمه ومنهم بالايان والمنعم يجب على المنعم عليه شكره ونعمته وقدم بيان عدم المانع على بيان وجود المقتضى مع أن المستحسن تقديم المقتضى لأن المقتضى لظهوره كان مستغنيا عن البيان فلا أقل من تقديم ما هو أولى بالبيان للعاجة اليه واختار من الآيات فطرة نفسه لأن خالق عمر ويجب على زيد عبادته لأن من خلق عمر لا يكون الا كمال القدرة واجب الوجود فهو مستحق للعبادة بالنسبة الى كل مكلف لكن العبادة على زيد بخلق زيد أظهر ايجاباً * (تنبيه) * أضاف الفطرة الى نفسه والرجوع اليهم لأن الفطرة أثر النعمة فكانت عليه أظهر وفي الرجوع معنى الزجر فكان بهم أليق روى أنه لما قال اتبعوا المرسلين أخذوه ورفعه الى الملك فقال له أفأنت تتبعهم فقال ومالى لأعبد الذي فطرني أى شئ يمنعنى أن أعبد خالقي واليه ترجعون تردون عند البعث فيجزىكم بأعمالكم ومعنى فطرني خلقتى اختراعاً ابتداء وقبل خلقتى على الفطرة كما قال تعالى فطرة الله التي فطر الناس عليها ثم عاد الى السياق الأول فقال (أأنتخذ) وهو استعظامهم معنى الانكار أى لاأنتخذون عني عجلو ربته تعالى بقوله (من دونه) أى سواء مع دنوا المتزلة وبين عجز ما عبده بعدد فقال (آلهة) وفي ذلك لطيفة وهي أنه لما بين أنه يعبد الذي فطره بين أن من دونه لا تجوز عبادته لأن الكل محتاج موقر حادث وقوله أأنتخذ اشارة الى أن غيره ليس باله لأن المتخذ لا يكون الها وقبراً نافع وابن كثير وأبو عمرو وهشام تسهيل الثانية بخلاف عن هشام وادخل فيها الفساق والون وأبو عمرو وهشام وورش وابن كثير فغير ادخال ألف والباقون بتحقيقهما مع عدم الادخال واذا وقف حجرة فله تسهيل الثانية والتعسيق لانه متوسط بزائد وله أيضاً البدلها ألفاً ثم بين عجز تلك الالهة بقوله (ان يردن الرحمن) أى العالم النعمة على كل المخلوقين العابد والمعبود (بضم) أى سوء ومكروه (لأنن عنى شفاعتهم شيئاً) أى لو فرض أنهم شفّعوا ولكن شفاعتهم لا توجد (ولا ينقدون) أى بالنصر والمظاهرة من ذلك المكروه ومن العذاب لو عذبني الله تعالى ان فعلت ذلك (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى هذان يردن الرحمن بصيغة المضارع وقال في الزمر ان أرادني الله بصيغة الماضي وذكر المريد هنا باسم الرحمن وذكر المريد هناك باسم الله (أجيب) بأن الماضي والمستقبل مع الشرط يصير الماضي مستقبلاً لأن المذكور هنا من قبل بصيغة الاستقبال في قوله أأنتخذ وقوله مالى لأعبد والمذكور هناك من قبل بصيغة الماضي في قوله أفأنت تتبع (تنبيه) * ان يردن شرط جوابه لأنن عنى الخ والجمله الشرطية في محل نصب صفة

لاله * (قائدة) * أثبت ورش الباء بعد القون في الوصل دون الوقف والباقون بغيره وقرأوا
 ووصلا (انى اذا) أى ان عبدت غير الله تعالى (لنى ضلال مبين) أى خطا طاهر وقرأ نافع
 وأبو عمرو بفتح الياء وسكنها الباقون وهم على مذاهبهم في المذ * ولما اقام الادلة ولم يبق لاحد
 يخلف عنه علمه صرح بما لوح اليه من ايمانه بقوله (انى آمنتم) أى أوقعت التصديق الذي
 لا تصدق في الحقيقة غيره وفتح الياء نافع وابن كثير وأبو عمرو وسكنها الباقون واختلف في
 الخطاب بقوله (بربكم) على أوجه أحدها أنه خاطب المرسلين قال المفسرون أقبل القوم عليه
 يريدون قتله فأقبل هو على المرسلين وقال انى آمنتم بربكم (فاسمعون) أى اسمعوا قولي
 واشهدوا لى وثانيها هم الكفار لما نذروهم وما نذروهم قال آمنتم بربكم فاسمعون وثالثها بربكم
 أي السامعون فاسمعون على العموم كقول الواعظ يا مسكين ما أكثر أملاك بريدك كل سامع يسمعه
 فلما قال ذلك وثب التوم عليه وثبته رجل واحد فقتلوه وقال ابن مسعود وطئوه بأرجلهم وقال
 السدى كانوا يرونه بالحجارة وهو يقول اللهم اهد قومي حتى قطعوه وقتلوه وقال الحسن
 خرقوا خرقا في حلقه فعلقوه في سور المدينة وقبره بانطاكية مشهور ورزى الله تعالى عنه
 * (تنبيه) * في قوله فاسمعون فوائدها أنه كلام متفكر حيث قال اسمعوا فان المتكلم اذا كان
 يعلم ان الكلام جماعه سامعين يتفكرون ومنها ان ينبه القوم ويقول انى أخبرتمكم بما فعلت حتى
 لا تقولوا لم أخفيت عنا أمرنا ولو أنظرت له لا تمناعك (فان قيل) انه قال من قبل ومالى لأعبد
 الذى فطرنى وقال ههنا آمنتم بربكم ولم يقل آمنتم بربى (أجيب) بانان قلنا الخطاب مع الرسل
 فالامر ظاهر لانه لما قال آمنتم بربكم ظهر عند الرسل أنه قبل قولهم وآمن بالرب الذى دعوه اليه
 وقال بربكم وان قلنا الخطاب مع الكفار ففيه بيان التوحيد لانه لما قال أعبد الذى فطرنى
 ثم قال آمنتم بربكم فهم أنه يقول ربى بربكم واحد وهو الذى فطرنى وهو بعينه ربكم بخلاف
 ما لو قال آمنتم بربى فيقول الكافر وأنا أيضا آمنتم بربى * (قائدة) * أخبر النبي صلى الله عليه وسلم
 أن مثل صاحب يس هذا فى هذه الامه عروة بن مسعود الثقفى حيث نادى قومه بالاسلام ونادى
 على عليه بالاذان فرموه بالسهام فقتلوه * ثم انه سبحانه وتعالى بين حال هذا الذى قال آمنتم
 بربكم بعد ذلك بقوله تعالى ايجازا فى البيات لاهل الايمان (قيل) أى قيل له بعد قتلهم ايام فبما
 لهم فعول لان المقصود المقول لا قائله والمقول له معلوم (ادخل الجنة) لانه شهيد وان شهداء
 يسرحون فى الجنة حيث شاؤوا من حين الموت وقيل لما هموا باقتله رفعه الله تعالى الى الجنة
 وقرأ هشام والكسائى بضم القاف وهو المسمى بالاشمام والباقون بالكسر * ولما أفضى به
 الى الجنة (قال يا ليت قومي يعلمون بما غفر لى ربى) أى بغفران ربى الى الحسن الى فى الآخرة بعد
 احسانه فى الدنيا بالايان فى مدة يسيرة بعد طول عمرى فى الكفر (وجه فى من المكرمين) أى الذين
 أعطاهم الدرجات العلا فنصع لقومه حيا وميتا بقى علمهم بالكرامة ليعلموا مثل عملهم فينالوا
 ماناله * (تنبيه) * فى القصة حث على المبادرة الى مشاركة الاشرار واتباع الاخيار والحلم عن
 أهل الجهل وكظم الغيظ والتلطف فى خلاص الطالم من ظلمه وأنه لا يدخل أحد الجنة الا برحمة

لله وان كان محسنا وهذا كما وقع للانصار رضى الله تعالى عنهم في المبادرة الى الايمان مع بعد الدار والذنب وفي قول من استشهد منهم في بئر عونة كما رواه البخاري في المغازي عن أنس بلغوا قومنا أن القينار بنا فرضى عنا وأرضاوا في غزوة أحد كما في السيرة وغيرهما ما وجدوا طيب مشربهم ومأكلهم وحسن مقيالهم ياليت اخواننا يعلمون ما صنع الله تعالى بنا الملائكة في الجهاد ولا ينكوا عن الحرب فقال الله تبارك وتعالى فانا بلغهم عنكم فأنزل الله تعالى على رسوله صلى الله عليه وسلم ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتا الآية في سورة آل عمران وفي التمثيل هذه القصة اشارة الى أن في قرين من حتم بموته على الكفر ولم ينقص ما قضى له من الاجل قاله سبحانه يؤيده هذا الدين بغيرهم لم تظهر قدرته وحكمته (وما أنزلنا) بملائنا من العظيمة (على قومه) أي حبيب (من بعده) أي من بعده اهلاكه أو رفعه (من جند من السماء) لاهلاكهم كما أرسلنا يوم بدر والخندق بل كفيبا أمرهم بصيحة لك وفيه استحقاق باهلاكهم وإيمان بتعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم والالكان تحريك ريشة من جناح ملك كافي في استئصالهم (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى من بعده وهو تعالى لم ينزل عليهم من قبله (أجيب) بأن استحقاق العذاب كان بعده حيث أصر واواستكبر واقبل حال الاهلاك بقوله تعالى (وما كنا منان) أي ما كان ذلك من سقمنا وما صنع في حكمنا أن يكون عذاب الاستئصال بجند كثير (ان) أي ما (كانت) أي الواقعة التي عذبوا بها (الاصححة) صاحبها جبريل عليه السلام فبانواع آخرهم وأكدمها وحقق وحدتهم بقوله تعالى (واحدة) أي لحقارة أمرهم عندنا ثم زاد في تحقيرهم ببيان الاسراع في الاهلاك بقوله تعالى (فأذا هم خامدون) أي ثابت لهم المجرم ما كانوا هم حركة يوم ما من الدهر شبهوا بالنار رمز الى أن الحى كالنار الساطعة واميت كرمادها كما قال لبيد

وما المرء الا كالشهاب وضوئه * بصير رماذ بعد اذ هو ساطع

وقال المعري

وكالنار الحماة في رماذ * أو آخرها أو أولها دخن

قال المفسرون أخذ جبريل عليه السلام بعضا في باب المدينة ثم صاح بهم صيحة واحدة فماتوا (يا حسرة على العباد) أي هؤلاء ونحوهم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهي شدة التلم ونذاؤها مجاز أي هذا أولئك فاحضري ثم بين تعالى سبب الحسرة والندامة بقوله تعالى (مبائتهم من رسول) أي رسول كان في أي وقت كان (الا كانوا) أي بذلك الرسول (يستزؤون) والمستزئ بالناسحين المخلصين أحق أن يتحسروا ويتحسروا عليه وقيل يقول الله تعالى يوم القيامة يا حسرة على العباد حين لم يؤمنوا بالرسول * ولما بين تعالى حال الأولين قال للعاشرين (ألم يروا) أي أهل مكة القائلين للنبي صلى الله عليه وسلم لمست مرسلوا والاستفهام للتقرير أي علموا وقوله تعالى (كم) خبرية بمعنى كثيرا وهو مفعول لاهلكا تقديره كثيرا من القرون أهلكوا وهي معمول لها بعدها معلقة لبراعن العمل ذهابا بالخبرية مذهب الاستفهامية والمعنى أما

(أهلكنا قبلهم) كثيرا (من القرون) أى الامم قال البغوى والقرن أهل كل عصر
 سمو بذلك لاقتراهم في الوجود (انهم) أى المهلكين (اليهم) أى الى أهل مكة (لا يرجعون)
 أى لا يعودون الى الدنيا أفلا يعترفون * وقيل لا يرجعون أى الباقون لا يرجعون الى المهلكين
 بسبب ولا ولادة أى أهلكناهم وقطعنا نسلهم ولا شك أن الاهلاك الذى يكون مع قطع النسل
 اتم وأعم قال ابن عادل والاقول أشهر نقلا والناسى أظهر عقلا وقوله تعالى (وان) نافية
 أو مخففة وقوله تعالى (كل) أى كل الخلائق مبتدأ وقرأ (لما) ابن عامر وعاصم وحجة
 بتشديد الميم معنى الا والباقيون بالتخفيف واللام فارقة وما من بدو وقوله تعالى (جميع) أى
 مجموعون خبر أول (لدينا) أى عندنا فى الموقف بعد بعثهم وقوله تعالى (محضرون) أى
 للحساب خبر ثان وما أحسن قول القائل

ولو انا اذ امتنا تركنا * لكان الموت راحة كل شئ

وانكا اذ امتنا بهتنا * ونسئل بعدها عن كل شئ

ولما قال تعالى وان كل لما جميع كان ذلك اشارة الى الحشر فذ كرم ايد على امكانه قطع الانكارهم
 واستبعادهم فقال تعالى (وآية) أى علامة عظيمة (لهم) أى على قدر تعالى البعث واجباذناه
 (الارض) أى هذا الجنس الذى هم منه ثم وصفها بما حقق وجه الشبه بقوله تعالى (الميتة)
 التى لا روح لها لانه لا نبات بها اعم من أن يكون بها نبات وفنى أو لم يكن بها شئ أصلا * ثم استأنف
 بيان كونها آية بقوله تعالى (أحييناها) أى باختراع النبات فيها وبإعادته بسبب المطر كما كان
 بعد اضمحلاله (فان قيل) الارض آية مطلقا فلم خصها بهم حيث قال تعالى وآية لهم (أجيب) بأن
 الآية تعدد وتسرد لم يعرف الشئ بأبلغ الوجوه وأما من عرف الشئ بطريق الرؤية فلا يذكر
 له دليل فالنبي صلى الله عليه وسلم وعباد الله المخلصين عرفوا الله تعالى قبل الارض والسماء
 فليست الارض معرفة لهم * (تنبيه) * آية خبر مقدم ولهم صفتها وآية متعلقة بآية لانها علامة
 والارض مبتدأ وأعرب أبو البقاء آية مبتدأ ولهم الخبر والارض الميتة مبتدأ وصفة
 وأحييناها خبره فالجملة منسرة لآية وبهذا بدأ ثم قال وقيل فذ كرم الوجه الاول * ولما كان
 اخراج الاقوات نعمة أخرى قال (وأخرجنا منها حبا) أى جنس الحب كالحنطة والشعير
 والارز * ثم بين عموم نفعه بقوله (فنه) أى بسبب هذا الاخراج (يا كلون) أى من ذلك الحب
 فهو حبة حقيقة تعلمون ذلك علم اليقين وعين اليقين وحق اليقين لا تقدر ان تدعون أن ذلك
 خيال محض بوجه من الوجوه وفى هذه الآية وأما الهاحت عظيم على تدبر القرآن واستخراج
 ما فيه من المعانى الدالة على جلال الله تعالى وكماله وقد أنشدنا الاسماء القشيرية فى تفسيره
 وعيب على من أهمل ذلك

يامن تصدق فى دست الامامة فى * مسائل الفقه املاء وتدرسا

غفلت عن حجج التوحيد فتحكمها * شيدت فرعا وما مهدت تأسيسا

* ولما ذكر الزرع وهو مال اساق له أتبعه بذ كرماله اساق بقوله (وجعلنا) أى بما لنا من العظمة

(فيها) أي الارض (جنات) أي سائين (من نخيل وأعناب) ذكر هذين النوعين لكثرة
نفعهما وقدم النخل لانه تنفع كله خشبه وسعفه وليفه وخوصه وعراجينه وغره طلعها وبسرا
ورطبها وترافيه زينة دائمة لكونه لا يسقط ورقه * ولما كانت الجنات لا تصلح الا بالماء قال
تعالى (وبقرنا) أي فتحناسيها عظيما (فيها) أي الارض (من العيون) شيئا خذف
الموصوف وأقيمت الصفة مقامه أوالعيون ومن مزينة عند الاخفش قال البقاعي والتعريف
هنا يدل على أن الارض مركبة على الماء فكل موضع منها صالح لأن يتفجر منه الماء ولكن الله
تعالى يمنعه من بعض المواضع بخلاف الاشجار ليس فيها شيء غالب على الارض ففي ذلك تذكرة
بالنعمة في حبس الماء عن بعض الارض ليكون موضعا للسكن ولولاء الفجر الارض كلها عيوننا
كما فعل بقوم نوح فأغرق أهل الارض كلهم وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص برفع العين
والباقون بالكسر * ولما كان حياة كل شيء انما هي بالماء أشار الى ذلك بقوله تعالى (لأنكوا
من غره) أي غرما ذكر وهو الجنات وقيل الضمير يعود على الاعناب لانها أقرب مذكور وكان
من حق الضمير أن ينشأ لتقديم شيئين وهما الاعناب والنخل لأنه اكتفى بذكر أحدهما وقيل
الضمير لله على طريق الانفاتح عن التكلم الى الغيبة وقرأ حجة والكسائي برفع الناء والميم وهي
لغة فيه أوجع غاروا الباقيون بفتحهما وقوله تعالى (وما علمته أيديهم) عطف على الثمر والمراد
ما يتخذ منه كالعصير والديس مما موصولة أي ومن الذي علمته أيديهم وبؤيد هذا قراءة حجة
والكسائي وشعبة بخذف الهاء من علمته وما نافية على قراءة الباقيين بانياتها أي وجدوها
معمولة ولم تعملها أيديهم ولا صنع لهم فيها وقيل أراد العيون والأنهار التي لم تعملها يد مخلوق
مثل دجلة والفرات والنيل ثم لما عدد النعم أشار الى الشكر بقوله تعالى (أفلا يشكرون) أي
أشكروا فهو أمر بصيغة الاستعظام أي ادأبوا دائما في اتباع الشكر والدوام على تجديده في
كل حين بسبب هذه النعم * ولما أمرهم الله تعالى بالشكر وشكر الله تعالى بالعبادة وهم تركوها
وعبدوا غيره واشتروا قال تعالى (سبحان الذي خلق الأزواج) أي الاصناف والانواع
(كلها) أي وغيره لم يخلق شيئا ثم بين ذلك بقوله تعالى (مما تبت الارض) دخل فيه بدل
نجم ونخس ومعدن وغيره من كل ما يتولد منها (ومن أنفسهم) من الذكور والاناث وقوله
تعالى (ومما لا يعلمون) يدخل فيه ما في أقطار السموات وتقوم الارضين من المخلوقات
العجيبة الغريبة * ولما استدل تعالى بأحوال الارض وهو المكان الكلي استدل بالليل
والنهار وهو الزمان الكلي بقوله تعالى (وآية لهم الليل) أي على إعادة الشيء بعد فناءه (نسلخ)
أي نقض (منه النهار) فان دلالة الزمان والمكان متناسبة لان المكان لا يستغنى عنه الجواهر
والزمان لا يستغنى عنه الاعراض لان كل عرض فهو في زمان * (نتبسه) نسلخ استعاره
تعبية مصرحة تشبه انكشاف ظلمة الليل بكشط الجلد من الشاة والجامع ما يعقل من ترتب
أحدهما على الآخر (فأذا هم) أي بعد ازالة ما للنهار الذي سلخناه من الليل (مظلمون) أي
داخلون في الظلام بظهور الليل الذي كان الضياء ساترا له كما يستتر الجلد الشاة قال الماوردي

وذلك ان ضوء النهار قد ادخل في الهواء فيضيء فاذا خرج منه اظلم فقله ابن الجوزي عنه وقد
 ارشد السماع حتم الى أن التقدير والنهار نسلخ منه الليل الذي كان سائرهم وغالب عليه فاذا هم
 مبصرون * ولما ذكر الوقتين ذكر آيتيهما مبتدأ بآية النهار بقوله تعالى (والشمس) أي التي سلخ
 النهار من الليل بغيوبتها (تجري لمستقر لها) أي الحدم عين ينتهي اليه دورها لا تتجاوز
 فشيء بمستقر المسافر اذا قطع سبيله وقيل مستقرها بانتهاء سيرها عند انقضاء الدنيا وقيام
 الساعة وقيل انها تسير حتى تنتهي الى ابعاد مغاربها ثم ترجع فذلك مستقرها لا تتجاوز
 وقيل مستقرها انها ارتقاها في السماء في الصيف ونهاية هبوطها في الشتاء وقد صرح عن
 النبي صلى الله عليه وسلم انه قال مستقرها تحت العرش وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال لا شيء
 ذو حين غربت الشمس تدرى أين تذهب قلت الله ورسوله أعلم قال فانما تذهب حتى تسجد تحت
 العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك ان تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها يقال لها
 ارجعي من حيث جئت فتطلع من مغربها فذلك قوله تعالى والشمس تجري لمستقر لها * ولما
 كان هذا الجري على نظام لا يختل على ممر السنين وتعاقب الاحقاب عظمه بقوله تعالى (ذلك)
 أي الامر الباهر لقول وزاد في عظمه بصيغة التفعيل بقوله تعالى (تقدير العزيز) أي الذي
 لا يقدر احد في شيء من أمره على نوع مغالبة وهو غالب على كل شيء (العليم) أي المحيط
 علما بكل شيء الذي يدبر الامر فيطرد على نظام عجيب ونهج بديع لا يعتره وهن ولا يلحقه
 يوم نوع خلل ويحتمل أن تكون الإشارة الى المستقر أي ذلك المستقر تقدير العزيز العليم
 * ولما ذكر آية النهار أتبعها آية الليل بقوله تعالى (والقمر قدرناه) أي من حيث سيره (منازل)
 ثمانية وعشرين منزلا في ثمانية وعشرين ليلة من كل شهر ويستمر ثلثين ان كان الشهر
 ثلاثين يوما وليلة ان كان الشهر تسعة وعشرين يوما وقد ذكرنا أسامي المنازل في سورة يونس
 عليه السلام فاذا صار القمر في آخر منزله دق فذلك قوله تعالى (حتى عاد) أي بعد أن كان
 بدرا عظيما (كالعرجون) من النخل وهو عود العذق ما بين شماريحه الى منتهاه وهو منتهى من
 النخلة رقيقا مخنيا ثم وصفه بقوله تعالى (القدسي) فانه اذا عتق ديس وتقوس واصفر فيشبه
 القمر في رفته وصفرة في رأي العين في آخر المنازل قال القشيري ان القمر يبعد عن الشمس ولا
 يزال يتباعد حتى يعود بدرا ثم يدنو فكما ازداد من الشمس دنوا ازداد في نفسه نقصا نال أن
 يتلاشى وقرأنا نافع وابن كثير وأبو عمرو والقمر يرفع الرأء والباقون بالنصب والرفع على الابتداء
 والنصب باختما رفل على الاشتغال والوجهان مستويان لتقدم جملة ذات وجهين وهي قوله
 تعالى والشمس تجري فان راعيت صدرها رفعت لتعطف جملة اسمية على مثلها وان راعيت
 عجزها نصبت لتعطف فعلية على مثلها * ولما قرأ أن لكل منها ما منازل لا يعودوها فلا يغلب
 ما هو آتية الآية الاخرى اذا جاء سلطان هذا اذهب سلطان ذلك واذا جاء ذلك اذهب هذا قال
 تعالى (لا الشمس) التي هي آية النهار (ينبغي) أي يسهل (لها) أي مادام هذا الكون موجودا
 على هذا الترتيب (أن تدرلك القمر) أي تجتمع معه في الليل فاما النهار سابق الليل (ولا

الليل سابق النهار) أى فلا يأتى أحدهما قبل انقضاء الآخر فالآية من الاحتمال لانه نفي
 أولا ادراك الشمس لقوتها القمر ففيه دليل على ما حذف من الثانى من نفي ادراك الشمس
 للقمر رأى فيعلمها وان كان يوجد فى النهار لكن من غير سلطنة فيه بخلاف الشمس فانها لا تكون
 فى الليل أصلا ونفى ثانيا سبق الليل النهار وفيه دليل على حذف سبق النهار الليل أولا كما قدرته
 (وكل) أى من الشمس والقمر (فى ذلك) محيط به وهو الجسم المستدير أو السطح المستدير
 أو الدائرة لأن أهل اللغة على ان فلكه المغزل بحيث فلكه لاستدارتها وفلكه الخفية هي الخشبة
 المسطحة المستديرة التى توضع على رأس العمود الذى لا يتركز العمود الخفية وهي صفحة مستديرة
 (فان قيل) فعلى هذا تكون السماء مستديرة وقد اتفق أكثر المنسرين على أن السماء مبسوطة
 لها أطراف على جبال وهي كالسقف المستوى ويدل عليه قوله تعالى والسقف المرفوع (أجاب)
 الرازى بأنه ليس فى النصوص ما يدل دلالة قاطعة على كون السماء مبسوطة غيره مستديرة بل
 دل الدليل الحسى على كونها مستديرة فوجب المصير اليه والسقف المقبب لا يخرج عن كونه
 سقفا وكذلك على جبال ومن الأدلة الحسية أن السماء لو كانت مستوية لكان ارتفاع أول
 النهار ووسطه وآخره مستويا وليس كذلك وذكر غير ذلك من الأدلة وفى هذا كفاية * ولما ذكر
 لها فعل العقل من كونها على نظام شتى لا يتحمل وسير مقدرا لا يعوج ولا ينحدر جمعها جميعهم
 بقوله تعالى (يسبحون) وقال المنجمون قوله تعالى يسبحون يدل على انها أحياء لان ذلك لا يطلق
 الا على العاقل قال الرازى ان أرادوا القدر الذى يكون منه التسبيح فنقول به لأن كل شئ
 يسبح بحمده وان أرادوا شيئا آخر فلم يثبت ذلك والاستعمال لا يدل كفى قوله تعالى فى حق
 الاصنام ألا تأملون ما لكم لا تتفقون * ولما ذكر سبحانه وتعالى ما حمله حدودا فى السباحة
 فى وجه الفلك ذكر ما هيأ به من الفلك للسباحة على وجه الماء بقوله تعالى (وآية لهم) أى على
 قدرتنا التامة (أنا) أى على ما لمان العظمة (سجلنا ذريتهم) أى آباءهم الاصول قال البغوى
 واسم الذرية يقع على الآباء كما يقع على الاولاد والالف واللام فى قوله تعالى (فى الفلك)
 لتعرف أى فلك نوح عليه الصلاة والسلام وهو مذكور فى قوله تعالى واصنع الفلك باعيننا
 وهو معلوم عند العرب ثم وصف الفلك بقوله تعالى (المشحون) أى الموقر المملوء حيوانا
 وناسا وهو يقاب فى تلك المياه التى لم ير أحد قط مثلها ولا يرى أيضا ومع ذلك فسلمها الله
 تعالى وأيضا آدمى يرسب فى الماء ويفرق نحوه له فى الفلك وقع بقدرته تعالى لكن من
 الطبيعيين من يقول الخفيف لا يرسب لانه يطلب جهة فوق فقال الفلك المشحون أثقل
 من الثقال التى ترسب ومع هذا حمل الله الانسان فيه مع ثقله وقال أكثر المفسرين ان الذرية
 لا تطلق الا على الولد وعلى هذا فالمراد اما أن يكون الفلك المعين الذى كان لنوح عليه
 الصلاة والسلام واما ان يكون المراد الجنس كقوله تعالى وجعل لكم من الفلك والانعام
 ما تر كبون وقوله تعالى وترى الفلك فيه مواخر وقوله تعالى فاذا ركبوا فى الملك الى غير
 ذلك من استعمال لام التعريف فى الفلك ابيان الجنس فان كان المراد فئمة نوح عليه السلام

ففيه وجوه الاول ان المراد حملنا اولادهم الى يوم القيامة في ذلك الفلك ولولا ذلك ما بقي
 للاب نسل ولا عقب وعلى هذا فقوله تعالى حملنا ذريتهم اشارة الى كمال النعمة أى لم تكن النعمة
 مقصورة عليكم بل متعديّة الى أعقابكم الى يوم القيامة وهذا قول الزمخشري قال ابن عادل
 ويحتمل أن يقال انه تعالى انما خص الذرية بالذكر لان الموجودين كانوا ~~كثرا~~ فصار الافادة
 في وجودهم فقال تعالى حملنا ذريتهم أى لم يكن الحمل جلالهم وانما كان جلالنا في أصلهم من
 المؤمنين كن حمل صندوقا لقيمة وفيه جواهر قيل انه لم يحمل الصندوق وانما حمل ما فيه ثانيا ان
 المراد بالذرية الجنس أى حملنا أجناسهم لان ذلك الحيوان من جنسه ونوعه والذرية تطلق على
 الجنس ولذلك تطلق على النساء انتهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتيل الذراري أى النساء لان
 المرأة وان كانت صنفا غير صنف الرجل لكنهما من جنسه ونوعه يقال ذراري أى أمثالنا ثالثا
 أن الضمير في قوله تعالى وآية لهم الليل للعباد وكذا وآية لهم انما حملنا ذريتهم واذا علم هذا فانه تعالى
 قال وآية للعباد انما حملنا ذرية العباد ولا يلزم أن يكون المراد بالضمير في الموضوعين أشخاصا معينين
 كقوله تعالى ولا تقتلوا أنفسكم ويذيق بعضكم بأس بعض ولذلك اذا تقاتل قوم ومات الكل في
 القتال فقال هؤلاء القوم هم قتلوا أنفسهم فهم في الموضوعين يكون عائدا الى القوم ولا يكون
 المراد أشخاصا معينين بل المراد ان بعضهم قتل بعضهم فكذلك قوله تعالى وآية لهم أى آية لكل
 بعض منهم انما حملنا ذرية كل بعض منهم أو ذرية بعض منهم وان قلنا المراد بجنس الفلك قال ابن
 عادل وهو الاظهر لان سفينة نوح عليه السلام لم تكن بمحضرتهم ولم يعلموا من حمل فيها فأما
 جنس الفلك فانه ظاهر لكل أحد وقوله تعالى في سفينة نوح عليه السلام وجعلناها آية للعالمين
 أى بوجود جنسها ومثلها ويؤيده قوله تعالى ألم تر ان الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليرىكم من
 آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى وآية لهم الارض
 الميبة وآية لهم الليل ولم يقل وآية لهم الفلك (أجيب) بأن حملهم في الفلك هو العجب أما نفس
 الفلك فليس بعجيب لانه كبيت مبيت من خشب وأما نفس الارض فعجيب ونفس الليل فعجيب
 لا ذرة لاحد عليهم ما الا الله (فان قيل) قال تعالى وحملناكم في البر والبحر ولم يقل ذريتهم مع
 أن المقصود في الموضوعين بيان النعمة لا دفع النعمة (أجيب) بأنه تعالى لما قال في البر والبحر
 انما خلق جميعا الا من أحد الاوجل في البر والبحر وأما الحمل في البحر فلم يرم فقال ان كما حملناكم
 بانفسكم فقد حملنا من يمسكم أمراء من الاولاد والا قارب والاخوان والاصدقاء وقرأ
 نافع وابن عامر بألف بعد الباء التحية وكسر القوافية على الجمع والباقيون بغير ألف وفتح
 القوافية على الافراد واختلف في تفسير قوله تعالى (وخلقناهم من مثله) أى من مثل
 الفلك (مايركبون) فقال ابن عباس يعنى الابل فالابل في البر كالسفن في البحر وقيل أراد به
 السفن التي عمت بعد سفينة نوح عليه السلام على هيأتها وقال قتادة والفضائل وغيرهما
 أراد به السفن الصغار التي تجري في الانهار كالفلك الكفار في البحار (وان نشأ) أى لا جمل
 ما لنا من القوة الشاملة والقدرة التامة (نغرقهم) أى مع أن هذا الماء الذي يركبونه ليس

كالماء الذي جلت فيه آباءهم (فلا صريح لهم) أى مغيب لهم لينجيهم مما تريد بهم من العرق أو فلا
 اغاثه كقولهم أنا هم الصريح (ولاهم) أى بانفسهم من غير صريح (يتقذون) أى يكون
 لهم انقاذ أى خلاص لانفسهم أو غيرها (الارحة) أى فحين تنقذهم ان شئنا رحمة (منا) أى
 لهم لا وجوب علينا ولا لمنفعة تعود منهم إلينا (ومتاعا) أى وقتية عنا إياهم بل ذاتهم (الى حين) أى
 الى انقضاء آجالهم (واذا قيل لهم) أى من أى قائل كان (اتقوا ما بين أيديكم) أى من عذاب
 الدنيا كغيركم (وما خلفكم) من عذاب الآخرة (لعلكم ترجون) تعاملون معاملة المرحوم
 بالأكرام وقال ابن عباس رضى الله عنه ما بين أيديكم يعنى الآخرة فاعملوا لها وما خلفكم
 يعنى الدنيا فاحذروها ولا تغتروا بها وقال قتادة ومقاتل ما بين أيديكم وقائع الله فحين كان
 قبلكم من الأمم وما خلفكم عذاب الآخرة (تنبيهان) أحدهما الارحة منصوب على المفعول له
 وهذا مستثنى مفرغ وقيل مستثنى منقطع وقيل على المصدر بفعل مقدر وقيل على اسقاط
 الخافض أى الارحة والغناء فى قوله تعالى فلا صريح لهم رابطة لهذه الجملة بما قبلها فالضمير
 فى لهم عائده على المغرقين ثانياً مجابوا اذا محذوف تقديره أعرضوا يدل عليه قوله تعالى بعده
 الا كانوا عنها معرضين وعلى هذا فلفظ كانوا زائد (وما تأتيهم من آية من آيات ربهم) أى
 المحسن اليهم (الا كانوا) أى مع كونه من عند من غفرهم احسانه وعظمته فنهله وامتنانه
 (عنها معرضين) أى دائماً اعراضهم (واذا قيل لهم) أى من أى قائل كان (انفقوا) أى على
 من لا شئ له شكر الله على ما أعطاكم قال صلى الله عليه وسلم هل ترزقون وتنصرون الا بضعفائكم
 انما يرحم الله تعالى من عباده الرحاء وبين تعالى أنهم يضلون بما لا صنع لهم فيه بقوله تعالى
 (محذوفكم الله) أى مما أعطاكم الله الذى له جميع صفات الكمال (قال الذين كفروا) أى
 سترتوا وغطوا ماد لهم عليه أنوار عقولهم من الخبرات (للذين آمنوا) أى استزاء بهم (أنظمت
 من لو يشاء الله) أى الذى له جميع العظمة كما زعمتم فى كل وقت يريد (أطعمهم) وذلك
 أن المؤمنين قالوا الكفار مكة أنفقوا على المساكين مما زعمتم من أموالكم أنه لله سبحانه
 وتعالى وهو ما جع له الله من حروهم وأموالهم قالوا أنظمت من لو يشاء الله أطعمه لكننا نظره
 لا يشاء ذلك فانه لم يطعمهم مما نرى من فقرهم فحين أيضاً لا نشاء ذلك موافقة لما راد الله تعالى فيه
 فتركو والتأذب مع الامر وأظهروا التأذب مع بعض ارادة الله المنهى عن الجرى معها
 والاستسلام لها وهذا مما يتك به الجلاء يقولون لانعطى من حرمة الله تعالى وهذا الذى
 يزعمونه باطل لان الله تعالى أغنى بعض الخلق وأقر بعضهم ابتلاء فنع الدينا عن الفقير لا بخلا
 وأمر الغنى بالانفاق لاحاجة الى ماله ولكن ليلو الغنى بالفقير فيما فرض له فى مال الغنى فلا
 اعتراض لاحد فى مشيئة الله وحكمه فى خلقه وما كفاهم حتى قالوا لمن أرشدهم الى الخير
 (ان) أى ما (أنتم الا فى ضلال) أى محيط بكم (مبين) أى فى غاية الظهور ومادروا
 ان الضلال انما هو لهم (فان قيل) قولهم من لو يشاء الله أطعمه كلام حق فلماذا ذكر فى معرض
 الذم (أجيب) بأن مرادهم كان الانكار لقدرة الله تعالى وأوله مد جوار الامر بالانفاق

مع قدرة الله تعالى وكلاهما فاسد في ذلك تعالى بقوله سبحانه عمار رزقكم الله فانه يدل على قدرته ويصح أمره بالاعطاء لان من كان له مع الغير مال وله في خزانته مال مخبر ان أراد اعطى مما في خزانته وان أراد أمر من عنده المال بالاعطاء ولا يجوز أن يقول من في يده ماله في خزانته أكثر مما في يدي أعطه منه (فان قيل) ما الحكمة في تغيير اللفظ في جوابهم حيث لم يقولوا أنفق على من لو يشاء الله رزقه لانهم أمروا بالانفاق فكان جوابهم ان يقولوا أنفق فلم قالوا أنطعم (أجيب) بأن هذا بيان غاية مخالفتهم لانهم أمروا بالانفاق والانفاق يدخل فيه الاطعام وغيره فلم يأتوا بالانفاق ولا بأقل منه وهو الاطعام وهذا كقول القائل لغيره اعط زيدا ديناراً فيقول لأعطيه درهماً مع أن المطابق هو أن يقول لأعطيه ديناراً ولكن المبالغة في هذا الوجه اتم فكذلك هنا * (تنبيه) * انما وصفوا المؤمنين بأنهم في ضلال مبين لظنهم أن كلام المؤمنين متناقض ومن تناقض كلامه يكون في غاية الضلال قال الرازي ووجه ذلك أنهم قالوا أنطعم من لو يشاء الله أطعمه وهذا الاشارة الى أن الله تعالى ان شاء أن يطعمهم فهو يطعمهم فكان الامر باطعامهم أمر بتحصيل الحاصل وان لم يشأ اطعامهم لا يقدر أحد على اطعامهم لامتناع وقوع ما لم يشأ الله فلا قدرة لنا على الاطعام فكيف تأمر وتناهيه ووجه آخر وهو أنهم قالوا ان أراد الله تجويعهم فلو اطعمناهم يكون ذلك سعيافى ابطال فعل الله تعالى وانه لا يجوز وأنتم تقولون اطعموهم فهو ضلال واعلم انه لم يكن في الضلال الا اهم حيث نظروا الى المراد ولم ينظروا الى الطلب والامر وذلك لان العبد اذا أمره السيد بأمر لا ينبغي الاطلاع على المقصود الذي لاجله أمر به مثله اذا أراد الملك الركوب للهجوم على عدوه بحيث لا يطلع عليه أحد وقال للعبد أحضر المركوب فلو تطلع واستكشف المقصود الذي لاجله الركوب لتسبب الى ان يريد أن يطعم عدوه على الحد ومنه وكشف سره فالادب في الطاعة هو امتثال الامر لا تتبع المراد قاله سبحانه اذا قال أنفقوا عمار رزقكم الله لا يجوز أن يقال لم يطعمهم الله مما في خزانته وقد تقدم ماله به انعلق (ويقولون) أي عادة مستمرة مضمومة الى ما تقدم (متى هذا) وزادوا في الاستهزاء بتسميته وعدا فقالوا (الوعد) أي البعث الذي تهدد وتناهيه تارة تلويحاً وتارة تصریحاً معلوه لانا (ان كنتم صادقين) فيه قال الله تعالى (ما ينظرون) أي ينظرون (الاصححة) وبين حقارة شأنهم وغمام قدرته بقوله عز وجل (واحدة) وهي نغمة اسرافيل عليه السلام الاولى الممسية (تأخذهم) وقوله تعالى (وهم يحضمون) قرأه حمزة بسكون الخاء وتحفيف الصاد من خصم يخصم والمعنى يخصم بعضهم بعضاً فالفعول محذوف وأبو عمر ووقالون باخفاء فحة الخاء وتشديد الصاد ونافع وابن كثير وهشام كذلك إلا أنهم باختلاس فحة الخاء والباقون بسكون الخاء وتشديد الصاد والاصل في القراءات الثلاث يخصمون فأدغمت التاء في الصاد فنافع وابن كثير وهشام نقلوا فتحته الى الساكن قبلها نقلها كملوا وأبو عمر ووقالون اختلسا حركتها تنبيهاً على أن الخاء أصلها السكون والباقون حذفوا حركتها فالتقى ساكنان لذلك فكسروا أولهما فهذه أربع قراءات * ولما كانت هذه

هي النفخة المميتة تسبب عنها قوله تعالى (فلا يستطيعون توصية) أي يوجدون الوصية
 في شيء من الأشياء (ولأهلهم) أي فضلا عن غيرهم (يرجعون) أي فيروا حالهم بل يموت كل
 واحد في مكانه حيث تنفخ الصيحة وربما أفهم التعبير بالي أنهم يريدون الرجوع فيخطون
 خطوة أو نحوها وفي الحديث انقوس الساعة وقد نشر الرجلان ثوبهم ما بينهما فلا يطيعانه
 ولا يطويانه ولتقوم الساعة وقد رفع الرجل أكله إلى فيه فلا يطيعهما * ولما دل ذلك
 على الموت قطعا عقبه بالبعث بقوله تعالى (ونفخ في الصور) أي القرن النفخة الثانية للبعث
 وبين النفختين أربعون سنة * ولما كان هذا النفخ سببا لقيامهم عنده من غير تحلف غير
 تعالى بمليل على التعجب والتسبب والفتنة بقوله تعالى (فإذا هم) أي حين النفخ (من
 الاجداث) أي القصور واحدها حدث المهياة هي ومن فيها السماع ذلك النفخ (فان قيل)
 كيف يكون ذلك الوقت أجدث وقد زلزلات الصيحة الجبال (أجيب) بأن الله تعالى يجمع
 أجزاء كل ميت في الذي قبره فيخرج من ذلك الموضع وهو جده (الريهم) أي إلى الموقف
 الذي أعد لهم من أحسن اليهم بالترية (ينسلون) أي يسرعون المشي مع تقارب الخطا بقوة
 ونشاط فيألهام من قدرة شاملة وحكمة كاملة حيث كان صوت واحد يبعث تارة ويميت أخرى
 (فان قيل) المسمى إذا توجه إلى من أحسن إليه يقدم رجلا ويؤخر أخرى والتملن سرعة
 المشي فكيف يوجد منهم (أجيب) بأنهم ينسلون من غير اختيارهم (فان قيل) قال في آية أخرى
 فإذا هم قيام ينظرون وقال ههنا فإذا هم من الاجداث إلى ربهم ينسلون والقيام غير النسلان
 وقوله تعالى في الموضعين إذا هم يقتضى أن يكونا معا (أجيب) بأن القيام لا يتأني المشي
 السريع لان الماشي قائم ولا يتأني النظر وبان ذلك لسرعة الامور كان الكل في زمان واحد
 كقول القائل * مفتر مكر مقبل مدبر معا * واعلم ان النفختين يورثان تزلزلا وانقلابا بالاجرام
 فعند اجتماع الاجرام ينفرها وهو المارد بالنفخة الاولى وعند تنفر الاجرام يجمعها وهو المارد
 النفخة الثانية * ولما تشوقت النفوس إلى ما يتولون اذا عاينوا ما كانوا ينكرون استأنف
 قوله تعالى (قَالُوا) أي الذين هم من أهل الويل (يا) للتنبيه (ويلنا) أي هلاكنا وهو مصدر لا فعل
 له من لفظه (من بعثنا من مرقدنا) قال أبي بن كعب وابن عباس وقتادة انما يقولون هذا لان الله
 تعالى يرفع عنهم العذاب بين النفختين فيرقدون فاذا بعثوا بعد النفخة الاخيرة وعابوا القيامة
 دعوا بالويل وقال أهل المعاني ان الكفار اذا عاينوا جهنم وأنواع عذابها دعوا بالويل وصار
 عذاب القبر في جنبها كالنوم فعدوا مكانهم الذي كانوا فيه مع ما كانوا فيه من عذاب البرزخ
 مرقداهما بالنسبة إلى ما انكشف لهم من العذاب الا كبر فقالوا من بعثنا من مرقدنا (فان قيل)
 ما وجه تعلق من بعثنا من مرقدنا بقولهم يا ويلنا (أجيب) بأنهم لما بعثوا تذكروا ما كانوا
 يسمعون من الرسل عليهم الصلاة والسلام فقالوا يا ويلنا أبعثنا الله البعث الموعود به أم كنا ياما
 فنهنا كما اذا كان الانسان موعودا بأن يأتيه عدو ولا يطيعه ثم يرى رجلا هائلا يقبل عليه
 فيرتجف في نفسه ويقول أهذا الذي لم لا ويدل على هذا قولهم من مرقدنا حيث جعلوا القبور

موضع الرقاد إشارة الى أنهم شكوا في أنهم كانوا ما قنّبوا أو كانوا موقّ فبعثوا وكان الغالب على ظنهم هو البعث فجمعوا بين الأمرين وقالوا من مرقدنا إشارة الى متوهمهم احتمال الاتّباء وقولهم (هذا) إشارة الى البعث (ما) أى الذى (وعد) أى به (الرجن) أى العام الرجة الذى رحمته مقتضية ولا بدّ للبعث لنبصف المظلوم من ظالمه ويجازى كلاب عمله من غير حيف وقد رجنا بارسال الرسل عليهم الصلاة والسلام المتناذلك وطالما أنذرنا حول له وحذرنا صغوبته وطوله (وصدق) أى فى أمره (المرسلون) أى الذين ألّونا بوعده الله تعالى ووعدته (تنبيه) * فى اعراب هذا وجهان أظهرهما انه مبتدأ وما بعده خبره ويكون الوقف تاما على قوله تعالى من مرقدنا وهذه الجملة حينئذ فيها وجهان أحدهما أنها مسستأنفة تاما من قول الله تعالى أو من قول الملائكة أو من قول المؤمنين الثانى أنهما من كلام الكفار فتكون فى محل نصب بالقول الثانى من الوجهين الاولين هذا صفة لمرقدنا وما وعد منقطع عما قبله ثم فى وجهان أحدهما أنها فى محل رفع بالابتداء والخبر مقرر أى الذى وعده الرحمن وصدق المرسلون فيه حق عليكم واليه ذهب الزجاج والزمخشري والثانى انه خبر مبتدأ مضمر أى فى هذا الذى وعده الرحمن (أن) أى ما (كانت) أى النسخة التى وقع الاحياء بها (الاصححة واحدة) أى كما كانت صحيحة الامانة واحدة (فأذا هم) أى فجاء من غير توقف أصلا (جميع) أى على حالة الاجتماع لم يتأخروا منهم أحد (لدينا) أى عندنا (محضرون) ثم بين تعالى ما يكون فى ذلك اليوم بقوله تعالى (فاليوم لا تظلم نفس) أى أى نفس كانت مكروهة أو محبوبة (شيأ) أى لا يبقع لها ظلم ما من أحد ما فى شيء (ما ولا تجزون) أى على عمل من الاعمال شيأ من الجزء من أحد (الاما كنتم تعملون) ديدنا لكم بما كنتم فى جلالنا كنتم ثم بين تعالى حال المحسن بقوله تعالى (إن أصحاب الجنة) أى الذين لاحظ للنار فيهم (اليوم) أى يوم البعث وهذا يدل على انه يحجل دخولهم ودخول بعضهم اليها ووقوف الباقيين للشفاعات ونحوها من الكرامات عند دخول أهل النار النار وعبر عما يدل على أنهم بكليتهم مقبلون عليه ومطرقون له مع توجههم اليه بقوله (فى شغل) أى عظيم جدا لا تبلغ وصفه العقول كما كانوا فى الدنيا فى أشغل الشغل بالمجاهدات فى الطاعات وقرأ ابن عامر والكوفيون بضم الغين والباقون بالاسكان ثم بين ذلك الشغل بقوله (فاكهون) أى مثلذوقون فى النعمة واختلف فى هذا الشغل فقال ابن عباس رضى الله تعالى عنهم ما فى اقتضاى الابكار وقال وكيع بن الجراح رضى الله عنهم ما فى السماع وقال الكلبي فى شغل عن أهل النار وما هم فيه لايهمهم أمرهم ولا يدكرونه - وقال ابن كيسان فى زيارة بعضهم بعضا وقيل فى ضيافة الله تعالى فاكهون وقيل فى شغل عن هول اليوم يأخذون ما آتاهم الله تعالى من الثواب فما عندهم خبر من عذاب ولا حساب وقوله تعالى فاكهون مقم لبسان سلامتهم فانه لو قال فى شغل جازأن يقال هم فى شغل أعظم من التذكر فى اليوم وأهواله فان من نصيبه فتنة عظيمة ثم يعرض عليه أمر من أموره أو يخبر بخسران وقع فى ماله يقول أنا مشغول عن هذا بأهم منه فقال فاكهون أى شغلوا عنه باللذة والسرور لا بالويل والنبور وقال ابن عباس رضى الله عنهم فاكهون

فرحون * ولما كانت النفس لا يتم سرورها الا بالترين الملائم قال تعالى (هــم) أى
 بظواهرهم وبواطنهم (وآزواجهم) أى أشكالهم الذين لهم في غاية الملاممة كما كانوا يتركزهم
 في المصاحب على الذما يكون ويصفون أقدامهم في خدمتنا وهم يكونون من خشيتنا وفي هذا
 إشارة الى عدم الوحشة (في ظلال) أى يجدون فيها بردا لا يكاد وغاية المراد فلا تصيبهم الشمس
 كما كانوا يشيرون أكبادهم في دار العمل بحز الصيام والصبر في مرضاتنا على الآلام ويعبرون
 أيديهم وقلوبهم من الاموال يذل الصدقات في سبيلنا على عزم الملائم وكر الايام * (تنبيه) *
 ظلال جمع ظل كشعاب أو ظلة ككتاب ويؤيده قراءة حمزة والكسائي بضم الظاء ولا ألف بين
 اللامين وهم مبتدأ وخبره في ظلال كما قاله أبو البقاء * ولما كان التمتع لا يكمل الا مع العلو
 الممكن من زيادة العلم الموجب لارتباح النفس وبهجة العين بانفساح البصر عند مد
 النظر قال تعالى (على الارائك) أى السرر المزينة العالية التي هي داخل الجبال قال ثعلب
 لا تكون أريكة حتى تكون عليها حجلة وقال ابن جرير الارائك الجبال فيها السرر وروى
 أبو عبيدة في الفضائل عن الحسن قال كالأندري ما الارائك حتى لقينا رجلا من أهل البين
 فأخبرنا أن الأريكة عندهم الحجلة فيها السرر وهذا جزاء لما كانوا يلزمون المساجد ويغضون
 أبصارهم ويضعون نفوسهم لاجلنا (متكئون) كما كانوا يأتون في الاعمال قائمين
 أيدينا في أغلب الاحوال والانتكاه المبل على شق مع الاعتماد على ما يرجح الاعتماد عليه او
 الجلوس مع التمكن على هيئة المتربع وفي هذا إشارة الى الفراغ وقوله تعالى (لهم) أى خاصة
 بهم (فيها فاكهة) أى لا تقطع أبدا ولا مانع لهم من تناولها ولا يتوقف ذلك على غير الارادة
 إشارة الى أن لاجوع هناك لأن التفكه لا يكون لدفع الجوع (ولهم ما يدعون) أى يتمنون
 * (تنبيه) * في ماهذه ثلاثة أوجه موصولة اسمية تنكرة موصوفة والعائد على هذين محذوف
 مصدرية ويتدعون مضارع ادعى افعل من دعا يدعو وأشرب معنى التسخي وقال الزجاج
 هو من الدعاء أى ما يدعونه أهل الجنة يأثمهم من دعوت غلام فيكون الافعال بمعنى الفعل
 كلاحتمال بمعنى الحمل والارتجال بمعنى الرحل وقيل افعل بمعنى تفاعل أى ما يدعونه
 كقولهم ارتعوا ورتماوا بمعنى واحد ثم فسر الذي يدعونه أى يطلبونه بغاية الاشتياق اليه
 واستأنف الاخبار عنه بقوله تعالى (سلام) أى عظيم جدا عليكم يا أهل الجنة والسلام
 يجمع جميع النعم ثمين هذا السلام بما أظهر من عظمه بقوله (قولا من رب) أى دائم الاحسان
 (رحيم) أى عظيم الاكرام بما ترضاه الالهية كما كانوا في الدنيا يفتعلون كل ما فيه الرضا
 فيرجهم في حال السلام وسماع الكلام بلذة الرؤية مع التقوية على الدهش والضعف اعظم
 الامر وبالتأهيل لهذا المقام الاكرم مع قصورهم عنه روى جابر بن عبد الله قال قال رسول
 الله صلى الله عليه وسلم ينادي أهل الجنة في نعيمهم اذ سطع لهم نور فرفعوا رؤسهم فاذا الرب
 عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم فقال السلام عليكم يا أهل الجنة فينظر اليهم وينظرون
 اليه فلا يلتفتون الى شيء من النعيم ماداموا ينظرون اليه حتى يحجب عنهم فيبقى نوره وبركه

عليهم في ديارهم وقيل تسلم عليهم الملائكة من ربهم لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم أي يقولون سلام عليكم يا أهل الجنة من ربكم الرحيم وقيل يعطيهم السلامة الأبدية * ولما ذكر ما للمؤمنين من النعيم ذكر ما للكافرين من العذاب بقوله تعالى (وامتازوا) أي ويقال للمجرمين امتازوا أي انفردوا (اليوم أيها المجرمون) عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم قال الضحاك لكل كافر في النار بيت يدخل ذلك البيت فيردم بابه بالنار فيكون فيه أبدا لا يدين لا يرى ولا يرى وقيل إن قوله تعالى وامتازوا أمر تكوينا حين يقول امتازوا اليوم فيميزون بسماهم ويظهر على جباههم وفي وجوههم سواد كما قال تعالى يعرف المجرمون بسماهم * ولما أمر وأبالأمتياز وضعت منهم الابصار وكلعت الوجوه وتنكست الرؤس قال تعالى موجها لهم (ألم أعهد اليكم) أي أوصيكم إيصاء عظيما بما نصبت من الأدلة ومنعت من العقول وبعثت من الرسل عليهم الصلاة والسلام وأنزلت من الكتب في بيان الطريق الموصل إلى النجاة * ولما كان المقصود بهذا الخطاب تفرعهم وتبكيهم وكانت هذه السورة قلبا وكان القلب أشرف الأعضاء وكان الإنسان أشرف الموجودات خصه بالخطاب بقوله تعالى (يا أي آدم) أي على لسان رسل عليهم الصلاة والسلام واختلف في معنى هذا العهد على وجوه أقواها ألم أوص اليكم كما أمرت وقيل أمركم وقيل غير ذلك واختلفوا في هذا العهد أيضا على أوجه أظهرها أنه مع كل قوم على لسان رسلهم كما أمرت وقيل هو العهد الذي كان مع آدم في قوله تعالى ولقد عهدنا إلى آدم وقيل هو الذي كان مع ذريته عليه السلام حين أخرجهما وقال ألسنت بربكم قالوا بلى (أن لا تعبدوا الشيطان) أي البعيد المحترق بطاعتكم فيما يوسوس به اليكم والطاعة قد تطلق على العبادة ثم علل النهي عن عبادة بقوله تعالى (أنه لكم) والتأكيدي لان أفعالهم أفعال من يعتقد صداقته (عدو مبين) أي ظاهر العداوة جدها من جهة عداوته لا اليكم التي أخرجتكم من الجنة التي لا منزل أشرف منها ومن جهة أمركم بما ينقص الدين من التخاصم والخصام ومن جهة تزيينه للناس الذي لا يرغب فيه عاقل لولم يكن فيه عيب غير فاته فكيف اذا كان أكثره أكدارا وأذنا سا فكيف اذا كان شاغلا عن الباقي فكيف اذا كان عاتقا عن المولى فكيف اذا كان مغضبا له حاجبا عنه (فان قيل) اذا كان الشيطان عدوا للإنسان فما بال الإنسان يقبل على ما يرضيه من الزنا والشرب ونحو ذلك ويكره ما يسخطه من المجاهدة والعبادة ونحو ذلك (أجيب) بأنه يستعين عليه باعوان من عند الإنسان وتزكوا استعانة الإنسان بالله تعالى فيستعين بشهونه التي خلقها الله تعالى فيه لمصلحة بقاءه وبقاء نوعه ويجعلها سببا لفساد حاله ويدعوها إلى مسالك المهالك وكذا يستعين بغضبه الذي خلقه الله تعالى فيه لدفع المفاسد عنه ويجعله سببا لوباله وفساد أحواله وميل الإنسان إلى المعاصي كبل المريض إلى المضار وذلك حيث ينصرف المزاج عن الاعتدال فتزول المحوم يري الماء البارد وهو يزيد في مرضه ومن معدته فاسدة لا تهمضم القليل من الغذاء يميل إلى الأكل الكثير ولا يشبع بشئ وهو يزيد فساد معدته ويحيج المزاج لا يشتهي إلا ما ينفعه * ولما منع من عبادة الشيطان

امر بعبادة الرحمن بقوله عاطفا على أن لا (وأن اعبدوني) أي وحدوني وأطيعوني (هَذَا) أي
 الامر بعبادتي (صراط) أي طريق (مستقيم) أي يبلغ الاستقامة وعبادة الشيطان طريق
 ضيق معوج غاية الضيق والعوج وقرأ قبيل بالسين وخلف بالاشماد أي بين الصاد والزاي
 والباقون بالصاد ثم ذكر ما ينفه لعداوة الشيطان بقوله تعالى (ولقد أضل منكم) أي عن
 الطريق الواضح السوي بما سلطه به من الوسوسة (جبال) أي أمما كبارا عظاما كانوا كالجبال
 في قوة العزائم وصعوبة الانقياد ومع ذلك كان يلعب بهم كما تلعب الصبيان بالكرة فسبحان من
 أقدره على ذلك والانهو أضعف كيدا وأحقرا أمرا وقرأ نافع وعاصم بكسر الجيم والباء الموحدة
 وتشديد اللام مع التنوين وقرأ أبو عمرو وابن عامر بضم الجيم وسكون الموحدة والباقون بضم
 الجيم والموحدة وكها لغات ومعناها الخلق والجماعة أي خلقنا (كثيرا) ثم زاد في التوبيخ والازكار
 بقوله تعالى (أفلم تكونوا تعقلون) أي عداوته واضلاله وما حل بهم من العذاب فتؤمنوا ويقال
 لهم في الآخرة (هذه جهنم) أي التي تستقبلكم بالعبوسة والتجهم كما كنتم تفعلون بعبادي
 الصالحين (التي كنتم تؤعدون) أي أن لم ترجعوا عن عيكم (اصولها) أي فاسوا حزاها وتوقدها
 وهول أمر ذلك اليوم فإن ذكره على حد ما مضى بقوله تعالى (اليوم) ليكونوا في شغل شاغل كما
 كان أصحاب الجنة وشتان ما بين الشغلين (عما) أي بسبب ما (كنتم تكفرون) أي تستترون ما هو
 ظاهر جردا بعقولكم من آياتي في دار الدنيا * (تنبيه) * في هذا الكلام ما يوجب شدة ذمهم
 وحزنهم من ثلاثة أوجه أحدها قوله تعالى اصولها أمر تنكيل واهانة كقوله تعالى ذاك أنت
 العزيز الكريم ثانيها قوله تعالى اليوم يعني العذاب حاضر ولذا تمهم قد مضت وبقي اليوم
 العذاب ثالثها قوله تعالى بما كنتم تكفرون فإن الكفر والكفران نبي عن نعمة كانت فكفر
 بها وحياء الكفور من المنهم أشد الآلام كما قيل

أليس بكاف لذى همة * جباة المسى من الحسن

• ولما كان كانه قبل هل يحكم في ذلك اليوم بعله أو يجزى الامر على قاعدة الدنيا في العمل
 بالبيئة نبه على أظهر من قواعد الدنيا بقوله تعالى مهولا (اليوم) على النسق الماضي في مظهر
 العظمة لانه الميق بالتهويل (نختم) أي بالنامن عظيم القدرة (على أقواهم) أي الكفار
 لاجترائهم على التكذب كقوله سبحانه والله ربنا ما كنا مشركين (ونكلمنا أيديهم) أي بما عملوا
 اقرارا هو اعظم شهادة (وتشهد أرجلهم) أي عليهم بكلام بين هو مع كونه شهادة اقرار (عما
 كانوا) أي في الدنيا يجيب الاتهم (يكسبون) فكل عضو ينطق بما صدر عنه فالآية من الاحبات
 أثبت الكلام للأيدي أولا لانها كانت مباشرة دليلا على حذفه من حيز الارجل ثانيا وأثبت
 الشهادة للارجل ثانيا لانها كانت حاضرة دليلا على حذفها من حيز الأيدي أولا وتقريره ان
 قول المباشر اقرار وقول الحاضر شهادة وفي كيفية هذا الختم وجهان أقواهما أن الله تعالى
 يسكت أسننتهم وينطق بجوارحهم فتشهد عليهم وان ذلك في قدرة الله تعالى يسيرا
 الاسكات فلا خفاء فيه وأما الانطاف فان اللسان عضو متحرك بحركة مخصوصة فجاز تحريك غيره

بعثها والله سبحانه قادر على كل الممكنات والوجه الآخر أنهم لا يتكلمون بشئ لا تقطاع
 أعذارهم وانهم تلك أسرارهم فيقفون ناكسي الرأس لا يجحدون عذرا فيعتدرون ولا يحال توبة
 فيستغفرون وتكلم الايدي هو ظهور الامر بحيث لا يسمع منه الانكار كقول القائل
 الحيطان تكبى على صاحب الدار اشارة الى ظهور الحزن والصحيح الاول لما روى أبو هريرة
 ان ناسا سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة فقال
 هل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ليس دونه حجاب قالوا لا يا رسول الله قال فهل تضارون
 في رؤية الشمس عند الظهيرة ليست في حجاب قالوا لا يا رسول الله قال والذي نفسي بيده
 لا تضارون في رؤية ربكم كالاتضارون في رؤيتهم ما قال فليقل العبد فيقول ألم أكرمك ألم أسودك
 ألم أزوجه ألم أسخر لك الخيل والابل وأتركك تتراد وتترافع قال بلى يا رب قال فظننت أنك
 ملاقي فيقول لا يا رب فيقول اليوم أنسالك كأنسيتني الى أن قال ثم يلقى الثالث فيقول ما أنت
 فيقول أنا عبدك أمنت بك ونبيك وبكتابك وصحت وصاليت ونصدت ووثنتي بخير ما استطاعت ثم
 قال فيقال له أفلا نبعت عليك شاهدنا قال فيفكر في نفسه من الذي يشهد عليه فيختم على فيه
 فيقال لفخذة انطقي قال فتسقط فخذة وجهه وعظامه عما كان يعمل قال وذلك للمنافق وذلك ليعذر
 من نفسه وذلك الذي سخط الله عليه ولما روى مسلم في صحيحه عن أنس بن مالك قال كنا عند رسول
 الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدررون ثم أضحك قال قلنا الله ورسوله أعلم قال من مخاطبة
 العبد ربه قال يقول العبد يا رب ألم تجرني من الظلم فيقول بلى فيقول فاني لأجيز على نفسي
 الاشهاد امني فيقول تعالى كفي بنفسك اليوم عليك شهيد وبالكرام الكاتين شهودا فيختم
 على فيه ويقول لا ركانه انطقي فتسقط بأعماله ثم يخلى بينه وبين الكلام فيقول بعد الكن ويحقا
 فعنكن كنت أناضل وقال صلى الله عليه وسلم أقول ما يرسل من أحدكم فخذ وكفه (تنبيه) •
 ههنا سؤالات الاول ما الحكمة في اسناده الختم الى نفسه وقال نختم وأسند الكلام والشهادة
 الى الايدي والارجل الثاني ما الحكمة في جعل الكلام للايدي والشهادة للارجل الثالث أن
 يوم القيامة من تقبل شهادته من المقرين والصدقيين كلهم أعداء للعجربين وشهادة العدو
 على العدو غير مقبولة وان كان عدلا وغير الصديقين من الكفار والفاسق لا تقبل شهادتهم
 والايدي والارجل صدرت الذنوب عنها فهي فسقة فينبغي أن لا تقبل شهادتهم أجيب عن
 الاول بأنه لو قال نخستم على أنفواهم ونطق أيديهم لاحتمل أن يكون ذلك جبرا وقهرا
 والاقرار بالاجبار غير مقبول فقال وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم أي بالاختيار بعد ما يقدرها
 الله تعالى على الكلام ليكون أدل على صدور الذنب منهم وأجيب عن الثاني بأن الافعال
 تسند الى الايدي قال تعالى وما علمته أيديهم أي ما علموه وقال تعالى ولا تلقوا بأيديكم الى
 التهلكة أي ولا تلقوا أنفسكم فاذا نال ايدي كالعامله والشاهد على العامل ينبغى أن يكون غيره
 فجعل الارجل والجلود من الشهود باعدا اضافة الافعال اليهن وأجيب عن الثالث بأن الايدي
 والارجل ليسوا من أهل التكليف ولا ينسب اليها عداة ولا فسق انما المنسوب من ذلك الى

العبد المكاف لآلى أعضائه ولا يقال وردان العين ترى وان الفرج يرى وان اليد كذلك لان
معناه ان المكاف يرى بها لانها ترى وايضا فانا نقول في ردشهادتها قبول شهادتها لانها ان
كذبت في مثل ذلك اليوم مع ظهور الامر لا بد ان يكون مذنباً في الدنيا وان صدقت في ذلك
اليوم فقد صدر منها الذنب في الدنيا وهذا كن قال لفاستق ان كذبت في نهار هذا اليوم فعبدى
حرف فقال الفاسق كذبت في نهار هذا اليوم عتق العبد لانه ان صدقت في قوله ~~كذبت~~ في نهار
هذا اليوم فقد وجد الشرط ووقع الجزاء وان كذب في قوله كذبت فقد كذب في نهار ذلك اليوم
فقد وجد الشرط ايضا بخلاف ما لو قال في اليوم الثاني كذبت في نهار ذلك اليوم الذي علمت
عتق عبداً على كذبي فيه ثم بين سبحانه وتعالى انه قادر على اذهاب الابصار كما هو قادر على
ازهاب البصائر بقوله تعالى (ولونشاء) وعبر بالمضارع ليشوع في كل حين فيكون ابلغ
في التهديد (لطمسنا على أعينهم) أى الظاهرة بحيث لا يبصرون لها جفن ولا شق وهو معنى
الطمس كقوله تعالى ولونشاء الله اذهب بصرهم وأبصارهم يقول انا أعيننا فلو بهم ولونشاءنا
أعينا أبصارهم الظاهرة وقوله تعالى (فاستبقوا الصراط) أى استدروا الطريق ذاهبين
كعادتهم عطف على لطمسنا (فأتى) أى فكيف (ييصرون) الطريق حينئذ وقد أعينا
أعينهم أى لونشاء لاضللتناهم عن الهدى وتركاهم عما يتزدون فلا ييصرون الطريق وهذا
قول الحسن والسدى وقال ابن عباس ومعناه لونشاء لطمسنا أعين ضاللتهم
فأعيناهم عن غيرهم وحولنا أبصارهم من الضلالة الى الهدى فأبصروا وارشدهم فأنى ييصرون
ولم أفعل ذلك بهم * ولما كان هذا كله مع القدرة على الحركة قال تعالى (ولونشاء) أى مسخهم
(لطمسناهم) أى حولناهم عن تلك الحالة فجعلناهم حجارة وأجعلناهم قردة وخنازير * ولما
كان المقصود من المفاجأة بهذه المصائب ان الله سبحانه لا كافة عليه في شئ من ذلك قال تعالى
(على مكاتبهم) أى المكان الذى كان قبل المسخ كل شخص منهم شاغلا به يجلس أو قيام أو غيره
في ذلك الموضع خاصة قبل أن يتحرك منه وقرأ شعبة بألف بعد النون على الجمع والباقيون بغير
ألف على الافراد (فما استطاعوا) أى بأنفسهم بنوع معالجة (مضيا) أى الى جهة من
الجهات ثم عطف على جملة الشرط قوله تعالى (ولا يرجعون) أى يتجهدوا ليهبهم بوجه من
الوجوه رجوع الى حالتهم التى كانت قبل المسخ دلالة على أن هذه الامور حق لا كما يقولون من
أنها خيال وسحر وقيل لا يقدرّون على ذهاب ولا رجوع (ومن نعمة) أى نزل عمره اطالة كثيرة
(تنكسه) قرأ عاصم وحزرة بضم النون الاولى وفتح النون الثانية وتشديد الكاف مكسورة
من نكسه مبالغة والباقيون بفتح النون الاولى وسكون الثانية وتخفيف الكاف مضمومة
من نكسه وهى محتملة للمبالغة وعدمها ومعنى تنكسه (فى الخلق) أى خلقه زده الى أرذل
العمر يشبهه الصبي فى الخلق وقيل تنكسه فى الخلق أى ضعف جوارحه بعد قوتها ونقصانها بعد
زيادتها لان الله تعالى أجرى العادة فى النوع الآدمى أن من استوفى سن الصبا والشباب
الثنتين وأربعين سنة حسنت غرائزه فلا تزيد فيه غريزة ووقفت قوا كلها فلم يزد فيها شئ هذا

في البدن وأما في المعارف فتارة وتارة وهذا أيضا في غير الانبياء عليهم السلام أما هم فلا ينقص
شي من قواهم بل تزداد كما روى أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عشي غير مكثرت وأن العصابة
رضي الله عنهم يجهدون أنفسهم فيكون جهدهم أن لا يدركوا مشية الهويين وأنه صلى الله عليه
وسلم صار عركانة الذي كان يضرب بقوة المثل وكان واقفا من نفسه أنه يصرع من صارعه فلم
يملكه النبي صلى الله عليه وسلم نفسه وعاد إلى ذلك ثلاث مرّات كل ذلك لا يتمك في يده حتى خرج
يقول إن هذا العجب يا محمد نصر عني وحتى أنه دار على نساؤه وهن تسع كل واحدة منهن تسع
مرّات في طلق واحد إلى غير ذلك مما يحكي من قواه التي فاق بها الناس ولم يحك عن نبي من
الانبياء عليهم السلام ممن عاش منهم ألفا وممن عاش دون ذلك أنه نقص شي من قواه بل قد ورد
في الصحيح من حديث أبي هريرة أن ملك الموت عليه السلام أرسل إلى موسى عليه السلام
ليقبض روحه فلما جاء صكه ففقا أعينه فقال لربه أوسلتني لعبدا لا يريد الموت قال أرجع إليه
فقل له يضع يده على متن نور فله بما غطت يده بكل شعرة سنة قال أي رب ثم ماذا قال الموت قال
فالا ن وكان موسى وقت قبضه ابن مائة وعشرين سنة (أفلا يعقلون) أي أن القادر على ذلك
عندهم قادر على البعث فيؤمنون وقرأ نافع وابن ذكوان بأناه على الخطاطب والباقيون بالياء على
الغيبية * ولما مضى الله تعالى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم غرا نزل من الفضائل مما عجز عنها الأولون
والآخرون وأتى بقرآن أعجز الناس والجن والعلو وبركات فافت القوي ليس يشعر خلافا
لما رموه به بغيا وكذبا وعدوا قال تعالى (وما علمناه) أي نحن (الشعر) فيما علمناه وهو أن
يتكافى التقيد بوزن معلوم وروى مقصود وفاقية يلتزمها ويدير المعاني عليها ويحتجب
بالفاظ تكلفها اليها كما كان زهير وغيره في قصائدهم وما أنا من المتكافين لأن ذلك وإن كنتم أنتم
تعدونه فخر لا يليق بجنابنا لأنه لا يفرح به إلا من يريد ترويح كلامه وتحليته بصوغه على وزن
معروف مقصود وفاقية ملتزمة على أن فيه نقبسة أخرى وهي أعظم ما يوجب النفرة عنه وهي
أنه لا بد أن يوهي التزامه بعض المعاني ولما لم تعلم هذه الدناءة طبعناه على جميع فنون البلاغة
ومكنا من سائر وجوه النصاحة ثم أسكا قلبه بنابيع الحكمة ودريناه على القاء المعاني الجملية
بما ألهمناه إياه ثم ألقاه إليه جبريل عليه السلام بما أمرناه به من جوامع الكلم والحكم
فلا تكلف عنده أصلا ما خبر صلى الله عليه وسلم بين أمرين الاختار أيسرهما ما لم يكن أشما
أو طبيعة ورحم ولما كان الشعر مع ما يبنى عليه من التكلف الذي هو بعيد جدا عن سبيل
الانبياء عليهم الصلاة والسلام فكيف شرفهم بما يكسب مدحا وهجوا فيكون أكثره
كذبا إلى غير ذلك قال تعالى (وما ينبغي له) أي وما يصح له الشعر ولا يسهل له على ما اختبرتم
من طبعه نحو ما من أربعين سنة لأن منصبه أجل وهمة أعلى من أن يكون مدحا
أو عابا أو أن يقصد بما قد يجوز نقبسة في المعنى وجبلته منافسة لذلك غاية المنافاة بحيث لو أراد
تظم شعر لم يتأت له كما جعلناه أمما لا يكتب ولا يحسب لتكون الحجة أثبت والشبهة أدهض وما
كان يترن لهيت شعر حتى إذا تمثل بيت شعر جرى على لسانه منكسرا روى الحسن أن النبي

صلى الله عليه وسلم كان يمثل بهذا البيت * كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال أبو بكر
رضي الله عنه انما قال الشاعر * كفى بالشيب والاسلام للمرء ناهيا * فقال عمر رضي الله عنه
أشهد أنك رسول الله يقول الله عز وجل وما علمناه الشعر وما ينبغي له وعن ابن شريح قال قلت
لعائشة رضي الله عنها أكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يمثل بشئ من الشعر قالت كان يمثل
من شعر عبد الله بن رواحة قالت ورعا قال * ويأتيك بالاخبار من لم تزود * وفي رواية قالت كان
الشعر أبغض الحديث اليه قالت ولم يمثل بشئ من الشعر الا بيت أخى بن قيس طرفة العبدى
ستبدى لك الايام ما كنت جاهلا * ويأتيك بالاخبار من لم تزود

فجعل يقول ويأتيك من لم تزود بالاخبار فقال أبو بكر ليس هكذا يا رسول الله فقال انى لست
بشاعر ولا ينبغي لى وقل معناه ما كان متأثلا وأما قوله صلى الله عليه وسلم كإرواء مسلم
والبخارى أنا النبي لا تذب * أنا ابن عبد المطلب وقوله كإرواء الشيخان أيضا

هل أنت الا اصبع دميم * وفي سبيل الله ما لقيت

فانفاقي من غير تكلف وقسمته الى ذلك وقد يقع مثله كثيرا في فصاعف المنشورات على أن
الخليل ماعذ المشطو ومن البر شعرا هذا وقد روى انه حرك الباء في قوله أنا النبي لا تذب
وكسر التاء الاولى بلا اشباع وسكن الثانية من قوله هل أنت الا اصبع الخ وقبل الضمير للقرآن
أى وما يصح أن يكون القرآن شعرا (فان قيل) لم خص الشعر بنبي التعليم مع أن الكفار كانوا
ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم أشياء من جملتها الشعر والكهانة ولم يقل وما علمناه الشعر
وما علمناه الكهانة (أجيب) بأن الكهانة انما كانوا ينسبون الى النبي صلى الله عليه وسلم
اليها عند ما كان يخبر عن الغيوب وتكون كما يقول وأما الشعر فكانوا ينسبونه اليه عند
ما كان يفعل ما لا يقدر عليه الغير كشق القمر وتكليم الجذع والحجر وغير ذلك وأما الشعر
فكانوا ينسبونه اليه عندما كان يتلو القرآن عليهم لكنه صلى الله عليه وسلم ما كان يتحدث الى
بالقرآن كما قال تعالى ان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله الى غير ذلك
ولم يقل ان كنتم في شك من رسالى فأخبروا بالغيوب واشبعوا الخلق الكثير بالشئ اليسير فلما
كان تحديه صلى الله عليه وسلم بالكلام وكانوا ينسبونه الى الشعر عند الكلام خص الشعر بنبي
التعليم * ولما نبي أن يكون ما أتى به من جنس الشعر قال تعالى (ان) أى ما (هو) أى هذا
الذى أناكم به (الا ذكر) أى شرف وموعظة (وقرآن) أى جامع للحكم كهادينا واخرى
يتلى في الحاربي ويكر في المتعبدات وينال بتلاوته والعمل به فوز الدارين والنظر الى وجه
الله العظيم (مبين) أى ظاهره ان ليس من كلام البشر لما فيه من الاعجاز قل ما سألكم عليه من
أجر وما أنا من المتكفين ان هو الا ذكر للعالمين كاهم ذكيتهم وغيرهم بخلاف الشعر فانه مع نزوله
عن بلاغته جدا انما ذكر للاذكياء جدا وقوله تعالى (لينذر) ضميره للنبي صلى الله عليه
وسلم ويدل له قراءة نافع وابن عامر بالتاء الضوقية على الخطاب وقيل للقرآن وبدل له قراءة
الباقين بالياء التحية على الغيبة واختلف في قوله تعالى (من كان حيا) على قولين أحدهما

أن المراد به المؤمن لانه سحر القلب والكافر كالبت في أنه لا يتدبر ولا يتفكر قال تعالى أو من كان
 ميثاقاً حينئذ والثاني المراد به العاقل فهمه أفهق ما يحاط به فان الغافل كالبت (وبحق)
 أي يجب ويثبت (القول) أي العذاب (على الكافرين) أي الغريقين في الكفر فانهم
 أموات في الحقيقة وإن رأيتهم أحياء ويمكن أن تكون هذه الآية من الاحتكاك حذف
 الايمان أولاً لمادل عليه من ضده ثانياً وحذف الموت ثانياً لمادل عليه من ضده أولاً وأفرد
 الضمير في الاقول على اللفظ إشارة الى قلة السعداء وجمع في الثاني على المعنى اعلاماً بكثرة
 الاشياء (أو لم يروا) أي يعلموا علماً هو كالرؤية والاستفهام للتقرير والواو والداخله علم اللعطف
 (انا خلقناهم) أي في جملة الناس (بما علمت أيدياً) أي مما تولينا احداثه ولم يقدر على احداثه
 غيرنا وذكر الابدى واسناد العمل اليها استعارة تنفيذ المبالغة في الاختصاص والتفرد في
 الاحداث كما يقول القائل علمت هذا بيدي اذا تقرب به ولم يشاركه فيه أحد (أنعاماً) على
 علم مناقبها وانقادها ومنافعها وطبائعها وغير ذلك من أمورها وانما خص الانعام بالذكر
 وإن كانت الاشياء كلها من خلقه وإيجاده لأن الانعام أكثر أموال العرب والنفع بها أعم
 (فهم لها ما لكون) أي خلقناها لا جملهم فلكذاهم ايها يتصرفون فيها تصرف الملاك
 أو فهم لها ضابطون فأهرون ومنه قول بعضهم

أصبحت لأملك السلاح ولا * أملك رأس البعير ان نفرأ

والذئب أخشاه ان مررت به * وحدي وأخشى الرياح والمطرا

والشاهد في قوله ولا أملك رأس البعير أي لأضبطه والمعنى لم تخلق الانعام وحشية نافرة من
 بني آدم لا يقدر على ضبطها بل خلقناها مذللة كما قال تعالى (وذللناها لهم) أي يسرنا
 قيادها ولو شئنا جعلناها وحشية كما جعلنا أصغر منها وأضف فن قدر على تذليل الاشياء
 الصعبة جد الغيرة قادر على تطويع الاشياء لنفسه ثم سبب عن ذلك قوله تعالى (فإنها ركوبهم)
 أي ما يركبون وهي الابل لأنها أعظم من ركوباتهم لمعوم منافعها في ذلك وكثرتها (ومنها)
 يا كرون) أي ما ياكلون لجه * ولما أشار الى عظمة نفع الركوب والاكل بتقديم الجار
 وكانت منافعها لغير ذلك كثيرة قال تعالى (ولهم فيها منافع) أي من أصوافها وأوبارها
 وأشعارها وجلودها ونسائها وغير ذلك (ومشارب) أي من البانها جمع مشرب بالفتح وخص
 الشرب من عموم المنافع بعموم نفعه وجعله لاختلاف طعم ألبان الانواع الثلاثة ولما كانت
 هذه الاشياء من العظمة بكان لو فقدتها الانسان لتكدرت معيشته تسبب عنها استئناف
 الانكار عليهم في تحذيرهم عن طاعته بقوله تعالى (أفلا يشكرون) أي المنعم عليهم بها فيؤمنون
 ولما ذكرهم تعالى نعمة وحذرهم نعمة يحب منهم في سفول نظرهم وقبح أثرهم بقوله تعالى
 مو يحالهم (واتخذوا من دون) أي غير (الله) الذي له جميع صفات الكمال والعظمة (الهة)
 أي أصناما يعبدونها بعد ما رأوا منتهى تعالى تلك القدرة الباهرة والنعم المتظاهرة وعلو الله
 المنفرد بها (لعلهم يتصرون) أي رجاء أن ينصروهم فيما أحرزتهم من الامور والامر بالعكس

كما قال تعالى (لا يستطيعون) أى الآلهة المتخذة (نصرهم) أى العابدون (وهم) أى العابدون لهم (أى لا آلهة) (جند محضرون) أى الكفار جند لا صنم فيغضبون لهم ويحضرونها في الدنيا وهي لا تسوق لهم خيرا ولا تستطيع لهم نصرا وقبل هذا في الآخرة يؤتى بكل معبود من دون الله تعالى ومعه اتباعه الذين عبدوه كأنهم جنده يحضرون في النار وهذا كقوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم وقوله تعالى احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم * ولما بين تعالى ما بين من قدرته الظاهرة الباهرة ووهن أمرهم في الدنيا والآخرة ذكر ما بسبب نبيه صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فلا يحزنك قولهم) أى في تكذيبك كقولهم استمر سلا (ان تعلم ما) أى كل (يسرون) أى في ضمائرهم من التكذيب وغيره (وما يعلنون) أى يظهرونه بأنفسهم من الأذى وغيره من عبادة الأصنام فيجازيهم عليه * ولما ذكر تعالى دليلا على عظم قدرته ووجوب عبادته بقوله تعالى أولم يروا أنا خلقناهم مما عملت أيدينا أنعاما ذكرا ولنا من الأنفس أئین من الأول بقوله تعالى (أولم يروا) أى يعلم (الإنسان) علما هو في ظهوره كالخسوس بالبصر (أنا خلقناه) أى بالنامن العظمة (من نطفة) أى شئ حقير يسير من ماء لا ارتفاع به بعد ابداء عناياه من تراب وأنه من لحم وعظام (فاذا هو) أى فتسبب عن خلقنا له من ذلك المفاجأة لحاله هي أبعد شئ من حالة النطفة وهي انه (خصيم) أى بليغ الخصومة (مين) أى في غاية البيان عما يريد حتى انه ليجادل من اعطاه العقل والقدرة في قدرته وأنشدا الاستاذ القشيري في ذلك

أعلمه الرماية كل يوم * فلما استد ساعده وما ني

وكم علمته علم القوافي * فلما قال فاقية هجائي

وفي هذا تسلية ثانية بهو من ما يقولونه بالنسبة الى انكارهم الحشر وفيه تقييد بليغ لانكاره حيث تعجب منه وجعله افراطا في الخصومة بينا ومنافاة لجود القدرة على ما هو اهوون مما عمله في بدء خلقه ومقابلة النعمة التي لا مزيد عليها وهي خلقه من أحسن شئ وأمهنة شريفا مكزما بالعقوق والتكذيب (وضرب) أى هذا الانسان (لنا) أى على ما يعلم من عظمة لنا (مثلا) أى أمر أعجيبا وهو نفي القدرة على احياء الموتى روى ان أبي بن خلف الجمعي وهو الذي قتله النبي صلى الله عليه وسلم بأحد مبارزة في النبي صلى الله عليه وسلم بعظم بال يفتنه بيده فقال أترى الله يحيي هذا بعد ما رم فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويعنك ويدخل النار فترأت وقبل هو العاصي بن وائل قاله الجلال المحلى وأكثر المفسرين على القول (ونسى) أى هذا الذي تصدى على مهانة أصله لمخاضة الجبار (خلقه) أى بدء أمره من المني وهو أغرب من مثله والنسيان هنا يحتمل أن يكون بمعنى الذهول وأن يكون بمعنى الترك ثم استأنف الاخبار عن هذا المشل بأن (قال) أى على طريق الانكار (من بجعي العظام وهي رميم) أى صارت ترابا ترمع الرياح ورميم قال البيضاوي بمعنى فاعل من رم الشئ صار اسما بالقلبة ولذلك لم يؤثرت أو اسم مفعول من رمته وفيه دليل على أن العظم ذو حياة فيؤثر فيه الموت كسائر الاعضاء اه

قال البغوي ولم يقل رمية لانه معدول عن فاعله فكل ما كان معدولا عن وجهه ووزنه كان
مصرفا عن اعرابه كقوله تعالى وما كانت أمك بغيا أسقط الهاء لانهم مصروفة عن باعية
(تنبيه) * هذه الآية وما بعدها اشارة الى بيان الحشر لان المنكرين للعشر منهم من لم يذكر فيه
دليلا ولا شبهة بل اكتفى بمجرد الاستبعاد وهم الاكثر وأننا ضللنا في الارض أننا الثاني خلق
جديدا أننا استنا و أننا عظاما أننا المبعوثون من يحيى العظام وهي رميم قالوا ذلك على طريق
الاستبعاد فأبطل الله تعالى استبعادهم بقوله تعالى ونسى خلقه أى نسي انا خلقناه من تراب
ومن نطفة متشابهة الاجزاء ثم جعلنا لهم من النواصي الى الاقدام أعضاء مختلفة الصورة وما
اكتفينا بذلك حتى أودعناهم ما ليس من قبيل هذه الاجرام وهو النطق والعقل اللذان بهما
استحقوا الاكرام فان كانوا يقنعون بمجرد الاستبعاد فهلا يستبعدون خلق الناطق العاقل من
نطفة مذرة لم تكن محللا للحياة أصلا ويستبعدون إعادة النطق والعقل الى محل كانا فيه
واختاروا العظم بالذكر لانه أبعد عن الحياة لعدم الاحساس فيه ووصفه بما يقوى جانب
الاستبعاد من البلاء والتفتت والله تعالى دفع استبعادهم من جهة ما في العبد من القدرة والعلم
فقال وضرب لنا مثلا أى جعل قدرتنا كقدرتهم ونسى خلقه العجيب وبدأه الغريب ومنهم من
ذكر شبهة وان كان في آخرها يعود الى مجرد الاستبعاد وهي على وجهين الاول انه بعد العدم
لم يبق شيئا فكيف الحكم على العدم بالوجود فأجاب تعالى عن هذه الشبهة بأن قال تعالى لنبيه
صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهؤلاء البعداء البغضاء (يحییها) أى بعد أن أنشأها أول مرة
(الذى أنشأها) أى من العدم ثم أحياها (أول مرة) فكما خلق الانسان ولم يكن شيئا
مذكورا كذلك يعيده وان لم يبق شيئا مذكورا الوجه الثاني ان من تفرقت أجزاؤه في مشارق
العالم ومغاريبه وصار بعضها في أبدان السباع وبعضها في حواصل الطيور وبعضها
في جدران الربوع كيف يتجمع وأبعد من هذا لو أكل انسان انسانا وصار أجزاؤه المأكول
في أجزائه المأكول فان أعيدت أجزائه المأكول فلا يبقى للمأكول أجزاء تتخلق منها أعضاؤه واما
أن تعاد الى بدن المأكول فلا يبقى للأكل أجزاء أصلية وأجزاء فضلية وفي المأكول كذلك
فاذا أكل انسان انسانا صار الاصل من أجزاء المأكول فضليا من أجزاء المأكول والاجزاء
الاصلية للأكل هي ما كان قبل الأكل فأجاب الله تعالى عن هذه الشبهة بقوله (وهو بكل
خلق) أى مخلوق (عليم) أى يجمع الاصل من الفضل فيجمع الاجزاء الاصلية للأكل
ويجمع الاجزاء الاصلية للمأكول وينفع فيه روحه وكذلك يجمع أجزائه المتفرقة في البقاع
المتباعدة بمحكمته وقدرته ثم انه تعالى عاد الى تقرير ما تقدم من دفع استبعادهم وإبطال
انكارهم بقوله تعالى (الذى جعل لكم) أى في جملة الناس (من الشجر الاخضر) أى
الذى تشاهدون فيه الماء (نارا) قال ابن عباس هما شجرتان يقال لاحدهما المرخ
والاخرى العفار الاقل يفتح الميم ويسكون الراء وانحاء المعجمة شجر سربع الوري أى القسح
والثاني يفتح المهملة وفاء وراء بعد ألف الزندفن أراد منهما النار قطع منها غصنين مثل

السواكين وهما أخضران بقطران الماء فيسحق المرخ وهو ذكرك على العفار وهو أثنى فيخرج
منهما النار باذن الله تعالى وتقول العرب في كل شجر نار واستعبد المرخ والعفار وقال
الحكماء في كل شجر نار الا العناب (فاذا أنتم) أى فتسبب عن ذلك مفاجاةكم لانه
(منه) أى من الشجر الموصوف بالخضرة (توقدون) أى توجدون الا يقاد ويتجدد لكم ذلك
مرة بعد أخرى وهذا أدل على القدرة على البعث فانه جمع فيه بين الماء والنار والخشب فلا الماء
بطفى النار ولا النار تحرق الخشب ثم ذكر ما هو أعظم من خلق الانسان فقال تعالى (أوليس
الذى خلق) أى أوجد من العدم (السموات والارض) أى على كبرهما وأعظم ما فيهما من
المنافع والمصانع والمعجائب والبدائع وأثبت النار تحريقا للامور وأكيد التثنية فقال تعالى
(بقادر على أن يخلق مثلهم) أى مثل هؤلاء الاناس في الصغر أى يعيدهم باعيانهم وقيل
الضمير يعود على السموات والارض لتضمنهم من يعقل والاول أظهر لانهم المخاطبون وقوله
تعالى (بلى) جواب ليس وان دخل عليها الاستفهام المصير لها ايجابا أى هو قادر على ذلك
أجاب نفسه تعالى (وهو) مع ذلك أى مع كونه عالما بالخلق (الخلق) أى الكثير الخلق
(العليم) أى البالغ في العلم الذى هو منشأ القدرة فلا يخفى عليه كى ولا جزئى فى ماض ولا حال
ولادستقبل شاهدة وأغاب * ولما تقرر ذلك انبع قوله تعالى مؤكدا لاجل انكارهم القدرة
على البعث (انما أمره) أى شأنه ووصفه (إذا أراد شيئا) أى خلق شيئا من جوهر أو عرض أى
شيئا كان (أن يقول له كن) أى أن يريده (فيكون) أى يحدث وهو عليل لتأثير قدرته فى مراده
بأمر المطاع للمطيع فى حصول المأمور من غير امتناع وتوقف واقتدار الى مزاوله عمل
واستعمال آلة قطع المادة الشبهة وهو قياس قدرة الله تعالى على قدرة الخلق وقرأ ابن عامر
والكسائي بنصب النون عطف على يقول والباقون بالرفع أى فهو يكون * ولما كان ذلك
نسب عنه المبادرة الى تنزيهه تعالى عما ضربه له من الامثال فلذلك قال (فسبحان) أى
تنزه عن كل شائبة تقصر تنزهها لا يبلغ افهامكم كنهه وعدل عن الضمير الى وصف يدل على غاية
العظمة فقال (الذى بيده) أى قدرته ونصرته خاصة لا يد غيره (ملكوت كل شئ) أى
ملكه التام وملكه ظاهر وباطن * ولما كان التقدير فنه بدون عطف عليه قوله تعالى (والله)
أى لا الى غيره (ترجعون) أى معنى فى جميع أموركم وحسابا بالبعث لينصف بينكم فيدخل
بعض النار وبعض الجنة وعن ابن عباس كنت لأعلم ما روى فى فضل يس كيف خصت به
فاذا به لهذه الآية ومارواه البيضاوى عنه صلى الله عليه وسلم أن لكل شئ قلبا وقلب القرآن
يس وايعلم قارئ عنده اذا نزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك
يقومون بين يديه صفوف فيصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون قبض روحه وغدله ويتبعون
جنازته ويصلون عليه ويشهدون دفنه وايعلم قارئ يس وهو فى سكرات الموت لم يقبض ملك
الموت روحه حتى يحينه رضوان بشرية من الجنة فيشرها وهو على فراشه فيقبض روحه وهو
ربان ويمكث فى قبره وهو ريان ولا يحتاج الى حوض من حياض الانبياء حتى يدخل الجنة وهو

ريان حديث موضوع وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة يس في ليلة أصبح مغفورا له وعن أنس بن مالك قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من دخل المقابر فقرأ سورة يس خفف عنهم يومئذ وكان له بعدد من فيها حسنة وعن يحيى بن أبي كثير قال بلغنا أن من قرأ يس حين يصبح لم يزل في فرح حتى يمسي ومن قرأها حين يمسي لم يزل في فرح حتى يصبح

﴿سورة الصافات مكية﴾

وهي مائة واثنان وعثمانون آية وثمانمائة وستون كلمة وثلاثة آلاف وثمانمائة وستة وعشرون حرفا (بسم الله) الذي له السكال المطلق (الرحمن) الذي من رحمته العدل في الدارين (الرحيم) الذي لا يدن من جنابه نقص واختلف في تفسير قوله تعالى (والصافات صفا) أي وهو ترتيب الجمع على خط فقال ابن عباس والحسن وقتادة هم الملائكة في السماء يصفون كصفوف الخلق في الدنيا للملافة وعن جابر بن سمرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ألا تصفون كصفوف الملائكة عند ربهم هم قلنا وكيف نصف الملائكة عند ربهم قال يتون الصفوف المتقدمة ويتراصون في الصف وقيل هي الملائكة تصف أجنتها في الهواء واقفة حتى يأمرها الله تعالى بما يريد وقيل هي الطير تصف أجنتها في الهواء أقوله تعالى والطير صافات واختلف أيضا في قوله تعالى (فالزاجرات زجرا) فأكثر المفسرين على أن الملائكة تزجر السحاب وتسوقه وقال قتادة هي زواجر القرآن تنهى عن القبيح واختلف أيضا في قوله تعالى (فالتاليات ذكرا) فأكثرا أيضا أنهم الملائكة عليهم السلام يتلون ذكر الله تعالى وقيل هم جماعة قراء القرآن (فان قيل) فإن أبو مسلم الاصفهاني لا يجوز زجل هذه الاقفاط على الملائكة لأنها مشعرة بالتأنيث والملائكة عليهم السلام مبرؤون من هذه الصفة (أجيب) بوجهين الأول أن الصافات جمع الجمع فانه يقال جماعة صافة ثم تجمع على صافات والثاني أنهم مبرؤون من التأنيث المعنوي وأما التأنيث اللفظي فلا وكيف وهم يسمون بالملائكة مع أن علامة التأنيث حاصلة * (تنبيه) * اختلف الناس ههنا في المقسم به على قولين أحدهما أن المقسم به خالق هذه الاشياء لئله صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله تعالى ولأن الحلف في مثل هذا الموضع تعظيم للمحلو فبه ومثل هذا التعظيم لا يليق إلا بالله تعالى ففي ذلك اضماتق تديره ورب الصافات ورب الزاجرات ورب التاليات ومما يؤيد هذا أنه تعالى صرح به في قوله تعالى والسماء وما بناها والارض وما طعها وانفس وما سواها والثاني وعليه الاكثر أن المقسم به هذه الاشياء انظار اللفظ فالعدول عنه خلاف الدليل وأما انتهى عن الحلف بغير الله تعالى فهو نهى للمخلوق عن ذلك وأما قوله تعالى وما بناها فإنه علق لفظ القسم بالسماء ثم عطف عليه القسم بالبنائي السماء ولو كان المراد بالقسم بالسماء القسم بنى السماء لزم التكرار في موضع واحد وهو لا يجوز وأيضا لا يبعد أن تكون الحكمة في قسم الله تعالى بهذه الاشياء التنبيه على شرف ذواتها وقال البيضاوي أقسم بالملائكة الصافين في مقام العبودية على مراتب باعتبارها تفيض عليهم أنوار

الهيبة منتظرين لامر الله الزاجرين للأجرام العلوية والسفلية بالتدبير المأمور فيها والناس
 عن المعاصي بالهام الخبراً والشياطين عن التعرض لهم التالين لآيات الله وجلاب قدسه على
 أنبيائه وأوليائه أو بطواف الأجرام المترتبة كالصفوف المخصوصة والأرواح المدبرة لها
 والجواهر القدسية المستغرقة في بحار القدس يسبحون الليل والنهار لا يفترون أو بنفوس العلماء
 الصادقين في العبارات الزاجرين عن الكفر والفسوق بالحجج والنصائح التالين آيات الله
 وشرائعه أو بنفوس الغزاة الصادقين في الجهاد الزاجرين للخيال والعدو التالين ذكر الله
 لا يشغلهم عنه مباراة العدو وقال الزنجشیری الفاء في فالزاجرات والتاليات أمان تدل على
 ترتب معانيها في الوجود كقوله بالهف زيادة للعرث الصابح فالغائم فالآيب
 أي الذي صبح فغتم قآب وأما على ترتبها في التفاوت من بعض الوجوه ~~كقوله~~
 خذ الأفضل فالأكل وأعمل الأحسن فالاجل وأما على ترتب موصوفاتها كقوله رحم
 الله المحلقين فالمقصرين والبيضاوي ذكر هذا حديثاً قال شيخنا القاضي زكريا لم أره بهذا
 اللفظ اه لكنه لفضل المتقدم على المتأخر وهذا للعكس وقرأ أبو عمرو ووجهة بالادغام
 فيما ذكره الباقرين بالاظهار وجواب القسم (إن الهكم) أي الذي اتخذتم من دونه آلهة
 (لواحد) إذ لو لم يكن واحداً لاختل هذا الاصطفاً والزجر والتلاوة وما يترتب
 عليها فكان غير حكيم (فان قيل) ذكر الحلف في هذا الموضع غير لائق وبإيانه من وجهين
 الأول أن المقصود من هذا القسم ما أثبت هذا المطلوب عند المؤمن أو الكافر فالأول باطل
 لأن المؤمن مترتبة من غير حلف والثاني باطل أيضاً لأن الكافر لا يترتب به سواء حصل الحلف
 أو لم يحصل فهذا الحلف عديم الفائدة على كل تقدير الثاني أنه يقال أقسم في أول هذه
 السورة على أن الإله واحد وأقسم في أول سورة الذاريات على أن القيامة حق فقال
 والذاريات ذروا إلى قوله انما وعدون لصاقد وان الدين لواقع وأثبت هذه المطالب
 العالمية الشريعة على المخالفين من الدهرية وأمثالهم بالحلف لا يطبق بالاعتلاء (أجيب)
 عن ذلك بأوجه أولها أنه تعالى قرّر التوحيد وصحة البعث والقيامة في غالب السور بالدلائل
 البينة فلما تقدم ذكر تلك الدلائل لم يبعد تقريرها بذكر القسم تأكيداً لما تقدم لاسيما والقرآن
 أنزل بلغة العرب وأثبت المطالب بالحلف واليمين طريقة مألوقة عند العرب ثانياً أن
 المقصود من هذا الكلام الرد على عبدة الأصنام في قولهم بأنهم آلهة فكانه قيل إن هذا
 المذهب قد بلغ في السقوط والركاكة إلى حيث يكفي في إبطاله مثل هذه الحجّة ثالثاً أنه تعالى
 لما أقسم بهذه الأشياء على صحة قوله تعالى أن الهكم لواحد عقبه بما هو الدليل البيني في كون
 الإله واحداً وهو قوله تعالى (رب) أي موجد ومالك ومدبر (السموات) أي الأجرام
 العالمية (والارض) أي الأجرام السافلة (وما بينهما) أي من الفضاء المشهون بما يحجز
 عن عده القوى وذلك لأنه تعالى بين في قوله تعالى لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا إن انتظام
 أحوال السموات والارض يدل على أن الإله واحد فهنا قال إن الهكم لواحد أردفه

بقوله رب السموات والارض وما بينهما كأنه قيل بينا أن النظر في انتظام هذا العالم يدل على أن الاله واحد فتأملهوا ليحصل لكم العلم بالتوحيد * (تنبيه) * علم من قوله تعالى وما بينهما أنه تعالى خالق لأعمال العباد لأن أعمالهم موجودة فيما بين السماء والارض وهذه الآية دلت على أن كل ما حصل بين السماء والارض فالله ربه ومالكه وهذا يدل على أن فعل العبد حصل بخلق الله تعالى (فان قيل) الاعراض لا يصح وصفها بأنها حصلت بين السماء والارض لأن هذا الوصف انما يكون حاصلًا في حيز وجهة والاعراض ليست كذلك (أجيب) بأنها لما كانت حاصله في الاجسام الحاصلة بين السماء والارض فهي أيضا حاصله بين السموات والارض (ورب المشارق) أى والمغرب وجعلها باعتبار جميع السنة فإن الله تعالى خلق للشمس ثلثمائة وستين كوة في المشرق وثلثمائة وستين كوة في المغرب على عدد أيام السنة تطالع الشمس كل يوم من كوة منها وتغرب في كوة منها لترجع الى الكوة التي تطلع منها الى ذلك اليوم من العام المقبل وقيل كل موضع أشرق عليه الشمس فهو مشرق وكل موضع غربت عليه فهو مغرب كأنه أراد جميع ما أشرق عليه الشمس وقيل المراد بالمشارك مشارق الكواكب ومغاربها لأن لكل كوكب مشرقا ومغربا (فان قيل) إن الله تعالى قال في موضع رب المشرق والمغرب وقال في موضع آخر رب المشرقين ورب المغربين فالجمع بين هذه المواضع (أجيب) بأن المراد بقوله رب المشرق والمغرب الجهة فالمشرق جهة والمغرب جهة وبقوله تعالى رب المشرقين ورب المغربين مشرقا والشتاء والصيف ومغربا والشتاء والصيف وأما موضع الجمع فقد مر (فان قيل) لم اكتفي بذكر المشارق (أجيب) بوجهين الأول انه اكتفي به كتوله تعالى تبيينكم الحزب والثاني ان الشروق أقوى حالا من الغروب وأكثر نفعًا منه فذكر المشرق تبيينها على كثرة احسان الله تعالى على عباده ولهذه الدقيقة استدلل ابراهيم خليل الرحمن عليه السلام بقوله ان الله يأتي بالشمس من المشرق (انازينا) أى بعظمته التي لا تدانى (السماء) ولما كانوا الارون الاما يليهم من السموات وكانت زينة النجوم ظاهرة فيها قال تعالى (الذين) أى التي هي أدنى السموات اليكم (زينة الكواكب) أى بضوئها كما قاله ابن عباس وأبو هريرة قرأ عاصم وحزرة بزينة بالنون والباقون بغير نون والاضافة للبيان كقراءة نون بزينة الميمنة بالكواكب ونصب الباء الموحدة من الكواكب شعبة وكسرها الباكون (فان قيل) قد ثبت في علم الهيئة أن هذه الكواكب الثوابت مركزوزة في الكرة الثامنة وأن السيارات مركزوزة في الكرات الستة المحيطة بسماء الدنيا فكيف يصح قوله تعالى انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب (أجيب) بأن الناس الساكنين على سطح كرة الارض ان نظروا الى السماء الدنيا فانهم يشاهدونها زينة بهذه الكواكب فصح قوله تعالى انازينا السماء الدنيا بزينة الكواكب وقوله تعالى (وحفظا) منصوب بفعل مقدّر أى حفظناها بالشهب أو معطوف على زينة باعتبار المعنى كأنه قال انا خلقنا الكواكب زينة للسماء الدنيا وحفظا (من كل شيطان) أى بعيد

عن الحبر محترق (مارد) أى عات خارج عن الطاعة * ولما تشوف السامع الى معرفة هذا
الحفظ وغرته وبيان كيفيته استأنف قوله تعالى (لا يسمعون) أى الشياطين المفهومون
من كل شيطان (الى الملا الأعلى) أى الملائكة وأشرافهم فى السماء وعدى السماع بالى
لنقصه معنى الاصغاء مبالغة لفيه وتهويل للمانع عنهم عنه ويدل عليه قراءة حجة والكسافى
وحفص بفتح السين وتشديد هاء وتشديد الميم من التسمع وهو طلب السماع وقرأ الباقون
بسكون السين وتخفيف الميم (ويثذقون) أى الشياطين يرمون بالشهب (من كل جانب)
أى من آفاق السماء وقوله تعالى (دحورا) مصدر دحره أى طرده وأبعده وهو منه عول له
وقيل هو جمع داحر نحو فاعد وقعود فيكون حالاً بنفسه من غير تأويل وقيل غير ذلك
(ولهزم) أى فى الآخرة (عذاب) غير هذا (واصب) أى دائم وقال مقاتل أى دائم
فى الدنيا الى النفخة الاولى وقوله تعالى (الامن خطف) فيه وجهان أحدهما أنه من نوع
الحمل بدلا من ضمير لا يسمعون وهو أحسن لانه غير موجب والثانى أنه منصوب على أصل
الاستثناء والمعنى أن الشياطين لا يسمعون الملائكة الامن خطف وقوله تعالى (الخطفة)
مصدر معرف بالجنسية أو المعرفة ومعنى اختطف اختلس الكلمة من كلام الملائكة
مسارقة (فأبعه) أى لحقه (شهاب) أى كوكب (ناقب) أى مضى قوى لا يحطه يقتله
أو يحرقه أو ينقبه أو ينجبه * (تنبيه) * ههنا سوالات أولها أن هذه الشهب التى يرمى بها
هل هى من الكواكب التى زين الله السماء بها أم لا والاول باطل لانها تطل وتضمحل فلو كانت
تلك الشهب تلك الكواكب الحقيقة لوجب أن يظهر نقصان كثير فى اعداد كواكب
السماء ولم يوجد ذلك فان اعداد كواكب السماء باقية لم تتغير البتة وأيضا جعلها رجوما
للشياطين مما يوجب وقوع النقصان فى زينة السماء الدنيا فكان الجمع بين هذين المقصودين
كالمتناقض وان كانت هذه الشهب جنسا آخر غير الكواكب المركوزة فى ذلك فهو أيضا
مشكل لانه تعالى قال فى سورة الملك ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما
للشياطين فالضمير فى قوله وجعلناها عائد على المصابيح فوجب أن تكون تلك المصابيح هى
المرجوم بها بأعيانها ثانيا كيف يجوز أن تذهب الشياطين حيث يعملون أن الشهب تحرقهم
ولا يصلون الى مقصودهم البتة وهل يمكن أن يصدر هذا الفعل من عاقل فكيف من الشياطين
الذين لهم من بنى معرفة الحيل الدقيقة نالها دلت التواريخ المتواترة على أن حدوث الشهب
كان حاصل قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم ولذلك ترى الحكماء الذين كانوا موجودين قبل
مجئ النبى صلى الله عليه وسلم بزمان طويل ذكروا ذلك وتكلموا فى سبب حدوثه وإذا ثبت أن
ذلك كان موجودا قبل مجئ النبى صلى الله عليه وسلم امتنع جله على مجئ النبى صلى الله عليه
وسلم رابعها الشيطان مخلوق من النار كما حكى عن قول ابليس لعنه الله تعالى خلقتنى من نار
وقال تعالى والجان خلقتنا من قبل من نار السموم ولهذا السبب يقدر على الصعود الى السموات
وإذا كان كذلك فكيف يعقل احراق النار بالنار (أجيب) عن الاول بأن هذه الشهب غير تلك

الكواكب الثابتة وأما قوله تعالى ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين
ففقول كل نبي يحصل في الحق العالي فهو مصباح لاهل الارض الا أن تلك المصابيح منها باقية على
وجه الدهر آمنة من التغير والفساد ومنها ما لا يكون كذلك وهي هذه الشهب التي يتحدث بها الله
تعالى ويجعلها رجوما للشياطين الى حيث يعلمون وبها يزول الاشكال وعن الثاني بأن هذه
الوافعة انما تنفق في السدرة فلعلها لا تشتهر بسبب ندرتها بين الشياطين وأجاب أبو علي
الجبائي بأن حصول هذه الحالة ليس له موضع معين واللام يذهبوا اليه وانما يخفون من المصير
الى موضع الملائكة ومواضعها مختلفة فرموا بها الى موضع تصيهم الشهب ورموا بها الى
الغيب ولا صدفوا الملائكة ولا تصيهم الشهب فلما هلكوا في بعض الاوقات وسلموا في بعض
الاقوات جاز أن يصيروا الى مواضع يغلب على ظنونهم أنهم لا تصيهم الشهب فيها كما يجوز في
سلك البحر أن يسلكه في موضع يغلب على ظنه حصول النجاة وفي جواب أبي علي نظر اذ ليس في
السماء موضع قدم الا وفيه ملك قائم أو راعي أو ساجد وعن الثالث بأن الاقرب ان هذه الحالة
كانت موجودة قبل النبي صلى الله عليه وسلم لكن بقلة ولما جاء النبي صلى الله عليه وسلم وقعت
بكثرة فصارت بسبب الكثرة محزنة وعن الرابع بأن الشياطين ليسوا من نار خاصة وعلى التنزل
بأنهم من النيران الخالصة الا أنهم نيران ضعيفة وفيران الشهب أقوى حالاً منهم فلا جرم صار
الاقوى مبطلاً للاضعف الا ترى أن السراج الضعيف اذا وضع في النار القوية فانه ينطفئ
فكذلك ههنا* ولما كان المقصود الاعظم من القرآن اثبات اصول الاربعة وهي الالهيات
والمعاد والنبوات واثبات القضاء والقدر افتتح الله سبحانه هذه السورة بآيات ما يدل على
الصانع وعلى علمه وقدرته وحكمته ووحدايته وهو خالق السموات والارض وما بينهما ما ورب
المشرق والمغرب ثم فرع عليها اثبات الحشر والنشر والقيامة وهو أن من قدر على ما هو أشق
وأصعب وجب أن يقدر على ما هو أدونه وهو قوله تعالى (فأستفتحهم) أي سل كفار مكة
أن يفتول بأن يبينوا لك ما نسألكم عنه من انكارهم البعث وأصله من الفتوة وهي الكرم
(أهم أشد) أي أقوى وأشق وأصعب (خلقنا) أي من جهة احكام الصنعة وقوتها وعظمها
(أم من خلقنا) أي من الملائكة والسموات والارض وما بينهما ما والمشارك والكواكب والشهب
النواب* (تنبيه) في الايمان بن تغليب العقلاء وهو استفهام بمعنى التقرير رأى هذه الاشياء
أشد خلقا كقوله تعالى خلقي السموات والارض أكبر من خلق الناس وقوله تعالى أنتم أشد
خلقاً أم السماء بناها وقيل معنى أم من خلقنا أي من الامم الماضية لأن لفظ من يذكر ان يعقل
والمعنى ان هؤلاء الامم ليسوا بأحكام خلقا من غيرهم من الامم الخالية وقد أهلكناهم بذنوبهم
فن الذي يؤمن هؤلاء من العذاب (انا خلقناهم) أي أصلهم آدم بعظمنا (من طين) أي تراب
رخومهم (لازب) أي شديد اختلاط بعضه ببعض فالتصق ونخر بحيث يعلق بالبدن وقال
مجاهد والضحك مستن فهو مخلوق من غير آب ولا أم وقرأ حمزة والكسائي (بل عبت)
بضم التاء والباقون يفتكها أما بالضمة فباستناد التعجب الى الله تعالى وليس هو كالتعجب

من الآدميين كما قال تعالى فيسخرون منهم يخبر الله منهم وقال تعالى نسوا الله أنفسهم فالحجب
 من الآدميين انكاره وتعظيمه والعجب من الله تعالى قد يكون بمعنى الانكار والذم وقد يكون
 بمعنى الاستحسان والرضا كما في الحديث عجب ربكم من شاب ليست له صبوة وفي حديث آخر عجب
 ربكم من الكم وقنوطكم وسرعة اجابته اياكم قوله لكم الال أشد القنوط وقيل هو رفع
 الصوت بالكاوسئل الجنيده عن هذه الآية فقال ان الله تعالى لا يعجب من شيء ولا يمكن وافق
 رسوله صلى الله عليه وسلم فلما عجب رسوله قال تعالى وان تعجب فاعجب قولهم أي هو كما تقول
 وأما بالفتح فعلى أنه خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي عجب من تكذيبهم اياك (ويسخرون)
 أي وهم يسخرون من تعجبك قال قتادة عجب نبي الله صلى الله عليه وسلم من هذا القرآن حين
 أنزل ومن ضلال بني آدم وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يظن أن كل من سمع القرآن
 يؤمن به فلما سمع المشركون القرآن سخر وامنه ولم يؤمنوا به عجب من ذلك النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال تعالى بل عجبتم ويسخرون (واذاذكروا) أي وعظوا بالقرآن (لايذكرون)
 أي لا يعظون (واذاأروا آية) قال ابن عباس وقتادة يعني انشقاق التمر (يستسخرون)
 أي يستهزئون بها وقيل يستدعي بعضهم من بعض السخرية (وقالوا ان) أي ما (هذا
 الاسخرمين) أي ظاهر في نفسه ومظهر لسخرية ثم خصوا البعث بالانكار اعلاما بأنه أعظم
 مقصود بالنسبة الى السحر فقالوا مظهرين له في مظهر الانكار (أنذامتنا) وعظفوا عليه
 ما هو موجب عندهم لشدة الانكار فقالوا (وكأن) أي كوني غاية التمكن (ترابا) وقد نموه
 لانه أدل على مرادهم لانه أبعد عن الحياة (وعظاما) كأنهم جعلوا كل واحد من الموت
 أو الكون الى الترابية المحضة والعظامية المحضة والمختلطة بهم ما مانع من البعث وهذا بعد
 اعترافهم بأن ابداء خلقهم كان من التراب ثم كرروا الاستفهام الانكاري على قراءة من
 قرأه كاسم أي بيانه زيادة في الانكار (فقالوا أنساب معوثون) وقولهم (أو اياؤنا الاولون)
 عطف على محل ان واسمها وعلى الضمير في معوثون فانه مفصول عنه بهمزة الاستفهام لزيادة
 الاستبعاد لبعده زمانهم وهذا بيان للسبب الذي جعلهم على الاستهزاء بجميع المعجزات وهو
 اعتقادهم أن من مات وتفرقت أجزاؤه في العالم فما فيه من الارض اختلط بالارض وما فيه من
 المائية والهوائية اختلط بخارات العالم فهذا الانسان كيف يعتقل عوده بعينه حيا ثم انه تعالى
 لما حكى عنهم هذه الشبهة قال لمنبه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أي لهؤلاء البعداء البغضاء
 (ثم) أي تبغثون على كل تقدير قدرتموه (وأنتم داخرون) أي مكرهون عليه صاغرون ذليلون
 وأنما كفى تعالى بهذا القدر من الجواب لانه ذكر في الآية المتقدمة البرهان القطعي على انه
 أمر ممكن واذا ثبت الجواز القطعي فلا سبيل الى القطع بالوقوع الا بالخبر والخبر الصادق
 فلما قامت المجزة على صدق محمد صلى الله عليه وسلم كان واجب الصدق فكان مجزده قوله ثم
 دليلا قاطعا على الوقوع وقرأمتنا بضم الميم ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وشعبة وكسرها
 الباقلون وأما أنذامتنا فقرأت نافع والكسائي بالاستفهام في الاول والخبر في الثاني وابن

عام بالخبر في الأول والاستفهام في الثاني والباقون بالاستفهام فيها وسهل المهمة الثانية
 في الاستفهام نافع وابن كثير وأبو عمرو وحقق الباقر وأدخل في الاستفهام الضامين
 المميزين فالون وأبو عمرو وهشام والباقرين غير داخل وقرأ فالون وابن عامر وأبو ناسك
 الواو على أنها والعاطفة المتضمنة للشك والباقرين بفتحها على أنها همزة الاستفهام دخلت على
 واو العطف وقرأ الكسائي نتم بكسر العين وهو لغة فيه وقوله تعالى (فانما هي زجرة واحدة)
 جواب شرط مقدّر أي إذا كان كذلك فانما البعثة زجرة أي صيحة واحدة هي النفخة الثانية
 من زجر الراعي غنمه إذا صاح عليها وأمرها في الإعادة كما مرها بكن في الابداء ولذلك رتب عليها
 (فاذا هم ينظرون) أي أحياء في الحال من غير مهلة ينظر بعضهم بعضا وقيل ينظرون ما يحدث
 لهم أو ينظرون إلى البعث الذي كذبوا به ولأفرق بين من صار كهم تراو من لم يتغير أصلا ومن
 هو بين ذلك قال البقاعي ولعله خص النظر بالذكر لانه لا يكون الامع كال الحياة ولذلك قال صلى
 الله عليه وسلم إذا قبض الروح تبعه البصر وأما السمع فقد يكون غير الحى لانه صلى الله عليه
 وسلم قال في الكفار من قتلي بدمائهم بأسمع لما أقول منهم قال وشاهدت أنا في بلاد العرب
 المجاورة لنابلس شجرة لها شوك يقال لها الغبير متى قيل عندها هات لي المخمل لقطع هذه
 الشجرة أخذ ورقة في الحال في الذبول فانه سبحانه أعلم ما سبب ذلك اه * (تنبيه) * لأن
 للصيحة في الموت ولا في الحياة بل خالق الموت والحياة هو الله تعالى كما قال تعالى الذي خلق
 الموت والحياة روى أن الله تعالى يأمر الملك اسرافيل فينادي أيها العظام النخرة والجلاود
 البالية والاجزاء المتفرقة اجتمعوا باذن الله تعالى (وقالوا) أي كل من جمعه البعث من الكفرة
 بعد القيام من القبور ومعلمين بما انكشف لهم من أنه لا ملازم لهم غير الويل (يا ويلنا) أي هلاكنا
 وهو مصدر لافعل لمن لفظه وقال الزجاج الويل كلمة يقولها التائل وقت الهلكة وتقول لهم
 الملائكة (هذا يوم الدين) أي الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) أي بين الخلائق (الذي كنتم به
 تكذبون) وقيل هو أيضا من كلام بعضهم لبعض وقوله تعالى (احمروا) أي اجتمعوا بكمه وصغار
 (الذين ظلموا) أي ظلموا أنفسهم بالشرك أمر من الله تعالى للملائكة عليهم السلام وقيل
 أمر من بعضهم لبعض أي احمروا الظلمة من مقامهم إلى الموقف * وقيل منه إلى جهنم
 (وأزواجهم) أي وأشباههم عابد والصنم مع عبدة الصنم وعابدوا الكواكب مع عبدة
 كفولة تعالى وكنتم أزواجاً ثلاثة أي أشكالا وأشباهها وقال الحسن وأزواجهم المشركات
 وقال الضحاك ومقاتل قرناؤهم من الشياطين وعلى هذا اقتصر الجلال المحلى أي يقرن كل كافر
 مع شيطانه في سلسلة (وما كانوا يعبدون من دون الله) أي غيره في الدنيا من الاوثان
 والطواغيت زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ومثل الاوثان الذين رضوا بعبادتهم لهم ولم يشكروا
 عليهم ذلك ويأمرهم بعبادة الله تعالى الذي تفرّد بعبودته وصفات الكمال وقال
 مقاتل يعني ابليس وجنوده واحتج بقوله تعالى أن لا تعبدوا الشيطان (فاهدوهم إلى صراط
 الجحيم) قال ابن عباس دلوهم إلى طريق النار وقال ابن كيسان قدموهم قال البغوي والعرب

نسعى السائق هاديا قال الواحدي هذا وهم لانه يقال هدى اذا تقدم ومنه الهادية والهادى
 وهاديات الوحش ولا يقال هدى بمعنى قديم (وقفوههم) أى احبسوهم قال البغوى قال
 المفسرون لما سبوا الى النار حبسوا عند الصراط فقبل لهم قفوههم (انهم مسئولون) قال ابن
 عباس عن جميع أقوالهم وأفعالهم وروى عنه عن لاله الا الله وقيل تسألهم خزنة جهنم عليهم
 السلام ألم بأنكم نذير أى رسل منكم جاؤكم بالبينات قالوا بلى ولكن حنت كلمة العذاب على
 الكافرين وروى عن أبي برزة الاسلمى قال لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسئل عن أربع
 عن عمره فيما أفناه وعلمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أنفقه وعن جسمه فيما أبلاه
 وفي رواية وعن شبابه فيما أبلاه وعن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من داع
 دعا الى شئ الا كان موقوفا يوم القيامة لازما به وان دعا رجل رجلا ثم قرأ وقفوههم انهم
 مسئولون ويقال لهم توقينا (مالككم) أى أى شئ حاصل لكم شغل لكم وأهلها كم حال
 كونكم (لاتتاصرون) قال ابن عباس لا ينصر بعضكم بعضا كما كنتم في الدنيا وذلك أن
 أباجه قال يوم بدر نحن جميع منتصرف قبل لهم يوم القيامة ما لكم لاتتاصرون وقيل
 يقال للكفار ما لشر كائنكم لا يمنعونكم من العذاب ويقال عنهم (بل هم اليوم مسئولون)
 قال ابن عباس خاضعون وقال الحسن متقادون يقال استسلم للشيء اذا انقاد له وخضع
 والمعنى هم اليوم اذ لا متقادون لاحيلة لهم في دفع تلك المضار * ولما أخبر سبحانه وتعالى عنهم
 بانهم سئلوا فلم يجيبوا ربا كان يظن انهم أخرسوا فنبههم على أنهم يتكلمون بما ينذرونهم
 فقال عاطنا على قوله تعالى وقالوا يا ويلنا (وأقبل بعضهم) أى الذين ظلموا (على بعض)
 أى بعد ايقافهم لتوبيخهم وعبر عن خصامهم تكلمهم بقوله تعالى (يتساءلون) أى
 يتسألون ويتخاصمون (قالوا) أى الاتباع منهم المتبوعين (انكم كنتم تأتوا عن الذين)
 قال الفضل أى من قبل الدين فقبلوا تناعنه وقال مجاهد عن الصراط الحق واليمين عبارة
 عن الدين الحق كما أخبر الله تعالى عن ابليس لعنه الله تعالى ثم لا يتنبه من بين أيديهم
 ومن خلفهم وعن أيمانهم وعن شمائلهم فمن أتاه الشيطان من قبل اليمين أتاه من قبل
 الدين فلبس عليه الحق واليمين ههنا استعارة عن الخيرات والسعادات لان الجانب الايمن
 أفضل من الجانب الايسر قال ابن عادل لا تباشير الاعمال الشريفة الا باليمين ويتساءلون
 بالجانب الايسر وكان صلى الله عليه وسلم يحب التيامن في شأنه كله وكتب الحسنات
 من الملائكة على اليمين ووعد الله تعالى المؤمن أن يعطيه الكتاب باليمين وقيل ان الرؤساء
 كانوا يحلفون للمستضعفين أن ما يدعونهم اليه هو الحق فوثقوا بايمانهم وقيل عن اليمين عن
 القوة والقدرة كقوله تعالى لاخذنا منه باليمين (قالوا) أى المتبوعون لهم (بل لم تكونوا
 مؤمنين) أى وانما يصدق الاضلال منا أن لو كنتم مؤمنين فرجعتم عن الايمان البنا وانما
 الكفر من قبلكم (وما كان لنا عليكم من سلطان) أى قوة وقدرة حتى نتفكركم ونفجركم على
 متابعتنا (بل كنتم قوم اطاعين) أى ضالين مثلنا (حق) أى وجب (علينا) جميعا (قول)

ربنا) أى كلمة العذاب وهو قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (أنا)
 أى جميعا (لذا نقتول) أى العذاب بذلك القول ونشأ عنه قولهم (فأغريناكم) أى فاضللناكم
 عن الهدى ودعوناكم إلى ما كنا عليه (أنا كنا غواوين) أى ضالين فأحببت أن تكونوا مثلنا
 وفيه إيحاء بأن غوايتهم في الحقيقة ليست من قبلهم اذ لو كان كل غواية غاوية غاوية
 الاول قال الله تعالى (فأنهم) أى المتبوعين والاتباع (يومئذ) أى يوم القيامة (في العذاب
 مشتركون) أى كما كانوا مشتركين في الغواية (أنا) أى بما لنا من العظمة والقدرة (كذلك)
 أى كما نفعل بهؤلاء (نفعل بالآخرين) غير هؤلاء أى نعذبهم التابع منهم والمتبوع ثم وصفهم
 الله تعالى بقوله (أنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله الا الله يستكبرون) أى يتكبرون عن كلمة
 التوحيد أو عن يدعوهم إليها (ويقولون أنا) فى الهمزتين مامر (لنا ركو الهنا الشاعر
 مجنون) يعنون محمدا صلى الله عليه وسلم ثم إن الله تعالى كذبهم في ذلك الكلام بقوله تعالى
 (بل جاء بالحق) أى الدين الحق (وصدق المرسلين) أى صدقهم في مجيئهم بالتوحيد فأتى
 بما أتى به المرسلون من قبله ثم التفت من الغيبة إلى الحضور فقال تعالى (أنكم لذا نقول العذاب
 الاليم) ثم كانه قيل كيف يليق بالرحيم الكريم المتعالى الغنى عن الضر والنفع أن يعذب
 عباده فأجاب بقوله تعالى (وما تجزون الا ما كنتم تعملون) أى جزاء عملكم وقوله تعالى
 (الاعباد لله المخلصين) أى المؤمنين استئناء منقطع وقرأ نافع والكوفيون بفتح اللام بعد
 الخاء أى ان الله تعالى أخلصهم واصطنعناهم بفضله والباقيون بالكسر أى أنهم أخلصوا الطاعة
 لله تعالى وقوله (أولئك لهم) أى فى الجنة (رزق معلوم) أى بكرة وعشاء بيان لما لهم
 وان لم يكن ثم بكرة ولا عشاء فيكون المراد منه معلوم الوقت وهو مقدار غدوة أو عشاء وقيل
 معلوم الصفة أى مخصوص بصفات من طيب طعم ولذة وحسن منظر وقيل معناه أنهم يتيقنون
 دوامه لا كرزق الدنيا الذى لا يعلم متى يحصل ومتى ينقطع وقيل معلوم القدر الذى يستحقونه
 بأعمالهم من ثواب الله تعالى وقوله (فواكه) يجوز أن يكون بدلا من رزق وأن يكون خبر
 مبتدأ مضمرا أى ذلك الرزق فواكه وفى الفواكه جمع فاكهة قولان أحدهما أنها عبارة عما
 يؤكل للتلذذ للعاجزة وأرزاق أهل الجنة كلها فواكه لانهم مستغنون عن حفظ الصحة
 بالاقوات فان أجسامهم محكمة مخلوقة لا يذوق كل ما يأكونه فعلى سبيل التلذذ والثاني أن
 المقصود بذكر الفاكهة التنبيه بالادنى على الأعلى أى لما كانت الفاكهة حاضرة أبدا كان
 المأكول للغذاء أولى بالحضور (وهم مكرمون) أى فى يله يصل اليهم من غير تعب وسؤال
 لا كما عليه رزق الدنيا ولما ذكروا كرمهم ذكر مسكنهم بقوله تعالى (فى جنات النعيم) أى
 فى جنات ليس فيها الا النعيم وهو متعلق بمكرمون وخبر ثان لا أولئك أو حال من المستمكن
 فى مكرمون وقوله تعالى (على سرر متقابلين) أى لا يرى بعضهم قضا بعض حال ويجوز أن
 يتعلق على سرر بمتقابلين * ولما ذكر سبحانه وتعالى الماء كل والماء سكن ذكر بعد ذلك صفة

المشرب بقوله تعالى (يطاف عليهم) أى على كل منهم (بكأس) أى بانه فيه خمر فهو اسم
للانه بشرابه فلا يكون كأس حتى يكون فيه شراب والافهوا فانه قيل المراد بالكأس الخمر
كقول الشاعر

وكأس شربت على لذة * وأخرى تدأويت منهاها

أى رب كأس شربت لطلب اللذة وكأس شربت للتداوى من خمارها والكأس مؤنثة كما قاله
الجوهري وقوله تعالى (من معين) أى من شراب معين أو من نهر معين مأخوذ من عين الماء
أى يخرج من العين كما يخرج الماء ويسمى عينا لظهوره يقال عان الماء اذا ظهر جارا وقوله
تعالى (بيضاء) أى أشد بياضا من اللبن قاله الحسن صفة لكأس وقال أبو حسان صفة
لكأس أو للخمر واعتراض بأن الخمر لم يذكر وأجيب عنه بأن الكأس انما سميت كأسا اذا
كان فيها الخمر وقوله تعالى (لذة) صفة أيضا وصفه بالمصدر بالمبالغة كأنه انفس اللذة
وعينها كما يقال فلان جود وكرم اذا كان المراد بالمبالغة وقال الزجاج أو على حذف المضاف
أى ذات لذة وقوله تعالى (للشاربين) أى بخلاف خمر الدنيا فانهم اكرهه عند الشرب صفة للذة
وقال الليث اللذة واللذية يجريان مجرى واحد فى النعت يقال شراب لذ ولذبة وقوله تعالى
(لا فيما غول) صفة أيضا واختلف فى الغول فقال الشعبي أى لا تعتال عقولهم فتذهب بها وقال
الكلبي معناه الاثم أى لا تاف فيها وقال قتادة وجع البطن وقال الحسن صداع وقال أهل المعانى
الغول فساد يلحق فى خفاء يقال اغتاله اغتالا اذا أفسد عليه أمره فى خفية وخمر الدنيا يحصل
منها أنواع الفساد منها السكر وذهاب العقل وجع البطن والصداع والقيء والبول
ولا يوجد شئ من ذلك فى خمر الجنة (ولاهم عنها يترفون) أى يسكرون وقرأ حمزة والكسائي
بكسر الزاى من أنرف الشارب اذا نرف عقله من السكر والباقون بفتحها من نرف الشارب
نزيفا اذا ذهب عقله أفرد بالذكر وعطفه على ما بعده لانه من عظم فساد كانه جنس
برأسه * ولما ذكر تعالى صفة مشرو بهم ذكر عقبه صفة منكوحهم بقوله تعالى (وعندهم
قاصرات الطرف) أى جاسات الاعين غاضات الجفون قصرن ابصارهن على أزواجهن
لا ينظرن الى غيرهم لحسنهم عندهن وقوله تعالى (عين) جمع عينا وهى الواسعة العين والذكر
أعين قال الزجاج كما را العين حسنها يقال رجل أعين وامرأة عينا ورجال ونساء عین (كنهن)
أى فى اللون (بيض) للنعام (مكتون) أى مستور بربشه لا يصل اليه غبار ولونه وهو البياض
فى صفرة يقال هذا أحسن ألوان النساء تكون المرأة بيضا مشربة بصفرة قال ذو الرمة فى ذلك

بيضا فى ترح صفراء فى غنيح * كأنه افضة قدمها ذهب

قال المبرد والعرب تشبه المرأة الناعمة فى بياضها وحسن لونها ببيضة النعام وقال بعضهم انما
شبهت المرأة بها فى أجزائها فان البيضة من أى جهة أنتها كانت فى رأى العين مشبهة للآخرى
وهو فى غاية المدح وقد لحظ هذا بعض الشعراء فقال

تناسبت الاعضاء فيها فلا ترى * بين اختلافها بل أتت على قدر

ويجمع البيض على ييوض قال الشاعر

بتيهام فقر والمطى كانوا * قطا الحزن قد كانت فراخا ييوضها

(فأقبل بعضهم) أى بعض أهل الجنة (على بعض يتسألون) معطوف على يطاف عليهم أى يشربون فيتحاذون على الشراب قال القائل

وما بقيت من اللذات الا * محاذة الكرام على المدام

وأنى بقوله تعالى فأقبل ماضيا لتحقيق وقوعه كقوله تعالى ونادى أصحاب الجنة ونادى أصحاب النار وقوله تعالى يتسألون حال من فاعل أقبل وتسألوا لهم عن المعارف والفضائل وما جرى لهم وعليهم في الدنيا * ولما ذكر تعالى أن أهل الجنة يتسألون عند اجتماعهم على الشراب ويتحاذون كان من جملة كلماتهم أنهم يتذكرون ما كان حصل لهم في الدنيا مما يوجب الوقوع في عذاب الله تعالى ثم أنهم يتخلصوا منه وهو ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله (قال قائل منهم) أى من أهل الجنة في الجنة في مكالمتهم (أنى كان لى قرين) أى في الدنيا ينكر البعث (يقول أمتك لمن

المصدقين) أى كان يوجي على التصديق بالبعث ويقول تعجبا (ألذامنا وكنا ترابا وعظاما) لنا لمدينون) أى مجزيون ومحاسبون من الدين بمعنى الجزاء وهذا استقهم انكار * (تنبيه) *

اختلف في ذلك القرن فقال مجاهد كان شيطانا وقيل كان من الانس وقال مقاتل كانا أخوين وقيل كانا شريكين حصل لهما ثمانية آلاف دينار فقامساها واشترى أحدهما دارا بألف دينار فأراها صاحبه وقال كيف ترى حسنها فقال ما أحسنها ثم خرج فتصدق بألف دينار وقال اللهم ان صاحبي قد ابتاع هذه الدار بألف دينار وإنى أسألك دارا من دور الجنة ثم ان صاحبه تزوج امرأة حسنة بألف دينار فتصدق صاحبه بألف دينار لاجل أن يزوجه الله تعالى من الحور العين ثم ان صاحبه اشترى بساتين بألف دينار فتصدق هذا بألف دينار ثم ان الله تعالى أعطاه ما طلبه في الجنة وقيل كان أحدهما كافرا اسمه ينطواوس والاخر مؤمنا اسمه يهودا وهما اللذان قص الله تعالى خبرهما في سورة الكهف في قوله تعالى واضرب لهم مثلا رجلين (قال) أى ذلك القائل لآخوته (هل أنتم مطلعون) أى معى الى النار لننظر حاله فيقولون لا (فاطلع) ذلك القائل من بعض كوى الجنة قال ابن عباس رضى الله عنهما ان في الجنة كوى ينظر أهلها منها الى النار (قراه) أى رأى قرينه (فى سواء الخيم) أى وسط النار وانما يسمى وسط الشيء سواء لاستواء الجوانب منه (قال) له تو يخامقهما بقوله (تالله ان كدت) أى فارتب وان محقة من النقيلة (لتردين) أى لتكنى باغوائك ابائى بانكار البعث والقيامة (ولولا نعمته ربى) أى انعمه على بالايامن والهداية والعصمة (لكنك من

المحضرين) معك فى النار * (تنبيه) * أثبت الباء بعد النون فى لتردين ورش والباقون بالخفف * ولما تم الكلام مع قرينه الذى هو فى النار عاد الى مخاطبة جلسائه من أهل الجنة وقال (أنا نحن بعيتين) وهذا عطف على محذوف أى نحن مخلدون منعمون فإنا نحن بعيتين أى من شأنه الموت وقال بعضهم ان أهل الجنة لا يعملون فى أول دخولهم الجنة أنهم لا يعملون

فاذا جى بالموت على صورة كس أملح وذبح يقول أهل الجنة للملائكة أفنا نحن بميتين فتقول
 الملائكة لا فعند ذلك يعلمون أنهم لا يموتون وعلى هذا فالكلام حصل قبل ذبح الموت وقبل ان
 الذى تكاملت سعادته اذا عظم نعيمه بها يقول ذلك على جهة التحديث بالنعمة التى أنعم الله
 تعالى بها عليه وقيل بقوله المؤمن لقرينه تو يخاله بما كان ينكره وقوله (الاموتنا الاولى)
 منصوب على المصدر والعمل فيه الوصف قبله ويكون استثناء مفرغا وقيل هو استثناء منقطع
 أى لكن الموت الاولى كانت لنا فى الدنيا وهى متناولة لما فى القبر بعد الاحياء للسؤال وهذا
 قريب فى المعنى من قوله تعالى لا يدورون فيها الموت الا الموتة الاولى (وما نحن بمعدين) هو
 استقهام تلذذ وتحديث بنعمة الله تعالى من تأييد الحياة وعدم التعذيب (ان هذا) أى الذى
 ذكر لاهل الجنة (لهو الفوز العظيم) هو قول أهل الجنة عند فرغهم من هذه المحادثات وقوله
 تعالى (لمثل هذا فليعمل العاملون) قيل انه من رتبة كلامهم وقيل انه ابتداء كلام من الله تعالى
 أى لنيل مثل هذا يجب ان يعمل العاملون للتعطو والديوية المشوبة بالآلام السريعة
 الانصرام * ولما ذكر تعالى ثواب أهل الجنة ووصفها واذكر ما لكل أهل الجنة ومشاربهم
 وقال لمثل هذا فليعمل العاملون أتبعه بقوله تعالى (أذلك) أى ائذ كور لاهل الجنة (خير زلا)
 وهو ما بعد النازل من ضيف أو غيره (أم شجرة الرقوم) أى المعدة لاهل النار زلا واتصاب زلا
 على التمييز والحال وفى ذكره دلالة على ان ما ذكر من النعيم لاهل الجنة بمنزلة ما يقدم للنازل ولهم
 ما وراء ذلك مما تنص عنه الافهام وكذلك الرقوم لاهل النار وهى اسم شجرة صغيرة الورق
 زفرة مرة تكون بهيمة ثم سميت به الشجرة الموصوفة واذ اعرف هذا فالخاصل من الرزق
 المعلوم لاهل الجنة اللذة والسرور وحاصل شجرة الرقوم الام والغم ومعلوم انه لانسبة
 لاحدهما الى الآخر فى الخيرية الا انه جاء هذا الكلام على سبيل التخيير بينهم أو لأجل
 ان المؤمنين لما اختاروا ما وصلهم الى الرزق الكريم والكافرون اختاروا ما وصلهم الى
 العذاب الاليم قيل لهم ذلك تو يخالهم على اختيارهم (آنا) أى بما لنا من العظمة
 والقدرة البالغة (جعلناها شنة) أى محنة وعذابا (للظالمين) أى الكافرين قال الكلبي
 فى الآخرة وابتلاء فى الدنيا لما عوا بانها فى النار قالوا كيف ذلك والنار تحرق الشجر ولم
 يعلموا أن من قدر على خلق يعيش فى النار ويتلذذ به فهو أقدر على خلقه الشجر فى النار وحفظه
 من الاحراق * ولما نزلت هذه الآية قال ابن الزبيرى أكثر الله فى يوتكم الرقوم فان أهل
 البين يسمون التمر والزبد الرقوم ثم أدخلهم أبوجهل بيته وقال لجارية زقينا فانتبه برزق وعمر
 وقال تزقوا فهذا ما يؤدكم به محمد وهذا عند منته وكذب فانه من العرب العرباء وهم انما
 يطلقونه على شجرة مسمومة يخرج لها لبن متى مس جسم أحد تؤرم فبات والترقم البلع الشديد
 للإشياء الكريهة وأما الربد الرطب فيسمى الوقفة قاله ابن الكلبي وأنشد
 وانى لمن سألتهم لالوقفة * وانى لمن عاديتهم مم أسود
 ثم ان الله تعالى وصف هذه الشجرة بصفتين الاولى قوله تعالى (انها شجرة تخرج فى اصل

الحليم) قال الحسن أصلها في قعر جهنم وأغصانها ترتفع الى دركاتهما الصفة الثانية قوله تعالى (طلعها) أي غيرها قال الزمخشري الطلع للخلعة فاسم شجر لما طلع من شجرة الزقوم من جملها اما السنة عارة لفظية أو معنوية قال ابن قتيبة سمى طلعاً لطلوعه كل سنة ~~فكذلك~~ قيل طلع الخل لا قول ما يخرج من ثمره ثم وصف ذلك الطلع بقوله تعالى (كانه رؤس الشياطين) وفيه وجهان أحدهما أنه حقيقة وأن رؤس الشياطين شجرة معينة بناحية اليمن وتسمى الاستن قال النابغة

تخمد عن استن سود أسافله * مثل الاماء الغواذي تحمل الحزما
وهو شجر منكر الصورة مرتسمه العرب بذلك تشبیه برؤس الشياطين في القبح ثم صار أصلاً
يشبه به وقيل الشياطين صنف من الحيات لهم اعراف قال الرازي
عن جرد تخلف حين أحلف * كمثل شيطان الحماط أعرف
وقيل شجرة يقال لها الصوم ومنه قول ساعدة بن حربة

موكل بسروق الصوم يرقها * من المعارف محفوظ الحشاووم
فعلى هذا خوطب العرب بما تعرفه وهذه الشجرة موجودة فالكلام حقيقة والثاني انه من باب
التخيل والتشبيه وذلك أن كل ما يستذكر ويستقيم في الطبع والصورة يشبه بما يتخيله الوهم
وان لم يكن براه والشياطين وان كانوا موجودين غير مرئيين للعرب الا انه خاطبهم بما القوه من
الاستعارات التخيلية وذلك كقول امرئ القيس

أيقنلى والمشرقي مضاجعي * ومسئونة زرق كتياب أعوال
ولم يرانيها بل ليست موجودة البتة قال الرازي وهذا هو الصحيح وذلك ان الناس لما اعتقدوا في
الملائكة عليهم السلام كمال الفضل في الصورة والسيرة فكما حسن تشبيه يوسف عليه السلام بالملاك
عند ارادة الكمال والفضيلة في قول النسوة ان هذا الاملاك كريم فكذلك حسن التشبيه برؤس
الشياطين في القبح وتشويه الخلقة ويؤكده ان العقلاء اذا رأوا شيئاً شديداً اضطراب منكر
الصورة قبح الخلقة قالوا انه شيطان واذا رأوا شيئاً حسناً قالوا انه ملك من الملائكة وقال ابن
عباس رضى الله عنهم اهل الشياطين بأعيانهم (فانهم) أي الكفار (لا يكون منها) أي من
الشجرة أو من طلعها (فالتون منها البطون) والملء حشو والوعاء بما لا يحتمل الزيادة عليه (فان
قيل) كيف يأكلونها مع نهاية خشونتها وتنهار مرة طعمها (أجيب) بأن المضطروب بما
استروح من الضرر بما يقارب في الضرر فاذا جوعهم الله تعالى الجوع الشديد فزعوا الى ازالة
ذلك الجوع بتناول هذا الشيء أو يقال ان الزبانية يكرهونهم على الاكل من تلك الشجرة لعذابهم
ولما ذكر الله تعالى طعامهم تلك الشناعة والكرهية وصف شرابهم بما هو أشنع منه بقوله
تعالى (ثم ان لهم عليها) أي بعد ما شعروا منها وغلهم العطش (لشوبا من حميم) أي ماء حار
يشر بونه فيحتلط بالما كول منها فيصير شوباً وعطف بثم لاحد معنيين اما لانه يؤخر ما يظنونونه
يرويه من عطشهم زيادة في عذابهم فلذلك ألقى بثم المقضية للتراخي واما لان العادة تقتضي

تراخى الشرب عن الاكل فعمل على ذلك المنوال وأما ملء البطن فيعقب الاكل فذلك عطف على ما قبله بالفاء قال الزجاج الشراب اسم عام في كل ما خلط بغيره والشوب الخلط والمزج ومنه شاب اللبن يشوبه أى خلطه ومنزجه (ثم ان مرجعهم) أى مصيرهم (لألى الجحيم) قال مقاتل أى بعد أكل الزقوم وشرب الجحيم وهذا يدل على أنهم عند شرب الجحيم لم يكونوا في الجحيم وذلك بأن يسكون الجحيم في موضع خارج عن الجحيم فهم يردون الجحيم لأجل الشرب كما ترد الابل الماء ويدل عليه قوله تعالى يطوفون بينها وبين حميم أن وقوله تعالى (انهم ألقوا) أى وجدوا (آباءهم ضالين فهم على آثامهم بهرعون) تعليل لاستحقاقهم تلك الشدائد قال الفراء الا هراع الاسراع يقال هرع وأهرع اذا استحث والمعنى انهم تبعون آباءهم في سرعة كانوا هم يزعمون الى اتباع آباءهم وفيه اشعار بأنهم بادروا الى ذلك من غير توقف على نظر وبحت ثم انه تعالى ذكر لرسوله صلى الله عليه وسلم ما يسليه في كفرهم وتكذيبهم بقوله سبحانه (ولقد فضل قبلهم) أى قبل قومك (أكثر الاولين) أى من الامم الماضية (ولقد أرسلنا فيهم منذرين) أى أنبياء انذروهم من العواقب فينبى تعالى ان ارسله الرسل قد تقدم والتكذيب لهم قد سلف فوجب أن يكون له صلى الله عليه وسلم اسوقهم حتى يصبر كما صبروا ويستقر على الدعاء الى الله تعالى وان تمردوا فليس عليه الا البلاغ وقرأ قالون وابن كثير وعاصم باظهار الدال والباقون بالادغام ثم قال تعالى (فانظر كيف كان عاقبة المذنبين) أى الكافرين كان عاقبتهم العذاب وهذا خطاب وان كان ظاهره مع النبي صلى الله عليه وسلم الا أن المقصود منه خطاب الكفار لانهم سمعوا بالاخبار ما جرى على قوم نوح وعاد وحمود وغيرهم من أنواع العذاب فان لم يعملوا ذلك فلا أقل من ظن وخوفه فيحتمل أن يكون زاجر لهم عن كفرهم وقوله تعالى (الاعباد الله المخلصين) استثناء من المذنبين استثناء مفعول لانه وعيدوهم لا يدخلون في هذا الوعيد وقيل استثناء من قوله تعالى ولقد فضل قبلهم أكثر الاولين والمراد بالخلصين الموحدون نجوا من العذاب وتقدمت القراءة في المخلصين ثم شرع تعالى في تفصيل القصص بعد اجمالها بقوله تعالى (ولقد نادانا نوح) أى نادى ربه أن ينجيه مع من نجي من الغرق بقوله رب انى مغلوب فانتصر فاجاب الله تعالى دعاءه وقوله تعالى (فلنعم المجيبون) جواب قسم مقتدر أى فوالله ومثله لعمرى لنعم السيدان وجدتما * والمخصوص بالمدح محذوف أى نحن أجبنا دعاءه وأهلكنا قومه (ونجيناهم وأهلهم من الكرب العظيم) أى من الفرق وأذى قومه وهذه الاجابة كانت من النعم العظيمة وذلك من وجوه أولها أنه تعالى عبر عن ذاته بصيغة الجمع فقال ولقد نادانا نوح قال القادر العظيم لا يليق به الا الاحسان العظيم وثانيها أنه تعالى أعاد صيغة الجمع فقال تعالى فلنعم المجيبون وفي ذلك أيضاً ما يدل على تعظيم تلك النعمة لاسيما وقد وصف الله تعالى تلك الاجابة بأنها نعمت الاجابة وثالثها أن الفاء في قوله تعالى فلنعم المجيبون تدل على أن حصول تلك الاجابة مرتب على ذلك النداء وهذا يدل على أن النداء بالاخلاص سبب لحصول الاجابة وقوله تعالى (وجعلنا ذريته هم الباقين) يفيد الحصر وذلك يدل على أن كل من سواء وسوى ذريته قد فنى

فالناس كلهم من نسله عليه السلام قال ابن عباس رضي الله عنه ذريته بنوه الثلاثة سام وحام وياث فسام أبو العرب وفارس وحام أبو السودان وياث أبو الترك والخزرج وبأجوج وبأجوج وما هنالك قال ابن عباس رضي الله عنهم ما المخرج نوح من السفينة مات كل من كان معه من الرجال والنساء الاولاد ونساءهم (وتركنا عليه في الاخرين) أي أبقيناه لئلا حسناؤك راجعا لافين بعده من الانبياء والامم الى يوم القيامة وقيل ان نصلي عليه الى يوم القيامة وقوله تعالى (سلام على نوح) مبتدأ وخبر وفيه أوجه أحدها أنه مفسر لتركا والثاني انه مفسر لفعوله أي تركنا عليه شاة وهو هذا الكلام وقيل ثم قول مقدر رأى فقلنا سلام وقيل ضمن تركنا معنى قلنا وقيل سطر تركنا على ما بعده (في العالمين) متعلق بالجوارح والجورور ومعناه الدعاء بنسب هذه التحية في الملائكة والتقليد جميعا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) لتعليل لما فعل بنوح عليه السلام من التكرمة بأنه مجازاة له أي انما خصصناه بهذه التثنية الرفيعة من جعل الدنيا ملوأة من ذريته ومن ترقية ذكره الحسن في السنة العالمين لاجل كونه محسنا وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) لتعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالته قدره واصله أمره (ثم أغرقنا الاخرين) كذا رقومه * القصة الثانية قصة ابراهيم عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وان من شيعته) أي من شايعة في الايمان وأصول الشريعة (لأبراهيم) ولا يبعد اتفاق شرعهما في القروع أو غالبا وقال الكلبي الضمير يعود على محمد صلى الله عليه وسلم أي وان من شيعته محمد صلى الله عليه وسلم لأبراهيم عليه الصلاة والسلام والشيعه قد تطلق على المتقدم كقول القائل

وما لي الا آل أحد شيعه * وما لي الا مذهب الحق مذهب

فجعل آل أحد وهم متقدمون عليه وهو تابع لهم شيعه له قاله الفراء والمعروف ان الشيعه تكون في المتأخر قالوا كان بين نوح وابراهيم نبيان هود وصالح وروى الزمخشري أنه كان بين نوح وابراهيم ألفان وستمائة وأربعون سنة وفي العامل في قوله تعالى (اذ جاء به) وجهان أحدهما اذ ذكر مقدر وهو المعروف والثاني قال الزمخشري ما في معنى الشيعه من معنى المشايعة يعني وان من شايعة على دينه وتقواه حين جاء به ورد هذا أبو حبان قال لان فيه الفصل بين العامل والمعول بأجنبي وهو لا يراهيم لانه أجنبي من شيعته ومن اذ اختلف في قوله عز وجل (بقلب سليم) فقال مقاتل والكلبي المعنى انه سليم من الشرك لانه أنكر على قومه الشرك وقال الاصوليون معناه أنه عاش ومات على طهارة القلب من كل معصية وقوله تعالى (اذ قال لآبيه وقومه) بدل من اذ الاولى أو ظرف لسليم أو لجاه وقوله تعالى لهم (ماذا) أي ما الذي (تعبدون) استفهام توبيخ وتهجين لتلك الطريقة وتبجيها وفي قوله (أنفكا آلهة دون الله تريدون) أوجه من الاعراب أحدها أنه مفعول من اجله أي أتريدون آلهة دون الله فكفا آلهة مفعول به ودون ظرف لتريدون وقد تمت معمولات الفعل اهتماما بها وحسنه كون العامل رأس فاصله وقدم المفعول من أجله على المفعول به

اهتماما له لانه مكافئ لهم بأنهم على افك وباطل وبهذا الوجه بدأ الزمخشري الثاني أن يكون
مفعولا به بتريديون ويكون آلهة بدلا منه جعلها تنس الافك مبالغة فأبدلها منه وفسرهما
واقصر على هذا ابن عطية الثالث أنه حال من فاعل تريديون أى تريديون آلهة آفكيين
أو ذوى افك واليه نحا الزمخشري واعتضه أبو حيان بأن جعل المصدر حالا لا بطرد الامع فهو
أما علمنا عالم والافك أسوأ الكذب (فما ظنكم) أى أتظنون (رب العالمين) أنه يجوز جعل
هذه الجادات مشاركة له في العبودية أو تظنون رب العالمين أنه من جنس هذه الاجسام
حتى جعلتموها مساوية له في العبودية فنبههم بذلك على أنه ليس كمثل شئ أو فما ظنكم رب
العالمين اذا قيتوه وقد عبدتم غيره أنه يترككم بلا عذاب لا وكلاوا نجما من فخرجوا الى
عبد لهم وتركوها طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فاذا رجعوا أكلوه وقالوا
للسيد ابراهيم عليه الصلاة والسلام اخرج (فنظر نظرة في النجوم) ايها الملهم أنه يعتقد
عليها فيمتبعوه (فتال انى سقيم) أى عليل وذلك انه أراد أن يكيدهم في أصنامهم ليلزمهم
الحجة في أنها غير معبودة وأراد أن يتخلف عنهم ليبقى خاليا في بيت الاصنام فيقدر على كسرها
(فان قيل) النظر في علم النجوم غير جائز فكيف قدم ابراهيم عليه السلام عليه وأيضا
لم يكن سقيما فكيف أخبرهم بخلاف حاله (أجيب) عن ذلك بأننا لا نسلم أن النظر
في علم النجوم والاستدلال بها حرام لأن من اعتقد أن الله تعالى خص كل واحد من هذه
الكواكب بطبيع وخاصة لاجلها يظهر منه أثر مخصوص فهذا العلم على هذا الوجه ليس بباطل
وأما الكذب فغير لازم لأن قوله انى سقيم على سبيل التعريض بمعنى أن الانسان لا ينقل
في أكثر أحواله عن حصول حالة مكروهة اما في بدنه واما في قلبه وكل ذلك سقم وعلى تقدير
تسليم ذلك أجيب بأوجه أحدها أن نظره في النجوم أوفى وأقات الليل والنهار وكانت تأتبه
الحجى في بعض ساعات الليل والنهار فنظر ليعرف هل هي تلك الساعة فقال انى سقيم فجعله عذرا
في تخلفه عن العبد الذى لهم فكان صادقا فيما قال لأن السقم كان يأتبه في ذلك الوقت
ثانيها أنهم كانوا أصحاب النجوم أى يعلمونها ويتوضون بها على أمورهم فلذلك نظر ابراهيم
في النجوم أى في علم النجوم كما تقول نظر فلان في الفقه أى في علم الفقه فأراد ابراهيم أن يوجههم
أنه نظر في علمهم وعرف منه ما يعرفونه حتى اذا قال لهم انى سقيم سكنوا الى قوله وأما قوله انى
سقيم فعناء سأسقم كقوله تعالى انك ميت أى ستموت فالتأنا أن نظره في النجوم هو قوله تعالى فلما
جن عليه الليل رأى كوكبا الخ الآيات فكان نظره ليعرف هذا الكواكب هل هي قديمة
أو واحدة وقوله انى سقيم أى سقيم القلب غير عارف بربى وكان ذلك قبل بلوغه رابعها قال ابن
زيد كان له نجم مخصوص وكلما طلع على صفة مخصوصة مرض ابراهيم فلهذا الاستمقراء
لماراه في تلك الحالة المخصوصة قال انى سقيم أى هذا السقم واقع لاحتمال خامسها أن قوله
انى سقيم أى مريض القلب بسبب اطباء ذلك الجمع العظيم على الكفر والشرك كقوله تعالى
لمحمد صلى الله عليه وسلم فاعلك باخع نفسك سادسها قال الرازى قال بعضهم ذلك القول من

ابراهيم عليه السلام كذبة وأوردوا فيه حديثا عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال
 ما كذب ابراهيم الا ثلاث كذبات قلت لبعضهم هذا الحديث لا ينبغي أن ينقل اذ فيه نسبة
 الكذب الى ابراهيم عليه السلام فقال ذلك الرجل فكيف نخسكم بكذب الراوى العدل
 فقلت له الما وقع التعارض بين نسبة الكذب الى الراوى وبين نسبة الكذب الى الخليل كان
 من المعلوم بالضرورة أن نسبة الكذب الى الراوى أولى ثم نقول لم لا يجوز ان يكون المراد بقوله
 فنظر نظرة في النجوم أى نجوم كلامهم ومتمفرقات أقوالهم فان الاشياء التى تحدث قطعة قطعة
 يقال انها منجمه أى مفترقة ومنه نجوم المكاتب والمعنى أنه لما سمع كلماتهم المتفرقة نظر فيها حتى
 يستخرج منها حيلة يقدر بها على اقامة عذر لنفسه فى التغلف عنهم فلم يجد عذرا أحسن من
 قوله انى سقيم والمراد أنه لا بد من أن يصير سقيما كما تقول لمن رأيته يتجهز للسفر انك مسافر
 * ولما قال انى سقيم تروا عنه كما قال تعالى (فتولوا عنه) أى الى عبيدهم (مدبرين) أى هاربين
 مخافة العدوى وتركوه وعذروا فى عدم الخروج الى عبيدهم (فراغ) أى مال فى خفية وأصله
 من روغان الثعلب وهو ترددده وعدم ثبوته مكان ولا يقال راغ حتى يكون صاحبه مخفيا
 لذهابه ومجيئه (الى الهتهم) وعندها الطعام (فقال) استهزأ بها (ألا تأكلون) أى الطعام الذى
 كان بين أيديهم فلم ينطقوا فقال استهزأ بها أيضا (مالكم لا تنطقون) فلم تجب (فراغ عليهم)
 أى مال عليهم مستخفيا وقوله تعالى (ضربا) مصدر واقع موقع الحال أى فراغ عليهم ضاربا
 أو مصدر لنعل وذلك النعل حال تقديره فراغ بضرب ضربا وقوله تعالى (بالبين) متعلق
 بضربا بان لم نجعله مؤكدا ولا فاعلامه واليمين يجوز أن يراد بها إحدى السدين وهو الظاهر
 وأن يراد بها القوة واقتصر عليه الجلال المحلى فالسباء على هذا العمل أى متلبسا بالقوة وأن
 يراد بها الخلف وفاء بقوله والله لا كيدن أصنامكم والماء على هذا السبب وعدى راغ الثانى
 بعلى لما كان مع الضرب المستولى من فوقهم الى أسفلهم بخلاف الأول فانه مع توبخ
 لهم وأتى بضرب العتلاء فى قوله تعالى عليهم ضربا على طن عبيدتها أنها كالعقلاء ثم انه عليه
 السلام تكسرها فبلغ قومهم ورائه ذلك (فأقبلوا اليه) أى الى ابراهيم بعدما رجعوا
 فرأوا أصنامهم مكسرة (يزفون) أى يسرعون المشى وقرأ حمزة بضم الماء على البناء للمفعول
 من أزفه أى يحملون على الزحف والباقون يفتحهم من زف يزف فقالوا نحن نعبدها وأنت
 تكسرها (قال) لهم توبخا (أنعبدون ما نتحنون) أى من الحجارة وغيرها أصناما (والله
 خلقكم وما تعملون) أى نخسكم ونحو تكسرها فاعبدوه وحده * (تنبيه) * دلت هذه الآية على
 مذهب الاشعرية وهو أن فعل العبد مخلوق لله عز وجل وهو الحق وذلك لأن النعوىين اتفقوا
 على أن لفظ ما بعده فى تقدير المصدر فقوله تعالى وما تعملون معناه وعملكم وعلى هذا فيصير
 معنى الآية والله خلقكم وخلق عملكم * ولما أورد عليهم الحجة القوية ولم يقدر راعى الجواب
 عدلوا الى طريقة الايداء لئلا يظهر للعامة عجزهم بأن (قالوا انبوا له نبينا) * قال ابن عباس رضى
 الله عنهم نبوا حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملؤه نارا

فطرحوه فيها وذلك هو قوله تعالى (فألقوه في الحميم) وهي النار العظيمة قال الزجاج كل نار
بعضها فوق بعض فهي حميم (فأرادوا به صيدا) أى شربا لقاته في النار لئلا يملكه (جعلناهم
الأسفلين) أى المهطورين الذين باطل كيدهم وجعلنا ذلك بهانا نيرا على علو شأنه حيث
جعلنا النار عليه بردا وسلاما خارج منها سالما (وقال انى ذاهب الى ربى) أى الى حيث
أمرنى ربى ونظيره قوله تعالى وقال انى مهاجر الى ربى أى مهاجر اليه من دار الكفر
(سـيهدين) أى الى ما فيه صلاح دينى أو الى مقصدى وهو الشأم وانما ثبت القول لسبق وعده
ولفطر طوقه أو للبناء على عادته تعالى معه ولم يكن كذلك حال موسى عليه السلام حيث قال
عسى ربى أن يهدينى سواء السبيل فلذلك ذكر بصيغة التوقع * ولما وصل الى الارض المقدسة
قال (رب هب لى من الصالحين) أى هب لى ولدا صالحا يعينى على الدعوة والطاعة ويؤنسنى فى
الغربة لأن لفظ هب غلب فى الولد وان كان قد جاء فى الاخ فى قوله تعالى وهبنا له من رحمتنا أخاه
هرون نبيا قال الله تعالى (فبشرناه بغلام حليم) أى ذى حلم كثير فى كبره غلام فى صغره
ففيه بشارة بانه ابن وانه يعيش وينتهى الى سن يوصف بالحلم وأى حلم أعظم من أنه عرض
عليه أبوه الذبح وهو مرأق فقال ستجدنى ان شاء الله من الصابرين وقيل ما وصف الله تعالى
نبيا بالحلم اعز وجوده غير ابراهيم وابنه اسمعيل عليه الصلاة والسلام وحالهما المذكورة
تشهد عليه (فلما بلغ معه السعى) أى أن يسعى معه قال ابن عباس رضى الله عنهما وقادة بلغ معه
السعى أى المشى معه الى الجبل وقال مجاهد عن ابن عباس رضى الله عنهما ما شرب حتى بلغ سعيه
بسعى ابراهيم والمعنى بلغ أن يتصرف معه وان يعينه فى عمله وقال الكلبي يعنى العمل لله تعالى
وكان له يومئذ ثلاث عشرة سنة وقيل سبع سنين * (تنبيه) * معه متعلق بحذف على سبيل
البيان كان قائلا قال مع من بلغ السعى فقبل مع أبيه ولا يجوز تعلقه ببلغ لانه يقتضى بلوغهما
مع احد السعى ولا يجوز تعلقه بالسعى لان صلة المصدر لا تتقدم عليه وقوله تعالى (قال يا بنى انى
أرى) أى رأيت (فى المنام انى أذبحك) يحتمل انه رأى ذلك وانه رأى ما هو تعبيره وقيل انه رأى
فى ليله التروية فى منامه كان قائلا يقول له ان الله تعالى يأمرك بذبح ابنك فلما أصبح تروى
فى ذلك من الصباح الى الرواح أمن الله أم من الشيطان فمن سمى يوم التروية فلما أمسى رأى
أيضا مثل ذلك فعرف أنه من الله تعالى فسمى يوم عرفته ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بخبره
فسمى يوم النحر وهذا قول أكثر المفسرين وهو يدل على أنه رأى فى المنام ما يوجب أن يذبح ابنه
فى النقطة وعلى هذا فتقدير اللفظ أرى فى المنام ما يوجب أنى أذبحك * (تنبيه) * اختلف
فى الذبح فقبل هو اسحق عليه السلام وبه قال عمرو بن عبد الله رضى الله عنهم وغيرهم
وقيل اسمعيل وبه قال ابن عباس وابن عمرو وسميع بن المسيب رضى الله عنهم وغيرهم
وهو الاظهر كما قاله البضاوى لانه الذى وهب له اثر الهجرة ولأن البشارة بالحق بعد
معطوفة على البشارة بهذا الغلام ولقوله صلى الله عليه وسلم انا ابن الذبيحين وقال له أعرابى
يا ابن الذبيحين فبسم النبي صلى الله عليه وسلم فمثل عن ذلك فقال ان عبدا المطالب لما حضر بئر

زمرم نذران سهل الله أمرها ليدبحن أحد ولده فخرج السهم على عبد الله فتمت أخواله وقالوا
 له أفدا بنك بمائة من الإبل ولذلك سئلت الإبل مائة والذبيح الثاني اسمعيل ونقل الأصمعي أنه قال
 سألت أبا عمرو بن العلاء عن الذبيح فقال يا أصمعي أين عقلك ومتى كان اسحق بمكة وإنما كان
 اسمعيل بمكة وهو الذي بنى البيت مع أبيه والمنحصر بمكة وقد وصف الله تعالى اسمعيل عليه السلام
 بالصبر دون اسحق عليه السلام في قوله تعالى واسمعيل واليسع وهذا الكفل كل من الصابرين
 وهو صبره على الذبح ووصفه أيضا بصدق الوعد فقال أنه كان صادق الوعد لانه وعد أباه من
 نفسه الصبر على الذبح فقال سيجدني أن شاء الله من الصابرين وقال تعالى فبشرناها باسحق
 ومن وراء اسحق يعقوب فكيف تقع البشارة باسحق وأنه سيولد له يعقوب ثم يؤمر بذبح اسحق
 وهو صغير قبل أن يولد له هذا يناقض البشارة المتقدمة وقال الامام أحمد بن حنبل الصحيح أن
 الذبيح اسمعيل عليه السلام وعليه جمهور العلماء من الخلف والسلف قال ابن عباس وزعت
 اليهود أنه اسحق عليه السلام وكذبت اليهود وما روى أنه صلى الله عليه وسلم سئل أي النسب
 أشرف فقال يوسف صدق الله بن يعقوب إسرائيل الله بن اسحق ذبيح الله بن إبراهيم خليل الله
 فالصحيح أنه قال يوسف بن يعقوب بن اسحق بن إبراهيم والزوائد من الراوى وما روى أن يعقوب
 كذب إلى يوسف مثل ذلك لم يثبت وقال محمد بن اسحق كان إبراهيم عليه السلام إذا زار هاجر
 واسمعيل حل على البراق فيغدو ومن الشام فيقبل بمكة ويروح من مكة فبقيت عند أهل الشام
 حتى بلغ اسمعيل معه السعي أمر في المنام أن يذبحه قال مقاتل رأى ذلك إبراهيم عليه السلام
 ثلاث ليال متتابعات فلما يقين ذلك قال لابنه (فانظر ماذا ترى) من رأى فشاوره ليأنس بالذبح
 وينقاد للأمر به قال ابن اسحق وغيره لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يا بني تخذ الحبل والمدينة
 وانطلق إلى هذا الشعب فليأخذ إبراهيم بانه في الشعب شعب شبر أخبره بما أمر (قال
 يا أبت أفعلم ما أقوم) أي ما أمرت به (سجدني أن شاء الله من الصابرين) أي على ذلك وقرأ
 يا بني خففص بفتح الباء والباقون بالكسر وقرأ أنى أرى نافع وابن كثير وأبو عمرو بفتح الياء
 والباقون بالساكون وقرأ ماذا ترى حمزة والكسائي بضم التاء وكسر الراء والباقون بفتحهما
 والحكمة في مشاورته في هذا الأمر ليطهر له صبره في طاعة الله تعالى فيكون فيه فزة عين لإبراهيم
 حيث يراه قد بلغ في الحكمة إلى هذا الحد العظيم والصبر على أشد المكاره إلى هذه الدرجة
 العالية ويحصل للإبن الثواب العظيم في الآخرة والثناء الحسن في الدنيا وقرأ يا أبت ابن عامر
 في الوصل بفتح التاء وكسر ها والباقون والتاء عوض عن ياء الإضافة ووقف عليها بالهاء ابن كثير
 وابن عامر ووقف الباقون بالتاء والرسم بالتاء وفتح ياء سجدني في الوصل نافع وسكنها الباكون
 (فلما أسلم) أي انقاد واخضع الأمر الله وقال قتادة أسلم إبراهيم ابنه وأسلم الابن نفسه (وتله
 للجهين) أي صرعه على شقه فوقع جبينه على الأرض وهو أحد جانبي الجبهة والجبهة بين الجبينين
 وشذجه على أجنبين وقياسه في القلة أجبنه كأرغفه وفي الكثرة جبين وجبنان كرغيف
 ورغف ورغفان وقيل أنه لما أراد ذبحه قال يا أبت أشدد رباطي حتى لا أضطرب فينقص

اجري واكفف عني ثيابي حتى لا يتنضح عليهما من دمي شي وثراه أي فقعرن حزنًا طويلاً واشهد
شفرتك وأسرع من السكين على حلق ليكون أهون علي - فإن الموت شديد واذا أنت أي فاقراً
عليها السلام مني وان رأيت أن ترد قميصي علي أي فافعل فانه عسى أن يكون أسلي لها عني
فقال له ابراهيم نعم العون أنت يا بني علي أمر الله تعالى ففعل ابراهيم ما أمر به ابنه ثم أقبل عليه
بقبله وقدر بطنه وهو يكي والابن يكي ثم انه وضع السكين على حلقه فلم تجل شيئاً ثم انه شخذهما
مرتين أو ثلاثاً بالجرح كل ذلك لا يستطيع ان يتطعم شيئاً قال السدي ضرب الله تعالى صفيحة من
نحاس على حلقه قال فقال الابن عند ذلك يا أبت كبتني علي وجهي ليجني فانك اذا نظرت في
وجهي رجعتي وأدركت رجعة - قول بينك وبين أمر الله وأنا لا أنظر الشفرة فأخرج ففعل ذلك
ابراهيم ووضع السكين على قفاه فانقلب السكين (ونادى نساءه أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا) أي
بالعزم والاثبات بالمقدمات ما أمكنك * (تنبيه) * في جواب لما ثلاثة أوجه أظهرها أنه
مخدوف أي ناذته الملائكة عليهم السلام أو ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما أجزهما وقد ربه بعضهم
بعد الرؤيا كان ما كان مما ينطق به الحال والوصف مما لا يدرك كنهه ونقل ابن عطية
أن التدبير فلما أسلمنا سماواته للجبين ويعزى هذا السيموي وشيخه الخليل الثاني انه وتله للجبين
والواو زائدة وهو قول الكوفيين والاختف - الثالث انه ونادى نساءه والواو زائدة أيضاً
واقصر على هذا الجلال المحلى وروى أبو هريرة عن كعب الاحبار أن ابراهيم عليه السلام
لما رأى ذبح ولده قال الشيطان لن لم أقتل آل ابراهيم عنده هذا لم أقتل أحدا منهم - ثم أبد فقتل
الشيطان في صورة رجل وأتى أم الغلام وقال هل تدرين أين يذهب ابراهيم يا برك قالت
ذهب به يحتطب من هذا الشعب قال والله ما ذهب به الا ليدبحه قالت كلا هو ارحم به وأشد
حبا له من ذلك قال انه يزعم أن الله أمره بذلك قالت فان كان ربه أمره بذلك فقد أحسن ان
يطيع ربه فخرج من عندها الشيطان ثم أدرك الابن وهو عشي على أثر أبيه فقال له يا غلام
هل تدرى أين يذهب بك أبوك قال نعمتبط لاهلنا من هذا الشعب قال والله ما يريد الا أن يذبحك
قال ولم قال زعم أن ربه أمره قال فليفعل ما أمر به ربه فسمع وطاعة فلما امتنع منه الغلام
أقبل على ابراهيم فقال له أين تريد أيها الشيخ قال أريد هذا الشعب لحاجة لي فيه قال والله اني
لارى الشيطان قد جاءك في منامك فأمرك بذبح ولدك هذا فعرفه ابراهيم فقال اليك عني
يا عبد الله فوالله لا مضى - لا أمر ربي فرجع ابليس بغضه لم يصب من ابراهيم والشيء كما أراد
الله عز وجل - وروى أبو الطفيل عن ابن عباس رضي الله عنه أن ابراهيم عليه الصلاة والسلام
لما أمر بذبح ابنه عرض له الشيطان بهذا المشعروفا بته فسبقه ابراهيم ثم ذهب الى جرة العقبة
فعرض له الشيطان فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم عرض له عند الجرة الوسطى فرماه
بسبع حصيات حتى ذهب ثم أدركه عند الجرة الكبرى فرماه بسبع حصيات حتى ذهب ثم مضى
ابراهيم لأمر الله تعالى فنودي من الجبل أن يا ابراهيم قد صدقت الرؤيا (فان قيل) لم قال تعالى
قد صدقت الرؤيا وكان قدر رأى الذبح ولم يذبح (أجيب) بأنه جعله مصداقاً لانه قد أتى بما أمكنه

والمطلوب استسلامهما لأمير الله تعالى وقد فعلا وقبل كان قد وأى في النوم معالجة الذبح ولم ير اراقه الدم وقد فعل في البقطة ما رآه في النوم ولذلك قال قد صدقت الرؤيا قال المحققون السبب في هذا التكليف كمال طاعة ابراهيم لتكليف الله تعالى فلما كفه الله تعالى به هذه التكليف الشاقة الشديدة وظهر منه كمال الطاعة والانقياد لاجرم قال الله تعالى قد صدقت الرؤيا وقوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) ابتداء اخبار من الله تعالى والمعنى انا كما عصفونا عن ذبح ولدك كذلك نجزي من احسن في طاعتنا قال مقاتل جزاه الله تعالى باحسانه في طاعته العذوة عن ذبح ابنه (ان هذا) أى الذبح المأمور به (لهو والبلاء المبين) أى الاختبار الظاهر الذى يتميز به المخلصون من غيرهم والجنة البينة الصعوبة التى لا يحتملها أصعب منها وقال مقاتل البلاء ههنا النعمة وهو ان فدى ابنه بالكبش كما قال تعالى (وفدى به) أى المأمور بذبحه وهو اسمعيل وهو الاظهر وقيل اسحق (بذبح عظيم) أى عظيم الجنة معين او عظيم القدر لان الله تعالى فدى به نبيا ابن نبي وأى تنى من نسله سيد المرسلين عليه الصلاة والسلام وهو كرش أى به جبريل عليه السلام من الجنة وهو الذى قر به هابيل فقال لابراهيم هذا فدا ولدك فاذبحه دونه فكبر ابراهيم وكبر ولده وكبر جبريل وكبر الكبش وأخذ ابراهيم الكبش واتى به المتحر من متى فذبحه قال البغوى قال أكثر المفسرين كان ذلك الذبح كبش ارعى في الجنة أربعين خريفا وقيل كان وعلا أهبط عليه من ثبير وروى أنه هرب منه عند الجرة فرماه بسبع حصيات حتى أخذه فصارت سنة * (تنبيه) * الذبح مصدر ويطلق على ما يذبح وهو المراد في هذه الآية (وتركنا عليه في الآخرة) شاء حسنا وقوله تعالى (سلام) أى منا (على ابراهيم) سبق بيانه في قصة نوح عليهما السلام (كذلك) أى كما جزى نالك (نجزي المحسنين) لانفسهم وقوله تعالى (انه من عبادنا المؤمنين) تعليل لاحسانه بالايمان اظهارا لجلالة قدره واصله أمره وقوله تعالى (وشرناه باسحق) فيه دليل على أن الذبح غيره وقدمت الإشارة الى ذلك وقوله تعالى (نبيا) حال مقدرة أى يوجد مقدرا نبوته وقوله تعالى (من الصالحين) يجوز أن يكون صفة لنبيا وأن يكون حالا من الضمير في نبيا فتكون حالا متداخلة ويجوز ان تكون حالانية ومن فسر الذبح باسحق عليه السلام جعل المقصود من البشارة نبوته وفي ذكر الصلاح بعد النبوة تعظيم لشأنه وإيماء بأنه الغاية لها التضخمها معنى الكمال والتكميل (وباركا عليه) أى على ابراهيم عليه السلام يشكر ذريته (وعلى اسحق) بأن اخرجنا من صلبه انبياء بنى اسرائيل وغيرهم كأيوب وشعيب عليهم السلام جميع الانبياء بعده من صلبه الانبياء محمد صلى الله عليه وسلم فانه من ذرية اسمعيل عليه السلام وفيه إشارة الى أنه مفرد علم فهو صلى الله عليه وسلم أفضل الانبياء عليهم الصلاة والسلام (ومن ذريتهما محسن) أى مؤمن طائع (وظالم) أى كافر وفاسق (النفه مبين) أى ظاهر ظلمه وفي ذلك تنبيه على أن الذنب لا أثر له في الهدى والضلال وأن الظلم في أعقابهم ما لا يعود عليهم بانقيصة وعيب ولا غير ذلك والله أعلم * القصة الثالثة قصة موسى وهرون عليهما السلام المذكورة في قوله تعالى (ولقد مننا على موسى وهرون)

أى أنعمنا عليهم بالنبوة وغيرهما من المنافع الدينية والدنيوية (وتجنيهاهما وقومهما) أى بنى
 اسرائيل (من الكرب) أى النعم (العظيم) أى الذى كانوا فيه من استعباد فرعون اياهم وقيل
 من الغرق والضمير فى قوله تعالى (ونصراهم) يعود على موسى وهرون وقومهما وقيل على
 الاثنين بلفظ الجمع تعظيما لقوله تعالى يا أيها النبي اذا طلقتم النساء وقول الشاعر
 فان شئت حرمت النساء سواكم (فيكونوا هم الغالبين) أى على فرعون وقومه فى كل الاحوال
 أى فى أى الامور فبظهور الحجة وأما فى آخر الامر فبالدولة والرفعة * (تنبيه) * يجوز فى هم
 أن يكون تأكيذا أن يكون بلا وان يكون فضلا وهو الاظهر (واتيناها الكتاب المستبين)
 أى المستنير البليغ البيان المشتغل على جميع العلوم المحتاج اليها فى مصالح الدين والدنيا وهو
 التوراة كما قال تعالى انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور (وهديناهما الصراط المستقيم) أى
 دللناهما على الطريق الموصل الى الحق والصواب عتلا وسعنا (وتركنا) أى أثبتنا (عليهما)
 ثناء حسنا (فى الآخرين سلام) أى مننا (على موسى وهرون انا كذلك) أى كما جزيناها
 (نجزي المؤمنين) وقوله تعالى (انهم امنوا بالموثنين) تعليل لاحسانهم بالايمان واظهار
 لجلالته وقدره واصالة امره القصة الرابعة قصة الياس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى
 (وان الياس لمن المرسلين) روى عن ابن مسعود انه قال الياس هو ادريس وهو قول عكرمة
 وقال أكثر المفسرين انه بنى من أنبياء بنى اسرائيل قال ابن عباس وهو ابن عم البيع عليهما
 السلام وقال محمد بن اسحق هو الياس بن بشير بن فحاص بن العيزار بن هرون بن عمران عليهما
 السلام * (تنبيه) * اذكر فيه شيئا من قصته عليه السلام قال علماء السير والخبار لما قبض الله
 تعالى حرقيل النبي عليه السلام عظمت الاحداث فى بنى اسرائيل وظفر فيهم الفساد والشرك
 ونصبوا الاصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله تعالى اليهم نبيا وكانت
 الانبياء من بنى اسرائيل يعفون بعد موسى عليه السلام بتجديده ما منوا من احكام التوراة وبنو
 اسرائيل كانوا متفرقين فى ارض الشام وكان سبب ذلك أن يوشع بن نون عليه السلام لما فتح
 الشام قسمها على بنى اسرائيل وأحل سبطا منها ليعليك ونواحيها وهم السبط الذين كان منهم
 الياس فبعثه الله تعالى اليهم نبيا وعليهم يومئذ ملك اسمه لاجب وكان أفضل قومه وجبرهم على
 عبادة الاصنام وكان لهم صنم طوله عشرون ذراعا وله أربعة وجوه وكان يسمى يعل وكانوا قد
 قسوا به وعظموه وجعلوا له أربع مائة سادن أى خادم وكان الشيطان يدخل فى جوف يعل ويكلم
 بشريعة الضلالة والسدنة يحفظونها عنه ويباغونها الناس وهم أهل ليعليك وكان الياس
 يدعوهم الى عبادة الله وعلمه لا يسمعون له ولا يؤمنون به الا ما كان من أمر الملك فانه آمن به
 وصدقه فكان الياس يقوم بأمره ويسدده ويرشده وكان للملك امرأة تسمى بازميل جارية
 وكان يستغفها على ملكه اذا غاب عنهم فى غزاة وغيرها وكانت تبرز للناس فتقتضى بينهم وكانت
 قتالة للانبياء ويقال انها هى التى قتلت يحيى بن زكريا عليهما السلام وكان له كاتب رجلا
 مؤمن حليم يكتم ايمانه وكان قد خلص من يدها ثلثمائة تنى كانت تريد قتلهم اذا بعث كل واحد

منهم سوى الذين قتلهم وكانت في نفسها غير محصنة وصككت قدر تزوجت سبعة من ملوك بني
اسرائيل وقتلهم كلهم بالاعتقال وكانت عمرة يقال انها ولدت سبعين ولدا وكان لاجب هذا
جاء رجل صالح يقال له مزركي وكان له جنيته يعيش منها وكانت الجنيته الى جانب قصر الملك
وامرأته وكانا يشرفان عليها يتزهران فيها وياكلان ويشربان ويقبلان فيها وكان الملك يحسن
جوارحها مزركي ويحسن اليه وامرأته ازميل تحسده لاجل تلك الجنيته وتحتال ان
تغصبها منه لما تسمع الناس يكثرون ذكرها ويتعجبون من حسنها وتحتال أن تقتله والمك ينهها
عن ذلك فلا تجد عليه سبيلا ثم انه اتفق خروج الملك الى مكان بعيد وطالت غيبته فاعتقت
امرأته ازميل ذلك فجمعت جمعا من الناس وامرهم انهم يشهدون على مزركي انه سب
زوجها لاجب فاجابوها اليه وكان في حكمهم في ذلك الزمان القتل على من سب الملك اذا قامت
عليه البينة فأحضرت مزركي وقالت له بلغني أنك شئت الملك فأنتكروا فأحضرت اليهود
فشهدوا عليه بالزور فأمرت بقتله وأخذت جنيته فلما قدم الملك من سفره أخبرته الخبر
فقال لها ما أصبت ولا أبدأ فلحق بعده فقد جاء زمان فأحسن جوارحه وكف عنا عنه الاذى
لوجوب حبه علينا فغتمت أمره بأسوأ الجوارح قالت انما غضبت لك وحكمت بحكمك
فقال لها وما كان يسعه حلك فحفظت جوارحه قالت قد كان ما كان فبعث الله الياس الى
لاجب الملك وأمره الله أن يخبرهم أن الله تعالى قد غضب عليهم لوليه حين قتلوه ظلما وآلى على
نفسه أنهم ما ان لم يوباعن ضيعهما ويردوا الجنيته على ورثة مزركي أن يهلكهما يعني
لاجب وامرأته في جوف الجنيته ثم يضعهما جنتين ملقين فيها حتى تتفرق عظامهما
من لحومهما ولا يبتعثا بها الا قليلا فجاء الياس فأخبر الملك بما أوحى الله في أمره وأمر امرأته
والجنيته فلما سمع الملك ذلك استغضب عليه وقال يا الياس والله ما أرى ما ندعونا اليه الا
باطلا وهم بعد يسيرون وقته فلما أحس الياس بالنشر رفضه وخرج عنه هاربا ورجع الملك الى
عبادة بعل وارثي الياس الى أصعب جبل وأشجوه فدخل مغارة فيه ويقال انه بقي سبع
سنين شريدا خائفا بأوى الشعوب والكهوف يأكل من نبات الارض وغمار الشجر وهم في
طلبه قد وضعوا العيون عليه والله تعالى يسترهم منهم فلما طال الامر على الياس وطال عصيان
قومه وضاق بذلك ذرعا أوحى الله تعالى اليه بعد سبع سنين يا الياس ما هذا الخوف الذي أنت
فيه ألسنت أمي على وحيي وحقي في أرضي وصنوني من خلقي فسلمني أعطيك فاني
ذو الرحمة الواسعة والفضل العظيم قال تمتني فلتطقي بأبائي فاني قد مللت بني اسرائيل
وملوني فأوحى الله تعالى اليه يا الياس ما هذا اليوم الذي أعزى منك الارض واهلها
وانغلقوا مهمامهم وصلحهم منك وأشباهك وان كنتم قليلا ولكن سلني فأعطيك قال الياس ان لم
تمتنني فأعطني ثأري من بني اسرائيل قال الله تعالى وأي شيء تريد ان أعطيك قال تمكثني من
خزائن السماء سبع سنين فلا تنشي بحياة عليهم الابد عوفي ولا تعطر عليهم سبع سنين قطرة
الابسة فاعني فانهم لا يدركهم الا ذلك قال الله تعالى يا الياس انا أرحم بخلقى من ذلك وان كنوا

ظالمين قال فست سنين قال أنا أرجم بخلق من ذلك قال نعمس سنين قال أنا أرجم بخلق من ذلك ولكن أعطيك ثأرك ثلاث سنين أجعل خزان المطر يمد لك قال فباي شيء أعيش قال أسخر لك جنسا من الطير ينقل اليك طعامك وشربك من الريف ومن الارض التي لم تقطع قال الياس قد رضيت فأمسك الله تعالى عنهم المطر حتى هلكت المشية والهوام والشجر وجهد الناس جهدا عظيما والياس على حالته مستخف من قومه بوضع له الرزق حيثما كان وقد عرف ذلك قومه قال ابن عباس أصاب بنى اسرائيل ثلاث سنين القحط فزال الياس بعجز فقال لها هل عندكم طعام قالت نعم شيء من دقيق وزيت قليل فدعاهم ماود عافيه بالبركة حتى ملأ خوايهاد قيقا وخوايهاد زيتا فلما رأوا ذلك عندها قالوا الهامن أين لك هذا قالت مرتب رجل من حاله هكذا وكذا ثم وصفته بصفته فعرفوه وقالوا ذلك الياس فطلبوه فوجدوه فهرب منهم ثم انه اوى الى بيت امرأته من بنى اسرائيل لها ابن يقال له اليسع بن الخطوب به مرض فآوته وأخفت أمره فدعاه فعوفى من الضر الذي كان به واتبع الياس وأمن به وصدقته ولزمه وكان يذهب حينما ذهب وكان الياس قد كبر سنه واليسع غلام شاب ثم ان الله تعالى أوحى الى الياس انك قد أهلك كثيرا من الخلق ممن لم يعص من البهائم والطير والهوام بحبس المطر فقال الياس يارب دعنى أنا الذى اكون أدعولهم وآتينهم بالفرج مما هم فيه من البلاء لعلمهم ان يرجعوا عما هم عليه من عبادة غيرك فقيل له نعم فجاء الياس الى بنى اسرائيل فقال انهم قد هلكتم جوعا وجهدا وقد هلكت البهائم والهوام والشجر بخطاياكم وانكم على باطل فان كنتم تحبون أن تعلموا ذلك فخرجوا بأصنامكم فان استجاب لكم فذلك كما تقولون وان هى لم تفعل علمت أنكم على باطل ففرغتم ودعوتهم الله سبحانه وتعالى ففرج عنهم ما أنتم فيه من البلاء قالوا أنصفت فخرجوا بأوثانهم فدعوا فلم تفرج عنهم ما كانوا فيه من البلاء ثم قالوا لا الياس انافدها كذا فادع الله لنا فدعاهم الياس ومعه اليسع بالفرج فخرجت سحابة مثل الترس على ظهور الجرحى ينظرون فأقبلت فحوهم وطبقت الافاق ثم أرسل الله تعالى عليهم المطر فأنعشهم وحييت بلادهم فلما كشف الله تعالى عنهم المطر لم ينزعوا عن كفرهم وأقاموا على أخذ ما كانوا عليه فلما رأى ذلك الياس دعا ربه أن يرجمه منهم فقيل له انظر يوم كذا وكذا فاخرج فيه الى موضع كذا فاجال من شئ فأركبه ولاتهم به فخرج الياس ومعه اليسع حتى اذا كانا بالموضع الذى أمر به أقبل فرس من فاروقيل لونه كالون النار حتى وقف بين يديه فوثب عليه الياس وانطلق به الفرس وناداه اليسع يا الياس ما تأمرنى فقدذف اليه بكسائه من الجوا الاعلى فكان ذلك علامة استخلافه اياه على بنى اسرائيل وكان ذلك آخر عهده به ورفع الله تعالى الياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والمشرب وكساه الريش فكان انسيا ملكا أرضيا ساويا واصلط الله تعالى على لاجب الملك وقومه عدوا لهم قصدهم من حيث لم يشعروا به حتى أرقهم فقتل لاجب وامرأته ازميل في بستان من دكى فلم تزل جنة تامها مفايق في تلك الجنة حتى بليت لحومهما ودمت عظامهما ونبأ الله تعالى اليسع وبعثه رسولا الى

بن اسرائيل فأتى الله تعالى اليه وأيده فأمنت به بنو اسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى
 فيهم قائم الى ان فارقههم اليسع روى السري بن يحيى عن عبد العزيز بن أبي رواد قال الياس
 والخضر يصومان رمضان بيت المقدس ويوافيان موسم الحج في كل عام وقبل ان الياس
 موكل بالقباني والخضر موكل بالبحار فذلك قوله تعالى وان الياس لمن المرسلين (اذ) أى اذكر
 يا أفضل الخلق اذ (قال لقومه الاتمتون) أى ألا تخافون الله ولما خوفهم على سبيل
 الاجال ذكر ما هو السبب لذلك التخويف بقوله تعالى (أتدعون بعلا) اسم لصنم لهم
 من ذهب وبه سميت البلدا ايضا مضافا الى بك أى أتعبونه أو تطلبون الخير منه وقيل البعل الرب
 بلغة الين سمع ابن عباس رجلا منهم يشذ ضالة فتسال آخرانا بعلها فقتل الله اكبر وتلا الآية
 ويقال من بعل هذه الدار أى من ربه واسمى الزوج بعلا لهذا المعنى قال الله تعالى ويعولن
 أحق برذهن وقالت امرأة ابراهيم وهذا بعل شيخا والمعنى أتدعون بعض البعول (وتذرون)
 أى وتتركون (أحسن الخالقين) فلا تعبدونه وقرأ ابن ذكوان بهزمة الوصل من الياس فى
 الوصل فان ابتدأها ابتدأ بفحها والباقون بهزمة مكسورة وصلا وابتداء وقوله تعالى
 (الله ربكم ورب آبائكم الاولين) قرأه حفص وحزرة والسكانى ينصب الهاء من الاسم
 الكريم ونصب الباء الموحدة من ربكم ورب وذلك اما على المدح أو البذل أو اللسان ان قلنا
 ان اضافة افعل اضافة محضة والباقون بالرفع فى الثلاثة وذلك اما على خبر مبتدأ مضمرة أى
 هو الله وعلى أن الجلالة مبتدأ ومابعد الخبر (فكذبوه فانهم لمحضرون) أى فى العذاب
 وانما أطلقه اكفاء بالقرينة أولان الاحضار المطلق مخصوص بالشعر عفا وقوله تعالى (الاعباد
 الله المخلصين) أى المؤمنين مستثنى من فاعل فكذبوه وفيه دلالة على أن فى قومه من
 لم يكذب فذلك استثنوا ولا يجوز أن يكونوا مستثنين من ضمير لمحضرون لفساد المعنى لانه
 يلزم ان يكونوا منذرجين فيمن كذب لكنهم لم يحضروا لكونهم عباد الله المخلصين وهو بين
 الفساد لا يقال هو مستثنى منه استثناء منقطع لانه يصير المعنى لكن عباد الله المخلصين من غير
 هؤلاء لم يحضروا ولا حاجة الى هذا اذ به يفسد نظم الكلام وتقدم الكلام على قراءة المخلصين
 فى أول السورة (وتركنا عليه فى الآخرين) ثناء حسنا (سلام) أى منا وقوله تعالى (على الياسين)
 قرأه نافع وابن عامر بفتح الهـ مزنة مدودة وكسر اللام وقطعها عن الياء كما رسمت أى أهله
 والمراد به الياس والباقون بكسر الهمزة وسكون اللام وهى مقطوعة عن الياء قيل هو الياس
 المتقدم وقيل هو موسى آمن معه فجمعه وامعه تغليباً كقولهم للمهلب وقومه المهلبون وقيل هو
 محمد صلى الله عليه وسلم أو اقران أو غيره من كتب الله تعالى قال البيضاوى والكل لا يناسب قلم
 سائر القصص ولا قوله تعالى (انا كذلك نجزي المحسنين) أى كما جزينا (انه من عبادنا
 المؤمنين) اذ الظاهر ان الضمير للياس القصة الخامسة قصة لوط عليه السلام المذكورة فى
 قوله تعالى (وان لوطا لمن المرسلين اذ) أى واذا كراذ (نجيناه وأهله أجمعين الاجموزافى
 الغابرين) أى الباقين فى العذاب (ثم قترنا) أى أهلكنا (الآخرين) أى كفار قومه

(وانكم) يا أهل مكة (لتزورن عليهم مصحين) أى على منازلهم فى متاجرهم الى الشام فان
سدم فى طريقه وقوله تعالى (وبالليل) عطف على الحال قبلها أى ملتبس بالليل والمعنى
ان أولئك القوم كانوا يسافرون الى الشام والمسافر فى أكثر الامور انما يئسنى فى أول الليل وفى
أول النهار لهذا السبب عبر الله تعالى عن هذين الوقتين ثم قال تعالى (أفلا تعقلون) أى أليس
فيكم عتق يا أهل مكة فتنظروا ما حل بهم فتمتبروا * القصة السادسة وهى آخر القصص قصة
يونس عليه السلام المذكورة فى قوله تعالى (وان يونس لمن المرسلين) وقوله تعالى (اذأبى)
طرف لمرسلين أى هو من المرسلين حتى فى هذه الحالة وأبى أى هرب وأصله الهرب من السيد
لكن لما كان هربه من قومه بغیر اذن ربه حسن اطلاقه عليه (الى القلک المشحون) أى
السفينة المملوءة قال ابن عباس رضى الله عنهما ووهب كان يونس وعد قومه العذاب فتأخر
عنهم فخرج كالمتشور منهم فقصده البحر فركب السفينة فقال الملاحون ههنا عبد أبى من سيده
فاقتربوا فوقع القرعة على يونس فقال يونس أنا لا أبى فخرج نفسه فى البحر وروى فى القصة
أنه لما وصل الى البحر كانت معه امرأته وابنان له فجاءه مركب وأراد أن يركب معهم فتقدم
امرأته لركب بعده فخال الموح بينه وبين المركب ومز المركب ثم جاءت موجة أخرى فأخذت
ابنه الاكبر وجاءت فأتته فأخذت ابنة الاصغر فبقيت فريدات فجاءت مركب أخرى فركبها وقعدت ناحية
من القوم فلما جرت السفينة فى البحر ركبت فقال الملاحون ان فيكم عاصيا والام يحصل
وقوف السفينة كما نراه من غير ريح ولا سبب ظاهر فاقتربوا فن خرجت القرعة على سهمه
فغرقه فان غرق من غرق الكل فاقتربوا فخرجت القرعة على يونس فذلك قوله
تعالى (فساهم) أى فارع أهل السفينة (فكان من المدحضين) أى المغلوبين بالقرعة فألقوه
فى البحر (فالتقمه) ابتلعه (الحوت وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من ذهابه الى البحر وركوبه
السفينة بلا اذن من ربه وقيل ملیم نفسه (فلولا أنه كان من المسبحين) أى الذاكرين قبل
ذلك وكان عليه السلام كثير الذكر وقال ابن عباس رضى الله عنهما من المصلين وقال وهب
من العابدين وقال الحسن ما كان له صلاة فى بطن الحوت ولكنه قدم عملا صالحا قال الضحاك
شكر الله تعالى له طاعته القديعة اذ كراه الله فى الرخا يذكرك فى الشدة فان يونس كان عبدا
صالحا اذ كراه الله تعالى فلما وقع فى الشدة فى بطن الحوت شكر الله تعالى له ذلك وقال سعيد بن
جبير يعنى قوله لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين (للبث فى بطنه الى يوم يعثون)
أى صار بطن الحوت له قبرا الى يوم القيامة وهو حى أوميت وفى ذلك حث على كثرة الذكر
وتعظيم شأنه ومن أقبل عليه فى السراء أخذ يده فى الضراء (فتبذله) أى القيناه من بطن
الحوت فأضاف التبذ الى نفسه سبحانه مع أن التبذ انما حصل بفعل الحوت فهو يدل على أن
فعل العبد مخلوق لله تعالى (بالعراء) أى بوجه الارض وقال السدى بالساحل والعراء
الارض الخالية من الشجر والنبات روى ان الحوت سار مع السفينة رافعا رأسه بنفسه
فيه يونس ويسبح الله تعالى حتى انتهى الى الارض فلقطه * (تنبيه) * اختلفوا فى مدة

لبنة في بطن الحوت فقال الحسن لم يلبث الا قليلا ثم أخرج من بطن الحوت وقال بعضهم التقمه
بكرة واظفه عشية وقال مقاتل بن حبان ثلاثة أيام وقال عطاء سبعة أيام وقال الضمالة عشرين
يوما وقيل شهر وقيل أربعين يوما قال الرازي ولا أدري بأي دليل عني وهذه المقادير
وروي أبو بردة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال سمع يونس في بطن الحوت فسمع الملائكة
تسبحه فقالوا ربنا اننا نسمع صوتا عبقيا بأرض غريبة فقال تعالى ذلك عبد يونس عصاني
فحبسته في بطن الحوت في البحر قالوا العبد الصالح الذي كان يصعد اليك منه في كل يوم وليلة
عمل صالح قال نعم فشفعوا له فأمر الحوت ففدقه بالساحل * وروي أن يونس عليه السلام لما
ابتلعه الحوت ابتلع الحوت حوت آخر أكبر منه فلما استقر في جوف الحوت حسب انه قدمات
فخرتك جوارحه فتمزكت فاذا هو حي فخر الله تعالى ساجدا وقال يارب اتخذت لي مسجدا
لم يعبدك أحد في مثله (وهو سقيم) أي عليل كالفرخ المعبوط (وأبتنا عليه) أي له وقيل عنده
(شجرة من يقطين) قال المبرد والزجاج اليقطين كل مالم يكن له ساق من عود كالقنأ والقرع
والبطيخ والمخضطل وهو قول الحسن ومقاتل قال البغوي المراد هنا القرع على قول جميع
المفسرين وروي الشراء انه قيل عند ابن عباس هو ورق القرع فقال ومن جعل القرع من
بين الشجر يقطينا كل ورقة انشقت وشربت فهو يقطين (فان قيل) الشجر ماله ساق واليقطين
عملا ساق له كما قال تعالى والتجيم والشجر بسجدان (أجيب) بأن الله تعالى جعل لها ساقا على
خلاف العادة في القرع معجزة له عليه السلام ولو كان منبسطا على الأرض لم يمكن أن يستظل به
قال مقاتل بن حبان كان يونس عليه السلام يستظل بالشجرة وكانت وعلة تختلف اليه فيشرب من
لبنها بكرة وعشيا حتى اشتد لجه وبت شعره * وروي أن يونس عليه السلام كان يسكن مع قومه
فلسطين فغزاهم ملك وسي منهم تسعة أسباط ونصفا وبقى سبطان ونصف وكان قد أوحى الله تعالى
الى بنى اسرائيل اذا أسركم عدوكم أو أصابتكم مصيبة فادعوني أستجب لكم فلما نسوا ذلك وأسروا
أوحى الله تعالى بعد حين الى نبي من أنبيائهم أن اذهب الى ملك هؤلاء الاقوام وقل له يبعث الى بنى
اسرائيل نبيا فاختار من بنى اسرائيل يونس عليه السلام لقوته وامانة فقال يونس الله أمرك
بهذا قال لا ولكن أمرت أن أبعث قويا آمينا وأنت كذلك فقال يونس في بنى اسرائيل من هو أقوى
منى فلم تبعثه فأخ الملك عليه فغضب يونس منه وخرج حتى أتى بحر الروم فوجد سفينة مشحونة
بخلوه فيها فلما أشرف على لجة البحر أشرفوا على الغرق فقال الملا حون ان فيكم عاصيا والام
يحصّل في السفينة ما نراه فقال التجار قد جرى بنا مل هذا فاذا رأينا نيه نفترع فن خرجت عليه
نغرقه في البحر فلان يفرق واحد خيم من غرق الكل فخرج من بينهم يونس فقال يا هؤلاء أنا
العاصي وتلف في كسائه ورحى بنفسه فالتقمه الحوت وأوحى الله تعالى الى الحوت لا تكسر
منه عظما ولا تقطع منه وصلا ثم ان الحوت خرج الى نيل مصر ثم الى بحر فارس ثم الى البطائح ثم
الى دجلة وصعد به وروا في أرض نصيبين بالعراق وهو كالفرخ المستوف لا شعر ولا لحم فأبنت الله
تعالى عليه شجرة من يقطين فكان يستظل بها وياكل من ثمرها حتى اشتد ثم ان الأرض أكلتها

فخر بنونس لذلك حزننا شديدا فقال يا رب كنت أستظل تحت هذه الشجرة من الشمس والريح
 وأمض من غمها وقد سقطت فقال يا بنونس تحزن على شجرة أبتت في ساعة ولا تحزن على مائة
 ألف أو يزيدون تركتهم فانطلق اليهم فانطلق اليهم وذلك قوله تعالى (وأرسلناه) أى بعد ذلك
 كقبله الى قومه بنينوى من أرض الموصل (الى مائة ألف أو يزيدون) قال ابن عباس ان أوعى
 الواو وقال مقاتل والكلبي بمعنى بل وقال الزجاج على الاصل بالنسبة للخطاطبين * واختلفوا
 في مبلغ الزيادة فقال ابن عباس ومقاتل كانوا عشرين ألفا ورواه أبي بن كعب عن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم وقال الحسن بضعا وثلاثين ألفا وقال سعيد بن جبيرة سبعين ألفا (فأمضوا) أى
 الذين أرسل اليهم عند معاناة العذاب الموعودين به (فقتلناهم) أى أبقيناهم بما لهم (الى حين)
 أى الى انقضاء آجالهم * (تنبيه) * قال البيضاوى ولعله انما لم يختم قصته وقصة لوط عليه ما السلام
 بما ختم به سائر القصص بفرقة بينهم وبين أرباب الشعائر الكثيرة وأولى العزم من الرسل
 واكتفاء بالسلام الشامل لكل الرسل المذكورين في آخر السورة وقوله تعالى لنبيه محمد صلى
 الله عليه وسلم (فاستقم) أى استخبر كفار مكة فوبخهم (الربك البنايت ولهم البنون) قال
 الزمخشري معطوف على مثله في أول السورة قال أبو حيان واذا كانوا قد عدوا الفصل بجملة
 نحو كل لما ضرب زيد او خبز من أقيح الترا كيب فكيف يحمل كثيرة وقصص متباعدة
 فاجيب عنه بأن الفصل وان كثرت بين الجمل المتعاطفة معتقتر وأما المثال الذى ذكره فن قبيل
 المفردات الا ترى كيف عطف خبرا على الجاء أيضا الفاصل ليس بأجنبي كما أشار اليه البيضاوى
 بقوله أمر رسوله أولا باستفتاء قريش عن وجه انكارهم البعث وساق الكلام في تقريره
 جازا لما يلائم من القصص موصولا بعضها ببعض ثم أمره صلى الله عليه وسلم باستفتائهم عن وجه
 القصة حيث جعلوا لله البنات ولا ننسهم البنين في قولهم الملائكة بنات الله وهو لا زادوا على
 الشرك ضلالات أخر من التجسيم وتجويز البنات على الله تعالى فان الولادة مخصوصة بالاجسام
 المتكوثة الفاسدة وتفضيل أنفسهم الخسيسة عليه سبحانه حيث جعلوا وضع الجنين له وأرفعها
 لهم واستهانتهم بالملائكة حيث أثوهم ولذلك كثر الله تعالى انكاره ذلك وابطاله في كتابه العزيز
 مرارا وجعله مما تنكار السموات ينظرون منه وتنشق الارض وتخر الجبال هدا والانهكار
 ههنا مقصور على الأخيرين لاختصاص هذه الطائفة بهم ونقل الواحدى عن المفسرين انهم
 قالوا ان قريشا وأجناس العرب جهينة وبني سلمة وخزاعة وبني مليح قالوا الملائكة بنات الله
 وهذا الكلام يشغل على أمرين أحدهما اثبات البنات لله تعالى وذلك باطل لان العرب كانوا
 يستكفون من البنات والنسب الذى يستكشف منه المخلوق كيف يمكن اثباته للخالق والثانى
 اثبات أن الملائكة اناث وهذا أيضا باطل لان طريق العلم اما الحس واما الخبر واما النظر أما
 الحس ففقود لانهم لم يشاهدوا كيف خلق الله تعالى الملائكة وهو المراد من قوله تعالى (أم خلقنا
 الملائكة اناثا وهم شاهدون) واما خاص علم المشاهدة لان أمثال ذلك لا يعلم الا به فان الانوثة
 ليست من لوازم ذاتهم لتكن معرفة بالعقل الصرف مع ما فيه من الاستهزاء والاشعار بأنهم

لعرط جهلهم يشتبهون كأنهم قد شاهدوا خلقهم وأما الخيرة فقوداً أيضاً لان الخبر انما يفيد العلم اذا علم كونه صدقاً قطعاً وهو لا الذين يخبرون عن هذا الحكم كذا بوناً فاما كون لم يدل على صدقهم دليل وهذا هو المراد من قوله تعالى (ألا انهم من افكهم ليقولون ولدا لله وانهم لكاذبون) أى فبما زعموا وقوله تعالى (أصطفى البنات على البنين) استنهم انكاروا واستبعاد الاصطفاء أخذ صفوة الشيء (فائدة) همزة أصطفى همزة قطع مقسومة متطوعة وصلوا ابتداء (مالكم كيف تحكمون) هذا الحكم التاسع (أفلا تذكرون) أى انه تعالى نزه عن ذلك وقرأ جزء والكسائي وحفص بخفيف الذال والباقون بالتشديد وأما النظر فنفسود من وجهين الأول أن ليس العقل يقتضى فساد هذا المذهب لانه تعالى أكمل الموجودات والاكمل له اصطفاؤه الا بناء على البنات يعنى ان اسناد الافضل الى الافضل أقرب الى العقل من اسناد الاخر الى الافضل فن كان حكم العقل معتبراً في هذا الباب كان قولهم باطلاً الثاني أن ترك الاستدلال على فساد مذهبهم بل نطالهم بآيات الدليل الدال على صحة مذهبهم إذا لم يجدوا دليلاً يظهر بطلان مذهبهم وهذا هو المراد بقوله تعالى (أم لكم سلطان مبين) أى حجة واضحة ان الله ولداً (فأنا وبكائكم) أى التوراة فأرونى ذلك فيه (ان كنتم صادقين) أى فى قولكم هذا (وجعلوا بينه وبين الجنة نسباً) قال مجاهد وقتادة أراد بالجنة الملائكة عليهم السلام سواء اجنالا حسناتهم عن الابصار وقال ابن عباس حى من الملائكة يقال لهم الجن منهم ابليس لعنه الله وقيل هم خزان الجنة قال الرازى وهذا القول عندى مشكل لانه تعالى أبطل قولهم الملائكة بنات الله ثم عطف عليه قوله تعالى وجعلوا الخ والعطف يقتضى المغايرة فوجب أن يكون المراد من الآية غير ما تقدم وقال مجاهد قال كفار قريش الملائكة بنات الله فقال لهم أبو بكر الصديق رضى الله تعالى عنه متكرراً عليهم فمن أمهاتهم قالوا سروات الجن وهذا أيضاً بعيد لان المصاهرة لا تسمى نسباً قال الرازى وقدرونا فى تفسير قوله تعالى وجعلوا لله شركاء الجن أن قوم من الزنادقة يقولون ان الله تعالى وابليس اخوان فأن الله تعالى هو الخبز الكريم وابليس هو الاخ الشرير فالمراد من ذلك هو هذا المذهب وهو مذهب الجوس قال وهذا القول عندى هو أقرب الاقوال فى الرد عليهم هذه الآية (ولقد علمت الجنة انهم) أى اهل هذا القول (محضرون) أى الى النار ومعذبون وقيل المراد ولقد علمت الجنة انهم محضرون العذاب فعلى الأول الضمير عائذ الى القائل وعلى الثاني عائذ الى نفس الجنة * ثم انه تعالى نزه نفسه عما قالوه من الكذب فقال تعالى (سبحان الله عما يصفون) بأن لله تعالى ولداً ونسباً وقوله تعالى (الاعباد لله المخلصين) أى المؤمنين استثناء منقطع ٣ أى لكن عباد الله المخلصين يزهون الله تعالى عما يصف هؤلاء الثالث انه ضمير محضرون أى لكن عباد الله تعالى ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسبيح معترضة وظاهر كلام أى البناء أنه يجوز أن يكون استثناء متصل لانه قال مستثنى من واو جعلوا أو محضرون ويجوز أن يكون منفصلاً فظاهر هذه العبارة أن الوجهين الأولين هوفيهما متصل لا منفصل وليس يعيد كانه قبل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسباً فهو عند الله محض من المثل ١٥

٣ قوله استثناء منقطع الخ هكذا فى النسخ وهى عبارة غير محذرة وأصلها كما فى الجبل وفى السمين قوله الاعباد الله المخلصين فى هذا الاستثناء وجود أحدها انه منقطع والمستثنى منه اما فاعل جعلوا أى جعلوا بينه وبين الجنة نسباً الا عباد الله الثانى انه فاعل يصنون أى لكن عباد الله يصفونه بما يليق به تعالى الثالث انه ضمير محضرون أى لكن عباد الله ناجون وعلى هذا فتكون جملة التسبيح معترضة وظاهر كلام أى البناء انه يجوز أن يكون استثناء متصل لانه قال مستثنى من واو جعلوا أو محضرون ويجوز أن يكون منفصلاً فظاهر هذه العبارة أن الوجهين الأولين هوفيهما متصل لا منفصل وليس يعيد كانه قبل وجعل الناس ثم استثنى منهم هؤلاء وكل من لم يجعل بين الله وبين الجنة نسباً فهو عند الله محض من المثل ١٥

نسباً فهو عند الله مخلص من الشرك وقوله تعالى (فأنكم) أي يا أهل مكة (وما عبدون) أي من الأصنام عود إلى خطابهم لأنه لما ذكر الدلائل الدالة على فساد مذاهب الكفار اتبعه بما ينبيه به على أن هؤلاء الكفار لا يقدرّون على اضلال أحد الا اذا كان قد سبق حكم الله تعالى في حقه بالعذاب والوقوع في النار كما قال تعالى (ما أنتم عليه) أي على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بفانين) أي بضمين أحد من الناس (الامن هو صال الحليم) أي الامن سبق له في علم الله تعالى الشقاوة * (تنبيه) * احتج أهل السمة بهذه الآية على أنه لا تأثر لاجتماع الشيطان وسوسسته وانما المؤثر هو الله حيث قضاه وقدره ثم أن جبريل عليه السلام أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بأن الملائكة ليسوا بعبودين كما زعمت الكفار بقوله (وما منّا) أي معشر الملائكة ملك (الاله مقام معلوم) في السموات بعد الله تعالى فيه لا يتجاوزة قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ما في السموات موضع شبرا لا وعليه ملك يصلي ويسبح وروى أبو ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أظت السماء وحق لها أن تظط والذي نفسي بيده ما فيها موضع أربع أصابع الا وملك واضع جبهته لله سجدا قيل الا طيط أصوات الاقتاب وقيل أصوات الابل وحسما ومعنى الحديث ما في السماء من الملائكة قد أنقلها حتى أظت وهذا مثل وايدان بكثرة الملائكة عليهم السلام وان لم يكن ثم أطيظ وقال السدي الاله مقام معلوم في القرب والمشاودة (وانالحن الصافون) أي أقدامنا في الصلاة وقال الكبي صفوف الملائكة في السماء كصفوف الناس في الارض (وانالحن المسجون) أي المتزهون الله تعالى عما يلبق به وقيل هذا حكاية كلام النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين والمعنى وما ضا الاله مقام معلوم في الجنة أو بين يدي الله تعالى في القيامة وانالحن الصافون في الصلاة والمتزهون له تعالى عن السوء ثم انه تعالى أعاد الكلام الى الاخبار عن المشركين فقال (وان كانوا) أي كفار مكة وان مخنفة من النقلة (ليقولون لو أن عندنا ذكرا) أي كآبا (من الاولين) أي من كذب الامم الماضية (ليكنا عباد الله المخلصين) أي لا نخلصنا العبادة له وما كذبنا ثم جاءهم الذكر الذي هو سيد الاذكار والمهين عليها وهو القرآن العظيم (فمكفروا به فسوف يعلمون) عاقبة هذا الكفر وهذا تهديد عظيم * ولما هددهم بذلك أرفده بما يقوى قلب النبي صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ولقد سبقتكمنا) أي بالنصر (لعبادنا المرسلين) وهي قوله تعالى لا تغلبن أنا ورسلي أو هي قوله تعالى (انهم لهم المنصورون وان جندنا) أي المؤمنين (لهم الغالبون) أي الكفار والنصرة والغلبة قد تكون بالجنة وقد تكون بالدولة والاستيلاء وقد تكون بالدوام والنيات فالمرء وان صار مغلوبا في بعض الاوقات بسبب ضعف أحوال الدنيا فهو الغالب في الآخرة فالحكم في ذلك للاغلب في الدنيا فلا ينافي ذلك قتل بعض الانبياء عليهم السلام وهزم كثير من المؤمنين وانما سمي ذلك كلمة وهي كلمات لاتظامها في معنى واحد (فتول عنهم) أي أعرض عن كفار مكة واختلف في قوله تعالى (حتى حين) فقال ابن عباس يعني الموت وقال مجاهد يوم بدر وقال السدي حتى بأمره الله تعالى بالقتال وقيل الى أن يأتيهم عذاب الله وقيل الى فتح مكة وقال

مقاتل بن حبان نسختها آية القتال (وابصرهم) أى اذ انزل بهم العذاب من القتل والاسر
 فى الدنيا والعذاب فى الآخرة (فسوف يبصرون) أى ما قضينا لك من التأيد والنصرة
 والثواب فى الآخرة وسوف للوعيد لا للتباعد * ولما قيل لهم ذلك قالوا استمرزنا متى نزل
 العذاب فقال تعالى تهديد لهم (أفبعذابنا يستعجلون) أى أن ذلك الاستعجال
 جهل لأن لكل شئ من أفعال الله تعالى وقامعينا لا يتقدم ولا يتأخر (فأذا نزل) أى العذاب
 (بأساحتهم) قال مقاتل بجضرهم وقيل بفنائهم قال القراء العرب ~~تكتفى~~ بذكر الساحة عن
 القوم فشبّه العذاب بجيش هجم فأناخ ففنائهم بفتة (فساء) أى فئس صباحا (صباح المذيرين)
 أى الكافرين الذين أنذروا بالعذاب وعن أنس بن مالك رضى الله تعالى عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم حين خرج الى خيبر أتاه ليلاً وكان إذا جاء قوم ما لبث لم يغرح حتى يصبح فلما
 أصبح خرجت بهم ودمساحيها ومكانها فلما رأوه قالوا الحمد لله محمد والحمد لله فقال رسول الله
 صلى الله عليه وسلم الله أكبر خربت خيبر أنا اذ انزلنا بساحة قوم فساء صباح المذيرين قالها ثلاث
 مرّات وقوله تعالى (ويول عنهم حتى حين) وأبصر فسوف يبصرون) فيه وجهان أحدهما
 أن فى هذه الكلمة فيما تقدم أحوال الدنيا وفى هذه الكلمة أحوال يوم القيامة وعلى هذا
 فالتركازا تلى والثانى أنهم امكثوا للمبالغة فى التهديد والتهويل (فان قيل) ما الحكمة
 فى قوله أولاً وأبصرهم وههنا قال وأبصر بغير ضمير (أجيب) بأنه حذف مفعول أبصر الثانى
 اما اختصار الدلالة الأولى عليه واما اقتصارا تفننا فى البلاغة ثم انه تعالى ختم السورة بتزيه
 نفسه عن كل ما يليق بصفات الالهية فقال تعالى (سبحان ربك رب العزة) أى القلبية
 والقوة وفى قوله تعالى رب اشارة الى كمال الحكمة والرحمة وفى قوله تعالى العزة اشارة الى كمال
 القدرة وانه القادر على جميع الحوادث لأن الالف واللام فى قوله تعالى العزة تفيد الاستغراق
 واذا كان الكل ملكا له سبحانه لم يبق لغيره شئ فثبت أن قوله سبحانه وتعالى سبحان ربك رب
 العزة (عما يصفون) أى أن له ولدا كلمة محتوية على أقصى الدرجات وأكمل النهايات وقوله
 تعالى (وسلام على المرسلين) أى المبلغين من الله تعالى التوحيد والشرايع نعيم للرسول بعد
 تخصيص بعضهم (والحمد لله رب العالمين) أى على هلاك الاعداء ونصرة الانبياء عليهم أفضل
 الصلاة والسلام وعلى ما أفاض عليهم ومن اتبعهم من النعمة وحسن العاقبة ولذلك أخرجه عن
 التسليم والغرض من ذلك تعليم المؤمنين أن يقولوا ذلك ولا يغفلوا عنه لما روى بغوى عن على
 رضى الله عنه أنه قال من أحب أن يتكامل بالميكال الاوفى من الاجر يوم القيامة فليكن آخر
 كلامه من مجلسه سبحانه ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين
 الخ وأما ما رواه السضاوى عن النبي صلى الله عليه وسلم أن من قرأ الصافات أعطى من الاجر
 عشر حسنات بعدد شكل جن وشيطان وساعدت عنه مردة الشياطين وبرئ من الشرك وشهد له
 حافظه يوم القيامة انه كان مؤمنا بالمرسلين فوضوع

وهي ست أو ثمان وثمانون آية وسبع مائة واثنان وثمانون كلمة وثلاثة آلاف وتسعة وتسعون حرفاً (بسم الله) المتزعة عن كل شائبة نقص (الرحمن) الذي عمّ جوده سائر مخلوقاته (الرحيم) بن خلقه واختلف في تفسيره قوله تعالى (من) فقيل قسم وقيل هو اسم للسورة كما ذكرنا في سائر حروف التمجيس في أوائل السور وقال محمد بن كعب القرظي مفتاح اسمه الصمد وصادق الوعد وقال الضحّاك معناه صدق الله وروى عن ابن عباس صدق محمد صلى الله عليه وسلم وقيل معناه أن القرآن مركب من هذه الحروف وأنهم قادرون عليها ولستم قادرين على معارضته (والقرآن) أي الجامع مع البيان لكل خير (ذی الذکر) أي الموعظة والتذكير وقال ابن عباس ذی البيان وقال الضحّاك ذی الشرف ودليله قوله تعالى وأنه لذكركم ولقومك (فان قيل) هذا قسم فأين المقسم عليه (أجيب) بأنه محذوف تقديره ما الأمر كما قال كذا مركبة من تعدد الألفه وقوله تعالى (بل الذين كفروا) أي من أهل مكة أضرب انتقال من قصة إلى أخرى (في عزة) أي حمية وتكبر عن الإيمان (وشقاق) أي خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم والتذكير في عزة وشقاق للدلالة على شدتهم ما * وقيل جواب القسم قد تقدم وهو قوله تعالى من أقسم الله تعالى بالقرآن أن محمد الصادق وقال القراء ص معناها وجب وحق فهو جواب قوله والقرآن كما تقول نزل والله وقال الاخفش قوله تعالى ان كل الاكاذب الرسل وقال السدي ان ذلك الحق تخاسم أهل النار قال البغوي وهذا ضعيف لانه تخلل بين القسم وبين هذا الجواب أفاصيص وأخبار كثيرة وقال مجاهد في عزة متعازين (كم) أي كثيرا (أهلككم من قبلهم) وأكده كثرتهم بقوله تعالى (من قرن) أي من أمة من الأمم الماضية كانوا في شقاق مثل شقاقهم * (تنبيه) * كم ففعل أهلككم من قرن تمييز ومن قبلهم لا ابتداء الغاية (فنادوا) أي استغاوا عند نزول العذاب وحلول النعمة وقيل نادوا بالإيمان والتوبة (ولات) أي وليس الحين (حين مناص) أي مني وفرار قال ابن عباس كان كفار مكة إذا فاتهم أفاضطروا في الحرب قال بعضهم لبعض مناص أي اهربوا وخذوا واحذركم فلما نزل بهم العذاب يدقوا مناص فأنزل الله تعالى ذلك والمناص مصدر ناص يحرص اذا تقدم ولات بمعنى ليس بلفظة أهل اليمن وقال الصوريون هي لازيدت فيها التاء كقولهم رب وربت وغم وغم وأصلها هاها وصلت بلا فقالوا لات كما قالوا انت ولا تعمل الا في الازمان خاصة فحوالات حين ولات اوان كقول الشاعر

طلبوا صلحنا ولات اوان * فأجبت انا أن ليس حين بقاء

والاكثر حينئذ حذف مرفوعه افتقديره ولات الحين حين مناص وقد يحذف المنصوب ويقي المرفوع كقول القائل من صدعن نيرانها * فأنا ابن قيس لا براح أي لا براح لي ولما حكى تعالى عن الكفار كونهم في عزة وشقاق اتبعه بشرح كلماتهم الفاسدة بقوله تعالى (وعجبوا) أي الكفار الذين ذكرهم الله تعالى في قوله سبحانه بل الذين كفروا في عزة وشقاق (ان) أي لاجل أن (جاءهم منذر) هو النبي صلى الله عليه وسلم وفي قوله تعالى (منهم) وجهان أحدهما أنهم قالوا ان محمد اسأولنا في الخلقة الظاهرة والاخلق الباطنة والنسب

والشكل والصورة فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي والثاني أن الغرض من هذه الكلمة التوبيخ على كمال جهلهم لانهم جاءهم رجل يدعوهم الى التوحيد والترغب في الآخرة ثم ان هذا الرجل من أعارهم يعلمون أنه كان بعيدا عن الكذب والتهمة وكل ذلك مما يوجب الاعتراف بتصديقه ثم انهم لما قاتمهم يتعجبون من قوله (وقال الكافرون) وضع الظاهر فيه موضع المفعول اشارة الى أنهم يسترون الحق مع معرفتهم اياه فهم جاحدون لاجاهلون ومعاذون لا غافلون وايدنا بشدة غضبه عليهم وذمالمهم على قولهم (هذا) أي النذير (ساحر) أي فيما يظهره محجزة (كذاب) أي فيما يقول على الله تبارك وتعالى (اجعل) أي صير بسبب ما يزعم أنه يوحى اليه (الالهة) أي التي تعبدوها (الها واحدا) كيف يسع الخلق كلهم اله واحد (ان هذا) أي القول بالوحدانية (لشيء محجوب) أي بليغ في العجب فانه خلاف ما اطبق عليه آباؤنا وما نشأه من أن الواحد لا ينفى عنه وقد رتبته بالاشياء الكثيرة وقال البغوي العجب والعجاب واحد كقولهم رجل كريم وكرام وكبير وكبار وطويل وطوال وعريض وعراض وسبب قولهم ذلك انه روي انه لما أسلم عمر رضي الله عنه شق ذلك على قريش وفرح به المؤمنون فقال الوليد بن المغيرة لله من قريش وهم الصناديد والاشراف وكانوا خمسة وعشرين رجلا كبرهم سنا الوليد بن المغيرة اذهبوا الى أبي طالب فأتوا اليه وقالوا أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء واناجتلك لثقتي بيننا وبين ابن أخيك فأرسل أبو طالب اليه فحضر فقال لهما ابن أخي هؤلاء قومك يسألونك السوا فقل لكل المل على قومك فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم ماذا تسألوني فقالوا ارضنا وارفضنا وذكر آلهم فقال أرايتم ان أعطيتكم ما سألتكم أنعطوني أنتم كلمة واحدة تملكون بها العرب وتدين لكم بها العجم فقال أبو جهل لله أبوك نعطيكمها وعشر امثالها فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله ففرغوا من ذلك وقاموا فقالوا ذلك (وانطلق الملائمة) أي أشرف قريش من مجلس اجتماعهم عند أبي طالب وسمعاهم فيه من النبي صلى الله عليه وسلم قولوا لا اله الا الله (أن امشوا) أي يقول بعضهم لبعض امشوا أي اذهبوا (واصبروا) أي اثبتوا (على آلهمكم) أي على عبادتها قال الزمخشري ويجوز انهم قالوا امشوا أي اكثروا واجتمعوا من مشيت المرأة اذا كثرت ولادتها ومنه الماشية للنفاول اه * (فائدة) * الجميع يكسرون النون في الوصل من أن امشوا والهمزة في الابتداء من امشوا * ولما أسلم عمر وحصل للمسلمين قوة بكانه قال المشركون (ان هذا) أي الذي نراه من زيادة أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم (لشيء يراد) أي بنا فلا هم له وان الصبر على عبادة الالهة شيء يرادوه وأهل اللارادة فهو أهل أن لا تفك عنه وقيل هذا المذكور من التوحيد لشيء يراد منا وقيل ان دينكم شيء يطلب ليؤخذ منكم (ما سمعنا بهذا) أي الذي يقوله محمد من التوحيد (في الله الآخرة) قال ابن عباس يعنون في النصرانية لانها آخر الملل وهم لا يوحدون بل يقولون ثالث ثلاثة وقال مجاهد يعنون مله قريش دينهم الذي هم عليه (ان) أي ما هذا أي الذي يقوله (الاختلاق)

افْتَعَال وَكَذِبَ (أَنْزَلَ عَلَيْهِ) أَي مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ (الذِّكْرُ) أَي الْقُرْآنُ (مَنْ يَنْشَأُ)
وَلَيْسَ بِأَكْبَرَ نَاوِلًا شَرَفًا وَهَذَا اسْتِفْهَامٌ عَلَى سَبِيلِ الْإِنْكَارِ لِاخْتِصَاصِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ
بِالْوَحْيِ وَهُوَ مِنْهُمْ وَفِي ذَلِكَ دَلِيلٌ عَلَى أَنْ مَبْدَأُ تَكْذِيبِهِمْ لَمْ يَكُنِ إِلَّا الْحَسَدُ وَقُصُورُ النَّظَرِ عَلَى الْحَطَامِ
الدُّنْيَوِيِّ وَقُرْآنُ نَافِعٍ وَابْنٌ كَثِيرٌ وَأَبُو عَمْرٍو يَسْهِّلُ الْهَمْزَةَ الثَّانِيَةَ كَالْوَاوِ وَأَدْخَلَ بَيْنَهُمَا الْفَاقَ لَوْنِ
وَأَبُو عَمْرٍو بِخِلَافِ عَنِ وَرِشَ وَابْنِ كَثِيرٍ بِغَيْرِ ادْخَالٍ وَعَنْ هِشَامٍ فِيهِ إِثْلَاثٌ أَوْجُهُ تَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ
وَادْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا وَتَحْقِيقِ هُمَامٍ مِنْ عِبْرَادْخَالَ الْفِ بَيْنَهُمَا قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ)
أَي تَرَدَّدَ حَيْثُ بَطْنُهُمْ مَبْتَدَأُ الْهَمِّ (مَنْ ذَكَرْنِي) أَي وَحْيِي وَمَا أَنْزَلْتُ لِمَلِيكِهِمْ إِلَى التَّقْلِيدِ وَاعْرَاضَهُمْ
عَنِ الدَّلِيلِ الَّذِي لَوْ نَظَرُوا فِيهِ لَزَالَ هَذَا الشَّكُّ عَنْهُمْ (بَلْ) أَي لَيْسَ وَفِي شَكٍّ مِنْهُ فِي نَفْسِ الْأَمْرِ
وَأِنْ كَانَ قَوْلُهُمْ قَوْلٌ مِنْ هُوَ فِي شَكٍّ (لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابَ) أَي الَّذِي أَعَدَّ لَهُ لِلْمُكَذِّبِينَ وَلَوْ ذَا قُوَّةٍ
لَمَّا قَالُوا هَذَا الْقَوْلُ وَلَصَدَّقُوا الَّذِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَهُ وَلَا يَنْفَعُهُمُ التَّصَدِيقُ حِينَئِذٍ
(أُمُّ) أَي بَلْ (عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ) أَي مِفْتَاحُ (رَحْمَةٍ) أَي نِعْمَةٍ (رَبِّكَ) وَهِيَ النُّبُوَّةُ بِعَطْوِهَا
مِنْ شَأْنٍ وَأَنْظِيرُهُ قَوْلُهُ تَعَالَى أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَةَ رَبِّكَ أَي نُبُوَّةَ رَبِّكَ (الْعَزِيزُ) أَي الْغَالِبُ الَّذِي
لَا يَغْلِبُهُ أَحَدٌ (الْوَهَّابُ) الَّذِي لَهُ أَنْ يَهْبِيبَ كُلَّ مَا يَشَاءُ مِنَ النُّبُوَّةِ أَوْ غَيْرِهَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ
* وَلَمَّا كَانَتْ خَزَائِنُ اللَّهِ تَعَالَى غَيْرَ مُتَنَاهِيَةٍ كَمَا قَالَ تَعَالَى وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ لَاعْتَدْنَا خِزَانَتَهُ وَمَنْ
جَلَّتْهُ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَبَيْنَهُمَا وَهَمٌّ عَاجِزٌ عَنْ هَذَا الْقِسْمِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (أُمُّ الْهَمِّ مَلَكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أَي لَيْسَ لَهُمْ ذَلِكَ فَلَا أَنْ يَكُونُوا عَاجِزِينَ عَنْ كُلِّ خَزَائِنِ اللَّهِ تَعَالَى
أَوَّلَى وَقَوْلُهُ تَعَالَى (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ) جَوَابٌ لِمَا قَدْ مَحْذُوفٌ أَي إِنْ كَانَ لَهُمْ ذَلِكَ فَلْيَصْعَدُوا
فِي الْمَعَارِجِ الَّتِي يَصُورُ بِهَا إِلَى الْعَرْشِ حَتَّى يَسْتَوْوَا عَلَيْهِ وَيَدْبُرُوا أَمْرَ الْعَالَمِ فَيَنْزِلُوا الْوَحْيَ
إِلَى مَنْ يَرِيدُونَهُ وَهَذَا غَايَةُ التَّهَكُّمِ بِهِمْ وَالتَّعْجِيزُ وَالتَّوْبِيخُ قَالَ مَجَاهِدٌ أَرَادَ بِالْأَسْبَابِ أَبْوَابَ
السَّمَاءِ وَطُرُقَهَا مَاءً إِلَى سَمَاءٍ وَكُلِّ مَا يُوَصِّلُ إِلَى شَيْءٍ مِنْ بَابٍ أَوْ طَرِيقٍ فَهُوَ سَبَبٌ وَاسْتَدَلَّ بِحِكْمَةِ
الْإِسْلَامِ بِقَوْلِهِ تَعَالَى فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَسْبَابِ عَلَى أَنَّ الْأَجْرَامَ الْفَلَاسِكِيَّةَ وَمَا أَوْدَعَ اللَّهُ تَعَالَى فِيهَا مِنْ
الْقُوَى وَالْخَوَاصِ أَسْبَابَ الْحَوَادِثِ الْعَالَمِ السُّفْلِيِّ لِأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَمَّى الْفَلَاسِكِيَّاتِ أَسْبَابًا وَهَذَا يَدُلُّ
عَلَى ذَلِكَ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (جَنَدُ مَا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحْزَابِ) خَبِيرٌ مَبْتَدَأُ مَضْمَرٍ أَي هُمْ قُرَيْشٌ
جَنَدُ مَنْ الْكَافِرَاتِ الْمُتَحْزِيزِينَ عَلَى الرِّسْلِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مَهْزُومٌ مَكْسُورٌ عَمَّا قَرِيبَ فِنْ أَيْنَ لَهُمْ تَدْبِيرُ
الْإِلَهِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ فِي الْأُمُورِ الرَّبَّانِيَةِ فَلَا تَكْتَرِثُ بَعْدَهُ قَوْلُهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَتَادَةُ أَخْبَرَ اللَّهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ
مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ بِحِكْمَةِ اللَّهِ سَيُزِمُ جَنَدُ الْمُشْرِكِينَ فَقَالَ تَعَالَى سَيُزِمُ الْجَمْعُ وَيُولُونُ الدَّبْرَ
جُنْدًا أَوْ يُلْهِ الْأَيُّومَ بِدَرْوَنَ هُنَالِكَ إِشَارَةً إِلَى بَدْرِ وَمَصَارِعِهِمْ وَقِيلَ يَوْمَ الْخُنْدِ قَالَ الرَّازِيُّ وَالْأَصْبَحُ
عِنْدَ جَلَّةٍ عَلَى يَوْمٍ فَتَحَ مَكَّةَ لِأَنَّ الْمَعْنَى أَنَّهُمْ جَنَدُ سَيَصِيرُونَ مَهْزُومِينَ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي ذَكَرَ وَافِيهِ
هَذِهِ الْكَلِمَاتُ وَذَلِكَ الْمَوْضِعُ هُوَ مَكَّةُ فَوَجِبَ أَنْ يَكُونَ الْمُرَادُ أَنَّهُمْ سَيَصِيرُونَ مَهْزُومِينَ فِي مَكَّةَ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا يَوْمَ الْفَتْحِ * (تَبَيَّنَ) * فِي مَا وَجَّهْنَا أَحَدَهُمَا أَنَّهَا مُزِيدَةٌ وَالثَّانِي أَنَّهَا جُنْدُ
عَلَى سَبِيلِ التَّعْظِيمِ لِلْمَهْزُومِينَ أَوَّلِ الْخَفَرِ فَإِنَّ مَا الصِّفَةَ تَسْتَعْمَلُ لِهَذَيْنِ الْمَعْنِيَيْنِ وَقَدْ تَقَدَّمَ الْكَلَامُ

عليها في أوائل البقرة وهناك صفة الجند وكذلك همزوم ومن الأحزاب ثم قال لله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم معزيا له عليه السلام (كذبت) أي مثل تكذيبهم (قبلهم قوم نوح) أنت قوم باعتبار المعنى واستمرزوا على عزتهم وشقاقهم إلى أن رأوا الماء قد أخذهم ولم يسمعوا بالأذعان ولا بالضرع إلى نوح عليه السلام (وعاد) سماهم بالاسم المنبه على ما كان لهم من المكنة بالملك واستمرزوا في شقاقهم إلى أن خرجت عليهم الرياح العقيم ورأوها تحمل الأبل فيما بين السماء والأرض وهم لا يدعون لمادعاهم إليه هو د عليه السلام (وفرعون ذو الاوتاد) كانت له أوتاد يعذب الناس عليها وكان إذا غضب على أحد مدده مستلقيا بين أربعة أوتاد يشد كل يد وكل رجل منه إلى سارية وتركة كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت وقال مجاهد كان يمد الرجل مستلقيا بين أربعة أوتاد على الأرض يشد رجله ويديه ورأسه على الأرض بالأوتاد قال السدي كان يشد الرجل بالأوتاد ويرسل عليه العقارب والحيات وقال ابن عباس ذو البناء المحكم وقيل ذو الملك الشديد الثابت وقال العتبي تقول العرب هم في عز ثابت الأوتاد يريدون أنه دائم شديد قال الاسود بن يعفور

ولقد غنموا فيها بأنهم عيشة * في ظل ملك ثابت الأوتاد

وقال الضحاك ذو القوة والبش وقال عطية ذو الجوع والجندو الكثيرة لانهم كانوا يقولون أمره ويشدون ملكه كما يقوى الود الشئ والأوتاد جمع وتد وفيه لغات وتد يفتح الواو وكسر التاء وهي الفصحى وتد يفتح التاء ويداد غام التاء في الدال (وتعود) واستمرزوا فيما هم فيه إلى أن رأوا علامات العذاب من صفرة الوجوه ثم جرحهم سوادها ولم يكن في ذلك زاجر يردهم عن عزتهم وشقاقهم (وقوم لوط) أي الذين لهم قوة القيام بما يحاولونه واستمرزوا في عزتهم وفي شقاقهم حتى ضربوا بالعشاء وطمس العين ولم يقدرزوا على الوصول إلى ما أرادوا من الدخول إلى بيت لوط عليه السلام ولم يردهم ذلك عن عزتهم وشقاقهم (وأصحاب الايكة) أي الغيبة وهم قوم شعيب عليه الصلاة والسلام (أولئك الأحزاب) أي المتخزبون على الرسل عليهم السلام الذين خص الجند المهزوم منهم وقيل المعنى أولئك الأحزاب مبالغته في وصفهم بالقوة كما يقال فلان هو الرجل أي أولئك الأحزاب مع كمال قوتهم لما كان عاقبتهم هي الهلاك والبوار فكيف حال هؤلاء الضعفاء المساكين إذا نزل عليهم العذاب وفي الآية زجر وتحذير للسامعين (أن) أي ما (كل) أي من الأحزاب (الأكذب الرسل) أي لانهم إذا كذبوا واحد منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهي دعوة التوحيد (لحق عقاب) أي فوجب عليهم ونزل بهم عذاب * ثم بين تعالى أن هؤلاء المكذبين وإن تأخروا فلا كهم فساكنة واقع بهم فقال تعالى (وما ينظرون) وحقرهم بقوله تعالى (هؤلاء) أي وما ينتظر كفار مكة (الاصحجة واحدة) وهي نفخة الصور الأولى كقوله تعالى ما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخصمون فلا يستطيعون توصية الآية والمعنى أنهم وإن لم يذوقوا عذابا في الدنيا فهو عذابهم يوم القيامة فجعلهم منتظرين لها على معنى قربها منهم كالرجل الذي ينتظر الشئ فهو ما إذا الطرف إليه بقطع كل ساعة بحضوره

رقب المراد بالصيحة عذاب يعقوبهم ويحبسهم دفعة واحدة كما يقال صاح الزمان بهم اذا هلكوا
 قال الشاعر صاح الزمان بال برمك صيحة * خروا لشدة تعالي الاذان
 ونظيره قوله تعالى فهل ينظرون الا مثل أيام الذين خلو من قبلهم الآية وقرأ حجة
 والكسائي (مالها) أي الصيحة (من فواق) بضم الفاء والباقون بفتحها وهما لغتان
 بمعنى واحد وهو الزمان الذي بين حلبتي الحالب ورضعتي الراضع والمعنى مالها من تيق
 قدر فواق ناقة وفي الحديث العبادة قدر فواق ناقة وهذا في المعنى كقوله تعالى فاذا جاء
 أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون وقال ابن عباس مالها من رجوع من أفاق
 المريض اذا رجع الى محمته واقافة الناقة ساعة يرجع اللبن الى ضرعها يقال أفاقت الناقة
 تفيق افاقة رجعت واجتمعت الفيقة في ضرعها والقيمة اللبن الذي يجتمع بين الحلبتين وهو
 أن يجلب الناقة ثم يترك ساعة حتى يجتمع اللبن فباب الحلبتين فواق أي العذاب لا يعلمهم بذلك
 القدر (وقالوا) أي كفار مكة استمروا لما نزل قوله تعالى في الحاقة فأما من أوفى كتابه
 بيمينه وأما من أوفى كتابه بشماله (ربنا) أي يا أيها المحسن إلينا (عجل لنا قطنًا) أي كذب
 أعمالنا في الدنيا (قبل يوم الحساب) وقال سعيد بن جبيرة عن حفص بن غصن عن أنس بن مالك
 التي تقول وقال مجاهد والسدي يعنون عتوبتنا ونفسينا من العذاب قال عطاء قاله النضر
 ابن الحرث وهو قوله ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء وقال مجاهد
 قطنًا حسبا يقال لكتاب الحساب قط وقال أبو عبيدة والكسائي القط الكتاب بالجواز ويجمع
 على قطوط وقططة كقرد وقرود وقردة وفي القلة على أقطة واقطاط كقندج وأقذحة واقذاح
 الآن أفعله في فعل شاذ * ولما أن القوم تعجبوا من أمور ثلاثة أولها من أمر النبوات
 وإثباتها كما قال تعالى وعجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا حار كذاب وثانيها
 تعجبهم من الآلهيات فقالوا اجعل الآلهة الها واحدا وثالثها تعجبهم من المعاد والحشر والنشر
 فقالوا ربنا عجل لنا قطنًا قبل يوم الحساب قالوا ذلك استمروا أمر الله تعالى نبيه عليه السلام بالصبر
 فقال سبحانه (اصبر) وأشار بحرف الاستعلاء الى عظيم الصبر فقال (على ما يقولون) أي على
 ما يقول الكافرون من ذلك ثم انه تعالى لما أمر نبيه بالصبر ذكر قصص الانبياء عليهم السلام تسلية
 له فكأنه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واعتبر بحال سائر الانبياء ليعلم أنه كل واحد منهم
 كان مشغولا بهم خاص وحزن خاص فيعلم حينئذ أن الدنيا لا تنفك عن الهموم والاحزان وان
 استحقاق الدرجات العالية عند الله تعالى لا يحصل الا بتحمل المشاق والمتاعب في الدنيا وبدأ
 من ذلك بقصة داود عليه السلام فقال تعالى (واذكر عبدنا) أي الذي أخلصناه له وأخلص
 نفسه للنظر الى عظمه وقيامه في خدمتنا وأبدل منه وأبينه بقوله تعالى (داود ذا الأيد) قال
 ابن عباس أي القوة في العبادة روى عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 أحب الصيام الى الله تعالى صيام داود وأحب الصلاة الى الله تعالى صلاة داود وكان يصوم
 يوما وينظر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وقبل ذا القوة في الملك ووصفه

تعالى بكونه عبده وعبر عن نفسه بصيغة الجمع الدالة على نهاية التعظيم وذلك يدل على غاية
 التشريف ألا ترى أنه تعالى لما أراد أن يشرف محمد صلى الله عليه وسلم ليلته المعراج قال
 تعالى سبحان الذي أسمى بعبده ليلاً وأيضاً وصف الأنبياء عليهم السلام بالعبودية مشعراً بأنهم
 قد حصلوا معنى العبودية بسبب الاجتهاد في الطاعة (أنه آواب) أي رجع إلى مرضاة الله
 تعالى والآواب فعال من آب يؤب إذا رجع قال الله تعالى إن النينا يا أيهم وهذا بناء مغالبة
 كما يقال قتال وضرب وهو أبغ من قاتل وضارب وقال ابن عباس مطيع وقال سعيد بن جبير
 مسبح بلغة الحبشة ويؤيد هذا قوله تعالى (أنا) أي على ما لنا من العظمة التي لا يهزها شيء
 (تخربنا الجبال) أي التي هي أقسى من قلوب قومك وإنما أعظم الاراضي صلابة وقوة وعلاوا
 ورفعة بأن جعلناها منقاداً لولا كالجبل الانف ثم قد ذلك بقوله تعالى (معه) أي مصاحبة له
 (يسجن) أي بتسبيحه وفي كيفية تسبيحها وجوه أحدها أن الله تعالى يخلق في جسم الجبل
 حياة وعقل وقدرة ونطقاً حينئذ يصير الجبل مسبحاً لله تعالى ثانياً قال الفراء إن داود عليه
 السلام أوى من شدة الصوت وحسنه ما كان له في الجبال دوى حسن وما يصغي الطير إليه
 لحسنه فيكون دوى الجبال وتصويت الطير معه واصفاً رهاً إليه تسبيحاً روى محمد بن يحيى أن
 الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه مثل صوت داود عليه السلام حتى أنه كان إذا قرأ الزبور ردت
 منه الوحوش حتى يؤخذ بأعناقها ثانياً إن الله تعالى يحضر الجبال حتى أنها كانت تسبح إلى
 حيث يريد داود عليه السلام فجعل ذلك السبح تسبيحاً لا يبدل على كمال قدرته تعالى واتقان
 حكمته (بالعشي والاشراق) قال الكلبي غدوة وعشيا والاشراق هو أن تشرق الشمس
 وينتهي ضوءها قال الزجاج يقال شرفت الشمس إذا طلعت وأشرقت إذا أضاءت وقيل هما
 بمعنى واحد والاول أكثر استعمالاً لقول العرب شرفت الشمس ولما تشرق وفسره ابن عباس
 بصلاة الضحى قال ابن عباس كنت أمرت بهذه الآية ولم أدر ما هي حتى حدثتني أم هانئ بنت أبي
 طالب أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل عليها فداها بوضوء فتوضأت ثم صلى الضحى وقال يا أم
 هانئ هذه صلاة الاشراق وروى طاووس عن ابن عباس قال هل تجدون ذكر صلاة الضحى
 في القرآن قالوا لا نقرأ أنا نحن الجبال معه يسجن بالعشي والاشراق وقوله تعالى (والطير
 محشورة) أي مجموعة إليه تسبح معه عطف مفعول على مفعول وهما الجبال والطير وأحال على
 حال وهما يسجن ومحشورة كقولك ضربت زيداً مكثوفاً وعراً مطلقاً وأتى بالحال أحالانه
 لم يقصد أن الفعل وقع شيئاً فشيئاً لأن حشره دفعة واحدة أدل على القدرة والحاشرة هو الله تعالى
 (فان قيل) كيف يصدر تسبيح الله تعالى من الطير مع أنه لا عقل لها (أجيب) بأنه لا يعد أن يخلق
 الله تعالى لها عقل ولا حتى نعرف الله تعالى فتسبحه حينئذ ويكون ذلك مهجزة لداود عليه السلام
 (كل) أي من الجبال والطير (له) أي لداود أي لأجل تسبيحه (آواب) أي رجع إلى طاعته
 بالتسبيح وقيل كل مسبح فوضع آواب موضع مسبح وقيل الضمير في له للباري تبارك وتعالى والمراد
 كل من داود والجبال والطير مسبح ورجاع لله تعالى (وشددنا) أي قوتنا لما لنا من العظمة (ملكه)

بالحرس والجند وقال ابن عباس كان أشد ملوك الأرض سلطاناً كان يحرس محرابه كل ليلة ستة
 وثلاثون ألف رجل وعن ابن عباس أن رجلاً من بني إسرائيل استعدي على رجل من عظمائهم
 عند داود فقال إن هذا قد غصبتني بقرا فسأله داود فجعد فقال لا آخر البينة فلم تكن له بينة فنال
 إهماً داود قوماً حتى أنظر في أمر كما فأوحى الله تعالى إلى داود في منامه أن يقتل الذي استعدي
 عليه فقال هذه رؤيا لست بأعجل حتى أثبت فأوحى الله تعالى إليه مرة ثانية فلم يفعل فأوحى الله
 تعالى إليه مرة ثالثة أن يقتله وأتته العقوبة فأرسل داود إليه فقال له إن الله تعالى أوحى إلى
 أن أقتلك فقال تقتلني بغير بينة فقال نعم والله لا نفذت أمر الله تعالى فيك فلما عرف الرجل أنه
 قاتله قال لا تعجل حتى أخبرك إني والله ما أخذت بهذا الذنب ولكني كنت اغتلت ابن هذا فقتلته
 فبذلك أخذت فأمر به داود فقتل فاشتدت هبة داود عند ذلك في قلوب بني إسرائيل واشتد به
 ملكه فذلك قوله تعالى وشددنا ملكه (وآتيناه) أى نظمنا (الحصمة) أى النبوة
 والاصابة في الأمور واختلف في تفسير قوله تعالى (وفصل الخطاب) فقال ابن عباس بيان
 الكلام أى معرفة الفرق بين ما يتبس في كلام المخاطبين لمن غير كبير رؤية في ذلك وقال ابن
 مسعود والحسن علم الحكمة والبصر بالقضاء وقال علي بن أبي طالب رضى الله عنه هو أن البينة
 على المدعى والمبين على من أنكر لأن كلام الخصوم يتقطع وينفصل به وقال أبي بن كعب
 فصل الخطاب الشهود والایمان وقال مجاهد وعطاء ويرى عن الشعبي أن فصل الخطاب هو
 قول الإنسان بعد حمد الله والثناء عليه أما بعد إذا أراد الشروع في كلام آخر وأول من قاله
 داود عليه السلام وقيل غيره كما ذكرته في شرح المنهاج عند قول المنهاج أما بعد وقيل هو
 الخطاب الفصل الذى ليس باختصار محمل ولا إشباع محمل كما جاء وصف كلام النبي صلى الله عليه
 وسلم فصل لا زرو ولا هذرو وقوله تعالى لنبه محمد صلى الله عليه وسلم (هل) استهفاهم معناه
 التجهب والتشويق إلى استماع ما بعده (أما لك) يا أفضل الخلق (نبأ) أى خبر (الخصم)
 وهو فى الأصل مصدر ولذلك يصلح للمفرد والمذكر والمراد به هنا الجمع بدليل قوله تعالى (اد)
أى حين (تسوروا) أى تصعدوا وعلوا (الحراب) أى البيت الذى كان يدخل فيه
داود ويشتغل فيه بالعبادة والطاعة قال الزمخشري (فان قلت) بما انتصب اذ قلت لا يجوز
أما ان يقتصب أأناك أو نبأ أو مجذوف فلا يسوغ التصايد أأناك لأن إيمان النبأ رسول الله صلى الله
عليه وسلم لم يقع الا فى عهده لافى عهده داود ولا بالنبا لأن النبأ واقع فى عهد داود فلا يصح إتيانه
رسول الله صلى الله عليه وسلم وان أردت بالنبا القصة فى نفسها لم تكن ناصباً فى أن يكون
منسوباً بمجذوف تقديره وهل أأناك نبأ تحاكم الخصم اذ تسوروا انتهى فانه أرأى أن يكون مع مولا
لمجذوف ويجوز أن ينتصب بالخصم لما فيه من معنى الفعل وقوله تعالى (اذ) أى حين (دعوا
على داود) بدل من اذ الأولى أو ظرف لتسور أو قرأ نافع وابن كثير وعاصم بظاهر الدال عند
النساء فى الاقول وعند الدال فى الثانى ووافقه هم ابن ذكوان فى الاقول والباقيون بالادغام فيها
(ففرع منهم) أى لانهم نزلوا عليه من فوق فى يوم الاحتجاب والحرس على الباب لا يتركون من

يدخل عليه فإنه عليه السلام كان جزأ زمانه يوماً للعبادة ويوماً للصلاة ويوماً للوعظ ويوماً
 للاشتغال بمحاجته فنسوة عليه ملكان على صورة الإنسان في يوم الخلو (قالوا لا تحق) وقولهم
 (خصمان) خبر مبتدأ مظهر أي نحن خصمان أي فريقان ليطابق ما قبله من ضمير الجمع وقيل
 انسان والضمير عنهما وقد مر أن الخصم يطلق على الواحد والأكثر وقولهم (بقي بعضنا
 على بعض) جملة يجوز أن تكون مفسرة لحالهم وأن تكون خبراً ثانياً (فان قيل) كيف
 قالوا بقي بعضنا على بعض وهم ثلاثكة على المنهمور (أجيب) بأن ذلك على سبيل القرض أي
 أرايت خصمين بقي أحدهما على الآخر وهذا من معاريض الكلام لا من تحقيق البقي من
 أحدهما (فاحكم بيننا باق) أي الامر بالتب الذي يطابق الواقع (ولا تسيطط) أي
 ولا تجر في الحكومة (واهدنا) أي ارشدنا (إلى سواء الصراط) أي وسط الطريق الصواب
 فقال لهما تكلفا فقال أحدهما (إن هذا أحن) أي على ديني وطريقتي أوفى النصح لامن
 جهة النسب (لأنهم يسمون نعمة) أي امرأة (ولي نعمة واحدة) امرأة واحدة والنعمة
 هي الأنثى من الضان ولكن كثرت في كلامهم الكناية بها عن المرأة قال ابن عون

أنا أبو هن ثلاثة هن * رابعة في البيت صفراهنه * ونهجتى خسانوا فهنه

قال الحسن بن الفضل هذا تعريض للتقبيح والتفهيم لأنه لم يكن ثم نعايج ولا بقي فهو كقولهم
 ضرب زيد عمر أو اشترى بكر دار أو لا ضرب هناك ولا شراء وقرأ حفص بفتح الباء والباقيون
 بالسكون (فقال أظلمت) قال ابن عباس أعظمتها وقال مجاهد أنزل لي عنها حقيقة ضمها إلى
 واجعلني كافها وهو الذي يعولها وينفق عليها والمعنى طلقها لا تزوجها (وعزني) أي
 غلبني (في الخطاب) أي الجدال لأنه أفصح مني في الكلام وقبل قهرني لقوته ~~فلك~~ قال
 الضمالة يقول إن تكلم كان أفصح مني وإن حارب كان أبطس مني وحقيقة المعنى أن
 الغلبة كانت له لضعفي في يده وإن كان الحق معي وهذا كله تمثيل لامر داود مع أوربا زوج
 المرأة التي تزوجها داود وسبأ في الكلام على قصته ان شاء الله تعالى عن قريب (قال لقد
 ظلمت) ~~ب~~ ^و قال نهجت إلى نعايج وهذا جواب قسم محذوف أريد به المبالغة في انكار فعل
 خيلطه وتمجيد طمعه والسؤال مصدر مضاف إلى مفعوله ونعديته إلى مفعول آخر بالي
 لتضمنه معنى الإضافة والانضمام أي ليضمها مضافة إلى نعايج (فان قيل) كيف قال لقد ظلمت
 لم يكن مع قول صاحبه (أجيب) بأن معناه ان كان الامر كما تقول فقد ظلمت أو انه قال ذلك
 بعد اعتراف صاحبه بما يقول ولم يذكر الله تعالى ذلك دلالة الكلام عليه وقيل التقدير ان
 الخصم الذي هذا شأنه قد ظلم وقرأ قالون وابن كثير وهشام وعاصم باظهار الدال عند الظاء
 والباقيون بالادغام وقوله (وان كثير من الخطاء) أي مطلقاً منكم ومن غيركم والخطاء جمع
 خليط وهم الشركاء الذين خلطوا أموالهم وقال اللبث خليط الرجل مخالطه (يسني) أي
 ليعتدي (بعضهم) غالباً (على بعض) فيريدون غير الحق (فان قيل) لم خص الخطاء يعني
 بعضهم على بعض مع أن غير الخطاء يفعلون ذلك (أجيب) بأن الخطاة توجب كثرة المنازعة

والخاصة لانهم اذا اخطا اطاع كل منهم اعلى احوال صاحبه فكل ما يملكه من الاشياء
 النفيسة ذا اطاع عليه عظمت رغبته فيه فيفضي ذلك الى زيادة المنازعة والخاصة فلذلك خص
 داود عليه السلام الخطا بالبغي والعبدوان ثم استثنى فقال (الا الذين آمنوا وعملوا)
 أى تحقيقا لايمانهم (الصالحات) أى الطاعات فانهم لا يقع منهم شئ لان مخالطة هؤلاء تكون
 لاجل الدين وهذا استثناء متصل من قوله بعضهم (وقليل ما هم) أى هم قليل فقليل خبر مقدم
 وما من يدة للتعظيم وهو مبتدأ وقال الزمخشري ماللاهم وفيه تعجب من قلتهم قال فان اردت
 ان تحقق فائدتها وموقعها فأخرجها من قول امرئ القيس * وحديث ما على قصره * واطر
 هل بقي لها معنى (وطن داود) أى لذهابهم قبل فصل الامر وقد همهم من ذلك أمر من عظمه
 لاعداءه بنله (أعنا فتناه) أى احتناء قال المفسرون ان الظن هنا يعنى العلم لان داود لما قضى
 الامر بينهما نظر أحدهما الى صاحبه فضحك ثم صعدا الى السماء بحال وجهه فلم ان الله تعالى
 ابتلاه بذلك فثبت أن داود علم ذلك وقال ابن عباس ان داود لما دخل عليه الملكان فقضى على
 نفسه تحولا في صورتهم ما عرجا وهما يقولان قضى الرجل على نفسه (فاستغفر ربه) أى طلب
 الغفران من مولاه الذى أحسن اليه (وسحر) أى سقط من قيامه وتبذره عن ذلك (راكها) أى
 ساجدا على تسمية السجود ركوعا لانه مبتدؤه وأخر للسجود راكعا أو مصليا كانه أحرم بركعتي
 الاستغفار (وأنا ب) أى رجع الى الله تعالى قال الرازى وللناس في هذه القصة ثلاثة احوال
 أحدها أن هذه القصة دلت على صدور الكبيرة منه وثانيها على الصغيرة وثالثها الاندلع على كبيرة
 ولا صغيرة فأما القول الاول فقالوا ان داود عليه السلام أحب امرأة أوريا فاحتال في قتل
 زوجها ثم تزوج بها ثم أرسل الله تعالى ملكين في صورة المتخاصمين في واقعة تشبه واقعة
 وعرضاتلك الواقعة عليه فحكم داود بحكم لزم منه اعترافه بكونه مذنباً ثم تبه لذلك واشتغل
 بالتوبة قالوا وسبب ذلك أن داود عليه السلام عفى يوم من الايام منزلة آتانه ابراهيم واسحق
 ويعقوب وسأل ربه أن يمنحه كما يمنهم ويعطيه من الفضل ما أعطاهم فأوحى الله تعالى اليه
 انك تبلى في يوم كذا فاحترس فلما كان ذلك اليوم جاء الشيطان فقتل له في صورة حمامة
 من ذهب فيها من كل لون حسن فأعجبه حسنها فتدبدها أخذها ويربها بنى اسرائيل انظروا الى
 قدرة الله تعالى فطارت غير بعيدة فتبعها فطارت من كوة فظفر داود أين تقع فأبصر داود امرأة
 في بستان تغسل فحبب داود من حسنها وحانت منها القفانة فأبصرت ظله فنقضت شعرها فطلى
 بدنهن فزاده إعجابا فسأل عنها فقتل له امرأة أوريا وزوجها في غزاة فأحب داود أن يقتله
 ويتزوج بها فأرسل داود الى ابن أخته ان قدم أوريا قبل التابوت وكان من قدم على التابوت
 لا يحل له أن يرجع وراى حتى يفتح الله تعالى على يديه أو يقتل فقدمه ففتح على يديه فكتب الى
 داود فأمر أن يقدمه بعد ذلك ففعل ثلاث مرات فقتل في الثالثة فلما انقضت عدتها تزوج
 بها فهي أم سليمان عليهما السلام قال الرازى والذى أدين الله تعالى به واذبح اليه ان ذلك
 باطل لوجوه الاول ان هذه الحكاية لا تناسب داود لانها لو نسبت الى أفسق الناس وأشد هم

فجور الاتي منها والذي نقل هذه القصة لونسب الى مثل هذا العمل المباليغ في تنزيه نفسه وربما
 لعن من نسبها اليها فكيف يليق بالعاقل نسبة المعصية الى داود عليه السلام ثانيه ان حاصل
 القصة يرجع الى امرين الى السعي في قتل رجل مسلم بغير حق والى الطمع في زوجته أما الاول
 فأمر منكراً قال صلى الله عليه وسلم من سعى في ذم مسلم ولو بشر كلمة جاء مكتوباً بين عينيه آيس
 من رحمة الله وأما الثاني فنكراً أيضاً قال صلى الله عليه وسلم المسلم من علم المسلمون من يده ولسانه
 فان أوربا لم يسلم من داود عليه السلام لافى روحه ولا فى منكوحه ثالثها ان الله تعالى وصف
 داود عليه السلام بصفات تنافى كونه عليه السلام موصوفاً بهذا الفعل المذكور الصفة الاولى
 انه تعالى أمر محمد اصى الله عليه وسلم أن يقتدى بداود عليه السلام فى الصابرة على المكروه فلو
 قلنا ان داود لم يصبر على مخالفة النفس بل سعى فى اراقة دم عبده مسلم لغرض شهوته فكيف يليق
 بأحكام الحاكمين أن يأمر محمد أفضل الرسل صلى الله عليه وسلم بأن يقتدى بداود فى الصبر على
 طاعة الله تعالى الصفة الثانية انه وصفه بكونه عبداً له وقد بينا ان المقصود من هذا الوصف بيان
 كون ذلك الموصوف كاملاً فى وصف العبودية فى القيام بأداء الطاعات والاحتراز عن المحظورات
 فلو قلنا ان داود اشتغل بثلث الاعمال الباطلة فحينئذ ما كان داود كاملاً الا فى طاعة الهوى
 والشهوة الصفة الثالثة وهى قوله تعالى ذا اليدأى ذا القوة ولا شك أن المراد منه القوة فى الدين
 لأن القوة الكاملة فى أداء الواجبات والاجتناب عن المحظورات وأى قوة لم يملك نفسه
 عن القتل والرغبة فى زوجه المسلم الصفة الرابعة كونه أواباً كثير الرجوع الى الله فكيف
 يليق هذا الوصف بعن قلبه مشغول بالفسق والفجور الصفة الخامسة قوله تعالى انا نختار الخصال
 معه يسجن اقدرى انه هزرت له الجبال ليتخذ بهيل القتل والفجور الصفة السادسة قوله تعالى
 والطير محشورة قيل انه كان محمراً عليه صيد شئ من الطير فكيف يعقل أن يكون الطير آمناً منه
 ولا يجوز ان الرجل المسلم على روحه ومنكوحه الصفة السابعة قوله تعالى وشهدنا ما لم يدر
 ومحال أن يكون المراد أنه تعالى شهد ملكه بأسباب الدنيا بل المراد انا ملكناه بقوى الدين وأسباب
 سعادة الآخرة والمراد تشديد ملكه فى الدين والدنيا ومن لم يملك نفسه عن القتل والفجور فكيف
 يليق بذلك الصفة الثامنة قوله تعالى وآتينا الحكمة وفصل الخطاب والحكمة اسم جامع
 لكل ما ينهى عبداً عما يكفر ويجوز أن يقال انا آتينا الحكمة وفصل الخطاب مع اصرارهم على
 ما يسقنكف من مزاحمة أخص أصحابه فى الروح والمذكور فهذه الصفات التى وصف بها قبل
 شرح القصة وأما الصفات المذكورة بعد ذكر القصة فأقولها الله تعالى وان له عندنا لثاني وحسن
 ما ب وقوله تعالى يا داود انا جعلناك خليفة فى الارض فكيف ان الله تعالى يجعله خليفة ويقع
 منه ذلك وقدرى عن سعيد بن المسيب أن على بن أبى طالب كرم الله وجهه قال من حدثكم
 بمحمد يشاد على ما ترويه القصص فاجلدوه ما نه جلدوه وستين وهو وحده الغيبة أى الكذب على
 الانبياء وما يقوى هذا عنهم قالوا ان المعيرة بن شعبة زنا وشهد ثلاثة من الصحابة بذلك وأما
 الرابع فلم يقل الى رأيت ذلك بعينى فان عمر رضى الله عنه كذب أولئك الثلاثة وجلد كل واحد

منهم غماتين جلدة لأجل أنهم قد فؤا فإذا كان هذا الحال في واحد من آحاد الصحابة كذلك فكيف الحال مع داود عليه السلام مع أنه من أكابر الأنبياء عليهم السلام فثبت بما ذكرنا أن القصة التي ذكرها هؤلاء باطلة لا يجوز ذكرها قال الرازي حضرت في مجلس وفيه بعض الأكابر فكان يريد أن يعصب لتقرير ذلك القول الفاسد والقصة الخبيثة بسبب اقتضى ذلك فقلت له لاشك أن داود عليه السلام كان من أكابر الأنبياء والرسل وقال الله تعالى الله أعلم حيث يجعل رسالته ومن مدحه الله تعالى بمثل هذا المدح العظيم لم يجوز لنا أن نبالغ في الطعن فيه وأيضا نقدر أنه ما كان نبيا فلا شك أنه كان مسلما وقال صلى الله عليه وسلم لا تذكروا موتاكم إلا بخير وذكرته أشياء أخر قال فسكت ولم يذكر شيئا (فان قيل) قد ذكر هذه القصة كثير من المحدثين والمفسرين (أجيب) بأنه لما وقع التعارض بين الدلائل القاطعة وبين خبر واحد من أخبار الأكابر كان الرجوع إلى الدلائل القطعية واجبا والمحققون يردون هذا القول ويحكمون عليه بالكذب وأما القول الثاني فقالوا تحمل هذه القصة على حصول الصغيرة لأعلى حصول الكبيرة وذلك من وجوه الأول أن هذه المرأة خطبها أوربا فأجابوه ثم خطبها داود عليه السلام فأتوا أهلها فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المؤمن مع كثرة نسائه الثاني قالوا أنه وقع بصره عليها فمال قلبه إليها وليس له في هذا ذنب البتة أما وقوع بصره عليها بغير قصد فليس بذنب وأما حصول الميل عقب النظر فليس أيضا ذنبا لأن الميل ليس في وسعة فليس مكافأه بل لما اتفق أنه قتل زوجها تزوج بها الثالث أنه كان أهل زمان داود عليه السلام يسأل بعضهم بعضا أن يطلق زوجته حتى يتزوجها وكان عادة مألوفة مهودة في هذا المعنى فاتفق أن عين داود عليه السلام وقعت على تلك المرأة فأحبها فأسأله النزول عنها فاستحيا أن يرده ففعل وهي أم سليمان فقبيل لذلك وإن كان جائزا في ظاهر الشريعة إلا أنه لا يليق بك فإن حسنات الأبرار سيئات المقربين فهذه وجوه ثلاثة لو حلت هذه القصة على واحد منها لم يلزم في حق داود عليه السلام الاترك الأفضل والاولى وأما القول الثالث فقال تحمل هذه القصة على وجه لا يلزم منه إيجاب كبيرة ولا صغيرة لداود عليه السلام بل يوجب أعظم أنواع المدح والثناء وهو أنه قدر وى ان جماعة من الأعداء طمعوا في ان يقتلوا نبي الله داود عليه السلام وكان له يوم يخلو فيه بنفسه وبشئ من فيه بطاعة ربه فانهزوا الفرصة في ذلك اليوم وتسوروا المحراب فلما دخلوا عليه وجدوا عنده أقواما معهم منه فحافوا ووضعوا كذبا وقالوا خصمان بنى بعضنا على بعض المآثر القصة فسلم غرضهم وقصد أن ينقم منهم وظن أن ذلك ابتلاء من الله تعالى فاستغفر ربه عما هم به وأتاب (فان قيل) ههنا أربعة ألفاظ يمكن أن يحتج بها في الحاق الذنب بداود عليه السلام أحدها قوله تعالى وظن داود أنما قبضناه وثابها قوله تعالى فاستغفر ربه وثالثها قوله تعالى وأتاب ورابعها قوله تعالى فغفرنا له ذلك (أجيب) بأن هذه الالفاظ لا يدل شي منها على ما ذكر لاحتمال أن تكون الزلة إنما حصلت من باب ترك الأفضل والاولى كما مر وحل هذه الالفاظ

على هذا الوجه لا يلزم منه اسناد شيء من الذنوب اليه بل ذلك يوجب اسناد أعظم الطاعات اليه وقيل ان ذنبه المبادرة الى تصديق المدعى وتطليم الآخرفيل مسئلة وهناك أشياء كثيرة ذكرها البغوى وغيره وفيما ذكرناه كفاية (فقد فرنا له ذلك) أى ما استغفر منه (وان له عندنا الرزق) أى زيادة خير في الدارين بعد المغفرة (وحسن ما ب) أى مرجع في الجنة • ولما تم الكلام في شرح القصة أردفها ببيان أن الله تعالى قوض الى داود خلافة الارض بقوله تعالى (يا داود انا جعلناك خليفة في الارض) أى تدبر أمر العباد بأمرنا وهذا من أقوى الدلائل على فساد القول الأول كما مر لان من البعيد جدا أن يوصف الرسول بكونه ساعيا في فسق دماء المسلمين رغبة في انتزاع أزواجهم من أيديهم ثم يذكركه أن الله تعالى قوض خلافة الارض اليه ثم في نفسه يركونه خليفة وجهان أحدهما جعلناك تخاف من تقدمك من الانبياء في الدعاء الى الله تعالى وفي سياسة الناس لان خليفة الرجل من يخلفه وذلك انما يعقل في حق من تصح عليه الغيبة وذلك على الله تعالى محال فانهم انا جعلناك محكما في الناس فافذا الحكم فيهم فلهذا التأويل يسمى خليفة ومنه يقال خليفة الله تعالى في أرضه وحامله ان خليفة الرجل يكون نافذا الحكم في رعيته وحقيقة الخلافة بمنفعة في حق الله تعالى فلما امتنعت الحقيقة جعلت اللفظة للزوم نفاذ الحكم في تلك الحقيقة (فأحكم بين الناس) أى الذين يتحاكمون اليك من أى قوم كانوا (بالحق) أى بالعدل لان الاحكام اذا كانت مطابقة للشريعة الحقة الالهية انتظمت مصالح العالم واتسعت أبواب الخير واذا كانت الاحكام على وفق الاهوية وتخصيل مقاصد الانفس أفضى ذلك الى تخريب العالم ووقوع الهرج فيه والمرج في الخلق وذلك يفضي الى هلاك ذلك الحاكم ولهذا قال تعالى (ولا تتبع الهدى) أى لا تل مع ما تشتهى اذا خالف أمر الله تعالى ثم سبب عنه قوله تعالى (فيضلك) أى ذلك الاتباع أو الهوى (عن سبيل الله) لان متابعة الهوى توجب الضلال عن سبيل الله والضلال عن سبيل الله يوجب سوء العذاب (ان الذين يضلون عن سبيل الله) أى عن الايمان بالله تعالى (لهم عذاب شديد بما نسوا) أى بسبب نسيانهم (يوم الحساب) أى المرتب عليه تركهم الايمان ولو أيقنوا يوم الحساب لا منوا في الدنيا وقال الزجاج يتركهم العمل لذلك اليوم وقال عكرمة والسدى في الآية تقديم وتأخير تقديره لهم عذاب شديد يوم الحساب بما نسوا أى تركوا القضاء بالعدل (وما خلقنا السماء التي ترونها والارض وما بينهما) أى مما تحسبون به من الرياح وغيرها خلقا (باطلا) أى عبثا قال الله تعالى أنما خلقناكم عبثا وأنكم اليينا لاترجعون • (تنبيه) • احتج اهل السنة بأن هذه الآية تدل على أنه تعالى خلق كل ما بين السماء والارض وأعمال العباد مما بين السماء والارض فوجب أن يكون تعالى خالقها ودان على صحة القول بالحشر والتشر لا به تعالى لما خلق الخلق في هذا العالم فاما أن يكون خلقهم للاضرار والاتقاع أو لاشئ والاول باطل لان ذلك لا يليق بالرحيم الكريم والثالث أيضا باطل لان هذه الحالة خالصة حين كانوا معدومين فلم يبق الا أن يقال خلقهم للاتقاع وذلك الاتقاع

أما أن يكون في حياة الدنيا أو في حياة الآخرة والأول باطل لأن منافع الدنيا قليلة ومضارها كثيرة وتحمل الضرر الكثير لوجود المنفعة القليلة لا يليق بالحكمة ولما بطل هذا القول ثبت القول بوجود حياة بعد هذه الحياة الدنيا وذلك هو القول بالحشر والقيامة * (تنبيه) * يجوز في باطل أن يكون نعتا لمصدر محذوف أو حالا من ضميره أي خلقا باطلا وأن يكون حالا من فاعل خلقنا أي مبطلين أو ذوى باطل وإن يصحكون مفعولا من أجله أي للباطل وهو العيب (ذلك) أي خلق ما ذكرنا لشيء (ظن الذين كفروا) أي أهل مكة هم الذين ظنوا أنهم ما خلقوا غير شيء وأنه لا بعث ولا حساب (قويل) أي هلاك عظيم بسبب هذا الظن أو وادي جهنم (للتين كفروا) أي مطلقا بهذا الظن وغيره من أي شرك كان (من النار) لأن من أنكر الحشر والقيامة كان شاكاً في حكمته الله تعالى في خلق السموات والأرض * ونزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إننا نعطي في الآخرة مثل ما تعطون (أم نجعل) أي على عظمته (الذين آمنوا) أي امتثالاً وأمرنا (وعملوا الصالحات) تحقيقاً لإيمانهم (كالمفسدين) أي المطبوعين على الفساد والراحمين فيه (في الأرض) أي بالسفر وغيره لم نجعلهم مثلهم وأم منقطعة والاستثناء فيها لا إنكار للتسوية بين الحزبين التي هي من لوازم خلقها باطلا لئلا يسدل على نفسه وكذا التي في قوله تعالى (أم نجعل المتقين كالضالين) كرا لا إنكار الأول باعتبار وصفين آخرين ينعمان بالتسوية أولاً بين المؤمنين والكافرين ثم بين المتقين من المؤمنين والمجرمين منهم وقوله تعالى (كتاب) خبر مبتدأ ضمير أي هذا كتاب ثم وصفه بقوله تعالى (أنزلناه) أي بآلنا من العظمة (الملك) بأشرف الخلق (مبارك) أي كثير خيره ونفعه وقوله تعالى (ليدبروا) أصله ليدبروا وأدغمت التاء في الدال (آياته) أي ليتفكروا في أسرار العجيبات ومعانيه اللطيفة فبأمر وأبأوامره ومناهيه فيؤمنوا (وليتذكروا) أي وليستغظبه (أولو الألباب) أي أصحاب العقول * القصة الثانية قصة سليمان عليه السلام المذكورة في قوله تعالى (وهيئنا) أي بمآلنا من العظمة (لداود سليمان) ابنه فجاء عديم النظير في ذلك الزمان ديناً وديناً وعلماً وحكمة وعظمة ورجة والمخصوص بالمدح في قوله تعالى (نعم العبد) محذوف أي سليمان وقيل داود (أنه أواب) أي رجع إلى التسبيح والذكر في جميع الأوقات (آذ) أي أذكر أذ (عرض عليه) أي سليمان وقوله تعالى (بالعشي) وهو ما بعد الزوال إلى الغروب وقوله تعالى (الصافات) أي الخليل العربية الخالصة جمع صافته وفيه خلاف بين أهل اللغة فقال الزجاج هو الذي يقف على إحدى يديه ويقف على طرف سفيكه وقد يقع ذلك بأحدى رجله قال وهي علامة الفراحة فيه وأنشد

ألف الصفون فلا يزال كأنه * مما يقوم على الثلاث كبير

وقيل هو الذي يجمع يديه ويسويهما وقيل هو القائم مطلقاً أي سواء كان من الخليل أم من غيرها قاله القتيبي واستدل بقوله صلى الله عليه وسلم من سره أن تقوم الناس له صفوها فليتبوأ مقعده من النار أي يديه وله القيام وجاء في الحديث بتفصافها أي صافين أقدمنا

وقيل هو قبيل الخليل مطلقاً أي سواء وقف على طرف سنبله أم لا قال الفراء على هذا
وأيت أشعار العرب واختلاف أيضاً في قوله تعالى (الجباد) فهي أمان الجودة ويقال جاد
الفرس من يجود جودة وجودة بالفتح والضم فهو جواد للذكور والانثى وهو الذي يجود في جريه
بأعظم ما يقدر عليه والجمع جباد وأجواد وأجاويد وقيل جمع لجود بالفتح ثياب وثوب
وأما من الجيد وهو العنق والمعنى طويلة الأجساد وهو دال على فراحتها قال الكلبي
غزا سليمان أهل دمشق ونصيبين فأصاب منهم ألف فرس وقال مقاتل ورث سليمان من أبيه
داود ألف فرس وقال عوف عن الحسن بلغني أنها كانت خيلاً خرجت من البصرة لها
أجنحة وعن عكرمة أنها كانت عشرين ألف فرس لها أجنحة فصل سليمان الصلاة الأولى
التي هي الظهر وقعد على كرسيه وهي تعرض عليه منها تسعمائة فرس فقتبه صلاة العصر
فاذا الشمس قد غربت وفاتته الصلاة ولم يعلم بذلك هيبة له فاعتم لذلك (فقال اني أحبت)
أي أردت (حب الخير) أي الخليل (عن ذكر ربي) أي صلاة العصر (حق توارت) أي
الشمس (بالجباب) أي استترت بما يحجبها عن الابصار (ردوها على) أي الخليل المعروضة
وقيل الضمير يرجع للشمس قال الرازي وهذا بعيد لجوده الأول ان الصافات مذكورة
بالصريح والشمس غير مذكورة وعود الضمير إلى المذکور أولى من عوده إلى المقدر
وثانيها أنه لو اشتغل بالليل حتى غربت الشمس وفاتته صلاة العصر كان ذلك ذنباً عظيماً ومن
كان هذا حاله فطريقه التضرع والبكاء والمبالغة في اظهار التوبة قائماً أن يقول على سبيل
العظمة لرب العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الادب عقب ذلك الجرم
العظيم الذي لا يصدر عن أبعاد الناس عن الخير فكيف يجوز اسناده للرسول عليه السلام
المظهر المحرم ثالثها أن الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلك مشاهد الكل أهل الدنيا
ولو كان كذلك لتوفرت الدوايح على نقله وحيث لم ينقل علمنا فسادته انتهى قال أكثر المفسرين
فلما ردا الخليل إليه أقبل بضرب سوقها وأعناقها بالسيف أخذ من قوله تعالى (فلفق
مسها) أي فأخذ يمسح السيف مسها (بالسوق والأعناق) أي سوقها وأعناقها يقطعها
من قولهم مسح علاوته اذا ضرب عنقه فالوفا فعل ذلك تقرباً إلى الله تعالى وطلباً لمرضاته حيث
اشتغل عن طاعته وكان ذلك مباحاً له وان كان حراماً علينا كما أبيع لنذبح بهيمة الانعام وبقي
منها مائة فرس فبقي في أيدي الناس اليوم من الخليل من نسل تلك المائة قال الحسن
فلما عقر الخليل أبده الله تعالى خيرها منها وأمرع وهي الرمح تجري بأمره كيف شاء قال
الرازي وهذا غرضي بعيد لجوده الأول أنه لو كان مسح السوق والأعناق قطعها للكان معنى
فامسحوا برؤوسكم أي أقطعوها وهذا لا يقوله عاقل بل لو قيل مسح رأسه بالسيف فربما فهم
منه ضرب العنق أما اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المصحح العقر والذبح الثاني أن
القائلين بهذا القول أجوهوا على أن سليمان عليه السلام أنواعاً من الأفعال المذمومة فأثروها
ترك الصلاة وثانيها أنه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا حتى نسي الصلاة وقال صلى الله عليه

وسلم حب الدنيا رأس كل خطيئة وثالثها انه بعد الايمان بهذا الذنب العظيم لم يستقل بالتوبة
والارادة البتة ورابعها أنه خاطب رب العالمين بقوله ردوها علي وهذه كلمة لايقولها
الرجل الحصيف الامع الخادم الخسيس وخامسها انه اتبع هذه المعاصي بغير الخليل في سوقها
وأعناقها وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن ذبح الحيوان الا لأكلة وهذه أنواع من
الكبائر يسبون بها الى سليمان عليه السلام مع أن لفظ القرآن لم يدل على شيء منها وخلصتها
ان هذه القصص انما ذكرها الله تعالى عقب قوله وقالوا ربنا عمل لنا قنطرة قبل يوم الحساب
وان الكفار لما بالغوا في السفاهة الى هذا الحد قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم اصبر
على ما يقولون واذا كر عبد نادى ادوتم ذكر عقبه قصة سليمان عليه السلام فقال تعالى ووهبنا
لداود سليمان الآية والتقدير انه تعالى قال لمحمد صلى الله عليه وسلم يا محمد اصبر على ما يقولون
واذا كر عبد ناسلجنا وهذا الكلام انما يليق اذا قلنا ان سليمان عليه السلام أتى في هذه
القصة بالاعمال الفاضلة والاخلاق الحميدة وصبر على طاعة الله تعالى وأعرض عن
الشهوات واللذات فلو كان المقصود من قصة سليمان عليه السلام في هذا الموضع انه أقدم على
الكبائر العظيمة والذنوب لم يكن ذكر هذه القصة لا تشقا قال والصواب ان تقول ان رباط
الخليل كان مندوبا اليه في دينهم كما هو في دين محمد صلى الله عليه وسلم ثم ان سليمان عليه السلام
احتاج الى الغزو وخلص وأمر باحضار الخليل وأمر باجرائها وذكرا في لأجرهما لاجل
الدينا ونصيب النفس وانما أجريها الامر الله تعالى وطلب تقوية دينه وهو المراد من قوله عن
ذكر ربى ثم انه عليه السلام أمر باجرائها وسيرها حتى توارت بالحجاب أى غابت عن بصره ثم
انه أمر الرابضين ان يردوها فردوا تلك الخليل اليه فلما عادت اليه طفق يسمع سوقها
وأعناقها والغرض من ذلك أمور الاول تشرى بها لها وابانة لعزتها ~~التي~~ كونها من أعظم
الاعوان في دفع العدو الثاني أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك يتبع الى حيث
يأشرك اكثر الامور بنفسه الثالث أنه كان أعلم بأحوال الخليل ومراهمها وعيوبها فكان
يسمع او يسمع لها سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها ما يدل على المرض فهذا التفسير هو الذي
ينطبق عليه لفظ القرآن ولا يلزم منه نسبة شيء من المنكرات الى سليمان عليه السلام
والعجب منهم كيف قبلوا هذه الوجوه الضعيفة مع أن العقل والنقل يردوها وليس لهم
في اثباتها شبهة فضلا عن حجة قال فان قيل فالجهور يفسروا الآية بتلك الوجوه فالجواب
أن تقول لفظ الآية لا يدل على شيء من تلك الوجوه التي يذكر فيها المآذ كراوا أيضا فان الدلائل
الكثيرة قامت على عصمة الانبياء عليهم الصلاة والسلام ولم يدل على حجة هذه الحكايات دليل
قطعي ورواية الآحاد لا تصلح معارضة للدلائل القوية فكيف الحكايات من أقوام لا يلتفت
الى أقوالهم والذي ذهبنا اليه قول الزهري وابن كيسان أنه وقد يجيب من جهة الجمهور
ان ما نسب اليهم ممنوع وبيان ذلك أن قوله اذا لم يذكر لفظ السيف لم يفهم منه البتة من المسح
العقر والذي يقال القرينة كافية في ذلك وقوله انهم جمعوا أنوعا مذمومة وأولها ترك

الصلاة انما يكون ذلك مذموما اذا تركها متعمدا ولم يكن ذلك بل نسيها وقد نام صلى
الله عليه وسلم في الوادي حتى طلعت الشمس وقضى الصبح والنسيان والنوم لا مؤاخذة فيهما
وقوله ثانيا انه استولى عليه الاشتغال بحب الدنيا انما اشتغل بذلك لامر الجهاد وهو مطلوب
في حقه وقوله ثالثا انه لم يشتغل بالتوبة يقال انه لم يأت بذنب وقوله رابعا انه خاطب رب
العالمين بقوله رددوها علي تمنوع والمخاطب انما هو جماعة وقوله خامسا الى ان قال وقد نسي
الغبي صلى الله عليه وسلم عن عقرب الحيوان قدم مر عنهم أن ذلك كان مباحا له فليس فيما قالوه
نسبة سليمان عليه الصلاة والسلام الى معصية فلو قال الاولي ان يقال كذا كان أولى وقرأ قبيل
همزة ساكنة بعد السين وقيل عنه أيضا بضم الهمزة وواو بعدها واختلف في سبب الغفلة
التي وقعت لسليمان عليه السلام في قوله تعالى (ولقد فتنا سليمان وألقيناه) أي بما لنا من
العظمة (على كرسية حسنا ثم أناب) فقال محمد بن اسحق عن وهب بن منبه قال سمع سليمان
بعدينة في جزيرة من جزائر البحر وكان الله تعالى قد أعطى سليمان في ملكه سلطانا لا يمتنع عليه شيء
في بر ولا بحر انما يركب اليه الريح فخرج الى تلك المدينة فتملحه الريح على ظهر الماء حتى نزل
بها فيجنوده من الجن والانس فأخذها وقتل ملكها وسبها فيها وأصاب فيما أصاب بنتا لذلك
الملك يقال الهاجر اذ لم ير مثلها حسنا وجالا فاصطفها لنفسه ودعاها الى الاسلام فأسلت
على جفامتها وقلة فقهه وأحبها حبا لم يحبه شيئا من نساءه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها
ولا رقا دمعها فشق ذلك على سليمان عليه السلام فقال لها ويحك ما هذا الحزن قالت له ان
أبي أذكركه وأذكرك ما كان فيه وما أصاب فيحزنني ذلك فقال لها سليمان عليه السلام
قد أبدلك الله ملكا هو أعظم من ملكه وسلطانا هو أعظم من سلطانه وهذا الى الاسلام
وهو خير من ذلك كله قالت ان ذلك كذلك ولكن اذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك
أمرت الشياطين فصوروا صورته في داري أراها بكرة وعشب الرجوت أن يذهب ذلك حزني
فأمر سليمان عليه السلام الشياطين ففعلوا لها صورة أبيها فعمدت اليه حين صنعوه وألصقته
ثيابا من ثياب التي كان يلبسها ثم كانت اذا خرج سليمان عليه السلام تذهب اليه مع ولاتها
فتسجد له ويسجدن معها لتعالها كما كانت تصنع في ملكه وسليمان عليه السلام لا يعلم بشيء
من ذلك أربعين صباحا فبلغ ذلك آصف بن برخيا وكان صديقا لسليمان عليه السلام وكان لا يرد
عن أبواب سليمان عليه السلام أي ساعة أراد دخول شيء من بيوت سليمان عليه السلام حاضرا
كان سليمان عليه السلام أوغابا فقال يا بني الله كبرسني ورق عظمي ونفد عري وقمحات مني
الذهاب وقد أحيت ان أقوم مقام اقبل الموت أذكرفيه من مضى من الانبياء عليهم الصلاة
السلام وأثنى عليهم فاعلم فيهم وأعلم الناس ببعض ما كانوا يجهلون من كثير أمرهم فقال افعل
فجمع سليمان عليه السلام الناس فقام فيهم خطيبا فذكر من مضى من أنبياء الله تبارك وتعالى
وأثنى على كل نبى بما فضله الله به حتى انتهى الى سليمان عليه السلام فقال ما كان أحكمك في صفرك
ثم انصرف فوجد سليمان عليه السلام في نفسه من ذلك حسنة امتلا غضبا فلما دخل داره

دعاه فقال يا آصف ذكرت من مضى من أنبياء الله تعالى فأثبت عليهم خبرا في كل زمانهم وكل
 حال أمرهم فلما ذكرني جعلت تنفي عليّ خبرا في صغري وسكت عما سوى ذلك من أمرى
 فما الذي أحدثت في آخر عمرى فقال آصف ان غير الله تعالى يعبد في دارك فقال سليمان عليه
 السلام ان الله وانا اليه راجعون لقد عرفت انك ما قلت الذي قلت الا عن شيء بلغك ثم رجع
 سليمان عليه السلام الى داره فكسر الصورة وعاقب تلك المرأة ولائدها وخرج وحده الى فلاة
 ففرس الرهاد وجلس عليه تائباً الى الله تعالى وكانت له أم وليد يقال لها الامينة اذا دخل للطهارة
 أو لاصابة امرأة وضع خاتمه عندها وكان ملكه فيه فوضعه عندها يومافاتها الشيطان صاحب
 البحر واسمه خضر على صورة سليمان عليه السلام وقال لها يا امينة خاتمي فناولته الخاتم وتحنّته به
 وجلس على كرسي سليمان عليه السلام فعكف عليه الطير والجن والانس وتغيرت صفة سليمان
 عليه السلام فألقى الامينة يطلب الخاتم فأذكرنه فعرف أن الخطيئة قد أدركته فكان يدور على
 البيوت يتكفف واذا قال أنا سليمان خنوا عليه التراب وسجوه وأخذ ينقل السمك للسماكين
 فيعطونه كل يوم سمكتين فاذا أمسى باع احدهما بأربعة وشرى الاخرى فأكلها فكث كذلك
 أربعين صباحاً مدة ما كان عبد الوثن في داره فأذكر آصف وعظما بني اسرائيل حكم الشيطان
 وسأل آصف نساء سليمان عليه السلام فقالن ما يدع امرأة في دمه ولا يغتسل من جنابة فقال
 آصف ان الله وانا اليه راجعون ان هذا هو والبلاء المبين ثم خرج عليّ بن اسرائيل فقال ما في
 الخاصة أعظم مما في العامة فلما مضى أربعون صباحاً طار الشيطان وقذف الخاتم في البحر
 فابتغته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان عليه السلام بسمكتين صدر يومه ذلك
 حتى اذا كان العشي اعطاه سمكتيه فأعطى السمكة التي أخذت الخاتم وخرج سليمان عليه
 السلام بسمكتيه فباع السمكة التي ليس في بطنها الخاتم بالارغفة ثم عد الى السمكة الاخرى فبقرها
 ايشو بها فاستقبله الخاتم في جوفها فأخذته فجعل في يده ووقع ساجدا وعكفت عليه الطير والجن
 والانس ورجع الى ملكه وأخذ ذلك الشيطان وجسه في صخرة وأقامه في البحر هذا المخلص
 حديث وهب وقال الحسن ما كان الله ليهلك الشيطان على نسيانه وقال السدي كان سب قنينة
 سليمان عليه السلام أنه كانت له مائة امرأة وكانت امرأته ضمن يقال لها جردة وهي آخر نساءه
 وأمنهن عنده وكان يأخذها على خاتمه اذا أتى حاجته فقالت له يوما ان أخي بينه وبين فلان خصومة
 فأحب أن تقضي له فقال نعم ولم يفعل فابتلى بقوله نعم وذكر نحو ما تقدم وفي بعض الروايات ان
 سليمان عليه السلام لما اقتنى سقط الخاتم من يده وكان فيه ملكة فعاد سليمان عليه السلام الى يده
 فسقط فأيقن سليمان عليه السلام بالقنينة فاتاه آصف فقال لسليمان عليه السلام انك مقنون
 بذنوب والخاتم لا يتناك في يدك ففزع الى الله تعالى تائباً فاني أقوم مقامك وأسير بسيرك الى أن يتوب
 الله تعالى عليك ففرّ سليمان عليه السلام الى الله تعالى وأعطى آصف الخاتم فوضعه في يده فثبت
 فأقام آصف في ملك سليمان عليه السلام بسيرة أربعة عشر يوماً الى أن رزاه الله تعالى على سليمان
 عليه السلام ملكه وتاب عليه ورجع الى ملكه وجلس على مريه وأعاد الخاتم في يده فهو الجسد

الذي ألقى على كرسية وروى عن سعيد بن المسيب قال احتجب سليمان عليه السلام عن الناس ثلاثة أيام فأوحى الله تعالى إليه احتجب عن الناس ثلاثة أيام فلم تنظر في أمور عبادي فأتاه الله عز وجل وذكر نحو ما تقدم من حديث الخاتم وأخذ الشيطان أياه قال الرازي وأبعد أهل التحقيق هذا الكلام من وجوه الأول أن الشيطان لو قدر على أن ينسبه في الصورة والخلق بالإنبياء لغيره لآبى اعتماد على شيء من ذلك فلعقل هؤلاء الذين رأهم الناس على صورة محمد وعيسى وموسى عليهم السلام ما كانوا أولئك بل كانوا شياطين تشبهوا بهم في الصورة لأجل الاغواء والاضلال وذلك يطل الدين بالكلية الثاني أن الشيطان لو قدر أن يعامل نبي الله تعالى سليمان عليه السلام على هذه المعاملة لوجب أن يقدر على مثلها مع جميع العلماء والزهاد وحينئذ يجب أن يقتلهم ويترق تصانيفهم ويخرب ديارهم ولما بطل ذلك في حق أحاد العلماء فلان يطل في حق أكابر الانبياء أولى الثالث كيف يليق بحكمة الله تعالى واحسانه أن يسلم الشيطان على أزواج سليمان عليه السلام ولا شك أنه قبيح أي على غير رأى الحسن كما مر الرابع لو قلنا أن سليمان عليه السلام أذن لملك المرأة في عبادتها تلك الصورة فهذا كفر منه وان لم يأذن فيه البتة فالذنب على تلك المرأة فكيف يؤخذ ذلك الله تعالى سليمان عليه السلام بفعله لم يصدر منه أي وقد يقال انما أخذ بذلك لكونه سبيبا في عملها قال فاما أهل التحقيق فقد ذكرُوا وجوها الأول أن قصة سليمان عليه السلام أنه ولد له ابن فقالت الشياطين ان عاش صار مسلطا علينا مثل أبيه فسيبنا أن تقتله فعلم سليمان عليه السلام ذلك فمكأن يريه في السحاب فينماها ويستغل بجهامة اذ ألقى ذلك الولد ميتا على كرسية فتمتبه على خطيئته في أنه لم يشق ولم يتوكل على الله تعالى فاستغفر ربه وتاب الثاني روى عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال قال سليمان لا طوفن الليلة على سبعين امرأة كل امرأة تأتي بفارس يجاهد في سبيل الله ولم يقل ان شاء الله تعالى فطاف عليهن فلم تحمل. هنن الا امرأة واحدة جاءت بشق رجل والذي نفسى بيده لو قال ان شاء الله تعالى لجاهدوا في سبيل الله فرسانا جميعين فذلك قوله تعالى ولقد فتنا سليمان وألقينا على كرسية جسد الثالث أنه أصابه مرض فصار يجلس على كرسية وهو مريض فذلك قوله تعالى والقينا على كرسية جسد. وذلك لشدة المرض والعرب تقول في الضعيف انه لحم على وضغ وجسم بلا روح ثم أناب أي رجع الى حال الصحة أي وهذا أظهر ما قيل كما قاله البيضاوي الرابع لا يعد أيضا أن يقال انه ابتلاه الله تعالى بتسليط وقوع خوف أو وقوع بلاء ليقع من بعض الجهات حتى صار بقوة ذلك الخوف كالجسد الضعيف الخفي على ذلك الكرسي ثم ان الله تعالى أزال عنه ذلك الخوف وأعاد الى ما كان عليه من القوة وطيب القلب فاللفظ محتمل لهذه الوجوه ولا حاجة الى حمله على تلك الوجوه الركيكة (فان قيل) لولا تقدم الذنب لما (قال رب اغفر لي) (أجيب) بأن الانسان لا يفتك عن ترك الافضل وحينئذ يحتاج الى طلب المغفرة لان حسنات الابرا رسيمات المقربين ولانه أبدا في مقام هضم النفس واطهار الندم والخضوع كما قال صلى الله عليه وسلم اني لاستغفر الله تعالى في اليوم والليلة سبعين

مرة مع أنه صلى الله عليه وسلم غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر فلا يبعد أن يكون المراد من هذه الكلمة هذا المعنى واختلف في قول سليمان عليه السلام (وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي) أي سواي نحو من يهديه من بعد الله أي سوى الله فقال عطاء بن أبي رباح يريد هب لي ملكا لا تسلبني في باقي عمري (أنك أنت الوهاب) وقال مقاتل إن الشيطان لما استولى على مملكته طلب أن يعطيه الله ملكا لا يقدر الشيطان على أن يقوم فيه مقامه البتة وقال من أنكر أن الشيطان لم يستول على ذلك أن ذلك محتمل لوجوه الأول أن الملك هو القدرة فكان المراد أقدرني على أشياء لا يقدر عليها غيره البتة لبصير اقتداري عليها معجزة تدل على صحة نبوتي ورسالتي ويدل على صحة هذا القول قوله تعالى (فصخرنا) أي بما لنا من العظمة (له الريح تجري بأمره رخاء) أي حالة كونها البتة غابة اللين منقادا يدرك بها ما لا تدرك الخيل غدوها شهر ورواحها شهر (حيث أصاب) أي أراد فكون الريح جارية بأمره قدرة عجيبة وملك عجيب دال على صحة نبوته لا يقدر أحد على معارضته وقد جعل الله تعالى لنا نبيا محمدا صلى الله عليه وسلم أعظم من ذلك وهو أن العدو رعب منه إلى مسيرة شهر من جوانبه الاربعة فهي أربعة أشهر الثاني أنه عليه السلام لما مرض ثم عاد إلى الصحة عرف أن خيرات الدنيا صائرة إلى التغيرات فسأل ربه ملكا لا يمكن أن يقتل معنى إلى غيري الثالث أن الاحتراز عن طبقات الدنيا مع القدرة عليها أشق من الاحتراز عنها حال عدم القدرة فكانه قال يا ألهي أعطني مملكة فائقة على ممالك البشر بالكلية حتى احترز عنها مع القدرة عليها بصيرتواي أكمل وأفضل الرابع سأل ذلك ليكون علامة على قبول توبته حيث أجاب الله تعالى دعاءه ورد عليه ملكه وزاده فيه وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن عنبريتا من الجن أتاني الليلة ليقطع علي صلاتي فأمكنني الله منه فأخذته فأردت أن أربطه على سارية من سواري المسجد حتى تنظروا إليه فذكرت دعوة أخي سليمان وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي فردته خاسئا فعلم من هذه الأوجه أنه ليس في كلام سليمان عليه السلام ما يشبه الحسد وهو طلب ما لا ينبغي لأحد غيره وأجاب الزمخشري بأجوبة غير ذلك منها أن سليمان عليه السلام كان ناشئا في بيت الملك والنبوذة ووارثا لهما فأراد أن يطلب من ربه معجزة فطلب على حسب الفهم لما كان ذا أعلى الممالك زيادة خارقة للعادة بالغة حدا لا يمكن أن يكون ذلك دليلا على نبوته فآهر المبعوث إليهم ثم قال وعن الحجاج أنه قيل له أنك حسد فقال احسدني من قال وهب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي قال وهذا من جراته على الله تعالى وشيئسته ومن شيئسته ما حكى عنه طاعتنا وأوجب من طاعة الله لأنه شرط في طاعته فقال فأتوا الله ما استطعتم وأطلق في طاعتنا قال وأولى الأمور منكم (فان قيل) قوله تعالى رخاء ينافيه قوله تعالى في آية أخرى ولسليمان الريح عاصفة (أجيب) عن ذلك بوجهين الأول أن المراد أن تلك الريح كانت في قوة الرياح العاصفة لأنها لما مرت بأمره كانت لذية طيبة وكانت رخاء الثاني أن تلك الريح كانت إنسية مرة وعاصفة أخرى فلا منافاة بين الاثنين * (تنبيه) * قوله تعالى حيث نظرت لتجسري أو لسخرنا * (فائدة) *

روى أن وجلين خرجا يقصدان رؤبة يسألانه عن معنى أصاب فقال لهما أين تصبيان فعرفا
 وقالاهذا بعتنا وقوله تعالى (والشياطين) عطف على الريح وقوله تعالى (كل بناء) بدل
 من الشياطين ~~ص~~ كانوا يبنون له ما شاء من الابنية روى أن سليمان عليه السلام أمر الجان
 فبنت له اصطغر وكان فيه مقرار مملكة الترك قديما وبنت له الجان أيضا دمر وبيت المقدس
 وباب جبرون وباب البريد اللذين بدمشق على أحد الأقوال وبنو اله ثلاثة قصور باليمن غمدان
 وسلمين ويبنون ومدبنة صنعاء وقوله تعالى (وغوص) عطف على بناء أى يغوصون له
 في البحر يستخرجون اللؤلؤ وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر وقوله تعالى (وآخرين
 مقرنين) أى مشدودين (في الاصفاد) أى القيود يجمع أيديهم الى أعناقهم عطف على كل
 فهو داخل في حكم البدل فكانه فصل الشياطين الى عمله استعملهم في الاعمال الشاقة
 كالبناء والغوص ومردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل ليدعوا عن الشر (فان قيل)
 أجسامهم اما أن تكون كثيفة أو لطيفة فان كانت كثيفة وجب ان يراها صحيف الحاسبة
 وان كانت لطيفة فلا تقوى على العمل ولا يمكن تقريرها (اجيب) بأن أجسامهم شفاقة صلبة
 فلا ترى وتقوى على العمل ويمكن تقريرها (اجيب) بان أجسامهم شفاقة صلبة فلا ترى
 وتقوى على العمل ويمكن تقريرها وأن المراد تمثيل فكهم عن الشر وبالاقتران في الصفة وهو
 القيد ويسمى به العطاء لانه يربط المنعم عليه وفروا بين فعل الصند بمعنى القيد وفعله بمعنى
 العطاء فقالوا صفة قيده وأصفده أعطاه عكس وعدوا في الخير والشر وفي ذلك نكتة
 وهي ان القيد ضيق فناسبه تقليل حروف فعله والعطاء واسع فناسبه تكثير حروف فعله والوعد
 خبير وهو خفيف فناسبه تقليل حروفه والابعاد شر وهو يقل فناسبه تكثير حروفه
 (هذا) أى وقلنا هذا الامر الكبير (عطاؤنا) أى على مالنا من العظيمة (فانتم أو أمسك)
 قال ابن عباس رضى الله عنهما أعطى من شئت وامنع من شئت قال المفسرون أى لا حرج عليك
 فيما أعطيت وفيما أمسكت وقال الحسن ما أنعم الله تعالى على أحد نعمة الا لعله تبعه الاسلام
 عليه السلام فانه ان أعطى أجروا لم يهبط لم يكن عليه تبعه وقال مقاتل هذا في أمر الشياطين
 بمعنى خل من شئت منهم وأمسك من شئت في وثاقل لا تبعه عاك فيما يتعاطاه وقوله تعالى
 (بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه أحدها أنه متعلق بعطاؤنا أى أعطيناك بغير حساب
 ولا تقدير وهو الدال على كثرة الاعطاء ثانيها أنه حال من عطاؤنا أى في حال كونه غير محاسب
 عليه لانه جم كثير يعسر على الحساب ضبطه ثالثها أنه متعلق بما أنعم وأمسك ويجوز أن يكون
 حالا من فاعلها أى غير محاسب عليه * ولما ذكر تعالى ما أنعم عليه به في الدنيا اتبعه بما أنعم
 عليه به في الآخرة بقوله سبحانه وتعالى (وأن له عندنا) أى في الآخرة مع ما له من الملك العظيم
 في الدنيا (لأنى) أى قربي عظيمة (وحسن ما ب) وهو الجنة القصة الثالثة قصة أيوب عليه
 السلام المذكورة في قوله تعالى (وآذ عبدنا) أى الذى هو أهل للاضافة الى جنابنا ويسدل
 منه (أيوب) وهو ابن الروم بن عيسى بن اسحق وامرأته ليلابنت يعقوب عليه ما السلام وقوله

قوله وهو ابن الروم
 الخ كذا في النسخ
 وفي حاشية الجلال عن
 البضاوى أيوب بن
 عيسى بن اسحق ثم
 نقل عن التعبير
 أيوب هو ابن أموص
 ابن رعل بن عيسى
 ابن اسحق وقال
 في سورة الانعام
 أيوب بن أموص
 ابن رانج بن عيسى
 ابن اسحق بن ابراهيم
 ٨١

تعالى (أفنادى ربه) بدل من عبده نابذل اشتغال وأيوب عطف بيان له وقوله (إني) أي باني
(مسي الشيطان) أي المحترق باللعة البعيد من الرحمة (نصب) أي بمشقة وضمرت (وعذاب)
أي ألم مجيء على حكاية كلامه الذي نادى بسببه ولولم يحكه لقل أنه مسه لانه غائب وقال قتادة
رضي الله عنه النصب في الجسد والعذاب في المال واختلف العلماء في هذه الآلام والاسقام
الحاصلة في جسده على قولين أحدهما أنها حصلت بفعل الشيطان والثاني أنهم حصلت بفعل
الله تعالى والعذاب المضاف في هذه الآية إلى الشيطان هو عذاب الوسوسة والقاه الخواطر
الفاسدة أما تقرير القول الأول فهو ما روي أن إبليس لعنه الله سأل ربه فقال هل في عبيدك
من لولم تطعني عليه يمنع مني فقال الله تعالى نعم عبيدك أيوب فجعل يأتيه بوساوسه وهو يرى
إبليس عيانا ولا يلتفت إليه فقال رب أنه قد امتنع علي فسلطني على ماله فكان الشيطان يجيبه
ويقول له يا أيوب هلك من مالك كذا وكذا فيقول أيوب له الله أعطى والله أخذ ثم يحمد الله
سجدة وتعالى فقال يا رب إن أيوب لا يسألني بماله فسلطني على جسده فأذن فيه فنفخ في جلد
أيوب فحدث أسقام عليه وآلام شديدة فكث في ذلك البلاسين حتى استقذره أهل بلده فخرج
إلى الصحراء وما كان يقرب منه أحد فخاف الشيطان إلى امرأته وقال إن زوجك إن استغاث بي
خلصه من هذا البلا فذكرت المرأة ذلك لزوجها فخلف بالله لئن عافاه الله تعالى ليجادنها مائة
جلدة فعند هذه الواقعة قال اني مسني الشيطان بنصب وعذاب فأجاب الله تعالى دعاءه
وأوحى إليه ان اركض برجلك إلى آخر الآية وأما تقرير القول الثاني فإن الشيطان لا قدرة
له البتة على إيقاع الناس في الامراض والاسقام وبدل عليه وجوه الاقوال أنا لوجوزنا حصول
الموت والحياة والصحة والمرض من الشيطان ففعل الواحد منا انما وجد الحياة بفعل
الشيطان ولعل ما عندنا من الخيرات والسعادات قد حصل بفعله وحينئذ لا سبيل إلى معرفة
من يعطي الحياة والموت والصحة والسقم أهو الله تعالى أم الشيطان ثانياً أن الشيطان
لو قدر على ذلك فلم لا يسعي في قتل الانبياء والاولياء ولم لا يخرب دورهم ولم لا يقتل اولادهم
ثالثاً أن الله تعالى حكى عن الشيطان أنه قال وما كان لي عليكم من سلطان الا أن دعوتكم
فاستجبتم لي فنصرح بأنه لا قدرة له على البشر الا بالقاه الوسواس والخواطر الفاسدة فدل
ذلك على فساد القول بأن الشيطان هو الذي ألقاه في تلك الامراض (فان قيل) لم لا يجوز
أن يقال ان الفاعل لهذه الاحوال هو الله تعالى لكن على وفق التماس الشيطان (أجيب)
بأنه اذا كان لا بد من الاعتراف بأن خالق تلك الآلام والاسقام هو الله تعالى فأى فائدة
في جعل الشيطان واسطة في ذلك بل الحق أن المراد بقوله اني مسني الشيطان بنصب وعذاب
انه بسبب القاه الوسواس الفاسدة كدليله في أنواع العذاب والقائلون بهذه القول اختلفوا
في أن تلك الوسواس كيف كانت وذكروا أوجهاً ولها أن علمه كانت شديدة الا لم يتم طالت تلك
العله واستقذره الناس ونفروا عن مجاورته ولم يبق له مال البتة وامرأته كانت تخدعهم
الناس وتحصل له قدر القوت ثم بلغت نفرة الناس عنه إلى أن منعوا امرأته من الدخول

عليهم ومن خدمتهم والشيطان كان يذكر النعمة التي كانت عليه والآفات التي حصلت له وكان يحتمل في دفع تلك الوسواس * فلما قويت تلك الوسواس في قلبه خاف وتضرع الى الله تعالى وقال مسني الشيطان بنصب وعذاب لانه كلما كثرت تلك الخواطر كان تألم قلبه منها أشد فانيها أنه لما طالت مدة المرض جاءه الشيطان ليقنطه مرة ويرزله ليجزع مرة يخاف من خاطر التنوط في قلبه فتضرع الى الله تعالى وقال اني مسني الشيطان فانيها قيل ان امرأته كانت تخدم الناس وتأخذ منهم قدر القوت ونحوه الى أيوب عليه السلام فاتفق لها أنهم لما استخدموها طلبت بعض النساء منها قطع إحدى ذؤابتيها عني ان تعطينا قدر القوت ففعلت ثم في اليوم الثاني فعلت مثل ذلك فلم يبق لها ذؤابة وكان أيوب عليه السلام اذا أراد أن يتحرك على فراشه تعلق بتلك الذؤابة فلما لم يجد الذؤابة وقعت الخواطر الرديئة في قلبه فعند ذلك قال مسني الشيطان بنصب وعذاب رابعها روى انه عليه السلام قال في بعض الايام يارب لقد علمت اني ما اجتمع علي * امر ان الاثرت طاعتك ولما أعطيتني المال كنت للارامل قريبا ولابن السبيل معينا ولليتامى أبافتردي يا أيوب من كان ذلك التوفيق فأخذ أيوب عليه السلام التراب فوضعه على رأسه وقال منك يارب ثم خاف من الخواطر الاولى فقال مسني الشيطان بنصب وعذاب وذكروا أقوالا أخرى في سبب بلائه منها ان رجلا استغاثه على ظالم فلم يغثه وقيل كانت مواشيه ترحى في ناحية ملك كافر فداهه ولم يعظه وقيل أعجب بكثرة ماله واعلم أن داود وسليمان عليهما السلام كانا من أفاض الله عليهما أصناف الآلاء والنعمة وأيوب عليه السلام كان من خصه الله بأنواع البلاء والمقصود من جميع هذه القصص الاعتبار أن الله تعالى قال يا محمد اصبر على سفاهة قومك فانه ما كان في الدنيا أكثر من الانبياء نعمة وما لا وجها من داود وسليمان عليهما السلام وما كان فيهم أكثر بلاء ومحنة من أيوب عليه السلام فتأمل أحوال هؤلاء لتعرف أن أحوال الدنيا لا تنتظم لاحد وأن العاقل لا يبتذل من الصبر على المكروه * ولما اشتكى أيوب عليه السلام الشيطان وسأل ربه أن يزيل عنه تلك البلية أجاب الله تعالى له بأن قال له (أركض) أي اضرب (برجلك) أي الارض فضرب فنبعت عين ماء فقبل له (هذا مغتسل بارد) أي ماء تغتسل منه فيبرأ ظاهرك (وشرب) أي وتشرب منه فيبرأ باطنك وظاهر اللغز يدل على أنه نبعت له عين واحدة من الماء فاعتسل منه وشرب منه وأكثر المفسرين قالوا نبعت له عينان فاعتسل من احدهما وشرب من الاخرى فذهب الداء من ظاهره ومن باطنه باذن الله تعالى وقيل ضرب برجله اليمنى فنبعت عين حارة فاعتسل منها ثم باليسرى فنبعت عين باردة فشرب منها وقيل ضرب الارض فنبعت له عين ماء فذهب كل داء كان بظاهره ثم شئ أربعين خطوة فركض برجله الارض مرة أخرى فنبعت عين ماء عذب فشرب منه فذهب كل داء كان في باطنه (ووهبنا) اي بعلنا من العظمة (له أهله) أي بأن جمعناهم عليه بعدة فقرهم أو أوحينا لهم بعد موتهم وقيل وهبنا لهم مثل أهله والاول هو ظاهر الآية فلا يجوز العدول عنه من غير ضرورة (ومثلهم معهم) حتى

كان له ضعف ما كان وقوله تعالى (رحمة) أى نعمة (منا) مفعول لاجله أى وهبناهم له لاجل
رحمتنا اياد (وذكرى) أى وتذكيرا بحاله (لاولى الباب) أى أصحاب العقول ليعلموا ان
من صبر ظفر وأن رحمة الله تعالى واسعة وهو عند القلوب المنكسرة فى بينه وبين الاجابة
الاحسن الانابة فمن دام اقباله عليه أعفاه عن غيره كما قيل

لكل شئ اذا فارقه عوض * وما عن الله ان فارقت من عرض

وهذا تسلية لنبية صلى الله عليه وسلم كما مر وقوله تعالى (رخييدك ضغنا) معطوف
على اركض والضغث الحزمة الصغيرة من الخشيش والقضب ان فيها مائة عود كشمر اخ
وقيل الحزمة الكبيرة من القضب ان وقوله سبحانه وتعالى (فاضرب به ولا تحنث) يدل
على تقدم عين منه عليه الصلاة والسلام واختلقوا فى سبب خلقه علم او بعد ما قيل
انهم ارغبته فى طاعة الشيطان ويعد ايضا ما روى أنهم باقعت ذوا بتيها لان المضطر يباح له
ذلك بل الاقرب ما روى أن زوجته ليا بنت يعقوب وقيل رحمة بنت افرائيم بن يوسف عليه
السلام ذهبت لحاجة فأبطأت عليه خلف فى مرضه ليضر بنهما مائة اذ ابرئى * ولما كانت
حسنة الخدمة جعل الله تعالى عينه بأهون شئ عليه وعليها وهذه الرخصة باقية فى الحدود لما
روى أنه صلى الله عليه وسلم أتى برجل ضعيف قد زنا بأمة فقال صلى الله عليه وسلم خذ وامانة
شمر اخ واضربوه بها ضربة واحدة (انا وجدناه صابرا) أى فيما أصابه فى النفس والاهل
والمال (فان قيل) كيف وجدته صابرا وقد شكاه اليه (أجيب) بأوجه أحدها أن شكواه
الى الله تعالى كفى العافية فلا يسمى جزا ولهذا قال يعقوب عليه السلام انما أشكوى
وحرنى الى الله وكذلك شكوى العليل وذلك ان أصبر الناس على البلاء لا يخجلون من
العافية وطلبها فاذا اصبح أن يسمى صابرا مع عفى العافية أفلا يعد صابرا مع اللجأ الى الله تعالى
والدعاء بكشف ما به مع العلاج ومشاورة اطباء نائبيها أن الآلام حين كانت على الجسد لم يذكر
شياء فلما تعاطفت الوسواس على القلب نضرع الى الله تعالى نالها ان الشيطان عدو
والشكاية من العدو الى الحبيب لا تقدح فى الصبر ويرى أنه قال فى مناجاته الهى قد علمت أنه
لم يخالف لسانى قلبى ولم يتبع قلبى بصرى ولم آكل الاومى نعيم ولم أبت شبعانا ولا كاسيا ومضى
جائع أو عريان فكشف الله تعالى عنه ثم استأنف قوله تعالى (نعم العبد) أى أيوب عليه السلام
ثم علل بقوله تعالى مؤكدا الثلاثين ان بلاءه قادح فى ذلك (أنه أواب) أى رجع الى الله تعالى
روى أنه لما نزل قوله تعالى نعم العبد فى حق سليمان عليه السلام تارة وفى حق أيوب عليه
السلام أخرى عظم فى قلوب أمة محمد صلى الله عليه وسلم وقالوا ان قوله تعالى نعم العبد تشريف
عظيم فان احتجنا الى تحمل بلاء مثل أيوب عليه السلام لم نقدر عليه فكيف السبيل الى
تحصيله فانزل الله تعالى قوله سبحانه وتعالى نعم المولى ونعم النصير والمراد أنك أيها الانسان
ان لم تكن نعم العبد فانعم المولى وان كان منك غير الفضل فانمى الفضل وان كان منك التقصير
ففى الرحمة والتيسير القصة الرابعة قصة ابراهيم واسحق ويعقوب عليهما السلام المذكورة

في قوله تعالى (وَأَذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ) بن إبراهيم (وبعقوب) بن إسحاق (أولى
الأيدي) أي أصحاب القوى في العبادة وقال ابن عباس رضي الله عنهما أولى القوى طاعة
الله تعالى (والأبصار) أي المعرفة بالله أي البصائر في الدين وأولى الأعمال الجدية والعقائد
الشريعة فعبادنا أي عن الأعمال لأن أكتبرها عبادة شرها وبالأبصار عن المعارف لأنها
أقوى عبادتها وفيه تعريض بكل من لم يكن من عمال الله تعالى ولا من المستبصرين في دين الله
وفيه توبيخ أيضا على تركهم المجاهدة والتأمل مع كونهم متمكنين منها فهم في حكم الزماني الذين
لا يقدرون على أعمال جوارحهم والناتهي العقول الذين لا استبصار لهم وقال قتادة
ومجاهد اعطوا قوة في العبادة وبصر في الدين وقرأ ابن كثير بفتح العين وسكون الباء الموحدة
ولألف بعدها على التوحيد على أنه إبراهيم وحده لمزيد شرفه وإبراهيم عطف بيان وإسحاق
وبعقوب عطف على عبدنا والباقون بكسر العين وفتح الموحدة ولألف بعدها على الجمع
(أنا أخلصناهم بخالصة) أي اصطفتناهم وجعلناهم لنا خالصين بخالصة لا شوب فيها
وهي (ذكرى الدار) الآخرة أي ذكرها والعمل لها لأن مطمح نظرهم القبول بقلائه وذلك في
الآخرة وإطلاق الدار للاشارة بانها الدار الحقيقية والدار المعبر وقرأ نافع وهشام خالصة بغير
تنوين بالإضافة للسان أو أن خالصة مصدر بمعنى الخلو فأنضيف إلى فاعله والباقون بالتنوين
فمن أضاف فعنها أخلصناهم بذكرى الدار الآخرة وأن يعمرها لها والذكرى بمعنى الذكر قال
مالك بن دينار نزعنا من قلوبهم حب الدنيا وذكرها وأخلصناهم بحب الآخرة وذكرها وقال
قتادة كانوا يدعون إلى الآخرة وإلى الله عز وجل وقال السدي أخلصوا الخوف للآخرة
وقال ابن زيد أخلصناهم بأفضل ما في الآخرة ومن قرأ بالتنوين فعنها بخالصة هي ذكرى
الدار فيكون ذكرى الدار بدل من الخالصة أو جعلناهم محضين بما أخبرنا من ذكر الآخرة
والمراد بذكرى الدار الذكر الجميل الرفيع لهم في الآخرة وقيل إنه أنبأ لهم الذكر الجميل في الدنيا
وقيل هو دعاءه واجعل لي لسان صدق في الآخرين (وانهم عندنا من المصطفين) أي
اصطفاء لا يقدح فيه قاذح فساروا في غاية السموخ في هذا الوصف (الاخبار) أي المختارين
من أبناء جنسهم والاخبار جمع خبريات شديدة وخبريات تخفيف كموات في جمع ميت أو ميت
واحج العلماء بهذه الآية على اثبات عصمة الانبياء عليهم السلام لأنه تعالى حكم عليهم بكونهم
أخبارا على الإطلاق وهذا يفهم حصول الخبرة في جميع الافعال والصفات بدليل صحة
الاستثناء منه القصة الخامسة قصة التعميل والبيع وذى الكفل عليهم السلام المذكورة
في قوله تعالى (وَأَذْكُرْ) يا أشرف الخلق (السميع) أي أباك وما صبر عليه من البلاء
بالغربة والتفرد والوحدة والاشراف على الموت في الله غير مرة وما صار إليه بعد ذلك البلاء
من الفرج والرياسة والذكر في هذه البلدة (والبيع) وهو ابن الخطوب استخلفه الناس على
بنى إسرائيل ثم استغنى واللام كما في قوله رأيت الوليد بن يزيد مباركا وقرأ حجة والكسائي
بتنديد اللام وسكون الياء بعدها والباقون بسكون اللام وفتح الياء بعدها (وذا الكفل)

وهو ابن عم اليسع أو بشر بن أيوب واختلاف في نبوته وكفله فقيل فزالبه مائة نبي من بني
 إسرائيل من القتل فأوأهم وكفلهم وقيل كفل بعمل رجل صالح كان يصلي كل يوم مائة صلاة
 (وكل) أي وكلمهم (من الاختيار) فهم قوم خيرون من الأنبياء ثم ملوا الشدايد في دين الله
 تعالى وصبروا فآذ كرههم بأفضل الخلق يفضلهم وصبرهم لتسلط طريقتهم * ولما أجرى تعالى ذكر
 الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأتمه قال مؤكداً شأنهم وشرف ما ذكر من أعمالهم (هذا) أي
 ما تلونا عليك من ذكرهم وذكر غيرهم (ذكر) أي شرف في الدنيا وموعدة من ذكر القرآن ذي
 الذكر ثم عطف على قوله تعالى أن الذين يصلون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ما لا ضداد لهم
 فقال تعالى رداعلي من يشكر ذلك من كفار العرب وغيرهم (وإن للمتقين لحسن مآب) أي
 مرجع * ولما شوق سبحانه إلى هذا الجزاء أبدل منه أو بينه بقوله تعالى (جنات عدن) أي
 إقامة في سرور وطيب عيش ثم إنه تعالى وصف أهل الجنة بأشياء أولها قوله تعالى (مفحمة
 لهم الأبواب) أي أن الملائكة يفتحون لهم أبواب الجنة ويحيونهم بالسلام كما قال تعالى حتى
 إذا جاءوها وفتحت أبوابها الآية وقيل المعنى أنهم كلما أرادوا افتتاح الأبواب انفتحت لهم
 وكلما أرادوا انغلاقها انغلقوا لهم * وقيل المراد من هذا الفتح وصف تلك المساكن بالسعة
 وفرة العيون فيها ثانياً بقوله تعالى (متكئين فيها) وقد ذكر في آيات آخر كيفية ذلك الانكسار
 فقال تعالى في آية على الأرائك متكئون وقال في آية أخرى متكئين على رفرف خضر نائلها
 قوله تعالى (يدعون فيها) أي الجنات (بها كهة كثيرة وشرب) أي كثير فيدعون فيها بألوان
 الناقة كهة وألوان الشراب * ولما بين المسكن والمأكل والمشرب ذكر أمر المنكسوح تقيماً
 للنعمه بقوله سبحانه تعالى (وعندهم قاصرات الطرف) أي حاسبات الطرف أي العين على
 أزواجهن (أتراب) أي اسنانهن واحدة وهي نبات ثلاث وثلاثين سنة واحدة تتراب وهن
 مجاهد متواخيات لا يتباغضن ولا يتعارفن وقيل أتراب للأزواج قال القفال والسبب في اعتبار
 هذه الصفة لما تشابهن في الصفة والسن والجملة كان الميل اليهن على السوية وذلك يقتضي عدم
 الغيرة وقرأ قوله تعالى (هذا ما يوعدون) ابن كثير وأبو عمر والياء التحية على الغيبة والباقون
 بالفوقية على الخطاب وجه الغيبة تقدم ذكر المتقين ووجه الخطاب الالتفات إليهم والاقبال
 عليهم أي قل للمتقين هذا ما يوعدون (يوم الحساب) أي في يوم الحساب أولاً أجله فإن الحساب
 عليه الوصول إلى الجزاء (أن هذا) أي المشار إليه إشارة الحاضر الذي لا يقب (لرزقنا ما له
 من نفاد) أي انقطاع وهذا الخبر عن دوام هذا الثواب (تنبيه) * من نفاد فاعل ومن مزيدة
 والجملة في محل نصب على الحال من رزقنا أي غير نافذ ويجوز أن يكون خبراً ثانياً لأن
 أي دائم * ولما وصف تعالى ثواب المؤمنين وصف بعده عقاب الظالمين ليكون الوعيد مذكوراً
 عقب الوعد والترغيب عقب التهيب بقوله تعالى (هذا وأن للطاغين لشر مآب) أي
 مرجع هذا في مقابلة قوله تعالى وإن للمتقين لحسن مآب والمراد بالطاغين الكفار وقال
 الجبائي على مذهبه الفاسدهم أصحاب الكبائر سوء كانوا كفاراً أم لا واحتج الأول بأن هذا ذم

مطلق فلا يحمل الاعلى الكامل في الطغيان وهو الكافر واحتج بقوله تعالى ان الانسان ليطغى
 ان رآه استغنى فدل على ان الوصف بالطغيان قد يحصل لصاحب الكبره لان من تجا وزحذ
 تكاليف الله تعالى وتعداها فقد طغى وردهذا بان المراد بالانسان هنا هو الكافر ايضا * (تنبيه)
 هذا يحتمل ان يكون مبتدا والخبر مذكراى كما ذكر كما قدره الزمخشري وقدره أبو علي بقوله هذا
 للمؤمنين وقال الجلال المحلى هذا المذكورة للمؤمنين ويحتمل ان يكون خبر مبتدا مضمر أى
 الامر هذا وقوله تعالى (جهنم) أى الشديدة الاضطرام الملاقيه لمن يدخلها بغاية العبوسة
 والتجهنم فيه اعراب جنات المتقدم وقوله تعالى (يصلونها) أى يدخلونها فيبشرون شدائد
 حال من جهنم (فبئس المهاد) أى المهد والقراش مستعار من فرش النائم وهذا معنى قوله تعالى
 لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش شبه الله تعالى ما تحتهم من النار بالمهاد الذى يفرش للنائم
 والخصوص بالذم محذوف أى هي وفي قوله تعالى (هذا) أى العذاب المشهور بمابعده أوجه من
 الاعراب أحدها أنه خبر مبتدا مضمر أى الامر هذا ثم استأنف أمرا فقال (فليذوقوه) ثانيا
 انه مبتدا وخبره (جهم وغساق) واسم الإشارة يكتبى بواحد في المثني كقوله تعالى عوان بين
 ذلك أو يكون المعنى هذا جامع بين الوصفين ويكون قوله تعالى فليذوقوه جملة اعتراضية ثالثا
 أنه مبتدا والخبر محذوف أى هذا كما ذكر وهذا للطاغين وقيل غير ذلك وقيل هذا على التقديم
 والتأخير والتقدير هذا جهم وغساق فليذوقوه وقيل التقدير جهنم يصلونها فبئس المهاد هذا
 فليذوقوه ثم يبتدئ فيقول جهم وغساق أى منه جهم وغساق والجهم الحار الذى انتهى سحره
 والغساق ما يسيل من صديد أهل النار وقال كعب هو عين في جهنم يسيل اليها كل ذوب حية
 وعقرب وقال أبو عمرو وهو القحج الذى يسيل من أهل النار فيجتمع فيسقيه وقال قتادة هو
 ما يغسق أى يسيل من القحج والصديد من جلود أهل النار ولحومهم وفروج الزناة وقيل هو
 المثني بلغة الترك حكى الزجاج لو قطرت منه قطرة بالغرب لانتنت أهل المشرق وقرأ أجزه
 والكسائي وحفص بتشديد السين والباقون بالتخفيف وقرأ أبو عمرو (واخر) بضم الهمزة
 على جمع أخرى مثل الكبرى والكبرى أصناف أخر من العذاب (من شكك) أى مثل المذكور
 من الجهم والغساق والباقون بفتح الهمزة ممدودة على التوحيد على أنه لما ذكر واختار أبو عبيدة
 الجمع لانه تعالى نعمته بالجمع فقال سبحانه وتعالى (أزواج) أى أصناف أى عذابهم من أنواع
 مختلفة ويقال لهم عند دخولهم النار بأنواعهم (هذا فوج) أى جمع كثيف (مقتحم) أى داخل
 ومفعوله محذوف أى مقتحم النار (معكم) بشدة فيقول المتبوعون (لامر حبايهم) أى
 لاسعة عليهم أولا سمعوا امر حبا وقولهم (انهم صالوا النار) أى داخلون النار بأعمالهم مثلنا
 تعليل لاسجابة الدعاء عليهم ونظير هذه الآية قوله تعالى كلما دخلت أمة لعنت أختها وقال
 الكلبي انهم يضربون بالمقامع حتى يوقعوا أنفسهم في النار خوفا من تلك المقامع (قالوا) أى
 الاتباع (بل أنتم لامر حبايكم) أى ان الدعاء الذى دعوت به علينا أيها الرؤساء أنتم أحق به منا
 وعلو ذلك بقولهم (أنتم قد آمنتموه) أى الكفر (لنا) أى بدأنتم به قبلنا وشر عقوم وسنتهم لنا

وقيل أنتم قدّمتم هذا العذاب لنا بدعائكم أيانا إلى الكفر (فبئس القرار) أي النار لنا ولكم
(قالوا) أي الاتباع أيضا (ربنا من قدّم لنا هذا) أي شرعه وسننه لنا (فزده عذابا ضعفا)
أي مثل عذابه على كفره (في النار) قال ابن مسعود يعني حيات وأفاعي (وقالوا) أي
الطاغون وهم في النار (مالنا لنأمرى وجلا كأنّ عذّبهم من الاشترا) يعنون فقراء المؤمنين
كعمار وخباب وصهيب وبلال وسلمان الذين كانوا يستزولونهم ويضرون بهم وقولهم
(اتخذناهم سخرى) صفة أخرى لرجلا أي كأنّ سخر بهم في الدنيا وقرأ نافع وحزوه والكسافي
بضم السين والباقون بكسرهما (أم زأغت) أي مالت (عنهم الابصار) أي فلم يرههم حين
دخلوها وقال ابن كيسان أي أم كانوا خيرا منا ونحن لانعلم فكانت أبصارنا تزبغ عنهم في الدنيا
فلانعدهم شيئا (إن ذلك) أي الذي حكيناه عنهم (الحق) أي واجب وقوعه فلا بد أن
يتكلموا به ثم بين ذلك الذي حكاه عنهم بقوله تعالى (تخاصم أهل النار) أي في النار وانما
سماء تخصمهم لأن قول القادة للاتباع لا امر حبابهم وقول الاتباع للقادة بل أنتم لا امر حبابكم
من باب الخصومة * (تنبيه) * يصح في تخصم أوجه من الأعراب أحدها أنه يدل من
لحق الثاني أنه عطف بيان الثالث أنه خبر ثان لأن الرابع أنه خبر مبتدأ مضمر أي هو
تخاصم * ولما شرح سبحانه نعيم أهل الثواب وعقاب أهل العذاب عاد إلى تقرير
التوحيد والنبوة والبعث المذكورات أول السورة بقوله تعالى (قل) يا أفضل
الخلق للمشركين (انما أنا نذير) أي مخوف بالنار لمن عصي (و) لابتة من الأقارب أنه
(ما من الله إلا الله) أي الجامع لجميع الاسماء الحسنى (الواحد القهار) فكونه واحدا يدل
على عدم الشريك وكونه قهارا مشعرا بالتخويف والترهيب * ولما ذكر ذلك أورد به ما يدل
على الرجاء والترغيب بقوله تعالى شأنه (رب السعوات) أي مبدعها وحافظها على علوها
وسعتها واحكامها بها الما من الزينة والمنافع (والارض) أي على سعتها وخصامتها وكنافتها
وما فيها من العجائب (وما بينهما) أي الخافقين من الفضاء والهواء وغيرهما من العناصر
والنبات والحيوانات العقلاء وغيرها رب كل شيء من ذلك إيجادا وإبقاء على ما يريد وانكره
ذلك المربوب فدل ذلك على قهره وتفرده (العزير) أي الغالب على أمره (الغفار) فكونه
ربا يشعر بالتربية والكرم والاحسان والجود وكونه غفارا يشعر بأن العبد لو أقدم على
المعاصي والذنوب ثم تاب إليه فإنه يغفرها رجته وهذا الموصوف به هذه الصفات هو الذي
تجب عبادة لانه هو الذي يحشى عقابه ويرجى ثوابه وقوله تعالى (قل) أي لهم (هو بنا عظيم)
يعود على القرآن وما فيه من القصص والاخبار وقيل تخصم أهل النار وقيل على ما قدّم
من اخباره صلى الله عليه وسلم بأنه نذير مبين وبأن الله تعالى الواحد متصف بتلك
الصفات الحسنى وقوله تعالى (أنتم عنه معرضون) صفة لنا أي امتدادى غفلتكم فان العاقل
لا يعرض عن مثله كيف وقد قامت عليه الحجج الواضحة ما على التوحيد فامر وما على
النبوة فقوله تعالى (ما كان لى من علم باللا الأعلى) أي الملائكة فقوله باللا متعلق بقوله

من علم وضمن معنى الاحاطة فلذلك تعذى بالباء (اذ يتخصصون) أى فى شأن آدم عليه السلام حين قال الله عز وجل انى جاعل فى الارض خليفة الآية (فان قيل) الملائكة لا يجوز ان يقال انهم اختصوا بسبب قولهم ان تجعل فيهما من يفسد فيها ويسفك الدماء فاختصمة مع الله تعالى كفر (أجيب) بأنه لا شك انه جرى هناك سؤال وجواب وذلك يشبهه الاختصاص والمناسبة والمشاكلة المجاز فلذلك السبب حسن اطلاق لفظ الاختصاص عليه * ولما أمر الله تعالى محمدا صلى الله عليه وسلم ان يذكر هذا الكلام على سبيل الزجر أمره ان يقول (ان) أى ما (يوحى الى الانام) أى انى (انذار يمين) أى بين الانذار فابين لكم ما تأتونه وما تحتجبونه وروى انه صلى الله عليه وسلم قال رأيت ربى فى أحسن صورة قال ابن عباس رضى الله عنه أحسبه قال فى المنام فقال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى قلت أنت أعلم أى رب مرتين قال فوضع يده بين كفتي فوجدت ردها بين يدي أو قال فى فخري فعملت ما فى السموات وما فى الارض وفى رواية ثم تلاه هذه الآية وكذلك ترى ابراهيم ملكوت السموات والارض وليكون من الموقنين ثم قال يا محمد هل تدري فيم يختصم الملاء الأعلى قلت نعم فى الدرجات والكفارات قال وما هن قلت المثنى على الاقدام الى الجماعات والجلوس فى المساجد بعد الصلوات واسباغ الوضوء فى المكاره قال من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير وخرج من خطبته كيوم ولده أمه وقال يا محمد اذا صليت فقل اللهم انى أسألك فعل الخيرات وترك المنكرات وحب المساكين وان تغفر لى وترحمنى واذا أردت بعبادك فتنة فاقبضنى اليك غير مفتون قال ومن الدرجات افشاء السلام واطعام الطعام والصدقة بالليل والناس نيام وفى رواية فقلت لبيك وسعديك فى المرتين وفيما فعلت ما بين المشرق والمغرب أخرجه الترمذى وقال حديث حسن غريب وللعلماء فى هذا الحديث وأمثاله من أحاديث الصفات مذهبان أحدهما مذهب السلف وهو اقراره كما جاء من غير تكليف ولا تشبيه ولا تعطيل والايمن به من غير تأويل له والسكوت عنه مع الاعتقاد بان ليس كمثل شئ وهو السميع البصير والمذهب الثانى مذهب الخلف وهو تأويل الحديث فتقوله صلى الله عليه وسلم رأيت ربى فى أحسن صورة يحتل وجهين أحدهما وانا فى أحسن صورة ~~كان~~ أنه زاده جمالا وكالا وحسنه عند رؤيته لربه وانما التغيير وقع بعده لشدة الوحى ونقله الثانى ان الصورة بمعنى الصفة ويرجع ذلك الى الله تعالى والمعنى انه رآه فى أحسن صفاته من الانعام عليه والاقبال اليه والله تعالى تلقاه بالآكرام والاعظام فاخبر صلى الله عليه وسلم عن عظمته وكبريائه وهيبته وبعده عن شبهه بالخلق وتزويده عن صفات النقص وانه ليس كمثل شئ وهو السميع البصير وقوله صلى الله عليه وسلم فوضع يده بين كفتي الخ فالمراد باليد النعمة والمنة والرجة وذلك شائع فى لغة العرب فيكون معناه على هذا الاخبار يا كرام الله تعالى اياه وانعامه عليه بأن شرح صدره ونور قلبه وعزفه ما لم يعرفه حتى وجد برد النعمة والرجة والمعرفة فى قلبه وذلك لما نور قلبه وشرح صدره فعمل ما فى السموات وما فى الارض باعلام الله تعالى اياه فانما أمره اذا أراد شئ أن يقول

له كن فيكون اذ لا يجوز على الله تبارك وتعالى ولا على صفات ذاته سبحانه محاسنة أو مباعدة أو نقص وهذا أليق بتزيمه وحل الحديث عليه واذا حملنا الحديث على المنام وان ذلك كان في المنام فقد زال الاشكال لان رؤية الباري سبحانه في المنام على الصفات المحسنة دليل على البشارة والخبر والرحمة للرائي وسبب اختصام الملا الاعلى وهم الملائكة في الكفارات وهي الخصال المذكورة في الحديث في ايها افضل وسميت هذه الخصال كفارات لانها تكفر الذنوب عن فاعلها فهي من باب تسمية الشيء باسم لازمه وسمى ذلك محاسبة للمؤمن في السؤال والجواب المتقدم وقوله تعالى (اذ) يجوز أن يكون بدلا من اذ الاولى كما قاله الزمخشري وأن يكون منصوبا ياذن كما قاله أبو البقاء أي واذا ذكرنا (قال ربك للملائكة اني خالق) أي جاعل (بشر من طين) هو آدم عليه السلام (فان قيل) كيف صح أن يقول لهم اني خالق بشرنا وما عرفوا ما البشر ولا عهدوا به قيل (أجيب) بأنه قد يكون قال لهم اني خالق خلقا من صفته كتب وكتب ولكنه حين حكامه اقتصر على الاسم (فاذا سويته) أي أتممت خلقه (وتنبت) أي أخرجت (فيه من روي) فصار حيا حساسا متنفسا وازداده الروح اليه تعالى اضافة تشرىف لا دم عليه السلام والروح جسم لطيف يحيا به الانسان بنفوذ فيه يسرى في بدن الانسان سرى ان الضوء في النضاء وكسريان النار في النعم والماء في العود الاخضر (ففعوا) أي خروا (لما سجدن فسجد الملائكة) وقوله تعالى (كلهم أجمعون) فيه تأكيد وقال الزمخشري كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأدأ معانهم سجدوا عن آخرهم ما بي منهم ملك الا انهم سجدوا جميعا في وقت واحد غير متفرقين في أوقات انتهى (فان قيل) كيف ساغ السجود لغير الله (أجيب) بأن المنوع هو السجود لغير الله تعالى على وجه العبادة فأما على وجه التكرمة والتبجيل فلا يأتاه العقل الآن يكون فيه مفسدة فينهى الله تعالى عنه والاولى في الجواب انه سجدوا تحية بالانحناء كما قاله الجلال الهلي (الا بليس استكبر) أي تكبر وتعظم عن السجود (فان قيل) كيف استثنى من الملائكة عليهم السلام ابليس وهو من الجن (أجيب) بأنه قد أمر بالسجود معهم فغلبوا عليه في قوله تعالى فسجد الملائكة ثم استثنى كما استثنى الواحد منهم استثناء متصلا وقال الجلال الهلي هو أبو الجن وكان من الملائكة وعلى هذا فلا سؤال (وكان) أي وصار (من الكافرين) باستكباره عن أمر الله تعالى أو كان من الكافرين في الازمنة الماضية في علم الله تعالى * (تنبيه) * المقصود من ذكر هذه القصة المنع من الحسد والكبر لان ابليس اغتاوى في وقوعه فيما وقع فيه بسبب الحسد والكبر والكنار اغتاوى هو محمد صلى الله عليه وسلم بسبب الحسد والكبر فذكر الله تعالى هذه القصة ههنا ليصير سماعها اذ اجرا عن هاتين الخصلتين الذمومتين (قال) الله تعالى (يا ابليس) سمع بهذا الاسم لتكونه من الابل اس وهو انقطاع الرجاء اشارة الى تحتم العقوبة له (ما منعك أن تسجد) وبين ما يوجب طاعته ولو أمر بتعظيمه ما لا يعقل بقوله تعالى معبرا بأداة ما لا يعقل عن كان عند السجود له عاقلا كامل العقل (ما خلقت بيدي) أي توليت خلقه من غير توسط كاتب وأم والتسمية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة وقوله

تعالى (أَسْكَبْتَ) استقهم توبخ أى تعظمت بنفسك الآن عن السجود له (أم كنت من
 العالين) أى من القوم الذين يتكبرون فتكبرت عن السجود له لكونك منهم فاجاب ابليس بقوله
 (قال أما خير منه) أى لو كنت مساوياً له في الشرف لكان يقبح أن أسجد له فكيف وأما خير منه
 ثم بين كونه خيراً منه بقوله (خلقتني من نار وخلقته من طين) والنار أشرف من الطين بدليل أن
 الاجرام الفلكية أفضل من الاجرام العنصرية والنار أقرب العناصر من الفلك والارض
 أبعد عنه فوجب كون النار أفضل من الارض وأيضاً فالنار خليفة الشمس والقمر في اضاءة
 العالم عند غيبتها والشمس والقمر أشرف من الارض فخليفتهما في الاضاءة أفضل من الارض
 وأيضاً فكيفية الفاعلة الاصلية اما الحرارة واما البرودة والحرارة أفضل من البرودة لان
 الحرارة تناسب الحياة والبرودة تناسب الموت وأيضاً فالنار لطيفة والارض كثيفة والطفافة
 أفضل من الكثافة وأيضاً فالنار مشرقة والارض مظلمة والنور خير من الظلمة وأيضاً فالنار
 خفيفة تشبه الروح والارض كثيفة تشبه الجسد والروح أفضل من الجسد فالنار أفضل من
 الارض والدليل على أن الارض أفضل من النار انها أمانة مصلحة فاذا أودعتها حجة ردتها اليك
 شجرة مثمرة والنار خائنة مفسدة لكل ما سلمه اليها وأيضاً فالنار بمنزلة الخادم لما في الارض ان
 احتج اليها استدعت استدعاء الخادم وان استغنى عنها طردت وأيضاً فالارض مستولية على
 النار لانها تطفى النار وأيضاً فان استدلال ابليس بكون أصله خيراً من أصله استدلال فاسد لان
 أصل الرماد النار وأصل البساتين المزهرة والاشجار المثمرة هو الطين ومعلوم بالضرورة أن
 الاشجار المثمرة خير من الرماد وأيضاً هب أن اعتبار هذه الجهة توجب الفضيلة الآن هذا يمكن
 أن يعارض بجهة أخرى توجب الرجحان مثل انسان نسيب عار عن كل الفضائل فان نسبته
 يوجب رجحانه الآن الذي لا يكون نسبياً قد يكون كثير العلم والزهد فيكون أفضل من النسيب
 بدرجات لاحد لها فكذب مقدة ابليس (فان قيل) هب ان ابليس أخطأ في القياس لكن
 كيف لزمه الكفر في تلك المخالفة وتقرر السؤال من وجوه الاول أن قوله تعالى اسجدوا
 أمر وهو يحتل الوجوب والتدب فكيف يلزم العصيان فضلاً عن الكفر الثاني هب انه
 للوجوب وقلم ان ابليس ليس من الملائكة فامر الملائكة بالسجود لا دسم لا يدخل فيه ابليس
 الثالث هب انه تناوله الآن تخصيص العام بالقياس جائز فإذن يخص نفسه من عموم ذلك
 الامر بالقياس الرابع هب انه لم يسجد مع علمه بأنه كان مأموراً به الآن هذا التقدير يوجب
 العصيان ولا يوجب الكفر (أجيب) بأن صبغة الامر وان لم يبدل على الوجوب يجوز أن
 ينضم اليها من القرائن ما يدل عليه وههنا حصلت تلك القرائن وهي قوله تعالى ~~أَسْكَبْتَ~~
 أم كنت من العالين فعلم بذلك ان الامر للوجوب وانه مخاطب بالسجود فلما أتى بقياسه الفاسد
 دل ذلك على أنه انما ذكر القياس ليتوصل به الى القدح في أمر الله تعالى وتكليفه وذلك يوجب
 الكفر* ولما ذكر ابليس لعنه الله تعالى هذا القياس الفاسد (قال) الله تعالى له (فاخرج) أى
 بسبب تكبرك ونسبتك الحكيم الذي لا اعتراض عليه الى الجود (منها) أى من الجنة وقيل من

الحلقة التي أنت فيها لانه كان يفخر بخلقته فغير الله تعالى خلخته فاسود بعدما كان أبيض وقبح
 بعدما كان حسنا وأظلم بعدما كان نورانيا وقيل من السموات (فألتخرجيم) أى مطرودا لان من
 طردى بالحجارة فلما كان الرجم من لوازم الطرد جعل الرجم كناية عن الطرد (فان قيل) الطرد
 هو اللعن فيكون قوله تعالى (وان عليك لعنتي) مكررا (أجيب) بحمل الطرد على ما تقدم
 وتحمل اللعنة على الطرد من رحمة الله تعالى وأيضاً قوله تعالى (وان عليك لعنتي) (الى يوم الدين)
 أى الجزاء فأدأمر اوهو طرده الى يوم القيامة فلا يكون تكراراً وقيل المراد بالرجم كون
 الشياطين مرجومين بالشهب (فان قيل) كلمة الى لانه الغاية فكان لعنة الله ابليس غايتها
 يوم الدين ثم تنقطع (أجيب) بأنها كيف تنقطع وقد قال تعالى فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على
 الظالمين فأدأمر ان عليه اللعنة في الدنيا فاذا كان يوم القيامة اقترن عليه مع اللعنة من
 العذاب ما تنسى عنده اللعنة فكانها انتطعت * (تنبيه) * قال تعالى هذا لعنتي وفى آية أخرى
 اللعنة وهما وان كانا فى اللفظ عاماً وخصوصاً الا أنهم ما من حيث المعنى عامان بطريق اللزوم لان من
 كانت عليه لعنة الله تعالى كانت عليه لعنة كل أحد لا محالة وقال تعالى وأولئك عليهم لعنة الله
 والملائكة والناس أجمعين * ولما صار ابليس ملعوناً مطروداً (قال رب) فأظهرنى الى يوم يعثون)
 أى الناس طلب الانظار الى يوم البعث لأجل أن يتخلص من الموت لانه اذا أنظر ليوم البعث
 لم يمت قبل يوم البعث وعند مجي البعث لا يموت فحينئذ يتخلص من الموت فذلك (قال) تعالى
 (فانك من المنظرين الى يوم الوقت المعلوم) أى وقت النفخة الاولى فيموت فيها فلم يجبه الى
 دعائه كما قال تعالى ومادعاء الكافرين الا فى ضلال ومعنى المعلوم أنه معلوم عند الله تعالى
 معين لا يتقدم ولا يتأخر فلما أنظره الله تعالى الى ذلك الوقت (قال بعزيزك) أقسم بعزة
 الله تعالى وهى قهره وسلطانه (لا غو بينهم أجمعين) ثم استثنى من ذلك ما ذكره الله بقوله
 (الاعباد منهم المخلصين) أى الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته وعصمهم من اضلاله
 وأخلصوا قلوبهم على اختلاف القراءتين فان نافعا والكوفيين قرؤا بفتح اللام بعد الخاء
 والباقيون بالكسر * (تنبيه) * قيل ان غرض ابليس من هذا الاستثناء انه لا يقع فى كلامه
 الكذب لانه لو لم يذكر هذا الاستثناء وادعى أنه يغوى السكل لظهر كذبه حين يعجز عن اغواء
 عباد الله تعالى المخلصين وعند هذا يقال ان الكذب شئ يستكف منه ابليس فليس يلقى بالمسلم
 وهذا يدل على أن ابليس لا يغوى عباد الله تعالى المخلصين وقد قال تعالى فى صفة يوسف عليه
 السلام انه من عبادنا المخلصين فتحصل من مجموع الآيتين ان ابليس ما أغوى يوسف عليه
 السلام وما نسب اليه من القبايح كدب واقتراء * ولما قال ابليس ذلك (قال) تعالى (فالحق)
 أى فبسبب اغوائك وغوايتهم أقول الحق (والحق أقول) أى لا أقول الا الحق فان كل شئ قلته
 ثبت فلم يقدر أحد على نقضه ولا نقصه وقرأ عاصم وحزرة برفع الاقل ونصب الثانى والباقيون
 بنصبهما فنصب الثانى بالفعل بعده ونصب الاقل بالفعل المذكوراً وعلى الاغراء أى الزموا
 الحق وعلى المصدر أى أحق الحق أو على نزع حرف القسم ورفع على انه مبتدأ محذوف

الخبر أى فالحق منى أو الفالحق قسمى وجواب القسم (لأملأن جهنم منك) أى بنفسك
 وذريتك (ومن تبعك منهم) أى من الناس وقوله تعالى (أجمعين) فيه وجهان أظهرهما
 أنه تو كيد للضمير فى منك ولين عطف عليه فى قوله تعالى ومن تبعك والمعنى لأملأن جهنم
 من المتبوعين والمتابعين لأترك منهم أحدا وجوزا لمخشى أن يكون تأ كيدا للضمير فى منهم
 خاصة فنقدر لأملأن جهنم من الشياطين ومن تبعهم من جميع الناس لا تفارقت فى ذلك بين
 ناس وناس ثم قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أى لقومك (ما أسألكم عليه)
 أى على تبليغ الرسالة أو القرآن (من أجر) أى جعل (وما أنا من المتكافين) أى المتصفين
 بمالس من أهله على ما عرفتم من حالى فاحتل النبوة وأتقول القرآن وكل من قال شيئا من
 تلقا نفسه فهو متكلف له وعن مسروق قال دخلنا على عبد الله بن مسعود فقال يا أيها الناس
 من علم شيئا فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم فان من العلم أن يقول من لا يعلم الله أعلم قال الله
 تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم عليه من أجر وما أنا من المتكافين وقيل المعنى ان
 هذا الذى أدعوكم اليه ليس يحتاج فى معرفة صحته الى التكلفات الكثيرة بل هو دين يشهد
 صريح العقل ببعثه (ان) أى ما (هو) أى القرآن (الاذكر) أى عظة وشرف (للعالمين)
 أى للخلق أجمعين (ولتعلمن) جواب قسم مقدّر ومعناه لتعرفن يا كفار مكة (نبأه) أى خبر
 صدقه وهو ما فيه من الوعد والوعدى وأصدقه بآيات ذلك (بعد حين) قال ابن عباس وقتادة
 بعد الموت وقال عكرمة يوم القيامة وقال الحسن ابن آدم عند الموت يأتيك الخبر البتين وقول
 البيضاوى تبعا للمخشى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة ص كان له وزن كل
 جبل سخره الله تعالى لداود عشر حسنات وعصمه أن يصرع على ذنب صغير أو كبير حديث
 موضوع

﴿سورة الزمر مكية﴾

الاقوله تعالى قل يا عبادى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فمدنية وهى خمس وسبعون آية
 وألف ومائة واثنان وتسعون كلمة وأربعة آلاف وسبع مائة وثمانية أحرف
 (بسم الله) الذى له صفات الكمال (الرحمن) الذى أنعم على عباده بأنواع النعم (الرحيم) بأنواع
 المغفرة على المؤمنين من عباده (تنزيل الكتاب) أى القرآن مبتدأ وقوله تعالى (من الله) أى
 المتصف بجميع صفات الكمال خبره أى تنزيل الكتاب كاش من الله تعالى وقيل تنزيل الكتاب
 خبر مبتدأ مضمّر تقديره هذا تنزيل الكتاب من الله (العزير) أى الغالب فى ملكه (الحكيم)
 أى فى صنعه فى ذلك دلالة على أنه تعالى عالم بجميع المعلومات غنى عن جميع الحاجات (فان قيل)
 ان الله تعالى وصف القرآن بكونه تنزيلا ومنزلا وهذا الوصف لا يليق إلا بالحدث الخلق
 (أجيب) بأن ذلك محمول على الصبغ والحروف (آنا) أى بالنامن العظمة (انزلنا عليك)
 يا أشرف الخلق خاصة بواسطة جبريل الملك (الكتاب) أى القرآن الجامع لكل خير وقوله تعالى

(بالحق) يجوز أن يتعلق بالانزال أى بسبب الحق وأن يتعلق بمحذوف على أنه حال من الفاعل أو المنعول وهو الكتاب أى ملتبس بالحق أو ملتبس بالحق والصدق والصواب والمعنى أن كل ما فيه من اثبات التوحيد والنسوة والمعاد وأنواع التكليف فهو حق ويجب العمل به وفى قوله تعالى أنا أنزلنا إليك الكتاب تكرر تعظيم بسبب ابرازة فى جملة أخرى مضافا انزاله الى المعظم نفسه (فان قيل) لفظ تنزيل يشعر بأنه تعالى أنزله نجما نجما على وفق المصالح على سبيل التدرج ولفظ الانزال يشعر بأنه تعالى أنزله دفعة واحدة (أجيب) بأن طريق الجمع ان يقال انما حكمنا حكما كذا باننا نوصل اليك هذا الكتاب وهذا هو الانزال ثم أوصلناه اليك نجما نجما على وفق المصالح * ولما بين تعالى أن هذا الكتاب مشتمل على الحق والصدق أردفه ببيان بعض ما فيه من الحق والصدق وهو أن يشغل الانسان بعبادة الله تعالى على سبيل الاخلاص فقال سبحانه وتعالى (فاعبد الله) أى الخائن لجميع صفات الكمال حال كونك (مخلصا للدين) أى محضاه للدين من الشرك والرياء بالتوحيد وتصفية السر (ألا الله) أى الملك الاعلى وحده (الدين الخالص) أى لا يستحقه غيره فانه المنفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الاسرار والضمائر قال قتادة الدين الخالص شهادة أن لا اله الا الله وقال مجاهد الآية متناولة لكل ما كلف الله به من الاوامر والنواهي لأن قوله تعالى فاعبد الله عام وروى أن امرأه الفرزدق لما قربت وفاتها أوصت أن يصلى الحسن البصرى عليها فلما دفنت قال الحسن البصرى يا أبا فراس ما الذى أعددت لهذا الامر قال شهادة أن لا اله الا الله فقال الحسن هذا العمود فأين الطنب قال ابن عادل فبين هذا اللفظ الوجيز أن عمود الخيمة لا يتنفع به الامع الطنب حتى يمكن الانتفاع بالخيمة أى الانتفاع الكامل والافهى يتنفع به اولئك رأس العبادات الاخلاص فى التوحيد واتباع الاوامر واجتناب النواهي (والذين اتخذوا من دونه) أى من دون الله (أولياء) وهم كفار مكة اتخذوا الاصنام وقالوا (ما نعبدهم) أى شئ من الاشياء (الا يقرئون الى الله) أى الذى له معاقد العز ومجامع العظمة (زلقى) وذلك انهم كانوا اذا قيل لهم من ربكم ومن خلقتكم ومن خلق السموات والارض قالوا الله فيقال فاعبادتكم لهم قالوا البقر بونا الى الله زلقى أى قربى وهو اسم أقيم مقام المصدر كانهم قالوا الا يقرئون الى الله تعالى تقريرا حسناسه لا تشفع لنا عند الله تعالى (ان الله) أى الذى له جميع صفات الكمال (يحكم بينهم) أى وبين المسالين (فيما هم فيه يختلفون) أى من أمر الدين فيدخل المومنين الجنة والكافرين النار (ان الله) أى الملك القادر (لا يهدي) أى لا يرشد (من هو كاذب) أى فى قوله ان الآلهة تشفع لهم مع علمهم بانها جادات خسية وفى نسبة الوالد الى الله تعالى (كفار) أى بعبادته غير الله تعالى (لو أراد الله) أى الذى له الاحاطة بصفات الكمال (أن يتخذ ولدا) أى كما قالوا اتخذ الرحمن ولدا (لا صطفى) أى اختار (مما خلق ما يشاء) أى اتخذ ولدا غير من قالوا الملائكة بنات الله وعزير ابن الله والمسيح ابن الله كما قال تعالى لو أردنا أن نتخذ لهموا أى كما زعموا اتخذناهم من لدنا اذ لا موجود سواه الا وهو مخلوقه ومن العيب أن المخلوق

لا يماثل الخالق فيقوم مقام الولد * ثم نزه نفسه سبحانه فقال تعالى شأنه (سبحانه) أى تنزهها
 له عن ذلك وعملا يليق بطهارته ثم أقام الدليل على هذا التنزه المقتضى لتفرد فقال تعالى
 (هو) أى الفاعل لهذا الفعل القائل لهذه الأقوال (الله) أى الجامع لجميع صفات الكمال
 ثم ذكر من الأوصاف ما هو كماله لذلك فقال (الواحد) أى فى ملكه الذى لا شريك له ولا ولد
 ولا والد له (القهار) أى الغالب الكامل القدرة فكل شئ تحت قدره * ولما ثبتت
 هذه الصفات التى نفت أن يكون له شريك أو ولد أو ثبت له الكمال المطلق استدل على
 ذلك بقوله تعالى (خلق السموات والأرض) أى أيدعها من العدم وقوله تعالى (بالحق)
 متعلق بخلق لأن الدلائل التى ذكرها الله تعالى فى إثبات الألوهية إما أن تكون فلكية أو أرضية
 أما الفلكية فأقسام أحدها خلق السموات والأرض وثانيها اختلاف الليل والنهار كما قال
 تعالى (يكور) أى يدخل (الليل على النهار ويكور النهار على الليل) قال الحسن ينقص
 من الليل فيزيد فى النهار وينقص من النهار فيزيد فى الليل فبانقص من الليل دخل فى النهار
 وما نقص من النهار دخل فى الليل قال البغوى ومنتهى النقص تسع ساعات ومنتهى الزيادة
 خمس عشرة ساعة وقال قتادة يغشى هذا هذا كما قال تعالى يغشى الليل النهار وقال الرازى
 إن النور والظلمة عسكران عظيمان وفى كل يوم يغلب هذا ذلك وذلك هذا وذلك يدل على أن
 كل واحد منهما مغلوب مقهور ولا بد من غالب قاهر لهما يكونان تحت تدبيره وقهره وهو الله تعالى
 انتهى وورد فى الحديث نعوذ بالله من الحور بعد الكور أى من النقصان بعد الزيادة وقبل
 من الاديبار بعد الاقبال (وتحضر) أى ذلل وأكره وقهر وكف لما يريد من غير نفع للمحضر
 (الشمس والقمر) فإن الشمس سلطان النهار والقمر سلطان الليل وأكثر مصالح هذا العالم
 من بوطه بما (كل) أى منهما (يجرى لأجل مسمى) أى إلى يوم القيامة لا يزالان يجريان إلى هذا
 اليوم فإذا كان يوم القيامة ذهبوا والمراد من هذا التضرعان هذه الافلاك تدور كدوران
 المنجنون أى الدولاب الذى يسقى عليه على حد واحد (ألا هو العزيز) أى الغالب على أمره
 المنتقم من أعدائه (العفار) أى الذى له صفة السرعة على الذنوب مستكررة يعجزون ذنوب من يشاء
 عينا وأثر اغفرته ثم انه تعالى لما ذكر الدلائل الفلكية أتبعها بذكر الدلائل السفلية فقال تعالى
 (خلقكم) أيها الناس المدعون الهية غيره (من نفس واحدة) وهى آدم عليه السلام (ثم
 جعل منها) أى من تلك النفس (زوجها) حواء وأغلب ما منها بذكر الإنسان لأنه أقرب
 وأكبر دلالة وأجيب وفيه ثلاث دلالات خلق آدم أولاً من غير آب وأم ثم خلق حواء من قصيراه
 ثم تشعب النسل القاتل للحصر منهما فهما آيتان إلا أن أحدهما جعلها الله تعالى عادة مستمرة
 والاخرى لم تجربها العادة ولم يخلق أنثى غير حواء من قصيرى رجل * (تنبيه) فى ثم هذه أوجه
 أحدها انها على بابها من الترتيب بعلمه وذلك يروى أن الله تعالى أخرج ذرية آدم من ظهره
 كالذرثم خلق حواء بعد ذلك برمان ثانياً انها على بابها أيضاً لكن لمدرك آخر وهو أن يعطف
 بها ما بعدها على ما فهم من الصفة فى قوله تعالى واحدة إذ التقدير من نفس وحدث أى انفردت

ثم جعل منها زوجهما ثالثهما ثم الترتيب في الاخبار لافي الزمان الوجودى كانه قيل كان من امرها قيل ذلك ان جعل منها زوجها رابعهما ثم الترتيب في الاحوال والرتب وقال الرازى ان ثم كما تجي ببيان كون احدى الواقعتين متأخرة عن الثانية فكذلك تجي ببيان تأخر احدى الكلاصين عن الآخر كقول القائل بلغنى ما صنعت اليوم ثم ما صنعت أمس أعجب وأعطينك اليوم شيئاً ثم الذى أعطيتك أمس أكثر وقوله تعالى (وأُنزل لكم من الانعام) عطف على خلقكم والانزال يحتمل الحقيقة يروى أن الله تعالى خلقها في الجنة ثم أنزلها ويحتمل المجاز وله وجهان أحدهما انهم المالم تعش الابل والنبات والنبات انما يعيش بالماء والماء ينزل من السحاب أطلق الانزال عليها وهو في الحقيقة يطلق على سبب السبب كقول القائل اذ انزل السماء بأرض قوم * رعيها وان كانوا غضا

والثاني أن قضايها وأحكامه منزلة من السماء من حيث كتبها في اللوح المحفوظ وهو أيضا سبب في ايجادها وقال البغوى معنى الانزال ههنا الاحداث والانشاء كقوله تعالى أنزلنا عليكم لباسا وقيل انه انزال الماء الذى هو سبب نبات القطن والكتان وغيرهما الذى يجعلون منه اللباس وقيل معنى قوله أنزل لكم من الانعام جعله انزالا لكم وورقا ومعنى قوله (عناية أزواج) أى عناية أصناف وهى الابل والبقر والضأن والمعز من كل زوجان ذكر وأنثى كما بين في سورة الانعام وقوله تعالى (يخلقكم في بطون أمهاتكم) بيان لكيفية خلق ما ذكر من الاناسى والانعام اظهار المافيهما من عجائب القدرة غير أنه تعالى غلب أولى العقل أو خصهم بالخطاب لانهم المقصودون وقرأ حمزة والكسائى فى الوصل بكسر الهمزة والباقون بالضم وفى الابداء الجميع بالضم وكسر حمزة الميم وفتحها الباقون ومعنى قوله تعالى (خلقنا من بعد خلق) ما ذكره الله تعالى بقوله ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين ثم جعلناه نطفة فى قرار مكين الآيات وأما قوله تعالى (فى ظلمات ثلاث) فقال ابن عباس ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة وقيل الصلب والرحم والبطن (ذلكم) أى العالى المراتب بشهادتكم أيها الخلق كالكم بعضكم بلسان قاله وبعضكم بناطق حاله الذى جميع ما ذكر من أول السورة الى هنا من أفعاله * ولما أشار الى عظمتها بأداة البعد أخبر عن اسم الاشارة بقوله تعالى (الله) أى الذى خلق هذه الاشياء (ربكم) أى الملك والمرى لكم بالخلق والرزق فهو المستحق لعبادتكم وقوله تعالى (له الملك) يفيد الحصر أى له الملك لا غيره * ولما ثبت انه لملك الاله وجب القول بأنه (الاله الا هو) أى لا يشركه فى الخلق غيره * ولما بين بهذه الدلائل كمال قدرته ورحمته زيف طريقة المشركين بقوله تعالى (فانى) أى فكيف ومن أى وجهه (تصرفون) عن طريق الحق بعد هذا البيان (ان تكفروا فان الله) أى الذى له الكمال كله (عنى عنكم) لانه تعالى ما كلف المكلفين ليجزى الى نفسه منفعة أو لا يدفع عن نفسه مضرة لانه تعالى غنى على الاطلاق فيمنع فى حقه من المنفعة ودفع المضرة لانه تعالى واجب الوجود لذاته وواجب الوجود لذاته فى جميع أفعاله يكون غنيا على الاطلاق وأيضا فالقادر على خلق السموات

والارض والشمس والقمر والنجوم والعرش والكرونى والعناصر الاربعة يمنع أن
ينفع بصلاة زيد وصيام عمرو وان يستنصر بعلم صلاة هذا وعدم صيام ذلك (ولا يرضى لعباده)
أى لا خدمتهم (الكفر) أى بالاقبال على ما سواه وانتم لاترضون ذلك لبعيدكم مع أن
ملككم لهم فى غاية الضعف ومعنى عدم الرضا به لا يفعل فعل الراضى بأن ياذن فيه ويقر عليه
وينيب فاعله ويدحه بل يفعل فعل الساخط بأن ينهى عنه ويذم عليه ويعاقب مرتكبته وان
كان بارادته اذ لا يخرج شئ عنها وهذا قول قتادة والسلف أجروه على عمومهم وقال ابن عباس
ولا يرضى لعباده المؤمنين الكفر وهم الذين قال الله تعالى فيهم ان عبادى ليس لك عليهم سلطان
فيكون عاملا فى اللفظ خاصا فى المعنى كقوله تعالى عينا يشرب بها عباد الله يريد بعض العباد
(وان تشكروا) الله تعالى أى فتؤمنوا بربكم وتطيعوه (يرضه لكم) أى فينبئكم عليه لانه
سبب فلاحكم وقرأ السوسى فى الوصل بسكون الهاء وللدورى وهشام وجهان السكون
والضمة وصله الهاء بواو للدورى وابن كثير وابن ذكوان والكسائى والماقون بالسكون وهو
لغة فيه (ولاترز) أى نفس (وازره وزر) نفس (أخرى) أى لا تحمل بل وزركل
نفس عليها لاعتقادها يحفظ علمها مدة كونها فى دار العمل واحتج به اذ انكر وجوب الدية
على العاقلة وورد بان السنة خصصت ذلك وأما الاثم الذى يكتب على الانسان بترك الامر
بالمعروف والنهى عن المنكر فليس وزر غيره وانما هو وزر نفسه فوزر الفاعل على الفعل
ووزر الساكت على الترك لما رزقه من الامر والنهى وقوله تعالى (ثم الى ربكم مرجعكم)
يدل على اثبات البعث والقيامة (فينبئكم بما كنتم تعملون) فيه تهديد للعاصى وبشارة
للمطيع وقوله تعالى (انه عليم) أى بالغ العلم (بذات الصدور) أى بما فى القلوب كالعلة
لما سبق أى انه تعالى ينبئكم بأعمالكم لانه عالم بجميع المعلومات فيعلم ما فى قلوبكم من الدواعى
والصوارف قال صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لا ينظر الى صوركم ولا أموالكم ولكن ينظر
الى قلوبكم وأعمالكم * ولما بين تعالى فساد القول بالشرك وبين تعالى انه الذى يجب أن يعبد
بين أن طريقة الكفار متناقضة بقوله تعالى (واذا مس الانسان) أى هذا النوع الاتس
بنفسه (ضر دعا ربه) لانهم اذا مسهم الضر طلبوا رفعه من الله تعالى واذا زال ذلك الضر
عنهم رجعوا الى عبادة الاصنام فكان الواجب عليهم أن يعترفوا بالله تعالى فى جميع الاحوال
لانه القادر على ابطال الخير ودفع الشر فظهر تناقض طريقهم والمراد بالانسان الكافر وقيل
المؤمن والكافر وقيل المراد اقوام معينون كعتبة بن ربيعة وغيره والمراد بالضر جميع
المكاره فى جسمه أو ماله أو أهله أو ولده لعموم النطق وقوله تعالى (منيبا) حال من فاعل دعا
وقوله تعالى (اليه) متعلق بمنيبا أى راجعا اليه فى ازالة ذلك الضر لان الانابة الرجوع (ثم اذا
خوله) أى أعطاه (نعمة) مبتدأة (منه) أى من غيره مقابل ولا يستعمل فى الجزاء بل فى ابتداء
العطية قال زهير * هنالك ان يستحولوا المال بخولوا * وبروى ان يستحولوا المال يخيلوا
* (وقال أبو النجم) *

أعطى فلم يجعل ولم يجعل * كرم الذرى من خول الخوقول
وحقيقة خول من احدى معنيين امام قولهم هو خائل مال اذا كان منه عهد الحسن القيام
عليه وامان خال بخول اذا اختل وافقر ومنه قول العرب * ان الغنى طول بل الذيل مباس *
(نسى) أى ترك (ما) أى الامر الذى (كان يدعو) أى يتضرع (اليه من قبل) أى قبل
النعمة * (تنبه) * يجوز فى ما هذه أوجه أحدها أن تكون موصولة بمعنى الذى مراعى بها
الضرر الذى كان يدعو الى كشفه أى ترك دعاءه كأنه لم يتضرع الى ربه ثانياً أنهم بمعنى
الذى مرادهم البارئ تعالى أى نسى الله الذى كان يتضرع اليه وهذا عند من يجوز وقوع
ما على أولى العلم وقال الرازى ما معنى من كثر له تعالى وما خلق الذكر والاثنى وقوله ولا أنتم
عابدون ما عبدو وقوله فأنكسروا ما طاب لكم ثالثها أن تكون مصدر يدعى نسي كونه داعياً
(وجعل) أى ذلك الانسان زيادة على الكثرة بالنسبة الى الاحسان (لله) أى الذى لا مكافئ له
بشهادة الفطرة والسمع والعقل (اندا) أى شركاء (ليضل عن سبيله) أى دين الاسلام
وقرأ ابن كثير وأبو عمرو بفتح الباء بعد اللام أى ليفعل الضلال بنفسه والباقيون بعضهم أى لم
يتضرع بضلالة فى نفسه حتى يحمل غيره عليه ففعوله محذوف واللام يجوز أن تكون للعله وأن
تكون لام العاقبة كقوله تعالى فالتقطه آل فرعون ليكون لهم عدواً وحزناً واختلف فى سبب
نزول قوله تعالى لتبسه محمد صلى الله عليه وسلم (قل) أى لهذا الذى قد حكم بكفره (تمتع)
أى فى هذه الدنيا (بكفرك قليلاً) أى بقية أجلك فقال مقاتل نزل فى أبي حذيفة بن المغيرة
الجزيمى وقيل فى عتبة بن ربيعة وقيل عام فى كل كافر وهذا أمر تهديد وفيه انقطاع للكافر
من التمتع فى الآخرة ولذلك علله بقوله تعالى (الذين آمنوا بآياتنا) أى الذين لم يخلفوا
الالهة على سبيل الاستئناف للمبالغة قال تعالى ولقد ذرأنا لجنهم كثيراً من الجن والاناس
الآية وما شرح الله تعالى صفات المشركين ونسكهم بغير الله تعالى أردفه بشرح الغاصبين
فقال تعالى (أمن هو فانت) أى فأنتم بوظائف الطاعات (أنا الليل) أى جميع ساعاته
ومن اطلاق القنوت على القيام قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الصلاة صلاة القنوت وهو القيام
فيها ومنه القنوت لانه يدعو قائماً وعن ابن عمر انه قال لأعلم القنوت الاقراءة القرآن وطول
القيام وتلا من هو قائم وعن ابن عباس القنوت الطاعة لقوله تعالى صكل له قاتون أى
مطيعون وقرأ نافع وابن كثير وحزرة بتخفيف الميم والباقيون بتشديد ها وفى القراءة الاولى
وجهاً أحدهما أن الهمزة همزة الاستفهام دخلت على من معنى الذى والاستفهام للتعريب
ومقابلته محذوف تقديره أمن هو فانت كمن جعل لله أنداداً وأمن هو فانت كغيره وأما القراءة
الثانية فأم داخله على من الموصولة أيضاً فادغمت الميم فى الميم وفى أم حينئذ ولأن أحدهما
انها متصلة ومعاد لها محذوف تقديره الكافر خير أم الذى هو فانت والثانى انهم انعطفت فتقدر
بيل والهمزة أى بل أمن هو فانت كغيره أو كالكافر المحقول له تمتع بكفرك وقوله تعالى (ساجداً)
أى ذراكها (وقائماً) أى وقاعداً فى صلاته حالاً من خير فانت * (تنبه) * فى هذه

قوله لانه يدعو قائماً
هكذا فى النسخ عبارة
الكشاف ومنه القنوت
فى الورت لانه دعاء المصلى
قائماً اه

الآية دلالة على أن قيام الليل أفضل من قيام النهار واختلف في سبب نزولها فقال ابن عباس
 نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه وقال الضحاك في أبي بكر وعمر رضي الله عنهما وقال
 أبو عمرو في عثمان رضي الله تعالى عنه وقال الكلبي في ابن مسعود وعمار وسلمان رضي الله تعالى
 عنهم وقوله تعالى (يحذر الآخرة) أي عذاب الآخرة يجوز أن يكون حال من الضمير
 في ساجدا وقائما أو من الضمير في قانت وأن يكون مستأنفا جوابا للسؤال مقدر كأنه قيل
 ما شأنه بقنت آتاء الليل وبتعب نفسه وبكدها قيل يحذر الآخرة (ويرجو رجة) أي الجنة
 (ربه) الذي لم يزل يتقلب في انعامه وفي الكلام حذف والتقدير كن لا يفعل شيئا من ذلك وإنما
 حسن هذا الحذف لدلالة ذكر الكافر قبل هذه الآية وذكر بعدها (قل هل يستوى) أي في
 الرتبة (الذين يعلمون) أي وهم الذين صفتهم أنهم يقتنون آتاء الليل ساجدين وقائمين (والذين
 لا يعلمون) أي وهم الذين صفتهم عند البلاء والخوف بوجدون وعند الراحة والفرغ يشركون
 وإنما وصف الله تعالى الكفار بأنهم لا يعلمون لأن الله تعالى وإن أعطاهم آله العلم الأنهم
 أعرضوا عن تحصيل العلم فلماذا جعلهم الله تعالى كأنهم ليسوا من أولى الألباب من حيث
 أنهم لم ينتفعوا بعقولهم وقلوبهم وفي هذا تنبيه على فضيلة العلم قيل لبعض العلماء
 انكم تقولون العلم أفضل من المال ثم نرى العلماء عند أبواب الملوك ولا نرى الملوك عند أبواب
 العلماء فأجاب بأن هذا أيضا يدل على فضيلة العلم لأن العلماء علوا ما في المال من المنافع فطلبوه
 والجهال لم يعرفوا ما في العلم من المنافع فلا جرم تركوه وقال في الكشف وأراد بالذين يعلمون
 العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم قال وفيه ازدياء عظيم بالذين يقتنون
 العلوم ثم لا يقتنون ويفتنون ثم يفتنون بالدينا فهم عند الله تعالى جهلة حيث جعل الله
 تعالى القانتين هم العلماء قال ويجوز أن يراد على سبيل التشبيه أي كالأبستوى العالمون
 والجاهلون كذلك لا يستوى القانتون والعاصون اه وعن الحسن أنه سئل عن رجل يتمادى
 في المعاصي ويرجو فقال هذا غف واما الرجاء قوله تعالى وتلا هذه الآية (انما يتذكر) أي يتعظ
 (أولو الألباب) أي أصحاب العقول الصافية والقلوب النيرة وهم الموصوفون في آخر سورة
 آل عمران بقوله تعالى الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم إلى آخرها ولما نفي تعالى
 المساواة بين من يعلم وبين من لا يعلم أمر نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بأن يخاطب المؤمنين فقال
 سبحانه (قل) أي لهم (يا عبادي الذين آمنوا) أي أوجدوا هذه الحقيقة (اتقوا ربكم)
 أي بطاعته واجتناب معاصيه ثم نهي تعالى لهم ما في هذا الاتقاء من الفوائد بقوله تعالى (الذين
 أحسنوا في هذه الدنيا) أي بالطاعة (حسنة) أي في الآخرة وهي الجنة والتشكير في حسنة
 للتعظيم أي حسنة لا يصل العقل إلى كنه كمالها فقوله تعالى في هذه الدنيا متعلق بأحسنوا
 وقيل متعلق بحسنة وعلى هذا فالسدى معناه في هذه الدنيا أحسنه يعني الصحة والعافية
 قال الرازي الأولى أن يحمل على الثلاثة المذكورة في قوله صلى الله عليه وسلم ثلاثة ليس لها نهاية
 الأمن والصحة والكفاية اه وروايته تعين جملته على حسنة الآخرة لأن ذلك حاصل للكفار

أكثر من حصوله للمؤمنين كما قال صلى الله عليه وسلم الدنيا بين المؤمن وجنة الكافر واختلاف
 في معنى قوله تعالى (وأرض الله) أى الذى له الملك كله والعظمة الشاملة (واسعة) فقال
 ابن عباس بمعنى ارتحلوا من مكة وفيه حث على الهجرة من البلد الذى تظهر فيه المعاصى ونظيره
 قوله تعالى قالوا فيم كنتم قالو كنتم تضعفين فى الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة
 فتهاجروا فيها وقيل زلت فى مهاجرى الحبشة وقال سعيد بن جبى من أمر بالمعاصى فليهرب
 وقال أبو مسلم لا يمنع أن يكون المراد من الأرض أرض الجنة كما قال تعالى جنة عرضها
 السموات والأرض أعدت للمتقين (انما يوفى) أى التوفية العظيمة (الصابرون أجرهم)
 أى على الطاعات وما يتلون به * وقيل زلت فى جهنم بن أبى طالب وأصحابه حيث لم يتركوا
 دينهم لما اشتد بهم البلاء وصبروا وهاجروا ومعنى (بغير حساب) أى بغير نية بكل أو وزن
 لأن كل شئ داخل تحت الحساب فهو متناه فالانهاية له كان خارجا عن الحساب وعن ابن
 عباس لا يمتدى اليه حساب الحساب ولا يعرف وقال على كرم الله وجهه ورضى الله تعالى
 عنه كل مطيع يكال له كيلا أو يوزن له وزنا إلا الصابرين فإنه يعنى لهم حسنا وروى الشعبي
 لكن بسند ضعيف عن النبى صلى الله عليه وسلم أن الموازين تنصب يوم القيامة لاهل الصلاة
 والصدقة والحج فيوفون أجورهم ولا ينصب لاهل البلاء بل ينصب عليهم الاجر صباح حتى ينهى أهل
 العافية فى الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمشاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل * ولما كان
 للعبادة وكان عمل القلب وعمل الجوارح وعمل القلب أشرف من عمل الجوارح فقدم سبحانه
 بقوله تعالى (قل) أى يا أشرف المرسلين (انى أمرت) قرأ نافع بفتح الباء والباقون بسكونها
 (أن أعبد الله مخلصا له الدين) أى مخلصا له التوحيد لا أشرك به شيئا ثم ذكر عقبه الادون وهو عمل
 الجوارح وهو الاسلام المذكور فى قوله (وأمرت لأن) أى لأجل أن أو بأن (أكون أول
 المسلمين) أى من هذه الامة وبهذا زال التكرار وقال الزمخشري فان قلت كيف عطف أمرت
 على أمرت وهما واحد قلت ليسا بواحد لاختلاف جهتيهما وذلك أن الأمر بالاخلاص وتكليفه
 شئ والأمر به ليعرزا قائم به فصب السبق فى الدين شئ آخر وإذا اختلف وجهها الشئ وصفته
 ينزل بذلك منزلة شيئين مختلفين * ولما دعا المشركون النبى صلى الله عليه وسلم الى دين أبانه أمره
 الله تعالى بقوله سبحانه (قل انى أخاف ان عصيت ربي) أى المحسن الى الربى لى بكل جميل
 وعبدت غيره (عذاب يوم عظيم) والمقصود من هذا الامر المبالغة فى زجر الفريعن المعاصى
 وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو انى بفتح الباء والباقون بسكونها (قل الله) أى المحيط بصفات
 الكمال وحده (أعبد مخلصا له) وحده (دينى) من الشرك قال الرازى فان قيل ما معنى
 التكرير فى قوله تعالى قل انى أمرت أن أعبد الله مخلصا له الدين وقوله تعالى قل الله أعبد
 مخلصا له دينى قلنا ليس هذا التكرير لأن الاول اخبار بأنه مأثور من جهة الله تعالى بالايان
 بالعبادة والثانى اخبار بأنه أمر أن لا يعبد أحدا غير الله تعالى وذلك ان قوله أمرت أن أعبد
 الله لا يفيد الحصر وقوله تعالى قل الله أعبد يفيد الحصر أى الله أعبد ولا أعبد أحدا سواه

ويدل عليه انه لما قال قل الله أعبد قال بعده (فاعبدوا) أي أنتم أيها الداعون في وقت
 الضراء المعرضون في وقت الرخاء (ما شئتم من دونه) أي غيره وفي هذا تهديد وزجر لهم
 وايدان بأنهم لا يعبدون الله تعالى ثم بين تعالى كمال الزجر بقوله سبحانه (قل ان الخاسرين)
 أي الكاملين في الخسران (الذين خسروا أنفسهم) أي أوقعوها في هلاك لا يعقل هلاك
 أعظم منه (و) خسروا (أهلهم يوم القيامة) أيضا لانهم ان كانوا من أهل النار فقد خسروهم
 كما خسروا أنفسهم وان كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا ذهابا لا يرجوع بعده البتة وقوله تعالى
 (الاذل) أي الامر العظيم البعيد الرتبة في الخسارة (هو الخسران المبين) أي البين يدل
 على غاية البالغة من وجوه أحدها انه وصفهم بالخسران ثم أعاد ذلك بقوله تعالى أذلك هو
 الخسران المبين وهذا التكرير لاجل التأكيد وثانيها ذكر حرف ألا وهو للتنبيه وذكر
 التنبيه يدل على التعظيم كأنه قال بلغ في العظم الى حيث لا تصل عقولكم اليه فتنهوا له
 وثالثها قوله تعالى هو الخسران ولفتة هو تنفيذ الحصر كأنه قيل كل خسران يصير في مقابلته
 كل خسران ورابعها وصفه تعالى بكونه خسرانا ميبنا يدل على التهويل * ولما شرح الله
 تعالى خسرانهم وصف ذلك الخسران بقوله تعالى (لهم من فوقهم ظلال) أي طباق (من
 النار ومن تحتهم ظلال) أي فرش ومهاد تطيره قوله تعالى لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش
 (فان قيل) الظلة ما علا الانسان فكيف سمي ما تحته ظلة (أجيب) بأوجه أحدها انه من باب
 اطلاق اسم أحد الضدين على الآخر كقوله تعالى وجراسية سيفه مثلها ثانيها أن الذي تحته
 يكون ظله لغيره لان النار دركات كما أن الجنة درجات ثالثها أن الظلة التحتانية لما كانت
 مشابهة للظلة الفوقانية في الحرارة والاحراق والايذاء أطلق اسم احدها على الاخرى
 لاجل المماثلة والمشابهة وقيل المراد احاطة النار بهم من جميع الجهات (ذلك) أي
 العذاب المعد للكفار (يحوف الله به عباده) أي المؤمنين ليحذروا ما يوقعهم فيه وقيل
 يحوف به الكفار والضلال ويدل للاول قوله تعالى (يا عباد فاقفون) أي ولا تعترضوا
 لما يوجب سخطي وهذه عظة من الله تعالى ونصيحة بالغة ووجه الدلالة ان اضافة العبد الى
 الله تعالى في القرآن مختص بأهل الايمان (والذين اجتنبوا الطاغوت) أي البالغ غاية
 الطغيان والطاغوت فعلوت من الطغيان كالمكوث والرجوت الآن فيه قلبا بتقديم اللام على
 العين اذا صله طغيوت قدمت الياء على الغين ثم قلبت الفاء لفتح كها وانفتاح ما قبلها أطلقت على
 الشيطان أو الشياطين لكونها مصدر او فيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر وكان عين الشيطان
 طغيان وان البناء بناء مبالغة فان الرجوت الرحمة الواسعة والمكوث الملك المبسوط والقلب
 وهو للاختصاص قال في الكشف اذا لا تطلق على غير الشيطان والمراد بها هنا الجمع انتهى
 لكن ابن الخازن فسر الطاغوت بالاولئان وبعه الجلال الهلي (فان قيل) يتعين هذا التفسير
 لانهم انما عبدوا الصنم لا الشيطان (أجيب) بأن الداعي الى عبادة الصنم هو الشيطان فلما كان
 هو الداعي كانت عبادة الصنم عبادة له (فان قيل) ما وجه تسمية الصنم بالطاغوت على التفسير

الثاني مع أنه لا يطلق الا على الشيطان كما مر (أجيب) بأنه أطلق عليه على سبيل المجاز لأن الطغيان لما حصل بسبب عبادة والتقرب اليه وصفه بذلك اطلاقاً لا اسم السبب على المسبب بحسب الظاهر وقوله تعالى (أن يعبدوها) يدل اشتمال من الطاغوت لأن الطاغوت مؤنث كأنه قيل اجتنبو عبادة الطاغوت (فان قيل) على التفسير الاول انما يعبدوا الصنم لا الشيطان (أجيب) بأنه الداعي الى عبادة الصنم (فائدة) نقل في التواريخ أن الاصل في عبادة الاصنام أن القوم مشبهة واعتقدوا في الاله انه نور عظيم وأن الملائكة أنوار مختلفة في الصغر والكبر فوضعوا تماثيل صور على وفق تلك الخيالات فكانوا يعبدون تلك التماثيل على اعتقادهم أنهم يعبدون الله والملائكة (وأنا بوا) أي رجعوا (الى الله) أي الى عبادة الله بكنيتهم وتر كواما كانوا عليه من عبادة غيره ثم انه تعالى وعده هؤلاء بأشياء أحدها قوله تعالى (لهم البشرى) أي في الدنيا والآخرة أما في الدنيا فالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند نزول الموت وعند الوضع في القبر وأما في الآخرة فعند الخروج من القبر وعند الوقوف للحساب وعند جواز الصراط وعند دخول الجنة في كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بنوع من الخير والراحة والروح والريحان * (تنبيه) * يحتمل أن يكون المشر لهم هم الملائكة عليهم السلام لانهم يمشرونهم عند الموت لقوله تعالى الذين تتوفاهم الملائكة طيبين يقولون سلام عليكم وعند دخول الجنة لقوله تعالى والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم عباسيتم فتم عبي الدار ويحتمل أن يكون هو الله تعالى لقوله تعالى تحييتهم يوم يلقونه سلام ولا مانع ان يكون من الله تعالى ومن الملائكة عليهم السلام فان فضل الله سبحانه واسع وقوله تعالى (فبشر عباد) قرأه السوسي بياء بعد الدال مفتوحة في الوصل ساكنة في الوقف والباقون بغير ياء (الذين يستمعون) أي بجميع قلوبهم (القول فيتعبدون) أي بكل عزائمهم بعد انتقاده (أحسنه) أي عبادتهم عليه عقولهم من غير عدول الى أدنى * (تنبيه) * في هذا وضع الظاهر موضع مضمر الذين اجتنبوا الدلالة على مبدأ احسانهم وانهم نقاد في الدين عيزون بين الحسن والاحسن والفاضل والافضل فاذا اعترضهم أمران واجب وندب اختاروا الواجب أو مباح وندب اختار والندب حرصا على ما هو أقرب عند الله وأكثر ثوابا ويدخل تحت ذلك أبواب التكليف وهي قسمان عبادات ومعاملات فأما العبادات فمكة ولنا الصلاة التي يذكر في تحريمها الله أكبر مع اقتران النية وبقراءتها بالقراءة ويؤتى فيها بالطمأنينة في مواضعها الخمسة وشهد فيها ويخرج منها بالسلام لاشك انها أحسن من الصلاة التي لا يراعى فيها شيء من هذه الاحوال قال الرازي فوجب على العاقل أن يختار هذه الصلاة دون غيرها وكذا القول في جميع أبواب العبادات قال في الكشف ويدخل تحته المذاهب واختياراً ثبتها على السبك وأقواها على السبر وأبينها دليلاً وأمارة ولا تكن في مذهب كما قال القائل * ولا تكن مثل عير قيد فانقادا * يريد المقلداً وأما المعاملات فكانتظار المعسر وإبرائه فالإبراء أولى وان كان الاول واجباً والثاني مندوباً وكذا القول في جميع المعاملات

وقيل يسمعون القرآن وغيره فينبعون القرآن وقيل يسمعون أو امر الله تعالى فينبعون
 أحسنهم انفعوا القصاص والعفو قال تعالى وأن تعفوا أقرب للتقوى وعن ابن عباس هو الرجل
 يجلس مع القوم فيسمع الحديث فيه محاسن ومساو فيحدث باحسن ما يسمع ويكف عما سواه
 وروى عن ابن عباس آمن أبو بكر بالنبي صلى الله عليه وسلم فجاءه عثمان وعبد الرحمن بن عوف
 وطهية والزبير وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد فسألوه فأخبرهم بما يمانه فأمنوا فزل فيهم فبشر
 عبادى الآتية (وأولئك) أى العالوا الهمة والرغبة (الذين هداهم الله) بما له من صفات الكمال
 لدينه (وأولئك هم أولوالباب) أى أصحاب العقول السليمة عن منازعة الوهم والعادة وقال
 أبو زيد نزل والذين اجتنبوا الطاغوت الآتية في ثلاثة نفر كانوا في الجاهلية يقولون لا اله الا الله
 زيد بن عمرو وأبو ذر الغفارى وسلمان الفارسى والاحسن لا اله الا الله وفي هذه الآية لطيفة
 وهي ان حصول الهداية في العقل والروح حادث فلا بد من فاعل وقابل فأما الفاعل فهو
 الله تعالى وهو المراد من قوله تعالى أولئك الذين هداهم الله وأما القابل فاليه الاشارة بقوله
 تعالى وأولئك هم أولوالباب فان الانسان مالم يكن عاقلا كامل الفهم امتنع حصول هذه
 المعارف الحقيقية في قلبه واختلف في معنى قوله تعالى (أفنى حق) وأسقطناه التانيث الدالة
 على اللين تأكيذا للنهي عن الاسف عليهم (عليه كلمة العذاب) فقال ابن عباس معنى الآية من
 سبق في علم الله أنه في النار وقيل كلمة العذاب قوله تعالى لا ملأ من جهنم الآية وقيل قوله تعالى
 هؤلاء للنار ولا أبالي وقوله تعالى (أفأنت تتنقد) أى تخرج (من في النار) جواب الشرط
 وأقيم فيه الظاهر مقام الضمير إذ كان الاصل أفأنت تتنقد وانما وقع موقعه شهادة عليه بذلك
 والهمزة للانكار والمعنى لا تقدر على هدايته فتسقطه من النار وقال ابن عباس يريد بالهيب
 وولده ويجوز أن تكون من موصولة في محل رفع بالابتداء وخبره محذوف واختلف في تقديره
 فقدره أبو البقاء كن نجبا وقدره الزمخشري فأنت تخلصه أى حذف لدلالة أفأنت تنقذ عليه
 وقدره غيرهما تنأسف عليه وقدره آخر يتخلص منه أى من العذاب وقوله تعالى (لكن الذين
 اتقوا ربهم) استدراك بين شبهي نقيضين أو وثنين وهما المؤمنون والكافرون أى جعلوا
 بينهم وبين المحسن اليهم وقاية في كل حركة وسكون فلم يجعلوا شيئا من ذلك الا ينظر يديهم على
 رضاه وقوله تعالى (لهم غرف) أى علالي من الجنة يسكنونها (من فوقها غرف) شديدة
 العلو مقابل لما ذكر في وصف الكفار ولهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلال والمعنى لهم
 منازل في الجنة رفيعة ومن فوقها منازل أرفع منها (فان قيل) ما فائدة قوله تعالى (منفعة)
 أعجيب بأن المنزل اذا بنى على منزل آخر كان القوفانى أضعف بناء من التحتانى فقوله تعالى
 مبنية فائدته أنه وان كان فوق غيره لكنه في القوة والشدّة مساو للمنزل الاسفل * ولما كانت
 المنازل لا تطيب الا بالماء وكان الجارى أحسن وأشرف قال تعالى (تجرى من تحتها) أى
 من تلك الغرف القوفانية والتحتانية (الانهار) أى المختلفة كما قال تعالى فيها أنهار من ماء

غير آسن وأنهار من لبن لم يغير طعمه وأنهار من خمر لذات الشاربين وأنهار من عسل مصفى وقوله تعالى (وعدا الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة فهو منصوب بفعلة المقدّر لأن قوله تعالى لهم غرق في معنى وعدهم الله ذلك (لا يخلف الله الميعاد) لأن الخلف نقص وهو على الله سبحانه محال وعن أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال إن أهل الجنة يترأون أهل الغرف من فوقهم كما تتراءون الكوكب الدري الغابر في الأفق من المشرق والمغرب لم يقاضل ما بينهم قالوا يا رسول الله تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم قال بلى والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين وقوله الغابر أى الباقي في الأفق في ناحية المشرق والمغرب * ولما وصف الله تعالى الآخرة بوصف يوجب الرغبة العظيمة فيها أوصف الدنيا بصفات توجب اشتداد النفرة عنها بقوله تعالى (ألم تر) أى تعلم (أن الله) أى الذى له كمال القدرة (أنزل من السماء) أى التى لا يمتسك الماء فيها إلا بقدرته بإهارة تقهر الماء على ذلك والمراد بالسماء الجرم أو السحاب (ماء) وهو المطر قال الشعبي كل ماء في الأرض من السماء نزل ثم أنه تعالى ينزله إلى بعض المواضع ثم يقسمه (فسلكه) أى أدخل ذلك الماء خلال التراب حال كونه (يتسارع في الأرض) أى عيونا ومجارى ومسالك كالعرفوف في الأجسام (ثم يخرج) الله تعالى (به) أى بالماء (زرعا مختلفا ألوانه) من خضرة وحمرة وصفرة وبياض وغير ذلك ومختلفا أصنافه من بر وشعر وسمسم وغيرها (ثم يهيج) أى ييبس (فتراه) بعد الخضرة مثلاً (مصفرا) من يسه لأنه إذا تم جفافه حان له أن يفصل عن منابته (ثم يجعله حطابا) أى قشرا (إن في ذلك) أى التدبير على هذا الوجه (لذكرى) أى تذكرا وتنبيها (لأولى الألباب) أى أصحاب العقول الصافية جدا فنذكر هذه الأحوال في النبات فيعملون بدلائله على وحدانية الله تعالى شأنه وقدرته وأحوال الحيوان والإنسان وأنه وإن طال عمره فلا بد من الانتهاء إلى أن يصير مصفر اللون مخمطم الأعضاء والأجزاء ثم تسكون عاقبته الموت فإذا كانت مشاهدة هذه الأحوال في النبات مذكرة لحصول مثل هذه الأحوال في نفسه في حياته فحينئذ تعظم نفرة عن الدنيا ولذاتها * ولما بين تعالى الدلائل على وجوب الاقبال على طاعة الله تعالى ووجوب الاعراض عن الدنيا ولذاتها ذكر أن الاتقاع بهذه البيانات لا يكمل إلا إذا شرح الصدور ونور القلوب فقال سبحانه (أفمن شرح الله) أى الذى له القدرة الكاملة (صدره للإسلام) أى وسعه لقبول الحق فاهتدى (فهو) أى بسبب ذلك (على نور من ربه) أى المحس اليه كن أقسى الله تعالى قلبه دل على هذا (قويل) كلمة عذاب (للقاسية قلوبهم من ذكر الله) قال مالك بن دينار ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة القلب وما غضب الله تعالى على قوم إلا نزع منهم الرحمة وأما نور الله تعالى فهو لطفه روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه الآية فقبل بإرسول الله فاعلامه انشراح الصدر للإسلام قال الانابة إلى دار الخلود والتجاني عن دار الغرور والتأهب للموت قبل نزول الموت (فان قيل) ان ذكر الله تعالى سبب لحصول النور والهداية وزيادة الأطمئنان

قال تعالى ألا يدرك الله طمأن القلب فكيف جعله في هذه الآية سببا لحصول القسوة في القلب
 (أجيب) بأن النفس إذا كانت خبيثة الجوهر كدرة العنصر بعيدة عن مناسبة الروحانيات
 شديدة الميل الى الطباع البهيمية والاخلاق الذميمة فان سماعها لذكر الله تعالى يزيد لها قسوة
 وكدرة مثاله أن القاعل الواحد يختلف أمثاله بحسب اختلاف القوابل كنور الشمس يسود
 وجه القصار ويبيض ثوبه وحرارة الشمس تلين الشمع وتعتد الملح وقد نرى انسانا واحدا
 يذكر كلاما واحدا في مجلس واحد فيسقط عليه واحد ويستهـ ~~يكرهه~~ غيره وما ذاك الا بحسب
 اختلاف جواهر النفوس ولما نزل قوله تعالى ولقد خلقنا الانسان من سلاله من طين
 الآية وعمر بن الخطاب رضى الله تعالى عنه حاضر وانسان آخر فلما انتهى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم الى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقا آخر قال كل واحد منهما مبارك الله أحسن الخلقين فقال
 رسول الله صلى الله عليه وسلم اكتب فكذا نزلت فازداد عمر رضى الله عنه ايمانا على ايمانه
 وارتد ذلك الانسان واذا عرف ذلك لم يبعد أن يكون ذكر الله تعالى يوجب النور والهداية
 والاطمئنان في النفوس الطاهرة الروحانية ويوجب القنوط والبعد عن الحق في النفوس
 الخبيثة وقيل من بمعنى عن أى قست قلوبهم عن قبول ذكر الله وجرى على ذلك الجلال المحلى
 (أولئك) أى هؤلاء البعداء (في ضلال مبين) أى بين قيل نزلت هذه الآية في أبى بكر رضى الله
 عنه وفى أبى ابن خلف وقيل فى على وحزرة وأبى لهب وولده وقيل فى رسول الله صلى الله عليه
 وسلم وفى أبى جهل (الله) الفعال لما يريد الذى له مجامع العظمة والاحاطة بصفات الكمال
 (نزل) أى بالتدريج للتدريج وللجواب عن كل شبهة (أحسن الحديث) أى القرآن
 روى أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ملوا مله فقالوا حدثنا فترات وكونه أحسن
 الحديث لوجهين أحدهما من جهة اللفظ والآخر من جهة المعنى أما الاول فلأن القرآن
 أفصح الكلام وأبلغه وأجزله وليس هو من جنس الشعر ولا من جنس الخطب ولا من جنس
 الرسائل بل هو نوع يخالف الكل فى أسلوبه مع أن كل طبع سليم يستلذه ويستطيعه
 وأما من جهة المعنى فهو منزّه عن التناقض والاختلاف قال جل ثناؤه ولو كان من عند غير الله
 لوجدوا فيه اختلافا كثيرا ومشتغل على أخبار الماضين وقصص الاقربين وعلى أخبار الغيوب
 الكثيرة فى الماضى والمستقبل وعلى الوعد والوعيد والخسة والثار وفى ايقاع لفظ الجلالة
 مبتدأ وبناء نزل عليه تفعيم لاحسن الحديث واستشهاد على حسنه وتأكيده لاستناده الى الله
 تعالى وانه من عنده وأن مثله لايجوز أن يصدر الا عنه وتنبه على أنه وحى معجز مبين لسائر
 الاحاديث وقوله تعالى (كتاباً) أى جامع الكل خير بدل من أحسن الحديث وقيل حال منه
 بناء على أن أحسن الحديث معرفة لاضافته الى معرفة وأفعال التفضيل اذا أضيف الى معرفة
 فيه خلاف فقيل اضافته محضة وقيل غير محضة والصحيح الاول وقوله تعالى (متشابها)
 نعت لكتابا وهو المنسوخ لجنى الجامدا حالاً وأنه فى قوة مكتوب وتشابهه بتشابه أبعاضه
 فى الاعجاز والبلغة والموعظة الحسنة لانتفاوت فيه أصلا فى لفظ ولا معنى مع كونه نزل مفرقا

فييف وعشرين سنة وأما كلام الناس فلا بد فيه من التفاوت وإن طال الزمان في التهذيب
 سواء اتحد زمانه أم لا وقوله تعالى (مثنى) جمع مثنى يعني مرّ دو مكر لما نفي من قصصه وأنبأه
 وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعدوه وعيده ومواعظه أوجع مثنى مقول من التثنية بمعنى
 التكرير والاعادة وقيل لأنه يثنى في التلاوة فلا يلح كما جاء في وصفه لا يخلق على كثرة التردد
 (فان قيل) كيف وصف كتابا وهو مفرد بالجمع (أجيب) بأن الكتاب جملة ذات تفاصيل وتفاصيل
 الشيء هي جملة لا غير ألا ترى أنك تقول القرآن اسبوع وأنجاس وسور وآيات فكذلك تقول
 أقاصيص وأحكام ومواعظ مكررات وتطهير قولك الإنسان عظام وعروق وأعصاب إلا أنك
 تركت الموصوف إلى الصفة وأصله كتابا متشابهة فصولا مثنى ويجوز أن يكون مثنى مستصاعا على
 التمييز من متشابهها كما تقول رأيت رجلا حسننا شاملا (فان قيل) ما الفائدة التثنية والتكرير
 (أجيب) بأن النفوس أنفوس عن حديث الوعظ والنصيحة فإلم بكثر عليها عودا على بدء
 لم يرتفع فيها ولم يعمل عمله ومن ثم كانت عادة رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يكثر رعليهم
 ما كان يعظم به وينصح ثلاث مرات وسبع المبركة في قلوبهم وبغرسه في صدورهم (تقشع)
 أي تضطرب وتشتت (منه) عند ذكر وعده (جلود) أي ظواهر أجسام (الذين يخشون) أي
 يخافون (رجيم) والمعنى تأخذهم شعيرة وهو تعبير يحدث في جلد الإنسان عند ذكر آيات
 العذاب (ثم تلين) أي تطمئن (جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله) أي عند ذكر وعده والمعنى
 إذا ذكرت آيات الرحمة لانت وسكنت قلوبهم **كما قال تعالى** ألا بدكر الله تطمئن القلوب
 روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذا تشعر جلد العبد من خشية الله تعالى
 تحت عذوبه كما تحت عن الشجرة اليابسة ورقها وفي رواية حرمه الله على النار قال قتادة
 هذا نعت أولياء الله تعالى نعمتهم الله تعالى بأن تقشع جلودهم وتطمئن قلوبهم بذكر الله ولم
 ينعمهم بذهاب عقولهم والقسيمان عليهم وانما ذلك في أهل البدع وهومن الشيطان وعن
 عبد الله بن عروة بن الزبير قال قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله تعالى عنها ما كيف
كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يفعلون إذا قرئ عليهم القرآن قالت كانوا كما
 نعمتهم الله تعالى تدمع أعينهم وتقشع جلودهم قال قلت لها إن ناسا اليوم إذا قرئ عليهم
 القرآن خروا أحدهم مغشيا عليه قالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وروى ابن عمر
 رضي الله تعالى عنهما مبرر رجل من أهل العراق ساقط فقال ما بال هذا افتنوا الله إذا قرئ
 عليه القرآن أو سمع ذكر الله تعالى سقط فقال أنا للخنثى الله تعالى وما نسط وقال ابن عمر
 الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم
 وسلم وذكروا عن ابن سيرين الذين بصرعون إذا قرئ عليهم القرآن فقال يبننا وبينهم أن
 يقعد أحدهم على ظهر بيت باسطا رجليه ثم يقرأ عليه القرآن من أوله إلى آخره فان رمى بنفسه
 فهو صادق (فان قيل) لم ذكرت الجلود وحدها ولا في جانب الخوف ثم قرنت بها القلوب
 ثانيا في الرجاء (أجيب) بأن الخشية التي محلها القلوب إذا ذكرت فقد ذكرت القلوب

فكانه قيل تقشعرجا لودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم في أول وهلة واذا ذكر
الله تعالى وصبي أمره على الرأفة والرحمة استبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة
لنبي في جلودهم (فان قيل) ما وجه تعدية تلبين بالي (أجيب) بأنه ضمن معنى فعل متعد
بالي كانه قيل سكنت أو اطمأنت الى ذكر الله تعالى (فان قيل) كيف قال الله تعالى الى
ذكر الله ولم يقل الى رحمة الله (أجيب) بأن من أحب الله تعالى لاجل رحمته فهو ما أحب
الله تعالى وانما أحب شيئا غيره وأما من أحب الله تعالى لالذئ سواء فهو المحب الحق وهي
الدرجة العالية كما قال تعالى ألا يذكر الله تطمئن القلوب (ذلك) أي القرآن الذي هو أحسن
الحديث (هدى الله) الذي له صفات الكمال (يهدى به من يشاء) أي وهو الذي شرح الله
تعالى صدره وأولاً لتبطل الهداية (ومن يضل الله) أي يجعل قلبه قاسيا مظلما (فقاله
من هاد) أي يهديه وقرآن كثير في الوقف بآيات الماء بعد الدال والباءون بغير الياء
واتفقوا في الوصل على عدم الياء ولما حكم تعالى على القاسية قلوبهم بحكم في الدنيا وهو
الفساد التام حكم عليهم في الآخرة بحكم آخر وهو العذاب الشديد فقال (أفنتي بوجهه
سوء) أي شدة (العذاب) أي يجعله وقاية تبقى بها نفسه لانه تكون يدها مغلولتين الى عنقه
(يوم القيامة) فلا يتدبران تبقى الابوجه وقال مجاهد يجز على وجهه في النار وقال عطاء
يرمى به في النار منكوسا فأول شيء يلقي في النار وجهه وقيل يلقي في النار مغلوله يدها الى عنقه
وفي عنقه شجرة عظيمة من كبريت مثل الجبل العظيم فتشتعل النار في تلك الصخرة وهي في عنقه
فخرها ووجهها على وجهه لا يطبق دفةها عنه للاغلال التي في يديه وعنقه وقيل المراد بالوجه
الجللة وقيل زلت في أبي جهل ومعنى الآية أفنتي بوجهه سوء العذاب كن آمن من العذاب
بدخول الجنة فحذف الجبر كما حذف في نظائره (وقيل) أي تقول الخزنة (للاظالمين) أي
الكافرين وكان الاصل لهم فوضع الظاهر موضعه تسجيلا عليهم بالظلم (ذوقوا ما) أي وبال
الذي (كنتم تكسبون) أي تعملون في الدنيا من المعاصي * ولما بين تعالى كيفية عقاب
القاسية قلوبهم في الآخرة وبين كيفية وقوعهم في العذاب قال تعالى (كذب الذين)
وأشار الى قرب زمان المعذبين من زمانهم بادخال الجار فقال تعالى (من قبلهم) أي من قبل
كفار مكة أي مثل سببا وقوم تبع كذبوا رسلكم في آيات العذاب (فأتاهم العذاب من حيث
لا يشعرون) أي من جهة لا يخطر ببالهم ان الشريأتيسم منها (فأذاقهم الله) أي الذي
له القدرة الكاملة (الجزى) أي الذل والهوان من المسخ والقتل وغيرهما (في الحياة الدنيا)
أي العاجلة الدينية (ولعذاب الآخرة) أي المعدلهم (أكبر) أي من ذلك الذي وقع بهم
في الدنيا (لو كانوا) أي المكذبون (يعلمون) أي عذابهم ما كذبوا ولكن لا علم لهم أصلا ان
هم الا كالانعام بل هم أضل سبيلا * ولما ذكر تعالى هذه الفوائد الكثيرة في هذه المطالب بين
أن هذه المينات بلغت حد الكمال والتمام فقال تعالى (ولقد ضربنا) أي جعلنا (للناس) أي
عامّة لأن رسالته صلى الله عليه وسلم عامّة (في هذا القرآن) أي الجامع لكل علم وكل خبر

(من كل مثل) أى يحتاج اليه الناظر في أمر دينه (لعلهم يتذكرون) أى يعطون به وقرآن نافع وقانون وابن كثير وعاصم باظهار الدال عند الصاد والباقون بالادغام وقوله تعالى (قرأ ناعرياً) فيه ثلاثة أوجه أحدها أن يكون منصوباً على المدح لأنه لما كان نكرة امتنع اتباعه للقرآن ثانيها أن ينتصب بمتذكرون أى يتذكرون قرآننا ثالثها أن ينتصب على الحال من القرآن على أنهم حال مؤكدة وتسمى حالاً موطئة لأن الحال في الحقيقة عربية قرآننا موطئة له نحو جاء زيد رجلاً صالحاً (غير ذى عوج) أى مستقيم بريئاً من التناقض والاختلاف نعت لقرآننا وحال أخرى (فان قيل) هلا قيل مستقيماً أو غير معوج (أجيب) بأن في ذلك فائدة بين احدهما نفي أن يكون فيه عوج قط كما قال تعالى ولم يجعل له عوجاً ثالثهما أن لنظ العوج مختص بالمعاني دون الاعيان وقيل المراد بالعوج الشك واللبس قال القائل

وقد أتاك يقين غير ذى عوج * من الاله وقول غير مكذوب

(لعلهم يتقون) أى الكفر (تنبيه) * وصف تعالى القرآن بثلاث صفات أولها كونه قرآناً والمراد كونه متلوياً في المحارب الى قرب قيام الساعة ثانيها كونه عربياً أى انه أعجز الفصحى والبغاء عن معارضته كما قال تعالى قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان يأتوا بشئ هذا القرآن لا يأتون بمثله ثالثها كونه غير ذى عوج قال مجاهد غير ذى لبس وقال ابن عباس رضى الله عنهما غير مختلف وقال السدي غير مخلوق ويرى ذلك عن مالك بن أنس وحكى شقيق وابن عيينة عن سبعة من التابعين أن القرآن ليس بمخالق ولا مخلوق * ولما شرح الله تعالى وعيد الكفار مثل لما يدل على فساد مذاهبهم وقيح طريقتهم بقوله تعالى (نشر الله) أى الذى له الملك كله (مثلاً) أى للمشركين والموحدين وقوله تعالى (رجلاً) بدل من مثلاً وقوله تعالى (فيه شركاء) يجوز أن تكون الجملة من مبتدأ وخبر في محل نصب صفة لرجلاً ويجوز أن يكون الوصف الجار وحده وشركاء فاعل به قال ابن عادل وهو أولى اقربيه من المفرد وقوله تعالى (منشأ كسون) صفة لشركاء والتشاكس التخالف وأصله سوء الخلق وعسره وهو سبب التخالف أى متنازعون مختلفون سيئة أخلاقهم يقال رجل شكس وشرس اذا كان سيئ الخلق مخالفاً للناس لا يرضى بالانصاف (ورجلاً سالماً) أى خالصاً من نزاع (لرجل) أى خالصاً له لا شريك له فيه ولا منازع وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وبألف بعد السين وكسر اللام بعدها والباقون بغير ألف وفتح اللام وهو الذى لا ينزع فيه من قولهم هولك سلم أى مسلم لا منازع لك فيه وقوله تعالى (هل يستويان) استفهام انكار أى لا يستويان وقوله تعالى (مثلاً) تمييز والمعنى اضرب القوم مثلاً وقل لهم ما تقولون في رجل يملك لشركاء بينهم اختلاف وتنازع وكل واحد يدعى أنه عبده فهم يتجادون به حوائجهم وهو متحير في أمره وكلما أرى أحدهم غضب الباقرن واذا احتاج اليهم فكل واحد يرقه الى الآخر فينتعير الا يعرف أيهم أولى أن يطلب رضاه وأيهم يعينه في حاجته فهو بهذا السبب في عذاب ألم وأخره مخدوم واحد يخدمه على سبيل الاخلاص وذلك المخدم يعينه على مهماته فأى هذين العبدین

أحسن حالا لاشك ان هذا أقرب الى الصلاح من حال الاول فان الاول مثل المشرک والثاني
مثل الموحد وهذا المثال في غاية الحسن في تقييد المشرک وتحسين الموحد (فان قيل) هذا المثال
لا ينطبق على عبادة الاصنام لانها جمادات فليس بينها منازعة ولانها كس (أجيب) بأن
عبدة الاصنام مختلفون منهم من يقول هذه الاصنام تماثيل الكواكب السبعة فهم في
الحقيقة انما يعبدون الكواكب السبعة وهم يثبتون بينها منازعة ومشاكسة ألا ترى أنهم
يقولون زحل هو النجم الأعظم والمشتري هو السعد الأعظم ومنهم من يتول هذه الاصنام
تماثيل الارواح الفلكية والقائلون بهذا القول زعموا أن كل نوع من أنواع حوادث هذا
العالم يتعلق بروح من الارواح السماوية وحينئذ يحصل بين تلك الارواح منازعة ومشاكسة
فيكون المثال مطابقا ومنهم من يقول هذه الاصنام تماثيل لاشخاص من العلماء والزهاد
مضوا فهم يعبدون هذه التماثيل ليصبروا واثلك الاشخاص من العلماء والزهاد شفعاء لهم عند
الله تعالى والقائلون بهذا القول يزعم كل طائفة منهم ان الحق هو ذلك الرجل الذي هم على دينه
وان من سواء مبطل وعلى هذا التقدير أيضا ينطبق المثال * ولما بطل القول باثبات الشركاء
والانداوث ثبت انه لا اله الا هو الواحد الاحد الحق قال الله تعالى (الحمد) أى الاحاطة بأوصاف
الكمال (لله) أى كل الحمد لله الذي لا مكافئ له فلا يشاركه فيه على الحقيقة سواء لانه المنعم بالذات
والمالك على الاطلاق (بل أكثرهم) أى أهل مكة (لأبعلون) أى ما يصيرون اليه من
العذاب فيشركون به غيره من فرط جهلهم وقول البغوى والمراد بالاكثر الكل ليس بظاهر
* ولما كان كفار مكة يترصدون موت رسول الله صلى الله عليه وسلم أخبره الله تعالى بأن الموت
يجمعهم جميعا بقوله تعالى (ان لم يمت) أى سموت وخصه الله تعالى بالخطاب لان الخطاب
اذا كان للرأس كان اصداق لا تباعه فكل موضع كان للاتباع وخص فيه صلى الله عليه وسلم
بالخطاب دونهم فهم المخاطبون في الحقيقة على وجه أبلغ (وانهم ميتون) أى سيموتون فلامعنى
للتربص وشهادة الغائب بالغائب * (فائدة) * قال القراء اميت بالتشديد من لم يمت وسموت والميت
بالتحفيف من فارقه الروح ولذلك لم يخفف هنا وقوله تعالى (ثم انكم) فيه تغليب المخاطب
على الغائب (يوم القيامة عند ربكم) أى المربي لكم بالخلق والرزق (مختصمون) ففتح أنت
عليهم بأنك بلغت وكذبوا واجتهدت في الارشاد والتبليغ فلبوا في التكذيب والعناد ويعتدرون
بالابطال يقول الاتباع اطعنا سادتنا وكرهنا وتقول السادات اغوتنا آباءنا لا اقدمون
والشياطين ويجوز أن يكون المراد به الاختصاص العام ويجرى عليه الجلال المحلى وهو أولى وان
رجح الاول الكشف لما روى عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما قال لما نزلت هذه الآية
قال يا رسول الله أتكون علينا الخصومة بعد الذى كان بيننا في الدنيا قال نعم فقال ان الامر
اذا الشديد وقال ابن عمر عشنا برهة من الدهر وكأثرى ان هذه الآية نزلت فينا وفي أهل الكتابين
قلنا كيف فنخضم وديننا واحد وكنا واحد حتى رأينا بعضنا يضرب وجوه بعض بالسيف
ففرقنا انما نزلت وعن أبي سعيد الخدري رضى الله عنه في هذه الآية قال كنا نقول ربنا

واحد ودينار واحد وكاتبوا هذه الخصومة فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض
بالسيوف قلنا هو هذا وعن ابراهيم النخعي قال لما نزلت قالت الصحابة كيف تختصم ونحن
اخوان فلما قتل عثمان رضى الله عنه قالوا هذه خصومتنا وعن أبي العباس نزلت في أهل القبلة
وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من كانت لآخيه عنده مظلمة من عرض أو مال
فليس ينجح له اليوم قبل أن يؤخذ منه يوم لا دينار ولا درهم فان كان له عمل صالح أخذ منه بقدر
مظلمته وان لم يكن له أخذ من سيئاته فجعلت عليه وعن أبي هريرة أيضا قال قال رسول الله صلى
الله عليه وسلم أتدرون من المفلس قالوا المفلس فينا من لادرهم له ولا متاع قال ان المفلس من
أمتى من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة وقد كان شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا
وسفل دم هذا وضرب هذا فيقضى هذا من حسناته وهذا من حسناته فان قنيت حسناته
قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار ثم انه تعالى بين نوعا
آخر من قبائح أفعالهم بم قوله تعالى (فن) أى لا أحد (أظلم) أى منهم هم هكذا كان الأصل
ولكن قال تعالى (من كذب) تعميما (على الله) أى الذى الكبرياء رداؤه والعظمة ازاره
بنسبة الولد والشريك اليه (وكذب) أى أوقع التكذيب لكل من أخبره (بالصدق) أى
بالأمر الذى هو الصدق بعينه وهو ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (أدجاءه) أى فاجأه
بالتكذيب لما سمع من غير وقفة ولا اعمال روية بتمييزين حق وباطل كما يفعل أهل النصفة فيما
يستمعون وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذا ل عند الجيم والباقون
بالادغام ثم أردف ذلك بالوعيد فقال (أليس في جهنم) أى النار التى تلى دأخلها بالجهنم
والعبوسة كما كان يلقى الحق وأهله (مشوى) أى مأوى (للكافرين) أى لهؤلاء الذين كذبوا
على الله وكذبوا بالصدق واللام في للكافرين إشارة اليهم والاستفهام بمعنى التقرير * ولما
ذكر من افتري وكذب ذكره مقابله وهو الذى جاء بالصدق وصدق به بقوله تعالى (والذى جاء
بالصدق) قال قتادة ومقاتل هو النبي صلى الله عليه وسلم (وصدق به) هم المؤمنون فالذى
بمعنى الذين ولذلك روى معناه جتمع في قوله تعالى (أولئك) أى العالو الرتبة (هم المتقون) أى
الشرك كما روى معنى من في قوله تعالى للكافرين فان الكافرين ظاهر واقع موقع الضمير إذ
الأصل مشوى لهم وكافى قوله تعالى مثلهم كمثل الذى استوقد ناراً ثم قال تعالى ذهب الله بنورهم
قال الرخخشري ويجوز أن يريد الفوج أو الفريق الذى جاء بالصدق وصدق به وهم الرسول
الذى جاء بالصدق وصحابته رضى الله تعالى عنهم الذين صدقوا به اه قال أبو حيان وفيه
توزيع للصلة والفوج هو الموصل فهو كقولك جاء الفريق الذى شرف وشرفوا الاظهر عدم
التوزيع بل المعطوف على الصلة صلة لمن له الصلة الاولى وقيل بل الأصل والذين جاء بالصدق
فحذفت النون تحقيقا كقوله تعالى كالذى خاضوا قال ابن عادل وهذا وهم اذ لو قصد ذلك لجاء
بعده ضمير الجمع فكأن يقال والذى جاؤا كقوله تعالى كالذى خاضوا ويدل عليه ان نون
التثنية اذا حذفت عاد الضمير مثنى كقوله

أبني كليب أن عبي اللذا * قتلا الملوك وفككوا الاغلا

وقال ابن عباس رضي الله عنهما والذي جاء بالصدق يعني رسول الله صلى الله عليه وسلم جاء بلا اله الا الله وصدق به الرسول أيضا بلغة الى الخلق وقال السدي والذي جاء بالصدق جبريل عليه السلام جاء بالقرآن وصدق به محمد صلى الله عليه وسلم تلقاه بالقبول وقال أبو العالية والكوفي والذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم وصدق به أبو بكر رضي الله عنه وقال عطاء والذي جاء بالصدق الانبياء وصدق به الاتباع وقال الحسن هم المؤمنون صدقوا به في الدنيا وجاؤا به في الآخرة وقوله تعالى (لهم ما يشاؤون) أي من أنواع الكرامات (عند ربهم) أي في الجنة يدل على حصول الثواب على أكمل الوجوه (ذلك) أي هذا الجزاء (جزاء المحسنين) لانفسهم بما عنانهم وقوله تعالى (ليكفر الله عنهم) يدل على سقوط العقاب عنهم على أكمل الوجوه ومعنى تنكبرها أن يسترها عليهم بالغفرة * (تنبيه) * في تعلق هذه اللام وجهان أحدهما أنها متعلقة بمحذوف أي بسر لهم ذلك ليكون ثابها أنها متعلقة بنفس المحسنين كانه قيل الذين أحسنوا ليكفر أي لاجل التكفير وقوله تعالى (اسوا الذي) أي العمل الذي (علموا) فيه مبالغة فانه اذا كفر كان غيره أولى بذلك ولان بيان أن الشيء الذي يفرط منهم من الصغار والزلات المكفرة هو عندهم الاسوأ لاستقامتهم المعصية وأنه بمعنى السيئ كما جرى عليه الجلال المحلى تتوهم التناقض والاشيخ أعدا لابي مروان أي عادلاهم اذ ليس المراد به التفضيل والتناقض هو محمد والخليفة سمى به لانه نقص أعطية القوم والاشيخ هو عمر بن عبد العزيز سمى به لشجبة أصابت رأسه (ويجزئهم أجرهم) أي يعطيهم ثوابهم (بأحسن الذي) أي العمل الذي (كانوا يعملون) أي فيعتلهم بحسان أعمالهم بأحسنها في زيادة الاجر لحسن اخلاصهم فيها وهذا أولى من قول الجلال المحلى انه بمعنى الحسن وقوله تعالى (أليس الله) أي الجامع لصفات الكمال كلها المنعوت بنعوت العظمة والجلال (بكاف عبده) أي الخالص له استغفاهم انكارا للثني بمبالغة في الانبياء وقرأ حمزة والكسائي بكسر العين وفتح الباء الموحدة وألف بعدها على الجمع وقرأ الباقون بفتح العين وسكون الباء على الافراد فقرأه الافراد محمولة على النبي صلى الله عليه وسلم وقرأه الجمع على جميع الانبياء عليهم الصلاة والسلام فان قومهم قصدوهم بالسوء كما قال الله تعالى وهمت كل أمة برسولهم ليأخذوه وصفاهم الله تعالى شر من عاداهم ويحتمل أن يراى بقراءة الافراد الجنس فتساوى قراءة الجمع وقيل المراد أن الله تعالى كفى نوحا عليه السلام الفرق وارايم عليه السلام الحرق ويونس عليه السلام بطن الحوت فهو سبحانه وتعالى كافيل بالمحمد كما كفى هؤلاء الرسل قبلك (ويحذرونك) أي عبادا الاصنام (بالذين من دونه) وذلك ان قرشا خوقوا النبي صلى الله عليه وسلم معادة الاوثان وقالوا لا تقربوا الله من دونه فن عن شتم الهتنا أولي صيبنك منهم خبل وأجذون فانزل الله تعالى هذه الآية وروى أنه صلى الله عليه وسلم بعث خالد الى العزى ليكسرها فقال له سادتها أي خادمها لا تدركها أحذر كما ايا خالد ان لها شدة لا يقوم لها شيء فعمد خالد اليها

فهشتم أنها فترات هذه الآية * ولما شرح الله الوعد والوعيد والترغيب والترهيب ختم الكلام بخاتمة هي الفصل فقال تعالى شأنه (ومن يضل الله) أي الذي له الأمر كله (فقاله من هاد) أي يهديه إلى الرشاد (ومن يهد الله فإله من مضل) أي فهذه الدلائل والبينان لا تنفع إلا إذا خص الله العبد بالهداية والتوفيق إذا أراد فعله كما قال تعالى (أليس الله) أي الذي بيده كل شيء (بعزير) أي غالب على أمره (ذي انتقام) أي من أعدائه بلي هو كذلك وفي هذا تهديد للكفار * ولما بين تعالى وعيد المشركين ووعيد الموحدين عاد إلى إقامة الدليل على تزيف طريق عبادة الاوثان وهذا الترتيب مبني على أصلين الأول أن هؤلاء المشركين مقرون بوجود الإله القادر العالم الحكيم الرحيم وهو المراد من قوله تعالى (ولئن سألتهم) أي من شئت منهم فرادى أو مجموعين واللام لام القسم (من خلق السموات) أي على ما لها من الانساع والعظمة والارتفاع (والارض) أي على ما لها من العجائب وفيها من الانتفاع (ليقولن الله) أي وحده لوضوح البرهان على تفردّه بالخالقية قال بعض العلماء العلم بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم علم متفق عليه بين جمهور الخلائق لا نزاع بينهم فيه وفطرة العقل شاهدة بصحة هذا العلم فإن من تأمل في عجائب بدن الإنسان وما فيه من أنواع الحكم الغريبة والمصالح العجيبة علم أنه لا بد من الاعتراف بالإله القادر الحكيم الرحيم والاصل الثاني أن هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر وهو المراد من قوله تعالى (قل أرأيتم) أي بعد ما تحققت أن خالق العالم هو الله تعالى (مأندعون) أي تعبدون (من دون الله) أي الذي هو ذو الجلال والإكرام (إن أرادني الله) أي الذي لا أراد لأمره (بضر) أي بشدة وبلاء (هل هن كاشفات ضره) أي لا تقدر على ذلك (أو أرادني برحمة) أي بعافية وبركة (هل هن ممسكات رحمته) أي لا تقدر على ذلك فثبت أنه لا بد من الاقرار بوجود الإله القادر الحكيم الرحيم قال مقاتل فسألهم النبي صلى الله عليه وسلم عن ذلك فسكتوا وقرأ أبو عمرو بن نوفل التمام من كاشفات وممسكات ونصب الراي من ضره ورفع الهام ونصب التمام من رحمته والباقيون بغير تنوين فيها ما وكسر الراء والهام من ضره والتاء والهام من رحمته وإذا كانت هذه الاصنام لا قدرة لها على الخير والشر كانت عبادة الله تعالى كافية والاعتماد عليه كافيا وهو المراد من قوله تعالى (قل حسبى الله) أي نقتي به واعتمادى (عليه يتوكل المتوكلون) أي يتقوا الوائقون (فان قيل) لم قال تعالى كاشفات وممسكات على التأنيث بعد قوله تعالى ويخوفونك بالذين من دونه (أجيب) بأنه أنها تحقير المايدعون من دونه ولأنهم كانوا يسمونها بأسماء الاناث وهي اللات والعزى ومناة قال الله تعالى أفرأيتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى وقوله تعالى لتبتهلنني صلى الله عليه وسلم (قل يا قوم) أي الذين أرجوهم عند الملمات وفيهم كفاية في القيام بما يحاولون (اعملوا على مكاسكم) أي على حالتكم فيه تهديد أي أنكم تعتقدون في أنفسكم أنكم في نهاية القوة والشدة فاجتهدوا في أنواع مكركم وكيدكم وقرأ شعبة بألف بعد النون جمعا والباقيون بغير ألف أفرادا (أي عامل)

أى فى تقرير ديني (فسوف تعلمون) أى بوعده لا خلف فيه (من يأتيه) منا ومنكم بسبب
 أعماله (عذاب يجزيه) فان خزي أعدائه دليل عليه وقد أخذهم الله تعالى يوم بدر (ويجزل) أى
 ينزل (عليه عذاب مقيم) أى دائم وهو عذاب النار * (تنبيه) * المكانة بمعنى المكان
 فاستعيرت من العين للمعنى كما استعير لفظ هنا وحيث للزمان وهما للمكان (فان قيل) حق
 الكلام انى عامل على مكافئ فلم حذف (أجيب) بأنه حذف للاختصار ولما فيه من زيادة
 الوعيد والايذان بأن حاله لا تقف وتزداد كل يوم قوة وشدة لان الله تعالى ناصره ومعينه
 ومظهره على الدين كله ألا ترى الى قوله تعالى فسوف تعلمون نوعدهم بكونه منصورا عليهم -
 غالباً عليهم فى الدنيا والاخرة * ولما بين تعالى فى هذه الآيات فساد مذهبهم أى المشركين
 نارة باللائل وتارة بضرب الامثال ونارة بذكر الوعد والوعيد وكان صلى الله عليه وسلم يعظم
 عليه اصرارهم على الكفر كما قال تعالى فلعلمنا باخع نفسك على آثارهم وقال تعالى فلا تذهب
 نفسك عليهم حسرات أردفه بكلام يزيل ذلك الحزن العظيم عن قلب رسول الله صلى الله عليه
 وسلم فقال تعالى (أنا أنزلنا) أى بالثامن العظمة والقدرة التامة (عليك) بأشرف الخلق
 (الكتاب) أى الكامل الشرف (للناس) أى لاجلهم فانه مناط مصالحهم فى معاشهم
 ومعادهم فهو للناس عامة لان رسالتك عامة وجعلنا انزاله مقرونا (بالحق) أى بالصدق وهو
 المعجز الذى يدل على أنه من عند الله (فمن اهتدى) أى طأوى الهدى (فلنفسه) أى فنفسه
 يعود الى نفسه (ومن ضل) أى وقع فى الضلال بخالفته (فأنا يضل عليها) أى فضرر ضلاله
 يعود اليه * ولما دل السياق على أن التقدير فأتت عليهم بجبار لتهتهم على الهدى عطف
 عليه قوله تعالى (وما أتت عليهم بوكيل) أى لست مأموراً بأن تحملهم على الايمان على سبيل
 القهر بل القبول وعدمه مفوض اليهم وذلك تسلياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم ولأن
 الهداية والضلال من العبد لا يحصلان الا من الله تعالى لان الهداية تشبه الحياة والبقظة
 والضلال يشبه الموت والنوم فكما أن الحياة والبقظة لا يحصلان الا بالخلق الله تعالى كذلك
 الضلال لا يحصل الا من الله تعالى ومن عرف هذه الدقيقة فقد عرف سر الله تعالى فى القدر
 ومن عرف سر الله تعالى فى القدر هانت عليه المصائب * ولما بين سبحانه أن الهداية والضلال
 بتقديره قال تعالى (الله) أى الذى له مجامع الكمال وليس لشأنة النقص اليه سبيل (يتوفى
 الانفس) أى الارواح (حين موتها) أى موت أجسادها ويتوفى أمانتها وهي أن تسلب
 ما هي به حية حساسة درأك من جهة أجزائها وسلامتها لانها عند سلب الصحة كان ذاتها
 قد سلبت وقوله تعالى (والتي لم تمت فى منامها) عطف على النفس أى يتوفى النفس حين
 موتها ويتوفى ايضا النفس التى لم تمت فى منامها فى منامها طرفة عين أى يتوفاها حين
 تمام تشبيهها للماتين بالموت ومنه قوله تعالى وهو الذى يتوفاكم بالليل حتى لا تنبزو ولا تصرفوا
 كما أن الموتى كذلك فالتى تتوفى عند النوم هى النفس التى يكون به العقل والتمييز لكل
 انسان نقصان احدها نفس الحياة وهى التى تفارقه عند الموت ويترى يترى الهما النفس

والاخرى هي النفس التي تفارقه اذا نام وهو بعد النوم يتنفس (فيسلك التي قضى عليها الموت)
فلا يردها الى جسدها وقرأ حزمة والكسائي بضم القاف وكسر الضاد وفتح الباء بعد الضاد
ورفع التاء من الموت والباقون بفتح القاف والضاد وسكون الباء بعد الضاد ونصب الموت
(ويرسل الاخرى) أى يردها الى جسدها وهي التي لم يقبض عليها الموت (الى أجل مسمى)
أى الى الوقت الذى ضرب به لموتها وقبل يتوفى الانفس أى يستوفىها ويقبضها وهي الانفس
التي تكون معها الحياة والحركة ويتوفى الانفس التي لم تمت فى منامها وهي انفس التميز قالوا
والتي تتوفى فى النوم هي نفس التميز لانفس الحياة ولأن نفس الحياة اذا زالت زال معها النفس
والنائم يتنفس وروا عن ابن عباس رضى الله عنه فى ابن آدم نفس وروح بينهما مثل شعاع
الشمس فالنفس التي بها العقل والتمييز والروح التي بها النفس والتحريك فاذا نام العبد قبض
الله تعالى نفسه ولم يقبض روحه قال الزمخشري والصحيح ما ذكر اولاً لأن الله تعالى علق التوفى
والموت والمنام جميعاً بالانفس وما عوان بنس الحياة والحركة ونفس العقل والتمييز غير متصف
بالموت والنوم وانما الجلالة هي التي تموت وهي التي تنام انتهى ويرى عن علي رضى الله تعالى
عنه قال يخرج الروح عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد فبذلك يرى الرؤيا فاذا نابه من النوم
عاد الروح الى جسده بأسرع من لحظة ويتسأل أن أرواح الاحياء والاموات تلتقي فى المنام
فتتعارف ماشاء الله فاذا أرادت العود الى أجسادها أمسك الله تعالى أرواح الاموات
عنده وأرسل أرواح الاحياء حتى ترجع الى أجسادها الى أجل مدة حياتها وعن أبي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا أوى أحدكم الى فراشه فليقبض
فراشه بداخل ازاره فانه لا يدري ما خلفه عليه ثم يقول اللهم باسمك ربى وضعت جنى وبك
أرفعه فان أمسكت نفسي فارحها وان أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به الصالحين (ان فى ذلك)
أى التوفى والامساك والارسل (آيات) أى دلالات على كمال قدرته وحكمته ورحمته
وقال مقاتل لعلامات (لقوم يتفكرون) أى فيعلمون ان القادر على ذلك قادر على البعث
(فان قبيل) قوله تعالى الله يتوفى الانفس يدل على ان المتوفى هو الله تعالى ويؤيده قوله تعالى
الذى خلق الموت والحياة وقوله تعالى عن ابراهيم عليه السلام ربى الذى يحيى ويميت وقال
تعالى فى آية أخرى اذا جاء أحدكم الموت توفته رسلنا فكيف الجمع (أجيب) بأن المتوفى
فى الحقيقة هو الله تعالى لانه تعالى فوض ~~كل~~ نوع الى ملك من الملائكة تفوض قبض
الارواح الى ملك الموت وهو الرئيس وتحتضه اتباع وخدم فأضيف التوفى فى آية الى الله
تعالى وهي الاضافة الحقيقية وفى آية الى ملك الموت لانه الرئيس فى هذا العمل وفى آية الى
اتباعه ثم ان الكفار أوردوا على هذا الكلام سؤالاً فقالوا نحن لانعبد هذه الاصنام لاعتماد
انها تنصرون وتضع وانما نعبد هذا الاجل انها تميل لاشخاص كانوا عند الله تعالى من المقربين
فتمن نعبدها لنشفع لنا أولئك المقربون عند الله تعالى فأجاب الله سبحانه عنس بقوله تعالى
(أم اتخذوا) أى ~~كلوا~~ أنفسهم بعد وضوح الدلائل عندهم (من دون الله) أى

الذى لا مكافئ له ولا مدانى (شفعاء) أى تشفع لهم عند الله تعالى * (تنبيه) • أم منقطعة
 فتقديريل والهزمة (قل) يا أشرف الخلق لهؤلاء البعداء (أولوا) أى أيشفعون ولو (كانوا
 لا يملكون شيئاً) أى من الشفاعة وغيرها (ولا يعقلون) أى أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك وجواب
 لو محذوف تقديره ولو كانوا بهذه الصفة تتخذونهم (قل) أى لهم (لله) أى الذى له كمال القدرة
 والعظمة (الشفاعة جميعاً) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد الا باذنه ثم قرر ذلك فقال (له ملك
 السموات والارض) أى فانه مالك الملك كله لا يملك أحد أن يسلك دون اذنه ورضاه (ثم اليه
 ترجعون) أى يوم القيامة فيكون الملك له أيضاً حينئذ ثم ذكر تعالى نوعاً آخر من أعمال
 المشركين القبيحة بقوله تعالى (واذا ذكر الله) أى الذى لا اله غيره (وحده) أى دون آلهتهم
 (استمازت) قال ابن عباس رضى الله عنهما ومجاهد يعنى انقبضت وقال قتادة استكبرت
 وأصل الاستمزاز التفوق والاستكبار أى نفرت واستكبرت (قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة)
 أى لا يؤمنون بالبعث (واذا ذكر الذين من دونه) أى الاصنام (إذا هم يستبشرون) أى
 يفرحون لفرط افتنائهم ونسيانهم حق الله تعالى ولقد بالغ في الامرين حق الغاية فيهما فان
 الاستبشار أن يعلى قلبه سرورا حتى تنبسط له بشرة وجهه والاستمزاز أن يعلى غيظا وهما حتى
 ينقبض أديم وجهه قال مجاهد ومقاتل وذلك حين قرأ النبي صلى الله عليه وسلم سورة والنجم
 وألقى الشيطان في أمنيه تلك الغرائق العلاف فرح به المشركون وقد تقدم الكلام على
 ذلك في سورة الحج * (تنبيه) * قال الرمخشى فان قلت ما العامل في اذا ذكر قلت العامل
 في اذا المفاجأة تقديره وقت ذكر الذين من دونه فاجزأ وقت الاستبشار قال أبو حيان أما قول
 الرمخشى فلا أعلمه من قول من يفتى الى النجو وهو ان الطرفين معمولان لفاجزأ ثم قال
 اذا الاولى تنصب على الظرفية والثانية على المفعول به * ولما حكى الله تعالى عن هؤلاء الكفار
 هذا الامر العجيب الذى تشهد فطرة العقل بفساده أردفه بذكر الدعاء العظيم فقال تعالى
 (قل اللهم) أى بالله (فاطر السموات والارض) أى مبدعهم من العدم أى ألجئ الى الله تعالى
 بالدعاء لما تحيرت في أمرهم وعجزت في عنادهم وشدة شكيمتهم فانه القادر على الاشياء والعالم
 بالاحوال كلها (عالم الغيب والشهادة) وصف تعالى نفسه بكلال القدرة وكمال العلم (أنت تحكم
 بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون) أى من أمر الدين وعن الربيع بن خثيم وكان قليل الكلام
 لما أخبر بقتل الحسين وسخط على قاتله وقالوا الآن يسلكم فإراد على ان قال آه وقد فعلوا وقرأ
 الآية وروى انه قال على اثرها أو قتل من كان يجلسه رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجره
 ويضع فاه على فيه وعن أبي سلمة قال سألت عائشة رضى الله عنها بم كان يفتتح رسول الله صلى الله
 عليه وسلم صلاته باللسل قالت كان يقول اللهم رب جبريل وميكائيل واسرافيل علمهم
 السلام فاطر السموات والارض عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه
 يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق باذنك انك تهدي من تشاء الى صراط مستقيم * ولما
 حكى الله تعالى عنهم هذا المذهب الباطل ذكر في وعيدهم أشياء أولها قوله تعالى (ولأن للذين

ظلموا) أى أنفسهم بالكفر (مافى الارض جميعا) أى من الاموال (ومثله معه لافندوا) أى
 اجتهدوا فى طلب ان يقبدا أنفسهم (به من سوء العذاب يوم القيامة) وهذا وعيد شديد واقناط
 كلهم من الخلاص روى الشيخان عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يقول الله تعالى
 لاهون أهل النار عذابا لو ان لك مافى الارض من شئ لكنت تفقدي به فقول نعم فقول الله قد
 أردت منك وفي رواية سألتك أهون من هذا وأنت في ظهر آدم أن لا تشركنى شيئا فأبيت إلا أن
 تشركنى شيئا قوله أردت أى فعلت معك فعل الآمر المريد وهو معنى قوله فى رواية قد سألتك
 ثانيا قوله تعالى (وبداهم من الله) أى الملك الأعظم (مالم يكونوا يحتسبون) أى ظهر لهم أنواع
 من العذاب لم تكن فى حسابهم وفى هذا زيادة مبالغة هو نظير قوله تعالى فى الوعد فلا تعلم
 نفس ما أخفى لهم من قرة أعين وقوله صلى الله عليه وسلم فى الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت
 ولا خطر على قلب بشر وقال مقاتل ظهر لهم حين بعثوا مالم يحتسبوا فى الدنيا أنه نازل بهم
 فى الآخرة وقال السدى ظنوا أن أعمالهم حسنة فبدلت لهم سيئات لانهم كانوا يتقربون
 الى الله تعالى بعبادة الاصنام ويفظنونها حسنة فبدلت لهم سيئات ثالثا قوله تعالى (وبداهم)
 أى ظهر ظهورا تاما (سيئات ما كسبوا) أى مساوى أعمالهم من الشرك وظلم أولياء الله تعالى
 (وحاق) أى نزل (بهم ما كانوا يستترزون) أى يطلبون ويوجدون الهز فى العذاب ثم
 حكى الله تعالى عنهم طريقة أخرى من طرائقهم الفاسدة بقوله تعالى (فأذا مس الانسان)
 أى الجنس (ضر) أى فقر أو مرض أو غير ذلك (دعانا) أى فى دفع ذلك (فان قيل) ما السبب
 فى عطف هذه الآية بالفاء وعطف مثلها فى أول السورة بالواو (أجيب) بأن السبب فى ذلك
 ان هذه وقعت مسببة عن قوله تعالى واذا ذكر الله وحده اشتمزت على معنى انهم يستمزون
 عن ذكر الله ويستشتركون بذكر آلهتهم فاذا مس أحدهم ضر دعامن اشتماز من ذكره دون من
 استشترى ذكره فقوله تعالى فاذا مس الانسان معطوف على قوله تعالى واذا ذكر الله وحده
 وما بينهما اعتراض مؤكدا لنكار ذلك عليهم هذا محصل كلام الزمخشري واعترضه أبو حيان
 بأن أبا علي يمنع الاعتراض بجملتين فكيف بهذه الجملة الكثيرة ثم قال والذي يظهر فى الربط أنه
 لما قال ولو أن للذين ظلموا الآية وكان ذلك اشعارا بما يتألم الظالمين من شدة العذاب وأنه يظهر
 لهم يوم القيامة العذاب أتبع ذلك بجليل على ظلمه وبغية اذ كان اذامه ضر دعا الله
 تعالى فاذا أحسن اليه لم ينسب ذلك اليه كما قال تعالى (ثم اذا خولناه) أى أعطيناه (نعمه منا)
 أى تفضلا فان التحويل يختص به (قال انما أوتيته) أى النعم به (على علم) أى على علم من الله
 تعالى انى له أهل وقيل ان كان ذلك سعادة فى المال أو عافية فى النفس يقول انما حصل ذلك
 بجوده واجتهاده وان كان محقة قال انما حصل ذلك بسبب العلاج القلانى وان حصل مال
 يقول حصل بكسبي وهذا تناقض أيضا لانه لما كان عاجزا محتاجا أضاف الكل الى الله تعالى
 وفى حال السلامة والصحة قطعه عن الله تعالى وأسنده الى كسب نفسه وهذا تناقض قبيح
 (بل هى فتنة) أى بلية يبتلى بها العبد (فان قيل) كيف ذكر النعمة أولا فى قوله انما أوتيته

ثم أنتم ثانيا (أجيب) بأنه ذكر أولاً لأن النعمة بمعنى المنعم به كما مر وقيل تقديره شيئاً من
 النعمة وأنت ثانياً باعتبار ما يلاحظها وأولاً الخبر لما كان مؤثراً عن قسنة ساغ تأنيث المبتدأ لاجله
 لأنه في معناه كقولهم ما جاءت حاجتك وقيل هي أي الحالة أو القولة كما جرى عليه الجلال
 المحلى أو العطية أو النعمة كما قاله البقاعي (ولكن أكثرهم) أي أكثر هؤلاء القائلين هذا
 الكلام (لا يعلمون) أن التحويل استدراج وامتحان (قد قالها) أي القولة المذكورة وهي
 قوله انما أوتيته على علم لانها كلمة أوجله من القول (الذين من قبلهم) أي من الأمم الماضية
 قال الزمخشري هم قارون وقومه حيث قال انما أوتيته على علم عندى وقومه راؤون به
 فكأنهم قالوها قال ويجوز أن يكون في الأمم الماضية آخرون قائلون مثلها (فأغنى عنهم)
 أي أولئك الماضين (ما كانوا يكسبون) أي من متاع الدنيا يجمعون منه (فأصابهم سيأت
 ما كسبوا) أي جزاؤهم من العذاب ثم أوعده كفار مكة فقال تعالى (والذين ظلموا) أي بالعقوب
 (من هؤلاء) أي من مشركي قومك ومن للبيان أو للتبعيض (سبيهم سيأت ما كسبوا)
 أي كما أصاب أولئك (وما هم بمجزين) أي فائسين عذاباً فقل صناديدهم يوم يدرو بحسب عنهم
 الرزق فقمطوا سبع سنين فقبل لهم (أولم يعلموا أن الله) أي الذي له الجلال والكمال
 (يسيطر الرزق) أي يوسع (لمن يشاء) وإن كان لاحيله له ولا قوة امتحانا (ويشدر) أي يضيق
 الرزق لمن يشاء وإن كان قويا شديد الحيلة ابتلاء فلا قبض ولا باسط الا الله تعالى ويدل على ذلك
 انما يرى الناس مختلفين في سعة الرزق وضيقه فلا بد لذلك من حكمة وسبب وذلك السبب ليس
 هو عقل الانسان وجهله فانما ترى العاقل النادر في أشد الضيق ونرى الجاهل الضعيف في أعظم
 السعة وليس ذلك أيضاً لاجل الطبائع والافلاك لأن الساعة التي ولد فيها ذلك الملك
 السلطان القاهرة قد ولد فيها عالم أيضاً من الناس وعالم من الحيوان غير الانسان وتولد أيضاً
 في تلك الساعة عالم من النبات * فلما شاهدنا حدوث هذه الاشياء الكثيرة في تلك الساعة
 الواحدة مع كونها مختلفة في السعادة والشقاوة علمنا ان القائل لذلك هو الله تعالى فصحب هذا
 البرهان العقلي القاطع صحة قوله تعالى الله يسيط الرزق لمن يشاء ويشدر قال الشاعر

فلا السعد يتقضى به المشتري * ولا النحس يقضى علينا زحل

ولكنه حكم رب السماء * وقاضى القضاة تعالى وجبل

(ان في ذلك) أي البيان الظاهر (آيات) أي دلالات (لقوم يؤمنون) أي بأن الحوادث
 كلها من الله تعالى بوسط أو غيره * ولما ذكر تعالى الوعيد أدرفه بشرح كالرحمة فقال تعالى
 لئن لم يكن الله عليه وسلم (قل) يا محمد ربكم المحسن اليكم يقول (يا عبادي الذين أسرفوا
 على أنفسهم) أي أسرفوا في الجنانية عليهم بالأسراف في المعاصي وازافة العباد تنخصه
 بالمؤمنين على ما هو عرف القرآن (لا تقنطوا) أي لا تيأسوا (من رحمة الله) أي اكرام المحبط بكل
 صفات الكمال فيمنعكم ذلك القنوط من التوبة التي هي باب الرحمة وقرأ أبو عمرو وجرزة والكسائي
 يا عبادي يسكون الياء ونسقط في الوصل وقصها الباقون وقرأ أبو عمرو وجرزة والكسائي

تقنطوا بكسر النون بعد القاف والباقون يفتحها (إن الله) أي المتفضل على عباده المؤمنين
(يغفر الذنوب) لمن تاب من الشرك (جميعا) لمن يشاء كما قال تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به
ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء وأما الكافر إذا أسلم فإن الله تعالى لا يؤاخذ به ما وقع من كفره قال
تعالى قل للذين كفروا إن ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف * (تنبيه) * في هذه الآية أنواع من
المعاني والبيان حسنة منها إقباله عليهم وندائهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشریف ومنها
الاتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله تعالى من رحمة الله ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه
الحسنى ومنها إعادة الظاهر بلفظه في قوله تعالى إن الله ومنها إيراد الجمله في قوله تعالى (أنه هو)
أي وحده (الغفور) أي البليغ الغفر يعفو الذنوب عن يشاء عينا وأثر فلا يعاقب ولا يعاتب
(الرحيم) أي المكرم بعد المغفرة مؤكدة بيان وبالفضل وبإعادة الصفتين اللتين تضمنتهما الآية
السابقة روى سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما أن ناسا من أهل الشرك كانوا يقتلوا
وأكثر وازنوا وأكثر وأثروا النبي صلى الله عليه وسلم وقالوا إن الذي تدعوه له الحسن لو تخبرنا
أن لما علنا كضارة فنزلت هذه الآية وروى عطاء بن أبي رباح عن ابن عباس أنها نزلت في
وحشي قاتل حمزة رضي الله تعالى عنهم حين بعث إليه النبي صلى الله عليه وسلم يدعو إلى
الاسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم أن من قتل وأشرك أوزني يلقي أثاما
يضاعف له العذاب يوم القيامة وأنا قد فعلت ذلك كله فأنزل الله سبحانه وتعالى الأمن تاب
وأمن وعمل صالحا فقال وحشي هذا شرط شديد لعل لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله
تعالى إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء فقال وحشي أراني بعد في شبهة
فلا أدري أيعفوني أم لا فأنزل الله تعالى قل يا عبداي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من
رحمة الله الآية قال نعم هذا نجاة فأسلم فقال المسلمون هذا له خاصة قال بل للمسلمين عامة وروى
عن ابن عمر قال نزلت هذه الآية في عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد ونفر من المسلمين
كانوا قد أسلموا ثم قتلوا وعذبوا فافتنوا وكان يقول لا يقبل الله من هؤلاء صرفا ولا عدلا أبدا
قد أسلموا ثم تركوا دينهم لعذاب عذبوا فيه فأنزل الله تعالى هذه الآيات فكاتبها عمر بن الخطاب
رضي الله تعالى عنه بسده ثم بعثها إلى عياش بن أبي ربيعة والوليد بن الوليد وإلى أولئك
الغفر فأسلموا وهاجروا وروى عن ابن مسعود أنه دخل المسجد وإذا فاص يقص وهو يذكر النار
والإغلال فقام على رأسه فقال يا مذكروا قنط الناس ثم قرأ قل يا عبداي الذين أسرفوا على
أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وعن أسماء بنت يزيد قالت سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول يا عبداي الذين أسرفوا على أنفسهم لا تقنطوا من رحمة الله إن الله يغفر الذنوب جميعا
ولا يالي وروى الطبراني أنه صلى الله عليه وسلم قال ما أحب أن لي الدنيا وما فيها أي بهذه
الآية فقال رجل يا رسول الله ومن أشرك فسكت ساعة ثم قال لا ومن أشرك ثلاث مرات وعن
أبي سعيد الخدري عن النبي صلى الله عليه وسلم قال كان في بني إسرائيل رجل قتل تسعة
ونسبعين إنسانا ثم خرج يسأل فإذا راهب فسأله فقال هل لي توبة فقال لا فقتله وجهل يسأل

فقال له رجل أنت قربة كذا فأدركه الموت فنأى بصدوره نحوها فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب فأوحى الله تعالى إلى هذه أن تقر بي وإلى هذه أن تتاعدى وقال قيسوا ما بينهم ما فوجده إلى هذه أقرب بشبه فقرله وفي رواية فقال له أنى قتلت تسعة وتسعين نفسا فهل لى من توبة فقال لا فقتله فأكمل مائة ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم فقال انه قتل مائة نفس فهل له من توبة فقال نعم ومن يحول بينه وبين التوبة انطلق إلى أرض كذا إلى ان قال فوجدوه أدنى إلى الأرض التى أراد فقبضته ملائكة الرحمة وعن ابن عمر قال كنا معشر أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم نرى أو نقول ليس شئ من حسناتنا الا وهى مقبولة حتى نزلت أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم فلما نزلت هذا الآية قلنا ما هذا الذى يبطل أعمالنا فقل لنا البكائر والقوا حش فبكنا اذا رأينا من أصاب منها شيئا خفنا عليه ومن لم يصب منها شيئا رجونا له فانزل الله تعالى قل يا عبادى الذين اسرفوا على انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله وأراد بالاسراف ارتكاب البكائر * ولما كان التقدير واطعموا عن ذنوبكم فانها قاطعة عن الخير مبعدة عن الكمال عطف عليه استعظاما لقوله تعالى (وأنبئوا) أى ارجعوا بكل ما يتكلم وكلوا حوائجكم وأسندوا أموركم واجعلوا طر يقكم (الى ربكم) أى الذى لم تزوا احسانا الا وهو منته (واسلوا) أى وأخلصوا (له) أعمالكم (من قبل أن يأتىكم) أى وأنتم صاغرون (العذاب) أى القاطع لكل عذوبة المجرع لكل مرارة وصعوبة (تم لا تنصرون) أى لا يتجدد لكم نوع نصر أبدا ان لم تتوبوا (واتبعوا) أى عالجوا انفسكم وكفوها ان تتبع (أحسن ما أنزل اليكم) أى على سبيل العدل كالأحسن الذى هو أعلى من العفو الذى هو فوق الانتقام باتساع هذا القرآن الذى هو أحسن ما نزل من كتب الله تعالى واتساع أحسن ما فيه فتصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحسن إلى من ظلمك هذا فى حق الخلائق ومثله فى عبادة الخالق بأن تكون كأنك تراه الذى هو أعلى من استحضار أنه يرالك الذى هو أعلى من أدائها مع الغفلة عن ذلك * ولما كان هذا شديدا على النفس رغب فيه بقوله تعالى بظهر صفة الاحسان موضع الاضمار (من ربكم) أى الذى لم يزل يحسن اليكم وأنتم تبارزون به بالعظام وقال الحسن رضى الله عنه معنى الآية الزموا طاعته واجتنبوا معصيته فان فى القرآن ذكر القبيح ليجتنبه وذكر الادون لئلا ترغب فيه وذكر الاحسن لتؤثره وقيل الاحسن الناصح دون المنسوخ لقوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها نأت بجيئ منها أو مثلها وقيل العزائم دون الرخص وقوله تعالى (من قبل أن يأتىكم العذاب بغفئة وأنتم لاتشعرون) أى ليس عندكم شعور بآتيانه بوجه من الوجوه فيه تهديد وتخويف * ولما خوفهم الله تعالى بهذا العذاب بين انهم يتقدير نزوله عليهم ماذا يقولون فحكى الله تعالى عنهم ثلاثة أنواع من الكلام الاقل ما ذكره بقوله تعالى (ان) أى كراهة أن (تقول نفس) أى عند وقوع العذاب وافرادها وتنكيرها كافى فى الوعيد لان كل أحد يجوز أن يكون هو المراد (باحسرنا على ما فرطت فى جنب الله) قال الحسن قصرت فى طاعة الله وقال مجاهد فى أمر الله

وقال سعيد بن جبيرة في حق الله وقيل ضيعت في ذات الله وقيل معناه قصرت في الجانب الذي يؤدي الى رضا الله تعالى والعرب تسمى الجانب جنباً قال في الكشف هذا من باب السكاية لانك اذا أثبت الامر في مكان الرجل وحيزه فقد أثبتته فيه ألا ترى الى قول الشاعر

ان الساحة والمروة والندى * في قبة ضمرت على ابن الحشر

أي فانه لم يصرح بنبوت هذه الصفات المذكورة لابن الحشر ج بل كنى عن ذلك في قبة مضروبة عليه فأفاد اثباتها والقبة تكون فوق الخيمة تتخذها الرؤساء وقرأ أجزءة والكسائي بالامالة محضة والدوري عن أبي عمرو وبين وبين ووش بالفتح وبين المفلطين والباقون بالفتح (وان) أي والحال اني (كنت) أي كان ذلك في طبعي (من الساخرين) أي المستهزئين المتكبرين المتزلزين أنفسهم في غير منزلتها وذلك أنه ما كفاني المعصية حتى كنت أضجر من أهل الطاعة أي تقول هذا العله يقبل منها يعني عنها على عادة المعتزفين في وقت الشدة أندلعلهم يعاودون الى أجل العوائد الثاني من الكلمات التي حكاها الله تعالى عنهم بعد نزول العذاب عليهم ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه (أو تقول) أي تلك النفس المفرطة (لو أن الله) أي الذي له القدرة الكاملة والعلم الشامل (هداني) أي لبيان الطريق (لكنت من المتقين) أي الذين لا يقدمون على فعل الا ما يدلهم عليه دليل الثالث من الكلمات ما ذكره الله تعالى بقوله سبحانه (أو تقول) أي تلك النفس المفرطة (حين ترى العذاب) أي الذي واجهها عياناً (لو أن) أي ياليت (لركة) أي رجعة الى دار العمل (فأكون) أي يتسبب عن رجوعى اليها أن أكون (من المحسنين) أي العاملين بالاحسان الذي دعا اليه القرآن * (تنبه) * في نصب فأكون وجهان أحدهما عطفه على كزته فانها مصدر فاعطف مصدر وموول على مصدر مصرح به كقولها

لللبس عبادة وتقرعني * أحب الى من لبس الشفوف

والثاني انه منصوب على جواب التثني المفهوم من قوله تعالى لو أن لي كزرة والفرق بين الوجهين أن الأول يكون فيه الكون متمى ويجوز أن تضمر أن والثاني يكون فيه الكون مترساعاً على حصول التمتي لامتني ويجب أن تضمر أن * ثم أجاب الله تعالى هذا القائل بقوله سبحانه (بلى قد جاءتك آياتي) أي القرآن وهي سبب الهداية (فكذبت بها) أي قلت ليست من عند الله (واستكبرت) أي تكبرت عن الايمان بها (وكننت من الكافرين) فان قيل هلا قرن الجواب بما هو جواب له وهو قوله لو أن الله هداني ولم يفصل بينهما (أجيب) بأنه لا يخلو اما أن يقدم على أخرى القرائن الثلاث فيمفرق بينهما واما أن تؤخر القرينة الوسطى فلم يحسن الأول لما فيه من تبير النظم بالجمع بين القرائن واما الثاني فلما فيه من نقض الترتيب وهو التخصر على التفریط في الطاعة ثم التعلل بفقد الهداية ثم غنى الرجعة فكان الصواب ما جاء عليه وهو أنه حكى أقوال النفس على ترتيبها ونظمها ثم أجاب من بينها عما اقتضى الجواب (فان قيل) كيف صرح أن تقع بلى جواباً لغير منقضى (أجيب) بأن قوله لو أن الله هداني بمعنى ما هديت (ويوم القيامة)

أى الذى لا يصح فى الحكمة تركه (ترى) أى أيها المحسن (الذين كذبوا على الله) أى الخائز
 لجميع صفات الكمال بنسبة الشريك والولد إليه وقال الحسن هم الذين يقولون ان شئنا فعلنا
 وان شئنا لم نفعل قال البقاعى وكانه عنى من المعتزلة الذين اعتزلوا مجلسه وابتدعوا قولهم انهم
 يخلقون أفعالهم قال ويدخل فيه من تكلم فى الدين بجهل وكل من كذب وهو يعلم أنه كاذب
 فى أى شئ كان فانه من حيث ان فعله فعل من يظن ان الله تعالى لا يعلم كذبه أى ولا يقدر على
 جرائه كأنه كذب على الله وقوله تعالى (وجوههم مسودة) جملة من مبتدأ وخبر فى محل
 نصب على الحال من الموصول لأن الرؤية بصرية وقيل فى محل نصب مفعولاً ثانياً لأن الرؤية
 قلبية ورد بأن تعلق الرؤية البصرية بالاجسام وألوانها أظهر من تعلق القلبية بهم ما ذكر أن
 هذا السواد يخالف لساير أنواع السواد (أليس فى جهنم مثوى) أى مأوى (للمتكبرين)
 أى الذين تكبروا على اتباع أمر الله تعالى وهو تقرير لانهم يرونه كذلك * ولما ذكر الله تعالى
 الذين أشقاها تبعهم حال الذين أسعدهم بقوله تعالى (ويبنى الله) أى يفعل بماله من صفات
 السكامل فى نجاتهم فعل المبالغ فى ذلك (الذين اتقوا) أى بالغوا فى وقاية أنفسهم من غضبه
 فكما وفاهم فى الدين ان المحالقات جاءهم هنامن العقوبات (بما فازتهم) أى بسبب فلاحهم
 لأن العمل الصالح سبب الفلاح وهو دخول الجنة ويجوز أن يسمى العمل الصالح فى نفسه
 مفازة لانه سببها وقرا حزة والكسافى وشعبة بان بعد الزاى جمعاً على أن لكل متق مفازة
 والباقون بغير ألف بعد الزاى افراداً وقوله تعالى (لا يعلم السوء) جملة مفسرة لمفازتهم
 كأنه قيل وما فازتهم فقال لا يعلم السوء فلا محل لها ويجوز أن تكون فى محل نصب على
 الحال من الذين اتقوا ومعنى الكلام لا يعلمهم مكروه (ولا هم يحزنون) أى ولا يبطرون بواطنهم
 حزن على فائت لانه لا يفوت لهم شئ أصلاً * ولما كان الخوف منه والمحزون عليه جامعين
 لكل ما فى الكون فكان لا يقدر على دفعهما الا القادر والمبدع القيوم قال تعالى مستأنفاً
 أو معللاً مظهر الاسم الاعظم تفعيلاً للمقام (الله) أى المحيط بكل شئ قدرة وعلماً الذى
 ينجاهم (خالق كل شئ) أى من خير وشر وإيمان وكفر فلا يكون شئ أصلاً الا بخلق
 * ولما دل هذا على القدرة الشاملة وكان لا يتبعها من العلم الكامل قال تعالى (وهو على
 كل شئ) أى مع القهر والغلبة (وكيل) أى حفيظ لجميع ما يريد قيامه لا يعجزه بساحته
 ولا غفلة وقوله تعالى (له مقاليد السموات والارض) جملة مستأنفة والمقاليد جمع مقلاد
 مثل مفتاح ومفاتيح أو مقلد مثل منديل ومناديل أى هو مالك أمرها وحافظها وهى من
 باب الكناية لأن حافظ الخزان ومدبر أمرها هو الذى يملك مقاليدها ومنه قولهم فلان
 ألتب اليه مقاليد الملك وهى المفاتيح والكلمة أصلها فارسية (فان قيل) ما لكاب المبين
 والفارسية (أجيب) بأن التعريب قد أحالها عربية كما أخرج استعمال المحمل عن كونه مهملاً
 قال الزمخشري سأل عثمان النبي صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعالى له مقاليد السموات
 والارض فقال يا عثمان ما سألتني أحداً عنها قبلك ففسرها لالا الله والله أكبر وسبحان الله

وبحمده وأستغفر الله ولا حول ولا قوة الا بالله هو الاقل والاخر والظاهر والباطن بيده الخير
يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير اه وروى هذا الطبراني بسند ضعيف بل رواه ابن الجوزي
في الموضوعات ثم قال الزمخشري وتأويله على هذا ان الله تعالى في هذه الكلمات يوحيها ويعيد
وهي مفاتيح خبير السموات والارض من تكلم بها من المتقين أصابه وقال قتادة ومقاتل مفاتيح
السموات والارض بالرزق والرحمة وقال الكلبي خزائن المطر والنبات * ولما وصف الله تعالى
بالصفة الالهية والجلالة وهو كونه خالق الاشياء وكونه مالك المقاليد السموات والارض بأسرها
قال بعده (والذين كفروا) أي ليسوا ما توضح من الدلالات ومجدوا (بآيات الله) أي دلائل
قدرته الظاهرة الباهرة (أولئك) أي البعداء البغضاء (هم الخاسرون) لانهم خسروا أنفسهم
وكل شيء متصل بها على وجه التفع قال الزمخشري والذين كفروا متصل بقوله وينجي الله الذين
اتقوا بفازتهم واعترض بينهم ما بأنه خالق الاشياء كلها وان له مقاليد السموات والارض
واعترضه الرازي بأن وينجي جملة فعلمية والذين كفروا جملة اسمية وعطف الجملة الاسمية على
الفعلية لا يجوز واعترض الاخر بأنه لا مانع من ذلك * ولما دعا كسار قريش النبي صلى الله
عليه وسلم الى دين آباؤهم قال الله تعالى (قل) أي لهم (أفغير الله) أي الملك الاعظم
(نامروني أعبد أيها الجاهلون) أي العريقون في الجهل لان الدليل القاطع قد قام بأن الله
تعالى هو المستحق للعبادة فمن عبده غيره فهو جاهل وقرأ نافع بتخفيف النون وفتح الباء وابن
كثير بتشديد النون وسكون الياء وابن عامر بنونين الاولى مفتوحة والثانية مكسورة
وسكون الياء والمباقون بتشديد النون وسكون الباء (ولقد أوحى اليك والى الذين من قبلك
ان لا تشركوا ليحيطن عملك) أي الذي علمته قبل الشرك (فان قيل) الموحى اليهم جماعة
فكيف قال لن اشرك على التوحيد (أجيب) بأن تقدير الآية أوحى اليك لن اشرك
ليحيطن عملك والى الذين من قبلك مثله أي أوحى اليك والى كل واحد منهم لن اشرك كما تقول
كسانا له أي كل واحد منا (فان قيل) كيف صح هذا الكلام مع علم الله تعالى أن رسوله
لا يشركون ولا تحبط أعمالهم (أجيب) بأن قوله تعالى لن اشرك ليحيطن عملك قضية
شرطية والقضية الشرطية لا يلزم من صدقها صدق جزئها ألا ترى أن قولك لو كانت الخمسة زوجا
لكانت مقسمة بتساويين قضية صادقة مع أن كل واحد من جزأها غير صادق قال تعالى لو كان
فيهما آلهة الا الله لفسدا ولم يلزم من هذا صدق ان فيهما آلهة وأنهم ما قد فسدنا وأن
الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره كما قاله أكثر المفسرين أو أن ذلك على سبيل
الافرض المحال ذكر ليكون ردعاً للتابع * ولما كان السياق للتشديد وكانت العبارة شاملة لما
تقدم على الشرك من الاعمال وما تأخر عنه لم يقيده بالانصال بالموت اكتفاء بتقييده في آية
البقرة وهي ومن يرتد منكم عن دينه فيميت وهو كافر قال تعالى (ولتكنن) أي لا تجل
حبوطه (من الخاسرين) فان من ذهب بجميع عمله لاشك في خسارته امامن أسلم بعد ردة
فانما يحبط ثواب عمله لاعمله كائن عليه الشافعي * (تنبيه) * اللام الاولى موطنه للقسمة

والاخر بان الجواب * ولما كان التقدير لا نشرك بنا عطف عليه قوله تعالى (بل الله) أى المتصف بصفات الكمال وحده (فاعبد) أى مخلصه العباد (وكن من الشاكرين) أى العربيقين فى هذا الوصف لانه جعلك خيرا للخالق أجمعين * ولما حكي الله تعالى عن المشركين انهم أمروا الرسول بعبادة الاصنام ثم انه تعالى أقام الدلائل على فساد قولهم وأمر الرسول أن يعبد الله ولا يعبد سواه وبين انهم لو عرفوا الله تعالى حق معرفته لما جعلوا هذه الاشياء الخسيسة مشاركة له فى العبودية قال (وما قدر والله) أى الملك الاعظم (حق قدره) أى ما عظموه حتى عظمته حين أشركوا به غيره مع أنهم لو استغفروا الزمان كله فى عبادته وخالص طاعته بحيث لم يحل شئ منه عنها لما كان ذلك حتى قدره فكيف اذا اخلابعضه عنها فكيف اذا عدل به غيره ولما بين أنهم ما عظموه تعظيما لا تقا به أردفه بما يدل على كمال عظمته بقوله تعالى (والارض جميعا قبضته) وهو مبتدأ وخبر فى محل نصب على الحال أى ما عظموه حتى عظمته والحال انه موصوف بهم هذه القدرة الباهرة كقوله تعالى كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم أى كيف تكفرون بن هذا وصفه وحال ملكه كذا وجب عا حال وهى دالة على أن المراد بالارض الارضون لان هذا التأكيد لا يحسن ادخاله الاعلى الجمع وقدم الارض على السموات لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقةها * ولما كان فى هذه الدنيا من يدعى الملك والقهر والعظمة والقدرة وكان الامر فى الآخرة بخلاف هذا لانتقطاع الاسباب قال تعالى (يوم القيامة) ولا قبضة هناك لاحتقيقة ولا مجازا وكذا الطي واللين وانما هو تمثيل وتخيل لتسام القدرة * ولما كانوا يعلمون أن السموات سبع متطابقة بما يشاهدونه من سير النجوم جمع ليكون مع جميعا كالتصريح فى جمع الارض أيضا فى قوله تعالى (والسموات مطويات) أى مجموعات (بيمينه) قال الامام الرازى وههنا سؤالات الاول أن العرش أعظم من السموات السبع والارضين السبع ثم انه تعالى قال فى صفة العرش ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية فاذا وصف الملائكة بكونهم حاملين العرش العظيم فكيف يجوز تقرير عظمة الله عز وجل بكونه حاملا للسموات والارض وأجاب بأن مراتب التعظيم كثيرة فأولها ان تقرير عظمة الله بكونه قادرا على هذه الاجسام العظيمة كما أن حفظها وامساكها يوم القيامة عظيم ثم بعده تقرير عظمته بكونه قادرا على امساك أولئك الملائكة الذين يحملون العرش السؤال الثانى قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه شرح حال لا تحصل الا فى القيامة والقوم ما شاهدوا ذلك فان كان هذا الخطاب مع المصدقين للانبياء فهم معترفون بأنه لا يجوز القول بجعل الاصنام شركاء لله فلا فائدة فى ايراد هذه الحجة عليهم وان كان الخطاب مع المكذبين بالنبوّة فهم ينكرون قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة فكيف يمكن الاستدلال به على ابطال القول بالشرك وأجاب عنه بأن المقصود منه أن المتولى لبقاء السموات والارضين من وجوه الصمارة فى هذا الوقت هو المتولى لتفريها وافتائها يوم القيامة وذلك يدل على حصول قدرة تامة على اليجاد والاعدام ويدل أيضا على كونه قادرا غنيا على الاطلاق فانه

يدل على أنه اذا حاول تخريب الارض فكأنه يقض قضته وذلك يدل على كمال الاستغناء
السؤال الثالث حاصل القول بالقبضة واليمين هو القدرة الكاملة الواقية بحفظ هذه الاجسام
العظيمة فكأن حفظها وامساكها يوم القيامة ليس الا بقدرة تعالى فكذلك الآن فما
الفائدة في تخصيص هذه الاحوال بيوم القيامة وأجاب بأنه انما خص تلك الحالة بيوم القيامة
ليدل على أنه كما يظهر كمال قدرته في الابداع عند عمارة الدنيا يظهر كمال قدرته في الاعداد عند
خراب الدنيا وما كان هذا انما هو غنيل بما يهد والمراد به الغاية في القدرة تارة نفسه المقدس
عمار بما نسب له الجسم والمشيبة فقال تعالى (سبحانه) أي تنزه من هذه القدرة قدرته
عن كل شائبة نقص (وتعالى) علوا لا يحاط به (عما يشركون) معه لانه لو
كان له شريك ينازعه في هذه القدرة أو بعض المنع شيئا منها وهذه معبوداتهم لا قدرة
لها على شيء البتة روى البخاري في صحيحه في التوحيد وغيره عن عبد الله بن مسعود قال جاء
حبر من الاحبار الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اذا كان يوم القيامة جعل الله تعالى
السموات على اصبع والارضين على اصبع والماء والثرى على اصبع والخلائق على اصبع ثم
يمزهن ثم يقول أنا الملك فلقد رأيت النبي صلى الله عليه وسلم يفعل حتى بدت نواجذه تعجبها
وتصدىقا لقول الحبر ثم قرأ النبي صلى الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره الآية وانما فعل
صلى الله عليه وسلم وتعجب لانه لم يفهم منه الا ما فهم علماء البيان من غير تصور امساك ولا اصبع
ولا هز ولا شيء من ذلك وانما يدل ذلك على القدرة الباهرة وأن الافعال العظام التي تحير فيها
الاذهان هينة عليه هو انما لا يصل السامع الى الوقوف عليه الا باجراء العبارة في مثل هذه
الطريقة على التخييل وروى الشيخان عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله
صلى الله عليه وسلم يطوى الله السموات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول أنا
الملك أين الجبارة أين المتكبرون ثم يطوى الارضين ثم يأخذهن بيمينه ثم يقول أنا الملك أين
الجبارون أين المتكبرون وللبخاري عن أبي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم قال
يقبض الله الارض يوم القيامة ويطوى السماء بيمينه ثم يقول أنا الملك أين ملوك الارض قال
أبو سليمان الخطابي ليس فيما يضاف الى الله عز وجل من وصف اليدين شمال لأن الشمال محل
النقص والضعف وقد ورد كتابا يديه يمين وليس عندنا معنى اليد الجارحة وانما هي صفة جاء بها
التوقيف فحسن نطقها على ما جاءت ولا يصح فيها وننتهي حيث انتهى بنا الكتاب والاخبار
المأثورة الصحيحة وهذا مذهب أهل السنة والجماعة رضي الله تعالى عنهم وقال سيفيان
ابن عيينة كل ما وصف الله تعالى به نفسه في كتابه تفسيره تلاوته والسكوت عليه انتهى
وقد قدمنا أن السلف يجرون التشابه على ما هو عليه وان الخلف يؤولونه والاول أسلم
والثاني أحكم ولما ذكرنا على كمال قدرته وعظمته بما سبق ذكره أردفه بذكر طريق آخر يدل
أبضا على كمال العظمة وهو شرح مقدمات يوم القيامة فقال (ونفخ في الصور) أي القرن
النفخة الاولى لان نفخ الصور يكون قبل ذلك اليوم (فصعق) أي مات (من في السموات ومن

في الارض) واختلف فيمن استثنى الله تعالى بقوله سبحانه (الامن شاء الله) فقال الحسن
 هو الله وحده وقال ابن عباس جبريل وميكائيل واسرافيل وملك الموت عليهم السلام ثم حيت
 الله تعالى ميكائيل واسرافيل وجبريل وملك الموت وقيل حلة العرش وقيل الحور والولدان
 وقيل الشهداء لقوله تعالى بل احياء عند ربهم يرزقون وروى أبوهريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم أنه قال هم الشهداء امة قلدون أسيا فهم حول العرش وقال جابر هو موسى عليه السلام
 لانه صعد فلا يصعد ثانيا وقال قتادة الله أعلم بهم وليس في القرآن والاخبار ما يدل على أنهم من
 هم وهذا أسلم (تم نفي فيه) أي في الصور نفخة (أخرى) أي نفخة ثانية (فاذا هم) أي جميع الخلائق
 الموقى (قيام) أي قائمون (يظنون) أي يتلبون بأبصارهم في الجهات نظر المبهوتين اذا جاء
 خطب جسيم وقيل ينتظرون أمر الله تعالى فيهم وهذا يدل على أن هذه النفخة متأخرة عن النفخة
 الاولى لان لفظة ثم لترأى وروى أبوهريرة رضى الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه
 وسلم قال ما بين النفختين أربعون قالوا أربعون يوما قال أبوهريرة آيت قالوا أربعون شهرا
 قال آيت قالوا أربعون سنة قال آيت قال ثم ينزل الله تعالى من السماء ماء فينبتون كما ينبت
 البقل ليس من الانسان شئ الا يبلى الا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم
 القيامة وقوله تعالى فاذا هم يدل على أن قيامهم يحصل عقب هذه النفخة الاخيرة في الحال من
 غير تراخ لان الفاء تدل على التعقيب ولما ذكر تعالى اقامتهم بالحياة التي هي نور البدن اتبعه
 بنور ارض القيامة فقال (وأشرق) أي اضاء اضاءة عظيمة مالت بها الى الحمرة (الارض)
 أي التي أوجدت لشرهم وليست بأرضنا الآن لقوله تعالى يوم تبدل الارض غير الارض
 (بنور ربها) أي خالقها وذلك حين يتجلى الرب لفصل القضاء بين خلقه قال صلى الله عليه وسلم
 سترون ربكم وقال كما انتصرون في الشمس في يوم النجوى وقال الحسن والسعدى بعدل ربها
 (ووضع الكتاب) أي كآب الاعمال للحساب لقوله تعالى وكل انسان انزما طائره في عنقه
 ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا وقوله تعالى ما لهذا الكتاب لانه اذ در صغيرة ولا كبيرة
 الا احصاها وقيل الكتاب اللوح المحفوظ تقابل به الصحف وقيل الكتاب الذي أنزل الى كل
 أمة تعمل به واقتصر على هذا البقاعى (وجى بالنبيين) أي للشهادة على أمتهم واختلف
 في قوله تعالى (والشهداء) فقال ابن عباس يعني الذين يشهدون للرسل بتبليغ الرسالة وهم
 محمد صلى الله عليه وسلم وأصحابه لقوله تعالى جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس وقال
 عطاء ومقاتل يعني الحفظ لقوله تعالى وجاءت كل نفس معها سائق وشهيد وقيل هم المستشهدون
 في سبيل الله ولما بين تعالى أنه يوصل الى كل واحد حقه عبر عن هذا المعنى بأربع عبارات
 أولها قوله تعالى (وقضى بينهم) أي العباد (بالحق) أي العدل ثانيا قوله تعالى (وهم
 لا يظلمون) أي لا يراد في سياقتهم ولا ينقص من حسناتهم ثالثا قوله تعالى (وفيت كل نفس
 ما عملت) أي جازا ما عملته رابعا قوله تعالى (وهو أعلم بما يفعلون) أي فلا يفوت شئ من
 أفعالهم ثم فصل التوفية بقوله تعالى مقتدا أهل الغضب (وسبق الذين كفروا) أي بالغضب

والدفع (الى جهنم) كما قال تعالى يوم يدعون الى نار جهنم دعاً يدفعون اليها دفعا وقوله تعالى (زمر) حال أى جماعات في تفرقة بعضهم على اثر بعض كل أمة على حدة (حتى اذا جاؤوها) أى على مصفة الذل والصغار وأجاب اذا بقوله تعالى (فتحت أبوابها) أى السبعة وكانت مغلقة قبل ذلك وانما تفتح عند وصول الكفار اليها وقرأ الكوفيون ففتحت وفتحت الآية بالتخفيف والباقيون بالتشديد على التكثير (وقال لهم خزنتها) انكارا عليهم وتقريرا وبأيضا (ألم يأتكم رسول منكم) أى من جنسكم لأن قيام الحجة بالجنس أقوى (يتلون) أى يتلون مرة بعد مرة وشيا في اثرى (عليكم آيات ربكم) أى المحسن اليكم من القرآن وغيره (وينذرونكم) أى يخوفونكم (لتقايومكم) وقولهم (هذا) إشارة الى يوم البعث (فان قيل) لم أضيف اليهم اليوم (أجيب) بأنهم أرادوا القاء وقتكم هذا وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة قال الزمخشري وقد جاء استعمال اليوم والايام مستقيضا في أوقات الشدة ويجوز أن يراد باليوم يوم البعث كله وجرى عليه البقاعى وهو أولى ولما قال لهم الخزنة ذلك (فالوايلي) أنونا وتلوا علينا وحذرونا (ولكن حقت) أى وجبت (كلمة العذاب) أى التى سبقت فى الازل علينا هكذا كان الاصل ولكنهم قالوا (على الكافرين) تخصيصا بأهل هذا الوصف ويأتى لانه موجب دخولهم وهو قطعهم الانوار التى أتهم بها الرسل عليهم الصلاة والسلام * (تنبيه) * فى الآية دليل على انه لا وجوب قبل مجئ الشرع لأن الملائكة ينهوا لهم أنهم مابق لهم عذر ولا علة بعد مجئ الرسل عليهم الصلاة والسلام فلعل يمكن مجئ الرسل شرطاً فى استحقاق العذاب لما بقى فى هذا الكلام فائدة وقيل كلمة العذاب هى قوله تعالى لا ملأن جهنم من الجنة والناس أجعين ثم كأنه قيل فإذا وقع بعد هذا التصريح (قيل) وقع ان الملائكة قالت لهم (ادخلوا أبواب جهنم) أى طمعاتهم المتجهمة لداخلها (خالد بن) أى مقتدر بن الخلود (قيما) ولما كان سبب كفرهم بالآيات هو التكبر قالوا لهم (فبئس منوى) أى منزل ومقام (المستكبرين) أى الذين أوجب تكبرهم حقوق كلمة العذاب عليهم فلذلك تعاطوا أسبابها * ولما ذكر تعالى أحوال الكافرين أتبعه أحوال أضدادهم فقال عز من قائل (وسيق الذين اتفوا ربهم) أى الذين كلما زادهم احسانا زادوا له هيبه (الى الجنة) وقوله تعالى (زمر) حال أى جماعات أهل الصلاة المستكبرين منها على حدة وأهل الصوم كذلك الى غير ذلك من الاعمال التى تظهر آثارها على الوجوه (فان قيل) السوق فى أهل النار معقول لانهم لما أمروا بالذهاب الى موضع العذاب لا بد وأن يساقوا اليه وأما أهل الثواب فاذا أمروا بالذهاب الى موضع السعادة والراحة فأنى حاجة فيه الى السوق (أجيب) بأن المراد بسوق أهل النار طردهم اليها بالهوان والعنف كما يفعل بالاسارى والخارجين على السلطان اذا سيقوا الى حبس أو قتل والمراد بسوق أهل الجنة سوق مرابهم - لانه لا يذهب بهم - الا راكبين سراعى دار الكرامة والرضوان كما يفعل عن يشرف ويكرم من الوافدين على بعض الملوك شتمان مابين السوقين هذا سوق تشريف واکرام وذلك سوق اهانة وانقام وهذا من بدائع أنواع البدع وهو أن

يأتي سبحانه بكلمة في حق الكفار فتدل على هوانهم بعقابهم ويأتي بذلك الكلمة بعينها وهي من
 في حق المؤمنين فتدل على اكرامهم بحسن ثوابهم فسبحان من أنزله معجز المباني متمكن المعاني
 عذب الموارد والمثاني وقيل إن المحبة والصدقة باقية بين المتقين إلى يوم القيامة كما قال تعالى
 الاخلاص يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين فإذا قيل لواحد منهم اذهب إلى الجنة فيقول
 لا أدخلها إلا مع أحبائي وأصدقائي فيتأخرون لهذا السبب فينفذ يحتاجون إلى السوق
 إلى الجنة * ولما ذكر تعالى السوق ذكر غايته بقوله تعالى (حتى إذا جاؤوها) اختلف في جواب
 إذا على أوجه أحدها قوله تعالى (وفتحت أبوابها) والواو زائدة وهو رأى الكوفيين
 والاختلاف وانما جى هنا بالواو دون التي قبلها لأن أبواب السجون مغلقة عادة إلى أن يجيئها
 صاحب الجرم فيفتتحه ثم تغلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح
 فانها تفتح انتظار لمن يدخلها فعلى هذا أبواب جهنم تكون مغلقة لا تفتح إلا بعد دخول أهلها
 فيها فأما أبواب الجنة فتفتحها يكون مقدما على دخولهم اليها كما قال تعالى جنات عدن مفتحة
 لهم الأبواب فلذلك جى بالواو فكانه قال حتى إذا جاؤوها وقد فتحت أبوابها ثانيا بقوله تعالى
 (وقال لهم خزنتها) أي زيادة الواو أيضا أي حتى إذا جاؤوها قال لهم خزنتها ثالثها قال الزجاج
 القول عندى أن الجواب محذوف تقديره دخلوها بعد قوله تعالى حتى إذا جاؤوها وفتحت
 أبوابها وقال لهم خزنتها أي حين الوصول (سلام عليكم) تهجيلا للمسرة بالبشارة بالسلامة
 التي لا عطب فيها (طسبتم) أي صلحتم لسكناها لانهم ادا طهرها الله تعالى من كل دنس وطيبها
 من كل قدر فلا يدخلها إلا المناسب لها موصوف بصفتها فما أبعد أحوالنا من تلك المناسبة وما
 أضعف سعينا في اكتساب تلك الصفة الآن يهب لنا الوهاب الكريم توبة نصوحا ننتقي أنفسنا
 من درن الذنوب ويقط وضر هذه القلوب ثم سبوا عن ذلك (فادخلوها خالدين) أي مقدرين
 الخلود وسمى بعضهم الواو في قوله تعالى وفتحت واو الثمانية قال لأن أبواب الجنة ثمانية وكذا
 قالوا في قوله تعالى وثامنهم كلبهم وقيل تقدير الجواب حتى إذا جاؤوها وفتحت أبوابها يعني أن
 الجواب بلفظ الشرط ولكنه زيادة تقييده بالحل فلهذا صح وقدره الجلال المحلى بقوله
 دخلوها وقال إن قوله تعالى (وقالوا) عطف على دخلوها المقدر (الحمد) أي الاحاطة
 بأوصاف الكمال (لله) أي الملك الاعظم (الذي صدقنا وعده) في قوله تعالى تلك الجنة
 التي نورت من عبادنا من كان تقيا فطابق قوله الواقع الذي وجدناه في هذه الساعة (وأورثنا)
 كما وعدنا (الأرض) أي الأرض التي لأرض في الحقيقة غيرها وهي أرض الجنة التي
 لا كدر فيها أبوجه وفيها كل ما تشتهيه الأنفس وتلذ الأعين وقولهم (تنبؤا) أي تنزل (من الجنة
 حيث نشاء) جملة حالية وحدث طرف على بابها وقبل مفعول به وانما عبر عن أرض الجنة
 بالأرض لوجهين أحدهما أن الجنة كانت في أول الامر لا دم عليه السلام لانه تعالى قال
 فكلامه نار غدا حيث شئت فقل ما عادت الجنة إلى أولاد آدم عليه السلام كان ذلك سببا لارث
 ثانيا أن الوارث يتصرف فيما ورثه كيف شاء من غير منازع فكذلك المؤمنون يتصرفون

في الجنة حيث شاءوا وأرادوا (فان قيل) كيف يتبرأ أحدهم مكان غيره (أجيب) بأن لكل واحد منهم الجنة لا توصف سعة وزيادة على الحاجة فيبتغوا من جنته حيث شاء ولا يحتاج الى جنة غيره ولا يشتهي أحد الامكانه مع أن في الجنة مقامات معنوية لا تتمايع واردةها ولما كانت بهذا الوصف الجليل تسبب عنه مدحها بقوله (فتم) أي أجزاها هكذا كان الاصل ولكنه قال (أجز العالمين) ترغيبا في الاعمال وحثا على عدم الاتكال ولما ذكر سبحانه الذين اكرمهم من المتقين وما وصلوا اليه من المقامات أتبعهم أهل الكرامات الذين لا شاغل لهم عن العبادات فقال تعالى صاروا الخطاب لعلوا الخبر الى أعلى الخلق لانه لا يقوم بحق هذه الرتبة غيره (وروى الملائكة) أي القائمين بجميع ما عليهم من الحقوق وقوله تعالى (حافين) حال أي محققين (من حول العرش) أي من جوانبه التي يمكن الحفوف به بالقرب منها يسمع لحفوفهم صوت التسبيح والتحميد والتقديس والاهتزاز خوفا من ربهم فادخل من يفهم مع كثرتهم الى حد لا يحصىه الا الله تعالى أنهم لا يعلمون حوله وهذا أولى من قول البيضاوي أن من زائدة وقوله تعالى (يسبحون) حال من ضمير حافين (بحمد ربهم) أي متلبسين بحمده يقولون سبحان الله وبحمده فهم ذاكرون له بوصفي جلاله واكرامه تلذذابه وفيه اشعار بأن منتهى درجات العالين وأعلى لذائذهم هو الاستغراق في صفات الحق (وقضى بينهم) أي بين جميع الخلق (بالحق) أي العدل فدخل المؤمن الجنة والكافر النار وبين الملائكة بأقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم (وقيل) أي وقال المؤمنون من المقضى بينهم والملائكة وطى ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم (الحمد) أي الاحاطة بجميع أوصاف الكمال وعدل بالقول الى ما هو أحق به هذا المقام فقال (لله) ذي الجلال والاكرام علمنا ذلك في هذا اليوم عين اليقين كما كنا في الدنيا نعلمه علم اليقين * ولما كان هذا اليوم أحق الايام بمعرفة شمول الرويية لاجتماع الخلائق وانفتاح البصائر وسعة الضمائر قال واصفاله سبحانه بأقرب الصفات الى الاسم الاعظم (رب العالمين) أي الذين ابتدأهم أول مرة من العدم وأقامهم ثانيا بعبادتهم به من التدبير وأعادهم ثالثا بعد افنائهم بأكل قضاء وتقدير وابقا لهم رابعا لا الى آخره وقيل ان الله تعالى ابتدأ ذكر الخلق بالحمد لله في قوله سبحانه الحمد لله الذي خلق السموات والارض وختم بالحمد في آخر الامر وهو استقرار الفريقين في منازلهم فنبه بذلك على تحميده في بداية كل امر وحقاقته والله أعلم بمراده وامرار كتابه وقول البيضاوي تعالى للزخمشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزمر لم يقطع الله رجاء يوم القيامة وأعطاه الله ثواب الخائفين حديث موضوع وقوله عن عائشة رضي الله عنها وعن أبيها انه عليه الصلاة والسلام كان يقرأ كل ليلة بنى اسرائيل والزمر ورواه الترمذي وغيره

﴿سورة المؤمن مكية﴾

قال الحسن الاقوله وسبح بحمد ربك لان الصلوات نزلت بالمدينة وقد قيل في الخواميم انها كلها مكية عن ابن عباس وابن الحنفية ونسبى سورة الطول وسورة غافر وهي خمس وقيل ثنتان

وغيثون آية وألف ومائة وتسع وتسعون كلمة وأربعة آلاف وتسعمائة وستون حرفاً
 (بسم الله) الملك الاعظم الذي يعطى كلام من عباده ما يستحقه فلا يقدر أحد أن يناقض في شيء
 من ذلك ولا يعارض (الرحمن) الذي عنهم برحمته في الدنيا بالخلق والرزق والبيان الذي لا يخفاء
 معه (الرحيم) الذي يخص برحمته من يشاء من عباده فيجعل له حكماً وفي ملك الأرض
 وملكو السماء السماوات عليهما وقوله تعالى (حم) قرأه ابن ذكوان وشعبه وجزء والكسائي
 بأمانة الحاء محضة وورش وأبو عمرو وبين وبين والباقون بالقح وقد سبق الكلام في حروف التمجى
 وقال ابن عباس حم اسم الله الاعظم وعنه قال الروح من حروف الرحمن مقطعة وقيل
 حم اسم السورة وقيل الحاء افتتاح أسمائه حلیم وحيد وحى وحكيم وحنان والميم افتتاح
 أسمائه ملك مجيد منان وقال الضحاك والكسائي معناه قضى ما هو كائن كأنه ما أشارا
 إلى أن معنى حم حم بضم الحاء وتشديد الميم وهمل يجوز أن يجمع حم على حواميم نقل ابن
 الجوزي عن شيخه الجواليقي أنه خطأ وليس بصواب بل الصواب أن يقول قرأت آل حم
 وفي الحديث عن ابن مسعود عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا وقعت في آل حم وقعت في روضات
 وقال الكهيت وجدنا لكم في آل حم آية * تأولها من اتقى ومغرب

وممن من جوزه وروى في ذلك أحاديث منها قوله صلى الله عليه وسلم الحواميم ذباج القرآن
 وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم سبع وأبواب جهنم سبع جهنم والحطمة والظي والسعير
 وسقر والهاوية والجحيم فتنبى كل حم منهم يوم القيامة على باب من هذه الأبواب فتقول لا يدخل
 النار من كان يؤمن بي ويقرؤني وقوله صلى الله عليه وسلم لكل شيء غمرة وغمرة القرآن ذوات حم
 هن روضات حسان مخضبات متجاورات فمن أحب أن يرنع في رياض الجنة فليقرأ الحواميم
 وقوله صلى الله عليه وسلم الحواميم في القرآن كمثل الخبرات في الثياب وقال ابن عباس لكل شيء
 لباب وللباب القرآن الحواميم قال ابن عادل فان صحت هذه الأحاديث فهي النصل في ذلك أي
 فتدل على جواز الجمع وقال البيضاوي في حم السجدة ولعل افتتاح هذه السبع بحم وتسميتها به
 لكونها مصدرة ببيان الكتاب متشكلة في النظم والمعنى أي أخذنا مما قيل أن حم اسم من أسماء
 القرآن وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) أي الجامع من الحدود والأحكام والمعارف والأكرام
 أما خبر لم أن كانت مبتدأ وأما خبر مبتدأ فمضمر وأما مبتدأ وخبره (من الله) أي الجامع
 لجميع صفات الكمال ولما كان النظر ههنا من بين جميع الصفات إلى العزة والعلم أكثر لاجل أن
 المقام لأشبات الصديق وعدا وعيد أقال تعالى (العزیز) أي في ملكه (العليم) بخلق
 فيه من تعالى أنه بقدرته وعلمه أنزل القرآن الذي يتضمن المصالح والأعجاز ولولا كونه عزيزاً
 عالم المصالح ذلك (غافر الذنب) أي بئوبة وغير بئوبة لأمؤمن أن شاء وأما الكافر فلا بد من
 بئوبة بالاسلام (وقابل التوب) أي ممن عصاه وهو يحتمل أن يكون اسماً مفرداً مراد به الجنس
 كالذنب أن يكون جمعا لبئوبة كقوله وغمرة (شديد العقاب) أي على الكافر (فان قيل) أن شديد
 صفة مشبهة فاضافته غير محضة بكل حال بخلاف اسم الناعل إذا لم يرد به الحال ولا الاستقبال

كغافر الذنب وقابل التوب فإن أضافته محضة تفيد التعريف قال سيويه كل ما أضافته غير محضة يجوز أن تجعل محضة وتوصف به المعارف الالصفة المشبهة ولم يستثن الكوفيين شيئاً (أجيب) بأن شديد معناه مشدد كاذين بمعنى مأذون فتعجز أضافته أو الشديد عقابه فحذف اللام للاندواج مع أمن الالتباس أو بالتزام مذهب الكوفيين وهو أن الصفة المشبهة يجوز أن تتعجز أضافتها أياً فإضافة تكون معرفة يقولون في نحو وحسن الوجه يجوز أن تصير أضافته محضة وقال الرازي لا نزاع في جعل غافر وقابل صفتين وإنما كان كذلك لأنه ما يفيدان معنى الدوام والاستمرار وكذلك شديد العقاب لأن صفاته منزهة عن الحدوث والتجدد فمعناه كونه بحيث يقال شديد عقابه وهذا المعنى حاصل أبداً فلا يوصف بأنه حصل بعد أن لم يكن قال أبو حيان وهذا كلام من لم يقف على علم النحو ولا نظره فيه ويلزمه أن يكون حكيم عليم ومليك مقتدر معارف لتزني صفاته عن الحدوث والتجدد ولأنها صفات لم تحصل بعد أن لم تكن ويكون تعريف صفاته بأن وتذكيرها سواء وهذا لا يقوله مبتدئ في علم النحو فكيف من يصف فيه ويقدم على تنبيه كتاب الله تعالى اه قال المحدثي فان قلت ما بال الواو في قوله وقابل التوب قلت فيها نكتة جلييلة وهي افادة الجمع للمذهب الثابت بين رجليين بين أن يقبل توبته فيكتبها له طاعة من الطاعات وأن يجعلها محاماة للذنوب كان لم يذب كأنه قال جامع المغفرة والقبول اه قال ابن عادل وبعد هذا الكلام الاتي وابرار هذه المعاني الحسنة قال أبو حيان وما أكثر تبجيح هذا الرجل وشقشقه والذي افادته الواو الجمع وهذا معلوم من ظاهر علم النحو اه وانشد بعضهم

وكم من عائب قولاً صحيحاً * وآفته من الفهم السقيم

وقال آخر قد تنكر العين ضوء الشمس من رمد * وينكر الفم طعم الماء من سقم
ولما أتم الترغيب بالعفو والترهيب بالعقوبة أتبعه التشويق الى الفضل فقال تعالى (ذى الطول) أى سعة الفضل والانعام والقدرة والغنى والسعة والمنة فلا يعاثره في شيء من ذلك أحد ولا يدانيه قال ابن عباس غافر الذنب لمن قال لا اله الا الله وقابل التوب بمن قال لا اله الا الله شديد العقاب لمن لا يقول لا اله الا الله ذى الغنى عن لا يقول لا اله الا الله وقال الحسن ذو الفضل وقال قتادة ذوالنعم ثم علم ~~تكملة~~ من كل شيء من ذلك بوحده فبقائه فقال تعالى (لا اله الا هو له) وحده (المصير) أى المرجع فلو جعل معه الها آخر يشاركه في صفة الرحمة والفضل لما كانت الحاجة الى عبوديته شديدة فكان الترغيب والترهيب الكاملان حاصلين بسبب هذا التوحيد وقوله تعالى اليه المصير مما يقوى الرغبة في الاقرار بالعبودية له روى أن عمر رضی الله تعالى عنه اقتصدر جلاداً بأش شديد من أهل الشام فقتل له تتابع في هذا الشراب فقال عمر كاتبه اكتب من عمر الى فلان سلام عليك وأنا أجد البك الله الذى لا اله الا هو بسم الله الرحمن الرحيم حم الى قوله تعالى اليه المصير وختم الكتاب وقال لرسوله لا تدفعه اليه حتى يتجده صاحباً ثم امر من عنده بالدعاء له بالتوبة فلما أتته الصحيفة جعل يقرأها ويقول قد وعدنى الله أن يغفر لى وحذرنى عقابه فلم يبرح يردد ها حتى يكى ثم نزع وأحسن النزوع وحسنت توبته فلما بلغ عمر امره قال هكذا

فاصنعوا اذ ارايتهم اخاكم قدزل زله فسدوده ووقفوه وادعوا له الله تعالى ان يتوب عليه
 ولا تكونوا اعوانا للشيطان عليه * ولما قرر تعالى ان القرآن كتاب انزل له لم يمدى به في الدين ذكر
 احوال من يجادل لغرض ابطاله فقال (ما يجادل) أي يخاصم ويمارى أي يقتل الامور الى
 مراده (في آيات الله) أي في ابطال انوار الملك الاعظم المحيط بصفات الكمال الدال كالشمس
 على انه تعالى اليه المصير بأن يغش نفسه بالشك في ذلك (الا الذين كفروا) قال أبو العالمة آيتان
 ما أشدهما على الذين يجادلون في القرآن قوله تعالى ما يجادل في آيات الله الا الذين كفروا
 وقوله تعالى وان الذين اختلفوا في الكتاب لفي شقاق بعيد وعن أبي هريرة عن النبي صلى الله
 عليه وسلم ان جد الا في القرآن كفرو عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده قال سمع رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قوما يتأرون في القرآن فقال انما اهلك من كان قبلكم انهم ضربوا كتاب الله
 بعضه ببعض فما علم منه فقولوه وما جهلتم عنه فكلوه الى عالمه وعن عبد الله بن عمرو بن العاص
 قال هاجرت الى رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما فسمعت أصوات رجلين يختلفان في آية تنفج
 رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرف في وجهه الغضب فقال انما اهلك من كان قبلكم باختلافهم
 في الكتاب * (تنبيه) * الجدال نوعان جدال في تقرير الحق وجدال في تقرير الباطل اما الاول
 فهو حرفة الانبياء عليهم الصلاة والسلام قال تعالى لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم وجادلهم بالتي
 هي احسن وحكى عن قوم نوح قوله -م يأنوح قد جادلتنا فأكثرت جدالنا واما الثاني فهو مذموم
 وهو المراد بهذه الآية فجادلهم في آيات الله هو قولهم مرة هذا سحر ومرة هذا شعر ومرة هو قول
 الكهنة ومرة اساطير الاولين ومرة انما يعل به بشر واسماء هذا * ولما أثبت أن الحشر لا بد منه وان
 الله تعالى قادر على القدرة لانه لا شريك له وهو محيط بجميع أوصاف الكمال تسبب عن ذلك
 قوله تعالى (فلا يغربك تقلبهم) أي تقلبهم بالتجارات والقوائد والجيوش والعساكر
 واقبال الدنيا عليهم (في البلاد) كبلاد الشام واليمن فانهم مأخوذون عما قريب بكفرهم أخذ
 من قبلهم كما قال تعالى (كذب قبلهم قوم نوح) وقد كانوا في غاية القوة والقدرة على القيام
 بما يحاولونه وكانوا حرا بواحد الم يفرقهم شئ ولما كان الناس من بعدهم قد كثروا وفرقهم اختلاف
 الالسنه والاديان وكان للاجمال من الردع في بعض المواطن ما ليس للتفصيل قال تعالى
 (والاحزاب) أي الامم المتفرقة الذين لا يحصون عددا وذل على قرب زمان الكفر من الانجاء
 من الفرق بقوله (من بعدهم) كعاد ونعود (وهمت كل أمة) أي من هؤلاء (برسولهم -م)
 أي الذي أرسلناه اليهم (ليأخذوه) أي ليمكنوا من اصابته بما ارادوه من تعذيب أو قتل
 ويقال للاسرا أخيه -ذ وقال ابن عباس ليقبضوه ويهلكوه (وجادوا بالباطل) أي بالامر
 الذي لا حقيقة له وليس له من ذاته الا الزوال كما تفعل قريش ومن ضاهاهم من العرب ثم
 بين علة عجزهم بقوله تعالى (لبدحضا) أي ليزيلوا (به الحق) أي الذي جاء به الرسل عليهم
 السلام (فأخذتهم) أي أهلكتهم وهم صاغرون وقرأ ابن كثير وحفص باظهار النال
 والباقون بالادغام (فكبت كان عقاب) لهم أي هو واقع موقعه وهم يمزون على ديارهم

ويرون أثرهم وهذا اقرب في معنى التعجب (تنبيه) وحذف ما المتكلم اشارة الى ان أدنى شيء من عذابه أدنى نسبة كاف في المراد ولما كان التقدير رفعت عليهم كلمة الله تعالى عطف عليه (وكذلك) أي ومنزل ما حقت عليهم كلسنا بالآخذ (حقت كلمة ربك) أي المحسن اليك وهي لاملان جهنم الآية (على الذين كفروا) لكفرهم وقرأ نافع وابن عامر بألف بعد الهمزة على الجمع والباقيون بغير ألف على الافراد وقوله (انهم أصحاب النار) في محل رفع بدل من كلمة ربك أي مثل ذلك الوجوب وجب على الكفرة كونهم من أصحاب النار ومعناها كما وجب اهلا كههم في الدنيا بالعذاب المستأصل كذلك وجب اهلا بهم بعذاب النار في الآخرة أو في محل نصب بحذف لام التعليل وايصال الفعل ولما بين تعالى أن الكفار بالغوا في اظهار العداوة للمؤمنين بقوله ما يجادل في آيات الله وما بعده بين تعالى أن الملائكة الذين هم حملة العرش والحافون حوله يبالغون في اظهار المحبة والنصر للمؤمنين فقال تعالى (الذين يعملون العرش) وهو مبتدأ وقوله (ومن حوله) عطف عليه وقوله تعالى (يسبحون) خبره (بحمد ربهم) أي المحسن اليهم قال شهر بن حوشب حملة العرش غاية أربعة منهم يقولون سبحك اللهم وبحمدك فلما الحمد على حال بعد علمك وأربعة منهم يقولون سبحانك اللهم وبحمدك فلما الحمد على عفوك بعد قدرتك قال وكأنهم يرون ذنوب بني آدم وقيل انهم اليوم أربعة فاذا كان يوم القيامة أمر الله تعالى بأربعة اخر كما قال تعالى ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ غاية وهم من أشرف الملائكة وأفضلهم لقرهم من محل رحمة ربهم قال ابن الخازن وجاء في الحديث أن لكل ملك منهم وجه رجل ووجه أسد ووجه نور ووجه نسر ولكل واحدة منهم أربعة أجنحة جناحان منها على وجهه مخافة أن ينظر الى العرش فيضعف وجناحان يرفعون بها في الهواء ليس لهم كلام غير التسبيح والتحميد والتكبير والتعجيد ما بين أنظارهم الى ربهم كما بين سماه الى سما وقال ابن عباس حملة العرش ما بين كعب أحدهم الى اسفل قدميه مسيرة خمسمائة عام ويرى أن أقدامهم في تخوم الارض والارضون والسموات الى هجرتهم وعسم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الحي الذي لا يموت سبحان قدوس رب الملائكة والروح وقال ميسرة بن عرفة ارجلهم في الارض السفلى ورؤسهم خرفت العرش وهم خشوع لا يرفعون طرفهم وهم أشد خوفا من أهل السماء السابعة وأهل السماء السابعة أشد خوفا من أهل السماء التي تليها والتي تليها أشد خوفا من التي تليها وقال مجاهد بين الملائكة والعرش سبعون ألف حجاب من نور وسبعون ألف حجاب من ظلمة وعن جابر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان لي أن أحدث عن ملك من ملائكة الله تعالى من حملة العرش ان ما بين شحمة اذنه الى عاتقه مسيرة سبعمائة عام وأما صفته العرش فقبل انه من جوهرة خضراء وهو من أعظم المخلوقات خلقا روى جعفر بن محمد عن أبيه عن جده انه قال بين القاعة من قوائم العرش والقاعة الثانية خلفها الطائر المسمر ثلاثين ألف عام ويكنى العرش ~~كل~~ يوم سبعين ألف لون عن نوح لا بد له طبع أن ينظر اليه خلق من خلق الله تعالى كلها والاشياء كلها

في العرش كلقنة في فلاة وقال مجاهد بن السمعاء السابعة والعرش سبعون ألف حجاب حجاب نور
 وحجاب ظلمة وحجاب نور وحجاب ظلمة وقبل ان العرش قبله أهل السماء كما أن الكعبة قبله أهل
 الارض وأما من حول العرش فهم الكرويون وهم سادات الملائكة قال وهب بن منبه ان
 حول العرش سبعين ألف صف من الملائكة صف خلف صف يطوفون بالعرش يقبل هؤلاء
 ويقبل هؤلاء فاذا استقبل بعضهم بعضا هلل هؤلاء وكبر هؤلاء ومن وراءهم سبعون ألف صف
 قيام أيديهم على أعناقهم قد وضعوها على عواتقهم فاذا سمعوا تكبير هؤلاء وتميلهم رفعوا
 أصواتهم فقالوا سبحانك وبمحمدك ما أعظمك وأحملك أنت الله لا اله غيرك أنت الاكبر الخلق
 كلهم لك راجعون ومن وراء هؤلاء مائة ألف صف من الملائكة قد وضعوا اليدين على
 اليسرى ليس منهم أحد الا يسبح بحميد لا يسبحه الا خرمابن جناح واحد منهم مسيرة ثلثمائة
 عام ومابن شعثى أذنيه الى عاتقه أربع مائة عام وقد احتجب الله عز وجل عن الملائكة الذين
 حول العرش بسبعين حجابا من نار وسبعين حجابا من ظلمة وسبعين حجابا من نور وسبعين حجابا
 من درأبيض وسبعين حجابا من ياقوت أحر وسبعين حجابا من زبرجد أخضر وسبعين حجابا من
 نيج وسبعين حجابا من ماء وسبعين حجابا من برد وما لا يعلم علمه الا الله تعالى فبها من له هذا
 الملك العظيم ولما كان تعالى لا يحيط به علما أحد من خلقه أشار الى أنهم مع قربهم كغيرهم لا فرق
 في ذلك بينهم وبين من في الارض السفلى بقوله تعالى (وَيُؤْمِنُونَ بِهِ) لان الايمان انما يكون
 بالغيب فهم يصدقون بأنه واحد لا شريك له ولا مثل له ولا نظير له (فان قيل) ما فائدة قوله
 تعالى ويؤمنون به ولا يخفى على أحد ان حلة العرش ومن حوله من الملائكة الذين يسبحون
 بحمدهم يؤمنون (أجيب) بأن فائدته اظهار شرف الايمان وفضله والترغيب فيه كما وصف
 الانبياء عليهم الصلاة والسلام في غير موضع من كتابه بالصالح لذلك وكما عقب أعمال الخير بقوله
 تعالى ثم كان من الذين آمنوا فأبان بذلك فضل الايمان ولما كانوا القربهم أشد الخلق خوفا لانه
 على قدر القرب من تلك الحضرات يكون الخوف وكان أقرب ما يقرب به الى الملك لقربه الى
 أهل ودهن به سبحانه بقوله تعالى (وَيَسْتَغْفِرُونَ) أي يطلبون محو الذنوب عينا وأثرا (للذين
 آمنوا) أي أوقعو هذه الحقيقة فهم يستغفرون لمن في مثل حالهم وصفتهم وفي ذلك تنبيه
 على ان الاشتراك في الايمان يجب أن يكون أدعى شئ الى النصيحة وأبعث على المحاض الشفقة
 وان تفاوتت الاجناس وتباعدت الاماكن فانه لا تجانس بين ملك وانسان ولا بين سماوى
 وأرضى قط ولا يمكن لما جاء جامع الايمان جامع التجانس الكلى والتناسب الحقيقي حتى
 استغفر من حول العرش لمن فوق الارض قال تعالى ويستغفرون لمن في الارض واستغفارهم
 بأن يقولوا (ربنا) أي أيها المحسن الينا بالايان وغيره فهو معمول لقول مضمرة في محل
 نصب هي الحال من فاعل يستغفرون وأخبر بعد خبر (وسعت كل شئ رجة وعلما) أي وسعت
 رحمتك كل شئ وعلتك كل شئ فأزيل الكلام عن أصله بأن أسند الفعل الى صاحب الرجة
 والعلم وأخر جامنصوين على التمييز للاغراق في وصفه بالرحة والعلم كان ذاته رجة وعلم واسعان

كل شيء وأكرم ما يكون الدعاء بذكر الرب لأن الملائكة قالوا في هذه الآية وقال آدم عليه السلام ربنا ظلمنا أنفسنا وقال نوح عليه السلام رب ان قومي كاذبون وقال رب اغفر لي ولوالدي وقال ابراهيم عليه السلام رب ارنى كيف تعبي الموتى وقال ربنا واجعلنا مسلمين لك وقال يوسف عليه السلام رب قد آتيتني من الملك وقال موسى عليه السلام رب ارنى انظرا اليك وقال رب انى ظلمت نفسي فاغفر لي وقال سليمان عليه السلام رب اغفر لي وهب لي ملكا وقال عيسى عليه السلام ربنا انزل علينا مائدة من السماء وقال تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم وقل رب اعوذ بك من همزات الشياطين (فان قيل) لفظ الله أعظم من لفظ الرب فلم خص لفظ رب بالدعاء (أجيب) بأن العبد يقول كنت في العدم المحض والنقي الصريف فاخرجتني الى الوجود وربيتني فاجعل تربيتك واحسانك سببا لاجابة دعائي (فاغفر للذين تابوا) أى رجعوا اليك عن ذنوبهم برحمتك لهم بأن تجوهر عينا وأثر افلا عقاب ولا عتاب ولا ذكر لها (واتبعوا) أى كفوا أنفسهم على ما لها من العوج ان لزموا (سبيلك) المستقيم الذى لا لبس فيه ولما كان الغفران قد يكون لبعض الذنوب وكان سبحانه وتعالى له ان يعذب من لا ذنب له وان يعذب من غفر ذنبه قالوا (وقههم عذاب الجحيم) أى اجعل بينهم وبينه وقاية بأن تلزمهم الاستقامة وتم نعمتك عليهم فانك وعدت من كان كذلك بذلك ولا يسدل القول لديك وان كان يجوز أن تفعل ما تشاء وان الخلق عبيدك ولما طلبوا من الله سبحانه وتعالى ازالة العذاب عنهم وكان ذلك لا يستلزم الثواب قالوا مكترزين صفة الاحسان زيادة في الرقة في طلب الامتنان (ربنا) أيها المحسن اليانا (وأدخلهم جنات عدن) أى اقامة (التي وعدتهم) أى اياها وقولهم (ومن صلح) معطوف على هم في وعدتهم وقدموا قولهم (من آباءهم) على قولهم (وأزواجهم وذرياتهم) لأن الآباء أحق الناس بالاجلال وقدموا الأزواج في اللفظ على الذرية لانهم أشد الصا فبالشخص وطلبوا لهم ذلك لأن الانسان لا يتم نعمه الا بأهله قال سعيد بن جبيرة دخل الجنة المؤمن فيقول ابن أبي أين ولدى وزوجتي فيقال له انهم لم يعملوا مثل عملك فيقول انى كنت أعمل لى ولهم فيقال ادخلوهم الجنة (انك أنت) أى وحدك (العزير) أى فانت تغفر لمن شئت (الحكيم) فكل فعلك فى أتم مواضعه فلا يتبأ لاحد نقضه ولا تنقصه (وقههم السيات) أى بأن تجعل بينهم وبينه وقاية بأن تطهرهم من الاخلاق الحاملة عليها (فان قيل) هذا مكترز مع قوله وقههم عذاب الجحيم (أجيب) بأن التفاوت حاصل من وجهين أحدهما أن يكون قولهم وقههم عذاب الجحيم دعاء مكثورا للاصول وقولهم وقههم السيات دعاء مكثورا للفروع وهم الآباء والأزواج والذريات فانهم ما أن يكون قوله وقههم عذاب الجحيم مقصورا على ازالة عذاب الجحيم وقوله وقههم السيات يتناول عذاب الجحيم وعذاب موقف يوم القيامة والسؤال والحساب فيكون تعميما بعد تخصيص وهذا أولى وقال بعض المفسرين ان الملائكة طلبوا ازالة عذاب النارعنهم بقولهم وقههم عذاب الجحيم وطلبوا ايصال الثواب اليهم بقولهم وأدخلهم جنات عدن ثم طلبوا بهد ذلك أن يصونهم الله تعالى فى الدنيا من العقائد الفاسدة بقولهم وقههم السيات وقرأ أبو عمر فى الوصل بكسر

الم والمها وحزة والكسائي يضم الهاء والميم والباقون بكسر الهاء وضم الميم ثم قالت
الملائكة (ومن تق السيات) أى جزاءها كلها (يومئذ) أى يوم تدخل فرقيما الجنة وفريقا
النار المسبية عن السيات وهو يوم القيامة (فقد رجته) أى الرجعة الكاملة التى لا يستحق
غيرها معها أن يسمى رجعة فإن تمام النعيم لا يكون إلا به الزوال للحاسد والتباعد والنجاة
من النار باجتناب السيات ولذلك قالوا (وذلك) أى الامر العظيم جدا (هو انفور
العظيم) أى النعيم الذى لا ينقطع في جوار ملك لا تصل العقول الى كنه عظمتة واجلاله هذا آخر
دعاء الملائكة للمؤمنين قال مطرف أنصح عباد الله تعالى للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق
للمؤمنين هم الشياطين ثم انه تعالى بعد ان ذكر أحوال المؤمنين عاد الى ذكر أحوال الكافرين
المجادلين فى آيات الله تعالى وهم الذكورون فى قوله تعالى ما يجادل فى آيات الله الا الذين
كفروا فقال تعالى مستأنفا موكدا لانكارهم آيات الله تعالى (ان الذين كفروا) أى
أوقعوا الكفر ولو لحظة (ينادون) يوم القيامة وهم فى النار وقد تمقوا أنفسهم حين
عرض عليهم سياهم وعانوا العذاب فيقال لهم (لمقت الله) أى الملك الاعظم اياكم (أكبر)
والتقدير لمقت الله لانفسكم أكبر (من مقتكم انفسكم) فاستغنى بذكرها مرة وقوله
تعالى (اذ تدعون الى الايمان فسكفرون) منصوب بالمت والمعنى انه يقال لهم
يوم القيامة كان الله تعالى يمقت أنفسكم الامارة بالسوء والكفر حين كان يدعون الى
الايمان فتأبون قبوله وتختارون عليه الكفر أشد ما تمقونهن اليوم وأنتم فى النار اذ اوقعت
فيها اتباعكم هو انهم وذكروا فى تفسير مقتهم انفسهم وجوها أولها أنهم اذا شاهدوا القيامة
والجفة والنار تمقوا انفسهم على أصرارهم على التكذيب بهذه الاشياء فى الدنيا ثانيا
ان الاجماع يستد مقتهم للرؤساء الذين يدعونهم الى الكفر فى الدنيا والرؤساء أيضا يستد
مقتهم للاتباع فعبر عن مقت بعضهم بعضا بأنهم تمقوا انفسهم كقوله تعالى اقتلوا انفسكم
والمراد أن يقتل بعضهم بعضا ثالثها قال محمد بن كعب اذا خطبهم ابليس وهو فى النار بقوله
ما كان لى عليكم من سلطان الى قوله ولوموا انفسكم فى هذه الحالة تمقوا انفسهم
وأما الذين ينادون الكفار به هذا الكلام فهم خزنة جهنم وعن الحسن لما راوا أعمالهم
الخبثة تمقوا انفسهم فنود والمقت الله أكبر وقيل معناه لمقت الله اياكم الا أن أكبر من
مقت بعضهم لبعض كقوله تعالى يكفر بعضكم ببعض ويلعن بعضكم بعضا واذ تدعون
لعليل والمقت أشد البغض وذلك فى حق الله تعالى محال فالمراد منه أبلغ الانكار وأشد
مجادم تمقوا انفسهم حين رأوا أعمالهم ومقت الله تعالى اياهم فى الدنيا اذ يدعون الى الايمان
فيكفرون أكبر وقال الفراء معناه ينادون ان مقت الله يسلك ناديت ان زيدا قائم وزاديت لزيد
قائم وقرأ أبو عمرو وهشام وحزة والكسائي بادغام الذال فى التاء والباقون بالظهار ثم انه
تعالى بين أن الكفار اذا خوطبوا بهذا الخطاب (قالوا ربنا) أى أيها الحسنين النبايما تقدم
فهدوا لهدانا (أمنيتنا) أى امانتين (وأحييتنا) أى احيائين قال ابن عباس

وقتادة والضالك كانوا أمواتا في أصلاب آياتهم فأحياهم الله تعالى في الدنيا ثم أماتهم الموت
الاولى التي لا بد منها ثم أحياهم للبعث يوم القيامة فهم ماموتان وحياتان وهو كقوله تعالى
كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم ثم يميتكم ثم يحييكم وقال السدى أميتوا في الدنيا
ثم أحيوا في قبورهم للمسئلة ثم أميتوا في قبورهم ثم أحيوا في الآخرة وقيل واحدة عند
انقضاء الاجال في الحياة الدنيا وأخرى بالصعق بعد البعث أو الارقاد بعد سؤال القبر ورد
بأن الصعق ليس بموت وما في القبر ليس بحياة حتى يكون عنه موت وانما هو اقدار على الكلام
كما أقدر سبحانه الحصاع على التسبيح والحجر على التسليم والضب على الشهادتين (فاعترفنا
بذنوبنا) أي بكفرنا بالبعث (فهو الذي يخرج) من النار الى الدنيا فتمنع أعمالنا ونعمل
بطاعتك (من سبيل) أي طريق ونظيره هل الى مرد من سبيل والمعنى أنهم لما عرفوا أن
الذي كانوا عليه في الدنيا كان فاسدا باطلا غنوا الرجوع الى الدنيا ليستغلوا بالاعمال الصالحة
(فان قيل) الغناء في قوله تعالى فاعترفنا بذنوبنا يقتضي أن تكون الامانة مرتين والاحياء
مرتين سببا لهذا الاعتراف فبما وجه هذه السببية (أجيب) بأنهم كانوا ضالين بالبعث فلما
شاهدوا هذا الاحياء بعد الامانة مرتين لم يبق لهم عذر في الاقرار بالبعث فلا جرم وقع هذا
الاقرار كالسبب عن تلك الامانة والاحياء • ولما كان الجواب قطعاً لا سبيل الى ذلك عليه بقوله
تعالى (ذلكم) أي القضاء النافذ العظيم العالي بتخليدكم في النار مقامه لكم (بأنه) أي
كان بسبب أنه (اذا دعى الله) أي الملك الاعظم من أي داع وفي اعراب قوله تعالى (ووده)
وجهان أحدهما انه مصدر في موضع الحال وجازع كونه معرفة لفظاً لكونه في قوة النكرة
كأنه قبل منفرداً ثانيهما وهو قول يونس انه منصوب على الظرف والتقدير دعى على حدته وهو
مصدر محذوف الزوائد والتقدير أو وحدته ايحاداً (كفرتم) بتوحيده (وان بشرناه) أي يجعل له
تعالى شريك (تؤمنوا) أي تصدقوا بالاشراك (فالحكم) أي فتسبب عن القطع بأنه لا رجعة
وأن الكفار ما ضرروا لأنفسهم مع ادعائهم العقول الراجحة ونحو ذلك أن الحكم كله (فه) أي
المحيط بصفات الكمال (العلي) أي عن أن يكون له شريك (الكبير) أي الذي لا يليق الكبر الاله
• ولما قصر الحكم عليه دل على ذلك بقوله تعالى (هو) أي وحده (الذي يريدكم) أي بالبصر
والبصيرة (آياته) أي علاماته الدالة على تفرد بصفات الكمال وأنه لا يجوز جعل هذه الاحجار
المخونة والخشب المصور وشركاً لله عز وجل في العبودية ومن آياته الدالة على كمال القدرة
والعظمة قوله تعالى (وينزل لكم من السماء) أي جهة العلو الدالة على قهر ما نزل منها
بامساكها الى حين الحكم بنزوله (رزقاً) أي أسباب رزق كالطير لا قامة أبدانكم لان أهم
المهمات رعاية مصالح الاديان ومصالح الابدان والله تعالى واعي مصالح أديان العباد باظهار
النبات والآيات وراعى مصالح أبدانهم بانزال الرزق من السماء فتوقع الآيات من الاديان
كوقع الارزاق من الابدان وعند حصولها يكمل الانعام الكامل وقرأ ابن كثير وأبو عمرو
بسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (وما يذكركم) ذلك تذكرة

تاماً فيعظم هذه الآيات (الامن ينب) أي يرجع الى الله تعالى وقبيل بكنيته الى الله تعالى
 في جميع أموره فيعرض عن غير الله تعالى ولهذا قال عز من قائل (فادعوا) وصرح بالاسم
 الاعظم فقال تعالى (الله) الذي له صفات الكمال أي فاعبدوه (مخلص له الدين) أي
 الافعال التي يقع الجزاء عليها في كان يصديق بالجزاء وبأن ربه غني لا يقبل الاخالصا اجتهد
 في نصفيه أعماله فيأتى بها في غاية الخلو عن كل ما يمكن أن يكدر من غير شائبة شرك جلي
 أو خفي كما أن معبوده واحد من غير شائبة نقص (ولو كره) أي الدعاء منكم (الكافرون)
 أي الساترون لانوار عقولهم * ولما ذكر تعالى من صفات كبريائه كونه مظهر الآيات ذكر
 ثلاثة أخرى من صفات الجلال والعظمة وهي قوله تعالى (رفيع الدرجات) وهذا يحتل
 أن يكون المراد منه الرفع وأن يكون المراد منه المرتفع فان جلساه على الاول فقيه وجهان
 أولهما تعالى برفع درجات الانبياء والاولياء ثانيهما برفع درجات الخلق في العلوم والاخلاق
 الفاضلة فجعل لكل أحد من الملائكة درجة معينة كما قال تعالى عنهم وما من الااله مقام معلوم
 وجعل لكل واحد من العلماء درجة معينة فقال تعالى برفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا
 العلم درجات وعين لكل جسم درجة معينة فجعل بعضهم اسفلية كدرة وبعضهم افلكية وبعضها
 من جواهر العرش والكرسي وأيضا جعل لكل واحد من به معينة في الخلق والخلق والرزق
 والاجل فقال تعالى وهو الذي جعلكم خلائق الارض ورفع بعضكم فوق بعض درجات وجعل
 لكل واحد من السعداء والاشقياء في الدين درجة معينة من موجبات السعادة وموجبات
 الشقاوة وفي الآخرة تظهر تلك الآثار وان جلسنا الرفيع على المرتفع فهو سبحانه وتعالى أرفع
 الموجودات في جميع صفات الكمال والجلال * (تنبه) في رفيع وجهان أحدهما الله
 مبتدأ والخبر (ذو العرش) أي الكمال الذي لا عرش في الحقيقة الا هو فهو محيط بجميع
 الالكوان ومادة لكل جاد وحسوان وعالم بجلاله وعظمته عن كل ما يحظر في الاذهان وقوله
 تعالى (يلقي الروح) أي الوحي سمع روحا لانه تحسبه القلوب كتابة بالابدان بالارواح
 (من أمره) قال ابن عباس أي رضاه وقوله يلقي يجوز أن يكون خبرا ثانيا وأن يكون حالا
 ويجوز أن تكون الثلاثة أخبارا لقوله تعالى هو الذي يريكم آياته * ولما كان أمره تعالى غالبا
 على كل أمر أشار الى ذلك بآية الاستعلاء فقال تعالى (على من يشاء) أي يختار (من
 عباده) للنبوة وفي هذا دليل على أنها عطائية وقوله (لينذر) أي يخوف غاية الاتقاء والفاعل
 هو الله تعالى أو الروح أو من يشاء أو الروح والمندبر به محذوف تقديره لينذر العذاب
 (يوم التساقط) أي يوم القيامة فان فيه تتلاقى الارواح والاجساد وأهل السماء والارض
 وقال مقاتل يلتقي الخلق والخالق تعالى وقال ميمون بن مهران يلتقي الظالم والمظلوم وقيل يلتقي
 العابدون والمعبدون وقيل يلتقي فيه المرمع علمه والاولى أن تفسر الآية بما يشعل الجميع
 (يوم هم بارزون) أي خارجون من قبورهم وقيل ظاهرون لا يسترهم شيء من جبل أو شجر أو تلأل
 أو غير ذلك وقيل بارزون كتابة عن ظهور حالهم وانكشف أمرهم كما قال تعالى يوم تبلى

قوله ويجوز أن
 تكون الثلاثة
 أخبار الخ يؤخذ
 منه الوجه الثاني
 هـ

السرائر والاولى أيضاً أن تفسر الآية بما يشمل الجميع كما قال تعالى (لا يخفى على الله) أى المحيط
 علماً وقدره (منهم) أى من أعمالهم وأحوالهم (نبي) وان دق وخفي ويقول الله تعالى فى ذلك
 اليوم بعد فناء الخلق (لن الملك اليوم) أى يامن كانوا يعملون أعمال من يظن أنه لا يقدر عليه
 أحد فلا يجيبه أحد فيجيب نفسه فيقول تعالى (لله) أى الذى له جميع صفات الكمال فذل
 على ذلك بقوله تعالى (الواحد) أى الذى لا يصح أن يكون له ثاب بشركة ولا شفعة ولا
 غيره ما (الفهار) أى الذى قهر الخلق بالموت وقبيل يجيبونه بلسان الحال أو المقال فيقولون
 ذلك وقال الرازى لا يعبد أن يكون السائل والجيب هو الله تعالى ولا يعبد أيضاً أن يكون
 السائل جعاً من الملائكة والجيب جعاً آخرين وليس على التعيين (فان قيل) الله تعالى لا يخفى
 عليه شئ منهم فى جميع الأيام فامعنى تقييد هذا العلم بذلك اليوم (أجيب) بأنهم كانوا
 يتوهمون فى الدنيا أنهم اذا استتروا بالخطان والحجب أن الله تعالى لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم
 فهم فى ذلك اليوم صارون من البروز والانكشاف الى حال لا يتوهمون فيها مثل ما يتوهمون
 فى الدنيا كما قال تعالى ولاكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون وقال تعالى يستخفون
 من الناس ولا يستخفون من الله وهو معهم وهو معنى قوله تعالى وبرزوا لله الواحد القهاره ولما
 أخبر تعالى عن اذعان كل نفس بانقطاع الاسباب أخبرهم بما يزيد وعيهم ويعت رغبتهم وهو نتيجة
 تفرد به الملك فقال تعالى (اليوم تجزى) أى تقضى وتكافأ (كل نفس بما) أى بسبب ما (كسبت)
 أى عملت لا تترك نفس واحدة لأن العلم لم قد عملهم والقدرة قد أحاطت بهم وعمتهم والحكمة قد
 منعت من افعال أحد منهم فيجزى المحسن باحسانه والمسي باسائه (لا ظلم اليوم) أى بوجه
 من الوجوه (ان الله) أى التام القدرة الشامل للعلم (مربيع الحساب) أى يبلغ السرعة فيه
 لا يشغله حساب أحد عن حساب غيره فى وقت حساب ذلك الغير ولا يشغله شأن عن شأن لأنه
 تعالى لا يحتاج الى تكلف وهذا لا يقتضى الى مراجعة كتاب ولا شئ فمكان فى ذلك ترجعة وخوف
 الفريشين لأن المؤمن يرجو اسراع البسط بالثواب والطالم يخشى اسراع الاخذ بالعذاب
 وعن ابن عباس اذا أخذ فى حسابهم لم يقل أهل الجنة الا انها ولا أهل النار الا فيها ثم نبه تعالى
 بقوله سبحانه (وأندرهم يوم الآزفة) أى القيامة على أن يوم القيامة قريب وظنهم قوله
 تعالى اقرب الساعة قال الزجاج انما قيل لها آزفة لانها قريبة وان استبعد الناس مداها لان
 ما هو كائن قريب والآزفة فاعلمه من أزف الامر اذا دنا وحضر كقوله تعالى فى صفة القيامة
 أزفت الآزفة أى قربت قال النابغة أزف الترحل غير ان ركابنا لما تزل برحالنوا وكان وقد
 وقال كعب بن زهير

بان الشهاب وهذا الشيب قد أزفا * ولا أرى لشبابنا خلفا

• (تنبيه) • الآزفة نعت لمحدوف مؤنث كيوم القيامة الآزفة أي يوم المجازاة الآزفة قال
 الفضال وأسماء القيامة تجري على التأنيث كالطامة والحاقة لانها مرجع معناها على المذاهبة
 ويوم القيامة له أسماء كثيرة تدل على أهواله باعتبار مواقفه وأحواله منها يوم البعث وهو ظاهر

ومنها يوم التلاق لما صر منها يوم التغابن لئلا يكون أكثر من فيه وخسرانه وقيل المراد يوم الآخرة
 مشارفتهم بدخول النار فإن عند ذلك ترتفع قلوبهم عن مقارناتها من شدة الخوف وقال
 أبو مسلم هو يوم حضور الأجل فإن يوم الموت بالقرب أولى من وصف يوم القيامة بالقرب ولما
 ذكر تعالى اليوم هول أمره بما يحصل فيه من المشاق بقوله تعالى (أذا القلوب) أي من كل
 من حضره ترتفع (لدى) أي عند (الخناجر) أي حناجر المجوعين فيه وهو جمع خنجور وهو
 الحلقوم يعني أنها زالت عن أماكنها ماعده من كثرة الرعب حتى كادت تخرج ثم أسند إليها
 ما يسند للعقلاء فقال تعالى (كاطمين) أي ممتثلين خوفا ورعبا وحرنا مكر وبين فقد استندت
 بجاري أنفاسهم وأخذ بجميع أحسابهم ولما كان من اليهود أن الصدقات تنفع في مثل
 ذلك والشفاعات قال تعالى مستأنفا (مال للظالمين) أي العريقين في الظلم (من حميم) أي قريب
 صادق في موتهم مهمتهم بأمرهم مزيل لكرهمهم (ولاشفيع بطاع) فيشفع لهم • (تنبيه) •
 احتج المعتزلة بهذه الآية على نفي الشفاعة عن المذنبين فقالوا نفي حصول شفيع لهم بطاع يوجب
 أن لا يحصل لهم هذا الشفيع وأجيبوا بوجوه أولها أنه تعالى نفي أن يحصل لهم شفيع بطاع
 وهذا لا يدل على نفي الشفيع كقولك ما عهدي كذب يساع لا يقتضي نفي الكتاب فهذا يعني أن لهم
 شفيعا بطاعه الله تعالى ما من شفيع الا من بعد اذنه ثانيها أن المراد بالظالمين في هذه الآية ههنا
 الكفار لأنهم وردت في زجر الكفار قال تعالى إن الشرك لظلم عظيم ثالثها أن لفظ الظالمين
 اما أن يفيد الاستغراق أولا فان كان المراد جميعهم فبدخل فيه الكفار وعندنا أنه ليس لهذا
 الجمع شفعيا لأن بعضه كفار وليس لهم شفيع فحينئذ لا يكون لهذا الجمع شفيع وان لم يفيد
 الاستغراق كان المراد من الظالمين بعض الموصوفين بهذه الصفة ليس لهم شفيع • ولما أمر
 الله تعالى بالذاريوم الآخرة وما يعرض فيه من شدة الغم والكرب وأن الظالم لا يجد من يحميه
 ولا يشفع له ذكر اطلاعه على جميع ما يصدر من الخلق سرا وجهرا فقال تعالى (يعلم خائفة
 الاعين) أي خبايتها التي هي أخفى ما يقع من أفعال الظاهر جعل الخيانة مبالغة في الوصف
 وهو الإشارة بالعين قال أبو حيان من كسر عين وغمز ونظر يفهم المراد ولما ذكر أخفى أفعال
 الظاهر أتبعه أخفى أفعال الباطن فقال تعالى (وما تخفى الصدور) أي القلوب فعلم من ذلك
 أن الله تعالى عالم بجميع أفعالهم لأن الأفعال على قسمين أفعال الجوارح وأفعال القلوب فأما
 أفعال الجوارح فأخفاها خيانة الاعين والله تعالى عالم بها فكيف الحال في سائر الأعمال وأما
 أفعال القلوب فهي معلومة لله تعالى لقوله عز وجل وما تخفى الصدور وقوله تعالى (والله) أي
 المتصف بجميع صفات الكمال (يقضي بالحق) أي الثابت الذي لا يتغير يوجب عظيم الخوف
 لأن الحاكم إذا كان عالما بجميع الأحوال ونبت أنه لا يقضي الا بالحق في كل مادق وجل كان
 خوف المذنب منه في الغاية القصوى ولما عول الكفار في دفع العقاب عن أنفسهم على
 شفاعته هذه الاصنام بين الله تعالى أنه لا فائدة فيها البتة فقال تعالى (والذين يدعون) أي
 يعبدون (من دونه) وهم الاصنام (لا يقضون) لهم (شيئ) من الأشياء أصلا فكيف يكونون

شركاء لله تعالى وقرأ نافع وحشام تدعون بشاء الخطاب للمشركين والباقون ياء الغيبة اخباروا
 عنهم بذلك * ولما أخبر تعالى أنه لا فعل لشركائهم وأن الامر له وحده قال تعالى مؤكدا لاجل
 أن أفعالهم تقتضى انكار ذلك (إِنَّ اللَّهَ) أى المنفرد بصفات الكمال (هُوَ) أى وحده
 (السميع) أى لجميع أقوالهم (البصير) أى بجميع أفعالهم ففى ذلك تقرير لعله تعالى بجائنة
 الاعين وقضائهم بالحق ووعيد لهم على ما يقولون ويفعلون وتعرض بحال ما يدعون من دونه
 فثبت أن الامر له وحده فما تنفعهم شفاعاة الشافعين ولا تقبل فيهم من أحد شفاعاة بعد الشفاعاة
 العامة التى هى خاصة بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم وهى المقام المحمود الذى يغبطه به الآولون
 والآخرون فان كل أحد يجمع عنها حتى يصل الامر اليه صلى الله عليه وسلم فيقول أنا لها أنا لها
 ثم يذهب الى المكان الذى أذن له فيه فيشفع فيشفعه الله تعالى فيفصل سبحانه وتعالى بين
 الخلائق ليذهب كل احد الى داره جنسه أو ناره * ولما أوعدهم سبحانه بصادق الاخبار عن
 قوم نوح ومن تبعهم من الكفار وختمه بالانذار بما يقع فى دار القرار للظالمين الاشرار أتمعه
 الوعد والتخويف بالمشاهدة بمن تبعه بالاعتبار بما كان لهم فيها من عذاب الائمات
 فقال عز من قائل (أولم يسيرا فى الأرض) أى فى أى أرض ساروا فيها (فینظروا) أى نظر
 اعتبارا كاهوشان أهل البصائر (كيف كان عاقبة) أى آخر أمر (الذين كانوا) أى سكانا
 للأرض عربين فى عمارتها (من قبلهم) أى قبل زمانهم من الكفار كعاد وعود (كانوا
 هم) أى المتقدمون لما لهم من القوة الظاهرة والباطنة (أشد منهم) أى من هؤلاء (قوة) أى
 ذوات ومعاني وانما جىء بالفصل وحقه أنه يقع بين معرفتين لمضارعة أفعال من المعرفة فى امتناع
 دخول اللام عليه وقرأ ابن عامر منكم بكاف والباقون ياء الغيبة (و) أشد (أنا را فى
 الأرض) لاق آثارهم لم يندرس بعضها الى هذا الزمان وقدم مضى عليه ألوف من السنين
 وأما المتأخرون فنظم أس آمارهم فى أقل من قرن ومع قوتهم (فأخذهم الله) أى الذى له
 صفات الكمال أخذ غلبة وقهر وسطوة (بذنوبهم) أى بسببها (وما كان لهم) من شركائهم
 الذين ضلوا بهم هؤلاء ومن غيرهم (من الله) أى المتصف بجميع صفات الكمال (من واق)
 أى يقيم عذابه والمعنى ان العاقل من اعتبر بغيره وان الذين مضوا من الكفار كانوا أشد قوة
 من هؤلاء * ولما كذبوا رسلهم أهل كهم الله تعالى عاجلا وقرأ ابن كثير فى الوقف بالياء بعد
 القاف والباقون بغير ياء وانفقوا على التنوين فى الوصل ثم ذكر تعالى سبب أخذهم بقوله تعالى
 (ذلك) أى الأخذ العظيم (بأنهم) أى الذين كانوا من قبل (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات)
 أى الآيات الدالة على صدقهم دلالة هى من وضوح الامر بحيث لا يسع منصفها انكارها وقرأ
 أبو عمرو بسكون السين والباقون بضمها * ولما كان مطلق الكفر كافيا فى العذاب عبر بالماضى
 فقال تعالى (فكفروا) أى سبوا عن إتيان الرسل عليهم السلام اليهم الكفر بهم (فأخذهم
 الله) أى الملك الأعظم أخذ غضب (أنه قوى) أى متمكن مما يريد غاية التمكين (شدید العقاب)
 لا يؤبه بعقاب دون عقابه * ولما سأل تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم يذكر الكفار الذين

كذبوا الانبياء عليهم السلام قبله وبمشاهدة آثارهم سلامه أيضا بذكر قصة موسى عليه السلام
المذكورة في قوله تعالى (ولقد أرسلنا) أي على ما لنا من العظمة (موسى بآياتنا) أي الدالة
على جلالنا (وسلطان) أي أمر قاهر عظيم جدا لا حيلة لهم في مدافعة شيء منه (مبين)
أي بين في نفسه يبين لكل من يمكن اطلاعه عليه انه ظاهر وذلك الامر هو الذي كان يتبع
فرعون من الوصول الى أذاه مع ماله من القوة والسلطان (الى فرعون) أي ملك مصر
(وهامان) أي وزيره (وقارون) أي قريب موسى (فقالوا) أي هؤلاء ومن معهم هو
(ساحر) اعجزهم عن مقاهرته امان عدا قارون فأولوا آخر بالقوة والفعل وأما قارون
ففعله آخر ابين انه مطبوع على الكفر وان آمن أولا وان هذا كان قوله وان لم يسله بالفعل في
ذلك الزمان فقد دق له في البنية فدل ذلك على انه لم يزل قائلا به لانه لم يتب منه ثم وصفوه بقولهم
(كذاب) لخوفهم من تصديق الناس له (فلما جاءهم بالحق) أي بالامر الثابت الذي لا طاعة
لاحد بتغيير شيء منه ~~كاننا~~ (من عندنا) على ما لنا من القهر فأمن معه طائفة من قومه
(قالوا) أي فرعون وأتباعه (اقتلوا) أي قتلوا حقيقيا بازالة الروح (أبناء الذين آمنوا) به
أي فكانوا (معه) أي خصوهم بذلك واتركوا من عداهم فلعلهم يكذبونه (واستحيوا
نساءهم) أي اطلبوا حيايتهم بأن لا تقتلوهن قال قتادة هذا غير القتل الاول لأن فرعون كان
قد أمسك عن قتل الولدان فلما بعث موسى عليه السلام أعاد اقتل عليهم فعناه وأعيدوا عليهم
القتل ثلاثين شوا على دين موسى فيموت بهم وهذه العلة مختصة بالبنين فلهذا أمر بقتل البنات
واستحياء نساءهم (وما) أي والحال انه ما (كيد الكافرين) تعميما وتعليقا بالوصف (الا
في ضلال) أي بجهالة للسداد الموصل الى الظفر والقول لانه ما أفادهم أولا في الحذر من موسى
عليه السلام ولا آخر في صدمت آمن به مرادهم بل كان فيه تسارهم وهلاكهم وكذا أفعال
الفجرة مع أوليائه تعالى ما حفر أحد منهم لخدمتهم حفرة مكر الأركه الله تعالى فيها
(وقال فرعون) أي أعظم الكفرة في ذلك الوقت رؤساء أتباعه عندما علم انه عاجز عن قتله وملاؤه
ما رأى منه خوفا فادفعوا عن نفسه ما يقال من انه ما ترك موسى عليه السلام مع استهائته به الا
بحرزا عنه موهما ان قومه هم الذين يردونه عنه وانه لو لا ذلك لقتله (ذروني) أي اتركوني على
أي حالة ~~كانت~~ (أقتل موسى) وزاد في الايهام للاغبياء والمناداة على نفسه عند البصراء
بقوله (وليدع ربه) أي الذي يدعو ويدعى احسانه اليه بما يظهر على يديه من هذه الخوارق
وقيل كان في خاصة قوم فرعون من ينفعه من قتل موسى وفي منعه من قتله وجوه أولها العلة كان
فيهم من يعتقد قلبه كون موسى صادقا فيتحيل في منع فرعون من قتله وثانيها قال الحسن ان
أصحابه قالوا لا تقتله فانما هو ساحر ضعيف ولا يمكن ان يغلب سحرنا فان قتله أدخلت الشبهة
على الناس ويقولون انه كان محقا وعجزوا عن جوابه فقتلوه وثالثها أنهم كانوا يمتثلون في منعه
من قتله لاجل ان يتيق فرعون مشغول القلب بموسى فلا يتفرغ لتأديب تلك الاقوام لأن من
شأن الامراء ان يشغلوا قلب ملكهم بمخض خارجي حتى يصيروا آمنين من قبل ذلك الملك

وقرأ ابن كثير بفتح الباء والباقون بالسكون * ثم ذكر فرعون السبب الموجب لقتل موسى عليه السلام وهو ما فساد الدين وأفساد الدنيا فقال (أنى أخاف) أى ان تركته (أن يبدل دينكم أو أن يظهر في الأرض الفساد) أى لا بد من وقوع أحد الأمرين إما فساد الدين وإما فساد الدنيا أمّا فساد الدين فلان القوم اعتقدوا ان الدين الصحيح هو دينهم الذى كانوا عليه فلما كان موسى عليه السلام ساعيا في افساده اعتقدوا انه ساع في افساد الدين الحق وأمّا فساد الدنيا فهو ان يجمع عليه أقوام ويصير ذلك سببا في وقوع الخصومات وإثارة الفتنة وبد فرعون بذكر الدين أولا لان حب الناس لاديانهم فوق حبهم لاموالهم * ولما توقع فرعون موسى عليه السلام بالقتل لم يأت في دفع شره إلا بأن استعان بالله واعتمد على فضله كما قال تعالى (وقال موسى ائني عدت) أى اعتصمت عند ابتداء الرسالة (بربي) ورغبهم في الاعتصام به ونبتهم بقوله (وربكم) أى الحسن البناء جعيلين وأرسلني لاستنقاذكم من أعداء الدين والدنيا (من كل متكبر) أى عات طاع متعظم على الحق هذا وغيره (لا يؤمن) أى لا يتجده تصديق (يوم الحساب) من ربه له وهو يعلم انه لا بد من حسابه هولن تحت يده من رعاياه وعبيده فيحكم على ربه بما لا يحكم به على نفسه وبهذين الأمرين يقدم الانسان على اتقاء الناس لان المتكبر القاسى القلب قد يحمله طبعه عن ايداء الناس الا انه اذا كان مقرا بالبعث والحساب صار خوفه من الحساب مانعا له عن الجرى على موجب تكبره فاذا لم يحصل له الايمان بالبعث والقيامة كان طبعه داعيا له الى الايداء لان المانع وهو الخوف من السؤال والحساب زائل فلا جرم تعظم القسوة والايذاء * واختلف في الرجل المؤمن في قوله تعالى (وقال رجل مؤمن) أى راسخ الايمان (من آل فرعون) أى من وجوههم ورؤسائهم (يكنتم ايمانه) أى يخفيه خفا شديدا خوفا على نفسه فقال مقاتل والسدى كان قبطيا ابن عم فرعون وهو الذى حكى الله تعالى عنه وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى وقيل كان اسراييليا وعن ابن عباس لم يكن في آل فرعون غيره وغير امراء فرعون وغير المؤمن الذى أنذر موسى عليه السلام الذى قال ان الملا يأتون بك ليقتلوك وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال الصديقون حبيب النجار مؤمن آل يس ومؤمن آل فرعون الذى قال أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله والثالث أبو بكر الصديق وهو أفضلهم وعن جعفر بن محمد ان مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا وقال أبو بكر يرضى الله تعالى عنه جهارا أنقتلون رجلا ان يقول ربي الله وروى عن عروة بن الزبير قال قلت لعبد الله بن عمرو بن العاص أخبرني بأشد ما صنع المشركون برسول الله صلى الله عليه وسلم قال جاء رسول الله صلى الله عليه وسلم بفناء الكعبة اذا قبل عقبة بن أبي معيط فأخذ عنك رسول الله صلى الله عليه وسلم فلوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا وقال له أنت الذى تنهانا عما كان يعبد آباؤنا قال أنا ذلك فأقبل أبو بكر رضى الله تعالى عنه فأخذ بكنكبه ودفع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال أنقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم فكان أبو بكر أشد من ذلك وعن أنس بن مالك قال ضربوا رسول الله

صلى الله عليه وسلم حتى غشي عليه فقام أبو بكر فجعل ينادى ويلكم أقتلوا رجلاً
 أن يقول ربى الله قالوا من هذا قيل هذا ابن أبي خنافة قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما
 وأكثر العلماء كان اسم الرجل حريقيل وقال ابن اسحق جبريل وقيل حبيب * ولما حكى الله تعالى
 عن موسى عليه السلام انه ما زاد في دفع فرعون وشركه على الاستعانة بالله تعالى بين أنه تعالى
 قبض له انساناً أجنبيّاً حتى ذب عنه بأحسن الوجوه وبالغ في تسكين تلك الفتنة فقال (أقتلوا
 رجلاً) أى هو عظيم في الرجال حساو معنى ثم علل قتلهم له بما ينافيه فقال (أن) أى لاجل
 أن (يقول) قولاً على سبيل الإنكار (ربى) أى المربى والمحسن الى (الله) أى الجامع لصفات
 الكمال (وقد) أى والحال أنه قد (جاءكم بالبينات) أى الآيات الظاهرة من غير لبس (من
 ربكم) أى الذى لا احسان عندكم الا منه ثم ذكر ذلك المؤمن بحجة ثانية على أن الاقدام على قتله
 غير جائزة وهى حجة مذكورة على طريق التقسيم فقال (وان ينك) أى هذا الرجل (كاذباً فعليه)
 أى خاصة (كذبه) أى كان وبال كذبه عليه وليس عليكم منه ضرر فأتى قوله (وان ينك صادقاً
 يصيبكم بعض الذى يعدكم) أى العذاب عاجلاً وله صدقه ينفعه ولا ينفعكم شيئاً (فان قيل) لم قال
 بعض الذى يعدكم وهو نبى صادق لا بد لما يعدهم ان يصيبهم كله (أجيب) بأنه انما قال ذلك
 لبعضهم موسى بعض حقه في ظاهرا الكلام فيريهم انه ليس بكلام من أعطاه حقه وافيا فاضلا عن
 ان يتعصب له وهذا أولى من قول أى عبيد وغيره ان بعض بمعنى كل وأنشد قول لبيد
 ترأى أمكنة اذ لم أرضها * أو تربط بعض النفوس حمامها
 وأنشد أيضا قول عمرو بن سلم

قد بدرك المتأني بعض حاجته * وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقال الآخر

ان الامور اذا الاحداث دبرها * دون الشيوخ ترى في بعضها خلا

وقوله (ان الله) أى الذى له مجامع العظمة (لا يهدى) الى ارتكاب ما ينفع واجتناب ما يضر
 (من هو مسرف) بظاهر الفساد وبها وز الحدود (كذاب) فيه احتمالان أحدهما ان
 هذا الاشارة الى الرمز والتعريض بملوشان موسى عليه السلام والمعنى ان الله تعالى هدى
 موسى عليه السلام الى الايات والمعجزات الباهرة ومن هداها الله تعالى الى الايات والمعجزات
 لا يكون مسرفاً كذا بان دل على ان موسى عليه السلام ليس من المسرفين الكذابين ثانيهما
 أن يكون المراد أن فرعون مسرف في عزمه على قتل موسى عليه السلام كذاب في ادعائه
 الالهية والله تعالى لا يهدى من هذا شأنه وصفته بل يضل ويهدم أمره * ولما استدل مؤمن
 آل فرعون على انه لا يجوز قتل موسى عليه السلام خوف فرعون وقومه ذلك العذاب الذى
 نوعدهم به في قوله يصيبكم بعض الذى يعدكم فقال (يا قوم) وعبر بأسلوب الخطاب دون التكلم
 نصريحاً بالمقصود فقال (لكم الملك) ونبه على ما يعرفونه من تقلبات الدهر بقوله (اليوم)
 وأشار الى ما عهدوه من الخذلان في بعض الازمان بقوله (ظاهرين) أى عاين على بن اسرائيل

وغيرهم وما زال أهل البلاء يتوقعون الرخاء وأهل الرخاء يتوقعون البلاء وبه يقول (في الأرض)
 أي أرض مصر على الاحتياج تهربها لهم وعزفها لانها كالأرض كلها حسنها وجمعها المنافع
 ثم حذرهم من خطئ الله تعالى فقال (فمن نصرنا) أي أنا وأنتم أدرج نفسه فيهم عند ذكر الشر
 بعد أفرادهم بالملك أبعاد التهمة وحناء على قبول النصيحة (من بأس الله) أي الذي له الملك
 كله (ان جاءنا) أي غضبنا لهذا الذي يدعى أنه أرسله فلا تقسدا وأمركم ولا تتعرضوا لبأس الله
 تعالى بقتله فإنه ان جاءنا لم ينعنا منه أحد * ولما قال المؤمن هذا الكلام (قال فرعون) أي لقومه
 جوابا لما قاله هذا المؤمن (ما أرى لكم) من الآراء (الما أرى) أي انه صواب على قدر مبلغ على
 ولا أرى لكم الا ما أرى لنفسي وقال الضحّاك ما أعلمكم الا ما أعلم (وما أهدى لكم) أي بما أشرت به
 عليكم من قتل موسى وغيره (الاسبيل الرشاد) أي الذي أرى أنه صواب لا أظهر شيئا وأبطن غيره
 ولما ظهر له هذا المؤمن أن فرعون ذل للكلامه ارتفع الى أصرح من الاسلوب الاول كما أخذ برأيه
 الله تعالى بقوله (وقال الذي آمن) أي بعد قول فرعون هذا الكلام الذي دل على عجزه وجهله
 وذله (يا قوم) وأكده لما رأى عندهم من انكار أمره وخاف منهم اتهمه فقال (انني أخاف
 عليكم) أي من المكابرة في أمر موسى عليه السلام (مثل يوم الأحزاب) أي أيام الام
 الماضية يعني وفاتهم وجمع الأحزاب مع التفسير أغنى عن جمع اليوم مع أن أفرادهم أورد
 وأقوى في التخويف وأقطع للإشارة الى قوة الله تعالى وأنه قادر على اهلاكهم في أقل زمان
 ولما أجل فصل وبين أن أوبدل بعد أن هول بقوله (مثل داب) أي عادة (قوم نوح) أي فيما
 دهمهم من الهلاك الذي محققهم فلم يطيقوه مع ما كان فيهم من قوة الجادلة والمقاومة لما
 يريدونه (وعاد ونحوه) مع ما بلغكم من جبروتهم * (تنبه) * لا بد من حذف مضاف يريد مثل
 جزاء دأبهم * ولما كان هؤلاء أقوى الامم اكنى بهم وأجمل من بعدهم فقال (والذين من
 بعدهم) أي بالقرب من زمانهم كقوم لوط (وما الله) أي الذي له الاحاطة بأوصاف الكمال
 (يريد ظلم العباد) أي فلا يهلكهم الا بعد اقامة الحجة عليهم ولا يهلكهم بغير ذنب ولا يحل الظالم
 منهم بغير انتقام وهو أبلغ من قوله تعالى وما ربك بظلام للعبيد من حيث ان المنفى فيه حدوث
 تعلق ارادته بالظلم * ولما أشرف من آفاق هذا الوعظ شمس البعث ونور الحشر قال (يا قوم اني
 أخاف عليكم) وقوله (يوم التناد) أجمع المفسرون أنه يوم البعث وفي تسميته بهذا الاسم وجوه
 أولها أن أصحاب النار ينادون أصحاب الجنة ينادون أصحاب الجنة ينادون أصحاب النار كما حكى الله
 تعالى عنهم ثم ثانيا قال الزجاج هو قوله تعالى يوم ندعو كل أناس بأمامهم ثالثها ينادي بعض
 الظالمين بعضا بالويل والنبوة فيقولون يا ويلتنا رابعها ينادون الى المهشر خامسها ينادي المؤمن
 هاؤم اقرؤا كتابه والكافر بالتي لم أوت كتابه سادسها ينادي باللعنة على الظالمين سابعها
 يجاء بالموت على صورة كس أمل ثم يذبح بين الجنة والنار ثم ينادي بأهل الجنة خلدوا فلا
 موت وبأهل النار خلدوا فلا موت ثامنها ينادي بالسعادة والشقاوة الا ان فلان بن فلان سعاد
 سعادة لا يبقى بعدها أبدا وفلان بن فلان شقي شقاوة لا يسعد بعدها أبدا وهذه الامور كلها

تجتمع في هذا اليوم فلا بد من تسميته بها كلها ولما كان عادة المتنادين بالإقبال وصف ذلك اليوم بضد ذلك لشدة الأحوال فقال تعالى مبداً وصيناً (يوم تولون) أي عن الموقف (مدبرين) قال الضحاك إذا سمعوا زفير النار ندوا هربا فلا يأتون قطراً من الاقطار الا وجدوا الملائكة صفوفاً فيرجعون الى أمما كنهم فذلك قوله تعالى والملك على أرجائها وقوله تعالى يا معشر الجن والإنس ان استطعتم ان تنفذوا من أقطار السموات والارض فانفذوا لا تنفذون الا بسلطان وقال مجاهد فارين من النار غير محجزين وقيل منصرفين عن الموقف الى النار ثم أكد التهديد بقوله تعالى (مالك من الله) أي الملك الجبار الذي لا يذل (من عاصم) أي من فئة محميكم وتنصركم وتنعكم من عذابه ثم نبه على قوة ضلالهم وشدة جهالتهم فقال تعالى (ومن يضل الله) أي الملك المحيط بكل شيء (فما له من هاد) أي الى شيء ينقذه بوجه من الوجوه (تنبيه) في قراءة هاد ما تقدم في قول من واق وما قال لهم مؤمن آل فرعون ومن يضل الله فله من هاد ذكر لهم مثلاً بقوله تعالى (ولقد جاءكم) أي جاء آباءكم يا معشر القبط ولكنه عبر بذلك دلالة على أنهم على مذهب الآباء كما جرت به العادة من التقليد ومن أنهم على طبعهم لا سيما كانوا لم يمارقوا مساكنتهم (يوسف) أي نبي الله ابن نبي الله يعقوب ابن نبي الله اسحق ابن خليل الله ابراهيم عليهم وعلى نبينا محمد أفضل الصلاة والسلام (من قبل) أي قبل زمن موسى عليه السلام (بالبينات) أي الآيات الظاهرات لاسيما في أمر يوم التناد (فما زلت) أي ما برحت أنتم تبغون بالآياتكم (فشد) أي محيط بكم لم تصلوا الى رتبة الظن (عما جاءكم به) من التوحيد وقال ابن عباس من عبادة الله وحده لا شريك له فلم تنتفعوا بالآيات تلك البينات ودل على غمادي شكهم بقوله تعالى (حتى اذا هلك) فهو غاية أي فما زلت في شك حتى هلك (قلتم لن يبعث الله) أي الذي له صفات الكمال (من بعده) أي يوسف عليه السلام (رسولاً) أي أقم على كفركم وظننتم أن الله لا يجتهد عليكم الحجة وهذا ليس اقراراً منهم برسالته بل هو ضم منهم الى الشك في رسالته والتكذيب برسالة من بعده وقوله تعالى (كذلك) خبر مبتدا مضمر أي الامر كذلك أو مثل هذا الضلال (يضل الله) أي بما له من صفات القهر (من هو مسرف) أي مشرك متعال في الامور خارج عن الحدود (مرتاب) أي شاك فيما تشهد به البينات بغلبة الوهم والانهمال في التقليد ثم بين تعالى ما لاجله بقوافي الشك والاسراف فقال سبحانه (الذين يجادلون) وهو مبتدأ أي يخاضعون خصاماً شديداً (في آيات الله) أي المحيط بأوصاف الكمال لاسيما الآيات الدالة على يوم التناد فانها أظهر الآيات وكذا الآيات الدالة على وجوده سبحانه وتعالى وعلى ما هو عليه من الصفات والافعال وما يجوز عليه أو يستعمل (بغير سلطان) أي برهان (أنهم) وقوله (كبر) أي جدهم (مقتنا) خبر المبتدأ ويجوز في الذين أوجه أيضاً منها أنه بدل من قوله تعالى من هو مسرف وانما جمع اعتباراً بمعنى من ومنها أن يكون بياناً له ومنها أن يكون صفة له وجمع على معنى من أيضاً ومنها أن ينصب باضماراً على وقال الزجاج قوله الذين يجادلون تفسير لسرف مرتاب يعني هم الذين يجادلون في آيات الله أي في ابطالها بالتكذيب

بغير سلطان أنهم ~~مكبر~~ مقتا (عند الله) أي الملك الاعظم (و) كبر مقتا أيضا (عند الذين آمنوا) أي الذين هم خاصته ودلت الآية على أنه يجوز وصفه تعالى بأنه مقت بعض عباده الانحصار في وجبة التأويل في حق الله تعالى كالغضب والحياء والعجب وقوله تعالى (كذلك) أي ومثل هذا الطبع العظيم (يطبع الله) أي الذي له جميع العظمة يدل على أن الكل من عند الله كما هو مذهب أهل السنة (على كل قلب متكبر) أي متكلف ما ليس له وليس لاحد غير الله (جبار) أي ظاهر الكبر قويه قهار وقال مقاتل الفرق بين المتكبر والجبار أن المتكبر عن قبول التوحيد والجبار في غير الحق قال الرازي كان السعادة في امرين التعظيم لامر الله والشفقة على خلق الله فعلى قول مقاتل ~~مكبر~~ كالضاد للتعظيم لامر الله والجبار كالضاد للشفقة على خلق الله وقرأ أبو عمرو وابن ذكوان بتووين الباء الموحدة ووصف القلب بالتكبر والتعجب لانه منبعضهما ~~مكبر~~ قولهم رأيت عيني وسمعت أذني أو على حذف مضاف أي على كل ذي قلب متكبر جبار فهي جند مساوية لقراءة السابقين بغير تنوين ثم إن فرعون عليه اللعنة أعرض عن جواب المؤمن لانه لم يجد فيه مطعنا (وقال فرعون يا هامان) وهو وزيره (ابن) وعرفه بشدة اهتمامه بالاضافة اليه في قوله (لى صرحا) أي بناء مكشورا غالبا لا يخفى على الناظر وان بعد من صرح الشيء إذا ظهر (لعل) أبلغ الاسباب أي التي لأسباب غيرها لعظمتها وتعليلها بالترجي الذي لا يمكن الا في الممكن دليل على أنه كان يلبس على قومه وهو يعرف الحق فان عاقلا لا يعد ما رآه في عدد الممكن العادى ولما كان بلوغها أمرا عظيما أورده على غمط مشوق اليه ليعطيه السامع حقه من الاهتمام فغضما لانه ليتشوف السامع الى بناءه بقوله (أسباب السموات) أي الامور الموصلة اليها وكل ما ذاك الى شئ فهو سبب اليه وقرأ الكوفيون بسكون الياء والباقون بالفتح وقرأ (فاطلع) حقهض نصب العين وفيه ثلاثة أوجه أحدها أنه جواب الامر في قوله ابن لى فنصب بأن مضمر بعد القاء في جوابه على قاعدة البصريين كقوله

يا ناسى سرى عنقا فسيحا * الى سليمان قدس تريحا

وهذا أوفق لمذهب البصريين فانيها قال أبو حيان انه منصوب على التوهم لأن خبر اهل جاء مقر ونا بان ~~مكبرا~~ في النظم وقليل في التثنية فن نصب توهم ان الله هل المرفوع الواقع خبرا منصوب بأن والعطف على التوهم كثير وان كان لا ينقاس اه ثالثها على جواب الترجي في لعل وهو مذهب كوفي والى هذا انما الرخصى وتبعه البيضاوى قال وهو الاول تشبيها للترجي بالتثنية والباقون بالرفع عطف على أبلغ أي فعله ليسبب عن ذلك ويتقبحه انى أنكاف الطلوع (الى الله موسى) ولعله أراد أن يبنى له صرحا في موضع عال يرصد فيه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الارضية فيرى هل فيها ما يدل على ارسال الله تعالى اياه أو ان يرى فساد قول موسى فان اخباره عن الله السماء يتوقف على اطلاع ووصوله اليه وذلك لا يتأتى الا بالهـود الى السماء وهو مما لا يقوى عليه الانسان وذلك لجلوه بالله

تعالى وكيفية أسبابه (وأنى لظنه) أى موسى عليه السلام (كاذبا) فى دعوى الرسالة
 وفى أنه الهاغوى قال فرعون ذلك غويها (وكذلك) أى مثل ذلك التزيين العظيم الشأن
 (نزين) أى زين المزين النافذ الامر وهو الله تعالى حقيقة بخلفه والزامه لأن كل ما دخل
 فى الوجود من المحدثات فهو خلقه والشيطان مجازا بالنسب بالسوسة التى هى بخلق الله
 تعالى (أفرعون سوءا) فى جميع أمره فأقبل عليه وأغاب فيه مع بعده عن عقل أقل ذوى العقول
 فضلا عن ذوى الهمم منهم فضلا عن الملوك وأطاعه فيه قومه وقرأ غير الكوفيين (وصد)
 بفتح الصاد أى نفسه ومنع غيره وقرأ الكوفيين بضمها أى منعه الله تعالى (عن السيل) أى
 طريق الهدى وهى الموصلة الى الله تعالى (وما كيد فرعون) أى فى ابطال ما جاء به موسى
 عليه السلام (الافى تباب) أى خسار وهلاك عظيم يحيط به لا يقدر على الخروج منه
 • ولما كان فساد ما قال فرعون أظهر من أن يحتاج الى بيان أعرض المؤمن عنه (وقال
 الذى آمن) أى مشيرا الى وهن قول فرعون بالاعراض عنه بقوله (يا قوم) أى يا من لا قيام لى
 الاجهم وأنا غيرهم ثم فى نصيحتهم (أتبعونى) أى كافوا أنعمكم اتباعى لأن السعادة غالباً تكون
 فيما يكره الانسان (أهدكم سبيلا) أى طريق (الرشاد) أى الهدى لانه مع سهولته واتساعه
 موصل ولا بد الى المقصود وأما ما قال فرعون مدعيا انه سبيل الرشاد فلا يصل الا الى النار
 فهو تعريض به شبيه بالتصريح به وفى هذه الإشارة الى انه ينبغي لادنى أهل الايمان أن لا يخفى
 نفسه عن الوعظ لغيره وقرأ ابن كثير باثبات الياء بعد النون وقضا ووصلا وأثبتها قالون وأبو عمرو
 وصلا لا وقضا وحذفها الباقون وصلا ووقفنا ثم أن ذلك المؤمن زهدهم فى الدنيا وكرر (يا قوم)
 كما كرر ابراهيم عليه السلام يأتى زيادة فى استطاعتهم بقوله (انما هذه الحياة) وحقرها
 بقوله (الدنيا) إشارة الى ذواتها بقوله (متاع) إشارة الى انها حبيفة لانها فى اللغة من جلة
 مدلولات المتاع فلا يتناول منها الا كما يتناول المضطر من الجبقة لانها دار النقلة والزوال
 والتزود والارتحال والاخلاد اليها هو أصل الشتر كله ومنه تشعب جميع ما يؤدى الى حفظ
 الله تعالى ويوجب الشقاوة فى العاقبة ثم رغبهم فى الآخرة بقوله (وان الآخرة) أى لكونها
 مقصودة بالذات (هى دار القرار) أى التى لا تحول منها اصلا لانها الوطن المستقر قال بعض
 العارفين لو سككت الدنيا ذهباً فاني والآخره خزفاً باقى الكانت الآخرة خيرا من الدنيا
 فكيف والدنيا خزف فان والآخرة ذهب باقى بل أشرف وأحسن وكما أن النعيم فيها دائم
 فكذلك العذاب فكان الترغيب فى نعيم الجنان والتهيب من عذاب النيران من اعظم وجوه
 الترغيب والتهيب والآية من الاحتباك ذكر المتاع أولادىلا على حذف التوسيع ثانيا
 والقرار ثانيا دليلا على حذف الارتحال أولان قال ذلك المؤمن لقومه (من عمل سيئة) أى
 ما يوسوس من أى صنف كان الذكور والاناث المؤمنين والكافرين (فلا يجزى) أى من الملك
 الذى لا ملك سواه (الا مثلهما) عدلانه لا يزداد عليهما مقدار ذرة ولا أصغر منها (ومن عمل
 صالحا) أى ولو قل (من ذكر أو أنسى وهو) أى والحال انه (مؤمن) انذلا يصح عمل بدون ايمان

(فأولئك) أي العالو الرتبة والهمة (يدخلون الجنة) أي بأمر من له الأمر كله بعد أن
تضاعف لهم أعمالهم وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وشعبة بضم الياء وفتح الخاء والباقون بفتح الباء
وضم الخاء (يرزقون فيها) أي الجنة من غير احتياج إلى تحيل ولا إلى أسباب (بغير حساب)
نخرج ما فيها لكثرة عن الحصر فإن أدنى أهلها منزلة لو أضاف كل أهل الأرض لكفاهم
من غير أن ينقص من ملكه شيء وهذا من باب الفضل وفضل الله لا حده ورحمته غلبت غضبه
وأما جزاء السيئة فمن باب العدل فلذلك وقع الحساب فيها للثايق الظلم قال الأصمعي فإذا
عارضنا عموماً والوعيد بموت الوعد ترجح الوعد بسبق الرحمة الغضب فانه مدت قواعد
المعزلة ثم كرر الوعد عليهم بقوله (ويا قوم ما) أي أي شيء من الخطوط والمصالح (ل) في أي
(أدعوك إلى العجاة) والجنة شفة عليكم ورحمة لكم واعترافا بحسبكم (وتدعونني إلى النار)
والهلاك بالكفر فلا يضمن الاحتساب ذكر العجاة الملازمة للإيمان أو لا دليل على حذف
الهلاك الملازم للكفران ثانياً والنار ثانياً لا دليل على حذف الجنة أو لا وقرآننا عن ابن كثير
وأبو عمرو وهشام بفتح ياء مالى والباقون بسكونهم وانفقوا على سكون الباء من تدعوني * ولما
أخبر ذلك المؤمن بقوله انما افهم اجمالاً عنه بقوله (تدعوني) أي توقعون دعائي إلى
معبوداتكم (لا كفر) أي لاجل ان أكرر (بالله) الذي له مجامع القهر والعز والعظمة
والكبرياء (وأشرك به) أي أجعل له شريكاً (ماليس لي به) أي بربوبية (علم) أي نوع من
العلم بصلاحية شيء من الشريك فهو دعاء إلى الكذب في شيء لاجل الاقدام عليه بالادليل
القطعي الذي لا يحتمل نوعاً من الشرك فالمراد بنبي العلم نبي الاله كانه قال وأشرك به ماليس به
وماليس به كيف يعقل جعله شريكاً له * ولما بين أنهم يدعون إلى الكفر بين أنه يدعوهم إلى
الإيمان بقوله (وأنا أدعوكم) أي أوقع دعائكم الآن وقبله بعده (إلى العزيز) أي البالغ العزة
الذي يغلب كل شيء ولا يغلبه شيء وأما فرعون فهو في غاية العجز فكيف يكون الها أو ما الأصنام
فانها أحجار منحوتة فكيف يعقل كونها آلهة وقرآننا عن ابن كثير وأبو عمرو وهشام بفتح ياء مالى
وورش بالمد لا غير والباقون بغير مد وقوله (الغفار) أي الذي يتكرر منه دائماً محو الذنوب
عشنا وأثر الإشارة إلى انه يجب عليهم أن لا يسأوا من رمة الله تعالى بسبب اصرارهم على
الشك رمة مديدة فان الاله العالم وان كان عزيز لا يغلب قادر لا يعارض لكنه غفار يغفر
كفر سبعين سنة بإيمان ساعة واحدة وقوله (لاجرم) ردلما دعوه اليه وجرم فعل بمعنى حق
وفاعله (أنما) أي الذي (تدعوني إليه) من هذه الانداد (ليس له دعوة) بوجه من الوجوه
فانه لا دار له هذا ان أريد ما لا يعقل وان أريد شيء مما يعقل فلا دعوة له مقبولة بوجه فانه
لا يقوم عليه دليل بل ولا شبهة موهمة (في الدنيا) أي التي هي محل الاسباب الظاهرة
(ولا في الآخرة) أي ليس له استجابة دعوة فيه ما قسمي استجابة الدعوة دعوة إطلاقاً لا سم أحد
المضاييق على الآخر قوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها وكقولهم كما تدين تدان وقيل
ليس له دعوة أي عبادة في الدنيا لان الاوثان لا تدعى الربوبية ولا تدعى إلى عبادتها وفي الآخرة

تبرأ من عباديها ثم قال (وَأَنْ مَرَدْنَا) أَي مَرَجَعْنَا (إِلَى اللَّهِ) أَي الذِي لَهُ الْإِحَاطَةُ بِصِفَاتِ
الْكَمَالِ فَيَجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِمَا يَسْتَحِقُّهُ (وَأَنْ الْمُسْرِفِينَ) أَي الْمَجَاوِزِينَ لِلْمُدُودِ الْغَرِيقِينَ فِي هَذَا
الْوَصْفِ قَالَ قَتَادَةُ وَهُمْ الْمُشْرِكُونَ لِقَوْلِهِ تَعَالَى (هُمْ) أَي خَاصَّةً (أَصْحَابِ النَّارِ) أَي مَلَازِمُهَا
وَعَنِ مَجَاهِدٍ السَّفَا كَوْنُ الدَّمَا بَغِيرِ حُلُمَا وَقِيلَ الَّذِينَ غَلِبَ شَرُّهُمْ هُمُ الْمُسْرِفُونَ * وَلَمَّا بَلَغَ هَذَا
الْمُؤْمِنُ فِي هَذَا الشَّأْنِ خَتَمَ كَلَامَهُ بِمُخَاطَبَةِ لَطِيفَةِ هِي قَوْلِهِ (فَسَتَذْكُرُونَ) أَي قَطْعًا وَعَدْلًا خَلَفَ
فِيهِ مَعَ الْقُرْبِ (مَا أَقُولُ لَكُمْ) حِينَ لَا يَسْتَعِظُكَ الذِّكْرُ فِي يَوْمِ الْجَمْعِ الْأَعْظَمِ وَالزَّحَامِ الَّذِي يَكُونُ فِيهِ
الْقَدَمُ عَلَى الْقَدَمِ إِذَا رَأَيْتُمُ الْأَهْوَالَ وَالنَّكَالَ وَالزَّلْزَالَ أَنْ قَبْلَتُمْ نَعْسِي أَوْ لَمْ تَقْبَلُوهُ * وَلَمَّا خَوْفَهُمْ
بِذَلِكَ تَوَعَّدُوهُ وَخَوْفُوهُ بِالْقَتْلِ فَعُولٌ فِي دَفْعِ تَحْوِيفِهِمْ وَكَرِهَهُمْ وَمَكْرَهُمْ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى بِقَوْلِهِ
(وَأَفْوَضْ) أَي أَنَا الْآنَ بِسَبَبِ أَنَّهُ لَادْعُوهُ لِفِرَاقِهِ (أُخْرَى) أَي فِيمَا تَكْرُرُهُ بِي (إِلَى اللَّهِ)
أَي الَّذِي أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ قُدْرَةً وَعِلْمًا فَهُوَ يَحْكُمُ مِنْكُمْ مَنْ شَاءَ وَهُوَ أَعْلَمُ بِهَذِهِ الطَّرِيقَةِ مِنْ
مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ خَوْفُهُ فِرْعَوْنَ بِالْقَتْلِ فَرَجَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي دَفْعِ ذَلِكَ الشَّيْءِ
إِلَى اللَّهِ تَعَالَى فَقَالَ إِنِّي عَذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكِبٍ لَا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ الْحِسَابِ وَقَدْ أُنَافِعُ
وَأَبُوعَمْرٍو بَفَتْحِ الْبَاءِ وَالْبَاقُونَ بِالسُّكُونِ * وَلَمَّا عُلِقَ تَقْوِيضُهُ بِالْأَسْمِ الْعِلْمِ الْجَامِعِ الْمُتَقَضِّي
لِلْإِحَاطَةِ عُلِلَ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ (أَنْ اللَّهُ) أَي الَّذِي لَا يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ (بَصِيرٌ) أَي بَالِغُ الْعِلْمِ (بِالْعِبَادِ)
ظَاهِرًا وَبَاطِنًا فَيَعْلَمُ مَنْ يَسْتَحِقُّ النَّصْرَةَ فَيَنْصُرُهُ لَا تَصَافُ بِهِ وَأَوْصَافُ الْكَمَالِ وَيَعْلَمُ مَنْ يَكْفُرُ فَيُرِيدُ
مَكْرَهُ عَلَيْهِ بِمَالِهِ مِنَ الْإِحَاطَةِ قَالَ مِقَاتِلٌ فَلَمَّا قَالَ هَذِهِ الْكَلِمَاتُ قَصَدَ وَقَاتِلَهُ (فَوَقَاهُ اللَّهُ) أَي
حَصَلَتْ لَهُ وَقَايَةُ نَجْيِهِ مِنْهُمْ جَزَاءً عَلَى تَقْوِيضِهِ (سَيِّئَاتٍ) أَي شِدَائِدَ (مَا مَكْرُوا) دِينًا وَدِينًا
فَنَجَّاهُ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ قَتَادَةُ وَكَانَ قِبْطِيًّا تَصَدَّقَ بِالْوَعْدَةِ سَجَّاهُ بِقَوْلِهِ تَعَالَى أَنْتُمْ وَمَنْ
أَتَيْتُمْ كَالْغَالِبِينَ * وَلَمَّا كَانَ الْمَكْرُ السَّيِّئَ لَا يَحْتَقِقُ إِلَّا بِأَهْلِهِ قَالَ تَعَالَى (وَحَاقَ) أَي نَزَلَ حِطَابًا
بَعْدَ احْطَاةِ الْإِغْرَاقِ (بِأَلِ فِرْعَوْنَ) أَي فِرْعَوْنَ وَأَتْبَاعَهُ لِأَجْلِ أَصْرَارِهِمْ عَلَى الْكُفْرِ وَمَكْرِهِمْ
هَذَا إِنْ قُلْنَا أَنَّ الْأَلَّ مُشْتَرِكٌ بَيْنَ الشَّخْصِ وَأَتْبَاعِهِ وَإِنْ لَمْ تَقُلْ ذَلِكَ فَالْحَاقَةُ بِفِرْعَوْنَ مِنْ
يَابِ أُولَى لِأَنَّ الْعَادَةَ جَرَتْ أَنْهَ لَا يُوَصَّلُ إِلَى جَمِيعِ أَتْبَاعِ الْإِنْسَانِ إِلَّا بَعْدَ إِذْلالِهِ وَأَخْذِهِ (سَوْءُ
الْعَذَابِ) أَي الْفَرْقُ فِي الدُّنْيَا وَالنَّارِ فِي الْآخِرَةِ (فَإِنْ قَبْلَ) قَوْلِهِ تَعَالَى وَحَاقَ بِأَلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ
الْعَذَابِ مَعْنَاهُ أَنَّهُ رَجَعَ إِلَيْهِمْ مَا هُمُ وَأَبَوْهُ مِنَ الْمَكْرِ بِالْمُسْلِمِينَ كَقَوْلِ الْعَرَبِ مَنْ حَضَرَ لَأَخِيهِ جَبَا
وَقَعَّ فِيهِ مِنْشَكَا فَإِذَا قُضِيَ سُوءُ الْعَذَابِ بِالْفَرْقِ فِي الدُّنْيَا وَنَارِ جَهَنَّمَ فِي الْآخِرَةِ لَمْ يَكُنْ مَكْرَهُمْ
رَاجِعًا إِلَيْهِمْ لِأَنَّهُمْ لَا يَعْذِرُونَ بِذَلِكَ (أَجِيبُ) بِأَنَّهُمْ هُمُ الْبَاشِرَاتُ فَاصْبِرْ مَا وَقَعَ عَلَيْهِمْ اسْمُ السُّوءِ
وَلَا يَشْتَرِطُ فِي الْحَقِيقِ أَنْ يَكُونَ الْحَاقِقُ ذَلِكَ السُّوءَ بَعِيْنَهُ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (النَّارُ) فِي أَعْرَابِهِ ثَلَاثَةٌ
أَوْجُهُ أَحَدُهَا أَنَّهُ يَدُلُّ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ قَالَهُ الزَّجَّاجُ ثَانِيهَا أَنَّهُ خَبَرٌ مَبْتَدَأٌ مَحْذُوفٌ أَي هُوَ أَى
سُوءُ الْعَذَابِ النَّارِ لِأَنَّهُ جَوَابُ لِسْوَالٍ مُقَدَّرٌ وَقَوْلُهُ تَعَالَى (يَعْرَضُونَ) عَلَى هَذَيْنِ الْوَجْهَيْنِ
يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ حَالًا مِنَ النَّارِ وَأَنْ يَكُونَ حَالًا مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ ثَالِثُهَا أَنَّهُ مَبْتَدَأٌ وَخَبَرُهُ يَعْرَضُونَ
(عَلَيْهَا عَادُوا وَعَشِيَا) أَي صَبَّاحًا وَمَسَاءً قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ أَرْوَاحُ آلِ فِرْعَوْنَ فِي أَجْوَابِ

طيور سود يعرضون على النار كل يوم مرتين تقعدو وتروح الى النار ويقال يا آل فرعون
 هذه منازلكم حتى تقوم الساعة وقال قتادة تعرض روح كل كافر على النار بكرة وعشيا
 مادامت الدنيا وروى ابن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن أحدكم إذا مات عرض
 عليه مقعده بالفداء والعشي أن كان من أهل الجنة فن أهل الجنة وإن كان من أهل النار
 فن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يعثك الله تعالى اليه يوم القيامة * ثم أخبر الله تعالى عن
 مستقر آل فرعون يوم القيامة بقوله سبحانه وتعالى (ويوم تقوم الساعة) يقال لهم (ادخلوا
 آل) أي يا آل (فرعون) أي هو بنفسه واتباعه لاجل اتباعهم له فيما أضلهم به (أشد
 العذاب) وهو عذاب جهنم أجازنا الله تعالى نحن وأحبنا ما منها فإنه أشد بما كانوا فيه أو أشد
 عذاب جهنم وهذه الآية تنص على إثبات عذاب القبر كما نقل عن عكرمة ومحمد بن كعب وقرأ
 نافع وحفص وحزرة والكسائي بقطع الهمزة مفتوحة وكسر الحاء وصلوا ببدء على أمر
 الملائكة بادخالهم النار والباقيون يصل الهمزة وضم الخاء وصلوا في الابتداء بضم الهمزة
 واختلف في العامل في قوله تعالى (واذ) على ثلاثة أوجه أحدها أنه معطوف على غدوا
 فيكون معمولاً ليعرضون على النار في هذه الاوقات كلها قاله أبو البقاء ثانيها أنه معطوف على
 قوله إذا القلوب لدى الحناجر قاله الطبري ونظريه لبعدهما بينهما وثالثها أنه منصوب بانتمار
 اذ كراي واذا كراي أشرف الخلق لقومك اذ (يتحاجون) أي الكفار (في النار) أي يتخاصمون
 فيها أتباعهم ورؤسائهم محالين فيهم (فيقول الضعفاء) أي الاتباع (للذين استكبروا)
 أي طلبوا أن يكونوا كبراء هم الرؤساء (أنا كالكلم) أي دون غيركم (تبعاً) أي أتباعكم كبرتم
 على الناس بنا (فهل أنتم) أيها الكبراء (مفتون) أي كافون ومجترئون وحاملون (عنا)
 نصيباً من النار * (تنبيه) تبعاً اسم جمع لتابع وشوهم خادم وخادم قال البغوي والتابع
 يكون واحداً وجمعاً في قول أهل البصرة واحدة تابع وقال الكوفيون هو جمع لا واحدة
 وجمعه أتباع وقيل أنه مصدر واقع موقع اسم الفاعل أي تابعين وقيل مصدر واحد كنه على
 حذف مضاف أي ذوى تبع ونصيباً منصوب بفعل مقدر يدل عليه قولهم مفتون وتقديره
 هل أنتم دافعون عنا نصيباً وقيل منصوب على المصدر قال البغوي كما كان شيئاً كذلك ألا ترى
 الى قوله تعالى لن تغني عنهم أموالهم ولا أولادهم من الله شيئاً في موضع غنى فكذلك نصيباً
 ومن النار صفة لنصيباً (قال الذين استكبروا) أي من شدة ما هم فيه (أنا كل) أي نحن
 وأنتم (فيها) فكيف تغني عنكم ولوقدرنا أغنيانا عن أنفسنا (إن الله) أي المحيط
 بأوصاف الكمال (قد حكم) بالعدل (بين العباد) أي فادخل أهل الجنة دارهم وأهل
 النار دارهم فلا يغني أحد عن أحد شيئاً فعند ذلك يحصل اليأس للاتباع من التبعين
 فيرجعون كلهم الى خزنة جهنم يسألونهم كما حكى الله عنهم بقوله سبحانه وتعالى (وقال الذين
 في النار) أي جميعا الاتباع والمتبعون (لخزنة جهنم) أي لخزنتها فوضع جهنم موضع
 الخضر للتحويل أولبيان محلهم فيها حال البياض ويحتمل أن تكون جهنم أبعد درجاتها

من قولهم يترجهم أي بكسر الجيم والهاء وتشديد النون بعبد القعر وقال بعض أهل اللغة هي مشتقة من الجهومة وهي الغلظة سميت بذلك لغلظ عذابها وهي بحمة منعت من الصرف للتعريف والحجمة وقيل عريسة ومنعت من الصرف للتعريف والتثنية (ادعوا ربكم) أي المحسن اليكم بأنكم لا تجدون المأمن النار (يخفف عنا يوماً) أي قدر يوم (من العذاب) أي شيئاً فبما ظرف يخفف ومنفعول يخفف أي يخفف عنا شيئاً من العذاب في يوم ويجوز أن يكون من العذاب هو المفعول ليخفف ومن تبعيضه ويوماً ظرفاً سألوا أن يخفف عنهم بعض العذاب لانه في يوم مالا في كل يوم ولا في يوم معين (قالوا) أي الخزنة لهم (أو لم تلك نأسيكم) على سبيل التجدد شيئاً في أثر شيء (رسلكم) أي الذين هم منكم وأنتم جديرون بالاصغاء اليهم والاقبال عليهم لأن الجنس إلى الجنس أميل والانسان من مثله أقبل (بالبينات) أي التي لا شيء أوضع منها أرادوا بذلك الزامهم الحجة وتوبيخهم على اضعافهم أوقات الدعاء وتعطيلهم أسباب الاجابة وقرأ أبو عمرو وبسكون السين والباقون بضمة هاو كذلك رسلنا ورسلهم (قالوا) أي الكفار (بلى) أي أنونا كذلك (قالوا) أي الخزنة لهم (فادعوا) أي أنتم فانا لا نشفع لكافر (ومادعاء الكافرين) أي الذين سقروا أمر أي عقولهم عن أنوار الحق (الافضل) أي ذهاب في غير طريق موصل كما كانوا في الدنيا كذلك فان الدنيا من رعة الآخرة من زرع شيئاً في الدنيا حصده في الآخرة والآخرة ثمرة الدنيا لا تثمر الا من جنس ما غرس في الدنيا وفي هذا اقتناطهم عن الاجابة * ولما ذكر تعالى وقاية موسى عليه السلام وذلك المؤمن من مكروفرعون وقومه من بقوله تعالى (آنا) أي بآلنا من العظمة (لننصر رسلنا) أي على من عاداهم (والذين آمنوا) أي اسموا بهذا الوصف (في الحياة الدنيا) أي بالزامهم طريق الهدى الكفيلة بكل فوز وبالجنة والغلبة وان غلبوا في بعض الاحيان فان العاقبة تكون لهم ولو بأن يقبض الله تعالى لاعدائهم من يقتص منهم ولو بعد حين وقل أن ~~تتمكن~~ أعداؤهم من كل ما يريدون منهم (ويوم يقوم الاشهاد) وهو جمع شاهد كصاحب وأصحاب والمراد بهم من يقوم يوم القيامة للشهادة على الناس من الملائكة والانبيا والمؤمنين أما الملائكة فهم الكرام الكاتبون يشهدون للرسول بالتبليغ وعلى الكفار بالكذب وأما الانبياء عليهم الصلاة والسلام فقال تعالى فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيداً وأما المؤمنون فقال تعالى وكذلك جعلناكم أمة وسطاً لتكونوا شهداء على الناس وقوله تعالى (يوم) بدل من يوم قبله أو بيان له أو نصب باضمار أعني يوم (لا تنفع الظالمين) أي الذين كانوا عريقين في وضع الاشياء في غير موضعها (معدرتهم) أي اعتذارهم (فان قيل) هذا يدل على أنهم يذنبون الاعذار ولكن تلك الاعذار لا تنفعهم فكيف هذا مع قوله تعالى ولا يؤذن لهم فيعتذرون (أجيب) بأن هذا لا يدل على أنهم ذكروا الاعتذار بل ليس فيه الا ان ليس عندهم عذر مقبول وهذا لا يدل على أنهم ذكروه أم لا وأيضا يوم القيامة يوم طويل فيعتذرون في وقت ولا يعتذرون في وقت آخر وقرأ نافع والكوفيون بالياء التحية والباقون بباء الخطاب

(ولهـ) أي خاصة (اللغة) أي البعد عن كل خير مع الاهانة بكل ضير (ولهـ) أي خاصة (سوء الدار) أي الآخرة أي أشد عذابها * ولما بين تعالى أنه ينصر الانبياء والمؤمنين في الدنيا والآخرة ذكر نوعان أنواع تلك النصرة في الدنيا فقال تعالى (ولقد آتينا) أي بالثامن العزة (موسى الهدى) أي ما يهتدى به في الدين من المعجزات والعصاف والشرائع (وأورثنا) أي بالثامن العظمة (بني اسرائيل) أي بعدما كانوا فيه من الذل (الكتاب) أي الذي أنزلناه عليه وآتينا الهدى به وهو التوراة آتينا هو الارث لا ينزعهم فيه أحد وتوارثوه خلفا عن سلف ولا أهل له في ذلك الزمان غيرهم وأورثناه لهم من بعد موسى عليه السلام حال كونه (هدى) أي بياناً عاماً لكل من تبعه (وذكرى) أي عظة عظيمة (لاولى الالباب) أي القلوب الصافية والعقول الواقية الشافية * ولما بين تعالى أنه ينصر رسوله وينصر المؤمنين في الدنيا والآخرة وضرب المثال في ذلك بحال موسى عليه السلام خاطب بعد ذلك محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (فاصبر) أي يا أشرف الخلق على أذى قومك كما صبر موسى عليه السلام على أذى فرعون (إن وعد الله) أي الذي له الكمال كله (حق) أي في إعطائهم دينك وإهلاك أعدائك قال الكلبي تنبخت آية القتل آية الصبر وقوله تعالى (واستغفر لذنبك) أما أن يكون المصدر مضافاً للمفعول أي لذنب أمتك في حقلك وأما أن يكون ذلك تعبداً من الله تعالى ليزيده به درجة وليصير سنة يستنبه من بعده (وسبح بحمد ربك بالعشي) هو من بعد الزوال (والابكار) قال الحسن رضي الله عنه بمعنى صلاة العصر وصلاة الفجر وقال ابن عباس رضي الله عنهما الصلوات الخمس وذلك أن العشي من زوال الشمس إلى غروبها والابكار من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس ولما بدأ بالرد على الذين يجادلون في آيات الله واتصل الكلام ببعضه ببعض على الترتيب المتقدم إلى هاتين آيتين على الماهية التي تحمل الكفر على تلك المجادلة فقال تعالى (إن الذين يجادلون) أي يناصرون العداوة (في آيات الله) أي الملك الأعظم الدالة على تمام قدرته اللازم منه قدرته على البعث الذي في تذكرة صلاح الدين والدنيا (بغير سلطان) أي برحمة (أناهم) أي ما (في صدورهم) أي بصددهم عن سواء السبيل قال ابن عادل ما حلهم على تكذيبك (الأكبر) أي تكبر عن الحق وتعظم عن التفكير والتعلم وآذن ذكر الصدور دون القلوب بعظمه جده فإنه قد ملا القلوب وقاض منها حتى شغل الصدور التي هي مساكنها (ماهم يالغيه) قال مجاهد ما هم يبالغ في مقتضى ذلك الكبر لأن الله تعالى مذهبه وقال ابن قتيبة إن في صدورهم الاكبر على محمد صلى الله عليه وسلم وطمع أن يغلبوه وما هم يبالغ في ذلك قال المفسرون نزات في اليهود وذلك أنهم قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن صاحبنا المسيح بن داود يعنون الدجال يخرج في آخر الزمان فيبلغ سلطانه البر والبحر ويرد الملك علينا قال الله تعالى (فاستعذ) أي اعصم (بالله) أي المحيط بكل شيء من فتنة الدجال ونكيد من يحسدك ويغيب عليك وغير ذلك كما عاذه به موسى عليه السلام لينجز لك ما وعدك به كما أنجز له ثم علل ذلك بقوله تعالى (أنه هو) أي

وحده (السميع) أى لا قو لهـم (البصير) أى لا فعـال لهـم ولما وصف تعالى جـد الهـم
 فى الآيات بأنه بفسير سلطان ولا حجة كرهـذا منا لا فقال (خالق السموات) أى على عظمتها
 وارتفاعها وكثرة منافعها واتساعها (والارض) أى على ما ترون من عجائبا وكثرة
 منافعها (أكبر) عند كل من يعقل (من خلق الناس) أى خلق الله تعالى لهم لانهم شعبة
 يسيرة من خلقه ما فعلم قطعا أن الذى قدر على ابتدائه مع عظمه قادر على إعادة الناس على
 حقارتهم (ولكن أكثر الناس) وهم الذين يشكرون البعث وغيره (لا يعلمون)
 أى لا علم لهم أصلا بل هم كالبهائم لغلبة الغفلة عليهم * (تنبيه) * تقدير هذا الكلام أن
 الاستدلال بالشئ على غيره ينقسم ثلاثة أقسام أحدها أن يقال لما قدر على الاضعف
 وجب أن يقدر على الاقوى وهذا فاسد ثانيها أن يقال لما قدر على الشئ يقدر على مثله فهذا
 الاستدلال صحيح لما ثبت فى الأصول أن حكم الشئ حكم مثله ثالثها أن يقال لما قدر على
 الاقوى الاكمل قدر على الاقل الازل بالاولى وهذا الاستدلال فى غاية الصحة والقوة ولا يرتاب
 فيه عاقل البتة ثم ان هؤلاء القوم يسلمون أن خالق السموات والارض هو الله تعالى ويعلمون
 بالضرورة أن خلق السموات والارض أكبر من خلق الناس وكان من حقهم أن يقرروا بأن
 القادر على خلق السموات والارض يكون قادرا على إعادة الانسان الذى خلقه أولا فهذا
 برهان كلى فى افادة هذا المطلوب ثم ان هذا البرهان على قوته صار لا يعرّفه أكثر الناس والمراد
 منه الذين يشكرون الحشر والشرك فظهر به هذا المثال ان هؤلاء الكفار يجادلون فى آيات الله
 بغير سلطان انما هم ولا حجة بل بمجرد الحسد والكبر والغضب * ثم لما بين تعالى أن الحدال
 المقرون بالكبر والحسد والجهل كيف يكون وان الحدال بالجهل والبرهان كيف يكون تنبيه
 تعالى على الفرق بين البيانين بذكر مثال فقال تعالى (وما يستوى) أى بوجه من الوجوه من
 حيث البصر (الاعمى والبصير) أى وما يستوى المستدل والجاهل المقلد (والذين آمنوا) أى
 أوجدوا حقيقة الايمان (وعملوا الصالحات) أى تحقيقا لا بجانهم (ولا المسىء) أى وما يستوى
 الحسن والمسىء فلا زائدة للتوكيد لانه لما طال الكلام بالصلة بعد قسم المؤمنين أعاد معه
 لا توكيدا والمراد بالاول التفاوت بين العالم والجاهل وبالثانى التفاوت بين الاتى بالاعمال
 الصالحة وبين الاتى بالاعمال السيئة الباطلة * ولما تقرّر هذا على هذا النحو من الوضوح الذى
 لا مانع للانسان من فهمه ورسوخه قال تعالى (قل لا ما يذكرون) أى يعجز المجادلون وان كانوا
 يعلمون أن العلم خير من الجهل وأن العمل الصالح خير من العمل القاسد الا أنه قليل ما يذكرون
 قبين فى النوع الاول المعنى من الاعتقاد أنه علم أوجهل وفى النوع الثانى المعنى من العمل انه
 عمل صالح وأفسد * (تنبيه) * التقابل يأتى على ثلاث طرق احدها أن يجاوب والمناسب
 ما يناسبه كهذه الآية والثانية أن يتأخر المتقابلان كقوله تعالى مثل الفريقين كالاعمى
 والاصم والبصير والسميع الثالثة أن يقدم مقابل الاول ويؤخر مقابل الآخر كقوله تعالى
 وما يستوى الاعمى والبصير ولا الظلمات ولا النور كل ذلك نغتنى فى البلاغة وقدم الاعمى فى نفي

التساوى لجهنمه بعد صفة الذم في قوله ولكن أكثر الناس لا يعلمون وقرأ الكوفيون بالتاء على تغليب المخاطب أو الالتفات للمذكورين بعد الاخبار عنهم أو أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالمخاطبة والباقيون بياء الغيبة نظرا لقوله تعالى ان الذين يجادلون وهم الذين التفت اليهم في قراءة الخطاب * ولما قرر الدليل على امكان وجود يوم القيامة أرفده بالاخبار عن وقوعها فقال تعالى (ان الساعة) أى القيامة التى يجادل فيها المجادلون (آتية) أى للحكم بالعدل بين المسيح والمحسن لانه لا يسوغ فى المحكمة عند أحد من الخلق أن يساوى بين محسن عبيده ومسيئهم (لأريب) أى لاشك (فيها) أى فى اتيانها * ولما حصل الحال فى أمرها الى حد اخفاء به أصلاننى الايمان دون العلم فقال تعالى (ولكن أكثر الناس لا يؤمنون) أى لا يصدقون بها وماذا الا لعناد بعضهم ولقصور نظر الباقين على الحس * (تنبيه) * يأتى قبل قيام الساعة قتن أعظمها فتنة المسيح الدجال فعن هشام بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما بين خلق آدم عليه السلام الى قيام الساعة أكبر من خلق الدجال معناه أكبر فتنة وأعظم شوكة من الدجال وعن ابن عمر رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكر الدجال فقال انه أعور وعين اليمنى كأنها غيبة طافية ولا يداود والترمذى عنه قال قام رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الناس فأثنى على الله تعالى بما هو أهله ثم ذكر الدجال فقال انى أنذركم وما من نبي الا أنذركم ولكن سأقول لكم فيه قولاً لم يقله نبي لقومه تعلمون أنه أعور والله سبحانه ليس بأعور وعن أنس رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من نبي الا أنذركم وأتمته الأعور الدجال الا وانه أعور وان ربكم ليس بأعور مكتوب بين عينيه كافر وفى رواية مسلم بين عينيه لف ف ر يقرؤه كل مسلم وعن أسماء بنت يزيد الانصارية قالت كان رسول الله صلى الله عليه وسلم فى بيتى فذكر الدجال فقال ان بين يديه ثلاث سنين تسلك السماء ثلاث قطرها والارض ثلاث نباتها والثانية تسلك السماء ثلاث قطرها والارض ثلاث نباتها والثالثة تسلك السماء قطرها والارض نباتها كله فأتى ذات ظلف ولا ذات خرس من البهائم الاهلك ومن أشد فتنته أن يأتى الاعرابى فيقول أ رأيت ان أحييت لك أهلك الست تعلم انى ربك فيقول بلى فيمثل له مثل ابله ككأحسن ما تكون ضرعا وأسمة وبأتى الرجل قد مات أخوه ومات أبوه فيقول ان أحييت لك أباك وأحييت لك أهلك ألست تعلم انى ربك فيقول بلى فيمثل له الشيطان نحوأبيه ونحوأخيه قالت ثم خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم لحاجته ثم رجع والقوم فى اهتمام وغم مما حدثهم فأخذ يلحمى الباب فقتل مهيأ أسماء قتلت بارسول الله قد خلعت أفست تباذكر الدجال قال ان يخرج وأنا نأحى فأنا حجيجه والارضى خليفتى على كل مؤمن قالت فقلت بارسول الله انالنجن بحيفنا فما تخبره حتى نجوع فكيف بالمؤمنين حينئذ قال يجزيهم ما يجزى أهل السماء من التسبيح والتقديس وروى البغوى بسنده عنها أنها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يمكث الدجال فى الارض أربعين سنة السنة كالشهر والشهر كالجمعة والجمعة كالיום واليوم كاضطرام السعة فى النار انتهى والذي جاء فى صحيح

مسلم قالت قالت يا رسول الله ما مكنه في الارض قال أربعون يوما يوم كسفته ويوم كشره
 ويوم كجحه وسائر أيامه كما يأمكم قلنا يا رسول الله فذلك اليوم الذي كسفته يكن فينا فيه صلاة
 يوم قال لا أقدر والله قدرنا قلنا يا رسول الله وما اسراعه في الارض قال كالكفيت استدبرته
 الريح وفي رواية أبي داود فبن أدركه منكم فليقرأ عليه قوائح سورة الكهف فانها
 جواركم من فتنته ومنه ثم ينزل عيسى عليه السلام عند المذابة البيضاء مشرق دمشق فيدركه
 عند باب الدقية قتله وعن حذيفة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان مع
 الدجال اذا خرج ما عوارا فأما الذي يرى الناس أنه نار فماء بارد وأما الذي يرى الناس أنه
 ماء فنادي تحرق فبن أدرك ذلك منكم فليقع في الذي يرى الناس أنه نار فانه ماء عذب بارد
 وعن أبي هريرة ألا حدثتكم حديثا عن الدجال ما حدثت به نبي قومه انه أعور وانه يحيى
 بمثل الجنة والنار قال يقول انه الجنة هي النار واني أنذركم كما أنذروا نوح قومه وعن المغيرة بن
 شعبه قال ما سألت أحدا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الدجال أكثر ما سأله وانه قال لي
 ما يضرك قلت انهم يقولون ان معه جبال خبز ونهر ماء قال هو أخون على الله من ذلك أي
 أهون على الله من أن يجعل ما خلق الله بيده مضللا لمؤمنين ومضللا لكافرين بل
 انما جعله الله تعالى ليزدادوا إيمانا وتثبت الحجة على الكافرين والمنافقين وليس معناه ليس
 معه شيء من ذلك لما مر في الحديث ان معه ما عوارا واذكر فيه أحاديث كثيرة وفي هذا
 القدر تذكرة لاولى الالباب أجازنا الله تعالى وأحبنا من فتنته آمين * ولما بين تعالى ان
 القول بالصيام حق وكان من المعالوم بالضرورة ان الانسان لا يتنفع في يوم القيامة
 الا بطاعة الله والتضرع اليه لاجرم كان الاشتغال بالطاعة من أهم المهمات * ولما كان أشق
 انواع الطاعات الدعاء والتضرع لاجرم أمر الله تعالى به فقال سبحانه (وقال ربكم) أي
 المحسن اليكم يهديكم ويهديكم وعدكم النصر (ادعوني) أي اعبدوني ودون غيري (استجب لكم)
 أي أجبكم واغفر لكم بقرينة قوله تعالى (ان الذين يستكبرون) أي يوجدون الكبر
 (عن عبادتي) أي عن الاستجابة لي فيمادعوت اليه من العبادة بالمجادلة في آياتي والاعراض عن
 دعائي (سيدخلون) أي يوعدا لخلف فيه (جهنم) فتلقاهم جزاء على كفرهم بالتجهم والعبوسة
 والكراهة (داخرين) أي صاغرين حقيرين ذليلين وان فسر الدعاء بالسؤال كان الاستسكار
 الصارف عنه منزلا منزلة للمبالغة والمراد بالعبادة الدعاء فانه من أبوابها وروى عن أنس ان
 النبي صلى الله عليه وسلم قال الدعاء مع العبادة وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله
 صلى الله عليه وسلم قال من لم يسأل الله تعالى يغضب عليه (فان قيل) انه صلى الله عليه وسلم قال
 حكاية عن ربه عز وجل من شغلته ذكرى عن مسئلتى اعطينه أفضل ما أعطى السائلين فهذا يقتضي
 ان ترك الدعاء أفضل فكيف من لم يسأل الله يغضب (أجيب) بأنه ان كان مستغفرا في
 الشئ على الله تعالى فهو أفضل من الدعاء لان الدعاء يطلب الجنة والاستغفار في معرفة الله تعالى
 وجلاله أفضل من طلب الجنة والا فالدعاء أفضل وعن النعمان بن بشير قال سمعت رسول الله

صلى الله عليه وسلم يقول على المنبر الدعاء هو العبادة ثم قرأ الآية (فان قيل) كيف قال تعالى
 ادعوني استجب لكم وقد يدعوا الانسان كثيرا فلا يستجاب له (أجاب) الكعبى بأن الدعاء انما يصح
 بشرط ومن دعا كذلك استجيب له وذلك الشرط هو ان يكون المطلوب بالدعاء مصلحة وحكمة ثم
 سأل نفسه فقال ان الله تعالى يفعل ما هو الاصلح بغير دعاء فمافائدة الدعاء وأجاب عنه بان فيه
 القزع والانتفاع الى الله تعالى وأجاب الرازى عن الاول بأن كل من دعا الله تعالى وفي قلبه ذرة
 من الاعتماد على ماله وجهه وأصدقائه واجتهاده فهو في الحقيقة مادعا الله تعالى الا باللسان وأما
 القلب فهو يقول في تحصيل ذلك المطلوب على غير الله تعالى فهذا الانسان مادعا به وأما اذا
 دعا في وقت لا يكون القلب فيه ملتفتا الى غير الله تعالى فالظاهر أنه يستجاب له اه وقال
 القشيري الدعاء مفتاح الاجابة واسنانه لقمة الحلال وقرأ ابن كثير وشعبة بضم ياء سيدخلون وفتح
 الخاء والباقون بفتح الباء وضم الخاء ولما أمر الله تعالى بالدعاء فكانه قيل الاشغال بالدعاء
 لا بد وأن يكون مسبوقا بحصول المعرفة فما الدليل على وجود الاله القادر فقال تعالى مفتتحا
 بالاسم الاعظم (الله) أى المحيط بصنات الكمال (الذى جعل لكم) لا غيره (الدليل) أى مظلما
 (لتسكنوا فيه) راحة ظاهرة بالنوم الذى هو الموت الاصغر وراحة حقيقية بالعبادة التى هى
 الحياة الدائمة (والنهار مبصرا) لتشرق وافيه باليقظة التى هى احياء بالمعنى فالآية من الاحتياط
 حذف الظلام أولا لانه ليس من النعم المقصودة في نفسه المادى عليه من الابصار والذى هو
 المقصود من نعمة الضياء المقصود في نفسه وحذف الانتشار لانه بعض ما ينشأ عن نعمة الابصار
 للمادى عليه من السكون الذى هو المقصود الاعظم من الليل للراحة لمن ارادها والعبادة لمن
 اعتمدها واستزادها (فان قيل) هلا قيل بحسب رعاية النظم هو الذى جعل لكم الليل لتسكنوا
 فيه والنهار تبصروا فيه أو يقال جعل لكم الليل ساكنا والنهار مبصرا وليكنه لم يقل ذلك
 فما الحكمة فيه وفي تقديم ذكر الليل (أجيب) عن الاول بأن الليل والنوم في الحقيقة طبيعة
 عدمية فهو غير مقصود بالذات وأما النور واليقظة فأمر وجودية مقصودة بالذات وقد بين
 الشيخ عبد القادر في دلائل العجز ان دلالة صيغة الاسم على التمام والكمال أقوى من دلالة
 صيغة الفعل عليها فهذا هو السبب في الفرق (وأجيب) عن الثانى بأن الظلمة طبيعة عدمية
 والنور طبيعة وجودية والعدم في المحدثات مقدم على الوجود فلهذا السبب قال تعالى في سورة
 الانعام وجعل الظلمات والنور (ان الله) أى ذا الجلال والاكرام (لذوق فضل) أى عظيم جدا
 باختباره (على الناس) أى كافة باختلاف الليل والنهار وما يحتويان عليه من المنافع (ولكن أكثر
 الناس لا يشكرون) الله فلا يؤمنون وينسبون افعاله سبحانه الى غيره جهلا ويعملون بما
 يسلب عنهم اسم الشكر من الشرك وغيره (فان قيل) ما الحكمة في قوله تعالى ولكن أكثر الناس
 لم يقل ولكن أكثرهم ولا يكثر ذكر الناس (أجيب) بأن في هذا التكرار تخصيصا للكفران
 النعمة بهم وانهم هم الذين يكفرون فضل الله تعالى ولا يشكرونه كقوله تعالى ان الانسان لظالم
 ككفاره ولما بين تعالى تلك الدلائل المذكورة وجود الاله القادر قال تعالى (ذلكم) أى

ايها المخاطبون (الله) أي الملك الاعظم المعلوم لكل احد المتبرع عن كل شئ بالافعال التي لا يشترك فيها أحد (ربكم) أي الرب ليكم المحسن اليكم (خالق كل شئ) أي بما ثبت من تمام قدرته لانه (لا اله الا هو) أي هو الجامع لهذه الاوصاف من الالهية والربوبية فهي أخبار مترادفة واذا كان خالق كل شئ (فأني) أي فكيف ومن أي وجه (توفكون) أي تصرفون عن عبادته الى عبادة غيره (كذلك) أي مثل هذا الصرف البعيد عن مناهج العقلاء (يؤمن) أي بصرف (الذين كانوا) أي مطبوعين على أنهم (بآيات الله) أي ذى الجلال والكمال (يجمعون) أي ينكرون عنادا ومكابرة * ولما كان دلائل وجوده تعالى ائمان تكون من دلائل الاتفاق وهي غير الانسان وهي أقسام وذكر منها أحوال الليل والنهار كما تقدم ذكر أيضا منها ههنا الارض والسماء فقال تعالى (الله) أي الذي له الاحاطة الكاملة بكل شئ (الذي جعل) أي وحده (لكم الارض) أي مع كونها فراشا عمدا (قرارا) مع كونها في غاية الثقل ولا تمسك لها سوى قدرته (والسماء) أي على علوها وسعته مع كونها أفلا كدائرة بنجوم طول الزمان سائرة ينشأ عنها الليل والنهار والاطلام (بناء) مظلة كالقبة من غير عمد وحامل * ثم ذكر دلائل النفس وهي دالة أحوال بدن الانسان على وجود الصانع القادر الحكيم بقوله تعالى (ومصوركم) والتصوير على غير نظام واحد لا يكون الا بقدرة قادر تام القدرة مختار (فأحسن صوركم) على أشكال وأحوال مع أنها أحسن الصور ليس في الوجود ما يشبهها لم يخلق الله تعالى حيوانا أحسن صورة من الانسان كما قال تعالى في أحسن تقويم قال ابن عباس رضى الله عنه ما خلق الانسان فأتممها بعد لا يأكل ويتناول بيده وغير ابن آدم يتناول بفيه * ولما ذكر تعالى المساكن والسكن ذكر ما يحتاج اليه في مدة السكن فقال سبحانه (ورزقكم من الطيبات) أي الشهية الملائمة للطباع وقيل هو ما خلق الله تعالى لعباده من المأكول والمشرب من غير رزق الدواب وعن الحسن انه قال ما خلق الله تعالى آدم عليه السلام وذريته قالت الملائكة عليهم السلام ان الارض لاتسعهم قال الله تعالى فانه جاعل موتا قالوا اذ آلهنألهم العيش قال تعالى فاني جاعل أملا * ولما دل هذا على التفرد قال تعالى على وجه الاتحاج (ذلكم) أي الرفيع الدرجات (الله) أي المالك لجميع الملك (ربكم) أي المحسن اليكم لا غيره (فتبارك) أي ثبت ثباتا عظيما مع البين والخير وحسن المدد والقبض (الله) المحتص بالكمال (رب العالمين) كلهم فهو المحسن اليهم بالتربية وغيرها * ثم نبه تعالى بقوله سبحانه (هو الحي) بما يفيد الحصر بأنه لا حي على الدوام الا هو ثم نبه تعالى على وحدانيته بقوله سبحانه (لا اله الا هو) ثم أمر العباد بالاخلاص في الدعاء فقال تعالى (فادعوه) أي اعبدوه (مخلصين له الدين) أي من كل شرك جلي أو خفي * ولما كان تعالى موصوفا بصفات الجلال والعزة استحق لذاته أن يقال له (الحمد) أي الاحاطة بأوصاف الكمال (الله) أي المسمى بهذه الاسم الجامع لجميع معاني الاسماء الحسنى (رب العالمين) أي الذي رباهم هذه التريسة وقال القراء هو خير وفيه اضممار الامر ومجازه فادعوه واحمدوه وعن ابن عباس

رضى الله عنهم من قال لا اله الا الله فليقل على أثرها الحمد لله رب العالمين * ولما أورد على
 المشركين تلك الأدلة الدالة على إثبات اله العالم أمره بقوله تعالى (قل) أى لهؤلاء الذين
 يجادلونك في البعث مقابلاً لانكارهم بالتوكيد (انتهيت) أى من لانتهى لغيره نهيها عما
 يبراهن العقول ونهيها خاصة بأدلة النقل (أن أعبد الذين تدعون) أى تعبدون (من دون
 الله) أى الذى له الكمال كله قال البقاعى ودل على أنه ما كان متعبداً قبل البعثة بشرع أحد
 بقوله (لما جئني بالبينات) أى الحجج وهى ما تقدم من الدلائل الدالة على أن اله العالم قد ثبت كونه
 موصوفاً بصفات الجلال والعظمة وصريح العقل يشهد بأن العبادة لالتليق بالاله وأما الاحجار
 المخونة والاشخاب المصورة فلا تصح أن تكون شركاء له * ثم نبه على أنه تعالى كما يستحق الافراد
 بالعبادة لذاته يستحقها شكر الاحسانه بقوله (من ربي) أى المربي لى تربية خاصة هى أعلى من
 كل مخلوق سوى فانا أعبد عبادة تفوق عبادة كل عابد * ولما أمره بما ينهى عنه أمره بما يتولى
 به فقال (وأمرت أن أسلم) أى حين دعى الى الكفر (لرب العالمين) لان كل ما سواه مربوب له
 فالاقبال عليه خسار واذانتهى صلى الله عليه وسلم عن ذلك وأمرهم بهذا الصكون الأمر
 والناهى هو رب العالمين كان غيره مشاركاً له في ذلك لا محالة * ولما استدل تعالى على إثبات
 الالهية بدليل الآفاق وذكر منها الليل والنهار والارض والسماء ثم ذكر الدليل على إثبات اله
 القادر بخلق الانفس وهو نوعان أحدهما حسن الصورة ورزق الطيبات ذكر النوع الثانى
 وهو كيفية تكوين البدن من ابتداء كونه نقطة وحينئذ الى آخر الشجوخة والموت فقال
 تعالى (هو) أى لا غيره (الذى خلقكم من تراب) أى بخلق أياكم آدم عليه السلام منه قال
 الرازى وعندى الحاجة الى ذلك لان كل انسان فهو مخلوق من المني ومن دم الطمث والمني
 مخلوق من الدم والدم انما يتولد من الاغذية والاعذية اما حيوانية واما نباتية والحال في ذلك
 الحيوان كالحال في تكوين الانسان فكانت الاغذية كلها منتهية الى النبات والنبات انما
 يكون من التراب والماء فنبت أن كل انسان متكون من التراب ثم أن ذلك التراب يصير نقطة كما
 قال تعالى (ثم من نقطة) أى من منى (ثم من علقه) أى دم غليظ متباعد حله عن حال النقطة
 كما كان حال النقطة متباعد عن حال التراب (ثم) بعد ان جرت شئون أخرى (يخرجكم) أى
 يجدد اخرجكم شيئاً بعد شئ (طفلاً) أى أطفالا والتوحيد لا رادة الجنس أو على تأويل كل
 واحد منكم لا تخلقون شيئاً ولا تعلمون شيئاً (ثم) يدرجكم في مدارج التربية صاعدين بالقوة
 في أوج الكمال طوراً وبعده طوراً لا بعد حال (لتبلغوا أشدكم) أى تكامل قوتكم من
 الثلاثين سنة الى الأربعين وعن الشعبي مفر الغلام لسبع سنين ويحتلم لأربع عشرة وينتهي
 طوله لأحدى وعشرين وينتهى عقله لثمان وعشرين ويبلغ أشده لثلاث وثلاثين (ثم)
 يهبطكم بالضعف والوهن في مهاوى السفل (لتسكنوا شيوعاً) ضعفاً غرباء قدماء
 قوتكم ووهنت أركانكم وقرأ نافع وأبو عمرو وهشام وحفص بضم السين والباقون
 بكسرهما (ومنكم من يتوفى) يقبض روحه (من قبل) أى قبل حال الشجوخة وقبل حال

الاشدية أو قبل هذه الاحوال اذا خرج * (تنبيه) * قوله تعالى لتبلغوا أشدكم متعلق قال
 الزمخشري بفعل محذوف تقديره ثم يقيقكم لتبلغوا أشدكم وكذلك لتكونوا أو أما قوله (ولتبلغوا)
 أى كل واحد منكم (أجلامسى) فعناه ويفعل ذلك لتبلغوا أجلامسى وهو وقت الموت
 وقيل يوم القيامة (ولهلكم تعقلون) أى ما فى ذلك من العبر والحجج وتستدلون بهذه
 الاحوال العجيبة على وحدانية الله تعالى * ولما ذكر تعالى انتقال الاجسام من كونهم تاربا الى
 ان بلغت الشجوخة واستدل بهذه التقديرات على وجود الاله القادر أن يخرج قوله تعالى (هو)
 أى لا غيره (الذى يحيى ويميت) كإتجاهه ونه فى أنفسكم فكأن الانتقال من صفة الى صفة
 أخرى من الصفات المتقدمة يدل على الاله القادر فكذلك الانتقال من الحياة الى الموت
 وبالعكس يدل على الاله القادر * ولما كانت ارادته لا تكون الانامة تسبب عن ذلك قوله
 تعالى (فاذا قضى أمرا) أى أراد أى أمر كان من القيامة أو غيرها (فأنما يقول له كن
 فيكون) فلا يحتاج فى تكوينه الى عدة وتجهش كفة وقرأ ابن عامر بنصب النون والباء قون
 بالرفع وتقدم توجيه ذلك فى سورة البقرة ثم انه تعالى عاد الى ذم الذين يجادلون فى آيات الله
 مخاطبا بذلك نبيه صلى الله عليه وسلم فقال (ألم تر) أى يا أئور الناس قلبا وأصفاهم لبنا (الى
 الذين يجادلون) أى بالباطل (فى آيات الله) أى الملك الاعظم (أنى) أى كيف ومن أى وجه
 (يصرقون) أى عن التصديق وتكرير ذم المجادلة بعد المجادل والمجادل فيه أو للتوكيد وقوله
 تعالى (الذين كذبوا) يجوز أن يكون بدلا من الموصول قبله أو بيانا أو نهئا وخبره بتمه محذوف
 أو منصوبا على الذم (بالكتاب) أى بسببه فى جميع ماله من الشؤون التى تفوق الحصر وهو
 القرآن أو بجنس الكتب السماوية (وبما أرسلنا) أى على ما لنا من العظمة (به رسلنا) أى
 من جميع الملل والشرائع بكتاب كان أو بغيره ولذا نسب عنه تمه يديهم فى قوله تعالى (فسوف
 يعلمون) أى بوعده صادق لا خلف فيه ما يحل بهم من سطواتنا وقوله تعالى (إذا اغلغ
 فى أعناقهم) ظرف ليعلمون (فان قيل) سوف للاستقبال وأذ لماضى فهو مثل قولك سوف
 أصوم أمس (أجيب) بأن المعنى على اذا الا ان الامور المستقبلة لما كانت فى اخبار الله
 تعالى متيقنة مقطوعة عما عبر عنها بلفظ ما كان ووجد والمعنى على الاستقبال قالوا كما تقع
 اذا موقع اذنى قوله تعالى واذا رأوا تجارة أو لهوا انقضوا اليها كذلك تقع اذ موقعها وقوله
 تعالى (والسلاسل) عطف على الاغلال فتكون فى الاعناق والسلاسل معروفة أو مبتدأ
 خبره محذوف تقديره فى ارجلهم وخبره (يسهبون) والعائد محذوف أى بهما والسهب الجر
 بعنف والسهب من ذلك لان الريح تجبره أو انه يجبر الماء (فى الحميم) أى الماء الحار الذى
 يكسب الوجوه سوادا والاعراض عارا والارواح عذابا والاجسام نارا (ثم فى النار يسهرون)
 أى يلقون فيها أو توقد بهم مكر دسيسة كما يسهر التنوير بالخطب كما قال تعالى وقودها الناس
 والحجارة والسهير الخليل الذى يسهر فى مودة خليله كقولهم فلان يحترق فى مودة فلان هذه
 كيفية عقابهم (ثم قيل لهم) تسكين أى بعد ان طلل عذابهم وبلغ منهم كل مبلغ ولم يجدوا

قوله وأكد التعبير
الح كذا في النسخ
ولا يفتي ما فيه هـ

ناصر يخلصهم ولا نافعاً يخلصهم (أين) وأكد التعبير عنهم بأداة ما لا يعقل في قوله تعالى
(ما كنتم) أي دائماً (تسركون من دون الله) أي معه وهي الاصنام (قالوا ضلوا) أي غابوا
(عنا) فلا نراهم كما ضلنا نحن في الدنيا عما ينفعنا وذلك قبل أن يقرن آلهتهم وأضاعوا علمنا
نجد منهم ما كنا توقع منهم (بل لم تكن تدعو) أي لم يكن ذلك في طباعنا (من قبل) أي قبل
هذه الاعادة (شياً) لنكون قد أشركناه أنكر وعبادتهم أياها كقولهم في سورة الانعام
والله ربنا ما كنا مشركين وقال الحسن بن الفضل أي لم تكن نصنع من قبل شيئاً أي ضاعت
عبادتنا كما يقول من ضاع علمه ما كنت أعمل شيئاً ثم يقرنون بآلهتهم كما قال تعالى انكم
وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أي وقودها (كذلك) أي مثل اضلال هؤلاء
المكذبين (يضل الله) أي المحيط علماً وقدرته عن القصد النافع من حجة وغيرها (الكافرين)
أي الذين ستر امراني بصائرهم لئلا ينجلي فيهم الحق ثم صار لهم ذلك ديدناً (ذا لكم) أي الجزاء
العظيم (بما كنتم) أي دائماً (تفرحون) أي بالفرح في السرور وتستغفرون فيه
(في الأرض بغير الحق) من الاشرار وانكار البعث فأشعر ذلك أن السرور لا ينبغي الا اذا
كان مع كمال هذه الحقيقة وهي الثبات دائماً للفرح به وذلك لا يكون الا في الجنة (وبما) أي
وبسبب ما (كنتم تفرحون) أي بالفرح مع الاشرار والبطر والنشاط الموجب
للاختيال والتجبر والخفة بعدم احتمال الفرح * (تنبيه) * قوله تعالى تفرحون وتفرحون
من باب التخييس المحرف وهو أن يقع الفرق بين اللفظين بجرف * ولما كان السياق لثم الجدل
وكان الجدل انما يكون عن التكبر قال تعالى (ادخلوا) أي أيها المكذبون (أبواب جهنم)
أي الأبواب السبعة المقسومة لكم قال تعالى لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم
وسميت جهنم لانها الملقى صاحبها تكبر وعيوس ونجهم (خالد بن فيما) أي مقدرين الخلود
(فبئس مثوى) أي مأوى (المتكبرين) أي عن الحق والمخصوص بالذم محذوف أي مثواكم
(فان قبل) كان قياس النظم أن يقول فبئس مدخل المتكبرين كما تقول زرت بيت الله فنعيم
الزار وصليت في المسجد فنعيم المصلي (أجيب) بان الدخول لا يدوم وانما يدوم المثوى فلذلك
خصه بالذم وان كان الدخول أيضاً مذموماً * ولما زيف تعالى طريقة الجادلين في آيات الله أمر
نبيه صلى الله عليه وسلم بالصبر بقوله (فاصبر) أي على أذاهم بسبب المجادلة وغيرها (ان وعد
الله) أي الجامع لصفات الكمال (حق) أي بنصرتك في الدارين فلا بد من وقوعه (فأما
زيتك) قال الزخشرى أصله فان زك وما يزيد لتأكيده معنى الشرط ولذلك ألحق
النون بالفعل لاتراك لا تقول ان تكرمني أكرمك ولكن امان تكرمني أكرمك قال أبو حيان
وما ذكره من تلازم النون وما الزائدة ليس مذهب سيوريه انما هو مذهب المبرد والزجاج
ونص سيوريه على التعبير (بعض الذي نعدم) به من العذاب في حياتك وجواب الشرط
محذوف أي فذلك (أو توفيتك) أي قبل تعذيبهم (فالبناير جهنم) أي فذهبهم أشد
العذاب فالجواب المذكور للمعطوف فقط (ولقد أرسلنا) أي بما لنا من العظمة (رسلاً)

أى بكثرة (من قبلك) الى أمهم ليلغوا عننا ما أمرناهم به (منهم من قصصنا) بما لنا من العظمة
 (عليك) أى أخبارهم وأخبار أمهم (ومنهم من لم نقصص عليك) لأخبارهم ولا أخبار
 أمهم ولا ذكرناهم لك بأسمائهم وان كان لنا العلم التام والقدرة الكاملة روى أن الله تعالى
 بعث غياة آلاف نبى أربعة آلاف من بنى اسرائيل وأربعة آلاف من سائر الناس (وما) أى
 أرسلناهم والحال انه ما (مكان لرسول) أصلا (أن يأتى بآية) أى ملحمة أو غير ملحمة مما
 يطلب الرسول استجبالا لاتباع قومه له أو اقتراحا من قومه عليه (الاباذن الله) أى بأمره
 وعيونه فان له الاحاطة بكل شئ فلا يخسر شئ عن أمره وهم عبيد مر بوبون * (تنبيه) *
 معنى الآية أن الله تعالى قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم أنت كارسل من قبلك وقد ذكرنا
 حال بعضهم لك ولم تذكر حال الباقين وليس منهم أحد أعطاه الله آيات ومعجزات الا وقد جادله
 قومه وكذبوه فيها فصبروا وكانوا أبدأ يقترحون على أنبيائهم عليهم السلام اظهار المعجزات
 الزائدة على الحاجة عنداد وعينا وما كان لرسول أن يأتى بآية الا باذن الله تعالى والله سبحانه
 علم الصلاح في اظهار ما أظهره ودون غيره ولم يقدح ذلك في نبوتهم فكذلك الحال في اقتراح
 قومك عليك المعجزات الزائدة فلما لم يكن اظهارها صلاحا لاجرم ما أظهرناها (فاذا جاء أمر
 الله) أى المحيط بكل شئ وقدرته وعلمنا نزول العذاب على الكفار (قضى) أى بأمره على أسير
 وجه وأسله بين الرسل ومكذبيهم (بالحق) الامر الثابت (وخسر هنالك) أى في ذلك الوقت
 العظيم (المبطلون) أى المنسوبون الى ايشار الباطل على الحق المعاندون الذين يجادلون
 في آيات الله فيقترحون المعجزات الزائدة على قدر الحاجة تغشوا وعينا وقرأ فالون واليزى وأبو
 عمرو وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصر وسهل ورش وقيل الهمزة الثانية وأبدلها أيضا
 ألفا وقرأ الباقون بتحقيق الهمزتين * ولما ذكر تعالى الوعد عادى الى ذكر ما يدل على وجود
 الاله القادر الحكيم والى ذكر ما يصلح أن يعدا انعاما على العباد فقال تعالى (الله) أى الملك الاعظم
 (الذى جعل لكم) أى لاغيره (الانعام) أى الأزواج الثمانية بالتدليل والتسخير وقال
 الزجاج الانعام الابل خاصة (لتركبوها منها) وهى الابل مع قوتها ونفرتها وقد تركب
 البقر أيضا (ومنها) أى من الانعام كلها (تأكلون) ولما كان التصرف فيها غير منضبط
 أجله بقوله تعالى (ولكم فيها) أى كلها (منافع) أى كثيرة بغير ذلك من الدر والوبر والصوف
 وغيرها (ولتبغوا عليها) وهى فى غاية الذل والطواعية وفيهم على نقصهم وعظم نعمته عليهم
 بقوله تعالى (حاجة) أى جنس الحاجة وقوله تعالى (فى صدوركم) اشارة الى أن حاجة
 واحدة ضاقت عنها قلوب الجميع حتى فاضت منها فلا تمسكها (وعليها) أى الابل
 فى البر (وعلى الفلك) أى فى البحر (تحمّلون) أى تحملون أمتعتكم الثقيلة من مكان
 الى مكان آخر وأما حمل الانسان نفسه فقدمت بالركوب (فان قيل) لم لم يقل وفى الفلك كما قال
 تعالى فى سورة هود قلنا حمل فيها من كل زوجين اثنين (أجيب) بأن كلمة على للاستعلاء
 فالشئ الذى يوضع على الفلك كما صرح أن يقال وضع فيه صرح أن يقال وضع عليه ولما صرح

الوجهان كانت لفظة على أولى حتى تتم المزاوجة في قوله تعالى وعليها وعلى الثقلان محمدان
وقال بعضهم ان لفظ فيها هناك ألقى لان سفينة نوح عليه السلام كما قيل مطبقة عليهم وهي محطة
بهم كالوعاء وأما غيرها فالاستعلاء فيه واضح لان الناس على ظهرها * ولما كانت هذه آية عظيمة
جعلها الله سبحانه وتعالى مشتملة على آيات كثيرة قال تعالى (ويرىكم) أى في كل لحظة
(آياته) أى دلائل قدرته (فأى آيات الله) أى المحيط بصفات الكمال الدالة على وحدانيته
(تذكرون) حتى تتوجه لكم المجادلة في آياته وهذا الاستفهام توبيخ * (تنبيه) * أى منصوب
بتذكرون وقدم وجوبه بالان له صدر الكلام وتذكيره أشهر من تأنيبه قال الزمخشري وقولك
فأية آيات الله قلدل لان التفرقة بين المذكر والمؤنث في الاسماء غير الصفات نحو سحر وسحارة
غريب وهو في أى أغرب لابهامه قال أبو حيان ومن قلة تأنيث أى قول الشاعر
بأى كتاب أم بأية سنة * ترى جهنم عار على ونحسب

قال ابن عادل وقوله وهو في أى أغرب ان عنى أيا على الاطلاق فليس يصح لان المستفيض
في السدء ان تؤنث في نداء المؤنث كقوله تعالى يا أيها النفس المطمئنة ولأن علم أحد اذكر
تذكيره فيه فيقول يا أيها المرأة الا صاحب البديع في الصو وان عنى غير المادة فكلامه صحيح
يقول تأنيها في الاستفهام وموصولة وشرطية * ولما وصل الامر الى حد من الوضوح لا يخفى
على أحد تسبب عنه لفت الخطاب عنهم دلالة على الغضب الموجب للعقاب المنتضى للرهب فقال
تعالى (أفلم يسيرا) أى هؤلاء الذين هم أضل من الانعام لما حصل في صدورهم من الكبر العظيم
طلباً للرئاسة والتقديم على الغير في المال والجاه (في الارض) أى أرض كانت سبب اعتبار
(فينظروا) فظهر تفكير فيما سلكوه من سبلها ونواحيها (كيف كان عاقبة) أى آخر (الذين من
قبلهم) أى مع قرب الزمان والمكان أو بعد ذلك (كلوا أكرمهم) عددا وعددا وما لا وجها
(وأشد قوة) في الابدان كقوم هود عليه السلام وبناء (وأنا را في الارض) بنحت البيوت
في الجبال وحفر الابار وبناء المصانع الجليلة وغير ذلك (فأغنى عنهم ما كانوا يكسبون) بقوة
أبدانهم وعظم عقولهم واحتمالهم وماربوا من المصانع لنجاتهم حين جاءهم الموت بل كانوا
كأمن الذاهب * (تنبيه) * ما الأولى نافية واستفهامية منصوبة بأغنى والثانية موصولة
أو مصدرية مرفوعة به (فلما جاءتهم رسالهم) أى الذين قد أرسلناهم اليهم وهم يعرفون صدقهم
وأماناتهم (بالبينات) أى المعجزات الظاهرات الدالة على صدقهم للاحالة واختلاف في عود
ضيق فرحوا في قوله تعالى (فرحوا بما عندهم من العلم) على وجهين أحدهما أنه عائد الى
الكفار واختلف في ذلك العلم الذي فرحوا به ف قيل هو الاشياء التي كانوا يسمعونها علماء وهي
الشبهات المحكية عنهم في القرآن كقولهم ما يملكنا الا الدهر وقولهم لو شاء الله ما أشركنا
ولا آباءنا وقولهم من يحيى العظام وهي رميم ولئن رددت الى ربي لأجدن خيرا منها من قبلي
فكانوا يفرحون بذلك ويدفعون به علوم الانبياء كما قال تعالى كل حزب بما لديهم فرحون
وقيل المراد علم الفلاسفة فانهم كانوا اذا سمعوا بوحى الله تعالى دفعوه وصغروا علوم الانبياء

عن علومهم كما روى عن بشرط أنه سمع عجمي بعض الانبياء عليهم السلام فقيل له لو هاجرت اليه
فقال نحن قوم مهتدون فلا حاجة بنا الى من يهدينا وقيل المراد عليهم بأمر الدنيا ومعرفة
تدبيرها كقوله تعالى يعلمون ظاهر من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ذلك مبلغهم
من العلم فلما جاءت الرسل عليهم السلام بعلوم الديانات ومعرفة الله عز وجل ومعرفة المعاد
ونظهير النفس من الرذائل لم يلتفتوا اليها واستهزؤا بها واعتقدوا أن لا علم أنفع وأجلب
للقوائد من علمهم فقرحوا به ويجوز أن يكون المراد علم الانبياء وفرح الكفار به فحكهم
واستهزؤهم به ويؤيده قوله تعالى (وحاق) أي أحاط على وجه الشدة (بهم) ما كانوا به
يستزؤون أي من الوعيد الذي كانوا قاطعين بطلانه والوجه الثاني أنه عاند على الرسل وفيه
وجهان أحدهما أن نزع الرسل إذا رأوا من قوم جهلا كملأوا عراضا عن الحق وعلموا سوء
غظمتهم وما يلحقهم من العقوبة على جهلهم واعراضهم فرحوا بما أتوا من العلم وشكروا الله
تعالى وحاق بالجاهلين جزاء جهلهم واستهزأ بهم الثاني أن المراد أن الرسل فرحوا بما عند
الكفار من العلم فرح ضحك واستهزأ (فلما رأوا) أي عاينوا (بأسنا) أي عذابنا الشديد
ومنه قوله تعالى بعذاب نبئس (قالوا آمنا بالله) أي الذي له مجامع العظمة ومعاهد العز ونفوذ
الكلمة (وحده) لا نشرك له شيئا (وكفرنا بما كنا) أي جبلة وطبعنا (به مشركين) يعنون
الاصنام أي لا ناعلمنا أنه لا يغني من دون الله شيء * ولما كان الكفر الغيب سببا لعدم قبول
الايان عند الشهادة قال تعالى (فلم يك ينفعهم) أي لم يصح ولم يقبل بوجه من الوجوه
(ايمانهم) أي لا يتجدد لهم نفعه بعد ذلك لانه ايمان الجاه واضطرار لا ايمان طوعية واختيار
(لما رأوا) وأظهر موضع الانحمار زيادة في الترهيب فقال تعالى شأنه (بأسنا) أي عذابنا
لا ممتنع قبول الايمان حينئذ لانه لا يتحقق ولا يتصور الامع الغيب وأما عند الشهادة فقد
كشفت سريرة على أنه قد فاته حقيقة صورته ولورث العاد والمأنوع (فان قيل) أي
فرق بين قوله تعالى فلم يك ينفعهم ايمانهم وبينه لو قيل فلم ينفعهم ايمانهم (أجيب) بأنه من كان
في نحو قوله تعالى ما كان لله أن يتخذ من ولد والمعنى فلم يصح ولم يستقم أن ينفعهم ايمانهم
(فان قيل) كيف ترادفت هذه الفاات (أجيب) بأن قوله تعالى فما أغنى عنهم نتيجة قوله
تعالى كانوا أكفر منهم وأما قوله تعالى فلما جاءتهم رسلهم فجار مجرى البيان والتقسيم لقوله
تعالى فما أغنى عنهم كقولك رزق زيد المال فنع المعروف فلم يحسن الى الفقراء وقوله تعالى
فلما رأوا وبأسنا نابع لقوله تعالى فلما جاءتهم كأنه قال فكفروا فلما رأوا وبأسنا آمنوا فكذلك
فلم يك ينفعهم ايمانهم تابع لايمانهم لما رأوا وبأس الله تعالى وقوله تعالى (سنت الله) أي
المالك الاعظم يجوز ان تصابها على المصدر المؤكد لمضمون الجملة أي الذي فعله الله تعالى
بهم سنة سابقة من الله تعالى ويجوز ان تصابها على التصدير أي احذر واسنة الله تعالى
في المكذبين (التي قد خلت في عباده) وذلك السنة انهم اذا عاينوا العذاب آمنوا
ولم ينفعهم ايمانهم (فائدة) رسمت سنة بناء مجرورة ووقف عليها ابن كثير وأبو عمرو

والكسائي بالهاء والباقون بالتاء وأمال الكسائي الهاء في الوقف (وخسر) أي هلك أي
تحقق وتبين أنه خسر (هناك الكافرون) أي العريقون في هذا الوصف فلا انفكاك بينهم
وبين الكفر * (تنبيه) * هذا لك في الأصل اسم مكان قيل استعير هذا الزمان ولا حاجة له
فالمكانية فيه ظاهرة وقول البيضاوي تبعاً للزمخشري عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة المؤمن لم يبق روح نبي ولا صديق ولا شهيد ولا مؤمن الأصلي عليه واستغفر له حديث
موضوع وعن ابن سيرين رأى رجلاً في المنام سبع جوارح سان في مكان واحد لم ير أحسن
منهن فقال له من أنتن فقلن لمن يقرأ آل حم

﴿سورة حم السجدة مكية﴾

وتسمى فصلاً وهي أربع وخمسون آية وسبعمائة وتسعة وتسعون كلمة وثلاثة آلاف وثلاثمائة
وخمسون حرفاً (بسم الله) الذي له أوصاف الكمال (الرحمن) الذي وسع كل شيء رحمة
وعلماً (الرحيم) الذي فصل الكتاب تفصيلاً وبينه غاية البيان وتقدم الكلام على قوله تعالى
(حم) ثم إن جعلها اسماً للسورة كانت في موضع الابتداء وخبره (تنزيل من الرحمن الرحيم)
وان جعلتها تعديداً للعروف كان تنزيل خبر المبتدأ المحذوف أي هذا تنزيل وقال الأخفش
تنزيل رفع بالابتداء وخبره (كتاب) فصلت وجرى على ذلك الجلال المحلى (فصلت) أي
بينت (آياته) بالأحكام والقصاص والمواعظ ياناً شافياً في اللفظ والمعنى حال كونه (قرآناً)
أي جامعاً مع التفصيل وهو مع جمع اللفظ وضبطه منشوراً للؤلؤ منشراً للمعاني لا إلى حد ولا نهاية
عد بل كمدقق النظر جلّ المفهوم ولذلك قال تعالى (عريباً) لأن لسان العرب أوسع
اللسن ساحة وأعماقها عمقا وأعمرها باحة وأرفعها بناء وأفصحها لفظاً وأبينها معنى وأجلها
في النفوس وقعا وفي ذلك امتنان لسهولة قراءته وفهمه وقوله تعالى (لقوم يعلمون) أي
العربية أولاً هل العلم وهو النظر وهو متعلق بفصل أي فصلت لهؤلاء وبينت لهم لأنهم هم
المتفهمون بها وان كانت مفصلة في نفسها لجميع الناس أو معدّوف صفة لقرآناً أي كائنات
لهؤلاء خاصة لما تقدم من المعنى * (تنبيه) * حكّم الله تعالى على هذه السورة بأشياء أولها
كونها تنزيلاً والمراد المنزل والتعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور كقولك هذا بناء الأمير
أي مبني وهذا الدرهم ضرب السلطان أي مضروب ومعنى كونها منزلة أن الله تعالى كتبها في
ال لوح المحفوظ وأمر جبريل عليه السلام أن يحفظ الكلمات ثم ينزل بها على محمد صلى الله عليه
وسلم ويؤذيها إليه فلما حصل تفهم هذه الكلمات بواسطة جبريل عليه السلام سمى لذلك
تنزيلاً وثانيها كون ذلك التنزيل من الرحمن الرحيم وذلك يدل على أن ذلك التنزيل نعمة عظيمة
من الله تعالى لأن الفعل المقرون بالصفة لابتدأ وأن يكون مناسباً لتلك الصفة فكونه تعالى
رحمنا رحمة صفتان دالتان على كمال الرحمة والتنزيل المضاف إلى هاتين الصفتين لابتدأ وأن
يكون دالاً على أعظم وجوه الرحمة والنعمة والامر كذلك لأن الخلق في هذا العالم كل مرضى

والمحتاجين والقصرآن مشتمل على كل ما يحتاج اليه المرضى من الادوية وعلى ما يحتاج اليه
الاصحاء من الاغذية فكان أعظم النعم من الله تعالى على أهل هذا العالم انزال القرآن عليه
وثالثها كونه كتابا وهذا الاسم مشتق من الكتب وهو الجمع فسمى كتابا لانه جمع فيه علوم
الاولين والآخرين ورابعها قوله تعالى فصلت آياته أى ميزت وجعلت تفاصيل في معان
مختلفة فبعضها اوصف ذات الله تعالى وصفات التنزيه والتقديس وشرح كمال قدرته وعلمه
وحكمته ورحمته وبعثت أحوال خلقه من السموات والكواكب وتعاقب الليل والنهار
وبعثت أحوال النبات والحيوان والانسان وبعضها في المواعظ والنصائح وبعضها
في تهذيب الاخلاق ورياضة النفس وبعضها في قصص الانبياء عليهم السلام وتواريخ
المسامين وبالجملة فمن أنصف علم أنه ليس في بدء الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل
ما في القرآن وخامسها قوله تعالى قرآنا وقد مر ترجمه هذا الاسم وسادسها قوله تعالى عريا
أى انما نزل بلغة العرب ويؤيده قوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه وسابعها
قوله تعالى لقوم يعلمون أى جعلناه قرآنا لأجل اننا أرسلناه على قوم عرب بالمعتم ليفهموا منه
المراد وثامنها وتاسعها قوله تعالى (بشيرا) أى لمن اتبع (ونذيرا) أى لمن امتنع وانقطع
وعاشرها قوله تعالى (فاعرض أكرمهم) أى عن تدبره وقبوله (فهم) لذلك (لا يسمعون)
أى يفعلون فعل من لم يسمع لانهم لا يسمعون سماع تأمل وطاعة فهذه صفات عشر وصف الله
تعالى القرآن بها وأصح الفاعلون بخلق القرآن بهذه الآية من وجوه أولها أنه تعالى وصف
القرآن بكونه منزلا وتنزيلا والمنزل والتنزيل مشعر بالتغير من حال الى حال فوجب أن يكون
مخلوقا ثانيا أن التنزيل مصدر هو المفعول المطلق باتفاق النحويين ثالثها أن المراد بالكتاب
اما الكتاب وهو المصدر الذى هو المفعول المطلق واما المكتوب الذى هو المفعول رابعها
ان قوله تعالى فصلت آياته يدل على أن متصرفا تصرف فيه بالتفصيل وذلك لا يليق بالقديم
خامسها انما سمى قرآنا لانه قرن بعض أجزاءه ببعض وذلك يدل على كونه مفعول فاعل
ومجوعول جاعل سادسها وصفه بكونه عربيا وانما صحت هذه النسبة لان هذه الالفاظ انما دلت
على هذه المعانى بحسب وضع العرب واصطلاحاتهم وما حصل بجعل جاعل وفعل فاعل فلا بد
وأن يكون محدثا ومخلوقا وأجاب أهل السنة بأن كل هذه الوجوه المذكورة عائدة الى اللغات
والى الحروف والكلمات وهى حادثة وذهب قوم الى أن فى القرآن من سائر اللغات كالا سترق
والسهيل فانهم فارسيان والمشكاة فانها حبشية والقسطاس فانه من لغة الروم وهذا فاسد
لقوله تعالى قرآنا عربيا وقوله تعالى وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه * ولما وصف الله
تعالى القرآن بأنهم أعرضوا عنه ولم يلتفتوا اليه بين أنهم صرّحوا بهذه النقرة وذكر ثلاثة
أشياء مذكورة عنهم فى قوله تعالى (وقالوا) أى عند اعراضهم عنهم فى عدم قبولهم
(قلوبنا فى أكنة) أى أغشية محبطة بها والاكنة جمع كان كأغشية جمع غطاء والكان هو الذى
يجعل فيه السهام والمعنى لانفقه ما نقول (مما تدعوننا) أيها الخبر بأنه نبي (اليه) فلا

سبيل الى الوصول اليها المتبعة أصلاً (فان قيل) هلا قالوا على قلوبنا كنه كما قالوا
 (وفي آياتنا) أى التى نسمع بها وهى أحد الطرق الموصلة الى القلوب (وقر) أى نقل قد
 أصمها عن سماعه ليكون على غط واحد (أجيب) بأنه على غط واحد لانه لا فرق فى المعنى بين
 قولك قلوبنا فى كنه وعلى قلوبنا كنه والدليل عليه قوله تعالى انا جعلنا على قلوبهم أكنة
 ولو قيل انا جعلنا قلوبهم فى أكنة لم يختلف المعنى والمعنى انا فى ترك القبول عنك بمنزلة من لا يفهم
 ولا يسمع (ومن بيننا وبينك حجاب) أى حاجز من جبل أو نحوه فلا تلاقى ولا ترائى (فاعمل)
 أى على دينك (انشاء عاملون) على ديننا أو فاعمل فى ابطال أمرنا اننا عاملون فى ابطال أمرنا
 (فان قيل) هل زيادة من فى قولهم من بيننا وبينك حجاب فائدة (أجيب) بنعم لانهم لو قالوا
 وبيننا وبينك حجاب لكان المعنى ان حجابا حاصل وسط بين الجهتين واما بزيادة من فالمعنى أن
 الحجاب ابتداء مننا وابتداء منك فالمسافة المتوسطة لجهتنا وجهتك كما هي مستوعبة بالحجاب
 لا ذراع فيها * ولما أخبر ربنا عن انهم وعلى ابعادهم فهم هم المادعوا اليه أمر الله سبحانه وتعالى بنبيه
 محمد أصلى الله عليه وسلم بجواب بين أنهم على محض العناد فقال تعالى (قل) اى لهؤلاء الذين
 عجزوا عن رد شئ من أمرنا بشئ يقبله ذو عقل فادعوا ما ينادى عليهم بالعجز (انما أنا بشر مثلكم)
 أى لست غير بشر مما لا يرى كالمالك والجنى بل واحد منكم والبشر يرى بعضهم بعضا ويسمعه
 ويصمعه فلا وجه لما تقولونه أصلاً (وحي الى) أى بطريق تخفى عليكم ولولا الوحي مادعوتكم
 (أنما اللهمكم) أى الذى يستحق العبادة (الواحد) لا غير واحد وهذا مادلت عليه
 الفطرة الاولى السوية وقامت عليه الادلة العقلية وأيدتها فى كل عصر الطرق العقلية وانه قد
 عليه الاجماع فى أوقات الضرورة النفسانية قال الحسن علم الله تعالى التواضع * ولما
 قطع حجهم وأزال علمهم تسبب عن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم (فاستقيموا اليه) أى غير
 معوجين أصلاً على نوع شرك بشقيع ولا غيره وعدى بالى لتضمنه معنى توجهوا والمعنى
 وجهوا استقامتكم اليه بطاعته ولا تميلوا عن سبيله (واستغفروه) أى اطلبوا
 منه غفران ذنوبكم وهو محو ما عينا وأزاحى لاتعاقبوا عليها ولا تعاتبوا بالنادم عليها
 والاقلاع عنها حالاً وما لا ثم تدعى ذلك فقال (وويل) كلمة عذاب أو واد فى جهنم
 (للمشركين) أى من فرط جهالتهم واستخفافهم بالله تعالى (الذين لا يؤتون الزكاة) أى
 لجهلهم وعدم اشفاقهم على الخلق وذلك من أعظم الذائل (وهم بالآخرة) أى الحياة التى
 بعده ولا بعد لها (هم كافرون) واحتج من قال ان الكفار مخاطبون بفروع الشريعة
 بهذه الآية فتناولوا ان الله تعالى وعدهم بأمرين أحدهما كونهم مشركين والثانى لا يؤتون
 الزكاة فوجب أن يكون لكل واحد من هذين تأثير فى حصول الوعيد وذلك يدل على ان اهدم
 آية الزكاة مع الشرك تأثيراً عظيماً فى زيادة الوعيد وهو المطلوب (فان قيل) لم خص تعالى
 من أوصاف المشركين منسج الزكاة مقروناً بالكفر بالآخرة بأن أحب شئ الى
 الانسان ماله وهو شقيق روحه فاذا بذله فى سبيل الله فذلك أقوى دليل على ثباته واستقامته

وصدق فيته ونصوح طويته ألا ترى الى قوله تعالى ومنزل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء
 مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم أي يثبتون أنفسهم ويدلون على ثباتها بانفاق الاموال
 وما خدع المؤلفه قلوبهم بالبلغة من الدنيا فقرت عصبيتهم ولائت شكيتهم وأهل الرذة بعد
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ما تظاهروا بالانحاز الى كفة قطعت لهم الحروب وجوهدها وفيه
 بعث للمؤمنين على اداء الزكاة وتخوف شديد في منعها حيث جعل المنع من أوصاف
 المشركين وقرن بالكفر بالآخرة وقال ابن عباس هم الذين لا يقولون لا اله الا الله وهي زكاة
 الانفس والمعنى لا يظهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وقال الحسن وقادة لا يثرون
 بالزكاة ولا يرون ايتائها واجبا وكان يقال الزكاة قنطرة الاسلام فمن قطعها نجس ومن تخلف
 عنها هالك وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون في الطاعة ولا يصدقون وقال مجاهد لا يركون
 أعمالهم * ولما ذكر تعالى مال الجاهلين وعيدها وتحذيرا ذكر ما لاضدادهم وعداوتهم فقال
 تعالى مجيبا لمن تشو ذلك مؤكدا لا تكار من يشكركه (ان الذين آمنوا) أي بما آتاهم الله
 تعالى من العلم النافع (وعملوا الصالحات) من الزكاة وغيرهما من أنواع الطاعات (لهم أجر)
 أي عظيم (غير ممنون) أي غير مقطوع جزاء على معاصيهم بالفاني اليسير من أموالهم في الزكاة
 وغيرها وما أمر الله تعالى من أقوالهم وأفعالهم في الآخرة والدنيا والمنون المقطوع من
 منته الجلب اذا قطعت ومنه قولهم قدمه السفر أي قطعه وقال مقاتل غير منقوص ومنه
 المنون لانه ينقص منه الانسان وقوته وأنشدوا لذي الاصبغ العدواني
 اني لعمر ك ما بابي يذى غلق * على الصديق ولا أجرى بممنون

وقيل غير ممنون به عليهم لان عطاء الله تعالى لا يمن به انما يمن بالخلق وقال السدي نزلت
 في المرضي والمرضى اذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الاجر كما صح ما كانوا يعملون فيه روى عبد
 الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان العبد اذا كان على طريقة حسنة من
 العبادة ثم مرض قيل للملك الموكل به اكتب له مثل عمله اذا كان عليه قاحتي أطلقه أو ألقه الى
 ولما ذكر سبحانه وتعالى سفيهم في كفرهم بالآخرة شرع في ذكر الأدلة على قدرته عليها وعلى
 كل ما يريد كخلق الاكوان وما فيها الشامل لهم ولعبوداتهم من الجمادات وغيرها الدال على
 أنه واحد لا شريك له فقال منكر عليهم ومقتزرا بالوصف لانهم كانوا على أصل الخلق (قل)
 يا أشرف الرسل لمن أنكر الخلق منكر اعليه بقولك (أنسكم) وأكذبا لشكركم التصريح
 بما يلزمهم من الكفر بقوله تعالى (لتكفرون) أي توجدون حقيقة الستلوانوار والعقول
 الظاهرة (بالذي خلق الارض) أي على سعتها وعظمها من العدم (في يومين) فتسكرون
 قدرته على اعادة ما خلقه منها ابتداء مع اعترافكم بأنه ابتداء خلقها وخلق ذلك منها وهذا ان
 اليومان الاحد والثاني كما قاله ابن عباس وعبد الله بن سلام قال ابن الجوزي والاكثر
 قال ابن عباس ان الله خلق يوم افعاله الاحد ثم خلق ثانيا فسماه الاثنين ثم خلق ثالثا فسماه
 الثلاثاء ثم خلق رابعا فسماه الاربعاء ثم خلق خامسا فسماه الخميس ثم خلق الله الارض في يوم

الاحد والاثني وخلق الجبال يوم الثلاثاء ولذلك يقول الناس انه يوم ثقيل وخلق مواضع
 الانهار والشجر والقرى يوم الأربعاء وخلق الطير والوحش والسباع والهوام والافقة يوم
 الخميس وخلق الانسان يوم الجمعة وفرغ من الخلق يوم السبت ولكن في حديث مسلم عن أبي
 هريرة رضي الله تعالى عنه قال أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم يدي فقال خلق الله التربة يوم
 السبت وخلق فيها الجبال يوم الاحد وخلق الشجر يوم الاثنين وخلق المكنون يوم الثلاثاء
 وخلق النور يوم الأربعاء وبث فيها الدواب يوم الخميس وخلق آدم بعد العصر من يوم الجمعة
 في آخر الخلق في آخر ساعة من النهار فيما بين العصر الى الليل (فان قيل) الايام انما كانت
 بدوران الافلاك وانما كان ذلك بعد تمام الخلق بالفعل (أجيب) بأن المراد في مقدار
 يومين أو يومين خلق في كل نوبة ما خلق في أسرع ما يكون قال البيضاوي وامل المراد من
 الارض ما في جهة السفلى من الاجرام البسيطة ومن خلقها في يومين أنه خلق لها أصلاً
 مشتركاً ثم خلق لها صوراً بها صارت أنواعها وكفرهم به الحادهم في ذاته تعالى وصفاته وقرأ
 قالون وأبوعرو وهشام بتسهيل الثانية بخلاف عن هشام وأدخلوا بين الهمزة المحققة
 والمسهلة ألفاً وورش وابن كثير بتسهيل الثانية من غير ادخال والباقيون بتحقيقها من غير
 ادخال * ولما ذكر كفرهم بالبعث وغيره عطف على تكفرون قوله تعالى (وتجعلون) أي مع هذا
 الكفر (لأنه أئداً) من الخشب المتجور ومن الحجر المتحوت شركاء في المعبودية ولما كنتم على
 قبح معتقدكم عظم ذلك بتعظيم شأنه سبحانه فقال تعالى (ذلك) أي الاله العظيم (رب العالمين)
 أي موجدكم ومربيهم وذلك ليدل قطعاً على جميع ماله من صفات الكمال * ولما ذكر تعالى ما هم به
 مقرون من ابداعها أتبعه بثلاثة أنواع من الصنع العجيب والفعل البيع بعد ذلك فالاول
 قوله تعالى (وجعل فيها راسي) أي جبالاً ثوابت وهو مستأنف ولا يجوز عطفه على صلة
 الموصول للفصل بينهما بأجنبي وهو قوله تعالى (وتجعلون فانه معطوف على لتكفرون كما ر
 (فان قيل) ما الفائدة في قوله تعالى (من فوقها) ولم يقتصر على قوله (وجعل فيها راسي) كما
 اقتصر على قوله تعالى (وجعلنا فيها راسي) شامحات وقوله تعالى (وجعلنا في الارض راسي)
 أن غيبكم وقوله تعالى (وجعل فيها راسي) (أجيب) بأنه تعالى لو قال (وجعل فيها راسي) من
 تحتها لأوهم ذلك أن تلك الاساطين الثمانية هي التي أمست هذه الارض الثقيلة عن
 النزول ولكنه تعالى قال جعلت هذه الجبال الثقيل فوق الارض ليرى الانسان بعينه أن
 الارض والجبال الثقيل على أفعال وكها ممتقرة الى مسك وحافظ وما ذاك الحافظ المدبر
 الا الله تعالى * ولما عاى الارض لما يراد منها ذكر ما أودعها وهو النوع الثاني بقوله تعالى
 (وبارك فيها) أي بما خلق من البحار والانهار والاشجار والثمار وغير ذلك وقال ابن عباس
 يريد شق الانهار وخلق الجبال وخلق الاشجار والنار وخلق أصناف الحيوانات وكل ما يحتاج
 اليه من الحيوانات * النوع الثالث قوله تعالى (وتدريجاً أقواتها) أي أقوات أهلها بأن عين
 لكل نوع ما يصلح ويغني به وقال محمد بن كعب قدراً لأقوات قبل أن يخلق الخلق والابدان

اى أقواتا تنشأ منها بأن خص حدوث كل قوت بقطارها فأضاف القوت الى
 الارض لكونه متولدا من تلك الارض حادثا فيها لان النخاع قالوا يكنى في جنس الاضافة أدنى
 سبب فالشيء يضاف الى فاعله تارة والى محله أخرى أى قدره الاقوات التى تحتص حدودها
 بها وذلك لانه تعالى جعل كل بلدة معدة لنوع من الاشياء المطلوبة حتى ان أهل هذه
 البلدة يحتاجون الى الاشياء المتولدة فى تلك البلدة وبالعكس فصار هذا المعنى سببا
 لرغبة الناس فى التجارات واكتساب الاموال لتنظم عمارة الارض كلها باحتياج بعضهم
 الى بعض فكان جميع ما تقدم من ابداعها وايداعها ما ذكر من متاعها دفعة واحدة على
 مقدار لا يتعداه ومنهاج بديع دبره فى الازل وارتضاه وقدره فأفضاه لا ينقص عن حاجة
 المحتاجين أصلا وانما ينقص توصلهم أو توصل بعضهم اليه فلا يجده حينئذ ما يستكفيه
 وفى الارض أضعاف أضعاف كفايته ثم ذكر فذلك خلق الارض وما فيها فقال تعالى
 (فى أربعة أيام) أى مع اليومين الماضيين كقولك ثبت يلقى فى يوم وأكتمه فى يومين أى بالاول
 وقال أبو البقاء فى تمام أربعة أيام ولولا هذا التقدير لكانت غناية يومان فى الاول وهو
 قوله تعالى خلق الارض فى يومين ويومان فى الآخر وهو قوله تعالى ففصاهن سبع سموات
 فى يومين وأربعة فى الوسط وهو قوله تعالى فى أربعة أيام (فان قيل) انه تعالى ذكر خلق
 الارض فى يومين فلماذا ذكر انه خلق هذه الانواع الثلاثة الباقية فى يومين آخرين كان أبعد عن
 الشبهة وعن الغلط فلم ترك التصريح بذكر الكلام المجمل (أجيب) بأن قوله تعالى فى أربعة
 أيام (سواء) أى استوت الاربعه استواء لا يزيد ولا ينقص فيه فائدة زائدة على ما اذا قال
 خلقت هذه الثلاثة فى يومين لانه لو قال تعالى خلقت هذه الاشياء فى يومين لايفيد هذا الكلام
 كون اليومين مستغرقين بتلك الاعمال لانه قد يقال عملت هذا العمل فى يومين مع أن اليومين
 ما كانا مستغرقين بذلك العمل بخلافه لما ذكر خلق الارض وخلق هذه الاشياء ثم قال فى أربعة
 أيام سواء دل على ان هذه الايام الاربعة صارت مستغرقة فى تلك الاعمال من غير زيادة ولا نقصان
 ولم يفعل تعالى ذلك فى أقل من لمح البصر مع تمام القدرة عليه لان هذا ادل على الاختيار
 وأدخل فى الابتلاء والاختبار ليضل به كثيرا ويهدي به كثيرا فيكون أعظم لاجورهم لانه أدل
 على تسليمهم وجعل مدة خلقها ضعف مدة خلق السموات مع كونها أصغر من السموات دلالة على
 انها هى المقصودة بالذات لما فيها من الثقلين الانس والجن وزادت لما فيها من كثرة المنافع وتباين
 أصناف الاعراض والجواهر لان ذلك أدخل فى المنفعة على سكانها والاعتناء بشأنهم وشأنها
 وزادت أيضا لما فيها من الابتلاء بالمعاصى والمجاهدات والمجادلات والمعالمات كل ذلك دلالة على
 أن المدة ما هى لاجل القدرة بل لاجل التنبيه على ما فى القدرة من المقدور وبجانب الامور
 قال البقاعى ولعل تخصيص السماء بقصر المدة دون العكس لاجراء أمرها على ما تعارفهم من
 أن بناء السقف أخف من بناء البيت تنبيهها على أنه بنى أمر دارنا هذه على الاسباب تعليم للتأني
 وتدريسا للسكينة والبعد عن العجلة وقوله تعالى (للسائلين) فيه ثلاثة أوجه أحدها انه متعلق

بسوا بمعنى مستويات للسائلين ثانيها أنه متعلق بقدر رأى قدرتها أقواتها لاجل الطالبين لها
 المحتاجين المتتامين ثالثها أنه متعلق بمحذوف كأنه قيل هذا المحصر لاجل من سأل في كم خلقت
 الارض وما فيها ولما كانت السموات أعظم من الارض في ذاتها بانساعها وزينتها ودوران
 أفلاكها وارتفاعها به على ذلك بالتعبير بأداة التراخي ولفظ الاستواء وحرف الغاية الدال
 على عظم الغاية فقال تعالى (ثم استوى) أى قصد قصدا هو القصد منها مقصده (الى
 السماء وهي) أى والحال أنها (دخان) قال المفسرون هذا الدخان بخار الماء وذلك
 أن عرش الرحمن كان على الماء قبل خلق السموات والارض كما قال تعالى وكان عرشه
على الماء ثم إن الله تعالى أحدث في ذلك الماء اضطرابا فأزبد وارتنع فخرج منه دخان فأما
 الزبد بقي على وجه الماء فخلق منه البوسة وأحدث منه الارض وأما الدخان فارتفع وعلا
 فخلق منه السموات (فان قيل) هذه الآية مشعرة بأن خلق الارض كان قبل خلق السموات
 وقوله تعالى والارض بعد ذلك دحاها مشعر بأن خلق الارض بعد خلق السموات وذلك يوجب
 التساقض (أجيب) بأن المشهور أنه تعالى خلق الارض أولا ثم خلق بعدها السموات
 ثم بعد خلق السماء دحا الارض ومدها وحينئذ فلا تساقض قال الرازي وهذا الجواب
 مشكل لأن الله تعالى خلق الارض في يومين ثم انه في اليوم الثالث جعل فيها اواسى من فوقها
 وبارك فيها وقدر فيها أقواتها وهذه الاحوال لا يمكن ادخالها في الوجود الا بعد أن صارت
 الارض منبسطة ثم انه تعالى قال بعد ذلك ثم استوى الى السماء فهذا يقتضى أن الله تعالى
 خلق السماء بعد خلق الارض وبعد أن جعلها مدحوة وحينئذ يعود السؤال ثم قال والمختار
 عندي أن يقال خلق السماء مقدم على خلق الارض وتأويل الآية أن يقال الخلق ليس
 عبارة عن التكوين والايجاد والدليل عليه قوله تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم
 خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون فلو كان الخلق عبارة عن الايجاد والتكوين لصار
 تقدير الآية أو جده من تراب ثم قال له كن فيكون وهذا محال فثبت أن الخلق ليس عبارة عن
 الايجاد والتكوين بل عبارة عن التقدير والتقدير في حق الله تعالى هو كلمته بأن سيوجهه وإذا
 ثبت هذا فنقول قوله تعالى خلق الارض في يومين معناه أنه قضى بمجدونها في يومين وقضاه الله
 تعالى أنه سيحدث كذا في مدة كذا لا يقتضى حدوث ذلك الشيء في الحال فقضاء الله تعالى
 بمحدث الارض في يومين قد تقدم على احداث السماء وحينئذ يزول السؤال (فقال لها) أى
 السماء عقب الاستواء (وللارض اثنتا) أى تعاليا وأقبلا متناقضين وقوله تعالى (طوعا
 أو كرها) مصدران في موضع الحال أى طائعتين أو كارهتين (فانثنا اثنتا) أى نحن وما فيها
 وما بيننا (طائعتين) أى اثنتا على الطوع لاعلى الكره والغرض تصوير أثر قدرته في المقدرات
 لا غير من غير أن يحقق شيأ من الخطاب والجواب ونحو ذلك قول القائل قال الجدار للوند
 لم تشقني قال الوند سل من يدقني (فان قيل) هلا قال طائعتين على اللقظة وطائعات على المعنى
 لانهم سموات وأرضون (أجيب) بأنه لما جعلهن مخاطبات ومجيبات ووصفهن بالطوع

والكره قال طائعين في موضع طائعات فهو قوله ساجدين * (تنبيه) * جمع الامر لهما في الاخبار لا يدل على جمعه في الزمان بل قد يكون القول لهما امتعاقبا (فان قيل) ان الله تعالى امر السماء والارض فأطاعنا كما أن الله تعالى أنطق الجبال مع داود عليه السلام فقال تعالى يا جبال أوبي معه والطير وانطق الايدي والارجل فقال تعالى يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون وقوله تعالى وقالوا الجلودهم لم تشهدتم علينا قالوا أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء وإذا كان كذلك فكيف يستبعد أن يخلق الله تعالى في ذات السموات والارض حياة وعقلاء ثم يوجه الامر والتكليف عليهما ووجه هذا بوجوه الاول أن الاصل حل اللفظ على ظاهره الا أن يمنع منه مانع وههنا لا مانع الثاني انه تعالى جمعهما جمع العقلاء فقال تعالى قالتا آتيناه طائعين الثالث قوله تعالى انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين أن يحملن وأشفقن منها وهذا يدل على كونهما عارفة بالله تعالى عالمة بتوجه تكليف الله تعالى وأجاب الرازي عن هذا بأن المراد من قوله تعالى آتيناه طوعا أو كرها الا ان كان الى الوجود والحدوث والحصول وعلى هذا التقدير فحال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة اذ لو كانت موجودة لم يجوز ثبوت أن حال توجه هذا الامر كانت السموات والارض معدومة وإذا كانت معدومة لم تكن عارفة ولا فاهمة للتطابق فلم يجوز توجه الامر اليها (فان قيل) روى مجاهد وطاوس عن ابن عباس انه قال قال الله للسموات والارض اخرجا ما بينكما من المنافع لمصالح العباد أما أنت يا سماء فاطلعي شمسك وقرك ونجومك وأنت يا أرض فشقق أنهارك وأخرجي غلاتك ونباتك وقال لهما افعلما أمرتكما طوعا والأجلأتكما الى ذلك حتى تفعلاه وعلى هذا لا يكون المراد من قوله آتيناه طائعين حدوثهما في ذاتهما بل بصير المراد من هذا الامر ان يظهر اما كان مودعا فيهما (أعجب) بأن هذا لم يثبت لانه تعالى قال (فقضاهن) أي خلقهن خلقا ابداعيا (سبع سموات) وهذا يدل على أن حصول السماء انما حصل بعد قوله آتيناه طوعا أو كرها * (تنبيه) * الضمير للسماء على المعنى كما قال تعالى طائعين ونحوه اعجاز فخل خاوية ويجوز أن يكون ضميرا مبهما مفسرا بسبع سموات وسبع سموات حال على الاول وتميز على الثاني وقوله تعالى (في يومين) قال أهل الاثران الله تعالى خلق الارض يوم الاحد والاثني وخلق سائر ما في الارض يوم الثلاثاء والاربعاء وخلق السموات وما فيها في يوم الخميس والجمعة وفرغ في آخر ساعة من يوم الجمعة فخلق فيها آدم عليه السلام وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة ولذلك لم يقل هناسواء ووافق هذا آيات خلق السموات والارض في ستة أيام وعن ابن عباس رضي الله عنه أن اليهود أدعت النبي صلى الله عليه وسلم فسألت عن خلق السموات والارض فقال خلق الله الارض يوم الاحد والاثني وخلق الجبال وما بينهما من المنافع يوم الثلاثاء وخلق يوم الاربعة الشجر والماء والمعايش والعمران والخراب فهذه أربعة وخلق يوم الخميس السماء وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة الى ثلاث ساعات بقيت

منه نخلق في أول ساعة من هذه الثلاثة الآجال حتى يموت من مات وفي الثانية التي الآخرة على كل شيء بما ينتفع به وفي الثالثة خلق آدم فأسكنه الجنة وأمر ابليس بالسجود له وأخرجه منها في آخر ساعة قالت اليهود ثم ماذا يا محمد قال ثم استوى على العرش قالوا قد أصبت لو أنمت قالوا ثم استراح فغضب النبي صلى الله عليه وسلم غضباً شديداً فنزل ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب فاصبر على ما يقولون (فان قيل) اليوم عبارة عن النهار والليل وذلك انما يحصل بطلوع الشمس وغروبها وقبل حدوث السموات والشمس والقمر كيف يعقل حصول اليوم (أجيب) بأن معناه انه مضى من المدة ما لو حصل هناك فلان وشمس لكن المقدار مقدار اليوم كما مر وقضاء الشيء انما هو الفراغ منه قال ابن جرير وانما سمي الجمعة لان الله تعالى جمع فيه خلق آدم وخلق السموات والأرض أى فرغ من ذلك وأتمه (وأوحى) أى الذى بطريق خفى وحكم بشئ قوى (في كل سماء أمرها) أى الامر الذى دبرها ودبر منافعها به على نظام محكم لا يحتل وزمام مبرم لا يتغير وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما خلق في كل سماء خلقاً من الملائكة وما فيها من البصائر وجبال البرد وما لا يعلمه الا الله تعالى وقال السدى يعنى خلق فيها شمسه وقرها ونجومها وقه في كل سماء بيت فخرج اليه وتطوف به الملائكة كل واحد منهم قابل للكبسة بحيث لو وقعت منه حصاة لوقعت على الكعبة * ولما عظم خص التى تليها اشارة الى تشريفها فقال تعالى صاروا القبول الى مظهر العظمة تنبيها على ما في هذه الآية من العظم (وزينا) أى بما لنا من العظمة (السماء الدنيا) أى القربى اليكم لاجلكم (بصايع) وهى النيرات التى خلقها الله في السموات وخص كل واحدة بنور معين وسير معين وطبيعة معينة ليعلمها الا الله تعالى ولا ينافى كون الدنيا مزينة بذلك أن تكون النجوم في غيرهما ما هو أعلى منها لان السباق دل على أنها زينة وقوله تعالى (وحفظا) فى نصبه وجهان أحدهما أنه منصوب على المصدر بفعل مقدر أى وحفظناها بالثواب من الكواكب حفظاً والثانى أنه منفعول من أجله على المعنى فان التقدير وخلقنا الكواكب زينة وحفظا قال أبو حيان وهو تكلف وعدول عن السهل البين والمعنى وحفظناها من الشياطين الذين يسرقون السمع بالذهب أو من الآفات (ذلك) أى الامر الرفيع والشأن البديع (تقدير العزيز) أى الذى لا يقبله شئ وهو يغلب كل شئ (العليم) أى المحيط علماً بكل شئ فالعزى اشارة الى كمال القدرة والعليم اشارة الى كمال العلم * ولما كان التمداد على اعراضه كانه جدد اعراضاً غير اعراضه الاول قال تعالى مفصلاً بعد قوله تعالى فأعرض أكرههم (فان أعرضوا) أى استمروا على اعراضهم بعد هذا الشأن أو أعرض غيرهم عن قبول ما جئتهم به من الذكر بعد هذا البيان الواضح فى هذه الآيات التى دلت على الوحدةانية والعلم والقدرة وغيرهما من صفات الكمال أتم دلالة (فقل) أى لهم (أنزرتكم صاعقة) أى أخذتهم أن يصيهم عذاب شديد الوقع مكانه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقال المبرد الصاعقة المرة المهلكة لآى شئ كان والاذار الضويف وانما خص هاتين القبيلتين لأن

قريشا كانوا يزورون على بلادهم * ثم علل ايقاع ذلك بقوله تعالى (اذ) يجوز ان يكون ظرفا لصاعقة وظرفية لا تنافي عليه أي حين (جاءتهم) أي عاد وعود (الرسول) لأن الزمان الطويل يجوز نسبة ما وقع في جزمه اليه (من بين أيديهم) أي من قبلهم لأن نذرا الاول نذير لكل من أتى بعده بأنه ان واقع ما واقعته أنه ما عذب به (ومن خلفهم) وهم من أتى اليهم لانهم لم يكونوا يعلمون اتيانهم فالحلف كناية عن الخفاء والقدام عن الجلاء وانهم أتوهم من كل جانب واجتهدوا بهم فأعملوا فيهم كل حيلة فلم يروا منهم الا العتق والاعراض كما حكى الله تعالى عن الشيطان لا يتنبه من بين أيديهم ومن خلفهم أي لا يتنبه من كل جهة وعن الحسن اندروهم من وفائع الله تعالى فينب قبلهم من الامم وعذاب الآخرة لانهم اذا حذروهم ذلك فقد جاؤهم بالوعظ من جهة الزمن الماضي وما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل وما سيجرى عليهم وأتوهم مقبلين عليهم ومدبرين عنهم وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الذا ل عند الجيم وأدغمها الباقون (أن) أي بأن (لا تعبدوا الا الله) أي الذي له صفات الكمال جميعا (قالوا) أي الكفار ورسولهم (لوشاء ربنا) الذي ربنا أحسن تربية أن يرسل اليه رسولا (لا تزل) البينا (ملائكة) فإرسالهم اليه بما يريد من الملائكة فلم يشأ أن يرسل رسولا (فاناجيا) أي بسبب ما (أرسلته) أي على زعمكم بأنكم رسل (كافرون) اذا أنتم بشر مثلنا لا فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال في ملاقرش التيس علينا أمر محمد فلو التستم لشاربنا لعالمنا بالهجر والشعر والكهانة وكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة ابن ربيعة والله لقد علمت الشعر والهجر والكهانة وعلمت من ذلك علما وما يخفى على قاتناه فقال له يا محمد أنت خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فلم تشتم آلهتنا وتفضل آتانا فان كنت تريد الرياسة عقد نالك اللواء فكنت رئيسا وان كنت أردت الباء زد جنتك عشر نسوة تحتارهن من أي بنات قريش شئت وان كنت تريد المال جمعنا لك ما تستعين به على ذلك ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أفرغت قال نعم قال فاسمع ثم ان النبي صلى الله عليه وسلم فعوذ ثم قرأ بسم الله الرحمن الرحيم حم تنزيل من الرحمن الرحيم كتاب فصلت آياته الى أن بلغ قوله تعالى فان أعرضوا فقل أئذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وعود فأمسك عتبة على فيه وناشده بالرحم الا ما سكت ثم رجع الى أهله ولم يخرج الى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة الا قد صبأ فأنطلقوا اليه وقالوا يا عتبة ما حبسك عنا الا أنك قد صبأت الى محمد وأعجبك طعامة فان كان بك حاجة جمعنا لك من أموالنا ما يغنيك عن طعام محمد فغضب عتبة وأقسم لا يكلم محمد أبدا وقال والله لقد علمت أني من أكثر قريش مالا ولكني أتيت به وقصصت عليه القصة وجاءني بشي والله ما هو شعر ولا كهانة ولا شعر وقرأ السورة الى قوله تعالى فان أعرضوا فقل أئذرتكم صاعقة مثل صاعقة عاد وعود فأمسكت بفيه وناشده بالرحم حتى سكت ولقد علمت أن محمدا اذا قال شيئا لم يكذب فخفت أن ينزل عليكم العذاب وفي رواية لمحمد بن كعب أنه قال اني سمعت قرا أنا والله ما سمعت بمثله قط

ماهوشعر ولا سحر ولا كهانة بامعشر قريش اطيعوني خلوا بينكم وبين هذا الرجل وبين ماهو
 فيه فاعتزلوه والله ليكونن اقله الذي سمعت منه نأ فان تصبه العرب فقد كفيتمو به غيركم وان ينظر
 على العرب فلكم ملككم وعز وكرم وانتم اسعد الناس به قالوا احرك والله يا أبا الوليد بلسانه
 قال هذا رأي لكم فاصنعوا مبادلكم * ولما جمعهم الله فيما اجتمعوا فيه حتى كانوا هم توأموه
 فصلهم وفصل ما اختلفوا فيه فقال مسيبا عاصي من مقاتلاتهم (فأما عاد) أي قوم هود
 عليه السلام (فاستكبروا) أي طلبوا الكبر وأوجدوه (في الارض) أي كلها التي كانوا فيها
 بالفعل وغيرها بالقوة أوفى الكل بالفعل لكونهم ملكوها كلها بين كبرهم انه (بغير الحق) أي
 الذي لم يطابق الواقع ثم ذكر تعالى سبب الاستكبار بقوله تعالى (وقالوا من أشد مناقرة) وذلك
 أن هودا عليه السلام هددهم بالعذاب فقالوا نحن نقدر على دفع العذاب بفضل قوتنا وكنا
 ذوى أجسام طوال طول الطويل منهم أربع مائة ذراع كسبأ في سورة العنكبوت قال الله تعالى ردا
 عليهم (أولم يروا) أي يعلموا علما هو كالمشاهدة (أن الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلما (الذي
 خلقهم) ولم يكونوا شيئا (هو أشد منهم قوة) ومن علم أن غيره أقوى منه وكان عاقلا تقادله
 فيما ينفعه ولا يضره وقوله تعالى (وكانوا يا أتينا بجدون) أي يعرفون أنها حق وينكرونها
 عطف على فاستكبروا (فأرسلنا) أي بسبب ذلك على ما نلنا من العظمة (عليهم ريحا) أي
 عظيمة (صرصرا) أي شديد البرد والصوت والعدوف حتى كانت تهجد البدن يبردها فتكون
 كأنها انصهرة أي تجتمع في موضع واحد فتمنعه التصرف بقوتها وتقطع القلب بصوتها فتقهـر
 شجاعته وتمحق بشدة بردها كل مامرت عليه وقوله تعالى (في أيام نحسات) أي مشؤمات
 جمع نحسة وقرأ ابن عامر والكوفيون بكسر الحاء من نحس نحسا تنقيض سعد سعدا فهو نحس
 والباقون بسكونها فهو ما مخفف نحس أو صفة على فعل أو وصف بمصدر قال الضحاك أمسك
 الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين وكانت الرياح عليهم من غير مطر روى أن الأيام كانت آخر
 شوال من الاربعاء الى الاربعاء قال البيضاوي وما عذب قوم الا في يوم الاربعاء وعن
 عبد الله بن عباس انه قال الرياح ثمان أربع منها عذاب وهي العاصفة والصرصر والعنـيم
 والقاصف وأربع منها رحمة وهي المبرسات والناسرات والمرسلات والذاريات وعن ابن
 عباس رضي الله عنهما أن الله تعالى ما أرسل على عادم من اريخ الا قدر خاتمي وفعلنا ذلك
 بهم (لنذيقهم عذاب الخزي) أي الذل والهوان (في الحياة الدنيا) كما استكبروا في
 الارض بغير الحق فيذلوا عند من نظموا عليه في الدار التي اغتروا بها فاعتظموها فيها فان ذلك
 أدل على القدرة عند من تقدم بالوهم (ولعذاب الآخرة) أي الذي أعد للمتكبرين في
 الآخرة بغير الحق (أخرى) أي أشد اهانة وهو في الاصل صفة المعذب وإنما وصف به العذاب
 على الاسناد الجازي للمبالغة (وهم لا ينصرون) أي لا يوجد ولا يتجدد لهم نصر أبدا بوجه من
 الوجوه * ولما أنهى تعالى أمر صاعقة عاد شرع في بيان صاعقة ثمود فقال تعالى (وأما ثمود)
 وهم قوم صالح عليه السلام (تهديناهم) أي ينالهم طريق الهدى من أنافادرون على البعث

وعلى كل شيء فلا شريك لها وكان بيان ذلك بالنسبة غاية البيان فأبصر وأدرك بأبصارهم التي هي
سبب ابصار بصرهم غاية الابصار فكبر هو أذالك لما يلزمه من تركهم طريق آباءهم وأقبلوا على
لزوم طريق آباءهم (فاستحبوا) أي اختاروا (العمى) أي الكفر (على الهدى) أي الإيمان قال
القشيري قيل انهم آمنوا وصدقوا ثم ارتدوا وكذبوا فأجرهم مجرى اخوانهم في الاستبدال
فان قيل أليس معنى هديته حصلت فيه الهدى والدليل عليه قولك هديته فاهتدى وبمعنى
تحصيل البغية وحصولها كما تقول ردعته فارتدع فكيف ساغ استعماله في الدلالة المجردة
(أجيب) بأنه لما مكنتهم وأزاح عنهم ولم يبق لهم عذرا ولا علة فكانه حصل البغية فيهم بتحصيل
ما يوجبها ويستتضيها (فأخذتهم صاعقة العذاب) أي بسبب ذلك أخذ قهر وهوان (الهون) أي
ذى الهون وهو الذي يهينهم (بما كانوا) أي دائما (يكسبون) أي من شركهم وتكذيبهم صالحا
عليه السلام * ولما أنسى الله تعالى الخبر عن الكافرين من القرى يقين أتبعه الخبر عن مؤمنهم
بشارة لمن أتبع النبي صلى الله عليه وسلم ونذارة لمن صدعته فقال تعالى (ونجيناه) أي تخيئة
عظيمة بما لنا من القدرة (الذين آمنوا) أي أوجدوا هذا الوصف من القرى يقين (وكانوا) أي
كونا عظميا (يقون) أي يتجدد لهم هذا الوصف في كل حركة وسكون فلا يقدمون على شيء
بغير دليل (فان قيل) كيف يجوز للنبي صلى الله عليه وسلم أن يندرقومه مثل صاعقة عاد وثمود
مع العلم بأن ذلك لا يقع في أمته وقد صرح تعالى بذلك فقال عز من قائل وما كان الله ليعذبهم
وأنت فيهم وجاء في الحديث الصحيح ان الله تعالى رفع عن هذه الأمة هذه الأنواع (أجيب)
بأنهم لما عرفوا كونههم مشاركين لعاد وثمود في الكفر عرفوا كونههم مشاركين لعاد وثمود
في استحقاق مثل تلك الصاعقة وان السبب الموجب للعذاب واحد وهو عياكون العذاب
النازل من جنس ذلك العذاب وان كان أقل درجة وهذا القدر يكفي في التخويف * ولما بين
تعالى كيفية عقوبة أولئك الكفار في الدنيا أرفه ببيان كيفية عقوبتهم في الآخرة ليحصل
تمام الاعتبار في الزجر والتحذير فقال تعالى (ويوم) أي واذكري يوم (يحشر) أي يجمع بكره
بأمر فاهرا لكافة فيه (أعداء الله) أي الملك الأعظم (إلى النار) وقرأ نافع بنون مفتوحة
وضم الشين ونصب أعداء على البناء للفاعل وهو الله تعالى والباقون بياء الغيبة مضمومة ورفع
الشين على البناء للمفعول ورفع أعداء اقسامه مقام الفاعل ووجه الاول أنه معطوف على
نجيناه فحسن أن يكون على وفقه في اللفظ ووجه الثاني موافقة قوله تعالى (فهزم) أي سبب
حشرهم (يوزعون) أي يساقون ويدفعون إلى النار وقال قتادة يحبس أولاهم على آخرهم
ليتلاحقوا أي يرفق سوابقهم حتى تصل اليهم نوالهم * ولما بين تعالى اهانتهم بالوزع بين غايتها
بقوله تعالى (حتى إذا ما جاؤوها) أي النار التي كانوا بها يكذبون فإزادونا كيد انفصال
الشهادة بالحضور كما قال تعالى (شهد عليهم) وبين الشاهد وعدده بقوله تعالى (همهم) وأورد
الصحيح لعدم تفاوت الناس فيه (وأبصارهم) وجعلها لعظم تفاوت الناس فيها (وجلودهم
بما كانوا يعملون) أي يجددون عمله مستقرين عليه * (تنبيه) * في كيفية تلك الشهادة ثلاثة

أقوال أولها أن الله تعالى يخلق الفهم والقدرة والنطق فيها فتشهد كما يشهد الرجل على ما يعرفه
 ثانياً أنه تعالى يخلق في تلك الاعضاء الاصوات والحروف الدالة على تلك المعاني ثالثاً أن يظهر
 في تلك الاعضاء أحوال تدل على صدور تلك الاعمال من ذلك الانسان وتلك الامارات تسمى
 شهادات كما يقال يشهد هذا العالم بتغيرات أحواله على حدوثه (فان قيل) ما السبب في تخصيص
 هذه الاعضاء الثلاثة بالذكر مع ان الحواس خمسة وهي السمع والبصر والشم والذوق
 واللمس (أجيب) بأن الذوق داخل في اللمس من بعض الوجوه لأن ادراك الذوق انما يأتي
 بأن تصير جلدة اللسان مماسة لجرم الطعام وكذلك الشم لا يأتي حتى تصير جلدة الانف مماسة
 لجرم المشموم فكأناداخلين في جسد اللمس وقال ابن عباس رضي الله عنهما المراد من شهادة
 الجلود شهادة النروج وهو من باب الكليات كما قال تعالى لا تواعدوهن سروراً ولا نكاح وقال
 تعالى أو جاء احد منكم من الغائط والمراد قضاء الحاجة وقال صلى الله عليه وسلم أقول ما يسمعكم
 من الآدمي نخذه وكفه وعلى هذا التقدير تكون الآية وعيداً شديداً في اتیان الزنا لان مقدمة
 الزنا انما تحصل بالتغذ وقال مقاتل تنطق جوارحهم بما كتبت الانفس من عملهم وعن أنس
 ابن مالك قال كأنك عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فضحك فقال هل تدرون مم اضحك قلنا الله
 ورسوله أعلم قال من مخاطبة العبد ربه فيقول يا رب ألم تجزني من الظلم فيقول بلى قال فيقول
 فاني لا أجيز اليوم على نفسي الا شهداً مني قال فيقول كفى بنفسك اليوم عليك حسيباً وبالكرام
 الكتابين عليك شهوداً قال فيختم على فيه ويقال لا ركانه انطق فتنتطق بأعماله ثم يحلى بينه وبين
 الكلام فيقول بعد الكين وحسافا فعنك كيت أناضل (وقالوا) أي الكفار الذين يحشرون
 الى النار (الجلود هم) مخاطبين لها مخاطبة العقل لما فعلت فعل العتلاء (لم تشهدتم علينا) مع
 أنا كنا نحاجب عنكم (قالوا) محبين لهم معذرين (أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء) أراد انطقه
 على وجهه لم يقدر على التغلف عنه فليس يحجب من قدرة الله الذي له بجماع العز (وهو خافكم
 أول مرة) والعلم القطعي حاصل عندكم بأنكم كنتم عندما تم نطقاً لا تقبل النطق في محاربي
 العادات بوجه ثم طوركم في أدوار الاطوار كذلك الى أن أوصلكم الى حيز الادراك فقسركم
 على النطق بحيث لو أردتم سلبه عن أنفسكم ما قدرتكم (واليه) لا الى غيره (ترجعون) فينبذكم
 بما كنتم تعملون (تنبيه) * اختلف في قوله تعالى وهو خلقكم الآية فتقبل هو من كلام الجلود
 وقيل هو من كلام الله تعالى كالذي بعده وموقعة تقرب ما قبله بأن القادر على انشاءكم ابتداء
 وعلى اعادةكم بعد الموت أحياء قادر على انطاق جلودكم وأعضاءكم (وما كنتم
 تستترون) أي عند ارتكابكم الفواحش خفية (ان يشهد عليكم معكم) وأكذبكم بكمير النافي
 فقال (ولا أبصاركم) جمع وأفر دما مضى (ولا جلودكم) والمعنى انكم تستترون بالحيطان والحجب
 عند ارتكاب الفواحش وما كان استتاركم ذلك خيفة أن تشهد عليكم جوارحكم لانكم كنتم
 غير عالمين بشهادتهم عليكم بل كنتم جاحدين بالبعث جهل منكم (ولكن) انما استتاركم
 لانكم (ظنتم) بسبب انكار البعث جهل منكم (أن الله) الذي له جميع صفات الكمال

(لا يعلم) أى فى وقت من الاوقات (كثيرا مما تعملون) وهو الخفيات من أعمالكم روى عن ابن مسعود قال كنت مستترا باستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقيان وقرشي أقرشيان وثقي كثير ثم بطونهم قليل ففقه قلوبهم فقال أحدهم أترون الله يسمع ما نقول فقال الآخر يسمع ان جهرنا وقال الآخر ان كان يسمع اذا جهرنا يسمع اذا أخفينا فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأمر الله تعالى وما كنتم تستترون الآية قيل الثقي عبد البيل وخشاه القرشيان ريعة وصفوان بن أمية وقوله تعالى (وذلكم) إشارة الى ظنهم هذا وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم) بدل منه وقوله تعالى (الذى ظننتم بربكم) نعت البديل والخبر (أرداكم) أى أهلككم وفى هذا تنبيه على أن من حق المؤمن أن لا يذهب عنه ولا يزول عن ذهنه أن عليه من الله تعالى عينا كاللة ورقيا مهمنا حتى يكون فى أوقاته وخواياه من ربه أهيب وأحسن احتشاما وفر تحفظا وتصورا منه مع الملائكة لا ينسب في سره من اقبة من التشبه بهؤلاء الظانين * ولما كان الصباح محل رجاء للأفراج فكان شر الأتراح ما كان فيه قال تعالى (فأصبحتم) أى بسبب ما أعطيتوه من النعم لتستنقذوا أنفسكم به من الهلاك كان سبب هلاككم (من الخاسرين) أى العريقين فى الخسارة المحكوم بخسارتهم فى جميع ذلك اليوم قال المحققون الظن قسمان أحدهما حسن والآخر فاسد فالحسن أن يظن بالله تعالى الرحمة والفضل والاحسان قال صلى الله عليه وسلم عن الله تعالى أنا عند ظن عبدى بنى وقال صلى الله عليه وسلم لا يموت أحدكم الا وهو يحسن الظن بالله والظن الفاسد أن يظن أن الله تعالى يعزب عن علمه بعض هذه الاحوال وقال قتادة الظن نوعان منبى ومردى فالمنبى قوله انى ظننت أنى ملاق حسايه وقوله تعالى الذين يظنون أنهم ملاقور بهم وأنهم اليه راجعون والمردى هو قوله تعالى وذلكم ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم (فان يصبروا فالأمر مثنوى) أى منزل (لهم) أى ان أسكوا عن الاستغاثة لفرج يتظرونه لم يجدوا ذلك وتكون النار مقام الهمم (وان يستعذبوا) أى يسألوا العتي وهو الرجوع لهم الى ما يحبون جزعاً مما هم فيه (فما هم من المعطين) أى المجابين اليها ونحوه قوله عز وجل أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص * ولما ذكر وعدهم فى الدنيا والآخرة أتبعه سبب كفرهم الذى هو سبب الوعيد فقال تعالى (وقيضنا) قال مقاتل هبنا وقال الزجاج سببنا (لهم) أى للكفرة وأصل التقييض التيسير والتهيئة يقال قيضته لاداءه هبته وبسرته وهذا ان يوان قيضان أى كل منهما ما كافى للآخر فى الثمن وقوله تعالى (قرباء) أى نظراء من الشياطين حتى أضلوهم جمع قرين قال تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن قبيض له شيطاناً فهو له قرين (فزينوا لهم) أى من القبايح (ما بين أيديهم) أى من أمر الدنيا حتى آثروها على الآخرة (وما خلفهم) أى من أمر الآخرة فدعوهم الى الكذب والكار البعث وقال الزجاج زينوا لهم ما بين أيديهم من أمر الآخرة أنه لا بعث ولا جنة ولا نار وما خلفهم من أمر الدنيا بأن الدنيا قدعية ولا صانع الا الطبايع والافلاك قال القشيري اذا اراد الله بعدد سوء أقبض له اخوان سوء وقرنا سوء

يحملونه على المخالفات ويدعونه اليها ومن ذلك الشيطان وشر منه النفس وبئس القرين
تدعو اليوم الى ما فيه الهلاك وتشهد غد عليه واذا اراد الله بعبد خيرا قبض له قرنا خيرا
يعينونه على الطاعة ويحملونه عليها ويدعونه اليها وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه
وسلم قال اذا اراد الله بعبد شرا قبض له قبل موته شيطانا فلا يرى حسنا الا قبضه عنده ولا قبيحا
الا حسنه عنده وعن عائشة اذا اراد الله بالوالي خيرا قبض له وورى صدق ان نسي ذكره وان ذكر
أمانه وان اراد غير ذلك جعل له وزير سوء ان نسي لم يذكره وان ذكر لم يعنه وعن أبي هريرة رضى
الله تعالى عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما بعث الله من نبي ولا استخاف من خليفة
الا كانت له بطانة تأمره بالمعروف وتحمضه عليه وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه والمعصوم من
عصمه الله تعالى * (تنبيه) * في الآية دلالة على أنه تعالى يريد الكفر من الكافرين لانه تعالى
قبض لهم قرنا سوء فزنى الوالهم الباطل وهذا يدل على أنه تعالى اراد منهم الكفر ولكن لا يرضاه
كما قال تعالى ولا يرضى لعباده الكفر (وحق) أى وجب ونبت (عليهم القول) أى كلمة العذاب
وقرأ أبو عمر وفي الوصل بكسر الهاء والميم وحزرة والكسائي بضم الهاء والميم والباقون بكسر
الهاء وضم الميم وقوله تعالى (في أثم) محله نصب على الحال من الضمير في عليهم أى حق عليهم
القول كاشفين في جملة أثم كثيرة وفي معنى مع (قد خلت) أى لم تغض أمة منهم بالآخرى (من قبلهم)
أى في الزمان (من الجن والانس) قد علموا مثل أعمالهم وقوله تعالى (انهم) أى جميع
المدكورين منهم ومن قبلهم (كانوا خاطرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب وقوله تعالى
(وقال الذين كفروا) أصله وقالوا أى المعرضون ولكنه قال ذلك تنبيها على الوصف الذى
أوجب اعراضهم (لأنهم) أى شيأ من مطلق السماع (لهذا القرآن) وعينه بالاشارة
احترازا عن غيره من الكتب القديمة كالنوراة قال القرطبي لانه مقلب القلوب وكل من استمع
له صبا اليه (والقوا) أى اهزوا (فيه) أى اجعلوه ظرفا للغو بأن تكفروا من الخرافات
والهذيان واللفظ واللغو والتصدي أى التصغير والتصفى وغيرها وقال ابن عباس كان
بعضهم يعنى قريشا يعلم بعضها اذا رأيت محمدا يقرأ فعارضوه بالرجز والشعر واللغو وهو من باب
لغى بالكسر يلغى بالفتح اذا تكلم بما لا فائدة فيه (لعلكم تغلبون) أى ليكون حالكم حال من
يرجى له أن يغلب ويفظرب اءد في أن لا يميل اليه أحد وسكت ونسى ما كان يقول وهذا
يدل على انهم عارفون بأن من يسعه مال اليه وأقبل بكليته عليه وقد فضحوا أنفسهم بهذا
فضيحة لا مثل لها (فلندين الذين كفروا) أظهر في موضع الضمارة أنه قد فعله فلندينهم ولكنه
أظهر نعمه ما وتعليقا بالوصف (عذابا شديدا) في الدنيا بالحرمان وما يتبعه من فنون الهوان وفي
الآخرة بالنيران (ولنجزيهم) أى بأعمالهم (أسوأ) أى سوء العمل (الذى كانوا يعملون)
أى واظبن عليه (ذلك) أى الجزء الاسوأ العظيم جدا (جزاء أعداء الله) أى الملك الاعظم
ثم بينه بقوله تعالى (النار) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو في الوصل بابدال الهمزة الثانية
المفتوحة واو اخلاصة والباقون بخفيهما وأما الابداء بالثانية فالجميع بالتصديق ثم فصل بعض

ما في النار بقوله تعالى (لهم فيها) أي النار (دار الخلد) أي فأنهم ادارا فامة قال الزمخشري
 فان قلت ما معني قوله لهم فيها دار الخلد قال قلت ان النار في نفسها دار الخلد كقوله تعالى
 لقد كان لكم في رسول الله اسوة حسنة أي الرسول هو نفس الاسوة وقال البيضاوي هو
 كقولك في هذه الدار دار سرور يعني بالدار عينيها على أن المقصود هو الصفة قال ابن عادل
 في هذا نظر اذا الظاهر وهو معني صحيح منقول أن في النار دارا تسمى دار الخلد والنار محيطة
 بها اه وهذا أولى وقوله تعالى (جزاء) منصوب بالمصدر الذي قبله وهو جزاء أعداء الله والمصدر
 ينصب بـله كقوله تعالى فان جهنم جزاؤكم جزاء موفورا (بما كنوا بآياتنا) أي على
 ما لنا من العظمة (يوجدون) أي يلغون في القراءة وسماء بحمد الانهم لما علوا أن القرآن بالغ
 الى حد الإعجاز خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا فاستخرجوا تلك الطريقة الفاسدة
 وذلك يدل على أنهم علموا كونه معجزا وأنهم بحمد واحد * ولما بين تعالى أن الذي جعلهم
 على الكفر الموجب للعذاب الشديد مجالسة قرناء السوءين ما يقولون في النار بقوله تعالى
 (وقال الذين كفروا) أي غطوا أنوار عقولهم داعين بما لا يسمع لهم فهو زيادة في عقوبتهم
 وحكاية لها وعظ وتحذير (ربنا) أي بأيتها الذي لم يقطع قط احسانه عنا (أربنا) الصنفين
 (الذين أضلانا) أي عن المنهج الموصل الى محل الرضوان (من الجن والانس) لأن الشيطان
 على ضربين جنى وانسى قال تعالى وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا شياطين الانس والجن
 وقال تعالى الذي يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس وقيل هما ابليس وقاييل بن
 آدم الذي قتل أخاه لأن الكفر سنه ابليس والقتل بغير حق سنه قاييل فهما سنا المعصية وقرأ
 ابن كثير والسوسى وابن عامر وشعبة بسكون الراء من ارنا واختلس الدوري كسر الراء
 وكسرهما الباقون وشدد ابن كثير النون من اللذين (تجعلها ماتحت أقدامنا) في النار اذا لالا
 لهما كما جعلنا مات أمهرهما (ليكونا من الاسفلين) قال مقاتل أسفل منافي النار وقال الزجاج
 يكونا في الدرك الأسفل من النواى من أهل الدرك الأسفل ومن هو دوننا كما جعلنا كذلك
 في الدنيا في حقيقة الحال بأنا عننا لهما وقال بعض الحكماء المراد بالذين أضلانا الشهوة والغضب
 والمراد بجعلها ماتحت أقدامهم كونهم ماسخرين للنفس مطيعين لها وأن لا يكونا مستولين عليها
 ظاهرين عليها * ولما ذكر تعالى الوعيد أردفه بذكر الوعد كما هو الغالب فقال تعالى (ان الذين
 قالوا) أي قولا حقيقيا مدعنين به بالجنان وناطقين باللسان تصديقنا لادعى الله تعالى في الدنيا
 (ربنا) أي المحسن البنا (الله) أي المختص بالجلال والاكرام وحده لا شريك له وثم في قوله
 تعالى (ثم استقاموا) لتراخي الرتبة في الفضيلة فان الثبات على التوحيد ومصححاته الى الممات
 أمر في علو رتبته لا يرام الا بتوفيق ذي الجلال والاكرام سئل أبو بكر الصديق رضى الله عنه عن
 الاستقامة فقال ان لا تشرك بالله شيئا وقال عمر رضى الله عنه الاستقامة ان تستقيم على الامر
 والنهي ولا تزوغ وروغان الثعلب وقال عثمان رضى الله عنه اخلاص العمل لله وقال علي رضى
 الله عنه أذوا القرائض وقال ابن عباس رضى الله عنهما استقاموا على أمر الله تعالى بطاعته

واجتنبوا مصيئته وقال مجاهد وعكرمة استقاموا على شهادة أن لا إله إلا الله حتى لحقوا بالله
وقال قتادة كان الحسن إذا تلا هذه الآية قال اللهم ربنا ارزقنا الاستقامة وقال سفيان بن
عبد الله الثقفي قلت يا رسول الله أخبرني بأمر اعتصم به قال قل ربى الله ثم استقم فتلت ما أخوف
ما أخاف على فأخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم بلسان نفسه فقال هذا قال أبو حيان قال ابن
عباس رضى الله عنهم ما نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضى الله تعالى عنه (تنزل عليهم
الملائكة) قال ابن عباس عند الموت وقال قتادة إذا قاموا من قبورهم وقال وكيع بن الجراح
البشرى تكون في ثلاثة مواطن عند الموت وفي القبر وعند البعث وهى (الأنحافوا) قال
مجاهد لا تخافوا مما تغمدون عليه من أمر الآخرة (ولا تحزنوا) على ما خلفتم من أهل وولد
فإنما تخلفكم في ذلك كله وقال عطاء بن أبي رباح لا تخافوا من ذنوبكم ولا تحزنوا فإني أغفرها
لكم والخوف غم يلحق توقع المكروه والحزن يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار
والمعنى إن الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم قلن تذوقوه أبدا * (تنبيه) * يجوز في أن
أن تكون الخففة أو المفسرة أو الناصبة ولا نهاية على الوجهين الأولين ونافسة على الثالث
(وأبشروا) أى املوا صدوركم سرورا يظهر أثره على بشرتكم بهتل الوجه وبعم سائر الجسد
(بالجنة التى كنتم) أى كونوا عظماء على السنة الرسل عليهم السلام (تعودون) أى يتجدد لكم
ذلك كل حين بالكتب والرسل * (تنبيه) * فيما ذكر دلالة على أن المؤمن عند الموت وفي القبر
وعند البعث يكون فارغا من الأهوال والفزع الشديد (فان قيل) البشارة عبارة عن الخبر
الأول بحصول المنافع فأما إذا أخبر الشخص بحصول المنفعة ثم أخبر ثانيا بحصولها كان
الأخبار الثاني أخبارا ولا يكون بشارة والمؤمن قد يسمع بشارات الخير فإذا سمع المؤمن هذا
الخبر من الملائكة وجب أن يكون هذا الخبرا ولا يكون بشارة فما السبب في تسمية هذا الخبر
بشارة (أجيب) بأن المؤمن قد يسمع بشارات الخير ولم يعلم بأن له الجنة فيكون ذلك بشارة
أما إذا علم أنه من أهل الجنة بأخباري فإنه إذا سمع هذا الكلام من الملائكة فإنه يكون أخبارا
ولما ثبتوا لهم الخير ونفوا عنهم الضرر علوه بقولهم (نحن أولياؤكم) أى أقرب الأقرباء إليكم
فهن نفعل معكم كل ما يمكن أن يفعله القريب (في الحياة الدنيا) تجلب لكم المصبرات وتدفع
عنكم المضرات وفعلكم على جميع الخبرات فنوقفكم من المنام ونفعل بكم على الصلاة
والصيام ونبعدكم عن الآثام ضد ما نفعله الشياطين مع أوليائهم (وفي الآخرة) كذلك حيث
تتعدى الاخلاء بالاتقاء قال السدى تقول الملائكة عليهم السلام نحن الحنظة الذين كنا
معكم في الدنيا ونحن أولياؤكم في الآخرة أى لا تفارقكم حتى تدخلوا الجنة (ولكم فيها) أى
في الآخرة أى في الجنة وقبل دخولها في جميع أوقات المحشر (ما تشتهى) ولوعلى أدنى وجوه
الشهوات كما يرشد الله حذف المفعول (أنفسكم) من اللذان لا جمل ما منعموهما من الشهوات
في الدنيا (ولكم فيها) أى في الآخرة (ماتدعون) أى تمنون من الدعاء بمعنى الطلب وهو أعم
من القول وقوله تعالى (نزل) حالى مما تدعون أى هذا كله يكون لكم نزلا كما يقدم إلى الضيف

عند قدومه الى ان يهبأله ما يضاف به وأما ما يعطون فهو بما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر
على قلب بشر * ولما كان من حوسب عذاب فلا يدخل أحد الجنة الا برحمة الله تعالى أشار الى
ذلك بقوله تعالى (من) أى كائن ذلك النزل من (غفور) له صفة المحو للذنوب عينا وأثر اعلی غاية
لا يمكن وصفها (رحيم) أى بالغ الرحمة وهو الله تعالى واختلف في تفسير قوله تعالى (ومن أحسن
قولا) أى من جهة القول (ومن دعا الى الله) أى الذى عم بصفات كماله جميع الخلق فتسال ابن
سيرين والسدى هور رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا الى شهادة أن لا اله الا الله وقال الحسن
هو المؤمن الذى أعجب الله تعالى دعونه ودعا الناس الى ما أجاب اليه (وعمل) أى والحال أنه
قد عمل (صالحا) في نفسه ليكون ذلك أمكن لدعائه (وقال اتنى من المسلمين) تناخرا به وقطعا
لطمع المفسدين وقال عكرمة هم المؤذنون وقالت عائشة رضى الله عنها ان هذه الآية نزلت في
المؤذنين وقال أبو أمامة الباهلي رضى الله تعالى عنه وعمل صالحا صلى ركعتين بين الاذان
والاقامة وعن عبد الله بن مغفل رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم بين
كل أذنين صلاة ثلاث مرات ثم قال في الثالثة لمن شاء وعن أنس بن مالك رضى الله عنه قال
الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) أى الصبر والغضب والحلم
والجهل والعفو والاساءة في الجزاء وحسن العاقبة * (تنبيه) في الآية وجهان أحدهما
أنها زائدة للتأكيده كقوله تعالى ولا الظل ولا الحرو ولا النسموا لا يكتفى بواحد الثاني أنها
مؤسفة غير مؤكدة اذ المراد بالحسنة والسيئة الجنس اذ لا تستوى الحسنات في أنفسها فانيها
متفاوتة ولا تستوى السيئات أيضا فرب واحدة أعظم من أخرى وهو مأخوذ من كلام
الزمخشري (ادفع) كل ما يمكن أن يضرك من نفسك ومن الناس (بالتى) أى بالتحصيل
والاحوال التى (هى أحسن) على قدر الامكان من الاعمال الصالحات والعفون عن المسيء حسن
والاحسان اليه أحسن منه (فاد الذى بينك وبينه عداوة) عظيمة فاجأ أنه حال كونه (كأنه ولى)
أى قريب فاعل ما يفعله القريب (رحيم) أى في غاية القرب لا يدع مهما الاقضاء وسهله ويسره
وشفى عله وقرب بعينه وازال درنه كما يزيل الماء الحار الوسخ وقيل نزلت في أبي سفيان بن حرب
وكان عدوا ومؤذيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلم وصار وليا معافيا لرسول الله صلى الله عليه
وسلم * ثم نبه على عظيم فضل هذه الخصلة بقوله تعالى (وما يلقاها) أى على ما هي عليه من العظمة
(الا الذين صبروا وما يلقاها الا ذو حظ عظيم) من القضايل النفسانية وقال قتادة الحظ العظيم
الجنة أى وما يلقاها الا من وجبت له الجنة وقوله تعالى (واما) فيه ادغام نون ان الشرطية في ما
الزائدة (يتزغك من الشيطان نزغ) قال الزمخشري النزغ والنسغ بمعنى واحد وهو شيبه
النخس والشيطان ينزغ الانسان كأنه ينخسه فيبعثه على ما لا ينبغي وجعل النزغ نازعا كما قيل
جد جده أو أريد وما ينزغك نازغ وصف الشيطان بالصدور وتوسيله والمعنى وان صرفك
الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) أى استجبر بالملك الاعلى من شر
الشيطان واطلب من الله الدخول في عصمته مبادرا الى ذلك وامض على شأنك ولا تطعه وتوكل

على الله تعالى (انه هو) أى وحده (السميع) أى لكل مسوع من استعاذتك وغيرها (العليم)
 أى بكل معلوم من نزغ وغيره فهو القادر على رد كيدهم وتوهمين أمره ثم استدل على ذلك بقوله تعالى
 (ومن آياته) الدالة على وحدانيته وأنه سميع عليم (الليل والنهار) باختلاف هيئتهما على قدرته
 على البعث وكل مقدور وقدم الليل على ذكر النهار تنبيها على أن الظلمة عدم والنور وجود والعدم
 سابق على الوجود (والشمس والقمر) اللذان هما الليل والنهار وقدم الشمس على ذكر القمر
 لكثرة نفعها * ولما ثبت أنه تعالى المنفرد بالخلق قال سبحانه (لا تسجدوا للشمس) التي هي من
 أعظم أوثانكم وأعاد الثاني تأكيداً كيداً فقال (ولا للقمر) فأنه ما دلان على وجود الاله مخلوقان
 مسخران فلا ينبغي السجود لهما لان السجود عبارة عن نهاية التعظيم وهو لا يليق إلا بالذي
 أوجدهما من العدم كما قال تعالى (واسجدوا لله) أى الذى له كل كمال من غير شائبة نقص
 واختلف في عود الضمير في قوله تعالى (الذى خلقهن) على أوجه أولاهما عوده لآيات الاربع
 كما جرى عليه الجلال المحلى وقيل يرجع لليل والنهار والشمس والقمر قال الزمخشري لأن حكم
 جماعة ما لا يعقل حكم الانثى والاناث يقال الاقلام يريتها وبريتها ونافسه أبو حيان من حيث
 ان لم يفرق بين جمع القلة والكثرة في ذلك لان الافصح في جمع القلة أن يعامل معاملة الاناث
 وفي جمع الكثرة أن يعامل معاملة الانثى والافصح أن يقال الاجداع كسرتهم والجدوع
 كسرتهم وأجاب بعضهم بأن الزمخشري ليس في مقام بيان النصيح من الافصح بل في مقام كيف
 ينبغي الضمير ضمير اناث بعد تقدم ثلاثة أشباهه امذكرات وواحد مؤنث والقاعدة تغلب المذكر
 على المؤنث وقال البغوي انما قال خلقهن بالتأنيث لانه أجراها على طريق جمع التذكير
 ولم يجسر على طريق التغليب للمذكر على المؤنث * ولما ظهر أن الكل عبيده وكان السيد لا يرزى
 بأمر العبيده عبداً آخر في عبادة سيده قال تعالى (ان كنتم ايان) أى خاصة بغاية الرسوخ
 (تعبدون) كما هو صريح قولكم في الدعاء في وقت الشدايد لاسيما في البحر وفي الآية اشارة الى
 الحث على صيانة الآدميين عن أن يقع منهم بحجود لغيره رفعا لمقامهم عن أن يكونوا ساجدين
 لمخلوق بعد ان كانوا مسجوداً لهم فانه تعالى أمر الملائكة عليهم السلام الذين هم من
 أشرف خلقه بالسجود لآدم عليه السلام وهم في ظهوره فتكبراً بليس فأبدل عنه الى يوم القيامة
 (فان استكبروا) أى أوجدوا التكبر عن اتباعك فيما أمرتهم به من التوحيد فلم ينزهوا الله
 تعالى عن الشريك (فالذين عند ربك) أى من الملائكة قال الرازي ليس المراد بهذه العندية قرب
 المكان بل كما يقال عند الملك من الجنه كذا وكذا ويدل عليه قوله تعالى ان عندن عبيدي
 وأنا عند المنكسرة قلوبهم من أجلي (يسجدون له بالليل والنهار) أى دائماً لقوله تعالى
 (وهم لا يسأمون) أى لا يملون ولقوله سبحانه وتعالى يسجدون الليل والنهار لا يسترون (فان قيل)
 اشتغالهم بهذا العمل على الدوام يمنعهم من الاشتغال بآثار الاعمال مع انهم ينزلون الى
 الارض كما قال تعالى نزل به الروح الامين على قلبك وقال تعالى عن الذين فأنزلوا يوم بدر
 عددكم ربكم بمخمسة آلاف من الملائكة مسومين (أجيب) بأن الذين ذكرهم الله تعالى ههنا

بكونهم موافقين على التسليم أقوام معينون من الملائكة * (تنبيه) * اختلف في مكان
 السجدة فقيل هو عند قوله تعالى آياه تعبدون وهو قول ابن مسعود والحسن رضي الله عنهما
 حكاه الرافعي عن أبي حنيفة وأحمد رضي الله تعالى عنهما لأنه ذكر السجدة قبيله والصحيح عند
 الشافعي رضي الله تعالى عنه عند قوله تعالى لا يسأمون وهو قول ابن عباس وابن عمر وسعيد
 ابن المسيب وقاتدة وحكاه الزمخشري عن أبي حنيفة رضي الله عنه لأن عنده تم الكلام * ولما
 ذكر تعالى الدلائل الأربعة القاطعة أشعها بذكر الدلائل الأرضية فقال تعالى (ومن آياته) الدالة
 على قدرته ووحدانيته (أنك) أي أيها الإنسان (تري الأرض) أي بعضها بجحاسة البصر وبعضها
 بعين البصيرة قياسا على ما أبصرت (خاشعة) أي يابسة لانبثاقها والخشوع التذلل والتقاصر
 فاستعير لجمال الأرض إذا كانت قطعة لانبثاق فيها كما وصفها بالهمود في قوله تعالى وتري
 الأرض هامدة وهو خلاف وصفها بالاهترز والربو كما قال تعالى (فإذا أنزلنا) أي بالنامن
 العظيمة (عليها الماء) من الغمام أو غيره (اهتزت) أي تحركت حركة عظيمة كثيرة مريعة فكان
 كمن يعالج ذلك بنفسه (وربت) أي تشققت فارتفع ترابها وخرج منها النبات وسما في الحق
 مقطعا لوجهها وتشبعت عروقه وغلظت سوقه فصارت ينفع سلوكها على ما كانت فيه من السهولة
 وترخفت بذلك النبات كأنهم اجتزلة المختل في زيه بعدما كانت قبل ذلك كالذليل الكاسف للبال
 في الاطمار الرنة وقرأ السوسى ترى الأرض في الوصل بالامالة بخلاف عنه والباقون بالفتح
 وفي الوقف أمال محضة أبوعمر ووجزة والكسافي وورش بين يعن والباقون بالفتح ثم استعمل
 بذلك على القدرة على البعث فقال تعالى (ان الذي أحياها) أي بما أخرج من نباتها بعد أن كانت
 ميتة (لحي الموتى) كما فعل بالنبات من غير فرق (أنه على كل شيء قدير) فهو قادر على احياء الأرض
 بعد موتها وعلى احياء هذه الاجساد بعد موتها لأن الممككات بالنسبة الى القدرة متساوية
 فالقادر قدرة نامية على شئ منها قادر على غيره * ثم انه تعالى هدد من يجادل في آياته بالقاء
 الشبهات فيها بقوله تعالى (ان الذين يلحدون في آياتنا) أي القرآن على ما لها من العظمة بالطعن
 والتخريف والتأويل الباطل والافاغ فيها وقرأ حجة بفتح الياء والحاء من اللحد والباقون بضم
 الباء وكسر الحاء من اللحد يقال للحد الحافر والحد اذا مال عن الاستقامة يحفر في شق فاللحد
 هو المنحرف ثم اختم في العرف بالمنحرف عن الحق الى الباطل قال مجاهد يلحدون في آياتنا
 بالمكاه والتصدية واللغو واللفظ وقال السدي يعادون ويشاقون (لا يخفون علينا)
 أي في وقت من الاوقات ونحن قادرون على أخذهم متى شئنا أخذنا ولا يعجل الامن يخشى
 الفوات قال مقاتل نزلت في أبي جهل وقوله تعالى (أمن يلقي في النار) أي على وجهه بأيسر
 أمر (خبراً من يأتي آمنا يوم القيامة) استفهام بمعنى التقرير والقرض منه التنبيه على أن
 الملحد في الآيات يلحق في النار وأن المؤمنين بالآيات يأمنون يوم القيامة حين
 يجمع الله تعالى عباد للعرض عليه للمحكم بينهم بالعدل قال البغوي قيل هو حجة وقيل هو عثمان
 وقيل عمار بن ياسر * (فائدة) هأم من في الرسم مقطوعة وقوله تعالى (اعلموا ما شئتم) أي فقد علمتم

مصيب المسمى والمحسن تهديدين أراد سبحانه أن الجزاءين فليعمل أعماله فنه ملاقيه وقوله تعالى
 (انه بما تعملون) أى فى كل وقت (بصير) أى عالم بأعمالكم فيه وعيد بالمجازاة وقوله تعالى
 (ان الذين كفروا بالذكر) أى القرآن (لما جاءهم) بدل من قوله تعالى ان الذين يهدون
 أو مستأنف وخبر أن محذوف مثل معاندون أو هالكون أو أولئك ينادون ولما بالغ تعالى
 فى تهديد المحدثين فى آيات القرآن أتبعه ببيان تعظيم القرآن فقال تعالى (وانه) أى والحال
 انه (لكتاب) أى جامع لكل خير (عزيز) أى فهو وكثير النفع عديم النظير يغلب كل ذكر
 ولا يقبله ذكر ولا يقرب منه ذلك ويجوز كل معارض ولا يجز عن اقعاد مناهض وقال
 الكلبي عن ابن عباس رضى الله عنهما كرم على الله تعالى وقال قتادة أعزه الله تعالى (لا يأتيه
 الباطل) لانه يتشع منه بمقائه وصفه وجرالة نظمه وحلاوة معانيه فلا يلحقه تغير (من بين يديه
 ولا من خلفه) أى لا يتطرق اليه الباطل من جهة من الجهات لان قدام أو ضح ما يكون
 وخلف أخفى ما يكون فباين ذلك من باب أولى والعبارة كناية عن ذلك لان صفة الله تعالى
 لا زوالها ولا أمام لها على الحقيقة ومثل ذلك ليس وراء الله تعالى مرمى ولا دونه منتهى
 وقال قتادة والسدى الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره أو يزيد فيه أو ينقص منه
 وقال الزجاج معناه أنه محفوظ من أن ينقص منه فيأتيه الباطل من بين يديه أو وراءه
 فيأتيه الباطل من خلفه وعلى هذا فعنى الباطل الزيادة أو النقصان وقال مقاتل لا يأتيه
 التكذيب من الكذب التى قبله ولا يأتي بعده كتاب فيبطله ثم على ذلك بقوله تعالى (تنزيل)
 أى بحسب التدرىج لاجل المصالح (من حكيم) أى بالغ الحكمة فهو يضع كل شئ منه فى أتم
 محله من وقت النزول وسياق النظم (حجيد) أى بالغ الاحاطة بأوصاف الكمال من الحكمة
 وغيرها والتطهر والتقديس عن كل شائبة نقص يحمد كل خلقه بلسان حاله ان لم يحمد
 بلسان قاله (فان قيل) أطمعن فيه الطاعنون وتناولوا المبطون (أجيب) بأن الله تعالى حمده عن
 تعلق الباطل به بأن قبض قوما عارضوهم بابطال تأويلهم وافساد أقاويلهم فلم يخلوا طعن طاعن
 الامحوقا ولا قول مبطل المضمحلا ونحو هذا قوله تعالى ان نحن نزلنا الذكروا ناله الحافظون
 ثم سلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (ما يقال) أى من الكفار أو من غيرهم (لك)
 يا أكرم الخلق مما يحصل به ضيق صدورنا ونشوب فكر (الاما) أى شئ (قد قيل) أى حصل
 قوله على ذلك الوجه (لنرسل من قبلك) فصبروا على ما أودوا فاصبروا كما صبروا (ان ربك) أى
 المحسن اليك بارسالك وانزال كتابه اليك ومن يكرم بمثل هذا لا ينبغي له ان يجزئ شئ يعرسله
 (لذومغفرة) أى لمن تاب وآمن بك (ودوعقاب أليم) أى ولم لمن أصر على التكذيب وعلى
 هذا فتقوله تعالى ان ربك الآية مستأنف وقيل - فسر له قول كانه قيل للناس ان ربك لذو
 مغفرة وجرى على ذلك الزمخشري ونزل جوابا لقولهم هلا نزل القرآن بلغة العجم (ولو جعلناه)
 أى هذا الذكرا من العظمة (قرآنا) أى على ما هو عليه من الجمع (أعجميا) أى لا يفصح
 (لقلوا) أى هؤلاء ائمة نؤمنون (لولا) أى هلا ولم لا (فصلت) أى بينت (آياته) حتى تفهمها

وقولهم (أَعْجَمِي) أى أقرآن أعجمي (و) نبي (عربي) استفهام انكار منهم وقال مقاتل
كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخل على يسار غلام عامر بن الحضرمي وكان يهوديا
أعجميا يكنى أبا فكيهة فقاتل المشركون انما يعلمه يسار غلام عامر فضر به سيده وقال انك
تعلم محمدا فقال هو يعلمني فأنزل الله تعالى هذه الآية وقرأ قالون وأبو عمرو بتحقيق الهمزة
الاولى وتسهيل الثانية وادخال ألف بينهما ما وورش وابن كثير وابن ذكوان وحفص بتسهيل
الثانية ولا ادخال وأسقط هشام الاولى والباقيون بتحقيقهما وقوله تعالى لنبيه محمد صلى الله
عليه وسلم (قل هو) أى هذا القرآن (للذين آمنوا) أى أردنا وقوع الايمان منهم (هدى) أى
بيان لكل مطلوب (وشفاء) أى لما في صدورهم من داء الكفر والهوى وقيل من الاوجاع
والاسقام متعلق كما قال الرازي بقولهم وقالوا قلونافي أكنة مما تدعونا اليه الآية كانه
تعالى يقول هذا الكلام أرسلته اليكم بلفظكم لا بلفظة أجنبية عنكم فلا ينعكسكم أن تقولوا
قلونافي أكنة منه بسبب جهلنا هذه اللغة فكل من أعطاه الله تعالى طبعاً ما أملا الى الحق وقلبا
داعيا الى الصدق فإن هذا القرآن يكون في حقه هدى وشفاء وأما من غرق في بحر الخذلان
وشغف بتبابعة الشيطان فهو في ظلة وعى كما قال تعالى (والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر)
أى نقل فلا يسمعون مما عاينتهم (وهو عليهم عصى) فلا يصرون الداعي حق الابصار
ثم قال الرازي وكل من أنصف علم ان التفسير على هذا الوجه الذى ذكرناه أولى مما
ذكره أى أنه متعلق بما قبله لان السورة تصير بذلك من أولها الى آخرها كلاما واحدا
منظما مسوقا لفرض واحد انتهى ولما بين هذا بعدهم عن عليائه وطردهم عن فسائمه
قال تعالى (أولئك) أى البعداء البغضاء مثالهم من (ينادون) أى يناديهم من يريد
نداءهم غير الله تعالى (من مكان بعيد) أى هم كالمندى من مكان بعيد لا يسمع ولا يفهم
ما ينادى به (ولقد آتينا) أى على ما لنا من العظمة (موسى الكتاب) أى التوراة (فاختلف)
أى وقع الاختلاف (فيه) وجهه تعلقه بما قبله كانه قيل انما آتينا موسى الكتاب فقبله
بعضهم وهم أصحاب الهدى وردده بعضهم فكذلك آتيناك الكتاب فقبله بعضهم وهم أصحابك
وردده آخرون وهم الذين يقولون قلونافي أكنة مما تدعونا اليه (ولولا كلمة) أى ارادة
(سبقت) فى الازل (من ربك) أى المحسن اليك بتأخير الحساب والجزاء للخلاق الى يوم
القيامة (لقضى بينهم) أى فى الدنيا فيما اختلفوا فيه من انصاف المظلوم من ظالمه قال تعالى
بل الساعة موعدهم ولكن تؤخرهم الى أجل مسمى (وانهم لفي شك) أى المكذبين
محيط بهم (منه) أى القضاء يوم الفصل (مرتب) أى موقع فى الرب وهو التهمة والاضطراب
بحيث لا يقدر على التخلص من دائرته أصلا ثم قال تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم (من عمل
صالحا) أى كائنا من كان (فلنفسه) أى ننفع عمله لها لا لأحد يتعدها والنفس فقيرة
الى التزكية بالاعمال الصالحة لانها محل القائص فلذا عبر بها (ومن أساء) فى عمله
(فعلها) أى على نفسه خاصة ليس عليك منى نخفف عن نفسك اعراضهم فانهم ان آمنوا

فنفخ ايمانهم يعود اليهم وان ~~كفر~~ وافضروا كفرهم يعود اليهم والله سبحانه وتعالى يوصل الى
كل احد ما يليق به من الجزاء (وماربك) أي المحسن اليك بارسالك لتقيم مكارم الاخلاق
(بطلام) أي بذى ظلم (للعبيد) أي هذا الجنس فلا يتصور أن يقع ظلم لاحد منهم أصلاً لأنه
الغنى المطلق والحكمة البالغة (اليه) أي المحسن اليك لا الى غيره (يرد علم الساعة) أي
أي لا سبيل الى معرفته وقت ذلك اليوم ولا يعلمه الا الله تعالى وكذا العلم بحوادث الحوادث
المستقبله في أوقاتها المعينة ليس الا عند الله ثم ذكر من أمثلة هذا الباب مثالين أحدهما
قوله تعالى (وما تخرج من غرات) أي في وقت من الاوقات وقرأ نافع وابن عامر وحفص بأنف
بعد الراء جمعوا والباقيون بغير ألف افرادوا وقوله تعالى (من أكامها) جمع كم وكامة قال البقاعي
تبعاً للزحخشري بالكسر فيها وهو وعاء الطلع وكل ما غطى على وجهه الاحاطة شيئاً من شأنه أن
يخرج فهو كم وقال الراءب الكم ما يغطي البدن من القميص وما يغطي الثمرة وجهه أكام
وهذا يدل على أنه مضموم الكاف أو جعله مشتركا بين كم القميص وكم الثمرة ولا خلاف
في كم القميص أنه بالضم فيجوز أن يكون في وعاء الثمرة لغتان دون كم القميص جمعاً بين القولين
والمثال الثاني قوله تعالى (وما تحمل من أنثى) جلا ناقصاً وتاماً أو كذا الغنى باعادة الناقص
ليشهد كل على حياله (ولا تضع) جلا حياً أو ميتاً (الا) حال كونه متلبساً (تبعه) ولا علم لاحد
غيره بذلك ومن ادعى علمه فلنجرب أن ثمره الحديفة الفلانية والبستان الفلاني والبلد الفلاني
تخرج في الوقت الفلاني أو لا تخرج العام شيئاً والمرأة الفلانية تحمل في الوقت الفلاني
وتضع في وقت كذا أو لا تحمل العام شيئاً ومن المعلوم أنه لا يحيط به هذا علماً الا الله تعالى
(فان قيل) قد يقول الرجل الصالح من أصحاب الكشوف قولاً فيصيب فيه وكذلك الكهان
والمنجمون (أجيب) بأن أصحاب الكشوف اذا قالوا قولاً فهو من الهام الله تعالى واطلاعه
اباهم عليه فكان من علمه الذي يراد به وأما الكهان والمنجمون فلا يمكنهم القطع والجزم
في شيء مما يقولونه البتة وانما غايتهم ادعاء ظن ضعيف قلما يصيب وعلم الله تعالى هو العلم
اليقين المقطوع به الذي لا يشركه فيه أحد جل وبنو اعلا (ويوم يناديهم) أي المشركون
بعد بعثهم من القبور لفصل بينهم في سائر الامور (أين شركائي) أي الذين زعمتم أنهم يشفعون
لكم في هذا اليوم ويحسونكم من العذاب واللوم (قالوا) أي المشركون (آذناك) أي
أعلمناك (طامنا) واكدوا الذي بادخل الجارف المبتدا (من شهيد) أي يشهد أن لك شريكاً
وذلك لما رأوا العذاب تبرؤا من الاصنام وقبل معناه ما من أحد يشاهدهم لانهم ضلوا عنهم
وضلت عنهم ألهمهم فلا يصبرونها في ساعة التوبين وقبل هذا كلام الاصنام كان الله تعالى يحبسها
وأما تقول ما من من شهيد أي أحد يشهد ببعثة ما أضافوا اليها من الشركه وعلى هذا التقدير
فغنى ضلالتهم عنهم انهم لا يشفعونهم فكانهم ضلوا عنهم وهو معنى قوله تعالى (وضل) أي ذهب
وغاب وخفي (عنهم ما كانوا) أي دائماً (يدعون) في كل حين على وجه العبادة (من قبل)
فهم لا يرونه فضلاً عن انهم يحدون نفعه (وظنوا) أي في ذلك الحال (مالهم) وأبلغ في النفي

بادخال الجار على المبتدأ المؤخر فقال (من محبض) أى مهرب ومهلج ومعدل ولما بين تعالى من
 حال هؤلاء الكفار أنهم بعد أن كانوا مصرين على القول بأبواب الشركاء والاضداد لله تعالى
 في الدنيا تبرؤا عن تلك الشركاء في الآخرة بين تعالى أن الانسان في جميع الاوقات متغير
 الاحوال فان أحسن بخير وقدره تعاليم وان أحسن يلام ومحنة ذل بقوله تعالى (لايسأمن)
 أى لا يمل ولا يعجز (الانسان) أى الاتمس بنفسه الناظر في اعطافه الذى لم يتأهل للمعارف
 الالهية والطرق الشرعية (من دعاء الخير) أى لا يزال يسأل ربه المال والصحة وغيرهما
 (وان مسه الشر) أى من فقر وشدة وغيرهما (فتوس) من فضل الله تعالى (قنوط) من رحمة
 الله تعالى والمعنى ان الانسان في حال الاقبال لا ينتهى الى درجة الاو يطلب الزيادة عليها
 وفي حال الادبار والحرمان يصير آسافا ناطا وهذه صفة الكافر لقوله تعالى لا يأس من روح
 الله الا القوم الكافرون * (تنبيه) * فى قوله تعالى يؤس قنوط مبالغة من وجهين أحدهما من
 طريق فعول والثانى من طريق التكرار واليأس من صفة القلب والقنوط أن تظهر آثار اليأس
 في الوجه والاحوال الظاهرة ثم بين تعالى حال هذا الذى صار آسافا ناطا بقوله تعالى (ولئن) اللام
 لام القسم (أذقناه) أى آتيناه ذلك الانسان (رحمة) أى غنى وصة (مننا) أى بالنامن
 العظيمة والقدرة (من بعد ضراء) أى شدة وبلاء (مسته) فانه يأتي بثلاثة أنواع من الاقويل
 الفاسدة الموجبة للكفر والبعد من الله تعالى الاول منها ما حكاه الله بقوله سبحانه (ليقولن)
 بغير ذوق تلك الرحمة على أنهار بما كانت بلاء عظيم الكونها اسند راجالى الهلاك (هَذَا)
 الاخر العظيم (لى) أى حتى يختص بي وصل الى لاني استوحشته بعلى وعلى ولا يعلم المسكين
 أن أحد الاستحق على الله تعالى شيأ لأنه ان كان عاريا من الفضائل فكلامه فظاهر الفساد وان
 كان موصوفاً بشئ من الفضائل والصفات الحميدة فهي انما حصلت بفضل الله واحسانه النوع
 الثانى من كلامه الفاسد قوله (وما أظن الساعة) أى القيامة (قائمة) أى ثابتة قيامها فقطع
 الرجا منها سواء عبر عن ذلك بلسان فاه أو بلسان حاله لكونه يفعل أفعال الشاك فيها النوع
 الثالث من كلامه الفاسد قوله (ولئن) اللام لام القسم (رجعت) أى على سبيل القرض أى
 ان هذا الكافر يقول لست على يقين من البعث وان كان الامر على ذلك ورددت (الى ربى)
 أى الذى أحسن الىهم - ذا الخير الذى أنافيه (ان لى عنده الحسنى) أى الحالة الحسنى من
 الكرامة وهى الجنة فكما أعطانى في الدنيا سمع عطيتى في الآخرة ولما حكى الله تعالى عنهم هذه
 الاقوال الثلاثة الفاسدة قال تعالى شأنه (فلننبئن) أى فلنخبرن (الذين كفروا) أى ستروا
 ما دلت عليه العقول وصرائح النقول (بما عملوا) لاندع منه كثيرا ولا قليلا صغيرا ولا كبيرا
 فيرون عيانا ضد ما ظنوه في الديان أن لهم - الحسنى وقدمنا الى ما عملوا من عمل فجعلناه
 هباء منثورا وقال ابن عباس رضى الله عنهم - ما لتوقفهم على مساوى أعمالهم (ولنذيقنهم)
 أى بعد اقامة العجلة عليهم عوازين القسط الوافية كما قيل الذر (من عذاب غلظت) أى شديد
 لا يدع جهة من أجسامهم الا حاط بها * ولما حكى الله تعالى أقوال الذى أنتم عليه بعد وقوعه

في الآفات حكى أفعاله أيضا فقال (وَإِذَا أَنْعَمْنَا) أي بما لنا من العظمة (على الإنسان) أي
 الواقف مع نفسه نعمة تليق بعظمته (أَعْرَضَ) أي عن التعظيم لأمر الله تعالى والشفقة
 على خلق الله تعالى (وَنَآى) أي أبعد بعد جعل بيننا وبينه حجبا عظيما (بجانبه) أي
 نفي عطفه متبجرا (وَإِذَا مَسَّ الشَّرَّ) أي هذا النوع قليله وكثيره (فَذُودَعَا) أي في كشفه
 وربما كان نعمة باطنية وهو لا يشعر ولا يدعو إلا عند المس وقد كان ينبغي له أن يشرع
 في الدعاء عند التوقع بل قبله نعرف إلى الله تعالى في الرخاء ليعرفه في الشدة وهو خلق شريف
 لا يفعل إلا أفراد خضعهم الله بطنه (عريض) أي مديد العرض جدا وأما طوله فلا يستل
 عنه وهذا كناية عن النهاية في البكثرة تقول العرب أطال فلان الدعاء وأعرض
 أي أكثر ثم أمر الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (قُلْ) أي لهؤلاء المعرضين
 (أُرَأَيْتُمْ) أي أخبروني (أَنْ كَانَ) أي هذا القرآن (مِنْ عِنْدِ اللَّهِ) الذي له الإحاطة بجميع
 صفات الجلال والجمال (ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ) أي من غير نظر واتباع دليل (مَنْ أَضَلُّ) منكم هكذا
 كان الأصل ولكنه قال (مَنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ) أي خلاف لآلئاء الله تعالى (بعيد) أي عن
 الحق تنبها على أنهم صاروا كذلك ومن صار كذلك فقد عرض نفسه لسطوات الله عز وجل
 (سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ) قال ابن عباس يعني منازل الأمم الخالية (وَفِي أَنْفُسِهِمْ) أي
 بالبلابا والأمراض وقال قتادة يعني وقائع الله تعالى في الأمم الخالية وفي أنفسهم يوم بدر
 وقال مجاهد في الآفاق ما يفتح الله تعالى من القرى على محمد صلى الله عليه وسلم وفي أنفسهم
 فتح مكة وقال عطاء في الآفاق يعني أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم
 في الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات والنبات والأشجار والأنهار
 وفي أنفسهم من لطائف الصنعة وبديع الحكمة في كيفية تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام
 وحديث الأعضاء المحببة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفي أنفسكم أثلاث بصرون
 * (تنبيه) * قال النووي في تهذيبه قال أهل اللغة الآفاق النواحي الواحد أفاق يضم الهمزة
 والفاء وافق بإسكان الفاء * ولما كان التقدير ولا نزال نكره عليهم هذه الدلائل عطف عليه
 (حتى يبين لهم) غاية البيان بنفسه من غير أعمال فكرر (أَنَّهُ) أي القرآن (الحق) أي
 الكامل في الحقيقة الذي يطابق الواقع المنزل من الله تعالى بالبعث والحساب والعقاب
 فيعاقبون على كفرهم به وبإلجائيه وقبل الضمير في أنه لدين الإسلام وقبل لمحمد صلى الله عليه
 وسلم (أَوَّلَ يَكْفِ بِرَبِّكَ) أي المحسن إليك بهذا البيان المهجول للأنس والجان شهادة بأن القرآن
 من عند الرحمن * (تنبيه) * الباء زائدة للتأكيد كيد كانه قبل أولم تحصل الكفاية به ولا تكاد
 تزداد في الفاعل إلا مع كفي وقوله تعالى (أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ) بدل من ربك والمعنى أولم
 يكفهم في صدق أن ربك لا يغيب عنه شيء وما قد شتم ذلك فيه بالأعجاز لجميع الخلق بكل
 ما تضمنته آياته ونطقت به كلماته فقيه أعظم بشاره بتمام الدين وظهوره على المعتدين ولما لم يبق
 بعد هذا التعمق مقال ولا شبهة أصلا لئلا قال تعالى مناديا على من جحدوا واستمر على عمله

(الأنهم) أى هؤلاء الكفرة (فى مربة) أى مجد وجدال وشك وضلال عن البعث (من انقام ربهم) أى المحسن اليهم بأن خلقهم ورزقهم لانكارهم البعث ثم كركونه قادرا على البعث وغيره بقوله تعالى (الأنه) أى هذا المحسن اليهم (بكل شئ) أى من الاشياء جللتها ونفصلها كلياتها وجزئياتها أصولها وفروعها غيبها وشهادتها ملكها وملكوتها (محيط) قدرة وعلى بكثير الاشياء وقليلها كلياتها وجزئياتها فيجازيهم بكفرهم وقول البضاوى تبعالز مخشوى عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ السجدة أعطاه الله بكل حرف عشر حسنة حديث موضوع

❖ (سورة شورى مكي) ❖

وهى ثلاث وخسون آية وثمانمائة وست وستون كلمة وثلاثة آلاف وخمسمائة وثمانية وثمانون حرفا

(بسم الله) الذى أطاب صفات الكمال (الرحمن) الذى عمت رحمته سائر عباد (الرحيم) الذى خص أوليائه بماتر ضاء الهيته من رحمته وقوله تعالى (حم عسق) تقدم الكلام فى أمثال هذه الفوائج وسئل الحسن بن الفضل لم قطع حم عسق ولم يقطع كهيعص فقال لأنها سورة أولها حم فحرت مجرى نظائرها فكان حم مبتدأ وعسق خبره ولأنهم مبدء آيتين وأخواتها مثل كهيعص والمص والمرعدت آية واحدة وقيل لأن أهل التأويل لم يختلفوا فى كهيعص وأخواتها أنها حروف تهج لا غير واختلفوا فى حم فأخرجها بعضهم من حيز الحروف وجعلها فعلا وقيل معناها حم أى قضى ما هو كائن روى عكرمة عن ابن عباس أنه قال حمله م مجده ع علمه س سناؤه ق قدرته أقسم الله تعالى بها وقال شهر بن حوشب وعطاء بن أبى رباح ح حرب قريش يعز فيها الذليل ويذل فيها العزيز فى قريش م ملك يتقوى من قوم الى قوم ع عدو قريش يقصدهم س سجن كسنى يوسف تكونون فيهم ق قدرة الله تعالى النافذة فى خلقه وروى عن ابن عباس أنه قال ليس من شئ صاحب كتاب الا ووحيت اليه حم عسق فلذلك قال تعالى (كذلك) أى مثل هذا الايحاء العظيم الشأن (بوحى اليك) أى مادمت حيا لا يقطع ذلك عنك (والى) أى وأوحى الى (الذين من قبلك) أى من الرسل الكرام والانبياء الاعلام ومن جملة ما وصى اليهم أن أمتك أكثر الأمم وأنت أشرف الانبياء وأخذ على كل منهم العهد باتباعك وأن يكونوا من أنصارك وأتباعك وقوله تعالى (الله) أى الذى له الاحاطة بأوصاف الكمال فاعل الايحاء * ولما كان نفوذ الامر دأرا على العزة والحكمة قال تعالى (العزيز) أى الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) الذى يصنع ما يصنعه فى اتقن محاله فلذلك لا يقدر أحد على نقض ما برمه ولا نقص ما أحكمه * (تنبيه) ما تتر من أن الله تعالى فاعل الايحاء هو على قراءة كسر الحاء من بوحى وهى قراءة غير ابن كثير وأما على قراءة ابن كثير ففتح الحاء فيجوز أن يرتفع بفعل مضمر كأنه قيل من بوحيه فقبل الله كسبح له فيها بالغدق والآصال رجال ويجوز أن يرتفع بالابتداء وما به مد خبر

والجمله فاعلم مقام الفاعل وأن يكون العزيز الحكيم خبرين أولفتين والجملة من قوله تعالى
 (له ما في السموات) أي من الذوات والمعاني (وما في الأرض) كذلك خبر أول وأن على
 حسب ما تقدم في العزيز الحكيم قال الزمخشري لم يقل تعالى أوحى اليك ولكن قال يوحى
 اليك على لفظ المضارع ليدل على أن إحياء منسله عادة وكونه عزيزا يدل على كونه قادرا على
 ما لا نهاية له وكونه حكما يدل على كونه عالما بجميع المعلومات عنديا عن جميع الحاجات وقوله
 تعالى له ما في السموات وما في الأرض يدل على كونه متصفا بالقدره الكامله النافذه في جميع
 أجزاء السموات والأرض على عظمتهم وأوسعهم بالإيجاد والاعدام وأن ما في السموات وما في
 الأرض خلقه وملكه ولما كان المعلوم مستلزما للقدره قال تعالى (وهو العلي) على كل شئ
 علو رتبة وعظمه ومكانه لا يعلمه كان ولا يسه (العظيم) بالقدره والتهر والاستعلاء وقوله تعالى
 (تسكاد السموات) قرأ نافع والكسائي بالياء التحية والباقيون بالقوية وقوله تعالى
 (ينظرون) أي يشفقن قرأ شعبة وأبو عمرو وبعد الياء بنون ساكنة وكسر الطاء مخففة
 والباقيون بعد الياء بتاء فوقية مفتوحة وفتح الطاء مشددة وقوله تعالى (من فوقهن) في ضميره
 ثلاثة أوجه أحدها أنه عائد على السموات أي كل واحدة منهن تنظر فوق التي تليها من
 عظمة الله تعالى أو من قول المشركين اتخذ الله ولدا كما في سورة مريم أي يبدئ انفطارهن من
 هذه الجهة فن لا بداء الغاية متعلقة بما قبلها الثاني أنه يعود على الأرض لتقدم ذكر الأرض
 الثالث أنه يعود على فرق الكفار والجماعات المخسدين قاله الاخفش الصغير وقال الزمخشري
 كلمة الكفر أي على التفسير الثاني انما جاءت من الذين تحت السموات فكان القياس أن
 يقال ينظرون من تحت أي من الجهة التي جاءت منها الكلمة ولكنه بولغ في ذلك فجعلت مؤثرة
 في جهة الفوق كأنه قيل يكدن ينظرون أي من الجهة التي فوقهن دون الجهة التي تحتهن ونظيره
 في المبالغة قوله عز وجل يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما في بطونهم فجعل الحميم مؤثرا
 في أجزائهم الباطنة اه * وما بين تعالى أن سبب كيد وده انفطارهن جلال العظمة التي منها
 كثرة الملائكة وشناعة الكفر بين لها اسما آخر وهو عظم قول الملائكة فقال تعالى
 (والملائكة يسبحون) أي يوقعون التهنيز لله تعالى متلبسين (بحمدهم) أي بإثبات
 الكمال للعسن اليهم سيما يلق بجلالهم فلم يزل زجل وأصوات لا تحطها العتول ولا تثبت
 لها الجبال * (تنبيه) * عدل عن التأييد ولم يقل يسبحن مراعاة للنظ التذكير ونحوهم الجمع
 الجمع إشارة الى قوة التسبيح وكثرة المسبحين (فان قيل) قوله تعالى (وبسبحن من لم ين
 في الأرض) عام فيدخل فيه الكفار ولقد أعظمهم الله تعالى فقال سبحانه أولئك عليهم لعنة الله
 والمرئكة والناس أجمعين فكيف يكونون لاعين لهم ومستغفرون لهم (أجيب) بوجوه
 الأول أنه عام مخصوص بآية غافر وبسبحن الذين آمنوا الثاني أن قوله تعالى لمن
 في الأرض لا يفيد العموم لانه يصح أن يقال استغفروا البعض من في الأرض دون البعض
 ولو كان صريحا في العموم لما صح ذلك الثالث يجوز أن يكون المراد باللائحة فإرا أن لا يعاجلهم

قوله استغفروا

لبعض الخ الظاهر

اسقاط لفظ بعض

ومع اسقاطه فنبه

نظر اه

بالعقاب كما في قوله تعالى ان الله يمسك السموات والارض أن تزولا إلى أن قال تعالى انه كان
 حلما غفورا الرابع يجوز أن يقال انهم يستغفرون لكل من في الارض اما في حق الكفار
 فطلب الايمان لهم وأما في حق المؤمنين فبالتجاوز عن سيئاتهم فانا نقول اللهم اهد الكفار
 وزين قلوبهم بنور الايمان وأزل عن خواطرهم وحشة الكفر وهذا استغفار في الحقيقة
 وقوله تعالى (ألا ان الله) أي الذي له الاحاطة بصفات الكمال (هو) أي وحده (الغفور
 الرحيم) تنبيه على أن الملائكة وان كانوا يستغفرون للبشر إلا أن المغفرة المطلقة لله
 تعالى وهذا يدل على أنه تعالى يعطي المغفرة التي طلبوها ويضم إليها الرحمة (والذين اتخذوا
 من دونه) أي غير الله تعالى (أولياء) أي أنادوا وشركاء يعبدونهم كالاصنام (الله)
 أي المحيط بصفات الكمال (حفيظ) أي رقيب وصراع وشهد (عليهم) أي على أعمالهم
 ولا يغيب عنه شيء من أعمالهم فهو ان شاء أبصاهم على كفرهم وجازاهم عليه بما أعد للكافرين
 وان شاء تاب عليهم ومحا ذلك عينا وأثر اولم يعاقبهم وان شاء مجباه عينا وأبني الاثر حتى يعاقبهم
 (وما أنت) يا أشرف الرسل (عليهم بوكيل) أي حتى يلزمك أن تراعي جميع أحوالهم من
 أقوالهم وأفعالهم فتحنظها وتقسرهم على تركها وتحوذك بحماية ولاد الوكيل بما يقوم فيه مقام
 الموكل سواء قالوا لا نسمعوا هذا القرآن أم قالوا قلوبنا في أكنة عمائد عونا إليه وغير ذلك
 اذ ما علمت الابلاغ (وكذلك) أي ومثل ذلك الايحاء (أو حينئذ) أي بما لنا من العظمة
 (اليسر قرآنا) أي جامع لكل حكمه مع الفرق لكل ملتبس (عربيا) فهو بين الخطاب
 واضح الصواب مجاز الجنب (لتنذر) أي به (أم القرى) أي أهل مكة التي هي أم الارض
 وأصلها منها حديث أولشرفها وقع الفعل عليها عدالها عدد العقلاء أو غير ذلك اذ ما علمت
 الابلاغ وقوله تعالى (ومن حولها) معطوف على أهل المقدر قبل أم القرى والمفعول الثاني
 محذوف أي العذاب والمراد بين حولها قرى الارض كما هم من أهل البدو والحضر وأهل
 المدر والوبر والانداز الخوف (وتنذر) أي الناس (يوم الجمع) أي يوم القيامة يجمع
 الله تعالى فيه الاولين والاخرين وأهل السموات والارضين ويجمع الارواح بالاجساد
 ويجمع بين العامل وعمله ويجمع بين الظالم والمظلوم (لأريب) أي لاشك (فيه) لانه ركز
 في فطرة كل أحد وقوله تعالى (فريق) يجوز فيه وجهان أحدهما أنه مبتدأ وساغ هذا
 في التكرار لانه مقام تفصيل وخبره (في الجنة) أي تفضلا منه ورحمة وهم الذين قبلوا الانذار
 وبالعوا في الحذار ويجوز أن يكون الخبره قد رات تنذيره منهم فريق وساغ الابتداء بالتكرار حينئذ
 لشئين تقديم خبرها جارا ومجرورا وصفها بالجار بعدها والثاني أنه خبر مبتدأ مضمرا أي هم
 أي النجوعون فريق دل على ذلك قوله تعالى يوم الجمع وقوله تعالى (وفريق في السعير) أي
 عدالته فيه مامر وهم الذين خذاهم الله تعالى وكلهم إلى أنفسهم (فان قيل) يوم الجمع
 يقتضي كون القوم مجتمعين والجمع بين الصنفين محال (أجيب) بأنهم مجتمعون أولا ثم يصيرون
 فريقين قال القشيري كما أنهم في الدنيا فريقان فريق في راحات الطاعات وحلاوات العبادات

وفريق في ظلمات الشرك وعقوبات الجحود والشك فكذلك غداهم فريقان فريق هم أهل
 اللقاء وفريق هم أهل البلاء والشقاء روى الامام أحمد عن عبد الله بن عمرو قال خرج علينا
 رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم قابضا على كفيه ومعه كتابان فقال أتدرون ما هذان
 الكتابان قلنا لا يا رسول الله فقال للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة
 وأسماء آبائهم وعشائهم وعدتهم قبل أن يستقرزوا نطقا في الاصلاب وقبل أن يستقرزوا نطقا
 في الارحام اذهب في الجنة متجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله عليهم الى يوم
 القيامة ثم قال للذي في يده اليسرى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل النار وأسماء آبائهم
 وعشائهم وعدتهم قبل أن يستقرزوا نطقا في الاصلاب وقبل أن يستقرزوا نطقا في الارحام
 اذهب في الجنة متجدلون فليس يزاد فيهم ولا ينقص منهم اجمال من الله تعالى عليهم الى يوم
 القيامة فقال عبد الله بن عمرو فقيم العمل اذن فقال اعملوا وسددوا وقاربوا فان صاحب
 الجنة يختم له بعمل أهل الجنة وان عمل أى عمل وان صاحب النار يختم له بعمل أهل النار
 وان عمل أى عمل ثم قال فريق في الجنة وفريق في السعير عدل من الله تعالى أخرجه أحمد بن
 حنبل في مسنده (ولو شاء الله) أى المحيط بجميع أوصاف الكمال (جله لهم) أى انجو عين
 (أمة واحدة) للنواب واللعذاب ولا يمكنه لم يشأ ذلك بل شاء أن يكونوا فريقين مقسطين
 وظالمين ليظهر فضله وعدله وأنه العجبار واحد قهار لا يبالى بأحد وهو معنى قوله تعالى (ولكن
 يدخل من يشاء) ادخاله (في رحمته) بخلق الهداية في قلبه فتكون أفعاله هم في مواضعها
 وهم المستطون ويدخل من يشاء في نقمته بخلق الضلالة في قلوبهم فيكونوا ظالمين فلا تكون
 أفعاله هم في مواضعها فالقسطون ماله من عدو ولا تكبر (والظالمون) أى العريقون في الظلم
 الذين ساء ظلمهم وهم الكافرون فيدخلهم في لعنته (مالهم من ولى) أى بلى أمورهم
 فيجتمعون في اصلاحها فيدفع عنهم العذاب (ولا نصبر) ينصرهم من الهوان فيمنعهم من النار
 وعلى هذا التقدير فالآية من الاحتباك وهو ظاهر ذكر الرحمة أولا لدلالة على اللعنة ثانيا
 والظلم وثالثا لدلالة على اضداده أولا وهذا تقدير لقوله تعالى الله حفظ عليهم وما
 أنت عليهم بوكيل أى أنت لا تقدر أن تحمّلهم على الايمان ولو شاء الله تعالى لانه له لأنه أقدر منك
 لكنه تعالى جعل البعض مؤمنا والبعض كافرا * وما حكى الله تعالى عنهم أولا انهم اتخذوا
 من دونه أولياء ثم قال لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم لست عليهم بوكيل أى لا يجب عليك أن
 تحمّلهم على الايمان فان الله تعالى لو شاء لانه له أعاد ذلك الكلام على سبيل الانكار بقوله تعالى
 (أم اتخذوا من دونه أولياء) كالاصنام وهذه أم المنقطعة فتقدير لى التي للآلة ل وبه مزة
 الانكار وبالهمزة فقط أو بيل فقط أى ليس المتخذون أولياء (قآله) أى المختص بصفات الكمال
 (هو) وحده (الولى) قال ابن عباس وليك يا محمد ولى من اتبعك والفاء جواب الشرط المقدّر
 كأنه قال ان أرادوا أولياء بحق قآله هو الولي لا ولى سواء وقيل هى مجرد العطف وجرى
 على هذا الجلال المحلى وعلى الاول الخمشى (وهو) أى ومن شأن هذا الولي (يحيى الموتى)

أي يحدد أحياءه في كل وقت يشأه (وهو) وحده (على كل شيء قدبر) فهو الحقيق بأن يتخذ
 وليادون من لا يقدر على شيء * ولما منع تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم أن يحمل الكفار
 على الإيمان منع المؤمنين أن يشرعوا معهم في الخاصصات والمنازعات بقوله تعالى (وما اختلفتم)
 أي أنتم والكفار (فيه من شيء) أي من أمور الدنيا والدين (فحكمه إلى الله) أي مفوض
 إلى الذي هو الولي لا غيره غير الحق من المبطل بالنصر والانابة والمعاقبة وقيل وما اختلفتم فيه
 من تأويل المتشابه فارجعوا فيه إلى المحكم من كتاب الله (ذلكم الله) أي المحيط بجميع
 صفات الكمال (ربّي) أي الذي لا مرئي في غيره في ماض ولا حال ولا استقبال (عليه) أي
 وحده (توكلت) أسلمت جميع أمري (وإليه) لا إلى غيره (أنيب) أي أرجع بالتوبة
 إذا قصرت في شيء من فروع شرعه وأرجع إلى كتابه إذا نابى أمر من الأمور فأعرف منه حكمه
 فافعلوا أنتم كذلك واجمعوا له الحسنة ففعلوا ولا تعدوا وعنه في شيء من الأشياء ففعلوا وقوله
 تعالى (فطر) أي مبدع (السموات والأرض) خبر آخر لذلك أومى به أخبره (جعل لكم)
 أي بعد أن خلقكم من الأرض (من أنفسكم أزواجا) حيث خلق حواء من ضلع آدم فيكون
 بالسكون إليها بقا نوعكم (ومن) أي وجعل لكم أي لا جعلكم من (الأنعام) التي هي
 أموالكم وجمالكم ورجاءكم أعظم أقواتكم (أزواجا) أي ذكر و أنثى ليكون بها أيضا بقا
 نوعها (يذكركم) بالمعجزة أي يخلقكم ويكثركم من الذر وهو البث (فيه) أي في هذا
 التدبير وهو جعل الناس والأنعام أزواجا ليكون بينهم نوع الدفاعة كالمسح للث والتكثير فالضمير
 للإنسان والأنعام بالتغليب واختلاف في الكاف في قوله تعالى (ليس كمثل شيء) بغري الجلال
 المحلى على أنها زائفة لأنه تعالى لا مثل له وحري غيره على أنها ليست زائفة لأنه تعالى (ليس كمثل شيء) وقولنا ليس
 ويستمد منه كان فيه عنه أولى وحاصله كما قال التفناني أن قولنا ليس كذا أنه شيء وقولنا ليس
 كمثل شيء عبارتان كلاهما من معنى واحد وهو نفي المماثلة عن ذاته الأولى صريحا والثنائية
 كناية مشتملة على مبالغة وهي أن المماثلة منقضية عن يكون مثله وعلى صفته فكيف عن نفسه
 وهذا لا يستلزم وجود المثل ألا ترى أن قولهم مثل الأمير يفعل كذا ليس اعترافا بوجود المثل له
 فالمعنى هنا أن مثل مثله تعالى منفي فكيف بمثله وأيضا مثل المثل مثل فيلزم من نفيه نفيه ما وقال
 البغوي المثل مثله أي ليس كهو شيء فأدخل المثل للتوكيد كقوله تعالى فان آمنوا بمثل ما آمنتم
 به اه وهذا كالتأويل الأول وقيل إن المراد بالمثل الصفة وذلك أن المثل بمعنى المثل والمثل
 الصفة كقوله تعالى مثل الجنة فيكون المعنى ليس كصفته تعالى شيء من الصفات التي لغيره وأما
 قوله تعالى وله المثل الأعلى فعنه أن له الوصف الأعلى الذي ليس لغيره مثله ولا يشترك فيه أحد
 (وهو) أي والحال أنه هو لا غيره (السميع البصير) أي الكامل في السمع والبصر بكل
 ما يسمع ويصير (فان قيل) هذا يفيد الحصر مع أن العباد أيضا موصوفون بكونهم سميعين
 بصيرين (أجيب) بأن السميع والبصر لفظان مشعران بمحصل هاتين الصفتين على سبيل
 الكمال كما تر والكمال في كل الصفات ليس إلا الله تعالى فهذا هو المراد من هذا الحصر (له) أي

وحده (مقاليد السموات والارض) أى خرائطها ومناجيم خرائطهم ما من الامطار والانبات
وغيرهما وقد ثبت أنه ابتدعهما وأن له جميع ما فيه مما اتخذ من دونه ولما غيره قال القشيري
والمناجيم الخرائط وخرائمه هي مقدوراته اهـ ولما حصر الامر فيه دل عليه بقوله تعالى (يبسط
الرزق) أى يوسعه (لمن يشاء) استكانا (ويقدر) أى يضيقه لم يشاء ابتداء كما وسع على
فارس والروم وضيق على العرب وفاوت في الافراد بين افراد من وسع عليهم ومن ضيق
عليهم فدل ذلك قطعا على أنه لا شريك له وأنه هو المتصرف وحده فقطع بذلك ادعاء
المؤمنين من عباده عن غير له بل هو عليه ويتفرغ له فان عبادته هي المقالة بالحقيقة استغفروا
ربكم انه كان غفارا الايات ومن يؤمن بالله ويعمل صالحا يدخله جنات تجري من تحتها
الانهار ولو أن أهل القرى آمنوا وانفروا فتحتنا عليهم بركات من السماء والارض ولو أن أهل
الكتاب آمنوا واتقوا لكفرنا عنهم سيئاتهم ولادخلناهم جنات النعيم الآية ثم علل ذلك بقوله
تعالى (انه بكل شئ عليم) أى فلا فعل له الا وهو جار على أن تقن ما يكون من قوانين الحكمة
فينعله على ما ينبغي * ولما نظم وحده الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى كذلك يوحى اليك
والى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم ذكره نصيب ذلك بقوله تعالى (شرع لكم) أى
طرق ومن طريقا ظاهرا بينا وافضل لكم آياتها الامة الخاتمة من الطرق الظاهرة المستقيمة (من
الدين) وهو ما يدل فيجازى عليه (ما) الذى (وصى به) توصية عظيمة بعد اعلامه بأنه
شرعه (نوحا) فى الزمان الاقدم وهو أول أنبياء الشريعة قال مجاهد أو صينك وإياه يا محمد
ديننا واحدا (والذى أوحى اليك) أى من القرآن وشرائع الاسلام (وما وصينا) أى بما لنا
من العظمة الباهرة التي ظهرت بها تلك المعجزات (به ابراهيم) الذى نجيته من كيد غرود
بالنار وغيرها ووهبنا على الكبرياء عيل واسحق وقرأ هشام بنغ الهاء وألف بعدها والباقيون
بكسر الهاء وباء بعدها (وموسى) الذى أنزلنا عليه التوراة وموعظة وتفصيلا لكل شئ
(وعيسى) الذى أنزلنا عليه الانجيل هدى ونورا وموعظة وادخرناه فى سمائنا لتأييد شريعة
الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم * ثم بين الم شروع موسى به والموسى الى محمد صلى الله عليه وسلم
بقوله تعالى (أن أقيموا) أى أياها الم شروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن الامم الماضية (الدين)
وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة فى أحكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول
شرع أو الرفع على الاستئناف كأنه جواب وما ذلك الم شروع أو الجزع على البدل من هابه ولما
عظمه بالامر بالاجتماع أتبعه بالتعظيم بالنهى عن الافتراق بقوله تعالى (ولا تفرقوا فيه) أى
ولا تختلفوا فى هذا الاصل أما ذروع الشرائع المختلفة فقال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة
ومنها جاز قال قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام وقال الحكم تحريم الامهات
والبنات والاخوان وقال مجاهد لم يبعث الله تعالى نبيا الا واهبا قامة الصلاة وابتاء الزكاة
والافراد لله تعالى بالطاعة فذلك دينه الذى شرعه وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك ويجرى
على هذا الحلال المحلى والكل يرجع اليه (كبر) أى عظم وشق (على المشركين) حتى

ضاقته به صدورهم (ماتدعوهم اليه) أي بالنبي الفاتح الخاتم من الاجتماع ابد على
ما اجتمعوا عليه وقت الاضطراب من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون
في تفرقكم فان تفرقتم كنتم تابعين العدو والحسد وخالفتم الولي الودود * ثم نبه تعالى على أن
الامور كلها يده بقوله تعالى (الله) الذي له مجامع العظمة ونفوذ الامر (يجتبي) أي يختار
(اليه) أي الى هذا الدين الذي تدعوهم اليه (من يشاء) اجتنابه (ويهدي اليه) بالتوفيق
للطاعة (من يشاء) أي من يقبل الى طاعته * ولما بين تعالى أمر كل الانبياء عليهم السلام والام
بالاخذ بالدين المتفق عليه كان لقائل أن يقول فلماذا نجدهم متفرقين أجاب بقوله تعالى
(وما تفرقوا) أي المشركون من قبلكم من أهل الكتاب وغيرهم (الامن بعد ما جاءهم العلم)
أي بالنوحيد أو بجمع الرسول صلى الله عليه وسلم أو بأن التفرق ضلال متوعد عليه (بقيا
بينهم) أي فعلا وذلك للبغي وطب الرياسة فخلتهم الحمية النفسانية على أن ذهبت كل طائفة
الى مذهب ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصارت ذلك سببا لوقوع
الاختلاف ثم أخبر تعالى أنهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل لأنه تعالى أخر عنهم
العذاب لأن لكل عذاب عنده أجلا مسمى أي وقتا معلوما وهذا معنى قوله تعالى (ولولا كلمة)
أي لا تبديل لها (سبقت) أي في الازل (من ربك) أي المحسن اليك يجعلك خيرا لخالق
وامامهم تأخيرهم (أني أجل مسمى) ضربه لا جالهم ثم يحجمهم في الآخرة (لقضي)
على أيس وجهه وأسمله (بينهم) حين الافتراق باهلاك الظالم وانجاء المحق قال ابن عباس
والذين أريدوا به هذه الصفة هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في آل عمران وما اختلف الذين
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى في سورة لم يكن وما تفرق الذين
أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البيضة وكذلك في قوله تعالى (وان الذين أوتوا الكتاب
من بعدهم) أي المتفرقين هم اليهود والنصارى الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه
وسلم وقبلهم هذه الامة الذين أوتوا القرآن ولما نسخ كتابهم مانقذهم كان غيرهم كأنه
مات فورئهم كما قال تعالى ثم أوتينا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فكان حالهم في حكمهم
من التصرف في الكتاب بالحفظ والفهم وعدم المنازعة في ادعائه حال الوارث والمورث منه
(لني شك منه) أي من كتاب لا يعلمونه كما هو ولا يؤمنون به حق الايمان أو من القرآن فيقولون
انه مهر وشعر وكهانة ونحو ذلك وقبل في شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك الجلال
الحلي (حريب) أي موقع في التهمة (فأذنت) أي التوحيد (فأدع) بأشرف الخلق
الناس (واسمتم) أي على الدعوة (كما أمرت) أي أمرك الله تعالى (ولا تنزع) أي
بعمل (أهواءهم) في شيء مما قال الهوى لا يدعوا الى خير والمقصود من كل أحد أن يفعل ما أمر
به (وقل) لجميع أهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك أرسلت الى جميع الخلق (آمنت بما
أنزل الله) أي الذي له العظمة الكاملة (من كتاب) أي جميع الكتب المنزلة لا كالكفار
الذين آمنوا ببعض وكفروا ببعض روى أن رجلا أتى عليا فقال يا أمير المؤمنين ما الايمان

أو كيف الإيمان قال الإيمان على أربع دعائم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على
 أربع شعب على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق إلى الجنة سلاعن الشهوات ومن
 أشفق من النار رجع عن المحرمات ومن زهد في الدنيا هاون بالمصائب ومن ارتقب الموت
 سارع إلى الطبرات واليقين على أربع شعب تبصرة النطفة وتأويل الحكمة وموعظة العبرة
 وسنة الأولين فمن تبصر النطفة تأول الحكمة ومن تأول الحكمة عرف العبرة ومن عرف العبرة
 عرف السنة ومن عرف السنة فكأنما كان في الأولين والعدل على أربع شعب على غامض
 الفهم وزهرة الحلم وروضة العلم وعلم الحكم فمن فهم جمع العلم ومن علم لم يضل في الحكم ومن علم
 عرف شرائع الحلم ومن حلم لم يفرط أمره وعاش في الناس والجهاد على أربع شعب على الأمر
 بالمعروف والنهي عن المنكر والصدق في المواطن وشأن الفاسقين فمن أمر بالمعروف فشد ظهره
 ومن نهى عن المنكر أرغم أنف المنافقين ومن صدق في المواطن قضى الذي عليه ومن شئى
 الفاسقين غضب الله تعالى وغضب الله تعالى له فقام الرجل وقبل رأسه (وأمرت) أى عن له
 الأمر كله (لأعدل) أى لأجل أن أعدل (بينكم) أيها المنافقون في الدين من العرب
 والعجم من الأنس والجن ثم عمل ذلك بقوله (الله) أى الذى له الملك كله (ربنا وربكم)
 أى موجدنا ومولى جميع أمورنا فلهذا أمرنا بالعدل على سبيل العموم لأن الكل عباده
 (لنأعمالنا) خاصة بنا لا نعدو نألى غيرنا (ولكم أعمالكم) خاصة بكم لا نعدوكم إلى غيركم
 فكل مجازى بعمله (لأحجة) أى لخصومة (بيننا وبينكم) وهذا قبل أن يؤمر بالجهاد
 كما قاله الحلال المحلى وقال ابن تليان هذه الآية منسوخة بآية القتال وكذا قال البغوى
 ولكن قال البيضاوى وليس في الآية ما يدل على مشاركتها رأسا حتى تكون منسوخة بآية
 القتال (الله) أى الذى هو أحكم الحاكمين (بجمع بيننا) أى في الميعاد لنصل القضاء
 (والله) أى لا إلى غيره (الصبر) أى المرجع حسا ومعنى القيام عزه وشمول عظمته (والذين
 يحاجون في الله) أى يوردون تشكيكا في دين الملك الأعظم ليعيدوا الناس بعدما دخلوا
 في نور الهدى إلى ظلام الضلال (من بعدما استجب له) أى استجاب الله تعالى لرسوله صلى
 الله عليه وسلم فأظهر دينه على الدين كله قال قتادة هم اليهود قالوا كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل
 نبيكم فنحن خير منكم فهذه خصومتهم وتشكيكهم أومن بعدما استجاب للرسول صلى الله عليه
 وسلم الناس فأسلموا ودخلوا في دينه لظهور معجزته (حجتهم) أى التى زعموها حجة (داحضة) أى
 زائلة باطلة (عند ربهم) أى المحسن إليهم بإضافة العدل الذى جعلهم به في أحسن تقويم وقال
 الرازى تلك الخصاصة هى أن اليهود قالوا ألسن تقولون أن الأخذ بالمعنى عليه أولى من الأخذ
 بالمختلف فيه فنبوة موسى عليه السلام وحقيقة التوراة معلومة بالاتفاق ونبوة محمد صلى الله عليه
 وسلم ليست متفقاً عليها فوجب الأخذ باليهودية فيبين تعالى فساد هذه الحجة وذلك أن اليهود
 أجمعوا على أنه انما وجب الإيمان بموسى عليه السلام لأجل ظهور المعجزات على قوله وهاهنا
 ظهرت المعجزات على وفق قول محمد صلى الله عليه وسلم واليهود قد شاهدوا تلك المعجزات فان

كان ظهور المعجزة يدل على الصدق هنا يجب الاعتراف بقوة محمد صلى الله عليه وسلم وإن كان لا يدل على الصدق وجب في حق موسى أن لا يقر وابنتونه بظهور المعجزات لأنه يكون تناقضا * (تنبيه) * والذين يحاجون مبتدأ وحجتهم مبتدأ ثان وحادثة خبر المبتدأ الثاني والثاني وخبره خبر الأول وأعرب كي حجتهم بدلا من الموصول بدل اشتمال * ولما قررنا على هذه الدلائل خوف المنكرين بعذاب القيامة فقال (وعليهم) أي زيادة على قطع الاحسان (غضب) أي عقوبة تليق بجحالتهم المذمومة وصفهم المذموم ومنه الطرد فهم مطرودون عن بابهم مبعدون عن جنابهم مهانون بجبابه (ولهم) مع ذلك (عذاب شديد) في الآخرة لا تصلون إلى حقيقة وصفه (الله) أي الذي له جميع الملك (الذي أنزل الكتاب) أي جنس الكتاب (بالحق) أي متلبسا على أكل الوجوه بالامر الثابت الذي لا يدل (والميزان) أي الشرع الذي توزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو العدل قال مجاهد سمي العدل ميزانا لأن الميزان آلة للانصاف والتسوية وقال ابن عباس أمر الله تعالى بالوفاء ونهى عن الخس فيجب على العاقل أن يحتج في النظر والاستدلال ويترك طريق الجهل والتقليد * ولما كان صلى الله عليه وسلم يوم القيامة ولم يروا ذلك أثرًا فلو اعل على سبيل الضعيفة متى تقوم الساعة وليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذي نحن عليه أم الذي عليه محمد وأصحابه قال تعالى (وما يدريك) أي يأكل الخلق (لعل الساعة) أي التي يستعملونها (قريب) وذكر قريب وإن كان صفة ملوثة لأن الساعة في معنى الوقت أو البعث أو على معنى النسب أي ذات قرب أو على حذف مضاف أي مجيء الساعة قال مكي ولأن تأنيدهم مجازي وهذا ممنوع إذ لا يجوز الشمس طالع ولا القدر رفائر * (تنبيه) * لعل معلق للنعى عن العمل أي ما بعده ستمسد المنعولين ولما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الساعة وعنده قوم من المشركين وقالوا مس- تهزئين متى الساعة تقوم نزل قوله تعالى (يستعملونها) أي يطلب أن تكون قبل الوقت المضروب لها (الذين لا يؤمنون بها) أي لا يصدقون ذلك أصلا وهم غير مشفقين منها ويظنون كذب التائبين بها (ولذين آمنوا) وإن كانوا في أول درجات الإيمان (مشفقون) أي خائفون خوفا عظيما (منها) لأن الله تعالى هداهم بإيمانهم فصارت صدورهم معادن المعارف وقلوبهم متابع الأنوار فأيقنوا بما فيها من الأحوال الكبار نخافوا للظن فاتهم أن يكونوا مع صلاحهم من أهل النار (ويعلمون أنهم الحق) إعلاما بأنهم على بصيرة من أمرها فهم لا يستعملونها إلا لآية من الاحتيال ذكر الاستعمال أولا دليلا على حذف ضده ثانيا والاشفاق ثانيا دليلا على حذف ضده أولا * (فائدة) * روى أن رجلا سأل النبي صلى الله عليه وسلم بصوت جهورى في بعض أسفاره فناداهم فخرجوا لعله صلى الله عليه وسلم نحوهم من صوتهم هاؤم فقال متى الساعة فقال صلى الله عليه وسلم ويحك إنما كانت غما أعدت لها فقال حب الله تعالى وحب رسوله فقال أنت مع من أحببت والغرض أن لم يجبه عن وقت الساعة بل أمره بالاستعداد لها ومن أحب الله تعالى ورسوله فعل ما أمر به واجتنب ما نها عنه فهي الهبة الكاملة نسأل الله الكريم من فضله أن يوفقنا وأحبائه الطائفة

واجتناب معاصيه (الآن الذين يمارون) أي يخشعون ويجدلون (في الساعة) أي
 القيامة وما تحتوى عليه (لنفي ضلال) أي ذهاب حائد عن الحق (بعيد) جدًا عن الصواب
 فإن لهم من الأدلة الظاهرة مألحقتها بالمحسوسات كما قال القائل لو كشف الغطاء ما زددت
 يقينًا ولما أنزل الله عليهم الكتاب المشتمل على هذه الدلائل اللطيفة كان ذلك من لطف الله تعالى
 بعباده كما قال عز من قائل (الله) أي الذي له الأمر كله (اللطيف) أي بالغ في اللطف والعلم وايقاع
 الاحسان (بعباده) وقال ابن عباس حفي بهم وقال عكرمة بآزهم وقال السدي
 رفيق بهم وقال القشيري اللطيف العالم بدقائق الامور وغوامضها وقال الرازي هو اسم
 مركب من علم ورحمة ورفق خفي أما لطفه بالمؤمنين فواضح وأما لكافره فأقل لطفه به أنه
 لا يعاجله في الدنيا ولا يعذبه فوق ما يستحق في الآخرة وقال مقاتل لطيف بالبر والفساد بحيث
 لم يهلكهم جميعًا معاصيهم بدليل قوله تعالى (يرزق من يشاء) أي مهمما شاء على سبيل من
 السعة والضيق والتوسعة لا مانع لمن شئ من ذلك فكل من رزقه الله تعالى من مؤمن وكافر
 وذو روح فهو بمن يشاء الله تعالى أن يرزقه قال جعفر الصادق اللطاف في الرزق من وجهين
 أحدهما أنه جعل رزقك من الطيبات والثاني أنه لم يدفعه إليك مرة واحدة (وهو القوي) أي
 القادر على ما يشاء (العزير) فلا يقدر أحد أن ينعه عن شيء يريد ولما بين هذا أن الرزق
 ليس الا في يده اتبعه بيزه في طلب رزق البدن ويرغب في رزق الروح فقال تعالى على سبيل
 الاستئناف (من كان) أي من شريف أو ذلي (يريد) أي بعمله (حرق الآخرة) أي
 أعمالها والحرق في اللغة الكسب (نزله) أي بعظمته التي لا يتدرا أحد على تحويلها
 (في حرقه) قال مقاتل بأن يعينه على الاعمال الصالحة ويضاعف بالواحدة عشرة الى مائة الله
 تعالى من الزيادة وقال الزمخشري انه تعالى سمى ما يعمل العامل بما يطلب به القائدة حرقا على
 سبيل المجاز (ومن كان) أي من قوي أو ضعيف (يريد) أي بعمله (حرق الدنيا) أي ارضاها
 التي تطلب بالكد والسعي وتسبني به مكتفيا به مؤثرا له على الآخرة (نؤنه منها) أي ما قسمناه
 له ولو تم ازن به ولم يطلب له لانه وقرأ أبو عمرو وشعبة وحركة بسكون الهاء واختلس قالون كسرة
 الهاء وعن هشام اختلاس الكسرة في الهاء والاشباع والباقون بالفتح الكسرة (وما) أي
 والحال ان طالب الدنيا بعمله ما (له في الآخرة من نصيب) لان الاعمال بالنيات وانما
 امرئ ما نوى وروى أبي بن كعب أن النبي صلى الله عليه وسلم قال بشر هذه الامة بالسنة والرفعة
 والنصرة والتمكين في الارض فمن عمل منهم عمل الآخرة للدنيا لم يكن له في الآخرة من نصيب أي
 لان هذا اتهمون بالآخرة فلم ينوها وهي أشرف من أن تقبل على من أعرض عنها فانهم باخرة
 الدنيا وضد هاف الدنيا بسجاسم تقبل على من أعرض عنها وتبعد عن أقبل عليها حتى تهلكه
 في مهاويها والآخرة تقبل على من أقبل عليها أضعاف اقباله وتنادي من أدبر عنه البزغة عن
 غيبه وضلاله فلما سمى الله تعالى كلا القسمين حرقا علمنا أن كل واحد منهما لا يحتمل الا بتمهل
 المشاق والمتاعب وصرف هذه المتاعب الى ما يكون في الزائد الباقي أولى من صرفها لما يكون

في التناقض والانتفاء قال الرازي في اللوامع أهل الارادة على أصناف مريد الدنيا ومريد
الآخرة ومريد الحق جل وعلا وعلامة ارادة الدنيا ان يرضى في زيادة دنياه بنقص دينه
والاعراض عن فقراء المسلمين وان تكون حاجاته في الدنيا مقصورة على الدنيا وعلامة ارادة
الآخرة بعكس ذلك وأما علامة ارادة الله تعالى كما قال تعالى يريدون وجهه فطرح الكونين
والعزلة عن الخلق والخلاص من يد النفس انتهى وحاصله أن يستغرق أوقاته في التوفيق
بحقوق الحق وحقوق الخلق وترجمة النفس لاطمعها في الجنة ولا خوف من نار بل امتنالا لأجل
الملك الاعلى لانه أهل لذلك مع اعترافه بأنه لن يقدر الله تعالى حق قدره ولما بين تعالى أعمال
الآخرة والدنيا تبعه بيان ماهو الاصل في باب الضلالة واشقاوة فقال تعالى (آم) أي بل
(لهم) أي كفار مكة (شركاء) أي على زعمهم وهم شياطينهم (شرعوا) أي سنوا بالترين
(لهم) أي الكفار (من الدين) أي الفاسد في العبادات والعبادات (مالم يأذن به الله) أي
الملك الذي لا أمر لاحد معه كالشرك وانكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركا زعمهم أو ثنائهم
واغنا أضيف اليهم لانهم هم الذين اتخذوها شركاء لله ولما كانت سببا للضلالهم جعلت شارعة
لدين ضلالهم كما قال ابراهيم عليه السلام رب انهن أضللن كثيرا من الناس وقال ابن عباس
شرعوا لهم ديناً غير دين الاسلام (ولو لا كلمة الفصل) أي القضاء السابق بتأخير الجزاء أو ولولا
الوعد بأن الفصل يكون بينهم يوم القيامة (لقضى بينهم) أي بين الذين امتثلوا أمره والتزموا
شرعه وبين الذين اتبعوا ما شرعوا ممن هم شركاء في أقرب وقت ولكنه قد سبق القضاء في
الازل بقادير الاشياء وتفهيدها على وجوه الحكمة فهي تجري على ما حدثها لا يتقدم شيء منها
ولا يتأخر ولا يتبدل ولا يتغير وستكشف لهم الامور وتظهر مخبئات المقدور فلا يقع الفصل
الا في الآخرة كما سبق به القضاء (وان الظالمين) بشرع مالم يأذن به الله من الشرك وغيره
(لهم عذاب أليم) أي مؤلم بليغ بالامه ثم انه تعالى ذكر أحوال أهل العقاب وأحوال أهل
الثواب مبتدئا بالاول منهم ما بقوله تعالى (ترى) أي في ذلك اليوم (الظالمين) أي الواضعين
الاشياء في غير مواضعها (مشفقين) أي خائفين أشد الخوف كما هو حال من يحاسبه من هو
أعلى منه وهو مقصر (مما كسبوا) أي عملوا معتقدين انه غايه ما ينفعهم (وهو) أي
جزاؤه ووباله الذي من جنسه حتى كأنه هو (واقعهم) لا محالة سواء أشفقوا أم لم يشفقوا نذكر
الثاني بقوله تعالى (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهي التي أذن الله تعالى فيها غير خائفين
مما كسبوا لانهم هم مأذون لهم في فعله وهو مغفور لهم ما فرطوا فيه (في روضات الجنات) أي
في الدنيا بما يلذذهم به الله تعالى من لذائذ الاقوال والافعال والمعارف والاحوال وفي الآخرة
حقيقة بلا زوال وروضة الجنة أطيب بقعة فيها وفيه تنبيه على أن عصاة المؤمنين من أهل الجنة
لانهم خص الذين آمنوا وعملوا الصالحات بأنهم في روضات الجنات وهي البقاع الشريفة من
الجنة فالبقاع التي دون تلك الروضات لابد وان تكون مخصوصة بمن كان دون الذين آمنوا
وعملوا الصالحات وقوله تعالى (لهم ما يشاؤون عند ربهم) يدل على ان تلك الاشياء حاضرة عنده

مهياة والعندية مجاز * (تنبيه) * عند ربهم يجوز أن يكون ظر فالنشاؤن قاله الحوفي
 أولاً استقرار العامل في لهم قاله الزمخشري وقوله تعالى (ذلك) أي الخبر العظيم الرتبة الجليل
 القدر (هو الفضل الكبير) أي الذي يصغر ما لغيرهم في الدنيا يدل على أن الجزاء المرتب على
 العمل إنما حصل بطريق الفضل من الله تعالى لا بطريق الوجوب والاستحقاق وقوله تعالى
 (ذلك) أي الجزاء العظيم من الجنة ونعيمها مبتدأ خبره (الذي يشتر الله) أي الملائكة الأعظم
 والعائد وهو به محذوف تنخيساً للمبشر به لأن السياق لتعظيمه بالإشارة ويجعلها بأداة البعد
 وبالوصف بالذي وذكر الاسم الأعظم والتعبير بلفظ العباد في قوله تعالى (عباده) مع الإضافة
 إلى ضميره سبحانه * ولما أشعر بصلاحهم بالإضافة نص عليه بقوله تعالى (الذين آمنوا) أي
 صدقوا بالغيب (وعملوا) تحقيقاً لإيمانهم (الصالحات) قرأ نافع وابن عامر وعاصم بضم الياء وفتح
 الباء الموحدة وكسر الهمزة مشددة والباقيون بفتح الياء وسكون الياء الموحدة وضم الشين مخففة
 من بشره * ولما كان كأنه قيل فما نطلب في هذه البشارة لأن الغالب أن المبشر وإن لم يسأل
 يعطى بشارته كما وقع للكعب لما أذن الله تعالى بنوبته ركض راكض على فرس وسعى ساع على
 رجله فأوفى على جبل سلع ونادى يا كعب بن مالك أبشر فقد تاب الله عليك فكان الصوت
 أسرع من الفرس فلما جاءه الذي سمع صوته خلع عليه ثوبه وهو لا يملك يومئذ غيرهما واستعار
 له نوبين قال الله تعالى لذيبي صلى الله عليه وسلم (قل) أي لمن توهم فيك ما جرت به عادة المبشرين
 (لأَسْأَلَكُمْ) أي الآن ولا في مستقبل الزمان (عليه) أي البلاغ بشارة أو نذارة (أجراً)
 أي وإن قل (إلا) أي لكن أسألكم (المودة) أي المحبة العظيمة الواسعة (في القربى)
 أي مظهروفة فيها بحيث تكون القربى موضعاً للمودة وطر فالها لا يخرج شئ من محبتكم عنها
 * (تنبيه) * في الآية ثلاثة أقوال أولها قال الشعبي أكثر الناس علينا في هذه الآية فكتبنا
 إلى ابن عباس نسأله عن ذلك فكتب ابن عباس إن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان وسطاً
 النسب من قريب ليس بطن من بطونهم إلا وقد ولده وكان له فيهم قرابة فقال الله عز وجل قل
 لا أسألكم عليه أجراً على ما أدعوكم إليه إلا أن تؤدوا القربى أي تصلوا ما بيني وبينكم من
 القرابة والمعنى أنكم قربي وأحق من أجنبي وأطاعني فإذا قد أيتتم ذلك فاحفظوا حق القربى
 وصلوا رجلي ولا تؤذوني وإلى هذا ذهب مجاهد وقنادة وغيرهما ثانياً روى الكلبي عن ابن
 عباس أن النبي صلى الله عليه وسلم لما قدم المدينة كانت تنوبه نواذب وحقوق وليس في يده
 سعة فقالت الانصار إن هذا الرجل هذا كم وهو ابن أخيكم وجارك في بلدكم فاجعروا طائفة
 من أموالكم ففعلوا ثم أتوهم أفردوا عليهم ونزل قوله تعالى قل لا أسألكم عليه أي على الإيمان
 أجراً إلا المودة في القربى أي لا تؤذوا قرايتي وعترتي واحفظوني فيهم قاله سعيد بن جبير وعمر
 ابن شعيب ثالثاً قال الحسن معناه الآن تؤدوا الله تعالى وتقرؤا إليه بالطاعة والعمل
 الصالح فالقربى على القول الأول القرابة التي بمعنى الرحم وعلى الثاني بمعنى الاتقارب وعلى
 الثالث فعلى معنى القرب والتقرب والرفق (فإن قيل) طلب الاجر على تبليغ الوحي لا يجوز

ويحاط ويعمل بجدة واجتهاد وتعمد وعلاج (حسنة) أى ولو صغرت (نزد) بمالنا من العظمة
(له فيها) أى فى الحسننة (حسنا) أى بضاعة الثواب ومن الزيادة أن يكون له مثل أجر من
اقتدى به فيها الى يوم القيامة لا ينقص من أجورهم شئ قبل نزلات هذه الآية فى أى بكر
الصديق رضى الله عنه وقيل المراد بها العموم فى أى حسنة كانت الأئمة الماذكرت عقب ذكر
المودة فى القربى دل ذلك على أن المقصود التاكيد فى تلك المودة (أن الله) أى الذى لا يتعاطمه
شئ (عفو) لكل ذنب ناب منه صاحبه وكان غير التملؤ وان لم يتب منه ان شاء فلا يصذن أحدا
سنة عملها عن الاقبال على الحبيب (شكور) أى فهو يجزى بالحسنة أضعافها وان قلت
والشكور فى حق الله تعالى مجاز والمعنى أنه تعالى يحسن الى المطيعين فى ايصال الثواب اليهم
وفى أن يزيد عليه أنواعا كثيرة من التفضيل ثم ذكر الله تعالى الجواب عن طعن الكفرة فى النبي
صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى (أم) أى بل (يقولون افترى) أى محمد صلى الله عليه وسلم (على الله)
الذى أحاط بصفات الكمال فله العلم الشاسل لمن يقول عليه والقدرة السامة على عقابه (كذاب)
حين زعم أن هذا القرآن من عنده وأنه أرسله بهذا الدين (فان يشأ الله) أى الذى له الاحاطة
بالكمال (يحتم) أى يربط (على قلبك) بالصبر على أذاهم بهذا القول وغيره وقد فعل وقال قتادة
يعنى يطبع على قلبك فمنسبك القرآن وما آتاك فأخبرهم أنه لو افترى على الله كذبا لفعلى به ما أخبر
عنه فى هذه الآية أى أنه لا يجترئ على افتراء الكذب الا من كان فى هذه الحالة والمقصود من هذا
الكلام المباعدة فى تقرير الاستبعاد ومثاله أن ينسب رجل بعض الامناء الى الخيانة فيقول
الامين ذلك لعل الله خذلى أعشى قلبى وهو لا يريد اثبات الخذلان وعى القلب لنفسه وانما يريد
استبعاد صدور الخيانة منه وقوله تعالى (ويح الله) أى الذى له الامر كله (الباطل) وهو قواهم
افترى مستأنف غير داخل فى جزاء الشرط لانه تعالى يحرم الباطل مطلقا وسقط الواو منه
لفظا لالتقاء الساكنين فى الدرج وخطا جلا للخط على اللفظ كما كتبوا سندع الزبانية عليه وأما
الحق فانه ثابت شديد مضاعف فلذا قال (ويحق) أى ثبت على وجه لا يمكن زواله (الحق) أى
كل ما من شأنه الثبات لانه أذن فيه وأقره (بكلماته) أى التى لو كان البحر مدادا لاله النغد وقد
فعل الله تعالى ذلك فمما باطلهم وأعلى كلمة الاسلام عليهم (انه عليهم) أى بالغ العلم (بذات
الصدور) أى ما هو فيها مما يعلمه صاحبها ومما لا يعلمه فيبطل باطله ويثبت حقه وان كره الخلاق
ذلك ولتعلن بآء بعد حين ولقد صدق الله تعالى فأثبت ببركة هذا القرآن كل ما كان بقوله صلى
الله عليه وسلم وأبطل بسيف هذا البرهان كل ما كانوا يخالفونه فيه ومن أصدق من الله قيلا قال
ابن عباس لما نزل قل لأسألكم عليه أجرة الا المودة فى القربى وقع فى قلوب قوم منها شئ وقالوا يريد
أن يخطئنا على آثاره من بعده فنزل جبريل عليه السلام فأخبرهم أنهم اتهموه فأنزل الله تعالى هذه
الآية فقال القوم يا رسول الله فاننا شهد أنك صادق فنزل (وهو) أى لا غيره (الذى يقبل التوبة
عن عباده) بالتجاوز عما تابوا عنه سئل أبو الحسن البوشنجى عن التوبة فقائل اذا ذكرت الذنب
فلا تجده حلاوة فى قلبك وروى جابر أن أعرابيا دخل مسجد النبي صلى الله عليه وسلم فقال

اللهم انى استغفرلك وأتوب اليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله تعالى عنه يا هذا ان
 سرعة الاستغفار باللسان توبة الكذابين فقال يا أمير المؤمنين ما التوبة قال اسم يقع على ستة
 أشياء على المائى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الاعادة ورد المظالم واذا فاة النفس
 مرارة الطاعة كما اذقتها حلالة المعصية واذا انتهت فى الطاعة كما ريتها فى المعصية والبكاء بدل كل
 ضحك فحكتة وقال سهل بن عبد الله التوبة الانتقال من الاحوال المذمومة الى الاحوال
 المحمودة وقال بعضهم هى الندم على الماضى وترك فى الحال والعزم على أن لا يعود اليه فى
 المستقبل وعن أبي هريرة قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والله انى لا يستغفر
 الله وأتوب اليه فى اليوم أكثر من سبعين مرة وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يا أيها الناس
 توبوا الى الله فانى أتوب اليه فى اليوم مائة مرة وعن أبي موسى الاشعري أن رسول الله صلى
 الله عليه وسلم قال ان الله عز وجل يسطر يده بالليل ليتوب مسى النهار ويسطير يده بالنهار ليتوب
 مسى الليل حتى تطلع الشمس من مغربها وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال ان الله جعل فى
 المغرب بابا عرضه مسيرة سبعين عاما للتوبة لا يغلّق حتى تطلع الشمس من مغربها وروى أن الله
 تعالى يقبل توبة العبد ما لم يغرب عنه ولما كان القبول قد يكون فى المستقبل مع الاخذ بما مضى
 قال الله تعالى تفضل الله منه ورحمة (ويغفون عن السيئات) أى التى كانت التوبة منها صغيرة
 كانت أو كبيرة وعن غيره فالايتوا خذتم ان شاء الله لأن التوبة تقب ما قبلها كما أن الاسلام الذى
 هو توبة خاصة يجب ما كان قبله وروى أنس عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال لله أشد فرحا
 بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم كان هو وراحته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه
 وشرابه قابس منها فأتى شجرة فاضطجع فى ظلها قد أبس من راحته فبينما هو كذلك اذ هو به قائم
 عنده فأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك خطأ من شدة الفرح
 (وبعلم) أى والحال أنه يعلم كل وقت (مائة ملون) فيجازى ويتجاوز عن اتقان وحكمة وقرأ
 حمزة والكسائى وحفص بن هاشم الخطاب اقبالا على الناس عامة وهذا خطاب للمشاركين وقرأ
 الباقون بالقيسة نظر الى قوله تعالى عن عبادته وقال تعالى بعد ويزيدهم من فضله ولما رغب
 بالعموراد بالاكرام فقال تعالى (ويستجيب) أى يوجد بغاية العناية والطلب اجابة (الذين
 آمنوا) أى دعاء الذين أقرؤا بالايمان فى كل مادعوا به أوشفعوا عنده فيه لانه لو ارادته لهم
 الاكرام بالايمان ما آمنوا وعدى الفعل بنفسه ولم يقبل ويستجيب للذين آمنوا تنبيه على
 زيادة بره لهم ووصلهم به (وعلموا) تصديقا لدعواهم الايمان (الصالحات) فينبههم النعيم
 القيم (ويزيدهم) أى مع مادعوا به ما لم يدعوا به ولم يحط على قلوبهم (من فضله) أى تفضلا
 منه عليهم ويجوز أن يكون الموصول فاعلا أى يجيبون ربهم اذا دعاهم كقوله تعالى استجبوا
 لله وللرسول اذا دعاكم واستجاب كما جاب ومنه

وهاع دعا يامن يجب الى الذنا • فلم يستجبه عند ذلك يجب

وقال عطاء عن ابن عباس رضى الله عنهما معناه ويشب الذين آمنوا وعملوا الصالحات

ويزيدهم من فضله سوى ثواب أعمالهم تفضلهمه وروى أبو صالح عنه يشهدهم ويزيدهم
 من فضله قال في اخوان اخرائهم ثم أتبع المؤمنين بذكر رخصتهم فقال تعالى
 (والكافرون) أي العريقون في هذا الوصف القاطع الذين منعهم عراقتهم من التوبة
 والابتنان (لهم عذاب شديد) يدل مالمؤمنين من الثواب والتفضل ولا يحجب دعاءهم وما
 دعاء الكافرين الا في ضلال فالآية من الاحتباك ذكر الاستجابة أولاد ليل على ضدها ثانيا
 والعذاب ثانيا ليل على ضده أولاد ليل على ضدها ثانيا والمؤمنين ورد سؤال وهو
 أن المؤمن قد يكون في شدة وبلية وفقر شديد ولا يظهر أثر الاجابة فكيف الجمع بينه وبين قوله
 تعالى ويستجيب الذين آمنوا فأجاب تعالى عنه بقوله تعالى (ولو) أي وهو يقبل ويستجيب
 والحال أنه لو (بسط الله الرزق) لهم هكذا كان الاصل لكن قال (بعبادهم) لئلا يظن خصوصية
 ذلك بالثابين اذ لا فرق بين الثابت وغيره (لبغوا) أي طغوا (في الارض) أي لصاروا يريدون
 كل ما يشتهون فكثير القتل والسلب والنهب ونحو ذلك من أنواع الفساد قال خباب بن الارت
 فينازلت هذه الآية وذلك اننا نظرنا الى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع وبنيناها فقلنا
 وذكر في كون بسط الرزق موجبا للطغيان وجوه الاول ان الله تعالى لو سوى في الرزق بين
 الكل امتنع كون البعض محتاجا الى البعض وذلك موجب خراب العالم وتعطيل المصالح ثانيا
 أن هذه الآية مختصة بالعرب فانه كلما اتسع رزقهم ووجدوا من ماء المطر ما يروهم ومن الكلا
 ومن العشب ما يشبعهم قدموا على النهب والغارة ثالثها أن الانسان متكبر بالطبع فان وجد
 الغنى والقدرة عاد الى مقتضى خلقته الاصلية وهو التكبر واذ وقع في شدة وبلية ومكره
 انكسر وعاد الى التواضع والطاعة وقال ابن عباس رضي الله عنهما بغيرهم طلبة منزلة بعد منزلة
 ومركبا بعد مركب وملبسا بعد ملبس (ولكن ينزل) أي لعباده من الرزق وقرأ أن كثير وأبو
 عمرو وسكون النون وتخفيف الزاي والباقون بفتح النون وتشديد الزاي (بقدر) أي بتقدير
 لهم (ما يشاء) أي ما اقتضته مشيئته (أنه) وقال تعالى (بعبادهم) ولم يقل بهم لئلا يظن ان
 الامر خاص بمن وسع عليهم أو ضيق عليهم (خبير بصير) يعلم جميع ظواهر أمورهم وبواطنها
 فيقيم كل أحد فيما يصلح له من صلاح وفساد وعدل وبغي روى أنس بن مالك عن النبي صلى
 الله عليه وسلم عن جبريل عليه السلام عن الله عز وجل في حديث طويل وفيه يقول الله عز وجل
 ما ترددت في شيء أنا فاعله تردى في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته ولا بد له
 منه وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك وإن من عبادي
 المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح
 ايمانه الا العسرة ولو أسقمته لافسده ذلك وإن من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الا السقم
 ولو أصحمته لافسده ذلك وذلك اني أدبر أمر عبادي بعلي بقلوبهم اني أعلم خبير وقرأ ما يشاء
 انه نافع وابن كثير وأبو عمرو بتسهيل الهمزة الثانية كالسواء ولهم أيضا الابدال والاول والباقون
 بتحقيقهما واذ وقف حمزة وهشام أبدا الهمزة الضامع المذوق والقصر والروم والاشعاش (وهو)

أى لا غيره (الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغاث به الناس وقرأ نافع وابن عامر وحزرة
 والكسائي بفتح النون وتشديد الزاي والمباقون بسكون النون وتخفيف الزاي (من بعد
 ما قنطوا) أى ينسوا من نزوله وعلما بأنه لا بقدر على انزاله غيره ولا يتصد فيه سواء لم يكن ذلك
 أدعى لهم إلى الشكر وقال تعالى (وبشر رحمته) أى يسقط مطره كما قال تعالى وهو الذى يرسل
 الرياح تنشر ابيندى رحمته وإن كان الأصل بنشرو لانه يبر أنه غيث فقال رحمته يا ناوتع بما فيزل
 من السحاب المحمول بالريح من الماء ما لو اجتمع عليه الخلاق ما أطا قوا وعمله فتصبح الارض
 ما بين غدران وأنها روبات نجم وأشجار وزهر وحب وغار وغير ذلك من المنافع الصغار والكبار
 فقله ما على هذه القدرة الباهرة والآية الظاهرة فيخرج من الارض التى هي من صلابتها تجز عنها
 الماء اول نجما هو فى لبنة ألين من الحرير وفى لطافته ألطف من النسيم ومن سوف الاشجار التى تنثى
 فيها المناقير أغصانا ألطف من السنة العاصف فيها أجلف من يتكر انخراجه الموق من القبور وأو
 يحيد عن ذلك نوع من الغروب (وهو) أى لا غيره (الولى) الذى لأحد أقرب منه إلى عبادته فى شئ
 من الاشياء (الحمد) الذى يستحق مجامع الحمد مع أنه يحمد من يطعمه فيزيد من فضله ويصل حبله
 دائما بحبله (ومن آياته) أى العظيمة على استحقاقه لجميع صفات الكمال (خلق السموات) التى
 تعلمون أنها متعددة لما ترون من أمور الكواكب (والارض) أى جنسها على ما هما عليه من
 الهيات وما اشتملا عليه من المنافع والخيرات وقوله تعالى (وما بث) أى فرق ونشر يجوز أن يكون
 مجرورا للمحل عطف على السموات أو مرفوعة عطفا على خلق على حذف مضاف أى وخلق ما بث
 قال أبو حيان وفيه نظر لانه يؤل إلى جزه بالإضافة لخلق المقدّر فلا يبدل عنه (فيمما) أى فى
 السموات والارض (من دابة) أى شئ فيه أهلية الديق بالحياة والحركة من الانس والجن
 والملائكة وسائر الحيوانات على اختلاف ألوانهم وأصنافهم وأشكالهم ولغاتهم وطبائعهم
 وأجناسهم وأنواعهم وأقطارهم ونواحيهم (فان قيل) كيف يجوز اطلاق الدابة على الملائكة
 (أجيب) بوجوه أولها ما مر من أن الدابة عبارة عما فيه الروح والحركة والملائكة لهم الروح
 والحركة ثانيها أنه قد يضاف الفعل إلى جماعة وإن كان فاعله واحدا منهم ومنه قوله تعالى يخرج
 منهم اللؤلؤ والمرجان ثالثها قال ابن عادل لا يبعد ان يقال انه تعالى خلق فى السموات أنواعا
 من الحيوانات يشون مشى الاناس على الارض وروى العباس رضى الله عنه أن رسول
 الله صلى الله عليه وسلم قال بين السماء السابعة والعرش مجريين أسفله وأعلاه كما بين السماء
 والارض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركنين وأطرافهن كما بين السماء والارض ثم فوق ذلك
 العرش الحديث (وهو) أى لا غيره (على جمعهم) أى هذه الدواب من ذوى العقول وغيرهم
 للمعشر بعد تفريقهم بالقلوب والابدان بالموت وغيره (إذا) أى وقت (بشأ قدير) أى بالغ
 القدرة كما كان بالغ القدرة عسى لا يجلد من العدم يجمعهم فى صعيد واحد يسمعهم الداعي
 وينفذهم البصر ثم خاطب المؤمنين بقوله تعالى (وما أصابكم من مصيبة) أى بلية وشدة (فجاءا
 كسبت أديكم) أى من الذنوب وقرأ نافع وابن عامر بغير فاء والمباقون بالقاء لان ما شرطية

أو مضنة معناه وأما من أسقطها فقد استغنى عما في الباء من معنى السببية (فان قيل) الكسب لا يكون باليد بل بالقدره القائمه بها (أجيب) بأن المراد من لفظ اليد ههنا القدرة وإذا كان هذا المجاز مشهورا مستعملا كان لفظ اليد في حق الله تعالى يجب حمله على القدرة تنزيها لله تبارك وتعالى عن الاعضاء واختلافها فيما يحصل في الدنيا من الآلام والاستقام والقسط والفرق والمصائب هل هي عقوبات على ذنوب سلفت أو لا ففهم من أنكروا ذلك لوجوه أولها قوله تعالى اليوم تجزى كل نفس بما كسبت بن تعالى ان ذلك انما يحصل يوم القيامة وقال تعالى مالك يوم الدين أي يوم الجزاء وأجروا أن المراد منه يوم القيامة ثانيها مصائب الدنيا يشترك فيها الزنديق والصديق فيمتنع أن تكون عقوبة على الذنوب بل حصول المصائب للصالحين والمتقين أكثر منه للمذنبين ولهذا قال صلى الله عليه وسلم لم خص البلاء بالانبياء ثم الاوصياء ثم الامثل فالامثل ثالثها ان الدنيا دار تكليف فلو حصل الجزاء فيها لكانت دارا وتكليف وادراجا معا وهو محال وقال آخرون هذه المصائب قد تكون أجزية على ذنوب متقدمة لهذه الآية ولما روى الحسن قال لما نزلت هذه الآية قال صلى الله عليه وسلم والذي نفسي بيده ما من خدش عود ولا عثرة تقدم ولا اختلاج عرق الا يذنب وما يهفو الله أكثر وقال علي بن أبي طالب رضي الله تعالى عنه ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله تعالى حدثنا بها رسول الله صلى الله عليه وسلم وما أصابكم من مصيبة الا آية قال صلى الله عليه وسلم وسأفسر هالك يا علي ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم والله سبحانه وتعالى أكرم من أن يفتي عليكم العقوبة في الآخرة وما عفا الله عنه في الدنيا فإنه أحلم من أن يعود بعد عفوهم وعسكوا أيضا بقوله تعالى بعد هذه الآية أو يوبقهن بما كسبن أو ذلك تصريح بأن ذلك الاهلاك بسبب كسبهم قيل لا يسلطان الداراني ما بال العقلاء أزالوا الاوم عن أساء الهم قال انه لم علوا أن الله تعالى انما ابتلاهم بذنوبهم وقرأ هذه الآية وأجاب الأزلون بأن حصول هذه المصائب يكون من باب الامتحان في التكليف لا من باب العقوبة كما في حق الانبياء والاوصياء بل ذلك لزيادة درجات وفضائل وخصوصيات لا يصلون اليها الا بها لان أعمالهم لم تبلغها فهي خير من الله تعالى لهم ويحمل قوله تعالى فيما كسبت أيديكم على ان الاصلح عند اتيانكم بذلك الكسب انزال هذه المصائب عليكم (ويعفو عن كثير) أي من الذنوب بفضل ورحمة فلا يعاقب عليها ولولا عفوهم وتجاوز ما ترك على ظهرها من دابة قال الواحد بعد أن روى حديث علي وهذه أرجى آية في كتاب الله تعالى لان الله تعالى جعل ذنوب المؤمنين مصنفين مصنف كصفر عنهم بالمصائب ومصنف عفا عنهم في الدنيا وهو كريم لا يرجع في عفوهم فهذه سنة الله تعالى مع المؤمنين وأما الكافر فإنه لا ينجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة (وما انتم بعزيزين) أي فائتين ما قضى عليكم من المصائب في الارض (وما لكم من دون الله) ولا في شيء اراده سبحانه منكم كما اذا ما كان (من ولي) أي يكون متوليا لشي من أموركم بالاستقلال (ولا نصير) يدفع عنكم شيأ يريد به سبحانه بكم (ومن آياته) أي الدالة على تمام قدرته واختياره ووحدايته (الجواري) أي

السفن الجارية (في البحر كالاعلام) أي كالجبال قالت الخفساء في مريثة أخيهما حضر
وان حضر التأتمة الهداية * كأنه علم في رأسه نار

أي جبل في رأسه نار شبت به أخواها روى أن النبي صلى الله عليه وسلم استند قصبها هذه
فلما وصل الراوى هذا البيت قال قاتلها الله تعالى ما رزيت بتشبيهه بالجبل حتى جعلت في رأسه
نارا وقال مجاهد الاعلام القصور وادحدها علم وقال الخليل بن أحمد كل شيء مرتفع عند العرب
فهو علم (فان قيل) الصفة متى لم تكن خاصة بموصوفها امتنع حذف الموصوف فلا تقول مرت
بماش لأن المشى عام وتقول مرت بمهندس وكاتب والجري ليس من الصفات الخاصة فواجه
ذلك (أجيب) بأن قوله تعالى في البحر قرينة دالة على الموصوف فلذلك حذف ويجوز أن تكون
هذه صفة غالبية كالابطخ والبرق فوليت العوامل دون موصوفها وقرأ نافع وأبو عمرو وبائبات
الياء وصلالا وقفوا وابن كثير وهشام ببائباتها وقفا بخلاف عن هشام والباقون بحذفها وقفا
ووصلوا وأمال الجوارى محضة الدورى عن الكسائي وفتح الباقون (أن يشأ) أي الله الذي
حكمكم فيها على ظهر الماء آية بنى سقط اعتبارها عندكم لشدته الفسكم لها (يسكن الرمح)
الذى بسيرها وأنتم مقرون بأن أمرها ليس الايده وقرأ نافع بأن بعد الياء جمعها والباقون
بغير ألف افرادا (فيظللن) أي فينسب عن ذلك أنهن يظللن أي يقمن بالاصكان وأنهارا
(رواكد) أي نوابت لا تجرى (على ظهوره) أي البحر (أن في ذلك) أي ما ذكر في حال السفن
في سيرها وركوبها لا يقتدر عليه الا الله تعالى بدليل ما للناس كافة من الاجماع على التوجه
في ذلك اليه خاصة والاختلاج حماساواه (لايات) أي على احاطته سبحانه بجميع صفات الكمال
(الكل صبار) أي على البلاء والشدته (شكور) أي على نعمائه وهو المؤمن الكامل يصبر
في الشدة ويشكر في الرخاء فان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر (أو) أي أو يشأ
في كل وقت أراد (يوقهون) أي يهلكون بعصف الرياح بأهلهم (بما كسبوا) أي أهلهم من
الذنوب (ويعفو) أي أن يشأ (عن كثير) من ذنوبهم فلا يعاقب فينجيهم بعوم وأجل على خشبة
أو غير ذلك وان شأ يرسل الرياح طيبة فينجيها ويلقيها أذى المراد الى غير ذلك من التقادير
الداخله تحت المشيئة وقوله تعالى (ويعلم) قرأ نافع وابن عامر برفع الميم مستأنفا والباقون
بالنصب معطوف على تعليل مقدرا أي ليعرفهم لينتقم منهم وليعلم (الذين يجادلون) أي عند
النجا بالعفو (في آياتنا) أي يكذبون القرآن أي علم ظهور للناس (ما لهم من محيص) أي مهرب
من العذاب وجملة النبي سدت مستمعون يعلم والنبي معلق عن العمل وقوله تعالى (فما
أوتيتهم) خطاب للمؤمنين وغيرهم (من شيء) أي من أمثال الدنيا (فخاع الحياة الدنيا) أي
القرية الدينية لانفع فيه لاحد الامدة حياته وذلك جدير بالاعراض عنه وعما يبيته من
الاعمال الا ما يقرب الى الله تعالى (وما) أي والذي (عند الله) أي الملك الاعظم المحيط بكل شيء
قدرة وعلم من نعم الدارين (خير) أي في نفسه وأشد خيرة من النعم الدنيوية المحضة لانتقطاع
نفعه فسماه منا عاتبها على قلبه وحقارته وجعله من منافع الدنيا تنبها على انقراضه وأما

الآخرة فهي خير (وأبني) والباقي خير من الخسيس القاني * ثم بين تعالى أن هذه الخيرية إنما
 تحصل لمن كان موصوفاً بصفات الصفة الأولى قوله سبحانه وتعالى (الَّذِينَ آمَنُوا) أي أوجدوا
 هذه الحقيقة (وعلى) أي والحال أنهم على (ربهم) أي الذي لم يروا احساناً قط الا منه وحده
 بما رباهم من الاخلاص (يتوكلون) أي يحملون جميع أمورهم عليه كما يحمل غيرهم متاعه
 على من يتوكل منه قوة على الحل ولا يلقون في ذلك إلى شيء غيره أصلاً لينتفي عنهم بذلك الشرك
 الخفي كما انتفى بالايان الشرك الجلي وهذا يرد على من زعم أن الطاعة توجب الثواب لانه
 يتوكل على عمل نفسه لا على الله تعالى فلا يدخل تحت الآية الصفة الثانية قوله عز وجل
 (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ) أي يكفون أنفسهم أن يجانبوا (كَبَائِرَ الْأَثَمِ) أي جنس الفعال الكبائر
 التي لا توجد الا في ضمن افرادها ويحصل بها دنس النفس فيوجب عقابها مع الجسم وعطف على
 كبر قولها تعالى (والفواحش) وهي ما أنكره الشرع والعقل والطبع والكبار كل ذنب
 تعظم عقوبته كالقتل والزنا والسرقة والفواحش معظم قبحه من الاقوال والافعال وقال
 مقاتل ما يوجب الحد وقد تقدم الكلام على ذلك في سورة النساء وقرأ جزء والكسائي بكسر
 الباء الموحدة قبل الباء الساكنة وهي للجنس فهي بمعنى قراءة الجمع كما قرأ الباقر بن فضال الموحدة
 وألف بعدها وبعد الألف همزة مكسورة والاولى أبلغ لشمولها المفردة الصفة الثالثة قوله
 تبارك وتعالى (وَإِذَا مَا غَضِبُوا) أي غضبوا على حقيقة منه أمر مغضب في العادة وبين بعضهم
 الفصل أن يواطئهم في غفرهم كظواهرهم فقال تعالى (هُمْ يَغْفِرُونَ) أي هم الاخصاء والاحقاء
 بأنهم كلما تجد لهم غضب جددوا غفراً أي محو الذنوب عينا وأثر مع القدرة على الانتقام
 فسجايهاهم تقتضي الصفح دون الانتقام ما لم يكن من الظالم بقى لانه لا يؤاخذ على مجرد الغضب
 الامتكبر والتكبر لا يصلح لغير الاله وفي الصحيح أنه صلى الله عليه وسلم ما انتقم لنفسه قط إلا أن
 تنتهك حرمة الله تعالى وروى ابن أبي حاتم عن ابراهيم النخعي قال كان المؤمنون بكرهون
 أن يستذلوا وكانوا اذا قدروا غفروا الصفة الرابعة قوله تعالى (وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا) أي أوجدوا
 الاجابة بما لهم من العلم الهادي الى سبيل الرشاد (لربهم) أي الداعي لهم الى اجابة احسانه
 اليهم قال الرازي المراد من هذا انعام الانقياد (فان قيل) أليس أنه لما جعل الايمان فيه
 شرطاً قد دخل في الايمان اجابة الله تعالى (أجيب) بأنه يحتمل هذا على الرضا بقضاء الله تعالى
 من صميم القلب وأن لا يكون في قلبه منازعة الصفة الخامسة قوله سبحانه وتعالى (وَأَقَامُوا)
 أي أداموا (الصلاة) الواجبة (وأمرهم) أي كل ما ينوبهم مما يحوجهم الى تدبير (شورى
 بينهم) أي يتشاورون فيه مشاوره عظيمة مبالغين بما لهم من قوة الباطن ولا يعجلون في أمورهم
 والشورى مصدر كالفتيا بمعنى التشاور الصفة السادسة قوله تعالى (وَعَمَارَ زَنَاهُمْ) أي
 أعطناهم بعض مقتنا من غير حول منهم ولا قوة (يتقون) أي يدعون الاتفاق في سبيل الله
 تعالى كرامتهم وان قل ما بأيديهم اعتماداً على فضل الله تعالى لا يقبضون أيديهم كالمناقضين
 (والذين اذا أصابهم البغي) أي وقع بهم وأترفيهم وهو التماذي على الرمي بالشرك (هم ينتصرون)

أى ينتقمون عن ظلمهم غسل ظله كما قال تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) سميت الثانية سيئة لما جهتها الأولى في الصورة قال مقاتل يعنى التقاص وهى الجراحات والدماء وقال مجاهد والسدى هو جواب القبيح اذا قال أخزأك الله يقول أخزأك الله واذا شئت فاشتبهه بمنظلهما من غير أن تعدى قال سفيان بن عيينة سألت سفيان الثوري عن ذلك فقال ان شئت رجل فقتلته أو فعل كذا ففعل به فلم أجد عنده شيئاً سألت هشام بن حجر عن ذلك فقال الجراح اذا جرح يقتص منه وليس هو أن يشتك وتشتبه وقد تكفلت هذه الجلب بأمهات الفضائل الثلاث العلم والعفة والشجاعة على أحسن الوجوه فالمدح بالاستجابة والصلاة دعاء الى العلم وبالنفقة الى العفة وبالتصار الى الشجاعة حتى لا ينظر أن ادعائهم لمعاضى مجرد ذل والقصر على المماثلة دعاء الى فضيلة التقسيم بين الكل وهى العدل وهذه الأخيرة كافلة بالفضائل الثلاث فان من علم المماثلة كان عالماً ومن قصد الوقوف عندها كان عفيفاً ومن قسر نفسه على ذلك كان شجاعاً وقد ظهر من المدح بالتصار بعد المدح بالعفوان أن الأول للعاجز والثاني للمتغلب المتكبر بدليل البغى (فان قيل) هذه الآية مشكلة لوجهين الأول انه لما ذكر قبله واذا ما غضبوا هم يغفرون كيف يليق أن يذكر معه ما يجرى مجرى الضله وهو والذين اذا أصابهم البغى هم يقتصرون الثاني أن جميع الآيات دالة على أن العفو أحسن قال تعالى وان تعفوا أقرب للتقوى وقال تعالى واذا مروا بالعفوية مروا بها وما قال تعالى خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين (أجيب) بأن العفو على قسمين أحدهما أن يصبر العفو سبباً لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن جنائبه والثاني أن يصبر العفو سبباً ليزجره الجاني وقوة غيظه وغضبه فآيات العفو محمولة على القسم الأول وهذه الآية محمولة على القسم الثاني وحينئذ يزول التناقض روى أن زينب أقبلت على عائشة تشتمها فنهاها النبي صلى الله عليه وسلم عنها فلم تنه فقال لها النبي صلى الله عليه وسلم سبها وأيضاً فانه تعالى لم يرغب في الانتصار بل بين أنه مشروع فقط ثم بين أن مشروعيته مشروطة برعاية المماثلة بقوله تعالى وجزاء سيئة سيئة مثلها ثم بين أن العفو أولى بقوله تعالى (فن عفا) أى باسقاط حقه كله وبالإنصاف منه لتحقيق البراءة مما حرم من المجاوزة (وأصلح) أى أوقع الإصلاح بين الناس بالعفو والإصلاح لنفسه ليصلح الله ما بينه وبين الناس فيكون بذلك منتصراً من نفسه لنفسه (فأجرو على الله) أى المحيط بجميع صفات الكمال فهو يعطيه على حسب ما يقتضيه مفهوم هذا الاسم الأعظم وهذا سر لفت الكلام اليه عن مظهر العظمة وقوله صلى الله عليه وسلم ما زاد الله بعفو الاعزا (انه لا يحب الظالمين) أى لا يكرم الواضعين للشيء في غير محله فيترتب عليهم عقابه (ولن انتصر) أى سعى في نصر نفسه بجهد (بعد ظلمه) أى بعد ظلم الغير وليس قاصداً التعدي عن حقه ولو استغرق انتصاره جميع زمان التعدي (فأولئك) أى المتصرفون لاجل دفع الظالم عنهم (مأعيلهم) وأكذباً للجار فقال تعالى (من سبيل) أى عتاب ولا عقاب لانهم فعلوا ما أبيع لهم من الانتصار روى النسائي عن عائشة قالت ما علمت حتى دخلت على زينب وهى غضبي فأقبلت على فأعرضت عنها

عنها حتى قال النبي صلى الله عليه وسلم دونك فأتصرى فاقبلت عليهما حين رأيتهما قد يس
 ويقها في فيها ما ترد على شيا فأرأيت النبي صلى الله عليه وسلم ينهل وجهه واحتجوا به هذه
 الآية على أن سراية القودمهم - مدة لانه فعل مأذون فيه فيدخل تحت هذه الآية (أما
 السبيل) أي الطريق السالك الذي لا يمنع منه أصلا (على الذين يظلمون الناس) أي يوقعون
 بهم ظلمهم نعمدا وعدوانا (ويغفون) أي يجاوزون الحدود (في الأرض) بما يسفدها
 بعد اصلاحها بتميتها للصلاح طبعها وعلا (بغير الحق) أي الكامل لان الفعل قد
 يكون بغيا وان كان معصوبيا بحق كالانتصار المقرون بالتعدي فيه (أو تلك) أي البعداء
 من الله تعالى (الهم عذاب اليم) أي مؤلم بعم ايلامه أبدانهم وأرواحهم بما ألوا من ظلموه
 (ولن صبر) أي عن الانتصار من غير انتقام ولا شكوى (وغفر) أي صرح باسقاط العقاب
 والعقاب بمعنى عین الذنب وأثره (أن ذلك) أي الضلع الواقع منه البالغ في العلو
 حدا لا يوصف (لمن عزم الامور) أي معزوماتها بمعنى المطالبات شرعا روى أنه صلى الله عليه
 وسلم قال ما من عبد دخل مظلمة ففعا عنها الله الأعز الله تعالى بها نصرا (ومن يضلل الله) أي
 الذي له صفات الكمال بأن لم يوفقه (فخاله من ولي) أي تولى أمره في الهداية بالبيان لما أخفاه
 الله تعالى عنه (من بعده) أي من بعد اضلال الله تعالى له وهذا صريح في جواز أن الاضلال
 من الله تعالى وأن الهداية ليست في مقدورا حد سوى الله تعالى وقال تعالى (وترى الظالمين)
 موضع وزرهم لبيان أن الضال لا يضيع شيئا في موضعه * ولما كان عذابهم حتما عبر عنه بالماضى
 فقال (لما رأوا العذاب) أي يوم القيامة المعلوم مصير الظالم اليه (يقولون) أي مكررين
 لما اعتراه من الدهش وغلب على قلوبهم من الوجمل (هل الى مرد) أي الى دار العمل
 (من سبيل) أي طريق فيفتنون حينئذ الرجوع الى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة
 للنجاة (وتراهم) أي في ذلك اليوم والضمير في قوله تعالى (يعرضون عليها) يعود على النار لدلالة
 العذاب عليها * ثم ذكر حالهم عند عرضهم على النار بقوله تعالى (خاشعين) أي خاضعين خديرين
 بسبب ما لحقهم (من الذل) لانهم عرفوا اذ ذلك ذنوبهم وانكشف لهم عظمة من عصوه
 (ينظرون) أي يتدنى نظروهم المكرر (من طرف) أي تحريك الاجفان (خفي) أي ضعيف
 النظر يسارقون النظر الى النار خوفا منها وذل في أنفسهم كما ينظر المقتول الى السيف فلا يقدر
 على أعينه منه ولا يفتح عينه انما ينظر ببعضها ويصح أن تكون من معنى الباء أي بطرف خفي
 ضعيف من الذل (فان قيل) قد قال الله تعالى في صفة الكفار انهم يحشرون عما فكيف قال
 تعالى هنا انهم ينظرون من طرف خفي (أجيب) بانهم يكونون في الابداء هكذا ثم يصرون عما
 أو أن هذا في قوم وذلك في قوم آخرين وقبل ينظرون الى النار بقلوبهم والنظر بالقلب خفي
 * ولما وصف تعالى حال الكفار حكى ما يقوله المؤمنون فيهم فقال تعالى (وقال) أي في ذلك
 الموقف الاعظم على سبيل التعبير لهمم والتبكيت والتوبيخ والتقريع (الذين آمنوا) أي
 أوقفوا هذه الحقيقة سواء كان إيقاعهم لها في أدنى الرتب أو أعلاها (ان الخاسرين) أي

الذين كُتبت خسارتهم (الذين خسروا أنفسهم) بما استغرقهم من العذاب (وأهلهم) بخسارتهم
لهم أما في أطباق العذاب أن كانوا مثلهم في الخسران أو في دار الثواب أن كانوا من
أهل الإيمان (يوم القيامة) أي هو يوم فوت التدارك لأنه للجزاء العمل لقوات شرطه بقوات
الإيمان بالغيب لا تكشف الغطاء وهذا القول يحتمل أن يكون واقعا في الدنيا أو يوم القيامة
إذا رأوهم على تلك الصفة وقوله تعالى (ألا إن الظالمين) أي الراسخين في هذا الوصف
(في عذاب مقيم) أي دائم يحتمل أن يكون من تمام كلام المؤمنين وأن يكون تصديقا من الله تعالى
لهم (وما كان) أي ماصح ووجد (لهم) وأغرق في النفي فقال تعالى (من أولياء) أي مخالهم
من ولي لأن النصر إذا انتفت من الجمع انتفت من الواحد من باب أولى (ينصرونهم) أي
يوجدون نصرهم في وقت من الاوقات (من دون الله) أي الملك الأعظم أي لا في الدنيا بان
يقدر رواعي انقاذهم من وصف الظلم ولا في الآخرة بانقاذهم من العذاب (ومن يضل الله)
أي يوجد اضلاله إيجابا بليغا بما أفاده الفلك على سبيل الاستمرار بعدم البيان أو بعدم
التوفيق بعد البيان (فإنه) بسبب اضلاله من له جميع صفات الكمال وأغرق تعالى في النفي بقوله
سبحانه (من سبيل) أي طريق إلى الحق في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة * ولما ذكر تعالى الوعد
والوعيد ذكر بعده ما هو المقصود فقال تعالى (استحييوا ربكم) أي أحييوا بالتوحيد والعبادة
فإنه الذي لم تزوا أحسانا لا وهو منه (من قبل أن يأتي يوم) هو يوم القيامة (لا مرد له من الله)
أي الذي له جميع العظمة فإنه إذا أتى به لا يرده وإذا لم يكن له مرد فمنه لم يكن له مرد من غيره
ومتى عدم ذلك أتبع قوله تعالى (مآلكم) وأغرق في النفي بقوله تعالى (من ملجأ) أي تلجئون إليه
(يومئذ) أي في ذلك اليوم وزاد في التأكيد بعبادة الثاني وما في حيزه بلاغا في التحذير فقال تعالى
(ومآلهم من تكبر) أي انكار لما أقرفتهوه لأنه مدون في صحائفكم تشهد عليه السننكم
وجوارحكم (فإن أعرضوا) أي عن الاجابة فيمادعوتهم إليه (فما أرسلناك) أي بما لنا من
العظمة (عليهم حفيظا) أي تقيهم على امتثال ما أرسلناك به (إن عليك البلاغ) لما أرسلناك
به وأما الهداية والاضلال فالينا وهذا كما قال الجلال المحلى قبل الامر بالجهاد (وإننا إذا ذقنا)
أي بالعظمة التي لا يمكن تخالفها (الإنسان) أي بما جبلناه عليه من النقص وعدم التملك (مما
رحمة) قال ابن عباس رضي الله عنهم ما نوعا من أنواع الاكرام من صحة أو غنى أو نحو ذلك (فرح
بها) أي تلك الرحمة وأورد ضمير فرح نظر اللغز الإنسان إشارة إلى أنه مطبوع على أنه ليس عليه
الامن نفسه ولو كان أهل الارض كلهم على غير ذلك ونعمة الله تعالى عليهم وإن كانت في الدنيا
عظيمة إلا أنهم بالنسبة إلى سعادات الآخرة كالفطرة بالنسبة إلى البحر فلذلك سميت ذوقا بين
تعالى أن الإنسان إذا حصل له هذا القدر المحقر في الدنيا فرح به وعظم غروره ووقع في العجب
والكبر وطن أنه فاز بكل المني ووصل إلى أقصى السعادات وهذه طريقة من ضعف اعتقاده
في سعادات الآخرة وجع ضمير الإنسان في قوله تعالى (وإن نصيبهم) باعتبار معناه (سبيته) أي
شيء يسوهم في الحال كالمرض والفقر والعمى (عما قدمت أيديهم) أي قدموه وعبر بالأيدي

لأن أكثر الأفعال بها (فإن الإنسان) أي الآتس بنفسه المعرض عن غيره بما هو طبع له بسبب
 سيئته تضره (كفور) أي بليغ الكفران ينسب النعمة رأسا ويذكر البلية ويعظمها ولم يتأمل
 سببها ونصدير الشرطية الأولى بأذا والثانية بأن لأن إذا قته النعمة محققة من حيث أنها عادة
 مقضية بالذات بخلاف أصابة البلية وأقامة علة الجزاء مقامه ووضع الظاهر موضع الضمير
 في الثانية للدلالة على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعمة فإن كان في نعمة أشرو بطروان
 كان في نعمة أيسر وقنط فهذا حال الجنس من حيث هو ومن وفقه الله تعالى جنبه ذلك كما قال
 صلى الله عليه وسلم المؤمن إن أصابه سر أشكر فكان خيرا وإن أصابه ضرر أصبر فكان خيرا
 * ولما ذكر تعالى إذا ذاق الإنسان الرحمة وأصابته بعدها السيئة أتبع ذلك بقوله تعالى (لله) أي
 الملك الأعظم وحده (ملك السموات) كلها على علوها وتطابقها وكبرها وعظمتها وتباعد أقطارها
 (والأرض) جميعها على ثباتها وتكاتفها واختلاف أقطارها وسكانها واتساعها (يخلق)
 أي على سبيل التجرد والاختيار والاستمرار (مابشاء) وإن كان على غير اختيار العباد ثلاثا
 يغفر الإنسان بما ملكه من المال والجاه بل إذا علم أن الكل ملك لله وملكه وانما حصل له ذلك
 القدر انعاما من الله تعالى عليه فيصير ذلك حاملا له على مزيد الطاعة * ثم ذكر من أقسام نصرته
 تعالى في العالم أنه يخص بعض الناس بالأولاد الإناث والبعض بالذكور والبعض بهما
 والبعض محروم من الكل كما قال تعالى (يحب) أي يخلق (لمن يشاء) أولادا (أنا) فقط ليس
 معهن ذكر (ويحب لمن يشاء الذكور) فقط ليس معهم أنثى وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو
 بتسهيل الهمزة الثانية كالباء وتبدل أيضا واوخالصة والباقون بصتقهما وفي الاستدعاء
 الجميع بالتحقيق وإذا وقف حمزة وهشام أبدا الهمزة ألفا مع المد والتوسط والقصر ولهما أيضا
 تسهيلها مع المد والقصر والروم والاشعاع (أويرزجهم) أي الأولاد فيجعلهم أزواجا أي صنفين
 حال كونهم (ذكرانا وأنا) ويجعل من يشاء عقيما أي لا يولد له قال الرازي وفي الأسئلة والأت
 الأول أنه قدم الإناث في الذكر على الذكور وأولاً ثم قدم الذكور على الإناث نائبا في السبب أي
 فما الحكمة في هذا التقديم والتأخير الثاني أنه ذكر الإناث وعزف الذكور وقال في الصنفين
 معاً أويرزجهم ذكرانا وأنا الثالث أنه لما كان حصول الولد به من الله تعالى فيكفي
 في عدم حصوله أن لا يهب فأى حاجة في عدم حصوله إلى قوله تعالى ويجعل من يشاء عقيما
 الرابع هل المراد بهذا الحكم جمع معينون أو الحكم على الإنسان المطلق ثم قال والجواب
 عن الأول أن الكرم يسعى في أن يقع الختم على الخير والراحة فاذا وهب الإناثي أولا ثم أعطى
 الذكر بعدها فكأنه نقله من التم إلى الفرح وهذا غاية الكرم أما إذا أعطى الذكر أولا ثم أعطى
 الإناثي نائبا فكأنه نقله من الفرح إلى التم فذكر الله تعالى هبة الإناثي أولا ثم نبهت بهبة الذكر
 حتى يكون قد نقله من التم إلى الفرح فيكون البقي بالكرم قيل من بين المرأة تنكحها ما لا ينكحها
 قبل الذكر لأن الله تعالى بدأ بالإناث وأما تقديم ذكر الذكور على ذكر الإناث نائبا فلا أن الذكر
 أكمل وأفضل من الإناث والأفضل مقدم على المفضول وأما الجواب عن تنكير الإناث وتعميقهم

الذكور وهو أن المقصود منه التنبيه على أن الذكر أفضل من الأنثى وأما قوله تعالى
 أو يرزقهم ذكرانا واناثنا فهو أن كل شئين يقترن أحدهما بالآخر فهم أزواج وكل واحد
 منهم ما يقال له زوج والكتابة في يرزقهم عائدة على الاناث والذكور والمعنى يجعل الذكور
 والاناث أزواجاً أي يجمع له بينهما فيولده الذكور والاناث وأما الجواب عن قوله تعالى عقيم
 فالعقيم هو الذي لا يلد ولا يولد له يقال رجل عقيم وامرأة عقيم وأصل العقم القطع ومنه
 قيل الملك عقيم لانه تقطع فيه الارحام بالقتل والعنق وأما الجواب عن الرابع فقال ابن عباس
 رضى الله عنهما يهب لمن يشاء اننا نريد لوطا وشعبا عليهم السلام لم يكن لهما الاناث
 ويهب لمن يشاء الذكور يريد ابراهيم عليه السلام لم يكن له الا الذكور ويرزقهم ذكرانا
 وانانا نريد محمد صلى الله عليه وسلم كان له من البنين ثلاثة على الصحيح القاسم وعبد الله
 و ابراهيم ومن البنات أربعة زينب ورقية وأم كنوم وفاطمة ويجعل من يشاء عقيماً
 يريد يحيى وعيسى عليهم السلام وقال أكثر المفسرين هذا على وجه التثنية وانما الحكم عام
 في كل الناس لان المقصود بيان نفاذ قدرة الله تعالى في تكوين الاشياء كيف شاء فلا معنى
 للتخصيص ثم انه تعالى ختم الآية بقوله تعالى (انه عليم) أي بالغ العلم بالصالح العباد وغيرها
 (قدير) أي شامل القدرة على تكوين ما يشاء * ولما بين تعالى حال قدرته وعلمه وحكمته أتبعه
 ببيان انه كيف يختص أنبياءه بوجهه وكلامه فقال تعالى (وما كان) أي وما صم (لبشر) من
 الاقسام المذكورة وحل المصدر الذي هو اسم كان ليقع التصريح بالفاعل والمفعول على أتم
 الوجوه فقال تعالى (أن يكلمه) وأظهر موضع الاضمار اعظام اللوح وتشرى بالمقدار فقال
 تعالى (الله) أي يوجد الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال في قلبه كلاماً (الاً) أن يوحى اليه
 (وحياً) أي كلاماً مخفياً يوجد فيه بغير واسطة بوجه خفي لا يطلع عليه أحد ما عساه في كما ورد في
 حديث المعراج وأما بالهام أو رؤية منام كما رأى ابراهيم عليه السلام في المنام أن يذبح ولده أو
 بغير ذلك سواء خلق الله تعالى في التكلم قوة السماع له وهو أشرف هذه الاقسام أم لا ومن الثاني
 قوله تعالى وأوحينا الى أم موسى وأوحى ربك الى النحل وأوحى في كل شيء أمرها (أو) الا
 (من وراء حجاب) أي من وجه لا يرى فيه التكلم مع السماع للكلام على وجه الجهر كما وقع
 لموسى عليه السلام (أو يرسل رسولا) من الملائكة اما جبريل عليه السلام أو غيره * (تنبيه) *
 ذكر المفسرون أن اليهود قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله تعالى وتنتظر اليه ان كنت
 نبيا كما كلمه موسى ونظر اليه فقال لم ينتظر موسى الى الله عز وجل فأنزله الله تعالى وما كان لبشر
 أن يكلمه الله الا وحياً أو من وراء حجاب أو يرسل رسولا (فيوحى) أي الرسول الى المرسل
 اليه أن يكلمه (بآذنه) أي الله تعالى (ما يشاء) أي الله عز وجل وقرأنا فرفع اللام من يرسل
 وسكون الباء من يوحى والباقيون يصب اللام والياء أما القراءة الاولى ففيها ثلاثة أوجه
 أحدها أنه رفع على اضمار مبتدأ أي هو يرسل ثانياً انه عطف على وحى على أنه حال لان وحياً
 في تقدير الحال أيضاً فكانه قال الاموحى اليه أو مرسلان ثانياً أن يعطف على ما يتعلق به

من وراء اذنته أو يسمع من وراء حجاب ووحيا في موضع الحال عطف عليه ذلك المقدر
المعطوف عليه أو يرسل والتقدير الاموحيا أو سمعها من وراء حجاب أو مرسلها وأما القراءة
الثانية ففيها ثلاثة أوجه أحدها أن يعطف على المضمر الذي يتعلق به من وراء حجاب اذنته
أو يكلمه من وراء حجاب وهذا الفعل المقدر معطوف على وحيا والمعنى الاوحى أو سماع من
وراء حجاب أو ارسال رسول ولا يجوز أن يعطف على أن يكلمه انفساد المعنى اذ يصير التقدير
وما كان لبشر أن يرسل الله رسولا بل يفسد لفظا ومعنى وقال مكى لانه يلزم منه نفي الرسل ونفي
المرسل اليهم ثانياً أن نصب بأن مضرة وتكون هي وما نصبته معطوفين على وحيا ووحيا حال
فيكون هذا أيضاً حالاً والتقدير الاموحيا أو مرسلها لانه معطوف على معنى وحيا فانه مصدر
مقدر بأن والفعل والتقدير الابان يوحى اليه أو بأن يرسل ذكره مكى وأبو البقاء (أنه)
أى هذا الذى له هذا التصرف العظيم في هذا الوحي الكريم (على) أى بالغ العلم وجداعن
صفات المخلقين (حكيم) بنهمل ما تنص فيه حكمته فيكم تارة بوسطة وتارة بغير واسطة أما
عبادنا وأما من وراء حجاب (وكذلك) أى ومثل ايحائنا الى غيرك من الرسل (أو حيناً) بما لنا من
العظمة (اليك) يا أفضل الرسل (روحاً) قال ابن عباس نبوة وقال الحسن رجة وقال السدى
وحيا وقال الكلبي كآوا وقال الربيع جبريل وقال مالك بن دينار القرآن وسعى الوحي
روحاً لانه مدبر الروح كما أن الروح مدبر للبدن وزاد عظمته بقوله تعالى (من أمرنا) أى الذى
نوحيه اليك ثم بين تعالى حال نبه محمد صلى الله عليه وسلم قبل الوحي بقوله سبحانه (ما كنت) أى
فيما قبل الاربعين التى مضت لك وأنت بين ظهري قومك (تدرى) أى تعرف قبل الوحي اليك
(ما الكتاب) أى القرآن (ولا الايمان) أى تفصيل الشرايع على ما جددناه لك بما أوحينا اليك
وهو صلى الله عليه وسلم وان كان قبل النبوة قد كان مقرباً لوحيدانية الله تعالى وعظمته فانه كان
يصنى ويحج ويعتمر ويغض اللات والعزى ولا يأتى كل ما ذبح على النصب لكنه لم يكن يعلم الرسل
على ما هم عليه ولا شك أن الشهادة صلى الله عليه وسلم نفسه بالرسالة ركن الايمان ولم يكن
له علم بذلك وكذلك الملائك ففصح نبي المنى لفوائه بقوات جزئه وقال محمد بن اسحق بن خزيمة
الايمان هنا الصلاة لقوله تعالى وما كان الله ليضيع ايمانكم أى صلاتكم وقبل هذا على حذف
ومعناه ما كنت تدري ما الكتاب ولا الايمان حين كنت طفلاً في المهدي وقيل الايمان عبارة عن
الاقرار بجميع ما كلف الله تعالى به وقال بعضهم صفات الله تعالى على قسمين منها ما يمكن معرفته
بمحض دلائل العقول ومنها ما لا يمكن معرفته الا بالدلائل السمعية فهذا القسم الثاني لم يكن
معرفته حاصلة قبل النبوة (تنبيه) ما الاولى نافية والثانية استفهامية والجملة الاستفهامية
معلقة لا دراية فهي في محل نصب لدهامسة مفعولين والجملة المنفية بأسرها في محل نصب على
الحال من الكاف في اليك وفي الآية دليل على أنه صلى الله عليه وسلم لم يكن متعبداً قبل النبوة
بشرع وفي المسئلة خلاف للعلماء ففصل كان يتعبد على دين ابراهيم عليه السلام وقبل غيره
والضمير في قوله تعالى (ولكن جعلنا منورا) يعود الى وحيا واما الكتاب واما هما وهو أولى لانها

مقصود واحد فهو كقوله تعالى والله ورسوله أحق أن يرضوه وقال ابن عباس رضي الله عنهما
 يعني الإيمان وقال السدي يعني القرآن (نهدي) على عظمتنا (به من نشاء) خاصة لا يقدر أحد
 على هدايته بغير مشيقتنا (من عبادنا) بخلق الهداية في قلبه بالتوفيق فهذه لا يقدر عليها أحد غير
 الله تعالى وأما الهداية بالتبيين والارشاد فهي قوله تعالى (وانك) يا أفضل الخلق (لتهدي) أي تدين
 وترشدوا كده لانكارهم ذلك (الى صراط) أي طريق واضح جدا (مستقيم) أي شديد التقويم
 وهو دين الاسلام وقوله تعالى (صراط الله) أي الملك الاعظم الجامع لصفات الكمال وقرأ صراط
 في الموضعين قبل بالسبب وخلف بالاشتماء أي بين الصاد والزاي والباقون بالصاد الخالصة ثم
 وصف سبحانه وتعالى نفسه بأنه مالك لما في السموات والارض بقوله تعالى (الذي له
 ما في السموات وما في الارض) خلقا وملكا وعيدا (ألا إلى الله) أي المحيط بجميع صفات
 الكمال الذي تعالى عن مثل وتدوهو الكبير المتعال لا إلى غيره (تصير) أي على الدوام وان
 كانت في الظاهر في ملك غيره بحيث يظن الجاهل ان ملكها مستقر له قال أبو حيان أخبر
 بالمضارع والمراد به الديمومة كقوله زيد يعطى وينع أي من شاء ذلك ولا يراد به حينئذ
 حقيقة المستقبل (الأمور) كلها من الخلق والامر معنى وحسب كما كانت الامور كلها مبتدأة
 منه وحده وفي ذلك وعد للمطيعين ووعيد للمعصين فيجأزي كلامهم عما يستحقه من ثواب أو
 عقاب وما قاله البيضاء تبع الزخشرى من أنه صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة حم عسق
 كان من نصلي عليه الملائكة ويستغفرون ويسترجون الحديث موضوع

﴿سورة الزخرف مكية﴾

وهي تسع وتسعون آية وغنائمة وثلاث وثلاثون كلمة وثلاثة آلاف وأربعمائة حرف

(بسم الله) أي الذي له مقاليد الامور كلها فهو يعطى من يشاء وان طال سؤله (الرحمن) الذي
 نال بره جميع خلقه على حسب منازلهم عنده (الرحيم) الذي يقرب اليه من يشاء نلني وان
 وصل في البعد الى الحد الاقصى وقد تقدم الكلام على قوله تعالى (حم) والواو في قوله تعالى
 (والكتاب) أي القرآن (المبين) أي مظهر طريق الهدى وما يحتاج اليه من الشريعة عاطفة
 ان جعلت حم قسما والا كانت للقسم وقوله تعالى (انا جعلناه) أي أوجدنا هذا الكتاب
 (قرآنا عربيا) أي بلغة العرب جواب القسم وهذا عندهم من البلاغة وهو كون القسم
 والقسم عليه من واحد او واحد كقول أبي تمام

وشا بالانها اغريض * (أي طلع ويرد وقيل كل أبيض طرى) ولا ل نوم وبرق وميض
 والتوم جمع تومة وهي حبة تعمل من الفضة كالدرة والوميض مصدر وميض أي لمع لمعا
 خفيها * (تنبيه) * احج القائلون بحدوث القرآن بهذه الآيات من وجوه الاول أنهم اندل
 على أن القرآن مجعول والمجعول هو المصنوع المخلوق الثاني أنه وصفه بكونه قرآنا وهو
 التسمي قرآنا لانه جعل بعضه مقرونا ببعض وما كان كذلك كان مصنوعا الثالث

وصفه بكونه عرييا وانما يكون عرييا لان العرب اختصت بوضع الفاظه في اصطلاحهم
 وذلك يدل على أنه معمول والتقدير رحم ورب الكتاب المبين ويؤيد هذا قوله صلى الله
 عليه وسلم يا رب طه ويس وبارب القرآن العظيم وأجاب الرازي عن ذلك بأن هذا الذي
 ذكرتموه حق لانكم استدلتم به هذه الوجوه على كون الحروف المتواليات والكلمات
 المتعاقبة محدثة وذلك مع اليوم بالضرورة ومن الذي ينازعكم فيه (أهلكم) أى بأهل مكة
 (تعلقون) أى لتكونوا على رجاء عند من يصع منه الرجاء من ان تفهم مواضعه وأحكامه
 وبديع وصفه ومجرب وضعه ونظامه فترجعوا عن كل ما أنتم عليه من الغلبة ولا بد أن يقع هذا
 العقل فان القادر اذا عبر بآداة التبرجى - حق ما يقع ترجمه ليكون بين كلامه وكلام العاخر فرق
 وقوله تعالى (وانه) أى القرآن عطف على انا أى مثبت (فى أم الكتاب) أى أصل الكتب
 وهو اللوح المحفوظ وقال قتادة أم الكتاب أصل الكتاب وأم كل شئ أصله وقال ابن عباس أول
 ما خلق الله تعالى القلم فأمره أن يكتب ما يريد أن يخلق فالكتاب مثبت عنده فى اللوح المحفوظ
 كما قال تعالى بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ (فان قيل) ما الحكمة فى خلق هذا اللوح المحفوظ
 مع انه تعالى علام الغيوب يستفيل عليه السهو والنسيان أجيب بأنه تعالى لما ثبت فى ذلك
 أحكام حوادث المخلوقات ثم ان الملائكة اذا شاهدوا أن جميع الحوادث انما تحدث على
 موافقة ذلك المكتوب استدلوا بذلك على كمال حكمته وعلمه وقيل المراد بأم الكتاب الآيات
 المحكمة لقوله تعالى هو الذى أنزل عليك الكتاب منه آيات محكمات هن أم الكتاب والمعنى
 أن سورة حم واقعة فى الآيات المحكمة التى هى الاصل والام وقرأ حزة والكسائى فى الوصل
 بكسر الهمزة والباقون بضمها وانفقوا فى الابتداء بالهمزة على الضم وقوله تعالى (لدينا)
 أى عندنا يدل من الحارق له (أعلى) أى رفيع الشأن فى الكتب لكونه مهجوزا من بينها (حكيم)
 أى ذو حكمه بالغة وأحكم فى أبواب البلاغة والفصاحة (أفضر) أى انهم ملكم فنضرب
 أى نغنى مجاوزين (عنكم الذكر) أى القرآن وفى نصب قوله تعالى (صفحا) أوجه أحدها انه
 مصدر من معنى نضرب لانه يقال ضرب عن كذا وأضرب عنه بمعنى أعرض عنه وصرف وجهه
 عنه قال طرفة

اضرب عنك الهموم طارقتها * ضربك بالسيف قونس الفرس

واضرب بفتح الباء أصله اضرب بنون التوضيح كيد الحقيقة فخذت النون وحركت الباء
 بالفتح ولطارق ما يطرق بالليل والقونس منبت شعر الناصية وهو عظم نابت بين أذنى
 الفرس نائها انه منصوب على الحال أى صاحب نائها أن يكون نفعولا من أجله وقيل غير
 ذلك (أن) أى أنفعل ذلك لان (كنتم قوما مسرفين) أى مسرفين لانفعل ذلك وهو فى
 الحقيقة علمه مقتضية لترك الاعراض وقرأ نافع وحزة والكسائى بكسر الهمزة على أن الجلة
 شرطية مخروجة للمعق مخرج المشكوك استجها لالهم وما قبلها دليل الجزاء وقرأ الباقر
 بنفعها وز كرمالى تأيسا للتي صلى الله عليه وسلم وتأسية وتزينة وتولية قوله سبحانه وتعالى

(وكم أرسلنا) أى على ما لثامن العظمة (من نبي في الأولين) أى في الامم الماضية ثم حكى حالهم الماضية بقوله تعالى (وما) أى والحال انه ما (يأتهم) وأغرق في النقي بقوله تعالى (من نبي) أى في أمة بعد أمة أو زمان بعد زمان (الآن) أى خلقا وطبعها (به يستهزئون) كما استهزأ قومك بك فلا ينبغي أن تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم لأن المصيبة إذا عمت خفت * (تنبية) * كم خبر به من فعل مقدم ومن يميز وفي الأولين متعلق بالارسل أو بمحذوف على انه صفة لنبي (فأهلكنا) أى فنسبب عن الاستهزاء بالارسل أنا أهلكنا (أشد منهم) أى من قريش الذين يستهزئون بك (بطشا) أى قوة وكان الاصل الاضمار ولكنه أظهر الضمير صارفا أسلوب الخطاب الى الغيبة اقبال على نبيه صلى الله عليه وسلم نسليه وابلاغاً في وعيدهم (ومضى) أى سبق في آيات الله (منسل) أى صفة (الأولين) في الاهلاك وفي ذلك وعد للرسول صلى الله عليه وسلم ووعد لهم مثل ما جرى على الأولين واللام (ولئن) لام قسم (سألتم) أى سألت قومك (من خلق السموات) على علوها وسعتها (والارض) على كثرة عجايبها وعظمتها وقوله تعالى (ليقولن) حذف منه نون الرفع لتوالي التونات وواو الضمير لالتقاء الساكنين (خلقهن) الذي هو موصوف بأنه (العزير) أى الذي لا يقاوم (العليم) بما كان وما يكون * (تنبية) * هذا الجواب مطابق للسؤال من حيث المعنى اذ لوجاء على اللفظ لحي فيه بجملة ابتدائية كالسؤال فكان الجواب هنا الله كما في غيره من الآيات لكنه عدل عنه الى المطابقة المعنوية مكرراً للفعل تأكيذاً لاغراقهم زيادة في توبيخهم وتنبهاهم على عظم غلطهم * ولما تم الاخبار عنهم ابتدأ الأدلة على نفسه بذكر مضى وعانه فقال تعالى (الذي جعل لكم) ولو كان ذلك قولهم اقلوا لنا (الارض مهادا) أى فراشا قارة ثابتة كالهد للصبي ولو شاء لجعلها منزلة لا يثبت فيها شيء كما تزول من بعض الجبال فلا تنافع بها انما حصل لكونها واقفة ساكنة فانها لو كانت متحركة كما أمكن الانتفاع بها في الزراعة والابنية وسرعيوب الاحياء والاموات ولأن المهدي موضع راحة الصبي فكانت الارض مهادا لكثرة ما فيها من الراحة وقرأ الكوفيون بفتح الميم وكون الهاء والباء فون بكسر الميم وفتح الهاء وألف بعد الهاء (وجعل لكم فيها سبلا) أى طرقا تسلكونها وذلك ان انتفاع الناس انما يكمل اذا سعوا في أقطار الارض فهما تعالى تلك السبل ووضع عليها علامات ليحصل الانتفاع ولو شاء لجعلها بحيث لا يسلك في مكان منها كما جعل بعض الجبال كذلك ثم ذكر الغاية في ذلك فقال تعالى (لعلكم تهتدون) أى لكي تهتدوا الى مقاصدكم في الاسفار وغيرها فتوصلون بها الى الاقطار التاسعة والافاليم الواسعة أولهتدوا الى الحق في الدين (والذي نزل) أى بحسب التدريج ولولا قدرته تعالى الباهرة لكان دفعة واحدة أقرىا منها (من السماء) أى المثل العالي (ماء) أى لزركم وغاركم وشربكم بأنفسكم وأنعامكم (بقدر) أى بقدر حاجتكم اليه من غير زيادة ولا نقصان لا كما أنزل على قوم نوح بغير قدر حتى أغرقهم (فأنشربا) أى أحينا (به) أى الماء (بلدة) أى مكانا يجمع فيه للأقامة يعشرون بأحبابه

يتعاونون على دوام ابقائه (ميناً) أى كان قديس بانه وعجزاً أهله عن ائصال ما اليه ليحيابه
 قال الملقى واعد له أث البلد وذكر الميت اشارة الى أن بلوغها في الضعف والموت بلغ الغاية
 بضعف أرضه في نفسها وضعف أهله عن احيائه (كذلك) أى مثل هذا الاخراج العظيم الذى
 شاهدته وفي النبات (تخرجون) من قبوركم أحياء والمعنى ان هذا الدليل كإدلال على
 قدرة الله تعالى وحكمته فكذلك يدل على قدرته على البعث والقيامة ووجه التشبيه أنه جعلهم
 أحياء بعد الامانة كهذه الارض التى انتشرت بعدما كانت ميتة وقيل بل وجه التشبيه أن
 يعيدهم ويخرجهم من الارض بماء كالمنى كما ثبتت الارض بماء المطر قال ابن عادل وهذا
 ضعيف لان ظاهر لفظ اشارة الاعادة فقط دون هذه الزيادة ثم شرع تعالى فى اكمال ما تقتضيه
 الحال من الاوصاف فقال عز من قائل (والذى خلق الأزواج) أى الاصناف المتشاكاة التى
 لا يكمل شئ منها غاية الكمال الا بالآخر على ما دبره سبحانه فى نظم هذا الوجود (كلها) من
 النبات والحيوان وغير ذلك من سائر الاكوان لم يشاركه فى شئ منها أحد وقال ابن عباس رضى
 الله عنه الأزواج الضروب والانواع كالخلو والحامض والايض والاسود والذكر والانثى
 وقال بعض المحققين كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالقوق والتحت واليمين واليسار
 والقدام والخلف والمائى والمستقبل والذوات والصفات والصفى والشتاء والربيع
 والخريف وكونها أزواج يدل على انها ممكنة الوجود فى ذواتها محدثة مسموقة بالعدم قائما
 الحق تعالى فهو الفرد المنزوع عن الضد والند والمقابل والمعاضد فلهذا قال تعالى والذى خلق
 الأزواج كلها فهو مخلوق فدل هذا على ان خالقها فرد مطلق منزوع عن الزوجية قال الرازى وأيضاً
 علماء الحساب يثبتون ان الفرد أفضل من الزوج من وجوه الاوّل ان الاثنين لا توجد الا عند
 حصول وحدتين فالزوج محتاج الى الفرد والفرد هو الوحدة وهى غنية عن الزوج والغنى
 أفضل من المحتاج الثانى ان الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين والفرد لا يقبل القسمة
 وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة فكان الفرد أفضل من الزوج ثم ذكر
 وجوهاً آخر تدل على ان الفرد أفضل من الزوج واذا كان كذلك ثبت ان الأزواج ممكنات
 ومخالفات وأن الفرد هو القائم بذاته المستقل بنفسه الغنى عما سواه (وجعل لكم من
 الفلك) أى السفن العظام فى البحر (والانعام) كالابل فى البر (ما تركبون) وحذف العائد
 لفهم المعنى تغليباً للمتعدى بنفسه فى الانعام على المتعدى بواسطة فى الفلك والعائد مجرور
 فى الاول أى فيه منصوب فى الثانى وذكر الضمير وجع الظهور فى قوله تعالى (لتسبحوا على
 ظهوره) نظر اللفظ ما ومعناها * ولما أتم النعمة بخلق ما تدعو اليه الحاجة وجعله على
 وجهه دال على ماله من الصفات ذكر ما ينبغى أن تكون من غايتها على ما هو المتعارف بينهم
 من شكر المنعم فقال دال على عظم قدر النعمة وبعد غايتها وعلو أمر الذكر بحرف التراخي
 (ثم تذكروا) أى بقلوبكم وصرف القول الى وجه التربية حثاً على تذكر احسانه للانتهاء عن
 كفرانه والاقبال على شكرانه فقال تعالى (نعمة ربكم) أى الذى أحسن اليكم نعمة تسخيرها

لكم وماتعرفونه من غيرها (إذا استويتم عليه) أي على ما تركبونه وذلك المذكور هو أن يعرف
 أن الله تعالى خلق البحر وخلق الرياح وخلق جرم السفينة على وجه يمكن للإنسان من
 تصرف هذه السفينة إلى أي جانب شاء فإذا ذكر أن خلق البحر وخلق الرياح وخلق السفينة
 على هذه الوجوه القابلة لتصرف الإنسان وتحويله بكانه انما هو من تدبير الحكيم العليم
 القدير عرف أن ذلك نعمة من الله تعالى فيحمله ذلك على الانقياد لطاعة الله تعالى وعلى
 الاشتغال بالشكر لنعمة الله تعالى التي لا نهاية لها ولما كان تذكر النعمة باعث الجنان واللسان
 والاركان على الشكر لمن أسداها قال عز من قائل (وتقولوا) أي بالثناء لكم جميعا بين القلب
 واللسان (سبحان الذي يحجر) أي بعملة الكامل وقدرته التامة (لنا هذا) أي الذي ركبناه
 سفينة كانت أودبه (وما) أي والخال أنا ما (كله مقرين) أي مطيعين والمقرن المطبق للشي
 الضابط له من أقرنه أي طاقه قال الواحدى كان الشفقة من قولك صرت له قرنا ومعنى قرن
 قرن أي مثله في الشدة وقيل ضابطين وقال أبو عبيدة قرن النمل أي ضابطه والقرن الحبل
 ومعنى الآية ليس عندنا من القوة والطاقه تفرق هذه الدابة والعش وان عليه ما فيجب
 من حجرنا هذا بدونه وحكمته روى الزنجبى عن شى صلى الله عليه وسلم انه كان اذا
 وضع رجله في الركاب قال بسم الله وهذا استوى على الدابة قال الحداد على كل حال - جدها
 ادى حصرنا هذا وما الله مقربين وادى ربنا لقلبون وروى أحمد وأبو داود والترمذى
 وقال حسن صحيح عن علي رضي الله عنه انه وضع رجله في الركاب وقال بسم الله فلما
 استوى على الدابة قال الحمد لله سبحان الذى حصرنا هذا الآية ثم حمد ثلاثا وسبح
 ثلاثا وقال لا اله الا الله فقلت نفسي فاعقرى انه لا يغفر الذنوب الا انت ثم عكف فقبل ثم
 انعتق يديه ثم مضى قال رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت ما فعلت فقلنا ما يصنعك
 يا رسول الله قال ان ربنا يحب من عبده اذا قال الحمد لله لا اله الا انت فقلت نفسي فاعقرى انه
 لا يغفر الذنوب الا انت ويتولى علم عبدى انه لا يغفر الذنوب غيرى وروى أحمد عن ابن عباس
 رضى الله عنهم ان رسول الله صلى الله عليه وسلم ردفه على دابة فلما استقر عليها سكب ثلاثا
 وحمد الله تعالى ثلاثا وسبح الله ثلاثا وهلل الله تعالى واحدة وحمد ثم أقبل عليه فقال
 ما من امرئ مسلم ركب دابة فحمد الله كما يستحق الا قبل الله عليه بعضك اليه كما تحبكت البدن
 • ولما كان راكب الفرس في خطر الهلاك وراكب الدابة كذلك أيضا لان الدابة قد يحصل
 لها ما يوجب هلاك راكبها وكذا السفينة قد تنكسر فوجب على الراكب أن يذكر أمر
 الموت ويقول (وإلى ربنا) فمن البناء لاقدار على هذه السفنات على هذه المراكب
 لا إلى غيره (المقلبون) أي لما ترون بالموت وما بعده إلى الدار الآخرة انقلبوا بالآيات معه إلى
 هذه الدار فلا ية منهم بال - بر الذي على السيرة الأخرى واكد لاجل انكارهم البعث
 • ولما قال تعالى ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله (أبين انهم مع اقارهم
 بذلك جعلوا لهم عبادة جراً كما قال تعالى (وجعلوا لهم عبادة) الذين أبدعهم كما أبدع غيرهم

(١) قوله ليقولن
 الله الذى فى هذه
 السورة خلقهن
 العزيز العليم اه

(جزأ) أى ولدها وحصرهم فى الاتى أحد قسمى الاولاد وكل ولد فهو جزء من والده قال
صلى الله عليه وسلم فاطمة بنعة منى ومن كان له جزء كان محتسبا فلم يكن الها وذلك لقولهم
الملائكة بنات الله فثبت بذلك طيبش عقولهم وخافه آرائهم وقرأ شعبة بضم الزاى
والباقون بسكونها وهما اللتان واذا وقف جزء نقل حركة الهمزة الى الزاى * ولما كان
هذا فى غاية الغلط من الكفر قال مؤكدا لا تنكارهم ان يكون كفرا (ان الانسان) أى هذا
النوع الذى هو بعضه (الكفور مبين) أى بين الكفر فى نفسه مناد عليهم بالكفر وقوله تعالى
(أمن اتخذ) أى أعالج هو نفسه فأخذ هو بعد المعالجة وهو خالق الخلق كلهم (بما يحلق) أى
يحدد ابداعه فى كل وقت (بنات) استنهام تو بيج وانكار أى فلم يتدبر بعد التكيف والتعب
على غير البنات التى هى أبغض الجزأين اليكم ثم عطف على قوله تعالى اتخذ ليكون منفيما على
أبلغ وجه لكونه فى جملة الانكار (وأعفاكم) وهو السيد الكامل وأنتم عبده أى خضكم
(بالبنين) اللازم من قولكم السابق ثم بين كون البنات أبغض اليهم بقوله تعالى (واذا) أى
جعلوا ذلك والحال انه اذا (بشر) أى من أى مبشر كان (أحدهم) أى أحد هؤلاء البعداء
البعضاء (بما ضرب) أى جعل (للرحمن) الذى لانعمة على شئ من الخلق الا وهى منه
(مثلا) أى شبها بنسبة البنات اليه لان الولد يشبه الوالد والمعنى اذا أخبر بأحدهم بالبنات قوله
له (ظلال) أى صار (وجهه مسودا) أى شديد السواد لما به تربيه من الكآبة (وهو كظيم) أى
متمسكى غما فكيف تسب البنات اليه تعالى هذا ما لا يرضى عاقل ان يبره بذكره فضلا عن
ان ينقوبه وقوله تعالى (ومن نشأ) أى على ما جرت به عوائدكم (فى الخلية) يجوز فى من
وجهاً أحدهم ما أن يكون فى محمل نصب منعولا بفسل مقدرا رأى أو تجعلون من نشأ
فى الخلية والثانى انه مبتدأ وخبره محذوف تقديره أو من ينشأ جزءا ولداً أو جعلوه له جزءا
والمعنى ان التى تترين فى الخلية تكون ناقصة الذات لانه لولا نقصانها فى ذاتها لما احتاجت
الى تزوين تقسم بالخلية وقرأ حمزة والكسائى وحفص بضم الباء وفتح النون وتشديد الشين
أى يربى والباقون بفتح الباء وسكون النون وتخفيف الشين واذا وقف جزء وهشام أبدا
الهمزة أنفا ولهما أيضا نسبه لهما والروم والاشعاع ثم يبر نقصان حالها بطريق آخر بقوله تعالى
(وهو) أى والحال انه وقد دمى فى افادة الاهتمام قوله تعالى (فى الخصاص) أى المجردة اذا احتجج
اليها فيما (غير مبين) أى مظهر حجة لضعفه عنها بالانوثه قال قتادة فى هذه الآية قلبا تتكلم امرأة
فتريد أن تتكلم بحجة تها لا تنكلم بالحجة عليها ثم بين تعالى جراتهم على ما لا ينبغي لعائل أن
ينقوبه بقوله تعالى (وجعلوا الملائكة الذين هم) متصنون بأشرف الاوصاف وهوانهم
(عباد الرحمن) أى العام النعمة الذين ماعصوه طرفة عين (أنانا) وذلك أدنى الاوصاف
خلقوا خلقا اذا نوصفة فهذا كفر ثالث الكفرين قبله وقرأ نافع وابن كثير وابن
عاصم بكسر العين وبعد هانون ساكنة ونصب الدال والباقون بعد العين ياء واحدة
مفتوحة وبعدها الف ورفع الدال ثم قال تعالى تهكم ما هؤلاء القائلين ذلك وتو بيجاهم

وانكارا عليهم (أشهدوا) أى أحضروا (خلقهم) أى خلقواهم فسادهم انما فان ذلك مما
يعلم بالمشاهدة وقرأنا فعبهم من زين الاولى مفتوحة والثانية مفهومة مسهلة كالواو وسكون
السين وادخل قالون بينهما ألفا ولم يدخل ورش والباقيون بهمزة واحدة مفتوحة وفتح السين
(ستكتب) بـ كتابة من وكلناهم بهم من الحفظة الذين لا يعصوننا فنحن نفدرهم على جميع
مانا أمرهم به (شهادتهم) أى قولهم فيهم انهم اناث الذى لا ينبغي أن يكون الا بعد تمام المشاهدة
فهو قول ركب سخيض ضعيف كما أشار اليه التأنيث (ويستلون) عنها عند الرجوع اليها قال
الكبي ومقاتل لما قالوا هذا القول سألهم النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما يدريكم انهم اناث
قالوا معنا من اناس ونحن نشهد انهم لم يكذبوا فقال تعالى ستكتب شهادتهم ويستلون عنها
في الآخرة هذا يدل على أن القول بغير دليل منكروا أن التقليد حرام بوجوب الذم العظيم قال
المحققون هؤلاء الكفار كفروا في هذا القول من ثلاثة أوجه اولها اثبات الولد ثانياً أن
ذلك الولد بنت ثالثاً الحكم على الملائكة بالانوثه * (تنبيه) قال البقاعي يجوز أن يكون في
السين استعطاف الى التوبة قبل كتابة ما قالوا ولا علم لهم به فانه قد روى أبو أمامة أن النبي صلى
الله عليه وسلم قال كاتب الحسنات على عين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل وكاتب
الحسنات أمين على كاتب السيئات فاذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشر او اذا عمل سيئة قال
صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح الله أو يستغفر ثم يبه سبحانه على
أنهم عبدوهم مع ادعاء الانوثه فيهم فقال تعالى مجيباً عنهم في ذلك وفي جعل قولهم حجة دالة على
حصة مذهبهم وهو من أوهى الشبه (وقالوا) أى بعد عبادتهم لهم ونهيمهم عن عبادة غير الله تعالى
(لو شاء الرحمن) أى الذى له عموم الرحمة (ما عبدناهم) أى الملائكة فعبادتنا ايهاهم عشتة فهو
راض بها ولو لانه راض بها العجل لنا العقوبة فاستدلوا بنفي مشيئة عدم العبادة على الرضا بها
وذلك باطل لان المشيئة ترجح بعض الممكنات على بعض مأمور كان أو منها حسناً كان أو غيره
ولذلك جهلهم فقال تعالى (مالهم بذلك) أى القول من الرضا بعبادتها (من علم ان) أى ما
(هم الا بخبر صون) أى يكذبون في هذه النتيجة التى زعموا أنها ادلتهم على رضا الله تعالى بكفرهم
فيترتب عليهم العقاب * ولما بين تعالى بطلان قولهم بالعقل أتبعه بطلان قولهم بالنقل فقال
تعالى (أم آتيناهم) أى على ما لنا من العظمة (كأننا) أى جامعاً لما يريدون اعتقاده من
أقوالهم هذه (من قبله) أى القرآن أخبرناهم فيه أناجعلنا الملائكة اناثا وانالانثاء الاما هو حق
رضاء وانأمر به (فهم به) أى فبسبب عن هذا الاثبات أنهم به وحده (مستسكون) أى موجودون
الاستسكان به فيأخذون بما فيه لم يقع ذلك * ولما بين تعالى أنه لا دليل لهم على صحة قولهم البتة
لامن العقل ولان النقل بين أنه لا حامل لهم يحملهم عليه الا التقليد بقوله تعالى (بل قالوا)
انا وجدنا آباءنا) أى وهم أربح منا عقولاً وأصح من أنفهاماً (على أمة) أى طريقة عظيمة يحق
لها أن تصدق وتوثق ثم أكدوا قطع الرجا والخالف عن لفتهم عن ذلك فقالوا (وانا على آثارهم)
أى خاصة لا غيرها (مهتدون) أى متبعون فلم نأت بشئ من عند أنفسنا ولا غلطنا في الاتباع

واقضاء الامتار فلا اعتراض علينا بوجه هذا قولهم في الدين بل في أصوله التي من ضل
في شئ منها هلك ولوظهر لاحد منهم خلل في سعي أي به الديوى الذي به يحصل الدينار والدرهم
ما اقتدى به أصلا وخالفه أى مخالفة ما هذا الاقصو ونظر ومحض عناد ثم أخبر تعالى أن غيرهم
قال هذه المقالة بقوله سبحانه (وكذلك) أى ومثل هذه المقالة المتناهية في الشاعة فعلت
الامم الماضية مع اخوانك الانبياء عليهم السلام ثم فسر ذلك بقوله تعالى (ما أرسلنا) أى مع
مالنا من العظمة (من قبلك) أى في الأزمنة السالفة (في قرية) وأغرق في النفي بقوله تعالى
(من نذير) وينبه أن موضع الكراهة والخلاف الانذار على مخالفة الاهواء (الاقال
متروها) أى أهل الترفه بالضم وهى النعمة والطعام الطيب والشئ الطريف يكون خاصا
بالترف وذلك موجب لقله الهمة وللراحة والبطالة (انا وجدنا آباءنا) أى وهم أعرف منا
بالامور (على أمة) أى امر جاع يستحق أن يقصد ويؤتم ثم أكدوا كما أكدوا فلا نقالوا
(وانا على امتارهم) أى لاعلى غيرها (مقندون) أى راكبون سنن طريقهم لازمون لها فنفى
هذا نسمة لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قل) أى بأفضل الخلق لهؤلاء البعداء البغضاء
(أولو) أى أنغون ذلك ولو (جنتكم بأهدى) أى بأمر أعظم في الهداية وأوضح في الدلالة
(مما وجدتم) أى أيها المقندون بالآباء (عليه آباءكم) أى كما تضمن قولكم انكم تفتنون
في اتباعكم بالامتار في أعظم الاشياء وهو الدين الذى الخسارة فيه خسارة للنفس وأنتم
تخالفونهم في أمر نفس الدنيا اذ وجدتم طريقا أهدى في التصرف فيها من طريقهم
ولو أمر ايسيرا ويفتخر أحدكم بأنه أدرك من ذلك ما لم يدرك أبوه فحصل من المال أكثر
مما حصل فيه له من نظرا ما أقصره ومتجبرا أخسره وقرأ ابن عامر وحفص قال بصيغة
الماضى أى قال المندرا والرسول وهو النبي صلى الله عليه وسلم والباقون قل بصيغة الامر للنبي
صلى الله عليه وسلم ثم أجابوا بأن (قالوا) مؤكداين رد الما قطع به كل عاقل سمع هذا الكلام من
انهم يبادرون النظر في الدلائل والرجوع الى سواء السبيل (انما أرسلناك به) أى أنت ومن
قبلك (كافرون) أى ساترون لما ظهر من ذلك جهدا حتى لا يظهر لاحد ولا يتبعكم فيه
مخلوق وان كان أهدى مما كان عليه آباؤنا فعند هذا لم يبق لهم عذر فلهذا قال تعالى (فاتقوا)
أى بما لنا من العظمة التى استحقها وبها (منهم) فاهلكا بهم بعذاب الاستئصال ثم أعظم أمر
النقمة بالامر بالنظر فيها في قوله (فاتقوا) بأفضل الرسل (كيف كان عقابه) أى آخر أمر
(المكذبين) لرسلنا فانهم أهلكوا أجعون ونجا المؤمنون أبجعون فليحذر من رد رسالتك
من مثل ذلك وهذا تمديد عظيم لكفار قرىش * ثم بين تعالى وجه آخر يدل على فساد التقليد
بقوله تعالى (واذ) أى واذا كرى بأفضل الخلق اذ (قال ابراهيم) أى الذى هو أعظم آباءهم ومحط
نفرهم والجمع على محبة وحقيقة دينه منهم ومن أهل الكتاب وغيرهم (لآبيه) من غير أن يقلله
كما قلتم أنتم آباءكم (وقومه) الذين كانوا هم القوم في الحقيقة لاحترامهم على ملك جميع
الارض (انى براه) أى برى (مما تعبدون) أى في الحال والاساس تقبال (الا الذى فطرني)

أى خلقى (فانه سديد) أى يرشدني لدينه ويوفقني لطاعته • (تنبيه) * في هذا الاستثناء
أوجه أحدها أنه استثناء منقطع لأنهم كانوا عبدة أصنام فقط فانها أنه متصل لانه روى
أنهم كانوا يشركون مع الباري غيره ثالثها أن تكون الاصفة بمعنى غير على أن تكون ما ذكره
موصوفة قاله الزمخشري قال أبو حيان وانما أخرجهما في هذا الوجه عن كونها موصولة
لانه يرى أن الابعنى غير لا يوصف بها الا لشكره وفيها خلاف وعلى هذا يجوز أن تكون
مأموصولة والابعنى غير صفة لها (وجعلها) أى ابراهيم (كلمة) أى كلمة التوحيد المفهومة
من قوله اننى الى سيدى (باقية في عقبه) أى ذريته فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى لانه
عليه السلام مجاب الدعوة وقال ومن ذرى ربنا وأبعث فيهم رسولا منهم يتلوا عليهم آياتك ويعلمهم
الكتاب والحكمة وينزلهم (لعلهم) أى أهل مكة (يرجعون) عما هم عليه الى دين أبيهم فانهم
إذا ذكروا ان أباهم الاعظم الذى بنى لهم البيت وأورثهم الفخر قال ذلك تابعوه قال الله تعالى
(بل تمتع هؤلاء) أى الذين يحضرك من المشركين وأعداء الدين (وأباهم) أى مددت لهم
في الأعمار مع اسباح النعم وسلامة الأبدان من البلاء والنقم ولم أعاجلهم بالعقوبة فابطرتهم
نعمتى وعما دى بهم ركوب ذلك الباطل (حتى جاءهم الحق) أى القرآن (ورسل مبين) أى
مظهر لهم الأحكام الشرعية وهو محمد صلى الله عليه وسلم (ولما جاءهم الحق) أى الكامل
في حقيقته بطابقة الواقع إياه من غير الباس ولا اشتباه وهو القرآن العظيم (قآلوا) مكابرة
وعنادا وحسدا من غير وقفة ولا تأمل (هذا) مشيرين الى الحق الذى بطابقه الواقع فلا شئ
أثبت منه وهو القرآن الكريم (سحر) أى خيال لاحقيقة له (وانابه كفرون) أى عريقون
في ستره بخصوصه حتى لا يعرفه أحد ولا يكون له تابع ثم ذكر تعالى نوعا آخر من كفرهم بقوله تعالى
(وقآلوا لا) أى هلا (نزل) يعنى من المنزل الذى ذكره محمد صلى الله عليه وسلم وعينوا امرأهم
ونفوا اللبس فقالوا (هذا القرآن) أى الذى جاء به محمد صلى الله عليه وسلم وادعى أنه جامع
لكل خبر (على رجل من القرينتين) أى مكة والطائف (عظيم) لأنهم قالوا من نصب الرسالة
منصب شريف فلا يليق إلا برجل شريف وصدقوا في ذلك لأنهم ضعوا اليه مقدمة فاسدة
وهى أن الرجل الشريف عندهم هو الذى يكون كثير المال والجاه محمد صلى الله عليه وسلم
ليس كذلك فلا تليق رسالة الله تعالى به وانما يليق هذا المنصب برجل عظيم الجاه كثير المال
يعنون الوليد بن المغيرة بمكة وعروة بن مسعود بالطائف قال قتادة وقال مجاهد غيبة بن ربيعة
من مكة وعبد الله بن النخعي من الطائف وعن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما هو الوليد بن
المغيرة من مكة ومن الطائف حبيب بن عمرو بن عبد الله بن النخعي • (تنبيه) * قوله تعالى من القرينتين
فيه حذف مضاف قدره بعضهم من رجلي القرينتين وقيل من إحدى القرينتين وقيل المراد عروة
ابن مسعود النخعي كان بالطائف وكان يتردد بين القرينتين فنسب الى كليهما ثم ردد الله تعالى
عليهم اعراضهم منكر اعلمهم ومجالهم بما هناء أنه ليس الامر مردودا ولا موقوف اعلمهم بل
الى الله تعالى وحده والله أعلم حيث يجعل رسالته بقوله تعالى (أهم) أى هؤلاء الجحلة

العجزة (يقسمون) أى على التجدد والاستقرار (رجت ربك) أى اكرام المحسن اليك
 وانعامه وتشریفه: نواع اللطف والبر واعظامه بما ربك له من تخصيصك بالارسال اليهم
 لانقاذهم من الضلال وجعلك وأنت أفضل العالمين الرسول اليهم ففضلوا بفضيلتك مع أنك
 أشرفهم نسباً وأفضلهم حسباً وأعظمهم عقلاً وأصفاهم لباً وأرحمهم قلباً ليتصرفوا
 في تلك الرحمة التي هي روح الوجود وسر الامر لا بحسب شهواتهم وهم لا يقدرّون على
 التصرف في المتاع الزائل بخل ذلك كما قال تعالى (نحن قسمنا) بما لنا من العظمة (بينهم) أى
 في الامر الزائل الذي يعمهم ويجب تخصيص كل منهم بما لديه (معيشتهم) أى التي يعدونها
 رحمة ويقصرون عليها النعمة (في الحياة الدنيا) التي هي أدنى الاشياء عندنا وأشارنا اليها الى
 انها حياة نافضة لا يرضاها عاقل وأما الآخرة فمعبّر عنها بالحياة لان الوتر كما قسمها اليهم لتفانوا
 على ذلك فلم يبق منهم أحد فكيف يدخل في الوهم أن يجعل اليهم شيئاً من الكلام في أمر
 النبوة التي هي روح الوجود وبها سعادة الدارين (ورفعنا) أى بما لنا من نفوذ الامر
 (بعضهم) وان كان ضعيف البدن قليل العقل (فوق بعض) وان كان قويًا غزير العقل
 (درجات) في الجاه والمال ونفوذ الامر وعظم القدر لينظم حال الوجود فانه لا بد في انتظامه
 من تشارك الموجودين وتعاونهم فعاونتنا بينهم في الخلق والقوى والهمم ليقسموا الصنائع
 والمعارف ويكون كل ميسر الماخلاق له وبجانح المهادي لتعاطيه فلم يقدر أحد من دنى أو غنى
 ان يعد وقدره ويرتقي فوق منزلته ثم علل ذلك بما ثمره عمارة الارض بقوله تعالى (ليتخذ)
 أى بغاية جهده (بعضهم بعضاً خرباً) أى ليستخدم بعضهم بعضاً فيسخر الأغنياء بأموالهم
 الاجراء الفقراء بالمال فيكون بعضهم سبب المعاش وبعض هذا بما له وهذا بأعماله فيلتم
 قوام العالم لان المقادير لو تساوت لتعطلت المعاش فلم يقدر أحد منهم أن يتقلع عما جعلناه
 اليه من هذا الامر الذي فكيف يطعمون في الاعتراض في أمر النبوة أي تصور عاقل
 أن تتولى قسم الناقص وتكمل العاكى الى غيرنا قال ابن الجوزى فاذا كانت الارزاق بقدر
 الله تعالى لا يجوز الاحتمال وهي دون النبوة فكيف تكون النبوة اه وهذا هو المراد بقوله
 تعالى صارفا القول عن مظهر العظمة الى الوصف بالاحسان اظهرا الشرف النبي صلى الله
 عليه وسلم (ورجت ربك) أى المربي لك والمدير لأمرك بأرسالك وانارة الوجود برسالته التي هي
 اعظمها جدارة بان تضاف اليه ولا يسمى غيرها رجة (خير مما يحجمون) من حطام الدنيا القاني
 فانه وان تأتى فيه خير في استعجاله في وجوه البر بشرطه فهو بالنسبة الى النبوة وما قاربها مما
 دعا الى الاعراض عن الدنيا متلاش وقيل المراد بالرجة الجنة وجرى عليه البغوى وتبعه
 الجلال المحلى وابن عادل وجرى على الاول البضاوى وتبعه البقاعى وهو الظاهر من الآية
 الكريمة * (فائدة) * اتفق القراء هنا على قراءة سحر يا ضم السين ثم بين تعالى حقارة الدنيا
 وخسستها التي يفخرون بها بقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس) أى أهل التمتع بالاموال بما فيه
 من الاضطراب والانس بأنفسهم (أمة واحدة) أى في الضلال بالكفر لاعتقادهم ان اعطاهمنا

المال دليل على محبتنا لمن أعطيناه لهم الدنيا وجعلناها محط أنظارهم وهم مهم الامن عصمه
 الله تعالى (بلعلنا) أى فى كل زمان وكل مكان بما لنا من العظمة التى لا يقدر أحد على معارضتها
 لحقارة الدنيا عندنا وبفضلها (لأن يكفر) وقوله تعالى (بالرحمن) أى العام الرحمة دليل على
 حقارة الدنيا من جهة إعطائها الابد المعقوت وعلى ان صفة الرحمة مقتضية لتساهى بسط النعم
 على الكافر لولا العلة التى ذكرها الله تعالى من الفرق بالمؤمنين وقوله تعالى (ليسوهم) بدل من
 لمن بدل احتمال باعادة العامل والالامان للاختصاص (سقة فامن فضة) قال البقاعى كأنه خضعها
 أى الفضة لافادتها بالنور وقرأ أبو عمرو وورش وحفص بضم الباء الموحدة والباقون بكسرهما
 وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وسقة فابقع السبين وسكون القاف على ارادة الجنس والباقون بضمهما
 جمعاً وقوله تعالى (ومعارج) جمع معرج وهو السلم أى من فضة أيضاً ومبعت المصاعد
 من الدرج معارج لان المشى عليها مثل مشى الاعرج (عليها) خاصة لتيسر أمرها لهم
 (يظهرون) أى يملكون ويرتقون على ظهرها الى المعالى (وليسوهم أبواباً) أى من فضة أيضاً
 وقوله تعالى (وسرراً) أى من فضة جمع سرير ودل على هدوئها لهم وصفاء أوقاتهم وأحوالهم
 بقوله تعالى (عليها يتكئون) ودل على ما هو أعظم من الفضة بقوله تعالى (وزخرفاً) أى ذهباً
 وزينة كاملة عامة (تنبيه) * زخرفاً يجوز أن يكون منصوباً بمجمل أى وجعلنا لهم زخرفاً
 وجوز الزخرف أن يتصّب عطفاً على محمل من فضة كأنه قيل سقفاً من فضة وذخرف فلما
 حذف الخافض انتصب أى بعضها كذا وبعضها كذا وقيل الزخرف هو الذهب لقوله تعالى
 أو يـكون لك بيت من زخرف فيكون المعنى ويجعل لهم مع ذلك ذهباً كثيراً وقيل الزخرف
 الزينة لقوله تعالى حتى اذا أخذت الارض زخرفها وازينت فيكون المعنى نعطيهم زينة
 عظيمة فى كل باب (وان كل ذلك) أى البعيد من الخير لكونه فى الغلب مبعداً مما يرضينا
 (للمتاع الحياة الدنيا) أى التى اسمها دال على دنائها تتمتع به فيها ثم يزول وقرأ ابن عامر
 وعاصم وحمة بتشديد الميم بعد اللام بمعنى الاحكامى سببويه أنشدك بالله لما فعلت بمعنى
 الاوتكون ان نافية أى وما كل ذلك الامتاع الحياة الدنيا وقرأ الباقر بالتخفيف فتكون
 ان هى المنخفضة من التفضيل أى وانه كل ذلك للممتاع الحياة الدنيا (والآخرة) أى الجنة التى
 لا دار تعدلها بل لا دار فى الحقيقة الا هى (عند ربك) أى المحسن اليك بأن جعلك أفضل الخلق
 (للمتقين) أى الذين هم دائماً واقفون عن أدنى تصرف الابدليل لا يشاركون فيها غيرهم
 من الكفار ولهذا لما ذكر عمر رضى الله عنه كسرى وقبصر وما كانا فيه من القم قال النبى
 صلى الله عليه وسلم ألا ترى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة وقال صلى الله عليه وسلم
 لو كانت الدنيا ترز عنده الله جناح بعوضة ماسق منها الكافر قطرة ماء وروى المستورد بن
 شداد قال كنت فى الركب الذين وقفوا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على السفلة المينة
 فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم أترى هذه هانت على أهلها حتى أقوها قالوا من هو أنها
 أقوها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فالدنيا أهون على الله من هذه على أهلها أخرجه

الترمذي وقال حديث حسن وعن أبي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر وعن قتادة بن النعمان ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال اذا أحب الله عبده حماه من الدنيا كما يظل أحدكم بمحمى سقيته الماء قال البقاعي ولا يعد أن يكون ماصار اليه الفسقة والجباية من زخرفة الابنية وتذهيب السقوف وغيرها من مبادئ الفسنة بأن يكون الناس أمة واحدة في الكفر قرب الساعة حتى لا تقوم الساعة على من يقول الله أو في زمن الدجال لان من بقي اذ ذلك على الحق في غاية القلة بحيث انه لاعداد لهم في جانب الكفرة لان كلام الملوك لا يخلو عن حقيقة وان خرج فخرج الشرط فكيف بملك الملوك سبحانه (فان قيل) لم يبين تعالى انه لفتح على الكافر أبواب النعم لصار ذلك سببا لاجتماع الناس على الكفر فلم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير سببا لاجتماع الناس على الاسلام (أجيب) بأن الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الاسلام لطلب الدنيا وهذا الايمان ايمان المنافقين فاقتضت الحكمة أن لا يجعل ذلك للمسلمين حتى أن كل من دخل في الاسلام يدخل المتابعة الدليل ولطلب رضوان الله تعالى (ومن يعش) أي يعرض (عن ذكر الرحمن) أي الذي عمت رحمته فلا رجعة على أحد الا وهى منه تعالى كما فعل هؤلاء حين متعناهم وآباءهم حتى أبطروهم ذلك وهو شئ يسير جدا فأعرضوا عن الآيات والدلائل فلم ينظروا فيها الا نظر اضعف من عشا بصره وهو من ساء بصره بالليل والنهار (نقيض) أي نسب (له) عقابا على اعراضه عن ذكر الله تعالى (شيطانا) أي شيطانا رايابعدا من الرحمة يكون غالب عليه محيطا به مثل قبض البيضة وهو القشر الداخل (فهو له قرين) أي مشدود به لا يفارقه فلا يمكنه التخلص منه مادام متعنا بما عن ذكر الله تعالى فهو يزير له العي ويخيل اليه أنه على عين الهدى كما أن من يستبصر بذكر الرحمن بسخر له ملك فهو له ولي يشيره الى كل خير فذكر الله تعالى حصن حصين من الشيطان الرجيم حتى خرج العبد منه أسره العبد وكأورد في الحديث (وانهم) أي القرناء (ليصدونهم) أي العاشين (عن السبيل) أي الطريق الذي من حاد عنه هلك لانه لا طريق له في الحقيقة سواء (ويحسبون) أي العاشون مع سيرهم في المهالك لتزيين القرناء باحضار الحظوظ والشهوات وابعاد المواقف (أنهم مهتدون) أي غريقون في هذا الوصف لما يستدرجون به من التوسعة عليهم والتضييق على الذاكرين * (تنبيه) * ذكر الانسان والشيطان بلفظ الجمع لان قوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا فهو له قرين فيميد الجمع وان كان اللفظ على الواحد قال أبو حيان الظاهر أن ضمير النصب في وانهم لم يصدونهم عائدا على من من حيث معناها وأما لفظها أولا فأورد في له وله ثم راعى معناها فجمع في قوله تعالى وانهم لم يصدونهم والضمير المرفوع على الشيطان لان المراد به الجنس ولأن كل كافر معه قرينه وقرأ ابن عامر وعاصم وحزة بفتح السين والباقون بكسرها وقرأ (حتى اذا جاءنا) نافع وابن عامر وأبو بكر بعد الهمزة بعد الجيم على التنبيه أي جاء العاشي والشيطان

والباقون بغير مدافراد أى جاء العائى (قال) أى العائى تندما وتحسر الانقاع له به لقوات محله وهو دار العمل (يألبت يبي وبينك) أى أيها الذين (بعد المشرقين) أى ما بين المشرق والمغرب على التغليب قاله ابن جرير وغيره أو مشرق الشتاء والصيف أى بعد أحدهما عن الآخر ثم سبب عن هذا التنى قوله جامع له أنواع المدام (فبئس القرين) والخصوص بالذم محذوف أى أنت لأنك الذى قد أضللتنى وأوصلتني الى هذا العير الضنك والمحل الدحض قال أبو سعيد الخدرى اذا بعث الكافر زوج بقريته من الشياطين فلا يفارقه حتى يصير الى النار وفى فاعل قوله تعالى (ولن ينفعكم اليوم) قولان أحدهما انه ملفوظ به وهو أنكم وما فى حيزها والتقدير ولن ينفعكم اشترى كسكم فى العذاب بالتأسي كما ينفعكم الاشتراك فى مصائب الدنيا فيتأسي المصاب بمنله ومنه قول الخنساء

ولولا كثرة الباكين حولي * على موتاهم اقتلت نفسي

وما يكون مثل أخى ولكن * أعزى النفس عنه بالتأسي

والثانى انه مضمرة فقد ربه بعضهم ضمير التنى المدلول عليه بقوله يألبت يبي أى لن ينفعكم تنبيكم البعد وبعضهم اجتماعكم وبعضهم ظلمكم ومحمدكم وعبارة من عبر بأن الفاعل محذوف مقصوده الاضمار المذكور ولا الحذف اذا الفاعل لا يحذف الا فى مواضع ليس هذا منها والمعنى ولن ينفعكم اليوم فى الآخرة (أظلمتم) أى أضرركم فى الدنيا (أنكم فى العذاب مشركون) أى لا ينفعكم الاشتراك فى العذاب ولا يخفف الاشتراك عنكم لأن لكل واحد من الكفار والشياطين الخط الاوفر من العذاب وقال مقاتل لن ينفعكم الاعتذار والنسب اليوم فأنتم وقرنائكم اليوم مشركون فى العذاب كما كنتم تشركون فى الدنيا * (تنبيه) استشهد كل العربون هذه الآية ووجهه أن قوله تعالى اليوم ظرف حالى واذا ظرف ماضى وينفعكم مستقبل لا قترانه بلن التالى المستقبل والظاهر أنه عامل فى الظرفين وكيف يعمل الحدث المستقبل الذى لم يقع الا بعد فى ظرف حالى وماض هذا مما لا يجوز (أجيب) عن اعماله فى الطرف الحالى على سبيل قربه منه لأن الحال قريب من الاستقبال فيجوز فى ذلك قال تعالى فمن يستمع الآن يجده شهابا وصداء وقال الشاعر

سأسمى الآن اذ بلغت أباها * وهو اقنأى والا فال مستقبل يستحيل وقوعه فى الحال عقلا وأما قوله تعالى اذ فقيها للناس أوجه كثيرة قال ابن جنى راجعت أباعلى فبها صارا كثيرة فآخر ما حصلت منه ان الدنيا والآخرة متصلتان وهما سواء فى حكم الله تعالى وعلمه فاذ بدل من اليوم حتى كأنها مستقبل أو كان اليوم ماض والى هذا نحو الزمخشري قال واذا بدل من اليوم وحمل الزمخشري على معنى اذ بين وصح ظلمكم ولم يبق لاحد ولا لكم شبهة فى أنكم كنتم ظالمين وتظيره * اذا ما اتسبنا لم تلدنى لثيمة * أى تبين لى ولد كريمة ولما وصفهم فى الآية المتقدمة بالعشى وصفهم بالصمم والمعنى بقوله تعالى (أفأنت) أى وحده من غير ارادة الله تعالى (نسمع الصم) وقد أصعمناهم عاصمينا فى مسامع أفهامهم من رصاص الشقاء

(أَوْ تَهْدِي الْعَمَى) الذين أعيناهم بما غشينا به أبصار بصرهم من أغشية الخسار روى أنه صلى الله عليه وسلم كان يجتهد في دعاء قومه وهم لا يزيدون الا نصيبا على الكفر وسمدا في الفتن نزلت أي هم في النفرة عندك وعن دينك بحيث اذا أجمعهم القرآن كانوا كالصم واذا أفرقتهم المعجزات كانوا كالعمى وقوله تعالى (وَمَنْ كَانَ) أي جبلة وطباعا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) عطف على العمى باعتبار تغير الوصفين وفيه اشعار بان الموجب لذلك تمكنهم في ضلال لا يخفى بين في نفسه أنه ضلال وأنه محيط بالاضال يظهر لكل أحد ذلك فهو بحيث لا يخفى على أحد فالمعنى ليس شيء من ذلك اليك بل هو الى الله تعالى القادر على كل شيء وأما أنت فليس عليك الا البلاغ فلا تعب نفسك (فاما نذهب بك) أي من بين أظهرهم عوت أو غيره وما مزيدة مؤكدة بمنزلة لام القسم في استجواب النون المؤكدة (فاما منهم) أي من الذين تقدم التعريض بأنهم صم عى ضلال لم تنفعهم مشاعرهم (مستعمون) أي بعد فراقك لأن وجودك بين أظهرهم هو سبب تأخير العذاب عنهم (أوزيرينك) وأنت بينهم (الذي وعدناهم) أي من العذاب وعبر فيه بالوعد ليدل على الخير بلفظه وعلى الشر بأسلوبه (فانا) أي بالثامن العظمة التي أنت أعلم الخلق بها (عليهم) أي على عقابهم (مقعدون) على كلا التقديرين وأكديان لأن أفعالهم أفعال من ينكر قدرته وكذا بالاثنيان بشون العظمة وصيغة الافعال (فاستمسك) أي اطلب وأوجد بحجة عظيم على كل حال من أحوال الامساك (بالذي أوحى اليك) من حين نبوتك الى الآن في الاتقام منهم وفي غيره (انك على صراط) أي طريق واسع واضح جدا (مستقيم) أي موصل الى المنصور ولا يصح أصلا أن يلحقه شيء من عوج (وانه) أي الذي أوحى اليك في الدين والدنيا (لذكر) أي لشرف عظيم جدا وموعظة وبيان (لك ولقومك) قرين خصوصاً والنزول بلغتهم والعرب هم وما وسائر من اتبعك ولو كان من غيرهم روى الضعاف عن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وسلم كان اذا سئل لمن هذا الامر بعدك لم يخبر بشيء حتى نزلت هذه الآية فكان بعد ذلك اذا سئل لمن هذا الامر بعدك قال لقريش وروى ابن عمر قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يزال هذا الامر في قريش ما بقي منهم اثنتان وروى معاوية قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان هذا الامر في قريش لا يعاديه أحد الا كبه الله على وجهه ما قاموا الدين وقال مجاهد القوم هم العرب فالقرآن لهم شرف انزل بلغتهم ثم يختص بذلك الشرف الاخص فالأخص من العرب حتى يكون الاكثر لقريش ولبنى هاشم وقيل ذكر لك بما أعطاك من الحكمة ولقومك من المؤمنين بما هداهم الله تعالى به (وسوف تسئلون) أي عن القرآن يوم القيامة وعن قيامكم بحجته وكيف كنتم في العمل له والاستجابة له وقال الكلبي تسئلون هل أدبتم شكر انعامنا عليكم بهذا الذكر الجميل وقال مقاتل يقال لمن كذب به لم كذبت فيسئل سؤال توبيخ وقيل يسئلون هل علمتم بما دل عليه القرآن من التكليف وروى عطاء عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهم قال لما سئري بالنبي صلى الله عليه وسلم الى المسجد الأقصى الى السموات العلى بعث له آدم وولده من

المرسلين عليهم السلام فأذن جبريل عليه السلام ثم أقام وقال يا محمد تقدم فصل بهم فلما فرغ
 من الصلاة قال له جبريل عليه السلام (وَأَسْأَلُ مَنْ أَرْسَلْنَا) أى على مالئنا من العظمة (مَنْ قَبْلَكَ
 مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ) أى غيره (أَلَهَةً يَعْبُدُونَ) فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
 لا أسأل قدا كُتِبَتْ وَلَسْتُ شَاكِفَهُ وَهَذَا قَوْلُ الزُّهْرِيِّ وَسَعِيدِ بْنِ جَبْرِ وَأَبِي زَيْدٍ قَالُوا جَمَعَ
 لَهُ الرُّسُلَ لَيْلَةَ أُسْرَى بِهِ وَأَمْرَانِ يَسْأَلُهُمْ فَلَمْ يَسْأَلْ وَلَمْ يَشْكُ وَقَالَ ثُمَّ الْمَقْسَرِينَ سَلْ وَمُؤْمِنِي
أَهْلِ الْكِتَابِ الَّذِينَ أَرْسَلْتَ إِلَيْهِمُ الْإِنْبِيَاءَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هَلْ جَاءَتْهُمْ الرُّسُلُ إِلَّا بِالْتَّوْحِيدِ وَهُوَ
قَوْلُ مُجَاهِدٍ وَتَقَادُوسِ السَّدِيِّ وَلَمْ يَسْأَلِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى وَاحِدٍ مِنَ الْقَوْلَيْنِ لِأَنَّ
الْمُرَادَ مِنَ الْأَمْرِ بِالسُّؤَالِ التَّعْرِيفَ لِلْمُشْرِكِ قُرَيْشٍ أَنَّهُ لَمْ يَأْتِ رَسُولٌ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى وَلَا كِتَابٌ بِمُيَادَةِ
غَيْرِ اللَّهِ تَعَالَى * ولما طعن كفار قريش في نبوة محمد صلى الله عليه وسلم بكونه فقيرا عديم الجاه
 والمال بين الله تعالى أن موسى عليه السلام بعد أن أورد المعجزات القاهرة التي لا يشك
 في صحتها عقل أو ورد عليه فرعون هذه الشبهة التي ذكرها كفار قريش فقال تعالى (وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا) أى بما ظهر من عظمتنا (مُوسَى) أى الذى كان يرى فرعون أنه أحق الناس بعظمته
 لانه ربه وكفله (بِآيَاتِنَا) التي قهر بها عظماء الخلق وجبر برتهم فدل ذلك على صحة دعواه (إِلَى
 فِرْعَوْنَ) الذى ادعى أنه الرب الأعلى (وَمَلَأْنَاهُ) أى القبط (فَقَالَ) أى بسبب إرسالنا (إِلَى رَسُولِ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ) أى ما لك بهم ومدبرهم ومريهم فقالوا له انت بآية فأتى بها (فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا) أى
 بِآيَةِ الْيَدِ وَالْعَصَا اللَّتَيْنِ شَاهَدُوا فِيهِمَا عَظَمَتُنَا وَدَلَّاهُمْ ذَلِكَ عَلَى قُدْرَتِنَا عَلَى جَمِيعِ الْآيَاتِ
 (إِذَا هُمْ) أى بأجمعهم (مِنْهَا يَضْحَكُونَ) أى فاجأوا المجي بهم من غير توقف ولا تأمل بالضحك
 مخزيه واستهزأه قيل انه لما ألقى عصاه صارت نعنانا فلما أخذ وصار عصا كما كانت ضحكوا
 * ولما عرض عليهم اليد البيضاء ثم عادت كما كانت ضحكوا (وَمَا) أى والحال انما (يَرْيَهُمْ)
 عَلَى مَالِنَا مِنَ الْجَلَالِ وَالْعُلُوِّ وَأَغْرَقَ فِي النَّوْبِ بَاشَاتِ الْجَارِفِ قَالَ تَعَالَى (مَنْ آيَةٍ) أى من آيات
 العذاب كالطوفان وهو ما دخل بيوتهم ووصل الى حلق الجالسين - سبعة أيام والجراد وغير
 ذلك (الْأَهَى أَكْبَرُ) أى فى الرتبة (مَنْ أَخْتَهَا) أى التي تقدمت عليها بالنسبة الى علم الناظرين لها
 (وَأَخَذْنَاهُمْ) أى أخذ قهر وغلبة (بِالْعَذَابِ) أى أنواع العذاب كالدم والقمل والضفادع
 والبرد البكار الذى لم يهد منه ملته بالشار وموت الابكار فكانت آيات على صدق موسى
 عليه السلام بما لهما من الاعجاز وعذابا لهما في الدنيا موصولا بعذاب الآخرة فيا لهما من قدرة
 باهرة وحكمة ظاهرة (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) أى ليكون حالهم عندنا اذا نظرهم الجاهل بالعواقب
 حال من يرجي رجوعه (وَ) لما عاينوا العذاب (قَالُوا) لموسى أى قال فرعون بالباشرة وأتباعه
 بالموافقة له (يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ) فنادوه بذلك في تلك الحالة لشدة شكيتهم وفروط حاققتهم وأولانهم
 كانوا يسبون العالم الماهر ساحرا (ادع لنا ربك) أى المحسن اليك بما يهدى لمعك من هذه
 الافعال التي نهيتنا بها اكرامك (بِمَا) أى بسبب ما (عهد عندك) أى من كشف العذاب عنا
 ان آمننا (أَتَأْتُهُمْ دُونَ) أى مؤمنون (فَلَمَّا كَشَفْنَا) أى على مالئنا من العظمة التي تهرب الجبال

قوله بعظمته أى بعظمته

(عنهم العذاب) أى الذى أنزلناه بهم (إذا هم يشكون) أى فاجؤا الكشف بتجدد النكت
 باختلاف بعد اختلاف (ونادى فرعون) أى زيادة على نكته (فى قومه) أى الذين هم فى غاية
 القيام معه وأمر كل منهم أن يسمع قوله اشاعة تم البعد والقريب فتكون كأنهم امتدادة اعلاما
 بأنه مستمر على الكفر لئلا يظن بعضهم أنه رجع فيرجعون * ولما كان كانه قبل بم نادى أجاب
 بقوله (قال) أى خوفا من ايمان القبط لما رأى من أن ما شاهدوه من باهر الآيات مثله زلزل
 وبأخذ القلوب (يا قوم) مستعطفاهم باعلامهم أنهم لجة واحدة ومنتهضابوصفهم بأنهم ذوقوة
 على ما يحاولونه مقرر الهم على عذره فى نكته بقوله (أليس لى) أى وحدى (ملك مصر) أى
 كله فلا اعتراض على من بنى اسرائيل ولا غيرهم (وهذه) أى والحال أن هذه (الانهار) أى
 أنهار النيل قال البيضاوى ومعظمها أربعة نهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تيس
 وقال القساعى كانه كان قد أكثر من تشقيق الخيلان الى بساكنيه وقصوره ونحو ذلك
 من أموره فقال (تجدرى من تحتى) أى تحت قصرى وأمرى أو بين يدى فى جنانى وزاد
 فى التقرير بقوله (أفلا تبصرون) أى هذا الذى ذكرته لكم فتعلموا يصائر قلوبكم أنه
 لا ينبغي لأحد أن ينزعنى وهذا العمرى قول من ضعفته قواه وانحلت عراه (أم أنا خير)
 أى مع ما وصفت أنكم من خضامى ومالى من القدرة على اجراء المياه التى بها حياة كل
 شئ (من هذا) وكفى بإشارة القريب عن تحقيره ثم وصفه بما يبين مراده بقوله (الذى
 هو مهين) أى ضعيف حقير ذليل لانه يعاطى أموره بنفسه وليس له ملك ولا قوة يجرى
 بهانها ولا يتقذ بها أمرا (ولا يكاديين) أى لا يقرب من أن يعرب عن معنى من المعانى
 لما فى لسانه من الحبسة فلا هو قادر فى نفسه ولا له قوة بلسانه على تصريف المعانى
 وتوزيع البيان ليستجلب القلوب وينعش الالباب فتكثر أتباعه وينضم أمره وقد
 كذب فى جميع قوله فقد كان موسى عليه السلام أبلغ أهل زمانه قولاً وفعلًا بتقدير الله
 تعالى الذى أرسله وأمره أيامه ولكن اللعين استند هذا الى ما بقى فى لسانه من الحبسة
 تخيلا لا اتباعه لأن موسى عليه السلام ما دعا بازاله جميع حبسته بل بعقدته منها فانه قال
 واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولى * (تنبيه) * فى أم من قوله أم أنا خير أقوال أحدها
 أنهم امنقطعة فتقدروا لى التى لا ضرب الانتقال وبالهزمة التى لا انكار والثانى أنهم اجمعنى بل
 فقط كقوله

بدت مثل قرن الشمس فى رونق الضحى * وصورتها أم أنت فى العين ألمح
 أى بل أنت الثالث أنهم امنقطعة لفظا متصلة معنى قال أبو القعامة أم هنا منقطعة فى اللفظ لوقوع
 الجملة بعدها فى اللفظ وهى فى المعنى متصلة معادلة أذا المعنى أنا خير منه أم لا وأنا خير قال ابن
 عادل وهذه عبارة غريبة أن تكون منقطعة لفظا متصلة معنى وذلك أنهم ما معنيين مختلفان
 فان الانقطاع يقتضى اضرايا ما بالاولا واما انتقالا ثم ان فرعون اللعين ظن ان القرب من الملوك
 والقلبة على الامور لا تكون الا بكثرة الاغراض الدنيوية والتعليل بجلى الملوك ولذا قال (فلولا)

أى فهلا (أتى عليه) من عند مرسله الذى يدعى انه الملك بالحقيقة (أسورة) وقرأ حفص بسكون السين ولا ألف بعدها كالاحرة والباقون يفتح السين وألف بعدها فأسورة جمع سوار كسوار وأجرة وهو جمع قلة وأسورة جمع سوار بمعنى سوار يقال سوار المرأة وسوارها والاصل أساور بالياء فعوض من حرف المداء التانيث كزندق وزنادقة وبطريق وبطارقة (وقبل) بل هى جمع أسورة فهى جمع الجمع قاله الزجاج والسوار ما يوضع في المعصم من الخلية (من ذهب) ليكون ذلك أمارته على صحة دعواه كما يفعل نحن عند انعامنا على أحد من عبيدنا بالارسال الى ناحية من النواحي لمهم من المهمات اذ كان من عادتهم انهم اذا جعلوا واحدا منهم رئيسا لهم سوره بسوار من ذهب وطوقه بطوق من ذهب فطلب فرعون من موسى عليه السلام مثل عادتهم (أو جامعه) أى صبيته عند ما جاءه اليها هذا التنبؤ الجسيم والملم العظيم (الملك) أى هذا النوع وأشار الى كثرتهم بما بين من الحال بقوله (مقترنين) أى يقارن بعضهم بعضا بحيث يملئون الفضاء ويكونون في غاية القرب منه بحيث يكون مقارنهم ليجاب الى هذا الامر الذى جاء يطلبه كما يفعل نحن اذا أرسلنا رسولا الى أمر يحتاج الى دفاع وخضام ونزاع فكان حاصل أمره كما ترى انه تعزى باجراء المياه فأهلكه الله تعالى بها ايماء الى أن من تعزى بشئ دون الله تعالى أهلكه الله به واستغفر موسى عليه السلام وعابه بالنقر والى فسلطه الله تعالى عليه اشارة الى أنه ما استغفر أحد شيئا الا غلبه أفاده التشبهي (فاستخف) أى بسبب هذه الخلدع التى صهرهم بها في هذا الكلام الذى هو في الحقيقة محقر لهموهن لأمرة قاصم للملكة عند من له اب (قومه) الذين لهم قوة عظيمة فحملهم بقروءه على ما كانوا مهينين له من خفة الحلم (فأطاعوه) أى بأن أقروا بملكه واعترفوا برؤيته وردوا أمر موسى عليه السلام (انهم كانوا) أى بما فى جلالته من الشر (قوما فاسقين) أى غريقين في الخروج عن طاعة الله تعالى الى معصيته فلذلك أطاعوا ذلك القاسق (فلما آسفونا) أى أغضبونا فى الافراط فى العناد والعصيان منقول من اسف اذا اشتد غضبه حكى ابن جرير غضب فى شئ ففعل له أنغضب أبأنا خالد فقال قد غضب الذى خلق الاحلام ان الله تعالى يقول فلما آسفونا أى أغضبونا (انقمنا منهم) أى أوقعنا بهم على وجه المكافأة بما فعلوا برسولنا عليه السلام عقوبة عظيمة منكرة مكرهة كأنها بعلاج (فأعزفناهم أجمعين) أى اهلكنا نفس واحدة لم يقلت منهم أحد على كثرتهم وقوتهم وشدتهم * (تنبيهه) * ذكر لفظ الاسف فى حق الله تعالى وذكر لفظ الانتقام كل واحد منهما من التشابهات التى يجب تأويلها فعنى الغضب فى حق الله تعالى ارادة العذاب ومعنى الانتقام ارادة العقاب بجرم سابق وقال بعض المفسرين معنى آسفونا احزنونا أوليانا (لجعلناهم) أى باخذنا لهم على هذه الصورة من الاغراق وغيره مما تقدمه (سلفا) أى متقدما لكل من يهلك بعدهم اهلاك غضب فى الهلاك فى الدنيا والعذاب فى الآخرة أو قدوة لمن يريد العلو فى الارض فتكون عاقبته فى الهلاك فى الدارين أو احادها معا قبيته كما قال تعالى وجعلناهم أئمة يدعون

الى النار (ومثلاً) أى حدياً ينجيب الشأن سائر اسرار المثل (للاخرين) أى الذين خلقوا بعدهم
من زمينهم الى آخر الدهر فيكون حالهم عظة لناس واضلالاً لآخرين فمن أريد به الخير وفق لمثل
خير يريده عن غيبه ومن أريد به الشر اقتدى به في الشر وقرأ حمزة والكسائي بضم السين واللام
والباقون بفتحهما فأما الأولى فتحتمل ثلاثة أوجه أحدها أنه جمع سليف كزغيف وزغف وجمع
القاسم بن معن من العرب سليف من الناس كالفرق منهن والثاني أنه جمع سالف كصابر وصبير
والثالث انها جمع سلف كسدا وسد وأما الثانية فتحتمل وجهين أحدهما أن يكون جمع السالف
كحارس وحرس وخادم وخدم وهذا في الحقيقة اسم جمع لاجمع تكسير اذ ليس في ابناء التكسير
صيغة فعمل والثاني انه مصدر يطلق على الجماعة تقول سلف الرجل بسلف سلفاً أى تقدم
والسلف كل شئ قدمته من عمل صالح أو قرض وسلف الرجل أباه المتقدمون والجمع اسلاف
وسلاف وقال طقيس سلفوا سلفاً فصد السبيل عليهم صروف المنايا والرجال تغلب
واختلف في سبب نزول قوله تعالى (ولما ضرب ابن مريم مثلاً) فقال ابن عباس رضى الله
عنهما وأكثرا المفسرين نزات في مجادلة عبد الله بن الزبير مع النبي صلى الله عليه
وسلم في شأن عيسى عليه السلام لما نزل قوله تعالى انكم وما تعبدون من دون الله حصب
جهنم كما تقدم في سورة الانبياء والمعنى ولما ضرب عبد الله بن الزبير عيسى بن مريم
مثلاً وجادل رسول الله صلى الله عليه وسلم بعبادة النصارى اياه (اذ اقول ملك) أى من قريش
(منه) أى من هذا المثل (يصدون) أى يرفع لهم ضجيجاً فرجاً بسبب ما رأوا من سكوت النبي
صلى الله عليه وسلم فان العادة قد جرت بأن أحد الخصمين اذا انقطع أظهر الخصم الثاني
الفرح والضحج وقال قتادة يقولون ما يريد محمدنا الان نعبد الله ونحذو الهام كما عبدت
النصارى عيسى (وقالوا آللهتنا) أى التي نعبد هامن الاصنام (خير أم هو) قال قتادة يعنون
محمداً صلى الله عليه وسلم فنعبد ونطيعه وترك آللهتنا وقال السدي وابن زيد يعنون
عيسى عليه السلام قالوا انهم محمد أن كل ما نعبد من دون الله فهو في النار فنحن نرضى
أن تكون آللهتنا مع عيسى وعزير والملائكة في النار قال الله تعالى (ما ضربوه) أى
المثل (للك الاجدال) أى خصومة بالباطل لعلهم أن لفظ ما لغير العاقل فلا يتناول من ذكره
(بل هم قوم) أى أصحاب قوة على القيام فيما يحاولونه (خصمون) أى شديدو الخصام روى
الامام أحمد عن أبي أمامة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما ضل قوم بعد هدى
كانوا عليه الا وية الجدال وقرأ ابن كثير وأبو عمر وعاصم يصدون بكسر الصاد والباقون
بضمها وهما بمعنى واحد يقال صد بصد وصد كعكف بعكف وعكف بعكف وعكف بعكف وعكف بعكف
وقيل الضم من الصدود وهو الاعراض وقرأ الهكوفون آللهتنا بتحقيق الهمزتين
والباقون بتسهيل الثانية واتفقوا على ابدال الثانية ألفاً ثم انه تعالى بين أن عيسى عبد من
عبيده الذين أنعم عليهم بقوله تعالى (ان) أى ما (هو) أى عيسى عليه السلام (الاعبد)
أى وليس هو باله (أنعمنا) أى بما لنا من العظمة (عليه) أى بالنبوّة والاقدار على

قوله سلطوا السين
نرم اه

الخوارق (وجعلناه) أى بما خرقناه العادة في ميلاده وغير ذلك من آياته (مثلاً) أى أمر أعجيباً كالمثل لغرابته من أنثى فقط بلا واسطة ذكر كما خلقنا آدم من غير ذكر وأنثى وشرفناه بالنبوة (ابنى اسرائيل) الذين هم أعرف الناس ببعضهم بالمشاهدة وبعضهم بالنقل القرب المتواتر فيعرفون به قدرة الله تعالى على ما يشاء حيث خلقه من غير أب (ولونشاء) أى على ما لنا من العظمة (جعلناه) ما هو أغرب مما صنعناه من أمر عيسى (منكم) أى جعلنا مبتدأ منكم أمابالتوليد كما جعلنا عيسى عليه السلام من أنثى من غير ذكر وجعلنا آدم عليه السلام من تراب من غير أنثى ولأذكر وأما بالبدلية (ملائكة في الارض يخلفون) أى يخلفونكم في الارض والمعنى ان حال عيسى عليه السلام وان كانت عجيبة فآله تعالى قادر على ما هو أعجب من ذلك وان الملائكة مثلكم من حيث انهم اذوات ممكنة يحتمل خلقها وتوليدها كما جاز خلقها ابدعاً عن أين لهم استحقاق الألوهية والانتساب الى الله تعالى (وانه) أى عيسى عليه السلام (لعلم الساعة) أى نزوله سبب العلم بقرب الساعة التي هي تمام الخلائق كلها بالموت فنزوله من أسرار الساعة يعلم به قريباً قال صلى الله عليه وسلم يوشك أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً عادلاً يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمنه الملل كلها الا الاسلام وروى انه ينزل على نسيبة بالارض المقدسة يقال لها أئيق ويبيده حربة وعليه مخصرتان وشعر رأسه ذهين يقتل الدجال ويأتي بيت المقدس والناس في صلاة العصر وروى في صلاة الصبح فيسأخر الامام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصل خلقه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنزير ويكسر الصليب ويحرب البيع والكنايس ويقتل النصارى الامن آمن به وقال النبي صلى الله عليه وسلم كيف أنتم اذا نزل ابن مريم فيكم وامامكم منكم وقال الحسن وجاعة وأنه أى القرآن لعلم الساعة بعلمكم قيامها ويخبركم أحوالها وأحوالها (فلا تغترن بها) حذف منه نون الرفع للجزم وواو الضمير لالتقاء الساكنين من المرية وهي الشك أى لا تشككن فيها وقال ابن عباس لا تكذبوا بها (واتبعوني) أى أوجدوا تبعكم لى (هذا) أى كل ما أمرتكم به من هذا وغيره (صراط) أى طريق واضح (مستقيم) أى لا عوج له وقرأ أبو عمر وبأبواب الباء في الوصول دون الوقف والباقون بغيرياء وصلوا ووقفوا (ولا بصتكم الشيطان) أى عن هذا الطريق الواضح الواسع المستقيم الموصل الى المتصود بابا سرعى (انه لكم) أى عامة وأكدا الخبر لأن أفعال التابعين له أفعال من ينكر عداوته (عدوهم) أى واضح العداوة في نفسه مناديهما وذلك بأبلاغه في عداوة أيكم آدم عليه السلام حتى أنزل لكم بآزله عن محل الراحة الى موضع النصب عداوة ناشئة عن الحسد فهي لا تنفك أبداً (ولما جاء عيسى) أى الى بنى اسرائيل (بالبينات) أى المعجزات أى بآيات الانجيل وبالشرائع الواضحات (قال) منها لهم (قد جئكم) بما يدل لكم قطعاً على انى آية من عند الله وكلمة منه (بالحكمة) أى الامر المحكم الذى لا يستطاع نقضه ولا يدفع بالمعاندة لا خالصكم بذلك مما وقعتم فيه من الضلال (ولا بين لكم) أى يانا واضحا

(بعض الذي يختلفون) أي الآن (فيه) ولا تزالون تجددون الخلاف بسببه (فان قيل)
لم يبين لهم كل الذي يختلفون فيه (أجيب) بأنه بين لهم كل ما يكون من أمر الدين لا ما يتعلق
بأمر الدنيا فإن الأنبياء لم تبعث لبيانها ولذلك قال نينا صلى الله عليه وسلم أنتم أعلم بأمر دنياكم
ويحتمل أن يكون المراد أنه يبين لهم بعض المتشابه وهو ما يكون بيانه كافيا في رد بقية المتشابه
إلى المحكم بالقياس عليه فإن الشأن في كل كتاب أن يجمع المحكم والمتشابه فالحكم ما ليس
فيه التباس والمتشابه ما يكون ملتبسا وفيه ما يرده إلى المحكم لكن على طريق الرمز والاشارة التي
لا بدوقها الأهل البصائر ليتبين بذلك الصادق من الكاذب فالصادق الذي رشح علما وإيمانا
يرد المتشابه منه إلى المحكم أو يعجز فيقول الله أعلم بمراده ربنا لا ترغ قلوبنا بعد أذهيتنا ولا
يتزل والكاذب يتبع المتشابه فيجرب على ظاهره كأهل الاتحاد الجوامد المفتونين أو يؤوله
بحسب هواهم لا يتشبه على قواعد العلم ولا يوافق المحكم فيفتن * ولما بين لهم الأصول
والفروع قال (فأتقوا الله) أي خافوا من له الملك الأعظم من الكفر والاعراض عن دينه
لأنه كل شيء منكم ومن غيركم ومن المعلوم لكل ذي عقل أنه لا يصرف في ملك الغير بوجه من
الوجوه إلا بأذنه (وأطيعون) أي فيما أبلغه عنه إليكم من التكليف فطاعتى لأمره بما
يرضيه هو غرة التقوى وكلما زاد المتقوى في أعمال الطاعة زادت تقواه (إن الله) أي الذي اختص
بالجلال والجمال فكان أهلا لأن يتق (هو) أي وحده (ربي وربكم) أي المحسن إلى والكم
(فاعبدوه) أي بما أمركم به لأنه صدقني في أمركم باتباع ما أظهره على يدي فصاهره والآخر
لكم لأننا (هذا) أي الأمر العظيم الذي دعوتكم إليه (صراط) أي طريق واسع جدا واضح
(مستقيم) لا عوج فيه * ولما كان الطريق الواضح القويم موجبا للاجتماع عليه والوفاق عنده
سألكم بين تعالى أنهم اختلفوا فيه بقوله تعالى (فاختلف الأحزاب) أي الفرق المتخزية (من بينهم)
أي اختلافا ناشئا ابتداء من بني إسرائيل في عيسى أهواؤه وأبن الله أو ثالث ثلاثة وقوله تعالى
(قويل) كلمة عذاب (للذين ظلموا) أي وضعوا الشيء في غير موضعه بما قالوه في عيسى عليه
السلام (من عذاب يوم أليم) أي مؤلم وإذا كان اليوم مؤلما لظن بعذابه (هل ينظرون)
أي هل ينظرون كما رمكوا والذين ظلموا (إلا الساعة) أي ساعة الموت العام والبعث والقيامة
فإن ذلك لتحقيق أمره كأنه موجود ومنظور إليه وقوله تعالى (أن تأتيهم) بدل من الساعة (فان
قيل) قوله تعالى (بغتة) أي فجأة تنيد قوله تعالى (وهم لا يشعرون) أي بوقت يجمعها قبله
(أجيب) بأنه يجوز أن تأتيهم بغتة وهم يعرفونه بسبب أنهم يشاهدونه (الاخلأ) أي
الاحباء في الدنيا على المعصية وقوله تعالى (يومئذ) أي يوم القيامة من علق بقوله تعالى (بعضهم
لبعض عدو) أي يعادون في ذلك اليوم لانقطاع العلق لظهور ما كانوا يتجاملون له سببا للعذاب
(الالمتقين) أي المتحابين في الله على طاعة الله تعالى وهم الموحدون الذين يخال بعضهم بعضا
على الإيمان والتقوى فان خلتهم لا تصبر عداوة روى أبو ثور عن معمر عن قتادة عن أبي اسحق
أن عليا قال في الآية خليلان مؤمنان وخبيلان كافران فأت أحد المؤمنين فقال يا رب إن فلانا

كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملائكتك
 يارب فلا تضله بعدى واحده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني فإذا مات خليله المؤمن جمع الله بينهما
 فيقول لبيئين أحدكم على صاحبه فيقول نعم الاخ ونعم الخليل ونعم الصاحب قال ويعتبر أحد
 الكافرين فيقول يارب ان فلانا كان ينهايني عن طاعتك وطاعة رسولك ويأمرني بالشر
 وينهايني عن الخير ويخبرني أني غير ملائكتك فبئس الاخ وبئس الخليل وبئس الصاحب ثم بين
 تعالى ما يلحق به المؤمن الذي قد نواذوا فيه سبحانه تشرى قالهم وتسكين لما يقتضيه ذلك المقام من
 الاهوال بقوله تعالى (يا عباد) فأضاعهم الى نفسه اضافة تشرى لان عادة القرآن جارية
 بتخصيص لفظ العباد بالمؤمنين المطيعين المتقين وفيه أنواع كثيرة توجب المدح أو لها ان الحق
 سبحانه وتعالى خاطبهم بنفسه من غير واسطة وهذا تشرى عظيم بدليل أنه تعالى لما أراد تشرى
 نبيه محمد صلى الله عليه وسلم قال تعالى سبحانه الذي أسرى بعبده وثانيها قوله تعالى (لا خوف)
 أي بوجه من الوجوه (عليكم اليوم) أي في يوم الآخرة مما يحويه من الاهوال والامور الشداد
 والزلال وثالثها قوله تعالى (ولا أنتم تحزنون) أي لا يتجدد لكم حزن على شئ فات في وقت من
 الاوقات الاتية لانكم لا يفوتكم شئ تسرون به وفر أشعبة بفتح الباء في الوصل وسكنها نافع
 وأبو عمر وابن عامر وحذفها الباقون وقفا وصلوا وقوله تعالى (الذين آمنوا) أي أوجدوا
 هذه الحقيقة يجوز أن يكون نعتا لعبادى أو بدلائمه أو عطف بيان له أو مقطوعا منصوبا بفعل
 أي أعنى الذين آمنوا أو مرفوعا وخبره مضمر تقديره يقال لهم ادخلوا الجنة قال مقاتل اذا
 وقع الخوف يوم القيامة نادى مناد بعبادى لا خوف عليكم اليوم فاذا سمعوا النداء رفع الخلائق
 رؤسهم فيقول الذين آمنوا (يا أيها الناس) الظاهرة عظمت في نفسها أولا ونسبتها اليها ثانيا
 (وكانوا) أي دائماً هاهولهم كالجلبة والخلأ (مسلمين) أي متقادين للادامر والذواهي أتم انقياد
 فبذلك يعدلون الى حقيقة التقوى فينكسر أهل الاديان الباطلة رؤسهم فيترحساجهم على
 أحسن الوجوه ثم يقال لهم (ادخلوا الجنة) ولما كان السرور لا يكمل الا بالرفق السار
 قال تعالى (أنتم وأزواجكم) أي نساؤكم اللاتي كنن مشاكلات لكم في الصفات وأما
 قرناؤهم من الرجال فدخلوا في قوله تعالى (وكانوا مسلمين) أي تسرون وتنعمون
 والحرمة المبالغه في الاكرام على أحسن الوجوه وقوله تعالى (يطاف) قبله محذوف أي يدخلون
 يطاف (عليهم) أي المتقين الذين جعلناهم بهذا النداء ملوكا (بعضاف من ذهب) فيها من ألوان
 الاطعمة والقوا كدو الحلوى ما لا يدخل تحت الوهم والعصاف جمع صحفة بكفنة وحفان قال
 الجوهري العصفه كالقصعة والجمع صحاف قال الكسائي أعظم الصواع الحفنة ثم القصعة تلها
 تشبع العشرة ثم العصفه تشبع الخمسة ثم المسكلة تشبع الرحلين والثلاثة ثم العصفه تشبع
 الرجل والعصفه الكتاب والجمع صحف وصحائف * ولما كانت آله الشرب في الدنيا أقل من
 آية الاكل جرى على ذلك المهود فجمع القلة في قوله تعالى (وأزواجكم) جمع كواب وهو
 كوز مستدير مدور الرأس لا عروة لها إذا نابأه لاجابة أصلا الى تعليق شئ لتبريد أو صيانة

عن اذى أَوْضُوذِكَ وَقِيلَ هُوَ كَالْبَرِّقِ الْإِنَّهَ لَاعَرَوْتَهُ وَقِيلَ إِنَّهُ لَأَخْرُطُومُهُ وَقِيلَ إِنَّهُ
لَاعَرَوْتَهُ وَلَأَخْرُطُومُهُ قَالَ الْجَوَالِقُ لَيْسَ مَكْنُ الشَّارِبِ مِنْ أَيْنَ شَاءَ فَإِنَّ الْعَرَّ وَتَتَخَسَّعُ مِنْ ذَلِكَ
وَقَالَ عَدِي

متكاً تصفق أبوابه * يطوف عليه العبد بالكرور

ثم انه تعالى لما ذكر التفصيل ذكر بياناً كما يقال (وفيها) أى الجنة (ماتشهى الانفس)
من الاشياء المعقولة والمسجوعة والموسوعة جزاء لهم بما صنعوا أنفسهم من الشهوات فى الدنيا
(وتلذذ الاعين) أى من الاشياء المبصرة التى أعلاها النظر الى وجهه الكريم جزاء ما تحموا لوه من
مشاق الاشتياق روى أن رجلاً قال يا رسول الله فى الجنة خيل فأنى أحب الخيل فقال ان
يدخلك الله الجنة فلا تشاء أن تركب فرساً من ياقوته جزاء فطيريك فى أى الجنة شئت الافعلت
فقال أعربى يا رسول الله فى الجنة ابل فأنى أحب ابل فقال يا أعربى ان أدخلك الله الجنة
أصبت فيها ما شئت نفسك ولذت عينك وقرأ نافع وابن عامر وحفص بها بعد الياء ثبات
العائد على الموصول كقوله تعالى الذى يتخبطه الشيطان من المس والباقون بغيرها بعد الياء
كقوله تعالى ألهذا الذى بعث الله رسولا وهذه القراءة مشبهة بقوله تعالى وما علمته أيديهم وهذه
الهاء فى هذه السورة رسمت فى مصاحف المدينة والشام وحذفت من غيرها وقد وقع لابي عبد
الله الفاسى شارح القصيدة وهم فسبو قله فمن كتب الهاء منه محذوفة فى مصاحف المدينة
والشام مشبوبة فى غيرهما فعكس * ولما كان ذلك لا يكتمل الا بالادوام قال تعالى عائد الى
الخطاب لانه أشرف وأكد (وأنتم فيها خالدون) لبقائهم وبقاء كل ما فيها فلا كافة عليهم أصلاً
من خوف من زوال ولا خوف من فوات * ثم أشار الى نغامت ابادة البعد فقال تعالى (وتلك
الجنة) أى العالية المقام (التي أوردتموها) شبه جزاء العمل بالميراث لانه يخلفه عليه العامل وقرأ
أبو عمرو وهشام وحزوة والكسائى بأدغام التاء المثلثة فى المنانة وأظهرها الباقر (عما) أى
بسبب ما (كنتم تعملون) أى مواظبين على ذلك لاتفترون لأن العمل كان لهم كالجبهة التى
جبلوا عليها فالمنة لربهم فى الحقيقة بمازكى لهم أنفسهم * ولما ذكر سبحانه الطعام والشراب ذكر
الفاكهة فقال (لكم فيها فاكهه) أى ما يؤكل تفكيها وان كان لحما وخبزاً (كثيره) ودل
على الكثرة وعلى دوام النعمة بقصد التفكيه لكل شئ فيها بقوله تعالى (منها) أى لامن غيرها
بما يلطف فيه القوت (تأكلون) فلا تنفد أبداً ولا تتأثراً بأكلا كائن لانها على صفة الماء
النابع لا يؤخذ منها شئ الا حلت مكانه مثله فى الحال ورد فى الحديث أنه لا ينزع رجل غرة الا نبت
مكانها مثلاً * (تنبه) * لما بعث الله تعالى نبيه محمد عليه الصلاة والسلام الى العرب
وكانت فى ضيق شديد بسبب الماء كقول والمشر وب والفاكهة ذكر الله تعالى هذه المعاني مرة بعد
أخرى تكميلاً لرغباتهم وتقوية لدواعيهم ومن فى قوله تعالى منها تأكلون تبعيضاً أو ابتداءية
وقدم الجار لاجل الفاصلة ولما ذكر سبحانه الوعد أرفعه بالوعد على الترتيب المستتر فى القرآن
فقال تعالى (إنّ الجرمين) أى الرامحين فى قطع ما أمر الله به أن يوصل (فى عذاب جهنم)

أى النار التى من شأنها قضاء داخلها بالتجهيم والكراهة والعجوسة كما كان يعمل عند قطعه
 لاولياء الله تعالى (خالدون) لان اجترأهم كان طبعاً لهم لا ينفكون عنه أصلاً ما بقوا
 (لا يفتر عنهم) أى لا يقصد اضعافه بنوع من الضعف فتق التفتر نقي للتفتر ومن غير عكس قال
 البضاوى وهو من فترت عنه الحمى اذا سكنت قليلاً والتركيب للضعف (وهم فيه) أى العذاب
 (مبلسون) أى ساكون سكوت يأس من النجاة والفرج وعن الضعك يجعل المجرم فى تابوت
 من نار ثم يقفل عليه فيبقى خالد الا يرى ولا يرى (وما ظلمناهم) نوعاً من الظلم (ولكن كانوا)
 جبلة وطبعاً وعلماً وصنعاً (هم الظالمين) لانهم بارزوا المنعم عليهم بالعظام ونووا أنهم
 لا ينفكون عن ذلك ما بقوا والاعمال بالنيات * ولما كان مفهوم الابلاس السكوت بين تعالى
 انهم ليسوا ساكنين دائماً بقوله تعالى (ونادو) ثم بين أن المنادى خازن النار بقوله تعالى
 مؤكداً البعد بأداته (يامالك ليقض علينا) أى سل سؤلاً احتماً أن يقضى القضاء الذى
 لا قضاء مثله وهو الموت على كل واحد منا وجر واعلى عاداتهم فى العباوة والخلافة فقالوا (ربك)
 أى المحسن اليك فلم يروا الله تعالى عليهم احساناً واهم فى تلك الحالة ولا شك ان احسانه ما انقطع
 عن موجود أصلاً وأقل ذلك انه لا يعذب أحداً منهم فوق استحقاقه ولذلك جعل النار دركات
 كما جعل الجنة درجات فأجاب مالك عليه السلام بان (قال) مؤكداً قطعاً لا طمأعهم لأن
 كلامهم هذا هو يحجب يفهم الرجاء واعلاماً بأن رجة الله التى موضع الرجاء خاصة بغيرهم (أنكم
 ما كنون) أى دائماً أيد الاخلاص لكم موت ولا غيره وليس فى القرآن متى أجابهم هل أجابهم
 فى الحال أو بعد مدة لكن روى ابن عباس أن أهل النار يمدون مالاً خازن النار يقولون
 ليقض علينا ربك أى ليستأرك فاستريح فيجيبهم مالك بعد ألف سنة أنكم ما كنون أى مقيمون
 فى العذاب وعن عبد الله بن عمرو بن العاص يجيبهم بعد أربعين وعن غيره مائة سنة واختلقوا
 فى أن قولهم يامالك ليقض علينا ربك على أى وجه طلبوه فقال بعضهم على التنى وقال آخرون
 على وجه الاستغانة والافهم عالمون بأنه لا خلاص لهم من ذلك العذاب ثم انه تعالى ذكر ما هو
 كالعلة لذلك الجواب بقوله تعالى (لقد حزنناكم) أى فى هذه السورة خصوصاً وفى جميع القرآن
 عموماً (بالحق) على لسان الرسل وقرأ نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم باظهار الدال عند
 الجيم والباقون بالادغام (ولكن أكثرتم للحق كارهون) لما فيه من المنع من الشهوات فلذلك
 أنتم تقولون انه ليس بحق لاجل كراهتكم فقط لا لاجل ان فى حقيقته نوعاً من الخفاء (فان قيل)
 كيف قال ونادوا يامالك بعد ان وصفهم بالابلاس (أجيب) بأنهم أزمانه متطاولة وأحقاب ممتدة
 فتختلف بهم الاحوال فيسكنون أوقاتاً الغلبة اليأس عليهم ويستغيثون أوقاتاً الشدة ما بهم روى
 أنه يلقى على أهل النار الجوع حتى يعدل ما هم فيه من العذاب فيقولون ادعوا مالاً كفافيدعون
 يامالك ليقض علينا ربك ولما ذكر تعالى كيفية عذابهم فى الآخرة ذكر بعده كيفية مكربهم وفساد
 باطنهم فى الدنيا فقال تعالى (أم أبرئوا) أى أحكم كفار مكة (أمرا) أى فى المكرب رسول
 الله صلى الله عليه وسلم وفى رد أمرنا ومعاداة أولياءنا مع علمهم بأنما مطلعون عليهم (فانما مبرمون)

أى محكمون أمرافى مجازاتهم أى مبرمون كبدنا كما أبرموا كبدهم كقوله تعالى أم يريدون كيدافا الذين كفروا هم المكمدون قال مقاتل نزلت في تدبيرهم المكبر في دار الندوة * (تنبه) * أم منقطعة والابرام الاتقان وأصله في القتل يقال أبرم الجبل أى أتقن فتله وهو القتل الثانى والاؤل يقال له سجيل قال زهير

لعمري لنعم السيدان وجدتما * على كل حال من سجيل ومبرم

(أم يحسبون أنا) أى على ما لنا من العظمة المقتضية لجميع صفات الكمال (لا نسع سرهم) أى كلامهم الخفى ولو كان في الضمائر فيما بغضنا والسر ما حدث به الشخص نفسه أو غيره في مكان خال ولما كان ربما وقع في الاوهام أن المراد بالسمع انما هو العلم لان السر ما يخفى وهو يعلم ما في الضمائر وهى مما يعلم حقيق أن المراد به حقيقة بقوله تعالى (ونحواهم) أى تناسجهم في كلامهم المرتفع فيما بينهم حتى كأنه على نجوة أى مكان عال فعلم أن المراد حقيقة السمع وأنه تعالى يسمع كل ما يمكن أن يسمع (بلى) نسمع الصنفين كلهم ما على حد سواء (ورسلنا) وهم الحفظة من الملائكة على الجميع السلام على ما لهم من العظمة بنسبتهم المبدأ (لديهم) أى عندهم وقرأ حزة بضم الهاء والباقيون بكسرها (يكتبون) أى يجتدون الكتابة كل ما تجد دما يتضها لان الكتابة أوقع في التهديد لان من علم أن أعماله محصاة مكتوبة يجتنب ما يجاف عاقبته وعن يحيى بن معاذ الرازى من ستر عن الناس ذنوبه وأبداها للذى لا يخفى عليه شئ في السموات فقد جعله أهون الناظرين اليه وهومن علامات النفاق ولما تقدم أول السورة نكبتهم والتعجب منهم في ادعائهم لله ولدا من الملائكة وهددهم بقوله تعالى ستكتب شهادتهم ويسئلون أمر الله تعالى نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول لهم (قل) أى لهؤلاء العبداء البغضاء (ان كان للرجن) أى العام الرحمة (ولد) أى على زعمكم والمراد به الجنس لادعائهم في الملائكة وغيرهم (فأنا) أى في الرتبة وقرأ نافع هذا الف بعد النون والباقيون بغير مد (أول العابدين) للرجن العبادة التى هى العبادة ولا يستحق غيرها أن يسمى عبادة وهى الخاصة أى فأنا لا أعبد غيره لا ولدا ولا غيره ولم يشألى الرجن أن أعبد الولد ولا غيره أو يكون المعنى أنا أول العابدين للرجن على وجه الاخلاص لم أشرك به شئ أصلا في وقت من الاوقات بما سمعتموه ولدا أو شرىكا أو غيره ما أولوا شاء ما عبدته على وجه الاخلاص ولا شك عندكم وعند غيركم ان من أخلص لاحد كان أولى من غيره برجته فلو أن الاخلاص له ممنوع ما شاءه لى ولولا أن عبادة غيره ممنوعة لشاءه لى ولو أن له ولد الشاء لى عبادة فان عموم رجته لكافة خلقه لكونهم خلقه وخصوصها لى لكونى عبده خالصا يمنع على زعمكم من أن يشقى وأنا أخلص له فبطلت شبهتكم بمثال بأقوى منها وهذا مما علق بشئ هو بقبضه أولى وقال الرمنشرى ان كان للرجن ولد وصح ذلك ونبت ببرهان صحيح تورددت وجهه وأصحته تدلون بها فأنا أول من يعظم ذلك الولد وأسبقكم الى طاعته والانقياد له كما يعظم الرجل ولد الملك لتعظيم أبيه وهذا كلام وارد على سبيل القرض والتنبيل لغرض وهو المبالغة في نفي الولد والاطناب فيه وأن لا يترك

الساطق به شبهة الامم مضمحلة مع الترجمة عن نفسه بثبات القدم في باب التوحيد وذلك أنه علق
العبادة بكنيونة الولد وهي محال في نفسها فكان المعلق بها محالاً مثلها فهو في صورة اثبات
الكنيونة والعبادة وفي معنى نفيها على أبلغ الوجوه وأقواها ثم قال وقد عمل الناس بما أخرجوه
من هذا الاسلوب الشريف الملى بالنكت والفوائد المستقل بالثبات التوحيد على أبلغ وجوهه
فقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأننا أول العابدين الموحدين لله المكذبين قولكم بإضافة الولد
اليه وقيل ان كان للرحمن ولد في زعمكم فأننا أول الآتقين من أن يكون له ولد من عبدي بعد اذا
اشتمدأنفه فهو عبد وعباده وقال ابن عباس ان ان نافية أي ما كان له ولد فاني أول من عبده رتبة
وما علمت له ولدا ولو كان له ولده لكان عبده نقر باليه بعبادة ولده وروى أن النضر بن عبد الدار
ابن قصى قال ان الملائكة بنات الله تعالى فتركت فقال النضر ألا ترون انه قد صدقني فقال
له الوليد بن المغيرة ما صدقك ولكن قال ما كان للرحمن ولدا فأننا أول العابدين الموحدين من
أهل مكة لأن ولده ثم أنه تعالى نزه نفسه فقال (سبحان رب) أي مبدع ومالك (السموات
والارض) أي اللتين كل ما فيهما ومن فيهما مقهور مرئوب محتاج لا يصح أن يكون له منه
سبحانه نسبة بغير العبودية بالإيجاد والتربية * ولما كانت خاصة الملك أن يكون له ما لا يصل اليه
غيره بوجه أصلا قال محققا للملك لجميع ما سواه ومن سواه ومملكه له ولم بعد العطف لأن العرش
من السموات (رب العرش) أي المختص به لكونه خاصة الملك الذي وسع كرسيه السموات
والارض (عما يصفون) أي يقولون من الكذب من أن له ولدا أو شريكا وذلك ان الله العالم
يجب أن يكون واجب الوجود لذاته وكل ما كان كذلك فهو لا يقبل التجزى بوجه من الوجوه
والولد عبارة عن أن يتصل عن الشيء جزء فيتولد عن ذلك الجزء شخص مثله وهذا انما يعقل
فحين تكون ذاته قابله للتجزى والتبعيض واذا كان ذلك محالاً في حق الله العالم امتنع اثبات الولد
* ولما ذكر تعالى هذا البرهان القاطع قال تعالى مسبعا عن ذلك (فذرهم) أي اتركهم
على أسوأ أحوالهم (يتخوضوا) أي يفعلوا في باطلهم فعل الخائض في الماء (ويلعبوا) أي
يفعلوا فعل اللالعب في دنياه (حتى يلاقوا) أي يفعلوا بصيرتهم أعمالهم في فعل ما لا ينفعهم
فعل المجتهدين في أن يلاقوا (يومهم الذي يوعدون) أي بوعد لا خلف فيه وهو يوم القيامة فيظهر
فيه وعيهم والمقصود منه التهديد لانه تعالى ذكر الحجة القاطعة على فساد ما ذكروا فلم يلتفتوا
اليه الا لاجل استغراقهم في طلب المال والجاه والرياسة فتركهم في ذلك الباطل واللعب حتى
يصلوا الى ذلك اليوم الموعود به ثم زاد في التنبيه فقال تعالى (وهو الذي في السماء) أي
معبود الناس ليكن له (وفي الارض) تتوجه الرغبات اليه في جميع الاحوال وتخلص اليه
في جميع أوقات الاضطرار فقد وقع الاجماع من جميع من في السماء والارض على الهيئته
فثبت استحقاؤه لهذه الرتبة وثبت اختصاصه باستحقاقها في الشدائد فبأي الاوقات كذلك من
غير فرق لانه لا مشارك له في هذا الاستحقاق فعبادة غيره باطلة وقرأه آلون والبرى بتسميها مع
المد والقصير وقرأ أبو عمر وباسقاط الهمزة الاولى مع المد والقصير وقرأ ورش وقبيل بتسهيل

الثانية وابدالها أيضاً لقما وقرأ الباقون بتحقيقهما* (تنبيه)* كل من الطرفين متعلق بمابعده
لأن الـه بمعنى معبود أى معبود فى السماء ومعبود فى الارض وحينئذ يقال الصلة لا تكون الاجلة
أوما فى تقديرها وهو الظرف وعديله ولاشئ منها هنا أجب بأن المبتدأ حذف لدلالة المعنى
عليه وذلك المحذوف هو العائد تقديره وهو الذى هو فى السماء اله وهو فى الارض اله وانما حذف
لطول الصلة بالمعمول فان الجار متعلق باله ومثله ما أبابا الذى قائل لك سواء (وهو الحكيم) أى
البليغ الحكمة فى تدبير خلقه (العاليم) أى البالغ فى علمه بمصالحهم (وتبارك) أى وثبت ثباتا
لا يشبهه ثبات لانه لازوال له مع البين والبركة وكل كمال فلا شبهة له حتى يدعى أنه ولده أو شريك
ثم وصفه تعالى بـ إيمايين تبارك كنيته واختصاصه بالالهوية فقال عز من قائل (الذى له ملك
السموات) أى كلها (والارض) كذلك (وما بينهما) أى وما بين كل اثنين منهما والدليل على
هذا الاجماع القائم على توحيده عند الاضطراب (وعنده) أى وحده (علم الساعة) أى
العلم بالساعة التى تقوم القيامة فيها (واليه) أى وحده لا الى غيره (ترجعون) بأيسر أمر
تحقيقاً للملكة وقطعا للترافع وحادتيه وقرأ ابن كثير وحزة والكسائى بالياء التحتية على
الغيبة والباقون بالفوقية على الالتفات للتديد (ولا يملك) أى بوجه من الوجوه فى وقت ما
(الذين يدعون) أى يعبدون أى الكفار (من دونه) أى الله تعالى (الشفاعة) كما زعموا أنهم
شفعاؤهم عند الله وقوله تعالى (الامن شهد بالحق) أى قال لا اله الا الله فيه قولان أحدهما أنه
متصل ان أريد بالوصول كل ما عبد من دون الله والمعنى لا يقدر هؤلاء أن يشفعوا لاحد
الامن شهد بالحق (وهم يعلمون) أى بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم وهم عيسى ومريم وعزير
والملائكة فانهم يملكون ان يشفعوا للمؤمنين بتقليد الله تعالى اياهم لها والثانى هو منقطع
ان خص بالاصنام (ولئن سألتهم) أى الكفار مع ادعائهم الشريك (من خلقهم) أى العابدون
والمعبدون معا (ليقولن الله) أى الذى له جميع صفات الكمال لتعذر المكابرة من فرط
ظهوره (فأنى) أى فكيف وأى جهة بعد أن أئتموا بالخلق والامر (يؤفكون) أى
يصرفون عن اتباع رسولنا الأمر لهم بتوجيهنا فى العبادة كما أننا وحدنا فى الخلق وقرأ
(وقيله) أى قول محمد صلى الله عليه وسلم عاصم وجزء يخفص اللام والهاء على معنى وعنده
علم الساعة وعلم قبله والباقون نصب اللام ورفع الهاء على المصدر بفعله المقدر أى وقال
(يارب ان هؤلاء قوم) أى أقوياء على الباطل ولم يضمنهم الى نفسه بأن يقول قولى ونحو ذلك
من العبارات ولا سماهم باسم قبيلتهم لما شانه من حالهم (لا يؤمنون) أى لا يجتهد منهم هذا
الفعل أصلا (فاصفح) أى اعف عفون من أعرض عنهم صفحا فلا تلفت اليهم بغير التبليغ
(وقل) أى لهم (سلام) أى شأى الآن متارككنكم بسلامتكم منى وسلامتى منكم قال ابن
عباس وهذا منسوخ بآية السيف وقال الرازى وعندى التزام النسخ فى مثل هذه المواضع
مشكل لأن الامر لا يقصد بالفعل الامرة واحدة فسقطت دلالة اللفظ فأى حاجة الى التزام
النسخ وأيضا فاللفظ المطلق قد يتقيد بحسب العرف فاذا كان كذلك فلا حاجة الى التزام النسخ

اه وجرى على النسخ الجلال المحلى فقال وهذا قبل أن يؤمر بقتالهم وقوله تعالى (فسوف يعلمون) فيه تهديد لهم وتسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وقرأ نافع وابن عامر بناء الخطاب التثنية والباقون بياء الغيبة نظر المتأقدم وما قاله البضاوى تبعاً للزمخشري من أن النبي صلى الله عليه وسلم قال من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة يا عبأدى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون حديث موضوع

❖ (سورة الرعدان مكية) ❖

وقيل الاقوله تعالى انا كاشفوا العذاب قليلا الآية وهي ست أو سبع أو تسع وخمسون آية وثلاثمائة وست وأربعون كلمة وألف وأربع مائة واحد وثلاثون حرفا

(بسم الله) الملك الجبار الواحد القهار (الرحمن) الذى عمّ بنعمته سمائر مخلوقاته (الرحيم) بأهل وداده وقوله تعالى (حم) قرأه ابن ذكوان وشعبة وجزء والكسائي بأماله الحاء محضة وقرأه ورش وأبو عمرو وبالأماله بين بين والباقون بالفتح وتقدمت الإشارة الى شئ من أسرار أخواتها وقوله تعالى (والكتاب المبين) فيه احتمالان الاول أن يكون التقدير هذه حم والكتاب المبين كتوك هـ هذا زيد والله الثانى أن يكون التقدير حم والكتاب المبين (أما أنزلناه) فيه كون فى ذلك تقدير قسمين على شئ واحد ويجوز أن يكون أنا أنزلناه جواب القسم وأن يكون اعتراضا والجواب قوله تعالى انا كاشفون واختاره ابن عطية وقيل انا كاشفون وفى ما يفرق يجوز أن يكون مستأنفا وأن يكون صفة ليله وما بينهما اعتراض * (تنبيه) * يجوز أن يكون المراد بالكتاب هنا الكتب المتقدمة المنزلة على الانبياء عليهم السلام كما قال تعالى لقد أرسلنا رسلكنا بالبينات وأزلنا معهم الكتاب ويجوز أن يكون المراد به اللوح المحفوظ قال الله تعالى يحصى الله ما يشاء ويربته وعنده أم الكتاب وقال تعالى وإنه فى أم الكتاب ليدينا على حكمه ويجوز أن يكون المراد به القرآن واقتصر على ذلك البضاوى وتبعه الجلال المحلى وعلى هذا فقد أقسم بالقرآن أنه أنزل القرآن فى ليله مباركة وهذا النوع من الكلام يدل على غاية تعظيم القرآن فقد يقول الرجل إذا أراد تعظيم الرجل له اليه حاجة أنشفع بك اليك وأقسم بحقك عليك وجاء فى الحديث أعوذ برضاك من سخطك وبعفوك من عقوبتك وبك منك لأحصى ثناء عليك والمبين هو المشتغل على بيان ما بالناس من حاجة اليه فى دينهم ودنياهم فوصفه بكونه مبينا وإن كانت حقيقة الالبانة لله تعالى لأن الالبانة حصلت به كقوله تعالى أم أنزلنا عليهم سلطانا فهو يتكلم بما كانوا يشركون فوصفه بالتكلم إذ كان غاية فى الالبانة فكانه ذو لسان ينطق بمبالغة فى وصفه واختلف فى قوله سبحانه وتعالى (فى ليله مباركة) فقال قتادة وابن زيدوا كذا المفسرون هى ليلة القدر وقال عكرمة وطائفة انه ليلة البراءة وهى ليلة النصف من شعبان واحتج الاولون بوجوه الاول قوله تعالى انا أنزلناه فى ليله القدر فقوله تعالى انا أنزلناه فى ليلة مباركة يجب أن تكون هى تلك الليلة

المسماة بليلة القدر لثلايلزم التناقض ثانياً لقوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن
فقوله تعالى ههنا أنا أنزلناه في ليلة مباركة يجب أن تكون هذه الليلة المباركة في رمضان
ثبتت انما ليلة القدر ثالثاً لقوله تعالى في صفة ليلة القدر تنزل الملائكة والروح فيها بإذن ربهم
من كل أمر وقال تعالى ههنا فيها يفرق كل أمر حكيم وقال ههنا رحمة من ربك وقال تعالى
في ليلة القدر سلام هي وإذا تقاربت الاوصاف وجب القول بأن إحدى الليلتين هي الأخرى
رابعها نقل محمد بن جرير الطبري في تفسيره عن قتادة انه قال نزلت صحف إبراهيم في أول ليلة من
رمضان والتوراة نزلت ليل منهن والزبور نزلت في عشرة ليال مضت منه والقرآن لاربعة
وعشرين مضت من رمضان والليلة المباركة هي ليلة القدر خامسها ان ليلة القدر انما سميت
بهذا الاسم لأن قدرها وشرعها عند الله عظيم ومعلوم أن قدرها وشرعها ليس بسبب نفس
الزمان لأن الزمان شيء واحد في الذات والصفات فيمنع كون بعضه أشرف من بعض لذاته فثبت
أن شرفه وقدره بسبب أنه حصل فيه أمور وشرعية لها قدر عظيم ومن المعلوم أن منصب الدين
أعظم من مناصب الدنيا وأعظم الأشياء وأشرعها شعبا في الدين هو القرآن لأنه ثبت به نبوة محمد
صلى الله عليه وسلم وبه ظهر الفرق بين الحق والباطل كما قال تعالى في صفته ومهمنا علمه وبه
ظهرت درجات أرباب السعادات ودرجات أرباب الشقاوات فعلى هذا لا شيء الا والقرآن أعظم
قدراً وأعلى ذكراً وأعظم منصباً وحيث أطبقوا على أن ليلة القدر هي التي وقعت في رمضان
علمنا أن القرآن انما أنزل في تلك الليلة وهذه أدلة ظاهرة واضحة واحتج الآخرون على أنها ليلة
النصف من شعبان بوجوه أولها أن لها أربعة أسماء الليلة المباركة وليلة البراءة وليلة الصلح
وليلة الرحمة وقيل بينها وبين ليلة القدر أربعون ليلة وقيل في تسميتها ليلة البراءة والصلح أن
البند اراد أن استوفى الخراج من أهله كتب لهم البراءة وكذلك الله تعالى يكتب لعباده المؤمنين
البراءة في هذه الليلة ثانياً انما احتصة بخمس خصال الأولى قال تعالى فيها يفرق كل أمر حكيم
والثانية فضيلة العبادة فيها روى الزنجشيري أنه صلى الله عليه وسلم قال من صلى في هذه الليلة
مائة ركعة أرسل الله تعالى اليه مائة ملك ثلاثون يشررونه بالجنة وثلاثون يؤتمنون من عذاب
النار وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا وعشرة يدفعون عنه مكاييد الشيطان ثالثها نزول
الرحمة قال صلى الله عليه وسلم إن الله يرحم أمتي في هذه الليلة بعدد شعر أغنام بني كلب رابعها
حصول المغفرة فيها قال صلى الله عليه وسلم إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة الا الكاهن
والساحر ومدمن الخمر وعاق والده والمصر على الزنا خامسها أنه تعالى أعطى رسول الله
صلى الله عليه وسلم في هذه الليلة تمام الشفاعة في أمته قال الزنجشيري وذلك أنه سأل ليلة
الثالث عشر من شعبان في أمته فأعطى الثلث منها ثم سأل ليلة الرابع عشر فأعطى الثلثين ثم سأل
ليلة الخامس عشر فأعطى الجميع الا من شرد عن الله شروداً البعير اهـ وروى أن عطية
الحروزي سأل ابن عباس عن قوله تعالى أنا أنزلناه في ليلة القدر كلف يصح ذلك مع أن الله تعالى
أنزل القرآن في جميع الشهور فقال ابن عباس يا ابن الأسود لو هلك أنا ووقع في نفسك هذا ولم

تخرجوا به لهلك نزل القرآن جملة واحدة من اللوح المحفوظ الى البيت المعمور في السماء
الدينام نزل بعد ذلك في أنواع الوقائع حالا خلا وقال قتادة وابن زيد أنزل الله تعالى القرآن
في ليلة القدر من أم الكتاب الى السماء الدينام نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله
عليه وسلم فجوما في عشرين سنة وقوله تعالى (أنا) أي على ما لنا من العظمة (كنا) أي
دائما العبادنا (منذرين) أي مخوفين استئناف بين به المقتضى للانزال وكذلك قوله تعالى
(فيها) أي الليلة المباركة سواء قلنا انها ليلة القدر أو ليلة النصف (ينورق) أي ينشرويين
وبفصل ويوضح مرة بعد مرة (كل أمر حكيم) أي محكم الامر لا يستطاع أن يطعن فيه
بوجه من جميع ما يوحى به من الكتب وغيرها والارزاق والآجال والنصر والهزيمة
والخصب والقطع وغيرها من جميع أقسام الحوادث وجزئياتها في أوقاتها وأما كنهها وبين
ذلك للملائكة من تلك الليلة الى مثلها من العام المقبل فيجدونه سواء فيزدادون بذلك إيمانا
قال ابن عباس يكتب في أم الكتاب في ليلة القدر ما هو كائن في السنة من الخير والشر
والارزاق والآجال حتى الحجاج يقال يحج فلان ويحج فلان وقال الحسن ومجاهد
وقتادة يبرم في ليلة القدر في شهر رمضان كل عمل وأجل وخلق ورزق وما يكون في تلك
السنة وقال عكرمة ليلة النصف من شعبان يبرم فيها أمر السنة وتفتح الاحياء من الاموات
فلا يزالون فيهم ولا ينقص منهم أحد قال صلى الله عليه وسلم تنقطع الآجال من شعبان الى شعبان
حتى أن الرجل ليسكح النساء ويولده وقد خرج اسمه في ديوان الموتى وعن ابن عباس ان الله
تعالى يقضي الاقضية في ليلة النصف من شعبان ويسلمها الى أربابها في ليلة القدر وروى أن
الله تعالى أنزل القرآن من اللوح المحفوظ في ليلة البراءة ووقع الفراغ في ليلة القدر فدفن نسخة
الارزاق الى ميكايل ونسخة الحروب الى جبريل وكذلك الزلازل والصواعق والخسوف
ونسخة الاعمال قال ابن عادل الى اسرافيل وقال الزمخشري الى اسمعيل صاحب سماء
الدينام وهو ملك عظيم ونسخة المصائب الى ملك الموت قال الزمخشري وعن بعضهم يعطى كل
عامل بركات أعماله فيلقى على السنة الخلق مدحه وعلى قلوبهم هيبته وقوله تعالى (أمرأ)
أي فراقا لمن فاعل أنزلناه أو من مفعوله أي أنزلناه أمرين أو مأمورا به كأننا (من عندنا)
على مقتضى حكمتنا وقوله تعالى (أنا كنا) أي أنزلنا وأبدا (مرسلين) جواب ثالث
أو مستأنف أو بدل من قوله تعالى أنا كما منذرين أي لنا صفة الارسال بالقدرة عليها في كل حين
والارسال لمصالح العباد لا بد فيه من الفرقان بالبشارة والندارة وغيرها حتى لا يكون لبس فلا
يكون لاحد على الله تعالى حجة قال البقاعي وهذا الكلام المستظم والقول الملتئم بعضه ببعض
المتراص أجل رصف في وصف ليلة الانزال دال على انه لم ينزل صحيفة ولا كتابا الا في هذه الليلة
فيعدل على أنها ليلة القدر للاحاديث الواردة في أن الكتب كما نزلت فيها وكذلك قوله تعالى
في سورة القدر تنزل الملائكة والروح فيها باذن ربهم من كل أمر فان الوحي الذي هو مجمع ذلك
هو روح الامر الحكيم ثم بين تعالى حال الرسالات بقوله تعالى (رحمة) وعدل لاجل

ما اقتضاه التعبير بالرحمة عما كان من أسلوب التكلم بالعظمة من قوله منا الى قوله تعالى
 (من ربك) أى المحسن اليك بالسالك وارسال كل نبى مضى من قبلك فان رسالاتهم كانت اب
 الاوارق في العبادات وفيهم الشرائع في البلاد حتى استنارت القلوب واطمأنت النفوس
 بما صارت تعهد من شرع الشرائع وبوطقة الاديان قد سهلت طرق الرب لتعميم رسالاتك
 حتى ملأت أنوارك الافاق فصكفت نتيجة كل من قد تمك من الرفاق وقال ابن عباس
 معنى رحمة من ربك أى رافة منى بخلقى ونعمة عليهم بما بعثنا اليهم من الرسل وقال الزجاج
 أنزلناه في ليلة مباركة للرحمة (انه هو) أى وحده (السميع العليم) أى ان تلك الرحمة كانت
 رحمة في الحقيقة لان المحتاجين ما أن يذكر واحاجاتهم بالسنتهم أولم يذكروها فان ذكرها
 فانه سميع وان لم يذكرها فهو تعالى عالم بها (رب) أى مالك ومنشئ ومدبر (السموات)
 أى جميع الاجرام العالمة (والارض وما بينهما) مما تشاهدون من هذا القضاء وما قبله
 من الهواء وغيره مما تعملون من اسكباب العباد وغيرها مما لا تعملون ومن المعلوم انه ذو
 العرش والكرسى فعلم به هذا انه مالك الملك كله وقرأعاسم وحزة والكسائي بخفض الباء
 الموحدة على البدل أو البيان أو التعت والباقون برفعها على اضمار مبتدا أو على انه مبتدأ
 خبره لا اله الا هو والمقصود من هذه الآية ان المنزل اذا كان موصوفاً بهذه الجلالة والكبرياء
 كان المنزل الذى هو القرآن فى غاية الشرف والرفعة (فان قيل) ما معنى الشرط الذى هو قوله
 تعالى (ان كنتم موقنين) (أجيب) بأنهم كانوا يقررون بأن للسموات والارض رباً وخالقاً تفصيل
 لهم ان كنتم يا أهل مكة موقنين بأنه تعالى رب السموات والارض فأيقنوا بأن محمد عبده
 ورسوله * ولما ثبت هذا النظر الصافي ربوبيته وبعدم اختلال التدبير على طول الزمان
 وحدانيته أتيج ذلك قوله تعالى (لا اله الا هو) أى والالنازع في أمرهما منازع أو أمكن أن
 ينازع فيكون محمداً لا محالة والادفع عنه من يمكن نزاعه وخلافه اياه فلا يكون صالحاً للتدبير
 والفهر لكل من يخالف رسوله والانجاء لكل من يوافقهم على عمر الزمان وتطاول الدهر ومز
 الحدثنان على نظام مستمر وحال ثابت مستقر ولما ثبت انه لا مدبر للوجود غيره ثبت قوله تعالى
 (يحيى ويميت) لان ذلك من أجل ما فيهما من التدبير وهو تنبيه على تمام دلائل التوحيد
 لانه لا شئ يمتن فيهما يبقى ليسند التدبير اليه ويحال شئ من الامر عليه فهم ما جللتان
 الاولى نافية لما يتوهم من الشركة والثانية مثبتة لما تنفوه من البعث (ربكم) أى الذى أفاض
 عليكم ما تشاهدونه من النعم فى الارواح وغيرها (ورب آبائكم الاولين) أى الذى أفاض
 عليهم ما أفاض عليكم ثم سلهم ذلك كما تعلمون فلم يقدر أحد منهم على عمانعة ولا طمع فى منازعة
 بنوع مدافعة (بل هم) أى بضمايرهم (فى شك) أى من البعث (يلعبون) أى يفعلون
 دائماً فعل التاركة لما هو فيه من أخذ الحد الذى لا مربة فيه الى اللعب الذى لا فائدة فيه ولا غرة له
 بوجه استهزاء بك يا أشرف الرسل فقال صلى الله عليه وسلم اللهم أعنى عليهم بسبع كسبع يوسف
 قال تعالى (فارتقب) أى انتظر بكل جهلك عالياً عليهم ناظر الاحوالهم نظراً من هو حارس

لها (يوم تأتي السماء بدخان مبين) أي ظاهر (يعتشى الناس) أي المهتدين بهذا فقالوا عند آياته
 (هذا عذاب أليم) أي يخلص وجهه إلى القلب فيبلغ في ألمه كما كنتم تؤمنون من يدعوكم إلى الله
 تعالى واختلف في هذا الدخان فروى أبو الصفاء عن مسروق قال يبنجارجل يحدث في كندة
 قال يحيى دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام
 ففرغنا فأتينا ابن مسعود وكان متكئا فغضب فجلس فقال من علم فليقل به ومن لم يعلم فليقل الله أعلم
 فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم لأعلم لم فإن الله تعالى قال لنبيه صلى الله عليه وسلم قل ما أسألكم
 عليه من أجر وما أنا من المتكلمين فإن قريشا بطوا عن الإسلام فدعاهم النبي صلى الله عليه
 وسلم فقال اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف فأخذتهم سنة حتى هلكوا فيها وأكلوا الميتة
 والعظام ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان فجاء أبو سفيان فقال يا محمد جئت
 تأمر بصله الرحم وإن قولك قد هلكوا فادع الله تعالى لهم فقرا فأرتقب يوم تأتي السماء بدخان
 مبين إلى قوله تعالى عائدون وهذا قول ابن عباس ومقاتل ومجاهد واختار القراء والزجاج
 وهو قول ابن مسعود وكان ينكر أن يكون الدخان هذا الذي أصابهم من شدة الجوع كالظلمة في
 أبصارهم حتى كانوا كأنهم يرون دخانا وذكر ابن قتيبة في تفسير الدخان في هذه الحالة وجهين
 الأول أن في سنة القطع يعظم بئس الأرض فيسبب انقطاع المطر ينزع الغبار الكثير ويظلم
 الهواء وذلك يشبه الدخان ويقولون كان بيننا امرأ رافع له دخان ولهذا يقال للسنة الجديدة
 الغبراء الثاني أن العرب يسمون الشيء الغالب بالدخان والسبب فيه أن الإنسان إذا اشتد خوفه
 أو ضعفه أظلمت عيناه ويرى الدنيا كالمملوءة من الدخان ونقل عن علي بن أبي طالب أنه دخان
 يظهر في العالم وهو إحدى علامات القيامة وروى أيضا عن ابن عباس في المشهور عنه لما روى
 عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أول الآيات الدخان ونزل عيسى بن مريم ونازلت جبرائيل
 فعدن تسوق الناس إلى المحشر تبث معهم إذا بانوا وتقبل معهم إذا قالوا قال حذيفة يا رسول
 الله وما الدخان قتلا رسول الله صلى الله عليه وسلم الآية وقال علا ما بين المشرق والمغرب يكثر
 أربعين يوما وليس له أما المؤمن فيصيبه كالزكاة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منزله
 وأذنيه ودبره وتكون الأرض كلها كيت أوقد فيه النار وقال صلى الله عليه وسلم يا كروا
 بالاعمال ستا وذكر منها طلوع الشمس من مغربها والدخان والدابة ورواه الحسن واحتج الأولون
 بأنه تعالى حكى عنهم أنهم يقولون (ربنا اكشف عنا العذاب) ثم عللوا ذلك بما علوا أنه
 الموجب للكشف فقالوا مؤكدين (أنا مؤمنون) أي غريقون في وصف الإيمان فإذا حصل
 على القطع الذي وقع عكة الله مقام فانه نقل أن الأمر لما اشتد على أهل مكة مشى إليه أبو سفيان
 فناداه الله والرحم وواعده أن دعاهم وأزال عنهم تلك البلية أن يؤمنوا به فلما أزالها الله عنهم
 رجعوا إلى شركهم أما إذا حصل على أن المراد منه ظهور علامة من علامات القيامة لم يصح ذلك
 لأن عند ظهور علامات القيامة لا يمكنهم أن يقولوا ربنا اكشف عنا العذاب أنا مؤمنون
 ولم يصح أيضا أن يقال أنا كشفوا العذاب قليلا أنكم عائدون قال الباقر وبصح أن يراد به

طلوع الشمس من مغربها روى الشيخان عن أبي هريرة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال لا تقوم
 الساعة حتى تطلع الشمس من مغربها فاذا طلعت وراها الناس آمنوا أجمعون وذلك حين
 لا ينفع نفساً إيمانها ثم قرأ الآية (إني) أي كيف ومن أين (لهم الذكري) أي هذا التذكار العظيم
 الذي وصفوا به أنفسهم وقرأ حزمة والكسائي أني بالامالة محضة وقرأ أبو عمرو بالامالة بين
 بين وورش بالفتح وبين اللفظين والباقون بالفتح وأمال الذكري محضة أبو عمرو وحزمة والكسائي
 وأمال ورش بين بين والباقون بالفتح وكذلك الكبرى (وقد) أي والحال أنه قد (جاءهم)
 ما هو أعظم من ذلك وأدخل في وجوب الطاعة (رسول مبین) أي ظاهر غاية الظهور وروى موضع
 غاية الايضاح وهو محمد صلى الله عليه وسلم وأظهر دال قد نافع وابن كثير وابن ذكوان وعاصم
 وأدغمها الباقر (ثم تولوا عنه) أي أطاعوا ما دعاهم الى الادبار عنه من دواعي الهوى ونوازع
 الشهوات والخطوط (وقالوا) أي زيادة على اساءتهم بالتولي (معلم) أي علمه غيره القرآن
 من البشر قال بعضهم علمه غلام أعجمي لبعض ثقيف وقال آخرون انه (مجنون) أي يلقي
 الجن اليه هذه الكلمات حال ما عرض له الغشي (انا) أي على ملأنا من العظمة (كاشفو
 العذاب) أي بدعاء النبي صلى الله عليه وسلم فانه دعا ورفع عنهم القحط (قليل) أي فمنا يسير اقبل
 الى يوم يدرو قيل ما بيني من أعمارهم (أنكم عائدون) أي ثابت عودكم عقب كشفنا عنكم الى
 الكفران لما في جيلانكم من العوج وطبائعكم من المبادرة الى الزلل فاما انكم هذا الذي أخبرتم
 برسوخه عرض زائل وخيال باطل وقوله تعالى (يوم تبطش) أي بمالئنا من العظمة (البطشة
 الكبرى) أي يوم يدبر منصوب ذكر أو بدل من يوم تأتي والبطش الاخذ بقوة (انما منقمون)
 أي منهم في ذلك اليوم وهو قول ابن عباس وأكثر العلماء وفي رواية عن ابن عباس انه يوم القيامة
 (ولقد قننا) أي أخبرنا بمالئنا من العظمة فعل القائن وهو المختار الذي يريد أن يعلم حقيقة
 الحال بالابلا والتمكين ثم الارسال (قبلهم) أي هؤلاء العرب ليكون ما مضى من خبرهم
 عبرة لهم (قوم فرعون) أي سبع فرعون لأن ما كان فتنة لقومه كان فتنة له لأن الكبير
 أرسخ في الفتنة بما أحاط به من الديناوس بما أتى التصريح به في آخر القصة (وجاءهم) أي فرعون
 وقومه زيادة في فتنتهم (رسول كريم) هو موسى عليه السلام قال الكلبي كريم على ربه يعني أنه تعالى
 أعطاه أنواعاً كثيرة من الاكرام وقال مقاتل حسن الخلق وقال القراء يقال فلان كريم قومه قيل
 ما بعث نبي الا من أشرف قومه وأكرمهم ثم فسر ما بلغهم من الرسالة بقوله (ان أدوا الى)
 ما أدعوك اليه من الايمان أي أظهر واطاعةكم بالايمان لي يا (عباد الله) أو أطلقوا بني اسرائيل
 ولا تعذبوهم وأرسلوهم معي كقوله فأرسل معناني اسرائيل ولا تعذبهم (إني لكم) أي خاصة
 بسبب ذلك (رسول) أي من عند الله الذي لا تكون الرسالة الكماله الا منه (أمين) أي بالغ
 الامانة لأن الملك الديان لا يرسل الا من كان كذلك وقوله عليه السلام (وأن لا تعولوا) معطوف
 على أن الاولى وأن هذه مقطوعة في الرسم والمعنى لا تكبروا (على الله) تعالى باهانة وحيه ورسوله
 (إني اتيكم بسلطان) أي برهان (مبين) أي بين على رسالتي فتوعدوه حين قال لهم ذلك بالرحم فقال

(وإني عذت) أي اعتصمت وامتنعت (بربي) الذي يباني على ما اقتضاه لطفه واحسانه الى
 (وربكم) الذي أعادني من تكبركم وقوة مكنتكم (أن ترجون) أي أن يتجدد في وقت من
 الاوقات قتل منكم لي فاني قلت اني أخاف أن يقتلون فقال تعالى سنشد عضدك بأخيك وبجعل
 لك سلطاناً فاصلاً يصالون اليك بآياتنا فمن أعظم آياتي أن لا تصلوا مع قوتكم وكثرتكم الى
 قتلي مع أنه لا قوة لي بغير الله الذي أرسلني وقال ابن عباس أن ترجون بالقول وهو الستم
 وتقولوا هو ساحر وقرأ أبو عمرو وحزرة والكسائي عذت بادغام الذال في التاء والباقون
 بالاظهار وقرأ ورش بآيات الباء بعد النون في ترجون في الوصل دون الوقف والباقون بغير
 ياء وقفاً ووصلاً وكذلك فاعتزلون الآتي * ولما كان التقدير فإن آمنتم بذلك وسلمتني أفلمنم
 عطف عليه قوله تعالى (وان لم تؤمنوا لي) أي تصدقوا لاجل ما أخبرتكم به (فاعتزلون)
 أي كونوا ببعزل مني لاعلي ولالي فلا تترضوا لي بسوء فانه ليس جراً دعائكم الى ما فيه
 فلاحكم والفاء في قوله تعالى (قدعا) تدل على أنه متصل بمجدوف قبله وتأويله أنهم كفروا ولم
 يرضوا فدعا موسى عليه السلام (ربه) الذي أحسن اليه سياسته وسياسة قومه ثم فسر
 مادعا به بقوله (ان هؤلاء) أي الحقيرين الاذلين (قوم) لهم قوة على القيام
 فيما يحاولونه (مجرمون) أي موصوفون بالعراقة في قطع ما أمرت به أن يوصل (فان قيل)
 الكفر أعظم حال من الجرم فما السبب في أنه جعل الكفار مجرمين حين أراد المبالغة في ذمتهم
 (أجيب) بأن الكافر قد يكون عدلاً في دينه وقد يكون فاسقاً في دينه والفاسق في دينه أخس
 الناس ثم سبب عن دعائه لانه من يستجاب دعاءه قوله تعالى (فأسرعبادي) أي بني
 اسرائيل الذين أرسلناك لاسعادهم باستنقاذهم من يظلمهم وتضريرهم لعبادتي وقوله تعالى
 (ليلال) نصب على الظرفية والاسراء سر الليل فذكر الليل تأكيدياً لغير اللفظ واعماله بالسر
 بالليل لانه أوقع بالقبض موت الابكار للافأمر موسى أن يخرج بقومه في ذلك الوقت خوفاً من
 أن يموتوا مع القبض * ولما علم الله تعالى أنهم ان تأخروا الى أن يطلع الفجر ويرتفع عنهم الموت
 منعوهم الخروج وان تأخروا الى آخر الليل أدركوهم قبل الوصول الى البحر فقتلهم علل هذا
 الامر بقوله مؤكداً لانه لان حال القبض عندما أمرهم بالخروج كان حال من لا يتأمله
 الخروج في قوله (انكم متبعون) أي مطلوبون بغاية الجهد من عدوكم فلا يفرنكم ما هم فيه عند
 أمرهم بالخروج من الجرع من اقامتكم بين أظهرهم وسؤالهم لكم في الخروج عنهم بسبب
 وقوع الموت الناجي فيهم فان القلوب بيد الله تعالى فهو منسي قلب فرعون بعد رؤيته هذه
 الآيات حين يرتفع عنهم الموت ويفرغون من دفن موتاهم فيطعنكم لمادبرته في القدم من
 سياستكم باغراقهم أجعين ليظهر مجددي بذلك وأدفع عنكم روع مدافعهم فاني أعلم أنه لا قوة لكم
 ولا طاقة بكم فلم اكلفكم بمباشرة شيء من أمرهم وقرأ نافع وابن كثير فاسر بوصول الهمز بعد
 الفاء والباقون بقطعها قال الزمخشري وفيه وجهان اضممار القول بعد الفاء أي فقال اسر
 بعبادي وجواب شرط مقدراً كانه قال ان كان الامر كما تقول فاسر بعبادي قال أبو حيان وكثيراً

ما يدعى حذف الشرط ولا يجوز الالفاظ وان كان يتقدمه الامر أو ما أشبهه يقال سرى وأسرى لغتان * ولما أمره بالاسراء أمره بما يفعل فسه فقال تعالى (واترك البحر) أى اذا أمرت بهم وتبع العدو ووصلت بعد اليه وأمرناك بضره لينفتح لتدخلوا فيه فدخلتم ونجيتهم (رهوا) بعد خروجكم منه بأجمعكم وفي رهو وجهان أحدهما أنه الساكن أى اتركه كما كنا قال الاعشى يمشين رهوا فلا العبازى ناذلة * ولا الصدور على العبازى ناذلة

أى مشيا كما على هيئة فارا على حاله بحيث يبقى المرتفع من مائه مرتفعا والمنخفض منخفضا كالجدار وطرقة الذى سرت به يابسا اذا سير سهل على الحالة التى دخلتم فيها لان موسى لما جاوز البحر أراد أن يضره ببعضه فينطبق كما ضربه فانطلق فأمر أن يتركه كما على هيئة فارا على حاله ليدخله القبط فاذا حصلوا فيه أطبقه الله تعالى عليهم والثاني أن رهو الفجوة الواسعة وعن بعض العرب انه رأى جلا فالحا فقال سبحان الله رهو بين سنامين أى اتركه مفتوحا على حاله منفرجا (انهم جند مغرقون) أى متمكنون فى هذا الوصف وان كان لهم وصف القوة والتجمع الذى محطه النجدة الموجبة للعرق فى الامور * ولما أخبر تعالى عن غرقهم أخبر عن مختلفهم بقوله تعالى (كم تركوا) أى كثير اترك الذين سبق الحكم باغراقهم فغرقوا (من جنات) أى بساتين هى فى غاية ما يكون من طيب الارض وكثرة الاشجار وزكاة التمار والنبات وحسنها الذى يستتر الهموم ودل على كرم الارض بقوله تعالى (وعيون وزروع) أى ما هودون الاشجار وقرأ ابن كثير وابن ذكوان وشعثة وحزة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها ثم أخبر عن منازلهم بقوله تعالى (ومقام كريم) أى مجلس شريف هو أهل لان يقوم الانسان فيه لانه فى النهاية فيما يرضيه (ونعمة) وهى اسم لتسليم معنى الترفه والعيش اللين الرغد (كانوا فيها) أى دائما (فأكهن) أى فعلهم فى عيشهم فعل المتفك المترفه لافعل من يضطر الى اقامته نفسه وقوله تعالى (كذلك) خبر ليدامض رأى الامر كما أخبرنا به من تنعيمهم واخراجهم واغراقهم وانهم تركوا جميع ما كانوا فيه لم يرغب عنهم شئ منه فلا يقرأ حد بما ابتليناهم من النعم لثلاث نضع به من الاهلاك ما صنعنا بهم وقوله تعالى (وأورثناها) أى تلك الامور العظيمة عطف على تركوا (قوما) أى ناس اذوى قوة فى القيام على ما يحاولونه وحقق انهم غيرهم تحقيقا لاغراقهم بقوله تعالى (اخرى) ليسوا منهم فى شئ وهم بنو اسرائيل وقيل غيرهم لانهم لم يعودوا الى مصر بل سكنوا الارض المقدسة ولما سكن القوم الآخرون مصر ورثوا كنوزها وأموالها وورثوها ومقامها الكريم وقوله تعالى (فما كنت عليهم السما والارض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم لهوانهم واذا لم يترك المساكين فما ظنك بالساكين الذى هو فيها تقول العرب اذا مات رجل خباير فى تعظيم مهلكه بكت عليه السماء والارض وبكته الريح وأظلمت له الشمس قال القرزق

فالشمس طالعة ليست بكاسفة * نسكى عليك نجوم الليل والقمير

وقالت الخارجية

أيام شجر الخابور مالك مورقا * كأنك لم تجزع على ابن طريف

وقال جرير

لما أتى خبر الزبير فواضعت * سور المدينة والجبال الخشع

وذلك على سبيل التخييل والتشبيه في وجوب الجزع والبكاء عليه قال الزمخشري وكذلك ما روى عن ابن عباس من بكاء مصلى المؤمن وأثارة في الأرض ومساعدته ومهابط رزقه في السماء تمثيل ونبي ذلك عنهم في قوله تعالى فما بكت عليهم السماء والأرض تهكم بهم وبجأهم المتنافية لحال من يعظم فقدته فيقال فيه بكت عليه السماء والأرض اه وروى أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال ما من مسلم إلا وفي السماء بابان باب يخرج منه رزقه وباب يدخل منه عمله فإذا مات وفقد أبكيا عليه وتلاه هذه الآية وقال على رضى الله عنه إن المؤمن إذا مات بكى عليه مصلا من الأرض ومصدعا عمله من السماء وعن الحسن فما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون بل كانوا به لا كههم مسرورين يعني فما بكى عليهم أهل السماء وأهل الأرض وقال عطاء بكاء السماء جرة أطرافها وقال السدي لما قتل الحسين بن علي رضى الله عنهما بكى عليه السماء وبكائها جرتها وقرأ أبو عمر وعليهم في الوصل بكسر الهاء والياء وحزرة والكسائي بضمهما والباقون بكسر الهاء وضم الميم وأما الوقف في مرة بضم الهاء والباقون بالكسر (وما كانوا منظرين) أي لما جاء وقت هلاكهم لم يحلوا إلى وقت آخر لتوبة وتدارك قصير * ولما كان انقضاء بني إسرائيل من القبط أمر أباهم الأيكاد يصدق فضلا عن أن يكون باهلا * أعدائهم أكد سبحانه الأخبار بذلك إشارة إلى ما يحق له من العظمة تنبيهها على أنه قادر أن يفعل به هذا النبي صلى الله عليه وسلم وأتباعه كذلك وإن كانت قريش يرون ذلك محالا وأنهم في قبضتهم فقال تعالى (وَأَقْبَحِينَا) أي بما لنا من العظمة تنجيبة عظيمة (بني إسرائيل) عبدنا المخلص لنا (من العذاب المهين) أي من استعباد فرعون وقتله أبناءهم وقوله تعالى (من فرعون) بدل من العذاب على حذف المضاف وأوجه له عذابا لا فراطه في التعذيب وأحوال من المهين أي وأقامه من جهته (أنه كان عاليا) أي في جبلته العراقة في العلو (من المسرفين) أي العربيتين في مجاوزة الحدود (ولقد اخترناهم) أي بني إسرائيل بما لنا من العظمة (على علم) أي عالين بأنهم أحق بأن يختاروا ويجوز أن يكون المعنى مع علم منا بأنهم يزغون ويفرط منهم الضربات في بعض الأحوال * ثم بين المفضل عليه بعد أن بين المفضل بقوله تعالى (على العالمين) أي الموجودين في زمانهم بما أنزنا عليهم من الكتب وأرسلنا إليهم من الرسل وقيل على الناس جميعا لكثرة الأنبياء منهم وقيل عام دخله التخصيص ثم بين آثار الاختيار بقوله تعالى (وَاتَيْنَاهُمْ) أي على ما لنا من العظمة (من الآيات) أي العلامات الدالة على عظمتنا واختيارنا لهم من حين أتى موسى عبدنا عليه السلام فرعون إلى أن فارقهم بالوفاة وبعد وفاته على أيدي الأنبياء المقربين للشرعة عليهم السلام (ما فيه بلاء) أي اختبار مثله عجل من نظره أو سمعه إلى غير ما كان عليه وذلك بفرق البحر وتطليل الغمام وإنزال المن

والسوى وغير ذلك مما رأوه من الآيات التسع (مبين) أى بين في نفسه موضع لغيره (ان هو لاه)
 اشارة الى كفار قريش لان الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على انهم مثلهم
 في الاصرار على الضلالة والاندرا على مثل ما حل بهم (ليقولون) أى بعد قيام الحجبة البالغة
 عليهم مباليغين في الانكار (ان) أى ما (هى) وقولهم (الاموتنا) على حذف مضاف أى
 ما الحياة الاحياء موتنا (الاولى) التى كانت قبل نفع الروح كحسية أى ان شاء الله تعالى في
 الجائفة ان هى الاحياء الدنيا وقال الجلال المحلى ان هى ما الموتة التى بعدها الحياة الاموتنا
 الاولى أى وهم نطف وقر أحزقوا الكسانى بالامالة محضة وأبو عمرو بين وبين ورش بالفتح وبين
 اللفظين والباقون بالفتح (وما نحن بنشرين) أى ببعوثين بحيث نصير ذوى حركة اختيارية
 ننشر بها بعد الموت يقال نشره وأشره أحياه ثم احتجوا على نفي الحشر والنشر بقولهم (قلوا)
 أى أيها الزاعون أنابعت بعد الموت (بأبائنا) أى لكوننا نعرفهم ونعرف وفور عقولهم
 (ان كنتم صادقين) أى ثابنا صدقكم في أنابعت يوم انقضاء أحياء بعد الموت ثم خوفهم الله
 تعالى بمثل عذاب الامم الخالية فقال تعالى (أهم خير) أى في الدين والدنيا (أم قوم تبع)
 أى ليسوا خيرا منهم فهو واسطه فهم على سبيل الانكار قال أبو عبيدة ملوك اليمن كل واحد منهم
 يسمى تبعا لان أهل الدنيا كانوا يتبعونه وموضع تبع في الجاهلية وموضع الخليفة في الاسلام وهم
 الاعاظم في ملوك الحرب وقال قتادة هو تبع المجيرى وكان من ملوك اليمن سمي بذلك لكثرة أتباعه
 وكان هذا يعبد النار فأسلم ودعا قومه وهم جبر الى الاسلام فكذبوه ولذلك ذم الله تعالى قومه
 ولم يذمه وعن النبي صلى الله عليه وسلم لاتبوا تبعافانه كان قد أسلم وعنه صلى الله عليه وسلم
 ما أدري أكان تبع نبيا أو غير نبى وعن عائشة رضى الله عنها قالت لاتبوا تبعافانه كان رجلا
 صالحا وذكر عكرمة عن ابن عباس انه كان تبع الآخر وهو أبو كرب أسعد بن مليك وكان سار
 بالجيش نحو المشرق وجبر الحبر وبى قصرهم فقد وملك بقومه الارض طولها والعرض وكان
 أقرب المملكين الى قريش زمانا ومكانا وكان له بمكة المشرفة ما ليس لغيره من الآثار قال الرازى
 فى اللوامع هو أول من كسا البيت ونحج بالشعب ستة آلاف بدنة وأقام به ستة أيام وطاف به
 وحلق قال البغوى بعد أن ذكر قصته مع الانصار لما قتل ابنه غيلة فى المدينة الشريفة وما وعظبه
 اليهود فى الكف عن خراب المدينة لانهم مهاجروا من قريش انه صدقهم واتبع دينهم وذلك
 قبل نسخه وعن الرباشى آمن تبع بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ان يعتب بجمعائه عام (فان قيل)
 ما معنى قوله تعالى أهم خيرا ثم قوم تبع مع انه لا خير فى القرينين (أجيب) بأن معناه أهم خيرا فى القوة
 والشوكة كقوله تعالى أ كفاركم خيرا من أولئك بعد ذكر آل فرعون وبجوز قوله تعالى (والدين
 من قبلهم) أى مشاهير الامم كدين وأصحاب الايكة والرس وغود عاد ثلاثة أوجه أحدها أن
 يكون معطوف على قوم تبع ثانيا أن يكون مبتدأ وخبره (أهلكاهم) أى بعظمتنا وان كانوا
 أصحاب مكنة وقوة وأما على الاول فأهلكاهم امام ستائف واما حال من الضمير المستكن
 فى الصلة ثالثا أن يكون منصوبا بفعل متدرى يفسره أهلكاهم ولا محل لاهلكاهم حينئذ انهم

كانوا أي جيلة وطبعا (مجرمين) أي غريقين في الاجرام فليحذروا لئلا ارتكبوا مثل
 أفعالهم من مثل حالهم * ولما أنكرتعالى على كفار مكة قولهم ورضنهم بأنهم أضعف من كان
 قبلهم ذكر الدليل القاطع على صحة القول بالبعث والقيامة فقال تعالى (وما خلقنا السموات)
 أي على عظمها واتساع كل واحدة منها واحدة وإنما المافقتها وجعلها لأن العمل كلما زاد كان
 أبعد عن العتب * ولما كان الدليل على تطابق الأرض دليلا دقيقا وحدها بقوله تعالى
 (والأرض) أي على ما فيها من المنافع (وما بينهما) أي النورع وبين كل واحدة منها - ما
 وما يليها (لا عين) أي على ما لنا من العظمة التي يدرك من له أدنى عقل تعالىها عن اللعب
 لأنه لا يفعله إلا ناقص ولو تركنا الناس في بعضهم على بعض كما نشاهدون ثم لا تأخذ
 لضعفهم بحقه من قوتهم لكان خلقنا لهم لعبا بل اللعب أخف منه ولم تكن على ذلك
 التقدير مستحقين للصفه القدسية وقد تقدم تقرير هذا الدليل في أول سورة يونس وفي آخر
 سورة المؤمنين عند قوله تعالى أخسبتم أمأ خلقناكم عبثا وفي ص عند قوله تعالى وما خلقنا
 السماء والأرض وما بينهما باطلا (ما خلقناهما) أي السموات والأرض مع ما بينهما وقوله تعالى
 (الابالحق) حال أمان من الفاعل وهو الظاهر وأمان المفعول أي الاحمقين في ذلك يستدل به على
 وحدانيتنا وقدرتنا وغير ذلك أو متلبسين بالحق (ولكن أكثرهم) أي هؤلاء الذين أنت بين
 أظهرهم وهم يقولون ان هي الاموتنا الاولى وكذا من تخافوهم (لا يعلمون) أي انا خلقنا
 الخلق بسبب اقامة الحق عليهم فهم لاجل ذلك يجترون على المعاصي ويفسدون في الأرض
 لا يرجون نوابا ولا يخافون عقابا ولونذكروا ما ذكرناه في جيلاتهم لمعلموا على ما ظاهر الله الحق
 الذي لا معدل عنه كما يتولى حكمهم المناصب لاجل اظهار الحكم بين رعاياهم وبشروطون
 الحكم بالحق ويؤكدون على أنفسهم انهم لا ينبغي وزونه * ولما ذكر الدليل على اثبات البعث
 والقيامة ذكر عقبه يوم الفصل فقال تعالى (ان يوم الفصل) أي يوم القيامة يفصل الله
 تعالى فيه بين العباد قال الحسن سمي بذلك لأن الله تعالى يفصل فيه بين أهل الجنة والنار وقيل
 يفصل فيه بين المؤمن وما يكرهه وبين الكافر وما يريده (مبقاتهم) أي وقت مواعدهم
 الذي ضرب لهم في الازل وأنزلت فيه الكتب على السنة الرسل (أجمعين) لا يتخلف عنه
 أحد من مات من الجن والانس والملائكة وجميع الحيوانات وقوله تعالى (يوم لا ينفعني) أي
 بوجه من الوجوه بدل من يوم الفصل أو منصوب باضمار أعني أوصفة لمبقاتهم ولا يجوز أن
 يتصب بالفصل نفسه لما يلزم من الفصل بينهما بأجنبي وهو مبقاتهم (مولي) أي من قرابة
 أو غيرها (عن مولى) بقرابة أو غيرها أي لا يدفع عنه (شيأ) من الاشياء كثر أو قل (ولاهم)
 أي القسمان (ينصرون) أي ليس لهم ناصر يناصرهم من عذاب الله تعالى * (تبسه) *
 المولى لما في الدين أو في النسب أو العلق وكل هؤلاء لا يسمون بالمولى فلما لم تحصل النصرة منهم
 فأن لا تحصل عن سواهم أولى ونظير هذه الآية قوله تعالى واتقوا يوما لا تجزي نفس عن نفس
 شيأ إلى قوله تعالى ولا هم ينصرون وقال الواحدى المراد بقوله تعالى مولى عن مولى الكفار

لأنه ذكر بعده المؤمن فقال تعالى (الامن رحم الله) أى أراد اكرامه الملك الاعظم وهم
المؤمنون يشفع بعضهم لبعض باذن الله تعالى فى الشفاعة لاحدهم فيكرم الشافع فيه
وقال ابن عباس يريد المؤمن فانه يشفع له الانبياء والملائكة * (تيسره) * يجوز فى الامن
رحم الله أوجه أحد هاو هو قول الكسائى انه منقطع ثانياً انه متصل تقديره لا يغنى
قريب عن قريب الا المؤمنين فانهم يؤذن لهم فى الشفاعة فيشفعون فى بعضهم كما مر ثالثها
أن يكون مرفوعاً على البدلية من مولى الاقل ويكون يغنى عن شى ينفع فله الحوفى وابعها أنه
مرفوع المحل أيضاً على البدل من واينصرون أى لا يمنع من العذاب الامن رحم الله (انه)
أى وحده (هو العزيز) أى المنيع الذى لا يقدح فى عزته عفو ولا عقاب بل ذلك دليل على
عزته فانه يفعل ما يشاء فبين بشاء من غير مبالاة بأحد (الرحيم) أى الذى لا يمنع عزته
أن يكرم من شاء * ولما وصف تعالى اليوم ذكر بعده وعيد الكفار فقال سبحانه (ان شجرة
الزقوم) هى من أخشب الشجر المزيهامة ينبتها الله تعالى فى الجحيم وقد مر الكلام عليها
فى الصفات وروى بالتاء الجر ورة فوقف عليها بالهاء أبو عمرو وابن كثير والكسائى
ووقف الباقر بالتاء على الرسم (طعام الانيم) أى المبالغ فى اكتساب الاثم حتى صارت به
الى الكفر قال أكثر المفسرين هو أبو جهل (كالمهل) أى وهو ماء مهل فى النار حتى يذوب
من ذهب أوفضة وكل ما فى معناهما من المنطبعات سواء كان من صفراً وحديداً ورصاص وقيل
هو عكر القطران وقيل عكر الزيت وقرأ (يقلى فى البطون) أى من شدة الحر ان كثر
وحفص بالياء التحتية على ان الفاعل ضمير يعود على طعام وجوز أبو البقاء أن يعود على الزقوم
وقيل يعود على المهل نفسه والباقر بالتاء القوية على أن الفاعل ضمير الشجر (كغلى) أى
مثل غلى (الحميم) أى الماء الذى تنهى حره عما وقد تحته وعن ابن عباس أن النبي صلى الله
عليه وسلم قال لو أن قطرة من الزقوم قطرت فى الدنيا لافسدت على أهل الدنيا ما عايشهم فكيف
بمن تكون طعامه ويقال للزبانية (خذوه) أى هذا الانيم أخذ قهراً فلا تدعوه بملك من أمره
شياً (فاعتلوه) أى جروه بقهر بغلظة وعنف وسرعة الى العذاب والاهانة بحيث يكون كأنه
محمول وقرأ نافع وابن كثير وابن عامر بضم التاء والباقر بكسر هاو هو ما لقن فى مضارع
عتل قال البقاعى وقراءة الضم أدل على تنهى الغلظة والشدّة من قراءة الكسر (الى سواء)
أى وسط (الجحيم) أى النار التى هى غاية فى الاضطرام والتوق وهو موضع خروج الشجرة التى
هى طعامه (ثم صواب فوق رأسه) أى ليكون المصوب محيطاً بجميع جسده (من عذاب الجحيم)
أى من الجحيم الذى لا يفارقه العذاب فهو أبلغ مما فى آية به من فوق رؤسهم الجحيم ويقال له
توبخا وتقرىعا (ذق) أى العذاب (انك) وأكذب قوله (أت) أى وحده دون هؤلاء
الذين يخبرون بحقارتك (العزيز الكريم) برزك وقولك ما بين جبلها أعز وأكرم منى وقرأ
الكسائى بفتح الهمزة بعد القاف على معنى العلة أى لانه وقيل تقديره ذق عذاب الجحيم انك
أنت العزيز والباقر بالكسر على الاستئناف المفضل للعلمه فتمتد القراءتان معنى وهذا

الكلام الذي على سبيل التكم أغبط للمستهزاة ومثله قول جرير لشاعر سمي نفسه زهرة العين
ألم يكن في رسوم قدر سميت بها * من كان موعظة بازهره العين
وكان هذا الشاعر قد قال

أبلغ كليباً وأبلغ عنك شاعراً * أنى الأعز وأنى زهرة العين

ويقال لهم (أن هذا) أى الذى ترون من العذاب (ما كنت به) أى جيلة وطبعها (تترون)
أى تعالجون أنفسكم وتحملونها على الشك فيه وتردونها عما لها من الفطرة الأولى من التصديق
بالممكن لاسيما من جرب صدقه وظهرت خوارق العادات على يده بحيث كنتم لشدة دكمه
كأنكم تحضونه بالشك * ولما ذكر سبحانه وتعالى وعيد الكفار أردفها بآيات الوعد فقال
(إن الملقين) أى العريقين فى هذا الوصف (فى مقام) أى موضع إقامة لا يريد الحال فيه
تحوّل عنه (أمين) أى يأمن صاحبه فيه من كل ما لا يعجبه وقرأ نفع وابن عامر يفتح الميم أى
فى مجلس أمين والباقون يضمها على المصدر أى فى إقامة وقوله تعالى (فى جنات) أى بساتين
تقصر العقول عن ادراك كل وصفها بدل من قوله تعالى فى مقام أمين أو خبر ثان وقرأ
(وعيون) ابن كثير وابن ذكوان وشعبة وحزرة والكسائى بكسر العين والباقون بضمها * ولما
كان لا يتم العيش إلا بكسوة البدن أشاء إلى ذلك بقوله تعالى (يلبسون) ودل على الكثرة
جداً بقوله تعالى (من سندس) وهو مارق من الحرير يعمل وجوهاً (واستبرق) هو ما غلظ
منه يعمل بطائن وسمى بذلك لشدة بريقه وقوله تعالى (مقابلين) أى فى مجلسهم ليستأنس
بعضهم ببعض حال وقوله يلبسون حال من الضمير المستكن فى الجار أو خبر ثان فيستعلق الجار به
أوستأنف (فان قيل) الجالوس على هذه الهيئة موحش لأن كل واحد منهم يصير مطالعاً على
ما يفعل الآخر وأيضاً قليل الثواب إذا اطلع على كثيره ينقص عليه (أجيب) بأن أحوال
الآخر ليست كأحوال الدنيا وقد قال تعالى وزعنا ما فى صدورهم من غل وقوله تعالى
(لذلك) يجوز فيه وجهان أحدهما النصب نعمنا لمصر أى نفعل بالمتقين فعلاً كذلك أى مثل
ذلك الفعل ثانياً الرفع على خبر مبتدأ مضمر أى الأمر كذلك * ولما كان ذلك لا يتم الضرورة
إلا بالازواج قال تعالى (وزوجناهم) أى قرناهم كما تقررنا الأزواج وليس المراد به العقد
لأن فائدة العقد الحل والجنة ليست بدارة تكليف من تحليل أو تحريم (بحور) أى جوارى يص
حسان نقيات الثياب (عين) أى واسعات العين قال البيضاوى واختلف فى أنهن نساء الدنيا
أو غيرهن * ولما كان الشخص فى الدنيا يخشى كلف النفقات وصف ما هنالك من سعة الخيرات
فقال تعالى (يدعون) أى يطلبون طلباً هو غاية المسرة (فيها) أى الجنة أى يؤتون (بكل)
فاكهة) أى لا يتنعم عليهم صنف من الأصناف لبعدهم مكان ولا يفقدان ولا غير ذلك من الشأن وفى
ذلك إيذان بأنه مع سعة ليس فيه شئ لإقامة البنية وإنما هو لتفكيك والتلذذ حال كونهم مع ذلك
(أمنين) فى غاية الأمن من كل مخوف (لا يذوقون فيها) أى الجنة (الموت) لأنها دار
خلود لا دار فناء وقوله تعالى (إلا الموتة الأولى) فيه أوجه أحدها أنه استثناء منقطع أى لكن

الموتة الاولى قد ذاقوها ثانيها أنه متصل وتأولوه بأن المؤمن عند موته في الدنيا يصير بلطف الله كأنه في الجنة لاتصاله بأسبابها ومشاهدته اياها وما يعطاه من نعمها فكانت مات فيها ثانيها ان الابعى سوى أى سوى الموتة التي ذاقوها في الدنيا كما في قوله تعالى ولا تمسكوا ما ترككم أبأوكم من النساء اما قد سلف أى سوى ما قد سلف رابعها ان الابعى بعد أى لا يذوقون فيها الموت بعد الموتة الاولى في الدنيا واختاره الطبري لكن نوزع بأن الابعى بعد لم يثبت وقد يجب أن من حفظ حجة على من لم يحفظ خامسها قال الزمخشري أريد أن يقال لا يذوقون فيها الموت البتة فوضع قوله الا الموتة الاولى موضع ذلك لأن الموتة الماضية محال ذوقها في المستقبل فهو من باب التعليق بالحال كأنه قيل ان كانت الموتة الاولى يستقيم ذوقها في المستقبل فانهم يذوقونها سادسها المراد بالمؤمنين أعم من الراسخين وغيرهم وان ضمير فيها يرجع للآخر فالعاصي اذا أراد الله تعالى تعذيبه بالنار يذوقه فيها موتة أخرى كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيكون على المجموع سابعها أن الموتة الاولى في الجنة المجازية فلا يكون ذلك بالجمال وذلك ان المتقي لم يرزل فيها في الدنيا قال بعض العلماء الدنيا اذا تحققت في حق المؤمن التي فانها اجنة صغرى تأويله سبحانه اياه فيها وقربه منه ونظره اليه وذكره له وعبادته اياه وشغله به وهو معه أينما كان (فان قيل) أهل النار لا يذوقون الموت أبدا فلم يشر أهل الجنة به ذامع ان أهل النار يشاركونهم فيه (أجيب) بأن البشارة ما وقعت بدوام الحياة فقط بل مع حصول تلك البشريات والسعادات فاقترعا (ووقاهم) أى المؤمنين (عذاب الخليم) أى التي تقدم أنها لكل كفار أثيم وأما غير المؤمنين من العصاة فيدخل الله تعالى من أراد منهم النار فيه - ذب كل منهم على قدر ذنوبه ثم يميتهم فيها ويستمرزون الى أن يأذن الله تعالى في الشفاعة فيهم فيخرجهم ثم يحيمهم بغير شرا عليهم - من ماء الحياة ثم يدخلهم الله تعالى الجنة وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال يدخل ناس في النار حتى اذا صاروا خما أدخلوا الجنة فيقول أهل الجنة من هؤلاء فيقتال هؤلاء الجهنميون وروى أنه صلى الله عليه وسلم قال يعذب ناس من أهل التوحيد في النار حتى يكتوفوا فيها حما ثم تدركهم الرحمة فيخرجون ويطرحون على أبواب الجنة فيعيرش عليهم أهل الجنة الماء فينبون كما يئب الغناء في حالة السبل ثم يدخلون الجنة وقوله تعالى (فضلا) مفعول لاجله أى فعل ذلك بهم - لاجل الفضل وجعله أبو البناء منصوبا بقدر أى تفضلنا بذلك فضلا أى تفضلا * (تنبيه) * احتج أهل السنة بهذه الآية على أن الثواب يحصل من الله تعالى فضلا واحسانا وأن كل ما وصل اليه العبد من الخلاص من النار والفوز بالجنة فأنما يحصل بفضل الله تعالى (من ركن) أى المحسن السلك بكل احسانه الى أتباعه احسانا يليق بك قال الرازي في اللوامع أصل الايمان روية الفضل في جميع الاحوال * ولما عظم الله تعالى باطهار هذه الصفة مضافة اليه صلى الله عليه وسلم زاد تعظيمه بالاشارة بأداة البعد فقال تعالى (ذلك) أى الفضل العظيم الواسع (هو) أى خاصة (الفوز) أى الظفر بجميع المطالب (العظيم) لانه خلاص عن المكروه ولم يدع جهة من الشرف الاملاها وهذا يدل على أن

الفضل أعلى من درجات الثواب المستحق لانه تعالى وصفه بكونه فورا عظيما وأيضا فان الملك العظيم اذا أعطى الاجر أجرته ثم خلع على انسان آخر فان تلك الخلعة أعلى من اعطاء تلك الاجرة * ولما بين تعالى الدليل وشرح الوعد والوعيد قال تعالى (فانما يسرناه) أى سهلنا القرآن سهولة كبيرة (للسالك) أى هذا العربي المين وهم عرب صبيتهم الفصاحة (لعلهم يذكرون) أى يفهمونه فيستغفون به وان لم يتغفوا به ولم يؤمنوا به (فارتقب) أى فانتظر ما يحل بهم (انهم مرتقبون) أى منتظرون ما يحل بكم فافعلوا لا ارتقاب محذوفان أى فارتقب التصبر من ربك انهم مرتقبون بك ما يتنونه من الدوائر والفواصل ولن يصبرك ذلك وما رواه البيضاوى بعبارة اخرى انهم مرتقبون بك الله علمه وسلم قال من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفورا له ورواه الترمذى وزاد الزمخشري من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستقر له سبعون ألف ملك ورواه البغوى عن أبي هريرة قال ابن عادل قال أبو أمامة رضى الله تعالى عنه سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من قرأ حم الدخان ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتا في الجنة والله تعالى أعلم بالصواب

(سورة النجمية مكية)

الاول للذين آمنوا يعفروا الآيات وهو سبع وثلاثون آية وأربع مائة وثمان وثمانون كلمة وألفان ومائة واحد وتسعون حرفا

(بسم الله) الذى تفرد بتمام العز والكبرياء (الرحمن) الذى أحكم رحمة بالبيان العام للسمعاء والاستنباء (الرحيم) الذى خص بعبادة طاعته الاولياء وتقدم الكلام على قوله تعالى (حم) ثم ان جعلتها اسماء مبتدأ مخبر عنه بقوله تعالى (تنزيل الكتاب) أى الجاء لكل خبر لم يكن بد من حذف مضاف تقديره تنزيل حم تنزيل الكتاب وقوله تعالى (من الله) أى المحيط بصفات الكمال صله بالتنزيل وان جعلتها تعديدا للعروف كان تنزيل الكتاب مبتدأ والظرف خبرا (أهزير) فى ملكه (الحكيم) فى صنعه * ولما كانت الحواميم كإبراهيم أبو عبيدة فى كتاب الفضائل عن ابن عباس لبيان القرآن حذف ما ذكر فى البقرة من قوله تعالى خلق ليكون ما هنا أشمل فقال تعالى (ان فى السموات) أى ذواتها بما لها من الدلالة على صانعهما وخلقهما على ما فيها من العبر عا فيها من المشافع وعظم الصنعة وما لها من الشفوف الدال على تعددها بما فيها من الكواكب (والارض) كذلك وبما حوت من المعادن والمعاش (آيات) أى دلالات على وجود الاله القادر الفاعل المختار فان من المعلوم أنه لا بد لكل ذلك من صانع متصف بذلك وقال تعالى (للمؤمنين) لانهم برسوخهم فى هذا الوصف الشريف أهل للنظر لان ربهم يهديهم بإيمانهم فشاهد الربوبية لهم منها لاثمة وأدلة الالهية فيها واضحة * ولما ذكر سبحانه ونعالى النظر فى آيات الاتفاق تبعها آيات الانفس بقوله تعالى (وفى خلقكم) أى خلق كل منكم من نقطة ثم من علقه ثم من مضغه الى أن صار انسانا الخاف لخلق الارض التى أنتم منها بالاختيار والعقل والانتشار والقدرة على السائر والصار (وما) أى وخلق ما (بيت) أى ينشر ويفرق بالحركة الاختيارية على سبيل

قوله وزاد الزمخشري
نسخة البيضاوى
التي بأيدينا فيها
الحديثان اللذان
فى الكشف بمخالفة
يسيرة فلعلها نسخة
وقعت للمؤلف اهـ

التجدد والاستقرار (من دابة) مما تعملون ومما لا تعملون بما في ذلك من مشاركتكم بالاختيار
والهداية للصانع بأدراك الجزئيات ومخالفتكم في الصورة والعقل وأدراك الكلمات وغير ذلك
من مخالفة الاشكال والطبائع والمنافع وغير ذلك (آيات) دالة على قدرة الله تعالى ووحدايته وقرأ
حزرة والكسافي آيات بكسر التاء حملا على اسم ان والباقون بالرفع حملا على محل ان واسمها
ولما كانت آيات الانفس أدق وأدل على القدرة والاختيار بما لها من التجدد والاختلاف
قال تعالى (لقوم) أي فيهم أهلية القيام بما يحاولونه (توقنون) أي يتجبد لهم العروج
في درجات الايمان الى أن يصلوا الى شرف الايقان فلا يخالطهم شك في وحدانيته (واختلاف
الليل والنهار) بذهاب أحدهما ووجود الآخر بعد ذهابه على التعاقب آية متكررة للدلالة
على القدرة على الابداع بعد الاعداد بالبعث وغيره (وما أنزل الله) أي الذي عت عظمته
فنفذت كلمته (من السماء من رزق) أي مطر وغيره من الاسباب المهيئة لخراج الرزق
(فأحيى به) أي بسببه (الارض) أي الصالحة للحياة ولذلك قال تعالى (بعد موتها) أي
يسمها وتهشيم ما كان فيها من النبات (وتصرف) أي تحويل (الرياح) باختلاف جهاتها
وأحوالها وقرأ حزرة والكسافي بالتوحيد والباقون بالجمع وقوله تعالى (آيات) فيه
القراءتان المتقدمتان أما الرفع فظاهر وأما الكسر ففيه وجهان أحدهما أنها معطوفة
على اسم ان والخبر قوله وفي خلقكم كأنه قيل وان في خلقكم وما يثبت من دابة آيات والثاني أن
تكون كزرت تأكيداً لآيات الاولى ويكون في خلقكم معطوفاً على في السموات كزرمعه حرف
الجزء كذا ونظيره أن تقول ان في بيتك زيد او في السوق زيد او في البيت الثاني تأكيداً لاول
قلت ان زيد ازيد في بيتك وفي السوق وليس في هذه عطف على معمولى عامين البتة * ولما
كانت هذه الآية أوضح دلالة من بقية آيات البعث قال تعالى فيها (لقوم يعقلون) الدليل
فيؤمنون وأبدي بعض المفسرين معنى لطيفاً فقال ان المنصفين اذا نظروا في السموات والارض
وأنة لا بد لهما من صانع آمنوا واذا انظروا في خلق أنفسهم ونحوها ازدادوا ايمانا فأيقنوا فاذا
نظروا في سائر الحوادث عقلوا واستحكم علمهم * ولما ذكر هذه الآيات العظيمة قال تعالى
مشيرا الى علو مرتبتها بأداة البعد (فذلك) أي الآيات المذكورة (آيات الله) أي حجج المحيط
بصفات الكمال التي لا شيء أجل منها الدالة على وحدانيته (تتلوها) أي نقصها (عليك)
سواء أكانت مرئية أو مسموعة ملتزمة (بالحق) أي الامر الثابت الذي لا يستطاع تحويله
ليس بسحر ولا كذب (فبأي حديث) أي خبر عظيم صادق يتجدد علمه به يستحق أن يتحدث به
واستغرق كل حديث فقال تعالى (بعد الله) أي حديث الملك الاعظم وهو القرآن (وآياته)
أي حججه (يؤمنون) أي كفار مكة أي لا يؤمنون وقرأ ابن عامر وشعبة والكسافي شاء
الخطاب رأوا أن ذلك الخطاب صرف الى خطاب النبي صلى الله عليه وسلم في قوله تعالى تتلونها
عليك بالحق والباقون بيا الغيبة ردوه على قوله تعالى وفي خلقكم وهو أقوى تأكيداً ولما بين
الآيات للكفار وبين أنهم اذا لم يؤمنوا بها بعد ظهورها فبأي حديث بعد ما يؤمنون أتبعه

بوعبد عظيم لهم فقال تعالى (وبل لكل أفالك) أى مبالغ فى صرف الحق عن وجهه (أنتم) أى مبالغ فى اكتساب الاثم وهو أن يبقى مصر على الإنكار والاسنة بكار قال المفسرون يعنى الضر بن الحرث والآب عاتة فممن كان موصوفاً بهذه الصفة وفسر هذا بقوله تعالى (يسمع آيات الله) أى دلالات الملك الأعظم الظاهرة حال كونها (تتلى عليه) بجميع ما فيها وهى القرآن من سهولة فهمها وعذوبة ألفاظها وظهور معانيها وجلالة مقاصدها مع الإعجاز وهى القرآن العظيم فكيف إذا كان التالى أشرف الخلق وقرأ جزء والكسانى بامالة محضنة وورش بالفتح وبين اللظنين والباقون بالفتح (ثم ينصر) أى يذوم واما عظيم على فمع ما هو فيه حال كونه (مستكبراً) أى طالباً للكبر عن الأذعان وموجداً (كان) أى كأنه (لم يسمعها) أى حاله عند السماع وقبله وبعده على حد سواء (فشره) أى على هذا الفعل الخبيث (بعذاب أليم) أى مؤلم وبالشارة على الأصل أو التكم وقرأ ابن كثير وحفص أليم بالرفع والباقون بالجر (وإذا علم) أى بلغه (من آياتنا) أى القرآن (شياً) وعلم أنه من آياتنا (اتخذها هزواً) أى مهزواً بها * (تنبه) فى الضمير المؤنث وجهان أحدهما أنه عائدة على آياتنا يعنى القرآن والثانى أنه يعود على شياً وان كان مذكراً لانه بمعنى الآية كقول أبى العالية

نفسى بشئ من الدنيا معلقة * الله والقائم المهدي يكفيها

لانه أراد بشئ جارية يقال لها عتبة والمعنى اتخذ ذلك الشئ هزواً لأنه تعالى قال اتخذها للاشعار بأن هذا الرجل إذا أحس بشئ من الكلام انه من جملة الآيات المنزلة على محمد صلى الله عليه وسلم خاض فى الاستهزاء بجميع الآيات ولم يقتصر على الاستهزاء بذلك الواحد وقوله تعالى (أولئك لهم عذاب مهين) أى ذوا هانة إشارة الى معنى كل أفالك أنتم ليدخل فيه جميع الافاكين فعمل أولاً على لفظها فأفرد ثم على معناها فجمع كقوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون ثم وصف تعالى كيفية ذلك العذاب فقال (من وراءهم) أى أمامهم لانهم فى الدنيا (جهنم) قال الزمخشري والوراء اسم للجهة التى يوارىها الشخص من خلف أو قدام قال أليس ورائى ان تراخت منيتى * أدب مع الولدان أن تحف كالنسر

ومنه قوله تعالى من وراءهم أى من قدامهم اه ثم بين تعالى أن ما سلكوه فى الدنيا لا ينفعهم بقوله تعالى (ولا يغنى) أى لا يدفع عنهم ما كسبوا من الاموال فى رحلتهم ومتاجرهم والاولاد (شياً) من الاغناء وقوله تعالى (ولما اتخذوا من دون الله أولياء) أى من الاوثان عطف على ما كسبوا وما فيه ما ماصد ربة أى يعنى الذى لا يغنى عنهم كسبهم ولا اتخذهم وأذى كسبوه ولا الذى اتخذوه (ولهم عذاب عظيم) أى لا يدع جهة من جهاتهم ولا زماناً من أزمانهم ولا عضواً من أعضائهم الاملاء (فان قيل) قال تعالى فى الاول مهين وفى الثانى عظيم فافرق بينهما (أجيب) بأن كون العذاب مهيناً يدل على حصول العذاب مع الاهانة وكونه عظيماً يدل على كونه بالغالى أقصى الغايات فى الضر وقوله تعالى (هذا هدى) إشارة الى القرآن يدل عليه قوله تعالى (والذين كفروا بآيات ربهم) هى القرآن أى هذا القرآن كامل فى الهداية

كما تقول زيد رجل أى كامل فى الرجولية وأما رجل (لهم عذاب) كائن (من ربح) أى
 شديد العذاب (أليم) أى بليغ الالام * ولما ذكر تعالى ذكر الربوبية ذكر بعض آثارها وما فيها
 من آياته فقال مستأنفاً للأعلى عظمها بالاسم الأعظم (الله) أى الملك الأعلى المحيط بجميع
 صفات الكمال (الذى سخر) أى وحده من غير حول منكم ولا قوة فى ذلك بوجه من الوجوه
 (لكم البحر) أيها الناس بركم وفاجركم بما جعل فيه مما لا يقدر عليه الا واحد لا شريك له فاعل
 بالاختيار من القابلية للسير فيه من الرقة والليونة (لبحرى الفلك) أى السفن (قبحه بأمره)
 أى بأذنه ولو كانت موقرة بأثقال الحديد الذى يغوص فيه أخف شئ منه كالإبرة ومادونها فى
 ذلك دلالة ظاهرة على وحدانيته لان جريان الفلك على وجه الماء لا يحصل الا بثلاثة أشياء
 أحدها الرياح التى توافق المراد وثانيها خلق وجه الماء على الملاسة التى تجرى عليها الفلك
 وثالثها خلق الخشبة على وجه تبنى طافية على وجه الماء ولا تغرق فيه وهذه الاحوال لا يقدر
 عليها أحد من البشر (ولتنبهوا) أى تطلبوا بشهوة نفس واجتهاد بما تحملون فيه من البضائع
 وتتوصلون اليه من الاماكن والمناصب بالصيد والغوص على اللؤلؤ والمرجان وغير ذلك (من
 فضله) لم يصنع شيئاً منه سواه (ولعلمكم تشكرون) نعمه على ذلك (وسخر لكم ما فى السموات) من
 شمس وقر ونجمها وغير ذلك بحيث لا يمكنكم الوصول اليه بوجه (وما فى الارض) من دابة
 وشجر ونبات وأنهار وغيره ولو شاء لجعله كما فى السماء لا وصول لكم اليه وقوله تعالى (جميعاً)
 تو كى لم يدل عليه معنى ما من العموم وقبل حال من ما فى السموات وما فى الارض وقوله تعالى
 (منه) حال أى سخرها كائن منه تعالى لا صنع لاحد غيره شئ من ذلك قال ابن عباس كل
 ذلك رحمة منه وقال الزجاج كل ذلك تفضل منه واحسان وقال بعض العارفين سخر لك
 الكل لئلا يسخر لك شئ منها فتكون مسخر المن سخر لك الكل وهو الله تعالى فانه يقبح بالخدم
 أن يخدم خادمه (ان فى ذلك) أى الامر العظيم من تسخير لنا كل شئ فى الكون (لآيات)
 أى دلالات واضحات على أنهم فى الانقذات الى غيره فى ضلال مبين بعد تسخير لنا ما لنا من
 الاعضاء والقوى على هذا الوجه البديع مع أن هذا المسخر لنا ما هو أقوى منا (لقوم) أى
 ناس فيهم أهلية القيام بما يجعل اليهم (يتفكرون) فيعلمون أنه المتوحد باستحقاق الالهية
 فلا يشركون به شيئاً واختلف فى سبب نزول قوله تعالى (قل) أى يا افضل الخلق (لَّذِينَ آمَنُوا)
 ادعوا للتدقيق بكل ما جاءهم عن الله تعالى (يقفروا) أى يستروا ستر بالغاً (لَّذِينَ لا يرجون
 أيام الله) أى مثل وقائع الملك الأعظم المحيط بصفة الكمال فقال ابن عباس نزلت فى عمر بن
 الخطاب رضى الله عنه وذلك انهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بنى يقال لها المريسيه فأرسل
 عبد الله بن أبى غلامه ليستقى الماء فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ما حبسك قال غلام عمر قد عد على
 طرف البئر فترك أحدنا يستقى حتى ملا قرب النبي صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر رضى
 الله عنه فقال عبد الله ما مثلاً ومثل هؤلاء الا كما قيل لمن كلبك يا كلك فبلغ ذلك عمر فاشتغل
 سيفه يريد التوجه اليه فأزال الله تعالى هذه الآية وقال مقاتل ان رجلاً من بنى غفار شتم عمر

بمكة فهدم عمر أن يطش به فزلت بالفقر والتجاوز وروى مجون بن مهران ان فخاص
اليهودي لما نزل قوله تعالى من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا قال احتاج رب محمد
فسمعه ذلك عمر فاشقل على سيفه وخرج في طلبه فبعث النبي صلى الله عليه وسلم ليه فردّه
وقال القرطبي والسدي نزات في ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من أهل مكة
كانوا في أذى كثير من المشركين قبل أن يؤمر وبالقتال فشكوا ذلك الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم فنزلت ثم نسختها آية القتال قال الرازي وإنما قالوا بالنسخ لانه يدخل تحت الغفران
أن لا يقتلوا ولا يقتلوا فلما أمر الله تعالى بالمقاتلة كان نسخا والا قرب أن يقال انه محمول على
ترك المذازمة وعلى التجاوز فيما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وقال ابن عباس لا يرجون
أيام الله أي ثوابه ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الام الماضية وتقدم تفسير
أيام الله عند قوله تعالى وذكرهم بأيام الله وقوله تعالى (ليجزى قوما بما كانوا يكسبون) علة
للأمر والتعوم هم المؤمنون أو الكافرون أو كلاهما ما فيكون التذكير للتعظيم أو التحقير
أو التوبيخ أو لكسب المغفرة أو الالساءة أو ما بينهما وقرأ ابن عامر وجزوة والكسافي بالنون
لنجزى نحن بما لنا من العظمة والباقون بالياء التحية أي ليجزى الله سبحانه وتعالى ولما
رغب سبحانه وتعالى ورهب وقدر انه لا بد من الجزاء زادي في الترغيب والترهيب بأن النفع
والضر لا يبعدوهم فقال تعالى شارح الجزاء (من عمل صالحا) قل أو جل (فلقسه) أي خاصة
عليه يرى جزاءه في الدنيا والآخرة وهو مثل ضربه الله تعالى للذين ينفقون (ومن أساء) كذلك
(فعلها) خاصة أساءته كذلك وهذا مثل ضربه الله تعالى للكفار والذين كانوا يؤذون الرسول
والمؤمنين وذلك في غاية الظهور لانه لا يسوغ في عقل عاقل أن ملكا يدع عبده من غير جزاء
ولاسيما اذا كان حكيما وان كانت نقائص النفوس غطت على كثير من العقول ذلك (ثم) أي
بعد الابتلاء بالملاء في العنا والحبس في البرزخ (إلى ربكم) أي الملك المالك لكم لا إلى غيره
(ترجعون) أي تصيرون فيجازي المصلح والمسيء (ولقد آتينا) أي على ما لنا من العظمة (بجى
اسرائيل الكتاب) أي الجامع للخيرات وهو يم التوراة والانجيل والزبور وغيرها مما أنزل على
أنبيائهم عليهم السلام (والحكم) أي العلم والعمل النابتين ثبات الاحكام بحيث لا يتطرق اليهما
فساد العلم من الزينة بالعمل وللعمل من الاتقان بالعلم (والنور) التي تدرك بها الخيرات
العظيمة التي لا يمكن ابلاغ الخلق بها بلوغ اكتساب منهم فأكثرنا فيهم من الانبياء عليهم السلام
(ورزقناهم) بما لنا من العظمة لاقامة أبدانهم (من الطيبات) أي الحلالات من المن والسوى
وغيرهما (وفضلناهم) أي بما لنا من العزة (على العالمين) قال أكثر المفسرين عالمي زمانهم
وقال ابن عباس لم يكن أحد من العالمين أكرم على الله ولا أحب اليه منهم أي لما آتاهم من
الآيات الربية والسموعة وأكثر فيهم من الانبياء مما لم يفعل بغيرهم عن سبق وكل ذلك فضيلة
ظاهرة (وآتيناهم) مع ذلك (بينات من الأمر) أي الموحى به إلى أنبيائهم من الأدلة القطعية
والاحكام والمواظف المؤيدة بالمعجزات ومن صفات الانبياء الآتين بعدهم وغير ذلك مما هو

في غاية الوضوح لمن قضينا بعبادته وذلك أمر يقتضي الالفه والاجتماع وقد كانوا متفقين
وهم في زمن الضلال لا يختلفون الا خلافا يسيرا لا يضرم مثله ولا بعدا خلافا لمجاهاهم
العلم اختلفوا كما قال تعالى (فما اختلفوا) أي أوقعوا الاختلاف والافتراق بغاية جهدهم
(الامن بعدم مجاههم العلم) أي الذي من شأنه الجمع على المعلوم فكان ما حوسب الاجتماع سببا
لهم في الافتراق (بغيا) أي المجاوزة في الحدود التي اقتضاها لهم طلب الرياسة والحسد وغيرهما
من نقائص النفوس (بينهم) أي واقعا فهم لم يعد لهم إلى غيرهم وقد كانوا قبل ذلك وهم تحت
أيدى القبط في غاية الاتفاق واجتماع الكلمة على الرضا بالذل ولذلك استأنف قوله تعالى
الذي اقتضاه الحال على ما يشاهده العباد من أفعال الملوك فيمن خالف أمرهم مؤكدا لاجل
انكارهم (ان ربك) أي المحسن اليك (يقضى بينهم) أي باحشاء الاعمال والجزاء عليها (يوم
القيامة) أي الذي ينكره قومك الذين شرفناهم برسالتك (فيما كانوا) أي لما هولهم كالجبله (فيه
يختلفون) بغاية الجهد والمعنى أنه لا ينبغي للمبطل أن يفرح بنعم الدنيا فانها وان ساوت نعم الحق
أورادت عليها فانه سبى في الآخرة ما يسوءه وذلك كالزجر لهم * ولما بين تعالى انهم أعرضوا
عن الحق بغيا وحسد أمر رسوله صلى الله عليه وسلم أن يعدل عن تلك الطريقة وأن يتمسك
بالحق وأن لا يكون له غرض سوى اظهار الحق فقال تعالى (ثم) أي بعد فترة من رسلهم ومجاوزه
رتب كثيرة عالية على رتبة شريعتهم (جعلناك) أي بما لنا من العزة والقدرة (على شريعة) أي
طريقة واسعة عظيمة ظاهرة مستقيمة سهلة موصلة إلى المقصود هي جديرة بأن يشرع الناس
فيها ويحاطوا بها مبتدأة (من الامر) أي أمر الدين الذي هو حياة الارواح كما أن الارواح حياة
الاشباح (فاتبعها) أي اتبع بغاية جهدهم شريعتك الثابتة بالحجج (ولا تتبع أهواء) أي آراء
(الذين لا يعملون) أي لا علم لهم أولهم علم لكنهم يعملون عمل من ليس لهم علم أصلا من كناد
العرب وغيرهم قال الكلبي ان رؤساء قريش قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وهو عكة ارجع إلى
دين آبائك فهم كانوا أفضل منك وأسن فأنزل الله تعالى هذه الآية * ثم علل هذا النهي مهيدا
بقوله تعالى مؤكدا (أنهم) وأكدا للنفي فقال عز من قائل (ان بغوا عنك) أي لا يتجدد لهم نوع
اغناء مبتدا (من الله) أي المحيط بكل شيء قدرة وعلم (شيئا) أي من اغناء أي ان اتبعتم كما انهم
لن يقدروا لك على شيء من أذى ان خالفتم وناصبتم (وان الظالمين) أي الغريبتين في هذا
الوصف وهم الكفرة وكان الاصل وانهم ولكنهم تعالى أظهر للاعلام بوصفهم (بعضهم أولياء
بعض) اذ الجنسية على الانضمام فلا تولوهم باتباع أهوائهم (والله) أي الذي له صفات الكمال
(ولي المتقين) أي الذين همهم الاعظم الاتصاف بالتمحاذ الوفايات النجبية لهم من حفظ الله تعالى
والمعنى ان الظالمين يتولى بعضهم بعضا في الدنيا وأما في الآخرة فلا ولي لهم ينفعهم في إيصال
الثواب وازالة العقاب وأما المتقون المهتدون فأن الله سبحانه وإيهم وناصرهم (هذا) أي الوحي
المتزل وهو القرآن (بصائر) أي معالم (للناس) أي في الحدود والاحكام فيبصروا بها ما ينفعهم
وما يضرمهم (وهدي) أي قائد إلى كل خير مانع من كل زريع (ورجة) أي كرامة وفوز ونعمة

(القوم يوقنون) أى ناس فيهم قوة القيام بالوصول الى العلم الثابت وتجديد الترقى في درجاته الى الملائمة له وقوله تعالى (أم حسب) منقطعة فتتدرى بيل والهمزة أو بيل وحدها وبالهجرة وحدها ومعنى الهمزة فيها انكار الحسابان (الذين اجتروا) أى استكسبوا ومنه الجوارح وفلان جارحة أهله أى كلهم وقال تعالى ويعلم ما جرحتم بالنهار (السيات) أى الكفر والمعاصي (أن نجعلهم) أى بما لنا من العظمة المانعة من الظلم المقضية للحكمة (كالذين آمنوا وعملوا) نصديقاً لآثارهم (الصالحات) أى بأن نتركهم بغير حساب للفصل بين المحسن والمسيء * ولما كانت الممانعة مجملة بينها استثنافاً بقوله تعالى (سواء) أى مستواسوا عظمياً (محييهم ومميتهم) أى حياتهم وموتهم وزمان ذلك ومكانه في الارتفاع والنفول واللذة والكدر وغير ذلك من الايمان والمعاني وقرأ حجرة والكسافي وحفص سواء بالنصب على الحال من الضمير المستتر في الجار والمجرور وهما كالذين آمنوا ويصكون المفعول الثاني للجعل كالذين آمنوا أى أحسبوا أن نجعلهم مثلهم في حال استئراج محييهم ومميتهم ليس الامر كذلك وقرأه الباقر بالرفع على انه خبر ومحياهم ومميتهم مبتدأ ومعطوف والجملة تبدل من الكاف والضمير ان للكفار والمعنى احسبوا أن نجعلهم في الآخرة في خير كانوا منين أى في رعد من العيش مساوياً لحيث قالوا للمؤمنين لن نبثنا لنعطى من الخير مثل ما نعطون قال تعالى على وفق انكاره بالهمزة (سواء ما يحكمون) أى ليس الامر كذلك فهم في الآخرة في العذاب على خلاف عيشهم في الدنيا والمؤمنون في الآخرة في الثواب بأعمالهم الصالحات في الدنيا من الصلاة والزكاة والصيام وغير ذلك وما مصدرية أى يشح حكماً حكمهم هذا * ولما بين تعالى أن المؤمن لا يساويه الكافر في درجات السعادة اتبعه بالدلائل الظاهرة على صحة ذلك فقال تعالى (وخلق الله) أى الذى له جميع أوصاف الكمال (السموات والارض) وقوله تعالى (بالخلق) متعلق بخلق وقوله تعالى (ولنجزي) أى بأيسر أمر (كل نفس) أى منكم ومن غيركم معطوف على بالخلق في المعنى لأن كلامهم مناسب فعطف العلة على مثلها وأنه معطوف على معلل محذوف والتقدير خلق هذا العالم اظهاراً للعدل والرحمة وذلك لا يتم الا اذا حصل البعث والقيامة وحصل التفاوت بين الدرجات والدرجات من المحققين والمبطلين (بما) أى بسبب ما (كسبت) من خيراً وأشر (وهم) أى والحال انهم (لا يظنون) أى لا يوجد من موجود ما في وقت من الاوقات جزاء لهم في غير موضعه هذا على ما جرت به عوائدكم في العدل والفضل ولو وجد منه سبحانه وتعالى غير ذلك لم يكن ظلاماً لانه المالك المطلق والملك الاعظم فلو عذب أهل سمواته وأهل أرضه كلهم لكان غير ظالم في نفس الامر فهذا الخطاب انما هو على ما يتعارفونه من اقامة الحجج بمخالفه الامر ثم عاد سبحانه وتعالى الى شرح أحوال الكفار وقبائح طرائقهم فقال (أفرأيت) أى أعلمت علما هو في تقفه كالحسوس بحاسة البصر التي هي أثبت الحواس (من اتخذ) أى بغاية جهده (الله هواء) أى ما هو من حجر بعد حجر أراح حسن روى عن أبي رجا العطار دى وهو ثقة أدرك الجاهلية ومات سنة

خمس ومائة عن مائة وعشرين سنة قال كان بعد الحجر فإذا وجدنا حجرا أحسن منه ألقيناه
وأخذنا الآخر فإذا لم نجد حجرا جعنا خشوة من تراب غلبنا عليه ثم طفننا بها قال الا صدها نى سئل
ابن المقفع عن الهوى فقال هو ان سرت نونه فنظمه من قال

نون الهوان من الهوى مسروقة * فأسير كل هوى أسير هوان

وقال آخر أيضا

ان الهوى لهو الهوان بعينه * فاذا هويت فقد اقيمت هوانا

(وأضله الله) أى عماله من الاحاطة (على علم) منه تعالى أى عالما بأنه من أهل الضلالة قبل
خلقه (وختم) زيادة على الاضلال الخاص (على سمعه) فلا يفهم له فى الآيات المسموعة (وقلبه)
أى فهو لا يعي ما من حقه وعيه (وجعل على بصره غشاوة) أى ظلمة فلا يبصر الهوى ويقدر هوانا
المفعول الثانى لرأيت أى أى يهتدى وقر أحجرة والكسائى بفتح الغين وسكون الشين والباساقون
بكسر الهمزة وفتح الشين وألف بعد الشين واذا صار بهم هذه المثابة (فمن يهديه) وأشار تعالى الى
قدرته عليه بقوله سبحانه وتعالى (من بعد الله) أى ان أراد الله اضلاله الذى له الاحاطة بكل
شئ أى لا يهتدى (أفلاتنكرون) أى ألم يكن لكم نوع تذكرة فتعظوا وفيه ادغام احدى
التامين فى الذال (وقالوا) أى فى انكارهم البعث مع اعترافهم بأنه تعالى قادر على كل شئ
(ماهى) أى الحياة (الاحياء) أى أيها الناس (الدنيا) أى هذه التى نحن فيها (غوث ونجيا)
(فان قيل) الحياة متقدمة على الموت فى الدنيا فذكر والقيامة كان يجب أن يقولوا نجيا
وغوث فما السبب فى تقديم ذكر الموت على الحياة (أجيب) من وجوه أولها أن المراد بتولاهم
غوث أى حال كونهم نطفة فى أصلاب الآباء وأرحام الاقهارم وبقولهم ونجيا ما حصل بعد ذلك
فى الدنيا ثانيا غوث نحن ونجيا بسبب بقاء أولادنا ثالثها قال الزجاج الواو للاجتماع والمعنى
يموت بعض ونجيا بعض رابعها قال الرازى انه تعالى قدّم ذكر الحياة فقال ان هى الاحياء
الدنيا ثم قال بعده غوث ونجيا يعنى أن تلك الحياة منها ما يطرأ عليها الموت وذلك فى حق الذين
ماتوا ومنها ما لا يطرأ عليه الموت بعد ذلك وهو فى حق الاحياء الذين لم يموتوا بعد وقال
البيضاوى يحتمل انهم أرادوا به الناسخ أى وهو ان روح الشخص اذا خرجت تنقل الى
شخص آخر فيها بعد ان لم يكن فانه عقيدة أكثر عبدة الاصنام (وما يهلكنا) أى بعد الحياة
(الا الدهر) أى زمان الطويل بغلبته علينا وطول العمر واختلاف الليل والنهار من دهره
اذا غلبه (وما) أى قالوه والحال انه ما (لهم بذلك) أى المقتول البعيد من الصواب وهو انه
لاحياة بعدهد وان الاهلاك منسوب الى الدهر على انه مؤثر بنفسه وأغرق فى النفي فقال
تعالى (من علم) أى كثير ولا قليل (ان) أى ما (هم الا يظنون) أى يقرئونه ان الانسان كلما تقدم
فى السن ضاعف وانه لم يرجع أحد من الموتى هذا ظنهم -م القاسد روى أبو هريرة أن رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال قال الله تعالى لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر فانى أما الدهر أرسل النبيل
والنهار فاذا اشتت قبضتهما وعنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسب أحلككم

الدهر فان الدهر هو الله تعالى ولا يقولن لاغيب الكرم فان الكرم هو الرجل المسلم ومعنى
 الحديث ان العرب كان من شأنهم الدهر وسبه عند النوازل لانهم كانوا ينسبون اليه ما يصيبهم
 من المصائب والمكافاة فيقولون أصابهم قوارع الدهر وأبادهم الدهر كما أخبر الله تعالى عنهم فإذا
 أضافوا الى الدهر ما فالهم من الشدة اندسوا فاعلموا فكان يرجع سبهم الى الله تعالى اذ هو الفاعل
 في الحقيقة للامور التي يضيفونها الى الدهر فنحو واعن سبه (وإذ أتى) أى تتابع بالقراءة من أى
 نال كان (عليهم آياتنا) أى على ما له من العظمة في نفسها وبالإضافة الى نال كونها (بينات) أى
 في غاية الممكنة في الدلالة على البعث فلا عذر لهم في ردّها (ما كان) أى بوجه من وجوه الكون
 (يحجزهم) أى قولهم الذى ساقوه مساق الحجّة (الآن قالوا انتوا يا آياتنا) أى احياء (ان كنتم
 صادقين) أى فى انابعت فهو لا يستحق أن يسمى شبهة فسمى حجة بزعمهم أولان من كانت حجته
 هذه فليست له البتة حجة كقوله * تحية بينهم ضرب وجميع * ثم ات الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه
 وسلم أن يجسيم بقوله تعالى (قل الله) أى المحيط علما وقدره (يحجيبكم) أى حين كنتم نطقا (ثم يجسمكم)
 أى بأن يخرج أرواحكم من أجسادكم فتكونون كما كنتم قبل الأحياء كما تشهدون (ثم يجمعكم)
 أى بعد التفرق فبعد فيكم أرواحكم كما كانت بعد طول مدة الرقاد منتهين (الى يوم القيامة) أى
 القيام الاعظم ليكونه عالما لجميع الخلائق (لأريب) أى لاشك بوجه من الوجوه (فيه) بل هو
 معلوم عالما قطعيا ضروريا (ولكن أكثر الناس) أى وهم القائلون ما ذكر (لا يعلمون) أى لا يتجدد
 لهم علم لما لهم من النفوس والتردد والسفول عن أوج العقل الى حضيض الجهل فهم واقفون
 مع المحسوسات لا يلوح لهم ذلك مع ما له من الظهور وقوله تعالى (ولله) أى الملك الاعظم
 وحده (ملك السموات) أى كلها (والارض) أى التى ابتدأكم منها تعمم للقدر بعد تخصيصها
 (ويوم تقوم الساعة) أى توجد وتتحقق تحقق القاسم الذى هو على كمال عكسه وتمام أمره
 الناهض بأعباء ما يريد ثم كثر للآلة كيد واتهم وقوله تعالى (يؤتى) أى يوم تقوم يحسرون هكذا
 كان الاصل ولكنه قال تعالى للتعميم والتعليق بالوصف (يحسرون المبطون) أى الداخلون
 فى الباطل الغريقون فى الانصاف به الذين كانوا الارضون بقضائى * (تنبيه) * الحماة والعقل
 والصحة كأنهم رأس مال والتصرف فيها يطلب السعادة الآخروية ويجرى مجرى تصرف
 التاجر فى ماله لطلب الربح والكفار قد اتعبوا أنفسهم فى تصرفاتهم بالكفر والباطل فلم
 يجدوا فى ذلك اليوم الا الحرمان والخذلان ودخول النار وذلك فى الحقيقة نهاية الخسران
 (وترى) أى فى ذلك اليوم (كل أمة) أى أهل دين (جانبية) أى مجمعة لا يخالطها غيرها وهى
 مع ذلك باركة على الركب ربعا واستيفازا لما عليها تؤمر به جلسة الخصاص بين يدي الحاكم
 تنتظر القضاء الحاتم والامر الجازم اللازم لشدة ما يظهر لها من هول ذلك اليوم (كل أمة) من
 الجانبين (تدعى الى كتابها) أى الذى أنزل عليها وتعبها الله تعالى به والذى نسخته الحفظة عليهم
 السلام من أعمالها يطبق أحدهما بالآخر فن وافق كتابه ما أمر به من كتاب ربه نجا ومن خالفه
 هلك ويقال لهم حالة الله عا (اليوم يحزون) أى على وفق الحكمة بأبسر أمر (ما) أى عين الذى

(كنتم) بما هولكم كالجبلات (تعملون) أي مصرين عليه غير راجعين عنه من خبر أو شر
(فان قيل) الجنوعلى الركب انما يليق بالخائف والمؤمنون لاخوف عليهم يوم القيامة (أجيب)
بأن الجنائي الآمن يشارك المبطل في مثل هذه الحالة الى أن يظهر كونه محقا (هذا كتابنا) أي
الذي أنزلناه على السنة رسلمانا عليهم الصلاة والسلام (ينطق) أي يشهد بشهادة هي في بيانها
كالنطق (عليكم بالحق) أي الامر الثابت الذي يطابقه الواقع من أعمالكم وذلك بأن يقول
من عمل كذا فهو عاص ومن عمل كذا فهو مطيع فينطبق ذلك على ما علمتوه سواء بسواء من
غير زيادة ولا نقصان وقيل المراد بالكتاب اللوح المحفوظ * ولما كانت العادة جارية في الدنيا
باتمامه الحقوق بكتابة الوثائق وكانوا كأنهم يقولون ومن يحفظ أعمالنا على كثرتها مع طول
المدة وبعد الزمان قال تعالى مجيبا بما يقرب الى عقل من يسأل عن ذلك (آنا) أي على ما لنا
من العظمة المغنية عن الكتابة (كنا) على الدوام (نستسخ ما كنتم) طبعنا لكم وخلقنا (تعملون)
قولا وفعلا ونية أي تأمر الملائكة عليهم السلام بكتبها وإثباتها عليكم وقيل نستسخ أي نأخذ
نسخه وذلك أن المكين يرفعان عمل الانسان فيثبت الله تعالى منه ما كان له من ثواب أو عقاب
ويطرح منه اللغو نحو قولهم هلم واذهب والاستساح من اللوح المحفوظ تسخ الملائكة
كل عام ما يكون من أعمال بني آدم والاستساح لا يكون الا من أصل كما ينسخ من كتاب
كتاب وقال الضحاك نستسخ أي ثبت وقال السدي نكتب وقال الحسن تحفظ * ثم بين تعالى
أحوال المطيعين بقوله تعالى (فأما الذين آمنوا) أي من الامم الجسانية (وعملوا) أي تصديقا
لدعواهم الايمان (الصالحات) أي الطاعات فوصفهم بالعمل الصالح بعد وصفهم بالايمان
يدل على أن العمل الصالح مغاير للايمان زائد عليه (فبدخلهم) أي في ذلك اليوم (ربهم) أي
المحسن اليهم بالتوفيق بالايمان (في رحمة) التي من جللتها الجنة والنظر الى وجهه الكريم
الذي هو الغاية القصوى وتقول لهم الملائكة تشريفا سلام عليكم أيها المؤمنون ودل على
عظمة الرحمة بقوله تعالى (ذلك) أي الاحسان العالي المنزلة (هو) أي لا غيره (القوزالمين)
أي الظاهر الذي لا يخفى على أحد شئ من أمره لانه لا يشوبه كدر أو مسلا ولا نقص بخلاف ما كان
من أسبابه في الدنيا فانهم مع كونها كانت فوزا كانت خفة جدا على غير الموقنين * ثم بين تعالى
أحوال الفريق الآخر بقوله تعالى (وأما الذين كفروا) أي سبوا ما أمر الله تعالى به (أولم) أي
فيقال لهم ألم (تكن) تأنيكم رسلي فلم تكن (آبائي) على ما لها من عظمة اضافته الى وأعظمها
القرآن (تلى) أي تواصل قراءتها من أي نال كان فكيف اذا كانت بواسطة الرسل تلاوة
مستعيلة (عليكم) لا تقدررون على دفع شئ منها (تسيه) * حذف القول المعطوف عليه كما تقرر
اكتفاء بالمقصود واستغناء بالقراءة (فاستكبرتم) أي فتسبب عن تلاوتها التي من شأنها ابراث
الشعور والاختبات والخضوع ان طلبتم الكبر لانفسكم أوجدتوه على رسلي وآبائي (وكنتم
قوما) أي ذوى قيام وقدرة على ما تحاولونه (مجرمين) أي غريقين في قطع ما ينهق الوصل
وذلك هو الخسران المبين (واذا) أي وكنتم اذا (قبل) أي من أي قاتل كان ولوعلى سبيل

التأكيد (ان وعد الله) أى الذى كل أحد يعلم أنه محيط بصفات الكمال (حق) أى ثابت
 لا يحمده عنه مطابق للواقع من البعث وغيره لأن أقل الملوك لا يرضى بأن يخلف وعده فكيف
 به سبحانه وتعالى فكيف إذا كان الاختلاف فيه مناقضا للحكم وقرأ (والساعة) حمزة بالنصب
 عطفا على وعد الله والباقون يرفعها وفيه ثلاثة أوجه أحدها الابتداء وما بعدهما من الجملة
 المنفية وهو قوله تعالى (لأريب) أى لاشك (فيها) خبرها تانيها العطف على محل اسم ان لانه
 قبل دخولها من فروع بالابتداء ثالثها انه عطف على محل ان واسمها معا لأن بعضهم كالفارسي
 والزنجي يرون أن لان واسمها موضوعا وهو الرفع بالابتداء (قائم) أى راضين لانفسكم
 بمحض الجهل (ماندرى) أى الآن دراية علم ولو بذلنا جهدا فى محاولة الوصول اليه
 (ما الساعة) أى لا نعرف حقيقتها فضلا عما تخبر وتنا به من أحوالها * (تنبه) * الساعة
 هنا مر فوعة باتفاق (ان) أى ما (نظن) أى نعتقد ما تخبر وتنا به عنها (الاطنا) وأما وصوله
 الى درجة العلم فلا (وما نحن) وأكسدوا النبي فقالوا (بستيقنين) أى بوجود عندنا
 اليقين فى أمرها قال الرازي القوم كانوا فى هذه المسئلة على قولين منهم من كان قاطعا بنبي
 البعث والقيامة وهم المذكورون فى قوله تعالى وقالوا ما هى الاحيائنا الدنيا ومنهم من كان
 شاكا متحيزا فيه لانهم لم يكتفوا بما سمعوه من الرسل عليهم السلام واكثر ما سمعوه من دلائل
 القول بصحته صاروا شاكين فيه وهم المذكورون فى هذه الآية ويدل على ذلك أنه حكى تعالى
 مذهب أولئك القاطعين ثم أثبتهم بمحكمة قول هؤلاء فوجب كون هؤلاء مغايرين للفرق
 الاول * ولما وصلوا الى حد عظيم من العناد التفت الى أسلوب الغيبة اعراض عنهم ايذانا
 بشدة الغضب عليهم فقال تعالى (وبدا) أى ولم يزلوا يقولون ذلك الى أن بدت لهم الساعة
 بما فيها من الاويل والزلازل والاهوال وظهر (لهم) غاية الظهور (سيات ما علوا) فى الدنيا
 فتمثلت لهم وعرفوا مقدار جزائهم واطلعوا على جميع ما يلزم على ذلك (وحاق) أى أحاط بهم
 على حال القهر والغلبة قال أبو حيان ولا يستعمل الا فى المكروه (ما كانوا) جملة وطبعا
 (به يستهزئون) أى يوجدون الهزء به على غاية الشهوة واللذة ايجادا من هو طالب لذلك وهذا
 كالدليل على ان هذه الفرقة لما قالوا ان نظن الاطنا انما ذكره استهزاء وسخرية فنصار هذا
 الفريق أشهر من الفريق الاول لأن الاولين كانوا منكبين وما كانوا مستهزئين وهؤلاء ضموا
 الى الاصرار على الانتكار الاستهزاء وقرأ حمزة فى الوقف بتسهيل الهمزة بعد الزاى كالواو وله
 أيضا البداهة ما ونقل عنه أيضا غير ذلك (وقبل) أى لهم على أقطع الاحوال وأشد هاقولا
 لا معقب له فكانه بلسان كل قائل (اليوم نساكم) أى نترككم فى العذاب (كانسيتم لقاء
 يومكم هذا) أى كثر كنتم الايمان والعمل لقائه وقيل فجعلكم منزلة الشئ المنسى غير المبالى به
 كالم تبالوا أنتم بلقاء يومكم هذا ولم تلتفتوا اليه (وما أوتاكم النار) ليس ليكم براح عنها
 (وما لكم من ماصرين) ينقذونكم من ذلك بشفاعته ولا مقاهرة فجمع الله تعالى عليهم من
 وجوه العذاب ثلاثة أشياء قطع الرحمة عنهم وتصغير ما هم النار وعدم الانتصار لانهم أتوا

ثلاثة أنواع من الاعمال القبيحة وهى الاصرار على انكار الدين الحق والاستهزاء به والسخرية والاستغراق فى حب الدنيا وهو المراد بقوله تعالى (ذلكم) أى العذاب العظيم (بأنكم اتخذتم) أى بتكليف منكم لانفسكم (آيات الله) أى الملك الاعظم (هزوا) أى استهزاء بها ولم تفكروا فيها وقرأ اتخذتم ابن كثير وحفص باظهار الذا ل عند التاء والباقون بالادغام (وعزتكم الحياة الدنيا) الدنية لضعف عقولكم فآثرتموها لكونها حاضرة وأنتم كلابهم افلتم لاحياة غيرها ولا بعث ولا حساب ولو تعلمتم وصفكم لها لاداكم الى الاقرار بالآخرة (فاليوم) أى بعد ايوائهم فيها (لا يخرجون منها) أى النار لان الله تعالى لا يخرجهم ولا يقدر غيره على ذلك وقرأ جزء والكسافى بفتح الداء التحسنة ونسب الرء والباقون بضم الداء وفتح الرء (ولا هم يستعتبون) أى لا يطلب من طالب مآثمهم الاعتاب وهو الاعتذار لانه لا يقبل ذلك اليوم عذر ولا توبة * ولما تم الكلام فى المباحث الروحانية ختم السورة بتحميد الله تعالى فقال عز من قائل (قله) اى الذى له الامر كله (الحمد) أى الاحاطة بجميع صفات الكمال (رب السموات) اى ذات العلو والاتساع والبركات (ورب الارض) اى ذات القبول للواردات (رب العالمين) اى خالق ما ذكر اذ الكل نعمة منه ذال على كمال قدرته فاحمدوا الله الذى هو خالق السموات والارضين وخالق كل العالمين من الاجسام والارواح والذوات والصفات فان هذه توجب الحمد والثناء على كل من المخلوقين والمربوبين * ولما افاض ذلك غناه الغنى المطلق وسيادته وانه لا كف له عطف عليه بعض اللوازم لذلك تنبيها على مزيد الاعتناء به لدفع ما يتوهمونه من ادعاء الشركة التى لا يرضونها لانفسهم فقال تعالى (وله) أى وحده (الكبرياء) أى الكبر الاعظم الذى لانهاية له (فى السموات) كلها (والارض) جميعا اللتين فيها آيات الموقنين روى عن أبى سعيد الخدرى قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقول الله عز وجل الكبرياء ردافى والعظمة ازارى فمن نازعنى واحدا منهما أدخلته النار وفى رواية عذبه وفى رواية قصته (وهو) وحده (العزى) الذى يغلب كل شئ ولا يغلبه شئ (الحكيم) الذى يضع الاشياء فى مواضعها ولا يضع شيئا الا كذلك كما أحكم أمره ونهيه وجميع شرعه وأحكم نظم هذا القرآن بجلا وآيات وفواصل وغايات بعد أن حزر معانيه وتنزيله فصار

ممجزافى نظمه ومعناه وما رواه البيضاوى تبعاً

للزخشرى من انه صلى الله عليه وسلم قال

من قرأ سورة حم الجاثية ستر الله

عورته وسكن روعته يوم

الحساب حديث

موضوع

تم

* (تم الجزء الثالث ويليه الجزء الرابع أوله سورة الاحقاف) *

